

السيد سید رضا
برقی

١٩

إخاء أربعين سنة

تأليف

الأمير شكيب أرسلان

من أعضاء المجمع العلمي العربي



الطبعة الأولى

الحقوق محفوظة





الفقيه السببر محمد رشيد رضا
بعد هجرته الى مصر سنة ١٣٢٧



الفقيه المرحوم السيد محمد رشيد رضا
وابن عمه السيد عبد الرحمن عاصم



مؤلف الكتاب
الامير سليم ارسلان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله

لقد قضت العقول وأيدت حكمها التجارب التي قد تكون
العقول نتيجة تكرارها - أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا
لا يلات شيئاً من أعماله ، وأن هذه لن تخفى على الناس مهما حيل
بينها وبينهم ، وأنه لن يطمسها طامس ، ولن يقدر أن يمحط من
حقها غامط ، مهما حاول المحاولون ، وكابر المكابرون . وهذا في
هذه الحياة الدنيا التي أكثر ما فيها الظلم ، وأفشى ما فيها الباطل ،
فكيف تكون الحال في الآخرة التي هي مجبوحة الحق ، ودار
الجزاء ، والتي لا يُظلم فيها أحد فتيلاً . قال الله تعالى : « نوفي
إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون » وقال تعالى : « وليوفينهم
أعمالهم وهم لا يظلمون » وقال عز وجل : « ووفيت كل نفس
ما عملت وهو أعلم بما يفعلون » إلى ما لا يكاد يحصى من
آي العظام التي تشهد بأن الله لن يتر أحداً من خلقه عمله .

وما أخرى عباد الله بأن يتأدبوا بأدب الله فيتعبدوا بإنصاف بعضهم بعضاً ، ويذكروا كل إنسان بعمله غير منقوص ، ويؤدوا إليه حقه غير مبخوس ، حتى يرغب الفاضل في الأحدثنة الحسنة فيستكثر من الخير ، ويعلم الفاجر أن عليه من السنة الخلق حسياً ، ومن أعينهم رقيباً ، فيتنكب طريق الشر . وقد أشار الله أيضاً إلى وجوب القسط وجعله من العزائم المفروضة فقال : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » وقال : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها * وإن حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . »

وقد سار ألو الخلق من الخلق على هذه الخطة الرشيدة ، وأخذوا بهذه السنة القويمة منذ تأسس المجتمع الإنساني على وجه الأرض ، فزكوا من تركيبي ، وأنشأوا على المحسن بما أحسن ، وذكروا المسيء أو المسرف بما يستحقه من الوصف ، وإن استنكفوا عن التقدر فيه علناً من باب التعفف ، فإن في ذلك السكوت الهائل الذي يسكتونه عن تركيته حياً وفي ذلك الصمت الناطق عن الشهادة له والترحم عليه ميتاً ما فيه من العبرة لمن اعتبر ، ومن الموعظة البالغة لمن عقل . ولو لم يكن للعمم غير

تلك الساعة الرهبة التي هي ساعة السؤال عنه قبل دفته ، وانتظار
جواب الناس عنه - لكان ذلك كافياً في الزجر عن المعاصي وفي
الحث على الفضائل . اللهم وفقنا إلى العمل الذي يرضيك ولا
تخزنا في مثل تلك الساعة التي هي العمر كله .

وبعد هذا فلا شك في أنه إذا وزن عمل كل من أعيان
هذا العصر بل من أعيان كل عصر كان السيد الإمام محمد
رسبر رضا من أرجحهم ميزاناً ، وأوفاهم قسطاً ، لا يحدد ذلك إلا
من رأت عليه الضلالة ، أو أعماه الغرض . وإني لأجد نشر
مناقبه والتنويه بقدره والإشادة بحسناته الكثيرة والإشارة لبراهينه
الساطعة من عزائم الله الموجبة وفرائضه المبرمة عملاً بقوله تعالى :
« وزنوا بالقسطاس المستقيم » هذا مضافاً إلى ما كان بيننا من
الإخاء القديم ، والذمام المتين ، والرمي عن قوس واحدة والافتداء
بإمام واحد . لا جرم أني أرى ترجتي له ديناً عليّ لا يجوز أن
ألوي به ما دامت لي أنامل تمسك القلم .

ولد محمد رسبر رضا في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ في
قرية القلمون على شاطئ البحر المتوسط من عمل طرابلس الشام ،
وهو فرع دوحة شرف وأصالة ونبل كنانة كرم ونبالة وسليل

بيت أسس على التقوى ، فكان الرشيد اسماً وفعلًا ، ورغب منذ
حدثته في الجد وأعرض عن اللهو ، ولم يعرف غرور الشباب ،
وطلب العلم طلباً حثيثاً وحصله تحصيلًا تاماً ، ولم يقنع من
العلم إلا بدرجة التحقيق ، ولا رضي من فن من الفنون إلا
باللباب ، وفاق أسياخه في العلم وهو بعد في شرح الشباب ،
وراقب نفسه في سيرته الشخصية ، فأنسم بالصلاح وتحلى بحلى
الفضيلة ، وعزف من صغره عن الصغائر ، وتعلق بمعالي الأمور ،
وكانه توسم في نفسه الرئاسة الدينية وتفرض أنه يكون صدرًا
في الشريعة فهدي هدي من يكون إمامًا وقادة ، وصادف
زمنه دور انهيار العالم الإسلامي من كل جهة بغفلة أهله عن
الجد في سبيل الفلاح والدأب فيما يقوّم المناد ، وبغلب الجهالة
والأمية على السواد الأعظم من هذه الأمة وما يتبع الجهل من
فساد الأخلاق ، وانحلال القواعد ، والسعي في مراضى الأجانب
الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر ، فأدرك بصدق فراسته وبُعد
نظاره أن العصر الذي يستقبله إنما هو عصر إصلاح ودور إيقاظ
وأن الاسلام في حاجة ملحة إلى من يمثل فيه هذا الدور بأسرع
ما يمكن استبقاء الذمء يتردد بين الحياة والموت ، وانتياشاً لحشاشة

تُحسّرُج بين السحر والنحر . وكان يعلم أن فارسى هذا
المضمار وإمامى هذا المحراب في أوائل هذه المائة الثالثة عشرة
من حياة الاسلام إنما هما السير جلال الدين الحسينى الودفغانى
وتلميذه الشيخ محمد عبده المصرى نعمدهما الله برحمته ، فسعت
نفسه إلى اقتناء أثرهما وعود على ترسّم خطاهما ، فجعل سيرتهما
موضع إهتمامه ، وآراءهما نار اعتشائه ، ودرس أنحاءهما درس من
عض عليها بالنواجذ ، وشتر قاصداً إلى مصر ليثصل باستاذنا الشيخ
« محمد عبده خير الله » الذي كان الشيخ رشيد أول من أطلق عليه
لقب « الاستاذ الامام » إذ كان اتخذه إماماً ، وعاشره لزاماً
وأنشأ مجلة « المنار » لبث أفكاره في الاصلاح الدينى والاجتماعى
والايقاظ العلمى والسياسى ، فبلغ المنار في مدة غير مديدة من
نفوس المسلمين المدى الذي أمّله من التقويم والاصلاح وكان
له أبلغ التأثير فيما حصل في هذه الأمة من الانتباه والانتهاض
وصار المنار هو المجلة الشرعية الاولى في العالم الاسلامى يُحتج بها
ويرجع اليها ، وأصبح موئل الفتيا في التأليف بين الشريعة
والأوضاع المصرية الجديدة ، وسارت فتاويه في الآفاق ، وطبقت
الشرق والغرب وعدّ الناس المنار حتى في أوربة معلمة إسلامية

منقطعة النظر ، وما زال السيد رشيد يزهر هذا المنار من سنة ١٣١٥ إلى سنة ١٣٥٤ أي ما يقرب من أربعين حولاً بلا ملل ولا ضعف ولا فتور ، ومناره يزداد تألقاً ، وبهر تفوقاً ، وينير الطريق للسالكين ، ويهدي من عسعس عليهم ليل المشكلات فليشوا حيارى إلى أن قبض الله هذا السيد السند إلى رحمته وقد كتب في إفادة هذه الامة وإرشادها ما ندر أن يكون قد وفق إلى مثله غيره من فحول علمائها سواء في الكمية أو الكيفية . وإليك إحصاء تأليفه :

(١) تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار ، فسر به ١٢ جزءاً من الذكر الحكيم في ١٢ مجلداً وآخر ما وصل اليه في التفسير من الجزء الثالث عشر الآية الكريمة المرقومة بمائة وواحد من سورة يوسف عليه السلام : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث » الآية

(٢) التفسير المختصر المفيد . أراد ، رحمه الله ، أن يجعله كالمتن لتفسير المنار وطبع منه مختصر الاجزاء ١٢٦١١٦٢٦١ وبعض ١٣ ثم لما صحت نيبته على كتابة هذا التفسير كان بادئاً بكتابة تفسير الجزء ١١ من تفسير المنار ، وفي أثناءها طبع الجزء

الأول من التفسير المذكور الذي كان آخر طبعه وأعاد طبع الجزء الثاني منه . ولذلك يوجد جزأان من أول التفسير وجزءان من آخر ما وصل إليه السيد قد اختصرت وطبعت . وكان قد وصل في الاختصار في التفسير إلى الجزء الخامس وحمد الله على التيسير لصعوبة اختصار ذلك لأنه كان قد كتب بأسلوب خطابي على طريقة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وأسلوبه . وفيه ملخص ما قاله رحمه الله من التفسير في الدرس (٣) مجلة المنار . صدر المجلد الأول منها سنة ١٣١٥ وكان آخر ما طبع منها أكثر الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين في ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ ووزع الجزء الثاني بعد وفاة السيد تفعمده الله برحمته .

(٤) تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وما جرى به مصر في عصره ثلاثة أجزاء وكان سيكملة بجزء رابع لي فيه أنا الفقير إلى ربه فصل في آراء الأستاذ الإمام أعده للنشر في هذا الجزء كما كان لي في الجزء الأول ١٤ صفحة من ٣٩٩ إلى ٤١٢ عن تاريخ وجود الشيخ محمد عبده في بيروت .

(٥) نداء للجنس اللطيف (حقوق النساء في الإسلام) وقد ترجم إلى بعض اللغات .

(٦) الوحي المحمدي وقد ترجم أيضاً إلى لغات ولي فصل

بآخره .

(٧) المنار والأزهر وفيه ترجمة السيد نفسه بقلمه ونحن

ناقلوها بحروفها في كتابنا هذا وقد علقنا عليها حواشي وافية في تاريخ علاقتنا معه .

(٨) ترجمة القرآن وما فيها من المفسد .

(٩) ذكرى المولد النبوي .

(١٠) مختصر ذكرى المولد النبوي وكان يقرأ في حفلة

الذكرى التي يحضرها ملك مصر أو نائبه .

(١١) الوحدة الإسلامية طبع أكثرها من قبل باسم

« محاورات المصلح والمقلد »

(١٢) يسر الإسلام وأصول التشريع العام .

(١٣) الخلافة أو الامامة العظمى .

(١٤) الوهابيون والحجاز .

(١٥) السنة والشيعة ، ظهر منه الجزء الأول ووعد بإكمال

بجزء ثان .

(١٦) خطاب عام فيما يجب على المسلمين بيت الله الحرام

• وحرم رسوله عليه الصلاة والسلام .

(١٧) مناسك الحج أحكامه وحكمه .

(١٨) المسلمون والقبط .

(١٩) تفسير الفاتحة والكوثر والكافرون والاخلاص

والمعوذتين في مجموعة فيها تفسير سورة العصر وإشارات للاستاذ
الامام .

(٢٠) رسالة في الصلب والفداء .

(٢١) مکتوباته الخصوصية رحمه الله إلى أخيه هذا وهي

تزيد على ٢٠٠ مکتوب اخترنا إلحاقها بهذا التأليف لأنها من
أعلى ما كتب ، وفيها فوائد من كل نوع ، وقد طوينا منها
بعض جمل اقتضت السيامة وقرب العهد طيها ، ولكننا تجنبتنا أن
نتصرف فيها بجملة واحدة .

فهذا إحصاء الكتب المطبوعة . وأما التأليف التي لم تطبع

أو طبع بعضها ولم تنشر فهي هذه :

(١) حقيقة الربا . وتنقص في هذه الرسالة المقدمة والخاتمة

التي أراد السيد أن يدون فهمه وفتواه بها . طبع منها ٩٦ صفحة

(٢) مساواة المرأة بالرجل ، وأصلها مناظرة مع الدكتور

محمود عزمي في الجامعة المصرية والمطبوع منها ٦٤ ص
(٣) رسالة في حجة الإسلام الغزالي طبع منها من ٢٨ سنة

٤٨ صفحة .

(٤) المقصورة الرشيدية عارض بها المقصورة الدريدية وذكر
فيها بعض أغراضه ومقاصده الإصلاحية . وكان ينتظر فرصة
يجل فيها غريب المقصورة ويطبعا .

(٥) رسالة في التوحيد على طريقة السؤال والجواب .
كتبها باقتراح الأستاذ الامام وحسن باشا عاصم لمدارس الجمعية
الخيرية الاسلامية .

(٦) الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية . وهي
أول مؤلفات السيد رشيد ، ألفها في أثناء طلبه للعلم وكان
مراده الرد على السيد أبي الهدى الصيادي فيما تعرض به للشيخ
الصوفي السيد عبد القادر الجيلاني وما نشر من الدعاية لنفسه ،
وقد انتهى من ذلك إلى تحقيق مسائل في الإصلاح الاسلامي
وقد نشر بعضها في المنار . ونال المؤلف أذى بسبب هذه الرسالة
من جماعة السيد أبي الهدى في أيام السلطان عبد الحميد .

ثم ان الأستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار

المصرية وغيره من أصحاب السيد أرادوه على جمع فتاويه وطبع
على حدة فكلف أحد الاخوان أن يجمعها من مجلدات المنار
وعمل لها فهرساً زاد على كراستين لكن لم يثيسر طبعها .

هذه هي مؤلفات هذا الرجل الذي لم يضم ساعة واحد
من حياته بلا عمل مفيد للانسانية عموماً وللإسلام خصوصاً .
ولو لم يكن له سوى هذه المجلدات الخمسة والثلاثين الموسومة
بالمنار لكان ذلك له كافياً ليكون نوراً يسعى بين يديه في الدنيا
والآخرة ، نسأل الله أن يتغمده برحمته ورضوانه وان يحياه
بروحه وريحانه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله
على محمد الامين وعلى آله وصحبه آمين .

سكيب أر-ملون

جنيف ٢٠ محرم ١٣٥٦



ما قلته عنه السيد رشيد في حياته



من طبيعة البشر أنهم لا يتصفون إلا من بعد موته ،
ولا يحبونه إلا في قبره ، وأنه ما دام حياً يجدون في صدورهم حرجاً من
إبتائه تمام قسطه من الثناء ، حتى إذا مضى إلى ربه ظهرت لهم محاسنه
وتوارت عن أعينهم عيوبه بما يكون قد حجز بينها وبين أعينهم من
التراب الذي ضمه وبما يكون الموت قد أشعرهم من رقة القلب وخشوع
الضمير وذهاب الحقد وارتفاع أسباب الحسد ولذلك قيل إن للعاصرة
حجاب وقال بعضهم :

ترى الفتى بنكر فضل الفتى في عصره حتى إذا ما ذهب
جدت به الحرص على نكته يكتنبا عنه بماء انذهب

أما أنا فلم أقل رأيي في السيد رشيد رضا بعد وفاته ولا شاب إعجابي
بفضله شيء من رقة العواطف التي تصحب الحكم في حق الأموات بل
قد أبدت عظيم رأيي فيه يوم كان ملآن حياة وقوة واليك ما قلته في
« حاضر العالم الإسلامي » من صفحة ٢٨٣ الى صفحة ٢٨٦ من
المجلد الأول .

ذكرت أولاً أستاذنا الإمام الشيخ محمد عبده في ترجمة مختصرة ثم
أردفتها بقولي :

ومن حسناته الكبرى وأياديه التي ملأ بها طباق العالم الإسلامي برماً
أخذه بيد الاستاذ العلامة السيد رشيد رضا في نشر مجلة (المنار) التي
هي لسان حال ذلك المصلح العظيم وترجمان أفكاره . فهي والحق يقال
أحسن مجلة ظهرت في باب الإصلاح الديني وتطهير الإسلام من شوائب
البدع وإعادة سيرته الأولى في عهد السلف وتأليفه مع المدينة الحاضرة
كما أن الاستاذ السيد رشيد المشار اليه هو الأولي بأب يخلف الاستاذ
الإمام الشيخ محمد عبده في مشروعه وفقه الله وسدد خطاه .

ويطول العهد بعد الاستاذ الأكبر السيد رشيد فسيح الله في أجله
حتى يقوم في العالم الإسلامي من يسد مسده في الإحاطة والرجاحة وسعة
الفكر وسعة الرواية معاً ، والجمع بين المعقول والمنقول والفنيا الصحيحة
المطالعة كفلت الصبح في التوازل العصرية والتطبيق بين الشرع والأوضاع
المحدثة مما لا شك في أن الاستاذ الأكبر هر فيه نسيج وحده انتهت
اليه الرئاسة لا يدانيه فيه مدان مع الرسوخ العظيم في اللغة والطبع الربان
من العربية والقلم السبيل بالفوائد في مثل نسق الفرائد والخبرة بطبائع
العمران وأحوال المجتمع الإنساني ومناهج المدينة وأساليبها وأنواع
الثقافات وضروبها الى المنطق السديد الذي لم يقارع به خصما مهما علا كعبه
الا أفحمه وألزمه ، ولا نازل قرناً كان يستطيل على الاقران الا رماه
بسكاته وألجمه . وأجدر بمجموعة (المنار) ان تكون المعلمة الإسلامية
الكبرى التي لا يستغني مسلم في هذا العصر عن اقتنائها ، كما أن
التفسير الذي وفقه الله به لكشف أسرار كتابه العزيز هو من آياته
الباهرة التي خللت اسمه في هذه الامة وقرنته بكبار الأئمة ، وله من

المواقف الشريفة في النضال الديني عن الاسلام ، والمرامة عن عقيدته الصافية ، ومن الكتب الجدلية في رد شبهات أعدائه من أبناء الملل الاخرى ومن الملحدة والمعطلة ما لا يقدر أحد في عصرنا هذا أن يدرك فيه شأوه ولا يستطيع جهيد من جهاذة الاسلام أن يبلغ فيه مدته ولا نصيفه . انه الرجل الذي لو دعا كل مسلم بإطالة حياته حباً بخدمة الاسلام والمسلمين لكان بذلك جديراً . وليس في كلامنا هذا شيء من الاطراء ، ولا ثمة ما يدعوننا اليه وانما أمرنا بأن لا نبخس الناس أشياءهم وهو أمر الهى صريح ، كما أننا لسنا ممن يرى المعاصرة حجاباً عن تقدير الفضائل قدرها ، بل نرى أن المنصف يجب أن يزن أقدار الناس في الحياة وبعد الممات بميزان واحد . وان كان من ضرائب البشرية ان تقسو على الاحياء وان تمنحو على الاموات ، وان لا تعطي لانسان حقه غير منقوص الا اذا فات .

ولقد حرر السيد رشيد تاريخ اسناذنا الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله في مجلدين كبيرين يزيدان على ألفي صفحة وسيعززهما بمجلد ثالث^(١) فيكون من الفضول أن نقول انه لا تاريخ للشيخ محمد عبده غير هذا التاريخ وهو الذي فيه ترجمة حاله بتفاصيلها وحياته من المهد الى اللحد مع ذكر منازعه بدقائقها وعقائده بحقائقها ومنشأته بنصوصها واخبار الحوادث التي خاضها والمسائل التي راضها وقد دخل في هذا الكتاب تاريخ السيد جمال الدين الافغاني ، وسير اعلام آخرين ، وتلخيص الحوادث العربية في مصر ، وروايات كثيرة عن الخديوي السابق ، ووثائق تاريخية

(١) وقد صدر المجلد الثالث الذي ذكرناه .

لا توجد في كتاب آخر ، ومباحث عقلية وشرعية وسياسية وأدبية ولغوية
لا يعثر القارئ على مثله في غير هذا الكتاب . وللفقير إليه تعالى راقم
هذه الأسطر في الجزء الاول من هذا السفر الجليل فصل عن حياة
الاستاذ الإمام أيام كان في بيروت ، وكنا متصلين به وهو نحو من ١٤
صفحة ، ولهذا الفصل لائحة وعد الاستاذ رشيد بنشرها في الجزء الذي
لم يظهر بعد .

ولما كان الاستاذ السيد رشيد من كبار المحدثين ، وله في هذا
الفن من الطول ما ليس خافياً على أحد ، فقد أمتزج خلق الشجبص
بدمه ولحمه ، وأصبح لا ينشرح صدره إلى الخبر إلا إذا وثق بأمانته
وآمن بأمانة رجاله . وقد يسوق الرواية من جملة طرق الى أن يثلج بها
الصدر ، ويطمئن لها الفكر . وهذه طريقة السلف عندنا ، لا يروون
شيئاً لا من الاحاديث النبوية وأخبار الصحابة فحسب ، بل لا يروون
شيئاً من الأشعار والآداب وسير البشر والحكايات - إلا عنقوه مسلسلًا
وربما أشاروا الى درجة رجاله ، فقتلوا ولينوا كما لا يخفى على من طالع
كتبهم ، وكانت له ألفة بطريقتهم . وهذه الطريقة هي اليوم طريقة
الاوربيين أيضاً : لا يروون خبراً ولا ينقلون جملة ولا أثراً ، الا وضعوا
في الحاشية . أخذها والكتاب الذي أخذوها عنه مع ذكر الصفحة وذكر
طبعة الكتاب وتعيين المطبعة أحياناً . وكل ذلك توثيقاً للنقل ونصحاً
بالتبليغ وتمهيداً للحكم الصحيح الذي لا يتهياً للقارئ الا بعد مقدمات
صحيحة وبينات رجيحة .

ومن نقائس تأليفه السفر الذي أخرجه مؤخراً تحت عنوان « نداء الى

الجنس اللطيف » فيه بيان حقوق النساء في الاسلام ، وتحقيق مسائل اجتماعية تدور أكثر من كل المسائل في هذا العصر مثل تعدد الزوجات والتسري والحجاب والسفور والطلاق وما يتعلق بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم : من الاحكام والحكم وتكريم النساء وبر الوالدين وتربية البنات وغير ذلك . قد جاء الاستاذ في هذا الكتاب بالآيات البيّنات على حكمة الشرع الاسلامي وغفلة المعارضين عليه جهلاً أو تجاهلاً . ولا يعني الا توصية الخلق بمطالعة هذا الكتاب إذ ذاك احسن ما يمكن وصفه به . فان الجواد عينه « فرارمه » . ولكني أورد شذرة واحدة من هذا الكتاب من قبيل التمثيل ليقبس القارئ عليه : قال في باب التسري الصحيح في الاسلام :

« كل ما كانت عليه الامم القديمة وكل ما عليه الامم الحاضرة من التسري واتخاذ الاخذان ، فهو في شرع الاسلام من الزنا المحرم قطعاً الذي يستحق فاعله أشد العقاب ، وكل من يستبيح هذا الفجور الخفي وما هو شر منه من السفاح الجلي فهو بريء من دين الاسلام .

وأما التسري الشرعي المباح في الاسلام فهو خاص بسبايا الحرب الشرعية إذا أسر امام المسلمين الاعظم خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم باسترقاقهن ، وإنما يكون له ان يأمر بذلك إذا ثبت عنده بمشاوره أهل الحل والعقد أن المصلحة فيه ارجح من المنع عليهم بالمتق ومن افتداء أمرى المسلمين وسباياهم بهن ان وجد عند الاعداء سبايا وأمرى منا . فليس الاسترقاق واجباً في الإسلام ، لكنه يباح إذا كان فيه المصلحة التي لا يعارضها مفسدة راجحة . ولكن حكومة إسلامية ان تمنعه ،

بل منعه من مقاصد الإسلام العامة ، والاسترقاق المهود في هذا العصر
للسود والبيض كله باطل في الإسلام ، فالتسري بالنساء اللاتي يختطفهن
النجاسون أو يبيعهن الآباء والأقربون ، أو يغربهن التجار والقوادور ،
كله عصيان لله ولرسوله »

فمن مطالعة هذا المثال تعلم أن ما يفهمه السيد رشيد رضا من أسرار
الشرع لا يفهمه غيره . ولو كان أحد الفقهاء الجامدين وسئل عن
هذا الأمر لأجاب بلا تأمل : ان الاسترقاق مباح ، لا بل حرام منعه ،
وإن سبي نساء الكفار جائز بلا نزاع وحرام منعه . وهكذا جاء
الإسلام والأمر الشرعية لا تعال ، بل يجب أن تقبها على علائها .
فإن قلت له : ان هذه الطرق غير مألوفة في هذا العصر ، وإن
الاستمرار عليها مضر بالامة الإسلامية ، ومما يجرح لها المقت والمداوة قال
لك قولاً واحداً : هذا هو ديننا ولا نعلم غير هذا ، ولم يفكر فيما وراء
هذه الأحكام بهذا العصر من الضرر بالإسلام والخطر عليه .

أما الاستاذ السيد فإنه يصرح لك بما يحفظ من النص ، ويفهم من
روح الشرع بأن الاسترقاق مباح الا اذا عارض ذلك مفسدة راجحة ، وان
لكل حكومة إسلامية أن تمنعه ، لان منعه هو من مقاصد الإسلام العامة ؛
ثم بفتيك بأن السبي في الإسلام لا يجوز إلا بإذن السلطان ، وهذا
الإذن من السلطان لا يصح له بمجرد رأيه ، بل يجب أن يؤخذ فيه
رأي عقلاء الامة الخ ...



السيد رشيد رضا كما ترجم نفسه

فكرت كثيراً قبل أن أبدأ هذه الترجمة ، في الطريق الذي يجب أن أسلكه فيها ، فرأيت بعد التروي أن أقصد الطرق فيها هو نقل ما كتبه السيد رشيد نفسه عن نفسه . فقد كان أعلم بنفسه وإنشأته وبيئته وبيئته ، وأدرى بأعماله وآثاره من أي إنسان آخر . وغير معقول أننا نعدل عن رواياته في ترجمة حاله الى روايات الآخرين ، الذين مهما بلغ بهم العلم بأحوال السيد رشيد رحمه الله ، فلن يعلموها كما يعلمها هو بذاته ، ولقد كان الناس يتخذونه حجة في الرواية عن الآخرين ، ويعترفون بمشربه في زيادة التحري ومتزعه البعيد في التمهيص الذي صار له ديدناً . فكيف لا نتخذه حجة في تاريخ بيئته وتحرير سيرته الشخصية ؟ .

بقي علينا أنه قد يرد على هذا الرأي اعتراض المعترضين بأن السيد رشيداً ، وإن بلغ الغاية في التحري ، واستولى على الامد الاقصى في التثبت ، فلن يقول عن نفسه ولا عن محتده ولا عن عترته إلا ما نطيب أحوالته بين الناس ، وإن الانسان مهما كان عدلاً لا بد من أن يتهم بالليل مع هواه ، وإن يرمى بحج تبرئة نفسه من الاثم ياطل أو يحق . وقد يرى القارئ في ترجمة الامتياز لنفسه كثيراً من المواضع التي

تُحْمَلُ عَلَى تَرْكِيبَةِ النَّفْسِ ، وَهُوَ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ . قَالَ
تَعَالَى : « فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى » وَقَالَ تَعَالَى : « أَلَمْ
تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ
شَيْئًا »

وَمَا كَانَ مِثْلَ هَذَا الْإِعْتِرَاضِ جَدِيرًا بِالنَّظَرِ ، وَجَالًا لِلْأَخْذِ وَالرَّدِّ ،
لَمْ نَحْبِ أَنْ نَتْرَكَ هَذِهِ الْمَسْئَلَةَ دُونَ جَوَابٍ مُّقْنَعٍ ، بِنَشْرَحَ لَهُ الصَّدْرَ ،
وَبِقَرِّ الْمُنْصَفِ بِأَنَّهُ غَيْرُ نَاكِثٍ عَنْ جَادَةِ الْحَقِّ .

أَوَّلًا — إِنْ الشَّيْخَ رَشِيدَ رِضَا كَانَ رَجُلًا شَهِيرًا ، قَلَامًا وَجِدَ فِي هَذَا
الْعَصْرِ رَجُلٌ عَرَفَ النَّاسَ وَعَرَفَهُ النَّاسُ أَكْثَرَ مِنْهُ ، وَقَدْ أَجْمَعَ جَمِيعُ
عَارِفِيهِ ، وَلَا سِوَا مِنْ كَانَتْ لَهُمْ مَعَهُ مَخَالَطَةٌ دَائِمَةٌ ، عَلَى أَنَّهُ كَانَ صَدُوقًا
لَا يَقُولُ إِلَّا مَا يَبْعَثُهُ . وَقَدْ يَجُوزُ فِي الْإِحَابِينَ أَنْ يَكُونَ مَخْطِئًا ،
وَأَكْثَرُهُ لَا يَجُوزُ فِي عَرَفِ عَارِفِيهِ أَنْ يَكُونَ كَاذِبًا ، بَلِ كَانَ السَّيِّدُ
رَشِيدٌ مُفْرَطًا فِي حَرَبَةِ الْفِكْرِ ، يَبْلُغُ بِهِ تَوْخِي الصَّدَقِ ، أَنْ يَرُوي
أَحْيَانًا رَوَايَاتٍ عَنْ نَفْسِهِ لَا تَكُونُ لَهَا ضَرُورَةٌ ، وَرَبَّمَا انْتَقَدَهُ النَّاسُ فِي
اسْتِنْقَاصِهِ إِلَى حَدِّهَا هَذَا ، فَإِذَا مَرَّ الْقَارِئُ مِنْ تَرْجُمَةِ السَّيِّدِ رَشِيدٍ لِحَالِهِ
بِأَقْوَالِ بَرَاهِنٍ مِنْ بَابِ التَّمْدِيحِ ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ السَّيِّدَ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ أَجَلَ
رَمَنَ أَنْ يَخْرِقَ الْكَذِبَ لِأَجْلِ نَفْسِهِ ، وَأَنَّهُ مَا كَانَ يَقُولُ إِلَّا الَّذِي
يَبْعَثُهُ حَقًّا . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ مَذَاهِبٌ أُخْرَى
وَأَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ مِمَّنْ يَتَحَرَّجُ عَنْ ذِكْرِ نَفْسِهِ وَلَوْ صَادِقًا ، وَمَنْ يُوَثِّرُ
أَنْ يَطْوِي مُحَاسِنَهُ تَوَاضَعًا أَوْ خَشْيَةً أَنْ يَنْسَبَ إِلَيْهِ مَجْرَدُ التَّبَجُّعِ ، وَلَكِنْ
وَجُودُ هَذَا الْخَلْقِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَاعِدَةٌ كَلِمَةٌ

من زاغ عنها فقد طغى . وكم وكم في الإسلام بل في العالم بأجمعه من علماء أعلام ترجوا أنفسهم بأقلامهم ولم يتورعوا عن ذكر مآثر أتوها ومواقف شريفة وقفوها ولم يعد العلماء ذلك منهم أسراً أنكروا .

ثانياً — لا ينبغي أن ننسى أن السيد رشيداً قضى حياته منذ بداية نشأته إلى سنة وفاته في مقارعة الخصوم ومكافحة الأعداء من طبقات مختلفة وأقوام شتى ، وكان عفا الله عنه لا يمشی الضراء ولا يعرف المداجاة ، فإذا نبذ على سواء وإذا خاصم خاصم صرحة برحة لا هورتي ولا هوارى ، ولا يكتمني بالإشارات وقلما يلوذ بالمعاريض ^(١) وكثيراً ما كنت أعذله على إفراطه في الصراحة وأقول له : إنك في هذا تقطع على نفسك خط الرجعة ، وقد يتبين لك في ما بعد أنك أخطأت أو بالغت أو غممت من حيث يجب أن تخصص فتقع في الندم وتضطر إلى نقض ما قلت أولاً . وكان لا ينجع فيه هذا النصح في كثير من الأحيان ، لما غاب عليه من شدة اقتناعه برأيه ، فكان ذلك سبباً لتكاثر أعدائه ، ولجأهم في مشائمه بحيث لم يوجد في عصرنا عالم شهير تعرض للمهاجمات ، واستهدف لسهام الوقعة ، بقدر ما استهدف له الشيخ رشيد في أيامه كلها . وبدنيهي ان أولئك الأعداء لم يكونوا ليرحموه ، بل لم يكونوا لينصفوه ، بل قد كانت تحملهم شدة الإحنة على أن يقولوا فيه ما يعتقدون وما لا يعتقدون . واستمر الشيخ رشيد في نضاله عن مبادئه وقراءه لأعادييه طوال الأربعين

(١) من أكثر ما كنت أراجع به المتخفيف من حملاته على إخواننا الشيعة ولكنه كان قد صدق فيه المثل المعروف عند عرب البادية : خيال الرحمن لا راحم ولا مرحوم .

سنة ٦ التي هي مدة حياته العلمية ٦ لم يعرف فيها الهدنة ولا المتاركة ٦
فلا عجب ان اضطر الى الدفاع عن نفسه بما يشبه ان يكون تمدها ٦
وهو لم يقصد في ذلك إلا تبديد الشبهات التي اثارها أعداؤه في حقه .
ومثل هذا الدفاع لا ينطبق عليه النهي الالهي القائل بعدم تزكية المرء
نفسه ٦ ولكنه مما يندمج تحت قوله تعالى : « ولئن انتصر بعد ظلمه
فأولئك ما عليهم من سبيل »

وانبدأ الآن بنقل ما حدث السيد رشيد به عن نفسه في كتاب
عنوانه « المنار والأزهر » المطبوع في سنة ١٣٥٣ وقد جاء فيه ما يلي
تحت عنوان :

فصل

في خلاصة من تاريخ صاحب المنار

بيئتي وبيتي :

ولدتُ ونشأتُ في قرية تسمى القلمون على شاطئ البحر المتوسط من
جبل لبنان ٦ تبعد عن مدينة طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال ٦ وكان
جميع اهل هذه القرية من السادة الأشراف المتواتري النسب ٦ إلا أنه
خالطهم في القرن الماضي عدد قليل من مساعي لبنان . ولم يكن أحد
بالتزبيل^(١) والتعيز بينهم لفقر أكثرهم وخمولهم وعدم وجود أوقاف لهم

(١) التزبيل : التفريق والتمييز ٦ جاء في التزبيل (وزيلنا بينهم) .

يضبطون ، واليدم لحفظ استحقاقهم فيها ، وعهدي بالشيوخ منهم أنهم يعرفون جميع الدخلاء ، وكان أخي المرحوم السيد صالح يعرفهم ايضاً وقد اشتهروا بالشرف وحسن السيرة ، فلما يعرف عنهم منكر من الكبائر إلا قليلا من سرقة الفواكه ^(١) او التضارب بالعصي في بعض المشاجرات وما يقرب من ذلك .

واهل بيتنا ممتازون فيهم بأنهم أهل العلم والإرشاد والرياسة ، ويلقبون بالمشايخ للتميز ، وجدتي الثالث هو الذي بنى لهم المسجد المعروف الآن بجانب بيتنا القديم الذي ولدت فيه ، وكان لهم مسجد قديم هدم ونقاسموا حجارتها لقلبة الجهل عليهم ، فأحيا جدنا الدهن ببناء المسجد وإقامة الشعائر فيه من إمامة وخطابة وتدريس ، وكان عالماً صالحاً مشهوراً بالكرامات ، وقد أنعم عليه السلطان العثماني براءة سلطانية حبس عليه فيها سبعة قراريط من ٢٤ قيراطاً من أموال الدولة الاميرية ، وبراءات اخرى بالامامة والخطابة في المسجد وقد تسلسلت هذه البراءات من السلاطين في ذريته حتى آلت الي فكانت آخر براءة وجهت عليّ أو الي من السلطان محمد وحيد الدين قبل الحرب العامة .

وكانت والدتي من اسلم النساء فطرة واکرمهن اخلاقاً واوفاهن لزوج ، واحناهن على ولد ، وكان والدي من اعز الرجال نفساً ^(٢) وأجرأهم جناتاً

(١) انظر الى عادته رحمه الله في التدقيق وتأمل كيف انه لم يفلت حتى هذه .
(٢) قد عرفت والد الشيخ رشيد منصرفه من مصر بعد ان زار ابنه فيها وذلك منذ اربعين سنة او نحوها ، وكان سيداً بادي السراوة ولم يكن ظهر الشيب فيه حين عرفته رحمه الله .

وأستخام بدءاً ، وقد بينت في ترجمتهما من المزار ما ورثته من أخلاقيهما .
وكنت أنا وأخوتي نهاب والدنا أشد المهابة ، لا يرفع أحدنا في حضرته
صوتاً ولا يجلس متكئاً ولكنه كان يمازح البنات من دوننا .

وكان بيننا ومازال بفضل الله تعالى بيت كرم وضيافة كما كتب على
لوح الرخام الذي على الباب الكبير للدار التي بناها جدي الثاني ، بقبل
الضيوف من جميع الملل ، وهنوي أبناء السبيل من جميع الأقطار ، وعهدي
بأكبر علماء طرابلس وحكامها ووجهائها بغشون دارنا في أيام الصيف ،
وبقيمون فيها أياماً للتمتع بهوائها اللطيف ومياه بناييمها النقية وأصناف
الطعام الفاخر عندنا^(١) وكنت من أول من التمييز أبيل إلى العلماء منهم
دون الحكماء ووجهاء الدنيا .

وكان والدي من بعد جدي الذي مات وأنا طفل هو سيد الأسرة
والبلد المضياف ، وكان عمه « السيد الشيخ أحمد » كبير الأسرة سنّاً
منقطعاً للعبادة ، لا يقابل من ضيوفنا إلا العلماء والأصدقاء ، يجلس إليهم
في وقت معين بين صلاتي العصر والمغرب ، وكان مجلسه مجلس أدب
ووقار لا لغو فيه ولا دعاية ولا اغراب في الضحك . واذكر أنه كان
في طرابلس رئيساً لعسكرية الدولة جبار متكبر مهيب الطلعة عظيم الجثة
جاء القلمون صباحاً ليزور الشيخ ، ولم يكن يعمد منه تكريم العلماء
والصالحين في طرابلس ، فاستأذن له عليه فلم يأذن . فسأل كيف يتسنى
له أن يراه ؟ فقبل له : انه ينزل إلى المسجد للصلاة فيمكنك أن تراه

(١) لم يحدث السيد رشيد هنا بشيء لا يعرفه كل أهل طرابلس الشام .

عند نزوله أو عودته ، فانتظره ساعة أو أكثر. حتى نزل لصلاة الضحى
فسلم عليه واقفاً وأنشده الشيخ أبياتاً في بيان حاله ، وإن اعراضه عنه
ليس لذاته ، وقال لمن معه من العرب : ترجعوا له وانصرف . واني
أذكرها وقد نسبت أول الثاني منها على أنها مشهورة :

أنست بوحدي ولزمت بيتي وطاب الانس لي وصف السرور
..... فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما عشت يوماً أسار الجند أم ركب الأمير

فكانت هذه الحادثة من أكبر ما عظم شأن يثنا في نفسي فوق فيها
أن شرف النسب إذا زانته التقوى والاستقامة بكون صاحبه أكرم
الناس عند الله وعند الناس .

وقد اتفق له في شرح شبابه ما هو أغرب من هذه الحادثة في عزة
النفس والشجاعة ، وهو أن بعض الضباط المصريين جاؤا دارنا في عهد
احتلال إبراهيم باشا لسورية يطلبون بعض الحاج لهم ، وكان هو الذي
قابلهم جالساً على دكة في السباط أمام المنزل « أي الدوار أو المندرة »
ويأمر بعض الخدم باحضار ما يطلبون . فقال له الضابط : أنت قاعد
نأمر وتنهي هنا زي أفندينا ؟ اوم (أي قم) شيل على دماغك . وأقبل
عليه يريد جذب يده ، فرفسه الشيخ برجله في صدره ، فوقع على ظهره
ثم دخل الدار وأوصد بابيها وراءه وحدثت معركة بين الجند وأهل القرية .

استطراد تاريخي : ابراهيم باشا المصري

وأقول على سبيل الاستطراد التاريخي أن تلك الدكة في ذلك السباط قد نام عليها ابراهيم باشا الكبير نفسه ، فقد حدثنا عم والذي هذا ان الباشا كان جائياً من لبنان إلى طرابلس فتعب في الطريق ، فلما بلغ بلدنا القلمون ألم بدارنا ليستريح ، فدخل من السباط إلى صحن الدار راكباً جواده ومد يده إلى شجرة نارنج يقطف من ثمرها ظاناً أنها برنقالة ، فرأته سيدة الدار من أعلاها فصاحت بصوت سمعه من حيث لا يراها : نحن ما صدقنا أننا خلصنا من ظلم عبد الله باشا (تعني الحاكم التركي) وقالوا لنا ان حكم ابراهيم باشا حكم العدل والأمان ، فكيف بدخل عسكره علينا هكذا ؟ فنجعل الباشا من فعله وفرح بما سمع من مدحه وذم الحكم التركي وخرج . وكان معه مرافق (كاخية) من قبل الأمير بشير يعرفه بأمر البلاد وأهله ، فصعد السلم وكرم السيدة من وراء الباب قائلاً : هذا هو أفندينا ابراهيم باشا تعبان^(١) يريد ان ينام هنا ساعة . فأرسلوا له حشية ومخدتين ونزل ووضعت الحشية والمخدتان له على دكة السباط فنام إلى أن استيقظ من نفسه ، فركب جواده وسار بجاشيته ، وقد نسي ساعته تحت الوسادة ، فاتبعه خادم أعطاه إياها . قال محدثنا : فوالله اننا عجبنا انه لم يعطه بخشيش^(٢) .

(١) روى الاستاذ هنا لفظة (تعبان) على الحكاية والافقي الفصح لا يقال تعبان بل هو تعب ومتعب على وزن كثرّف ومُكرّم .

(٢) البخشيش : لفظة تركية هي مصدر « بخش ايشمك » أي أعطي -

لم نقل جدتنا تلك الكلمة في ظلم الحكم التركي الا لأن الدولة
كانت قد صادرت ^(١) بيتها مرتين بعد وفاة زوجها ، وأولادها قاصرون
دون البلوغ حتى باعوا أثاث الدار .

* * *

— ومقابها في العربي (الحلوان) أو ما يعطى للخادم (النحل) و (النحلان)
بالضم وتأمل هنا أيضاً مشرب الشيخ رشيد رحمه الله في نقل الأخبار على علاقتها .
(١) جاء في لسان العرب : ومن كلام كذاب الدواوين أن يقال : صودر
فلان العامل على مال يؤديه اي فورك على مال ضمنه . وهكذا نقل ذلك صاحب
(أقرب الموارد) بلفظ « فورك » ولكن هذه العبارة نفسها منقولة في التاج بلفظ
« فورك » بالقاف أولاً وهي في التاج غلط طبع أو نسخ إذ لا معنى (لفورك)
هنا وأما (فورك) فهو للمجهول من فارقه من حسابه على كذا اذا قطع الأمر
بينه وبينه على أمر وقع عليه اتفاقهما ومثله صادرة على كذا . وكله مولد ليس
من كلام العرب الأولي . وقد جاء في تاريخ الوزراء تأليف أبي الحسن الهلال
الحسن بن ابراهيم الصابي الكاتب المتوفى السنة الثامنة والاربعين بعد الاربعمائة
قوله في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات « وصودر على مائة
وعشرين ألف دينار وصح منها ستون فجي به من محبسه الخ . . . » وقوله عن
لسان الخليفة المقتدر في ابن الفرات أبي الحسن وأخيه أبي العباس : أسأنا اليهما
وصادراهما . وقوله في موضع آخر : وسلم اليه علي بن عيسى ومحمد بن عبدون
فاعتقاهما في دار بدر اللاني وقرر عليهما مصادرة خفهما عن علي بن عيسى وثقلها
على محمد بن عبدون لعداوة كانت بينهما . وهكذا هذه اللفظة تدور كثيراً في
أخبار ديوان الخلافة .

١- تطراد تاريخي آخر : مصطفى آغا بربر^(١)

مصطفى آغا بربر حاكم لواء طرابلس الدكتاتور الذي والى الحكومة المصرية على الترك ، خطب على جده والدي ابنة أخيه ، فأبى . وما زال

(١) رجل عامي من قرية إبعال من قرى طرابلس ، كان جاهلاً متغشراً ، ولكنه كانت فيه رجولية تسمح له الى معالي الامور ، فدخل في خدمة الدولة ، وما زال يترقى حتى صار متسلماً لطرابلس ، وقد رأيت في تاريخ الاعيان في جبل لبنان ذكره مساراً ، وانه في سنة ١٨٠٤ كان بربر متولياً تلك المدينة . وذكر صاحب أخبار الاعيان انه في سنة ١٨١٠ ولي سليمان باشا والي الشام مصطفى بربر متسلماً لطرابلس دون القلعة لانه كان قد حدث شغب بسببها . وذكر انه في سنة ١٨١٩ كان بربر لا يزال متولياً طرابلس ولكنه بذكر في حوادث سنة ١٨٢١ ان مصطفى بربر توجه من منزله في ابعال الى جبّة بشرتي خوفاً من علي بك المرعب إذ بلغه أنه حضر له أمر من عبد الله باشا والي عكا وسواحل سورية بأن يقبض عليه . وكتب بربر الى عبد الله باشا كتاباً يستعطفه وأرسله ضمن كتاب الى الأمير بشير الشهابي والي لبنان ليشفع به . فكتب الأمير بشير الى عبد الله باشا يلتمس العفو عن بربر ، فجاء العفو عنه ، وذهب بربر ليشكر الأمير على شفاعته به . فأرسله الأمير الى والي وسأله ان يطيب قلبه ويرفع الثمالة عنه . فعزل والي علي بك المرعب عن طرابلس واعاد بربر متسلماً عليها كما كان ، فعاد بربر الى طرابلس وعليه خلعة الولاية ، واسترجع كل ما أخذ منه . ثم حصلت حوادث اضطر بسببها أن ياجأ الى الأرسلانيين فينزل عندهم في الشويفات وبقي فيها مدة ، ولما حصلت الفتنة بين الأمير بشير الشهابي والشيخ بشير جنبلاط سنة ١٨٢٣ وكان الأمراء الأرسلانيون في الصف المقاوم للأمير بشير كان بربر من حزب الأمير المشار اليه ، ولما دارت الدائرة على الشيخ بشير جنبلاط -

يرسل اليه الخاطبين عنه من كبراء طرابلس الى ان اسمه اُحدم ان الشيخ امتنع البتة وعمل ذلك باحتقاره الآغا (اذ كان قبل ذلك من حاشيته) فأرسل اليه مرتين من حاول قتله ثم استرضاه فرضي وزوجه بها . وقد حدثتنا عممة والدي عنها وهي ابنة عمها انهم كانوا يأبون اخذ اي شيء منها من هدية وغيرها ولو للبنات الصغار — وهي سيدة البلاد — ولكنهم لم يكونوا يفخرون بهذه السيادة ، في حياة زوجها الحاكم المستبد ولا بعده . على أنه كان مستبداً عادلاً في اعتقاده ووجدانه . واذكر عنه فكاكة روتها عممة والدي عنها ما كان يعرفها كما هي غيرها . قالت : كان الآغا وافقاً في صحن الدار للوضوء فاستأذن عليه كاتبه نعمة — وكان نصرانياً — فأذن له فإذا هو يحمل إعلماً شرعياً في قضية جنائية ، فسأله : ما يقول القاضي في المتهم بالقتل . فقراه له فإذا هو حكم بالبراءة على خلاف رأيه — وذكرت عبارته — فقال والسيدة واقفة في الشباك تسمع وترى « ضربة تشمط رقبتة من بين القضاة ما يعرف شيء خذوه (اي المتهم) اشنقوه ، نوبت فرائض الوضوء » وشرع في وضوئه .

— ومن كان معه من الامراء الشهابيين والأرسلانيين بسبب إرسال الدولة عسكرياً لنجدة الأمير بشير رجع جدي أبو والدي الأمير حسن أرسلان وابن عمه الأمير قاسم أرسلان إلى الشويفات حيث كان مصطفى بربر مقيماً فيها فالتصا منه أن يشفع لهما لدى الأمير بشير ، ويظهر أنه لم يقبل الأمير شفاعة بربر بهما لانه حسب ما يقول صاحب تاريخ الاعيان قد أصر على تغريم الأمير حسن والأمير قاسم الأرسلانيين بخمسة وعشرين ألف غرش . ثم ورد ذكر بربر في حوادث سنة ١٨٣٢ وأنه كان والياً على طرابلس .

وجملة القول اني نشأت في بيت شرف وكرامة وكرم ودهن
ونقوى وعزة نفس بمعتقد الناس تسلسل الولاية فيه ويتركون بكبار
رجالهم ، وفي سلسلة نسبنا عدة رجال كانوا يلقبون (بالصوفي) وكان
عندنا خزانة كتب موروثة فيها عدة كتب نادرة في جميع العلوم حتى
علم الفلك وقد سرق أكثرها في زمن الثورة المصرية . فبهذا يعلم ان لي
عرفاً وراثياً في حب العلم والإرشاد والاستعداد لها .

استمراري الشخصي

كنت من الصغر قليل الرغبة في اللعب ، شديد الحياء ، ولهذا امتنعت
من أوائل سن التمييز من السباحة مع الأولاد في البحر ، ودارنا القديمة
على شاطئه ، نرى السمك فيه من نوافذها عند مكنونه في الصيف ،
ونتكسر أمواجه على صخرة أمام الدار الثانية عند هياجه في أيام الشتاء
فكنت أنزع ثيابي وراء صخرة تسترني وأصبح دائماً أو في الغالب مفرداً
متنظراً ، ولهذا لم أتمكن السباحة لان سبب انقائها هو المباشرة في الابعاد
في البحر وفي السرعة .

نفعني الحياء من ناحية الأدب وصيانة العرض واللسان ، فلم أنطق
بشيء من كلام المجون والفحش ، ولم أجهر بقراءة شيء مما في الكتب ،
ولم أسمح لأحد أن يتكلم معي بشيء مما ينسأح به الأدباء من ذلك ،
وأضرني هو وحب العزلة بما جملاني كثير النسيان لاسماء الناس لعدم
عنايتي بمعرفتهم . وقد عشت بضع سنين بين جماعة من طلبة العلم ، ولم

أعرف أسماءهم كلهم ، ومن أعلم زملائي في طلب العلم بذلك الاستاذ العالم الاديب الشهير الشيخ عبد القادر المغربي ^(١) عضو المجمع العلمي في دمشق وهو من أعلمهم بميلتي في التزام الصدق ، فاني تحديته بأنه إذا حفظ علي كذبة واحدة كان له حكمه علي فيها . وإنما كان هذا التحدي لاجعله رقيباً علي في تربيتي لنفسي ، وكنت ومازلت اكلف كل من أعاشره ان يكاشفني بما ينتقده علي أخلاقي وآرائي كما أطالب قراء المنار سيف كل عام بانتقاده .

و كنت أوصف بالذكاء النادر ^(٢) واسمع العلماء والوجهاء يحثون والذي

(١) اخونا الاستاذ العلامة الكاتب البليغ الشيخ عبد القادر المغربي من آل المغربي في طرابلس الشام ومن مروائنا التي نتباهي بهم طرابلس بل البلاد الشامية بأمرها ، وقد انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي في دمشق ، ثم من سنتين أو ثلاث علي أثر استعفاء رئيس المجمع الاخ العلامة محمد الكرد علي عهد اليه برئاسة المجمع وبقي فيها إلى هذه الايام الاخيرة سنة ١٣٥٥ ثم استقال من الرئاسة وبقي عضواً في المجمع ، كما أنه من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكي المصري . وهو مع علمه وفضله وسعة اطلاعه وسلاسة انشائه من أذكى من عرفت أخلاقاً وأكثر من عرفت تصاوفاً وتواضعاً وأحد منهم عهداً وأعفهم لساناً وقلماً ، وهو لا يبارى في المواضيع الاجتماعية الدينية ، وقد كان هو والسيد رشيد رضا عشيري صبا ، ورفيقي طلب ، وكل منهما يعرف الآخر أتم معرفة . والمقصورة الرشيدية التي نظمها السيد رشيد ، وطالما أنشد منها ونوه بها اصحابها تهنئة لاخته الاستاذ المغربي بزفافه وسنيتها في هذه السيرة في فصل خاص .

(٢) ما زاد الاستاذ هنا علي حكاية الواقع ولعمري لم يختلف اثنان في ندور ذكائه وانه ما بلغ تلك الدرجة القصوى من العلوم الا وهو من سلاطين الاذكياء .

على العناية بتعليمي وببشرونه بما يرجون لي من النجاح والنبوغ في العلم .
و كنت أستغرب هذه المبالغة لانني أراني خير مربع الحفظ ، إذ كان
الحفظ هو معيار الذكاء عندي ، وكان أخي السيد صالح أسرع مني في
الحفظ ، ولما حفظت أكثر من بيت واحد من الشعر من سماعه مرة
واحدة ، ولما شرعت في طلب العلم كان الطلبة يكتبون تعريفات لكل علم
يحفظونها بحروفها لاجل الامتحان ، ولم أكن أعني معهم بذلك وإنما كنت
أعني بفهمها حق الفهم ، وبالقادرة على التعبير عما أفهمه وافق اللفظ
المكتوب أو خالفه إلا ما لا بد من حفظه بلفظه بأمر المدرسة : كالالفية
ومن السأم في المنطق وجوهرة التوحيد وبعض مقامات الحريري .
كنت أجلس في درس النحو عن يمين الاسقاذ وأبدأ بإسماعه آيات
الالفية المفروض حفظها كل يوم ، فإذا جاء الدرس ولم أكن حفظتها
لقلة الاهتمام به أناخر عن الدخول إلى أن يبدأ الطلبة بالاسماع فأحفظ
منهم ، وإنما كنت سريع الفهم حتى انني كنت أنألم ويضيق صديقي من
إعادة الاستاذ للمسألة التي يقررها ، وكنت قوي الذاكرة والاستحضار
لما أقرأ وأسمع ولا أزال كذلك والله الحمد ، وإكفني ضعيف الاستعداد
لحفظ الجزئيات كالاعلام والارقام والحوادث التي لا تضبطها قاعدة كلية
أو غرض عام . وكذلك حوادث التاريخ الجزئية ، وإنما اعني بفلسفتها
وأسبابها ونتائجها العامة ، وزادني ضعفاً على ضعفي في هذا قلة العناية بمعرفة
الناس . وكل ما أعنفد ان ليس لي فيه فائدة علمية أو دينية .

ولذلك لم أعن باللغة التركبية ولا الفرنسية ، وان حفظت كل ما فرض

عليّ من دروسهما في المدرسة الوطنية ثم ندمت على الثانية بعد أن علمت أن لها فوائد كثيرة في خدمة الإسلام .

فجملة القول في استعدادي للعلم أنني كنت سريع الفهم قوي الحفظ للمعاني والمقولات وماله ترتيب معقول ، فكان علم المنطق أسهل العلوم عليّ إلا التمثيل في أبواب القضايا والقياس له بحروف المعجم ولا سيما نقائص القضايا الموجهات وعكوسها . زار طرابلس مرة طالب علم مصري اسمه الشيخ مرعي ، كان لطيف المعاشرة والمذاكرة ، رأيت مع اخواننا الطلبة يتكلمون في مسألة من المنطق غير واقفين عليها ، فذكرت لهم ما أفهمه . فقال الشيخ مرعي متعجباً : الله ! انه يحفظ حاشية الحفني على شرح السلم باللفظ والمعنى ! عليّ أنني لم أحفظ حروف الجر في غير الالفية إلا بذكرها مراراً كثيرة .

ومثلاً أوائل سورة التكويد لأنني لم أفهم لنسق الشرطيات فيها ترتيباً معقولاً ، وعذبت بحفظ القرآن وحدي أي بدون (١) أستاذ أعيد عليه ما حفظت ، فحفظت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة ، ثم شغلت

(١) أخذ عليّ أحد الإخوان ادخالي الباء على « دون » وقال ان الاصح فيها أن تأتي مجردة من الباء أو بإدخال « من » فيقال « من دون » وأجبت به بأن هذا قد قيل واشتهر ولكنه فيه نظر فإن « دون » تأتي اسماً وتأتي ظرفاً وما على الاسم أن يُجوز بالباء . وقد أجاز ذلك الاخفش ومكانه في النحو مكانه . وانت ترى هنا أن الريد رشيداً كان يقولها . ومن نحاة هذا العصر الراسخين الشاب العلامة السيد مصطفى جواد العراقي يميز أيضاً هذا الاستعمال ويستحسنه .

عن إتمام حفظه بطلب العلم ، وحفظت المفصل كله لأجل قراءة طوالة في صلاة الفجر وسائر في سائر الصلوات ، ورأيتني أحفظ بعض السور كالكمف ومريم وطه ويوسف من غير تعمد لحفظها .

تسألني العمية

تعلمت في كتاب قربتنا (القلمون) قراءة القرآن والخط وقواعد الحساب الرابع ، ثم أدخلت في المدرسة الرشدية في مدينتنا (طرابلس الشام) وهي مدرسة ابتدائية للدولة يدرس فيها الصرف والنحو والحساب ومبادئ الجغرافية وعلم الحال « العقائد والعبادات » واللغة التركية واللغة العربية ، ولكن جميع التدريس فيها باللغة التركية . فأقمت فيها سنة ثم لم أعد إليها لأنني لم أحب أن أخدم الحكومة .

ثم دخلت المدرسة الوطنية الإسلامية وهي أرقى من المدرسة الرشدية وجميع التعليم فيها باللغة العربية إلا اللغتين التركية والفرنسية ، وتدرس فيها العلوم العربية والشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية ، وكان استاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر الأزهرى ^(١) هو المدير لها بعد أن كان

(١) عرفته رحمه الله ولي معه مجالس كثيرة وقرأت من نظمه ونثره وترسله ، وكان من أفذاذ الأمة الإسلامية علماً وورعاً ووقاراً وجلالاً وجمالاً ، وكان استاذنا الشيخ محمد عبده لا يرى مثله في علماء سورية العالمين ومرشديها الكاملين وهو صاحب « الرسالة الحميدية » الشهيرة في إثبات النبوة الحميدية وإظهار فضائل الشريعة الإسلامية ورد مزاعم الملاحدة واعداء الدين .

هو الذي سعى لتأسيسها ، لان رأيه ان الامة الإسلامية لا تصلح وترقى إلا بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة المصرية الاوربية مع التربية الإسلامية الوطنية تجاه التربية الاجنبية في مدارس الدول الاوربية والاميركانية ، ولكن الحكومة العثمانية لم تقبل أن تعدها من المدارس الدينية التي يعنى طلابها من الخدمة العسكرية ، فكان ذلك سبباً لا لغائهما ، فحرمت مدينة طرابلس وملحقاتها من فوائدها بجعل الدولة وغاوتها . وتفرق طلبتها ، فذهب بعضهم إلى مدارس بيروت المختلفة وانقطع بعضهم للطلب في المدارس الدينية في طرابلس وأنا منهم .

ولم يرخص لي والدي بالإقامة في المدينة لطلب العلم الا بعد بلوغي سن الرشد وثقته بديني وأخلاقي ، لانه كان يخاف علي من معاشره أهل المدينة « البندر »

و كنت اجتنبت معاشره الناس فيها إلا أفراداً قليلين جداً من أصدقائنا . ومن أمثلة اجتنابي للرعية انني كنت أشتري شيئاً من تاجر تكرر تسامله معي في المساومة ، فقال لي : وحياة عينيك - فنفرت منه ورميت ما كان بيدي وما عدت أقف عليه ولا أنظر اليه ولا أمر أمام دكانه في يوم من أيام عمري .

و كنت من قبل طلب العلم شديد العناية بمطالعة كتب الادب وكتب التصوف ، وكان اعجب كتب التصوف اليّ احياء علوم الدين لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي فهو الذي طالعتة كله و كنت اكثر مراجعته وقراءة بعض ابوابه عوداً علي بدء ، ثم صرت اقرأه للناس وكان له اكبر التأثير في ديني وأخلاقي وعلمي وعملي ، وانه لتأثير صالح نافع في اكثره

ضارّ في آقائه ، وقد عاجلت الضارّ منه بعد العلم به ، فما كان فيه من خطأ علمي فقد رجعت عنه بالتدريج بعد اشتغالي بعلم الحديث ^(١) ولا سيما عقيدة الجبر والتأويلات الاشعرية والصوفية ، والغلو في الزهد وبعض العبادات المبتدعة . واما تأثيره الوجداني في الزهد واحتقار الدنيا والمتكالبين عليها ووظائف الحكومة ، فلم استطع الاعتدال فيه فضلا عن التقصي منه ، ومنه الزهد في الشهرة والمدح ، فكم 'مدحت بقصائد لم اقرأ منها إلا أياتنا قليلة ، ولم انشر منها شيئا . ولم تمنح نفسي قط إلى تبليغ الجرائد شيئا عني بالحق لتشره حتى ما له شأن تاريخي ، ومنه ما لقيت من حفاوة الصدر الاعظم وكبار الوزراء والعظماء وجمعية الاتحاد والترقي في الآستانة ، وما هو اعظم من ذلك من حفاوة العلماء والكبراء بي في الهند . ولو عנית بإيصال ذلك إلى الجرائد في مصر وسورية في وقته لنشرته لأن أكثر اصحابها ومحريها من اصحابي .

وكان يعجبني من كتب الشعرا في اليواقيت والجواهر لقلة الخرافات فيه وكثرتها في سائر كتبه ولا سيما الطبقات . وكان يعجبني من الميزان مسائل الاجماع في الاحكام فيه وجعل الخلاف دائراً على العزيمة والرخصة . ولم يكن لي مرشد في ذلك إلا الاستعداد الفطري ، فكنت من ادل

(١) يقال ان الامام الغزالي رضي الله عنه كان يستشهد حتى بالضعاف من الأحاديث لأجل تأييد نظرياته ، فالاستاذ السيد رشيد عرف هذا بعد ان تبجر في علم الحديث وصار من أئمنته . وكذلك بعد ان تبجر في علم الحديث نزع إلى مشرب ابن تيمية رحمه الله وترك اقوال الصوفية ورجع عن كثير من نظريات الغزالي العلمية .

النشأة صوفياً عبادةً وتخلقاً مع ميل شديد إلى الأدب ، فطالعت بعض كتبه وحفظت كثيراً من الشعر بغير تعمد ولا قصد ، ومنه قصيدة الشهرزوري في التصوف ، ونونية ابن زيدون في الغزل . وأكثرت ما كتبت بخطي من مختاره في الإلهيات والزهد والرفائق ومدح النبي صلى الله عليه وسلم .

ونظمت الشعر قبل قراءة العلوم العربية ، وكنت أشتهر به منذ السنة الأولى من دخول المدرسة الوطنية ، وقد عرف الميالون من طلبتها إلى الشعر ما كان من ذوقي فيه وحفظي للجيد . منه وتميزي بالسليقة بين الموزون وغيره منه ، فأقبلوا علي ، وكان بعضهم يكلفني وزن ما ينظمه وتصحيحه . وعن يعرف هذا من الأحياء . منهم إلى اليوم الأستاذ « المغربي » الذي تقدم ذكره . والأستاذ الشيخ عبد الكريم عويضة من أشهر علماء طرابلس المدرسين فيها أطال الله عمرهما ونفعهما .

وكنت أراجع ما لا أفهمه من اللغة في المصباح المنير وأنا لا أعلم من علم الصرف شيئاً . ثم عرفت بسعة الاطلاع في اللغة ، فكان استاذنا الجسر يسألني عن بعض الغريب في بعض مجالسه الخاصة ، حيث لا توجد معاجم يراجعها وانفق أنه لا يسألني عن شيء إلا وكنت عالماً به . وإنما أذكر هذا في هذه الترجمة للترغيب فيه ، فالاطلاع على اللغة ضروري وسبيل المراجعة عند الحاجة .

وكان لي من سليقة اللغة أنني قلما كنت ألحن في قراءتها . اجتمعت أنا وسعيد كرامة وعبد الغني الأدهمي في حجرة الأستاذ العلامة الشيخ توفيق الأيوبي في حجرته بالمدرسة الوطنية ، وكان من أساتذتها ،

فاستقرأ كلا منا فصلاً من كتاب غرر الخصائص ، فشهد لي بأني أصح
منهما قراءة ، وكانا يعرفان النحو منذ سنين ، ولم أكن تلقيت منه إلا
بعض رسالة العوامل في تلك السنة نفسها . وقال لي صاحبي الاستاذ
الشيخ عبد الكريم عويضة عندما سمع مني أول لجنة أو شكاً في إعراب
كلمة - بعد تالفي الكثير من النحو : إني أرى أن النحو يفسد عليك
سليقتك .

وتخرجت في العلوم العربية والشرعية العقلية على الشيخ حسين الجسر .
وكان له إلمام واسع بالعلوم العصرية كما يعلم من كتابه (الرسالة الحميدية)
وكان كاتباً وشاعراً عصرياً ، يكتب وينظم في كل موضوع بعبارة
سهلة ، وكان له أسلوب خاص في التعليم غير أسلوب الأزهر بشحري
فيه السهولة في البيان ويتجنب المناقشات اللفظية واستطرادات الحواشي ،
فلم يكن يذكر منها إلا ما لا يتم تحرير المسئلة العلمية بدونه ، فكان
بفضل شرح ابن عقيل للالفية ، وحاشية الخصري على شرح الأشموني
وحاشية الصبان . وهو لم يقم في الأزهر إلا بضع سنين ، لقي في أثناءها
الشيخ حسيناً المرصفي الاديب الشهير وكان معجباً بأدبه وأفكاره .

وأخذت الحديث وفقه الشافعية عن شيخ الشيوخ العلامة الشيخ محمود
نشاب ، وكان قد أقام في الأزهر متعلماً ومعلماً ثلاثين سنة ، وحمل
شهادته بثنائية عشر علماً ، منها الجبر والمقابلة . وتلقى كتب الحديث
المشهورة كلها ، وكان من مشايخه الباجوري والمبلط ومن اخوانه الانبائي
والاشموني .

وأول شيء أخذته عنه الأحاديث الأربعون الدوية قرأتها وضبطتها عليه قبل طلي للعلم وأجازني بها كتابة .

وحضرت على العلامة الشيخ عبد الغني الرافي ^(١) قليلاً من كتاب نيل الاوطار للقاضي الشوكاني ، ولكنني استفدت كثيراً من معاشرته

(١) الأستاذ الشيخ عبد الغني الرافي هو أحد أعلام الأسرة الرافعية الكريمة المشهورة بكثرة نوابغها ونجبائها وكان رحمه الله من مشاهير علماء القطر الشامي في عصره ، وقد أخذ عنه الكثيرون ، ومن جملة تلاميذه العلامة الشهير والأديب الكبير الشيخ ابراهيم الأحمد الطرابلسي الذي أقام فيما بعد بمدينة بيروت وكان فيها مرجعاً للخاص والعام . وقد اطلعت على إجازة من الشيخ ابراهيم الأحمد لأحد الأدباء بقول فيها نظماً :

وقد أجزته كما أجازني شيخني إمام الفضلاء عبد الغني

كما أنني اطلعت على تقرير من نظم الشيخ عبد الغني الرافي لدهوان الشيخ ابراهيم الأحمد المسمى « بالنفع المسكي » أتذكر منه هذا البيت :

أنا أصل أقام في مراكز العجز ولكن فرعه في السماء

يشير بذلك الى ما كان من أخذ الأحمد عنه . ولقد أسعدني الحظ بمعرفة الشيخ الرافي شخصياً إذ كان قدم من طرابلس الى بيروت احدى المرات فذهب أستاذنا الشيخ محمد عبده للسلام عليه وذهبت أنا معه فرأيت فيه شيخاً جليلاً وقوراً على جانب عظيم من الدعة والتواضع ، وصادف أنني أنشدت في حضرته :

لو كنت من مازن لم تسبح إلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيان
فلحظ أنني أنشدته بدون لحن وكنت فتى في السادسة عشرة من عمري فهنف رحمه الله قائلاً : ما شاء الله ما شاء الله سعادة اليك ! أرونيها كما قالها افتداه
بالمترجم صاحب هذه السيرة الذي كان يزوي ما يسمع بدون زيادة ولا نقصان .

في العلم والادب والتصوف ، وكان يعشق الاحياء للفزالي من قبلي وبكثير مطالعة مواظب الشيخ عبد القادر الجيلاني . وتلقيت عن العالم المحدث العابد الشهير الشيخ محمد القاوقجي ^(١) الكبير كتابه في الاحاديث المسلسلة وبعض كتابه المعجم الوجيز ، وإنما فتح لي باب الاشتغال بعلوم الحديث شرح الاحياء الذي اقتنيته لما فيه من تخريج احاديث الكتاب ، فصررت بعد الاطلاع عليه لا احتج بمحدث ولا اكتبه الا مع بيان تخريجه . ثم لم أعد اكتفي بتصحيح اي كتاب للحديث الذي فيه شبهة عندي حتى اراجع منده وما قاله علماء الجرح والتعديل فيه . وكنت اول من استحضر كتاب ميزان الاعتدال من الهند إلى طرابلس . وقد فتح لي الاشتغال بالحديث رواية ودراية باب الانتقاد على كتب الوعظ والفقه والادب ودواوين الخطب ، فأنتقد ما فيها من الاحاديث الضعيفة والموضوعة ولكن أخص بهذا بعض زملائي ، ومن الاحياء منهم الشيخ عبد القادر

(١) كان الشيخ القاوقجي المشار اليه مظنة ولاية كما يقال لشدة ورعه ، ومما يجب أن لا ننساه انه رحمه الله كبير أسرة أخينا البطل المشهور فوزي بك القاوقجي الذي كان له في الثورة السورية سنة ١٩٢٥ وفي الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ المنصرمة المواقف التي خلدت له اسماً كبيراً في التاريخ وجعلته من مفاخر الامة العربية وهو مع العلم والفضل والمهارة في الفنون العسكرية والبسالة النادرة في الحروب من أعذب الناس خلقاً وأحلاماً فكامة . ولما كنت في الحجاز سنة ١٣٤٧ هـ واعتلت في مكة وصعدت الى الطائف للاستشفاء لازمني فوزي بك حفظه الله محض مروة وكرم أخلاق منه ، ولم يفارقني مدة خمسة أشهر قضيتها في الطائف ، وما زال معي إلى ان ودعته في ميناء جدة حرسه الله ووفقه لخدمة الامة العربية .

المغربي الذي كان يلقبني بقولتير المسلمين لولا ما يعلم من قوة اعتصامي
بالدين ، وقد سمى لي « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » بالمعول الذهبي
بمعني انني اعتمد عليه في هدم كل ما لا يصح دليله من كتب الدين .
وكنتم أطالع معه كتاب « النقش في الحجر » في مبادئ العلوم العصرية
للدكتور فاندريك .

ولم أر أحداً من علماء بلدنا يسلك طريقة الأزهر في التدقيق والتحليل
والمنافسة في عبارات الكتب إلا صديقي الاستاذ محمد الحسيني عقب رجوعه
من المجاورة ثم تركها .

وكنتم أجلس إلى هذا الاستاذ في مجالس مطالعته مع صديقنا الاول
الشيخ محمد كامل الرافعي أصدق عشاق العلوم العالية والتصوف ، وكنا
بطالمان معاً أعلى كتب الأصول والمنطق ، كسلم العلوم ومسلم الثبوت
وشرح التحرير . وكنتم أسمع تحاورهما في أدق المسائل ، وأنا مبتدئ
في النحو والفقه وحواشي الجوهرة والسنوسية في العقائد . وكنتم ربما
أدلي برأيي فيما يتناقشان فيه قبل القطع بشيء منهما . فيقولان لي
بعد تمحيصه : إن رأيك هو الصواب فمن أين جئت به ؟ فأقول هكذا
حدثني نفسي ولم تقبل فطرتي أو عقلي إلا هذا . وكان مثل هذا مبدأ
إعجاب الرافعي بالفقير ، واتخاذ المنار أستاذاً له بعد ذلك . والاستاذ
الحسيني حتى ما أراه نسي هذا ، وكان مبدأ صداقتنا وتصرفنا معاً كما
سيأتي .

وللإمام الغزالي قدس الله روحه فضل علي في هذا فإنه كان قد علق
بنفسه من كلامه في شرح عجائب القلب ما ضرب به من المثل للفرق بين

العلم الذي يصل إلى القلب أو النفس من طريق الحواس والعلم الذي يتفجر منه بتطهيره من الصفات المذمومة والأفكار الرديئة ، حتى يكون كالمرآة الصقيلة - بان مثل الأول كالماء الذي يجري من السواقي المحفورة إلى حفرة أو بئر ، يجتمع فيه مع ما يحمله في طريقه من الغناء والوحل ومثل الثاني كماء ينبوع الذي يتفجر من الصخر النظيف . فقد كنت أتحرى أن يكون قلبي طاهراً ونفسي زكية لاكون مستعداً للعلم الإلهامي ولكون مرآة نفسي صقيلة ينطبع فيها ما نتوجه إليه من المعلومات الكسبية على اختلاف أنواعها . وقد سمعت من أعرف الناس بي أنني أوتيت نصيباً من ذلك .

قال العلامة الناسك الزاهد السائح الشيخ عبد الباقي الأفغاني : ان السيد رشيداً علمه لدنني^(١) انني أغيب عنه سنة فأجد عنده من العلم ما لا يمكن اكسابه إلا في السنين الطوال . وكان هذا الرجل الغريب كغربة الإسلام في هذا الزمان بكل ما في هذه الغربة من معان يحج في كل سنة ماشياً ، ثم يعود إلى سورية فيقيم عندنا في القلمون أياماً ، وفي طرابلس أياماً وفي حمص مثلها أو أكثر ثم يعود إلى الحجاز . وكان من أكبر علماء الافغان ، حصل العلوم في بلاده ثم جاء الهند للتوسع في المعقولات ، فبينا كان مجداً في الفلسفة رأى في الرؤيا قائلاً يقول له : أتدري ما تصنع يا عبد الباقي ؟ إنك تأخذ خشبة تحرك بها ما في الكنيف . فتترك الفلسفة وانقطع للعبادة والسياسة .

(١) أي من لدن الله تعالى قال الليث : لدن في معنى من عند . وجاء في تاج العروس العلم اللدني ما يحصل للعبد بغير واسطة بل بإلهام من الله تعالى .

وقد ترجمته في المنار فتراجع ترجمته الغريبة فيه . ومن أغربها انني شاورته في الهجرة إلى مصر فنهاني عنها معللاً بنهيه بما في هذه البلاد من الفسق وبما كنت عليه في بلادي من الانقطاع للعلم والعبادة والتعليم والإرشاد ، وقال إنني دخلت الأزهر مرة واحدة فإذا هو قدّر^(١) كطلاب العلم فيه ، فهم يأكلون فيه الخبائث من الثوم والبصل والكراث وصلاتهم فيه مخالفة للسنة من كل وجه ، ولذلك ثبت إلى الله تعالى من العودة إليه !! قلت له : اني أرجو أن أنفع هنالك أكثر مما أنفع هنا بكثرة من اعلمهم وانصح لهم من أهل مصر ومن سائر الأقطار . وأظن أن عمي حفظه الله تعالى يذكر أقوال الشيخ عبد الباقي في^(٢) ولي فقد كان أعلم بها مني .

وقال استاذي الشيخ حسين الجسر للسيد علي أفندي السمين نقيب أشراف بلادنا : ان فلاناً^(٣) جاءني لطلب العلم ، فسادى في السنة الأولى أذكيا الطلبة الذين كانوا في السنة السابعة . وذلك إنني دخلت مدرسته بعد عودته من بيروت ، ولم أكن حضرت من النحو إلا رسالة العوالم الصغيرة غير تامة في المدرسة الوطنية ، فحضرت أحضر دروس ابن عقيل والإظهار فالكافية . وكان زميلي الاستاذ الشيخ عبد المجيد أفندي المغربي أحد هؤلاء السابقين إلى طلب العلم يقرأ متن إيساغوجي في المنطق لبعض المتبذئين في المدرسة الرجبية لشيخنا الجسر بعد انتهاء الدروس

(١) هذا النقل إنما هو من شدة ولوع المترجم بإعادة ما يسمعه على علاقته وإلا فطلاب الأزهر هم أجل من ان يقال فيهم كلام كهذا .

(٢) أي المترجم .

مساء ، فجلست اليهم لاسمع شيئاً من مسائل هذا العلم ، فاستشككت ما يقوله لهم الاستاذ فيقبلونه منه ، فأجابني فجاءته في الجواب ، فسمع استاذنا ما نقول ، وكان في غرفته من المدرسة فأطل من نافذتها المشرفة على المدرسة وقال : يا شيخ عبد الحميد اترك هذا ، انه لا يقدر أحد أن يقرأ له غيري .

ثم اتفق بعد أربع سنين ان كان الاستاذ يقرأ لنا شرح القطب على الشمسية في تلك الغرفة ، فناقشته في بعض المسائل حتى قال لي : لا تسألني في الدرس عن شيء فإن كل ما أعرفه أقوله ولا يبقى عندي غيره واظن ان من بقي من زملائنا في ذلك الدرس يذكرون هذا الجواب لانه كان غريباً جداً عندهم ومنهم المغربي الذي ذكرته آنفاً وابن عمه الذي تقدم ذكره مراراً والاستاذ الشيخ محمد رحيم وكان في مقدمة اخواننا في المدرسة في كل علم .

وبلغ من رضاه عن فهمي ان سألني عن رأيي في كتابه المشهور (الرسالة الحميدية) بعد ان اهداه اليّ بزم قاللا : انه يعجبني من بين اولادي فهمك ورأيك فكيف رأيت الرسالة الحميدية ؟ قلت : ان الحاجة اليها لشديدة ، ولم يسبق مولانا احد الى مثلها في الدفاع عن الاسلام ولكن لي عليها انكم توردون المسئلة القطعية في العلم ككروبة الارض ودورانها بعبارة فرضية تدل على شككم فيها . قال : انت تعلم تعصب الجاهلين بهذه العلوم في بلادنا ، فلا تترك لهم مجالاً للقليل والقال .

قلت : إذا كان مثلكم في ثقة الامة بدينه وعلمه لا يجرؤنا على التصريح بالحقائق فمن نرجو هذا ؟ وكنت اود لو جعلتم لكل مسألة

أو موضوع في الرسالة عنواناً فهي كقالة واحدة لا أبواب فيها ولا فصول ولا عناوين ^(١) تسهل المطالعة والمراجعة . قال : هذا كما قيل في الكلام المنسجم انه كالماء الجاري وانه أخذ بعضه برفاق بعض .

قلت : إذا لماذا جعل الله القرآن سوراً مفصلة منفصلة ولم يجعله جملة واحدة ؟

هكذا تربيت أنيكثر على أن أنتقد من دون أستاذي علماً وحقاً على ؟ وكانت طريقي في طلب العلم ان لا أقبل شيئاً بالتسليم من غير فهم واقتناع ، وإذا لم أسمع من الأستاذ ما يقنني في مسألة ما ولا سيما المسائل الدينية فإنني أراجعها في جميع ما أعرف من الكتب الى ان يستقر فهي فيها على ما بطمئن به قلبي .

مثال ذلك مذهب الأشاعرة في مسألة تقسيم كلام الله عز وجل الى نفسي ولفظي وما قالوه في كل منهما وفي القرآن . لم يقنني ما قاله الباجوري فيه من حاشيته على جوهره التوحيد ، ولا تقرب استاذنا الجسر له . فراجعت المسئلة في سائر كتب الكلام وكتب التفسير ولا سيما تفسير الرازي لانه إمام متكلمي الأشاعرة والمدرسه المدافع عنها ثم كنت أعني باقناع غيري بما اقتنعت به دون غيره في المذاكرات والمناظرات مع أهلها ، وفي الدروس التي أقرؤها للعوام حتى نجحت في أساليب الاقتناع بما يراه قراء النار فيه .

(١) هذا هو أيضاً مما كنت آخذه على « الرسالة الحميدة »

تألهي^(١) ونسكى وتصوفى

نشأت في حجر العبادة فألفها وجداني ونشطت فيها أعضائي من الصفر
نفخت عليّ في الكبر . كنت من من المراهقة أذهب الى المسجد في
السحر ولا أعود الى البيت إلا بعد ارتفاع الشمس ، حتى كانت والدتي
رحمها الله تعالى تقول : إني منذ كبر رشيد مارأيتنه نائمًا ، فإنه بنام
بعدنا ويقوم قبلنا . وقد اتخذت لنفسى حجرة خاصة من غرفتين في أعلى
ركني مسجدنا البحرين للمطالعة والعبادة ، وهذه الغرفة كان يخلو فيها
جدنا السيد علي الكبير الذي بنى المسجد قدس الله روحه . والغرفة
الأخرى كانت لخادمه المسمى بالأعرج ، وكان أهل القرية يعتقدون
أنه من الجن ، ويتناقلون في ذلك حكايات غريبة . وكانت هذه الغرفة
ملتقى العلماء والأدباء الذين يزوروننا في القلمون يطالعون ويراجعون فيها
ويتحاورون ، وكانت شيخنا الجسر يستقرئني فيها : إما بعض فصول
الفتوحات المكية ، وإما بعض فصول كتاب الفارياق .

وكانت تلذ لي صلاة التهجّد تحت الأشجار في بساتيننا الحالية ،
وأفكر في صدق من قال : أهل الليل في ليّلمهم أنعم من أهل اللهو في
لهوهم ، وقول آخر : لو يعلم الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف .
نعم إن للبكاء من خشية الله وتدبر كتابه في صلاة الليل حيث يعلم
المضلي أنه لا يسمع صوته أحد إلا الله - لذة روحية تعلو كل لذات
الضحك واللهو على اختلاف أسبابها .

(١) تأله تعبد ونسك .

وكان كبير أسرتنا الشيخ السيد أحمد أبو الكمال الذي تقدم ذكره
بدارس أولاد الامرة القرآن في رمضان لاجل تجويده ، فكنا نقرأ
معه كل يوم نصف ختمة : خمسة أجزاء من بعد شروق الشمس الى صلاة
الضحى ، وخمسة أجزاء بعد صلاة الضحى الى الظهر ، وخمسة أجزاء من
بعد صلاة الظهر الى العصر ، كل واحد يقرأ ثمن جزء . ويسمع الآخرون .
وكان يحضر هذه المدرسة معنا عنده السيدة زُلْفَى ^(١) ابنة بنته ، وكانت

(١) يجوز أن يكون هذا الاسم بالزاي وان تسمى المرأة (زُلْفَى) بضم اوله
ومنه قوله تعالى : (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زُلْفَى) او هي
«زُلْفَة» بمعنى الرتبة أو الدرجة او هي بمعنى القريب جداً أو هي مفرد
الزُلف كزُف وهي ساعات الليل الآخذة من النهار وساعات النهار الآخذة من
الليل . ولكن الأرجح عندي أن هذا الاسم الذي تسمى به النساء وهو شائع
في بلادنا إنما هو بالذال لا بالزاي ومنه قول القائل :

إنما الذلفاء ياقوتة أخرجت من كبش دهقان
ومنه قول الآخر :

يا ليتني كنت صبياً مرصعاً تحملي الذلفاء حولاً أكتعا
إذا بكيت قبلتي أربعاً إذا ظلمت الدهر أبكي أجمعا

وهو من شواهد ابن عقيل والشعر لأعرابي رأى امرأة حسناء تسمى بالذلفاء
تقبل صبياً كلما بكى قال الشيخ الجرجاوي في شرح شواهد ابن عقيل : وهي هنا
اسم امرأة كما في القاموس لأنه قال : والذلفاء من أسمائهن وتطلق على المرأة
الحسنة كما أن الرجل إذا كان حسناً يقال له أذلف وجمعه ذلف كأحمر
وحمره . وأصل الذلف حركة صفر الأنف واستواء الأرنبة كما في الصحاح
أو صفرة في دقة كما قال ابن دريد أو غلظ واستواء في طرفه كما قاله الليث -

صبية ولم يكن احد فينا بالغاً غير ابنة السيد محمد كمال وهو خالها وكان يقرأ في غير رمضان عشرة أجزاء كل يوم .

والسيدة زلفى هذه كانت تكتب إن شئت ونطالع الكتب ، وهي ام السيد عبد الرحمن عاصم تلميذي ووكيل المنار ، وهو ابن عمي السيد محمد كامل وزوج شقيقتي وبعشان معي . وأما عمي والده فهو على قدم عمه في الانقطاع للعبادة والنسك ويقوم بوظائف الإمامة والخطابة والتدريس في مسجدنا ، وقد عني بكتاب إحياء العلوم كما عنت به . وكان بعاشرتي معاشرة الصديق وبفيدني في كثير من مسائل العربية والدين ثم فتنه في ذلك حتى كان يحضر درسي لتواضعه أطال الله بقاءه . وكنت أقرأ ورد السحر في غير رمضان وحدي وفي رمضان مع جماعة وكنت إذا بلغت قوله في الجيمية :

ودموع العين تساقني من خوفك تجري كاللجج

ولم يكن حضري البكاء أسكت فلا أقرأ البيت حياء من الله تعالى أن أكذب عليه . ولما اشتغلت بالسنة وعلمت أن قراءة هذا الورد وأمثاله من البدع التي جعلت من قبيل الشعائر والشرائع التي شرعها الله تعالى على ما فيه من الامور والأقسام المنقذة شرعاً تركت قراءته واستبدلت بها قراءة القرآن .

وكنت أواظب على قراءة دلائل الخيرات ، وتلقيت الإجازة بها .

— ويقال أنف أذلف ورجل اذلف وهي ذلفاء . وبالجملة فأنا أرجح أن يكون هذا الاسم هو « ذلفا » مقصور ذلفاء وانها بالذال المعجمة لا بالزاي ولكن العامة لفظته بالزاي كما تفعل في كثير من الالفاظ .

عن الأستاذ العابد العالم الشيخ أبي المحاسن القافجي بسنده إلى مؤلفها
ثم تركتها بعد اشتغالي بكتب السنة كما تركت ورد السحر واستبدلت
بها ورداً آخر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه شبهة
بدعة من توقيت وجهر وصيغ منكورة وضاهاة للشعائر الموهمة للمأثور
عن الشارع .

وقد حبت إليّ التصوف كتاب إحياء العلوم لحجة الإسلام أبي حامد
الغزالي ، فكنت أجاهد نفسي على طريقة الصوفية بترك أطيب الطعام ،
اكْتفاء بقليل من الزعفران مع الملح والسماق وبالنوم على الأرض ، وغير
ذلك حتى أنه لم يشق عليّ ترك أطيب الطعام الحاضر عمداً ، ولكنني
حاولت أن أتعود احتمال الوسخ في البدن والثياب وهو غير مشروع فلم
أستطع . وقد ذكرت هذا وذاك للأستاذ الإمام بمناسبة عرضت فقال
لي : وأنا كذلك . وقال مثل هذا في غيره مما اتفق وتشابه من نشأتي
ونشأته .

وقد طلبت من أعبد عباد شيوخ الطربق في عصرنا الشيخ أبي المحاسن
محمد القافجي أن يسلكني الطربق على أصولهم في الرياضة والخلوة والتزقي
في منازل المعرفة وصرحت له بأنه لا يعجبني أن أسلك طريقة الشاذلية
الصورية بقراءة أورادها وحضور اجتماع أذكارها ، وكنت حضرت هذا
عنده مراراً أو حفظت حزب البر بقراءته معهم . فاعتذر وقال لي يا بني
إنني لست أهلاً لما تطلب فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله فرحمه
الله رحمة واسعة .

ثم أخبرني صديقي الأستاذ العلامة الشيخ محمد الحسيني أنه قد ظفر

بصوفي خفي من النقشبندية يرى هو انه وصل إلى رتبة المرشد الكامل
فسلكت هذه الطريقة معه وقطعت مراتب اللطائف كلها ، ورأيت في
أثناء ذلك كثيراً من الأمور الروحية الخارقة للعادة ، كنت أتأول
الكثير منها وعجزت عن تأويل بعضها إلا أنها من خصائص الروح التي
تظهرها الرياضة وكثرة الذكر والفكر . ولكن هذه الثمرات الذوقية
غير الطبيعية لاتدل على أن جميع وسائلها مشروعة أو تبيح ما كان منها
بدعة كما حققت ذلك بعد .

كان الورد اليومي لي في هذه الطريقة ذكر اسم الجلالة (الله) بالقلب
دون اللسان خمسة آلاف مرة مع تغميض العينين وحبس النفس بقدر
الطاقة وملاحظة ربط قلبي بقلب الشيخ . وهذا النوع من الذكر غير
مشروع بل هو مخالف لجميع ما ورد في الذكر المأثور . وهذه الرابطة
عمل انكار خاص عند علماء الشرع ، وهي مقررة في غير هذه الطريقة
وقد تكون بصفة مخلة بالمقيدة إذا عدت عبادة شرعية ، فإن مقنفي
التوحيد أن يتوجه العبد في كل عبادة إلى الله وحده حنيفاً مسلماً له
الدين ، فالتوجه فيها إلى الشيخ قد يكون من الشرك الخفي وإن لم
يقصد به عبادته . وإنما يمكن تفسيرها بأنها ضرب من التربية الروحية
الصناعية المجربة في إظهار ما أودعه الله في النفس من الامرار والسنن
الإلهية المخالفة للسنن المودعة في المادة ، وبأن الرابطة فيها كالرابطة بين
المقندي وإمام الصلاة لا يقصد بها شيء من إشراكه في عبادة الذكر
ولا تعظيمه بنوع من تعظيم عبادة الرب ولا تتضمن الاعتقاد بأنه قادر
على شيء من النفع أو الضر من غير طرق الأسباب المشتركة بين الخلق

وإنما هي عندهم وسيلة سببية في ربط الأرواح بعضها ببعض ، من المرید الى الشيخ فمن فوقه من شيوخ السلسلة الى النبي صلى الله عليه وسلم . فمن عدها عبادة شرعية فهو مبتدع بلا شك وهذا التوجيه لها قلما يخطر ببال أحد من سالكيها .

وجملة القول انني كنت أعتقد أن سلوك طريقة المعرفة وتهذيب النفس والوقوف على أسرارها جائز شرعاً لا خطر فيه ، وانه نافع يرجى به من معرفة الله ما لا يوصل اليه بدونه ، ولكنني لم اعتقد قط أن الشيخ الذي ارتبط به قادر على شيء مما تقدم ، ولم أكن أستحضره ولا أتصوره في أثناء الذكر ، وإنما أتصور عند البدء به أنني ربطت قلبي بسلسلة من القلوب المخلصة لله تعالى هو طرفها الأدنى ، فزدت فيها حلقة جديدة وان هذه الرابطة لها تأثير في الامداد الروحي كما تصل مصباحاً كهربائياً بالسلك الممتد الى موائد التيار الشامل لمصابيح الدار كلها أو البلد كله .

ومن الغريب ان الإنسان بعد طول الاكثار من هذا الذكر ، يصير يسمع للقلب صوتاً وأغرب منه أن يسمع غير صوت قلبه . أخبرني والدتي تفمدها الله ووالدي برحمته ورضوانه انها وضعت اذنها مرة على صدر عمها السيد الشريف الصالح عبد الرزاق حبلى فسمعت منه تردد اسم الجلالة : الله الله الله . وقد أدركت أنا عمها هذا وأنا صغير ولم اكن أعلم من أمر هذه الطريقة شيئاً . ولقد لقنني الأستاذ بعد الانتقال من اللطائف كلها أو عند لطيفة السر - الذكر بكلمة التوحيد باللسان (نسبت الآن)

هذا ما اقول في الورد الشخمي والرابطة ؛ والطريقة النقشبندية ورد آخر مشترك يسمى الختم ، وهو عبارة عن اجتماع من كان حاضراً من ابناء الطريقة على ذكر وقراءة لبعض سور القرآن والتوجه الى استحضار بعض ارواح سلسلة الطريقة مع تغميض العينين . واستحضار الروح لا يتضمن شيئاً من عبادتها بدعاء ولا تعظيم تعبدية . والاستمداد الروحي ليس عبادة بالفعل ولا بالقصد الا ان يكون من جاهل بالشرع شيخه أجهل منه وأضل ميلاً ، وإنما هو من قبيل ما يحكى عن الافرنج من ذلك وقد سبقهم اليه الصونية ، وما ذكر بعض ما حققته فيه ، ولكنه لا يخلو من مآثر فتن دينية وخوف اختلال في القوى العقلية بما يعرض لتجاذب المجد فيه من الموارض غير الطبيعية ، ولذلك انفق الصوفية العارفون ، على أنه لا يجوز سلوك طريقة الرياضة عندهم ، إلا بإرشاد شيخ عارف

قد سلك الطريق ثم عاد ليخبر القوم بما استفادوا

ما يعرض لسالك الطريق من الاوصاف الروحية الغريبة

أول ما عرض لنا من ذلك أن كانت نتمثل لنا ونحن في الختم مغمضين الاعين صورة من يذكر الشيخ اسمه من رجال السلسلة لعقد الرابطة به وأعلها أبو بكر الصديق (رض) وفوقه النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما كان هذا بعد تكرار . وكنت أعتقد انه خيال بشير التخيل ، وبدعي الشيخ ان الروح نفسها تخضر الختم وتجلجلى للمستمد . وكان شيوخ الطرق يدعون هذا ويزعمون أن روح النبي صلى الله عليه وسلم تخضر بحالهم فمنهم الكاذبون الدجالون ومنهم المتخيلون المثلون وقد أطلت في تحقيق

هذه المسئلة في بحثي الفياض في الكرامات الذي كتبته في كتابي (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) الذي ألفته وأنا تلحيد ثم عدت اليه في المجلد الثاني من المنار ثم في المجلد السادس منه ثم أملت به في مجلدات اخرى

ثم عرض لي ولغيري في أثناء استحضار هذه الارواح بالتخييل لن نميز بينها باختلاف صورها ونشم للروح رائحة عطربة منعشة لا نظير لها فيما نعرف من الاعطار . فكنت في اول العهد بها اظن ان الشيخ يحفظ في جيبه فارورة او 'حقا فيه هذا النوع من العطر فيفتحها في أثناء الختم ولا يراه منا أحد ، وهذا من خواطر سوء في الشيخ لا تبيحه آداب الطريقة بل هو من عوائق السلوك ، ولكن الرائحة لم تكن يستعز ثم صارت تعرض لي في أثناء وودي الخاص فأظن انها ذكرى في النفس تعدى اثرها الى الانف بالوهم ، وبعد التكرار اعتقدت ان ما يقوله كبار الصوفية من ان للارواح الشريفة الزكية العالية رائحة طيبة زكية صحيح وان تحلي الارواح صحيح في الجملة .

وما كنت قرأته في الفتوحات المكية للشيخ محي الدين بن عربي ، (وهو من اكابر الصوفية الروحانيين على ما عرض له من الاختلال في معلوماته الدينية والكشفية) ان الشيخ عبد القادر الجيلي كان يعرف مقامات الرجال العارفين بالشم وانه شم محمد بن قائد فقال له : لا اعرفك وكان ابن قائد يرى لنفسه مقاماً عالياً فعرف من انكار عبد القادر له قصوره فعلت همته حتى صار من الافراد .

وبذكر في رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي الصوفي الفقيه المشهور انه لما

جاء طرابلس ترجل قبل ان يبلغ مقبرتها في المكان المعروف بباب الرمل
فترجل من معه وسأله عن السبب فقال : اتنا قربنا من مكان فيه بعض
قبور الروحانيين .

ومما أخبرني به صديقي الاستاذ الصدوق الشيخ محمد كامل الرافعي ان
والده الشيخ عبد الغني كان بشم لبدنه ولثيابه رائحة مسكية في أثناء
خلوته وانقطاعه فيها لذكر الله تعالى . ومما يتناقله أهل القلمون أنه لما
نبش قبر السيد أحمد أخى جد والدي الذي تقدم ذكره وأن مصطفى
آغا بربر تزوج ابنته - كانت رائحة ترابه ذكية كالسك ، حتى أن بعض
الناس أخذوا منها في جيوبهم ما يحفظونه في بيوتهم .

واخبار الشيخ علي العمري الطرابلسي ^(١) المعاصر لنا في الرائحة كثيرة

(١) الذي وقع أمامي من خوارق أعمال الشيخ علي العمري أمران أولهما الى
الآن لم أفهم سره : وهو أن الشيخ كان يستدعي أحد الحاضرين أياً كان
ويقول له : ليقطع ورقة من عنده فإذا قطعها أخذها الشيخ من يده ونقل فيها وقال
له : ادنُ مني فيدنو منه فيمسح بها عيني ذلك الرجل فلا تمضي لحظة حتى يشعر
هذا كأنه قد وضع البارود في عينيه ونهمر منهما الدموع كأنما الجاري ويبقى
على هذه الحالة دقيقتين أو ثلاثاً ثم تعود عيناه الى حالها المعتادة . وقد فعل
الشيخ ذلك مع أناس كثيرين أمامي وكلهم حصل لهم ذلك ، وكنت ممن أجرى
له الشيخ هذه العملية وشعرت بما شعر به غيري حتى أنني في البداية خفت على
عيوني ، فحدثت بذلك نجيب سرمق من وجهاء المسيحيين في بيروت فقال لي : قم بنا
لنزور هذا الشيخ ، وكان مراده أن يختبر ذلك بنفسه . فلما ذهبنا شعر الشيخ بما
يظهر أن هذا الرجل يريد أن يختبره فأجرى هذا العمل لعدة أشخاص أمامه -

ووقائعها مشهورة في طرابلس والامانة ومصر ، وكانوا يسمونه شيخ

- ومنهم الدكتور عبد الرحمن الانسي البيروقي ، وجربتُ أنا ذلك مرة ثانية
فحصل لي كما حصل في المرة الأولى . ومما أتذكره أنه لما كان الدكتور الانسي
يمسح عينيه بعد فيض دموعها ، قلتُ له : يا دكتور ! أين العلم من هذا ؟ فقال
لي : هذا فوق العلم . ثم دعا الشيخ نجيب سرسق ليأتيه بورقة وبتفل له عليها
ويمسح بها عينيه ، فاعتذر نجيب وتوقف كأنه خاف على عينيه .

أما الأمر الثاني فقد وقع لي مع الشيخ علي العمري لأول مرة عرفته بها وذلك
أن سيدتي الوالدة مرضت مرضاً شديداً قال الأطباء إنه السل وإن الأمل ضعيف
في شفائها ، وكنا حينئذ في الجبل فنزلت الى بيروت لأعني من شدة الهم وكان
مقصدي أن نعمل لوالدي جمعية أطباء ، وإذ ذاك رأي الشيخ يوسف النبهاني
فسألني عن سبب ما أنا فيه من الهم العظيم فأخبرته بالخبر ، فقال : تعالَ معي لزيارة
الشيخ علي العمري لعله يجري على يده شفاء ، والدتك ، فذهبنا إلى الشيخ والغريق بتعلق
بجبال الهواء كما يقال ، وكان نزول الحاج ابراهيم الطيارة فلما أخبره النبهاني بالخبر
أجابته : نعم والدته في غاية الضعف . وحالتها أربعة قراريط سلامة وعشرون
قيراطاً خطراً ولكن الأربعة مستغلب المشربين بإذن الله . ثم أخذ ورقة ووضع
عليها بقلمه خطوطاً متعرجة لا معنى لها ، وقال لي : ضعوا هذه الورقة بماء الورد
ولتشرب والدتك من هذا الماء بعد ذلك مرتين أو ثلاثاً فتبرأ بإذن الله .
فرجعت الى الجبل واكتفيت بالأطباء الذين كانوا يعالجونها وعملت كما قال الشيخ
وما مضى ثلاثة أيام حتى قال الأطباء لنا : إنه قد زال الخطر عنها ، فقضيت
العجب من انه لم يكن بين قولهم : إن الخطر أرجح من السلامة وقولهم : الآن
قد زال الخطر والسل كان على بدايته - أكثر من أربعة أو خمسة أيام . ومما أتذكره
جيداً أن الشيخ علي رحمه الله قال للنبهاني عندما أخبره بمرض والدتي ، نعم وهي -

المسك إذ كان ينفخ على الشي كمنقوع الشاي والقهوة وعلب التبغ ،
فنصير رائحتها مسكية .

وقد أخبرني المشير العثماني أحمد مختار باشا الغازي عنه ببعض ما وقع
له في أثناء زيارته لمصر وإقامته في قصر القبة ضيفاً عند الخديوي محمد
توفيق باشا الذي استحضره من طرابلس لأجل استشفاء بنت له مريضة
برقيقته وبركته بعد أن عجز عن مداواتها الأطباء فشفيت . والمسئلة مشهورة
في طرابلس الشام وعند الخواص في مصر .

قال لي مختار باشا ان الشيخ العمري كان يزورني بعد العصر في
كل يوم ، فيشرب الشاي معي ثم يخرج إلى التنزه في الجزيرة ونعود
عند الغروب ، فيذهب هو إلى قصر القبة وأجيء أنا إلى قصر الاسماعيلية
(حيث حدثني)

قال : فكان إذا أحضر الشاي ينفخ على الإبريق والفناجين فنجد

— امرأة صالحة فتعجب التبهاني وتعجب أنا لمعرفته ذلك وهو لا يعرفني ولا يعرف
والدتي ولا يعرف عنا شيئاً ، وهو من طرابلس بعيد عنا ، وقد عرف بمجرد سماعه
القصة انها امرأة صالحة مما هو معروف متواتر في بلادنا . ولا تزال والدتي في
الحياة وقد مضى على هذه القصة ٤٨ سنة .

أما ما سمعته من كرامات العمري وخوارق أفعاله ومن أفواه أناس ثقات
لا يمكن النفاقهم على الكذب فشيء كثير ومن أنواع شتى . ولكنني حصرت
الحديث فيما شاهدته بعيني واختبرته بنفسي . وما أرويه عنه أيضاً أنه نفخ مرة على
نارجيلة كان يدخن بها قاض تركي كان قاضياً في ملطية وكان ذلك في مجلس
أنا فيه ، فسمعت هذا القاضي يقول : فاح مسك الشيخ . والله في خلقه أمرار .

للشاي رائحة المسك ، فقال لي شوقي باشا (هو زوج بنت الغازي ووالد وزير الجمهورية المفوض بمصر اليوم) في إحدى الليالي : إن المسك طيب شرقي أو عربي معروف ، ويمكن للشيخ أن يرش شيئاً من مسحوقه في الشاي بخفة لا يشعر بها ، فإذا كان هذا التعريف « التطيب » للشاي أمراً روحانياً أي يحدث بالشوكة الروحية المعروف عند الصوفية فلماذا لا يطيبه لنا بعطر كذا الافرنجي (وذكر لي الباشا اسم عطر أفرنجي لم أحفظه) قال : فلما كان اليوم التالي وجاءنا الشيخ علي العمري وأحضر الشاي نفخ عليه أو فيه فإذا رائحته هي رائحة الطيب الذي ذكره شوقي باشا ليلاً ولم يكن معنا أحد .

أقول وقد كنت بعد ذلك أتمم أحياناً هذه الرائحة في الدار وغيرها ثم تذهب من نفسها بسرعة ، وقد يكون بعد السؤال مني لمن في الدار: هل تشمون رائحة طيب ؟ فيقال : لا . وقد عرض لي في رمضان شيء من هذا القبيل لا أذكره ، وكان قبل سلوك الطريق ولكن كنت ربما أقرأ في النهار منه ختمة كاملة في حقل لنا .

تحقيق مسند رؤية الأرواح

وجملة القول أنني ما زلت أعالج هذا الأمر حتى أمكنني أن أعرف الفرق بين استحضار الصوفية للأرواح ورؤيتها وما يحكيه الافرنج من ذلك ، والفرق بين التخيل المحض والكشف الصحيح وما يكون في بقظة تأمة ، وهو لا يعدو اللحظات القصيرة وما يكون مع غيبة عن الحس وهو

ما يسمونه بين النوم واليقظة كما قال بعضهم :
ومن يدعي في هذه الدار انه يرى المصطفى جبراً فقد فاه مشتطاً
ولكن بين النوم واليقظة الذي يحاول هذا الأمر مرتبة وسطى
وعلمت ان الفرق بين ما أعقد انه أصبح مما نقله ابن المبارك عن
شيخه عبد العزيز الدباغ ومنه ما وقع لشيخنا الاستاذ الإمام وان ما يسمعه
الرأي من الأرواح في هذه الغيبة هو مثل الذي يروونه ويسمعونه في الرؤى
المنامية لا يوثق بصحته ولا بضبطه بدليل ان كل ما نقل عن أشهر الروحانيين
منهم متعارض يدل على انه كان على قدر معارفهم ومعلوماتهم وما يناسبها
من مداركهم كما اشرت اليه في جواب من سألتني عن دعوى شيخ التيجانية
وتحريفه ونشرته في فتاوى المجلد الثلاثين من المنار فسأل عنه بعض
اتباعه مجلة الأزهر فردت علي ما لا تعقله من علم الصوفية ولا من علم
الشرع ، فالحق ما قاله علماء الشرع من ان الرؤى والكشف لا يعتمد
بهما شرعاً ولا يخرج بما يرى ولا بما يسمع فيهما .

وبعجني ما نقله الشعراني عن شيخه علي الخواص في كتابه « الدرر
والجواهر » انه سأل : لماذا يؤول العلماء ما يشكل من كلام الانبياء دون ما
يشكل من كشف الاولياء فيردونه ؟ فقال : لان النبي معصوم فلا بد
من حمل كلياته على الصحة ، والولي غير معصوم فيحتمل كلامه الخطأ اه
بالمعنى ولكن الباجوري نقل عنه في حاشيته للسوسية ضده وإذا حكمنا
الشرع حكم لنقله الأول وهو الحق .

الروحانية والتجرد وضطاب أرواح البشر والسباطين

كان مما وقفت عليه من أسرار النفس غير ما تقدم من تجلي الارواح
مسئلة التجرد وغلبة الروح على الجسد التي تنتهي الى ما ينقلونه في بحث
الكرامات من المشي على الماء والطيران في الهواء ، ومن دون ذلك قطع
المسافات في زمن قليل ؛ ذلك انني كنت في أثناء شهر رمضان لا أذكر
من أي سنة أتجنث واطالع الربع الرابع من إحياء علوم الدين فلما كان
آخر يوم منه بلغت كتاب التوحيد والتوكل وقد أحيت معظم ليلة عيد
الفطر بالتكبير مع جماعات من أهل بلدنا الذين يبيتون في المسجد كيلا
تفوتهم صلاة العيد وكان منهم شيخ كبير السن عاش في صباه وكهولته
عزيزاً منعماً وافقر وذل في شيخوخته ، فكان لرفع صوته الأجر بالتكبير
مع شيبته الثامنة ضراعة خشوع مؤثرة ، حتى إذا كان السحر صليت صلاة
الليل والوتر إحدى عشرة ركعة وفاقاً للسنة الصحيحة كالعادة وعدت بعد
صلاة الفجر إلى التكبير مع الناس في المسجد الى وقت صلاة العيد ،
وبعد أدائها صعدت الى غرفة خلوتي وأتممت قراءة ما بلغته من الاحياء
وفيه ذلك البحث البليغ العظيم التأثير في الفناء في التوحيد فما أتممته
إلا وشعرت بأنني في عالم آخر من اللذة الروحية ، وانه لم يبق لي وزن
فكأنني روح بغير جسم ، ثم عدت أرجع إلى حسي ، فذكرت ما علي
من الذهاب إلى تهنئة والدي بالعيد ، وكان يزور قبر والده وأجداده
بعد الصلاة ويقرأ سورة يس ثم يد له سباط فيفطر مع من يوجد من
الفقراء ومن شاء من غيرهم ، فنزلت من الغرفة وكأني ريشة طائر ،

وشعرت بأنني لو أَلقيت بنفسي من النافذة الى الأرض لا أكون الا كما
نقع الريشة ، وانه يمكنني المشي على الماء دون الطيران في الهواء واعتقدت
بل أعتقد حتى اليوم انني لو تركت الطعام زمناً طويلاً مع ملازمة مثل
تلك الحال من الذكر والعلم الإلهي الأعلى لقوبت معي تلك الروحانية
ووصلت إلى غاية ما يذكر عن الروحانيين ، ولن يكون ذلك لو كان الا
كشفاً لشيء من استعداد الأرواح قد يفقد صاحبه ميزان بشريته التي
هي جسد وروح ، فما تعلق ذلك ولا تكلفته ، وما كنت متكلفاً في شيء
من أمري والله الحمد .

ولم أكن أذكر مثل هذه الأحوال لاحد كما هو شأن الصادقين
المخلصين الذي قرره الغزالي وغيره ، ومنه كتمان كل ما هو غير معتاد ،
والصوفية الصادقون متفقون على هذا ، وعلى أن مبادئ هذه البوارق
واللوائح والأذواق مشوقات منشطات للسالك ، وان الذي يغتر بها ينقطع
والأفقل هو هالك . وقد نفعتني ما كنت قرأت في كتاب الغرور من
الاحياء ولا سيما غرور الصوفية قبل ذلك . ثم رأيت شيخنا الاستاذ الامام
عليه كان يقول ان هذه أحوال غير طبيعية لا يجوز التحدث عنها إلا
مع أهلها لانها تكون لغيرهم فتنة وان الشيخ محي الدين قد أفسد التصوف
بإطلاق العنان لقلمه بشرح كل ما يعرض له وانه انقطعت معه سلسلة
التوازن فخلط الحق بالباطل .

وهذا الذي كان يراه شيخنا هو الحق فإن الذين أوغلوا في الروحانيات
قد فتنوا أنفسهم وفتنوا كثيراً من الناس واختل ميزان عقلم فيما يتصورون
وفما يصدقون وفيما يقولون ويكتبون كما تراه في كتب الشعرائي من

الخرافات والخيالات التي لا يميز فيها بين معقول ولا مشروع . وفي مقدمة صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود (رض) « ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » .

وعما افتتن به الجماهير من الناس بهؤلاء الروحانيين ظنهم ان كل من يصدر عنه أمر خارق للعادة يكون وليًا معصومًا وان ضل وغوى وخرق وهذى ، وان له عند الله ما يشاء في الدنيا . والحق الذي عرفناه بوزن الكشف بميزان الشرع والعقل ، ان الذي تعرض له بعض المزايا الروحانية من عملية أو علمية ، هو كالباحث الذي تكشف له بعض الحقائق الكونية والاختراعات الصناعية كل منهما بشر يخطئ ويصيب في كل علم وحال وعمل وتحكم عليه الشهوات والخرافات والاهواء في غير ما أصاب فيه . وما تسمعه من الجاهلين بالقرآن من زعمهم ان قوله تعالى : (لهم ما يشاؤون عند ربهم) يراد به هؤلاء الذين تصدر عنهم بعض الغرائب الروحانية من صحيحة أو وهمية ، فراجع هذه الآية وما في معناها من سور النحل والفرقان والزمر والشورى وق تجدها كلها في أهل الجنة وما لهم فيها من نعيم وهم المؤمنون المتقون . فاغتنم هذه الحقيقة العليا فانك ربما لا تجدها في كتاب واعتبر بما أذكره بعدها .

واما ما قاله شيخنا في الروحاني الكبير الشيخ محيي الدين بن عربي فهو موافق لما نقله لي علي بك شوقي وزير الترك المفوض في مصر عن والده شوقي باشا الذي سبق ذكره قريبًا .

زارني هذا الوزير اثر قدومه الى مصر في هذا العهد لعلمه بما كان بيني وبين والده وجده لأمه أحمد مختار باشا من الصداقة فذكرت له أن

والده كان يحدثني بمناجاته للأرواح وحديثه مع السيدة مريم العذراء عن حملها بالسيد عيسى المسيح عليهما السلام وغير ذلك وأنه كان يكتب ذلك فهل وجدت في تركته ما كتبه في هذه الشؤون ؟ قال نعم ! وأخبرني أن مما قرأه فيه من مناجاة والده لروح الشيخ محيي الدين ابن عربي أنه سأله عن منزلته في عالم البرزخ فقال له إن منزلته دون مقامه من معرفة الله تعالى وإن سبب ذلك أنه اختلط عليه الأمر في عالم المثال فكتب ما ضل به كثير من الناس فصاروا خصوماً له عند الله تعالى وكان من عقابه على ذلك أنه حبس عن الارتقاء إلى المنزل التي هي لمن كان له مثل معرفته وأنه هو توسل إلى خصومه ليغفوا عنه فلم يقبلوا وأنه يرجو أن يغفوا عنه في موقف الحساب فيغفو الله عنه اه
هذا ما فهمته من السفير مما قرأه فيما كتبه والده وسأبدي رأيي فيه وفي أمثاله عند ما أجد فرصة واسعةً لكتابة بحثٍ طويل في مسألة الأرواح التي تشغل العالم المدني في هذا العصر . وأقتصر هنا على كلمة وجيزة اقتضتها الضرورة :

استحضار أرواح الموتى وتلييس الشياطين فيه

لا شك أن قليلاً من الناس يرون بعض الأرواح في حالات مخصوصة واستعداد خاص وان تربية الارادة بالرياضة عند الصوفية أقوى وسائل هذه الرؤية وان منها ما يستعين عليه الاِفرنج بما يسمونه الوسيط من أولي الاستعداد الفطري . وفائدة الرياضة والعمل الكسبي في ذلك صرف الارادة عن الأشياء الكثيرة المفرقة لقوة ادراك النفس وتوجيهها

الى شئ واحد والراجح عندي أن أكثر هذه الأرواح التي يرونها هي
أرواح الشياطين من قرناء أولئك الميتين لا الميتين أنفسهم وأن بعض
الصوفية الذين كانوا يغيبون عن حسهم وعقلهم في رياضاتهم كانت تستهويهم
الشياطين وتوحي اليهم ما يظنون أنه حقائق كوشفوا بها من الله مباشرة
أو من تلقين أرواح شيوخهم المعتقدين، فكل ما خالف الشريعة من
كشفهم فهو من الشيطان ومنه ما يحكيه الشراني عن السيد البدوي أنه
كان يجمع أرواح الميتين من البلاد المختلفة ويسوقهم الى حضور مولده
الذي هو مجمع البدع والفسق والخرافات والضلال ومنه ما يحكيه الشيخ
محيي الدين بن عربي من كشفه الذي تخيل به أن فرعون موسى كان من
أكابر العارفين بالله وأوليائه المقربين عنده وإذا كان الشيجاني من أصحاب
الرياضات والأحوال فكل ما خالف الشريعة من كلامه وهو كثير فهو
من وحي الشيطان وإن لم يكن منه فهو كذب واختلاق لكسب الشهرة
والمال وإن أسندوه الى روح النبي عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولا يهولك أيها المؤمن العاقل المتبع هذا القول فتستبعده على أناس
نقلت عنهم حكم حسنة معقولة وافهام في القرآن مقبولة وأعمال او احوال
روحية خارقة للعادة فقد قال علماء الكلام إن خوارق الكلام قد تقع
للكفار والفجار وانما تختلف باختلاف من تقع لهم . وقال بعض كبار الصوفية
الراسخين المدهبين : إذا رأيتم الرجل بطير في الهواء فلا تغفروا به او لا
تقتدوا به حتى تنظروا حاله عند الامر والنهي وإنما العصمة عند اهل السنة
للانبياء في التبليغ عن الله عز وجل دون امور الدنيا ، وكذا عن معصيته
عز وجل .

(فإن قيل) وهل تمثل الشياطين بصورة الانبياء عليهم السلام ،
أو كبار الأولياء ؟

(قلنا) ان إغواء الشياطين لمن اختل عقله بشدة الجوع والخلوة
والسهر والتخيل كثير ، وان إيهام الشيطان لأحدهم انه نبي أو ولي يكلمه
أو يكشف له الحقائق مع تمثله له بصورة نورانية أو بغير تمثّل واقع ،
ولا يقضي أن يكون قد تمثّل بصورة النبي الحقيقية . وقد نقل عن
الولي الكبير الشهيد المتفق عليه الشيخ عبد القادر الجيلاني انه قال :
ترأى لي نور عظيم ملأ الأفق ، وسمعت منه صوتاً يقول لي : يا عبد
القادر انت عبادي وقد أحلت لك المحرمات (قال) فقلت له : اخساً
يا لعين . فتحول ذلك النور دخاناً مظلماً وقال لي : قد نجوت مني بعلمك
بأس ربك وفقهك في أحوال منازلناك ، وقد أضللت بمثل هذه الواقعة
سبعين من أهل الطريق . فقلت : لله الفضل . فقبل له كيف علمت انه
شيطان ؟ قال : بقوله قد أحلت لك المحرمات .

ومن ليس لهم من العلم بالشريعة مثل ما للشيخ عبد القادر يضلون
بهذه الأنوار الشيطانية ، وهو لو لا تلك الكلمة لاعتقد ان ذلك النور
من تجلي الرحمن . وللشيطان مع كبار الصوفية العارفين مناظرات ومجادلات
منها قوله لبعضهم وقد غاب اسمه عني الآن : ألسنت أنا شيئاً ؟ قال الصوفي
بلى . قال : وإن الله تعالى يقول : « ورحمتي وسعت كل شيء » فهي
تسغي . قال : فقلت له اقرأ ما بعدها يا ملعون - يعني (فسأكتنيتها
لذين يتقون) الآية - فقال : التقييد صفتك لا صفته .

وقد نقل عن بعضهم انهم قالوا : إن التكاليف خاصة بغير الواصلين

وأما الواصل الذي بلغ مرتبة اليقين ، فإن التكليف يرتفع عنه وبإباح
له كل شيء ، ويتأولون لهذا قوله تعالى : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »
وإنما اليقين في الآلة الموت . وسيد الموقنين ، وأكملهم صلى الله عليه
وسلم قد التزم العبادة إلى أن توفاه الله ورفعته إلى الرفيق الاعلى
ومن أولئك المفتونين بوحى الشياطين من ظن أنه تجاوز درجة الانبياء
ومنهم ابن سبعين ^(١) الذي قال : لقد تحجر ابن آمنة واسمًا بقوله :

(١) اختلف الناس في قضية ابن سبعين هذا كما اختلفوا في قضية محبي الدين
ابن عربي فكل من هذين غلا الناس فيه بالمدح والقدح ، ومن الغريب ان كلا
منهما من مدينة مرسية التي ينسب إليها كثير من فحول العلماء وأكابر الاولياء
ومنها أبو العباس أحمد المرمي دفين الاسكندرية ومنها ابن سيده صاحب
الخصص وغيرهما . وقد ترجم صاحب نفح الطيب الفقيه الجليل العارف النبيل
الحادق الفصيح البارع - أبا محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الشهير
بابن سبعين العكي المرمي الاندلسي قال : ويلقب من الألقاب المشرقية بقطب
الدين . قال الشيخ المؤرخ ابن عبد الملك : درس العربية والآداب بالاندلس
ثم انتقل الى سبتة وانتحل التصوف وعكف برهة على مطالعة كتبه والشكلم
على معانيها ، فمالت اليه العامة . ثم رحل إلى المشرق وحج حججًا وشاع ذكره
وعظم صيته وكثر أشياعه وصنف أوضاعًا كثيرة تلقوها منه ونقلوها عنه ، ويرمي
بأمر الله تعالى أعلم بها وبحقيقتها ، وكان حسن الأخلاق صبوراً على الأذى آية
في الايثار اه . وقال غير واحد : إن أغراض الناس فيه متباينة بعيدة عن
الاعتدال ، فمنهم المهرق المكفر ومنهم المقلد المعظم الموقر ، وحصل بهذين
الطرفين من الشهرة والاعتقاد والنفرة والانتقاد ما لم يقع لغيره والله تعالى أعلم
بحقيقة أمره . قال صاحب النفح نقلاً عن الشريف الغناطي ان ابن سبعين -

« لا نبي بعدي » ومثل هذا الكلام هو الذي جراً ميرزا غلام القادباني على ادعاء النبوة .

— كان يوقع « ابن هـ » بعني الدارة التي هي كالصفر وهي في حساب المغاربة سبعون ولذلك شهر بابن داره وضمن فيه البيت المشهور : محاسن سيف ما قال ابن دارة أجمعاً ونقل عن صاحب « درة الأسلاك » أنه في سنة ٦٦٩ توفي الشيخ قطب الدين ابو محمد عبد الحق بن سبعين المرمي ، صوفي متفلسف متزهّد متكشف يتكلم على طريق أصحابه ، ويدخل البيت ولكن من غير ابوابه ، شاع أمره واشتهر ذكره وله تصانيف وأتباع وأقوال يميل إليها بعض القلوب وتماها بعض الاسماع ، وكانت وفاته بمكة المشرفة عن نحو خمسين سنة تفعمده الله برحمته اه .

ثم نقل المقرئ عن بعض الاعلام في حق ابن سبعين ما ملخصه : انه كان عزيز النفس قليل التصنع يتولى خدمة الكثير من الفقراء بنفسه ، ويحفون به بالسكك ، ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء كثر عليه التأويل ووجهت لألفاظه المعارض وتعاورته الوحشة ، وجرت بينه وبين الكثير من أعلام المشرق والمغرب خطوط بطول شرحها ثم ذكر رسالة لبعض تلاميذ ابن سبعين بظن اسمه يحيى بن محمد بن أحمد بن سليمان ، واسم هذه الرسالة « الوراثة المحمدية والفصول الذاتية » جاء فيها : فإن قيل ما الدليل على ان هذا الرجل الذي هو ابن سبعين هو الوارث المشار إليه ، قلنا عدم النظر واحتياج الوقت اليه وظهور الكلمة المشار إليها عليه ونصيحته لاهل الملة ورحمته المطلقة للعالم المطلق ومحبه لاعدائه وقصده لراحتهم مع كونهم بقصد ان اذاه وعفوه عنهم مع قدرته عليهم وجذبهم الى الخير مع كونهم يطلبون هلاكه . وهذه كلها من علامات الوراثة والتبعية المحضة التي لا يمكن أحداً ان يتصف بها إلا بمجد أزلي وتخصيص —

وقد نقل النصارى ما هو أعظم من ذلك عن هو أعظم من أولئك

— إلهي « إلى أن يقول » إنه من أشرف البيوت التي في بلاد المغرب وهو بيت بني
سبعين^١ قرشياً حاشيماً علوباً وابواه وجدوده يشار إليهم ويعول في الرئاسة والحسب
والتمين عليهم ، والثاني كونه من بلاد المغرب والنبي عليه السلام قال : لا يزال
طائفة من أهل المغرب ظاهرين الى قيام الساعة . وما ظهر من بلاد المغرب رجل
أظهر منه فهو المشار اليه بالحديث (الى أن يقول) : ثم انظر في بدايته ، وحفظ
الله سبحانه له في صفه وضبطه له من اللهو واللعب وإخراجه من اللذة الطبيعية
التي هي في جبلة البشرية وتركه للرئاسة العرضية المعول عليها عند العالم ، مع
كونه وجدها في آبائه وهي الآن في اخوته (الى أن يقول) : ثم انظر في تأبده
وفتحه من الصغر وتأليف كتاب « بدء العارف » وهو ابن خمس عشرة سنة وفي
جلالة هذا الكتاب وكونه يحتوي على جميع الصنائع العلمية والعملية وجميع
الامور السنية والسنية ، تجده خارقاً للعادة وفي نشأته في بلاد الاندلس وظهوره
فيها بالعلوم التي لم تسمع قط نعلم أنه خارق للعادة وفي تواليفه واشتمالها على العلوم
كلها ثم انفرادها وغرابتها وخصوصيتها بالتحقيق الشاذ عن افهام الخلق^٢ تعلم أنه
مؤيد بروح القدس ، انتهى ملخصاً نقلاً عن نفح الطيب . وبظهر ان صاحب هذه
الرسالة هو من تلاميذ ابن سبعين بل من أشد تلاميذه إعجاباً به . وروى شهاب
الدين بن أبي حجلة التلمساني الاديب الشهير نقلاً عن الشيخ الصالح أبي الحسن
بن برغوش التلمساني شيخ المجاورين بمكة ان ابن سبعين كان اذا قرب من باب
من أبواب مسجد المدينة على ساكنها الصلاة والسلام يهراق منه دم كدم الحيض
والله تعالى أعلم بحقيقة أمره . وقال غيره : نعم زار النبي صلى الله عليه وسلم
مستخفياً على طريق المشاة حدث بذلك اصهاره بمكة انتهى . وقال لسان الدين
ابن الخطيب : أما شهرة ابن سبعين ومجده من الإدراك والآراء والاوضاع —

وهو النبي المعصوم عندنا الذي أعاده الله وأمه من الشيطان في اعتقادنا وقد اتخذوه رباً والهاً لهم اذ ذكروا في أنجيلهم أن الشيطان قد جرب السيد المسيح وهو إمام الروحانيين عليه السلام فقد حملت به أمه بنفخة من روح الله جبريل عليه السلام وكانت آياته كلها روحانية . ففي الرابع من انجيل متى ولوقا أنه صام أربعين يوماً فجاج فأخذه الشيطان في تلك المدة وجربه عدة تجارب منها أنه أصدده الى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمن وطلب منه أن يسجد له ليعطيه ذلك كله فأجابه يسوع : اذهب يا شيطان إنه مكتوب « للرب الهك تسجد واباه وحده تعبد » .

— والاسماء والوقوف على الأقوال والتعمق في الفلسفة والقيام على مذاهب المتكلمين فيما يقضى منه بالعجب . وقال الشيخ ابو البركات بن الحاج البليقي حدثني بعض أسيادنا من أهل المشرق ان الامير أبا عبد الله بن هود سالم طاعية النصارى فدككت به فاضطره ذلك إلى مخاطبة القس الأعظم برومية (اي البابا) فوكل أبا طالب بن سبعين أخا أبي محمد عبد الحق بن سبعين بهذه الرسالة إلى رومية فلما بلغ أبو طالب بن سبعين رومية ودخل على البابا قال البابا لمن حوله : ان اخا هذا ليس للمسلمين اليوم أعلم بالله منه انتهى . ومن المشهور انه قد كان النصارى ألقوا مسألة على المسلمين وانبرى للجواب عليها ابن سبعين فاشتهر بذلك . وروى ابن خلدون في تاريخه الكبير في ترجمة السلطان ابي عبد الله بن السلطان زكريا الحفصي ان أهل مكة بايعوا السلطان المذكور وخطبوا له بعرفة وأرسلوا اليه يبعثهم ، وهي من انشاء ابن سبعين ومردها ابن خلدون بجملتها . قال المقرئ وفيها من البلاغة والتلاعب بأطراف الكلام ما لا مطمح وراءه توفي سنة ٦٦٩ هـ

الرؤى الصالحة

« وشهادة النبي (ص) لي في الرؤيا ورؤية كل منا في صورة الوصر »

إن الرؤى الصالحة التي رأيتموها والتي رآها الناس لي كثيرة في جميع أطوار عمري ومنها ما كان يقع في اليقظة كما رأيته في النوم بعينه وما كان تأويله ظاهراً لا يحتمل المراءى والعباد وأهل الصلاح يهتمون بأمر هذه الرؤى ولا سيما رؤيا النبي (ص) والمشهورين من الصالحين ومنهم الذين بنيتهم بها غروراً وأحسن ما قيل فيها الحكمة المأثورة ولا أذكر قائلاً : الرؤيا نسر ولا تفر ومن أحسن ما مرني من رؤيا النبي (ص) القديمة أنه سمعته يقول لي : « اثبت علي ما أنت عليه » وقد رأيته في هذا العام وندمت أن لم أكتب هذه الرؤيا ولا أمثالها لأرويهما بنصها .

وإنني أذكر أحدث ما رأيته فيه أو رآه لي بعض الأحياء مع النبي (ص) بنصه فنه ما رواه لي ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم عن رجل حدثه في طرابلس الشام أنه رأى النبي (ص) في الرؤيا فشكا له سوء حال أمته وما فشا فيها من البدع والمعاصي وعدم تصدي أحد من العلماء ولا من غيرهم للانكار على أهلها وإرشادهم قال حتى إن السيد محمد رشيد رضا مقصر أو كلمة بهذا المعنى .

فقال له النبي (ص) : ان محمد رشيد بفعل في كل وقت بما يرى
انه الواجب .

وروي لي في السنة الماضية (سنة ١٣٥٠) عن الفاضل الاديب

الصالح الاستاذ عمر الرافي أحد أنجال علامة العصر وفقهيه وصوفيه الشيخ عبد الغني الرافي (ر . ح) . انه رآني في الرؤيا بهيئة جميلة نورانية تمثلت له فيها بصورة النبي (ص) قال للسيد عاصم : رأيت أن الناس في بلاد الشام في هرج ومرج ينتظرون حضور السيد « إياي بعني » ليخطب فيهم خطبة تكون فيصلاً في موقفهم . ثم حضر السيد فسأله هل كتب الخطبة التي يريد إلقاءها ؟ فقال : إني أخطب ارتجالاً وليس من عادتي كتابة الخطب . قلت : إن هذه خطبة سيترتب عليها عمل عظيم ، فينبغي كتابتها وألحفت عليه في الرجاء بأن يملي علينا خطبته لندكثبها فاستجاب لنا وطلق يملي وأنا أكتب فإذا تعبت ساعدتني (الخطاب للسيد عاصم) ولما أتم السيد املاءه أعجبت بالخطبة جد الإعجاب ، وطفقت أنظر اليه نظر الإجلال والإكبار والسيد يزداد في نظري جمالاً ولطافة ونورانية حتى قلت له : انت السيد رشيد أم النبي (ص) اه . ثم نظمها وارسل إليّ ما نصه :

« عمر الرافي يقدم لمعاليتكم واجب التبزيك بشهر رمضان المبارك ، ويرجو الله ان يديمكم منار حق وهدى لهذه الامة وبليهمكم الدعاء له في خلوة من خلواتكم مع الله ، ثم بقص على سيادتكم رؤياه التي رآها لكم حديثاً وهي كما يأتي :

اعلامه الدنيا لك الله مرشداً	بعلملك اهل الحق في الغرب والشرق
تمثلت لي مولاي (رؤيا) كقدام	علينا خطيباً جاء يصدع بالحق
ومازلت تصفو في جمالك مشرقاً	صفاء منار الحق في مفرق الطرق
فأدهشني هذا الجمال الذي ارى	ولم اره والله في سائر الخلق

فقلت بنفسي ذا رشيد مصدقاً أم المصطفى ؟ والله أعلم بالحق
عن طرابلس الشام ٢٥ شعبان سنة ١٣٥١

ولقيت في أواخر شهر ذي القعدة من تلك السنة رجلاً يريد الحج
ولم أكن أعرفه بالرؤية ولا بالسماع ، فأخبرني أنه رآني في رؤيا فقصها
على العلامة الشريف الاستاذ السيد عبد الرحيم عنبر فقال له : إن هذه
رؤيا صادقة ويحتمل ان يكون الذي رأيته هو النبي (ص) فاني انارأيت
النبي (ص) في صورة السيد محمد رشيد رضا الخ . وبعد اشهر زرت
الاستاذ السيد عبد الرحيم عنبر وسألته عن هذه الرؤيا فذكرها وقال لي :
انني كثيراً ما رأيت النبي (ص) وقد رأيته مرة في صورتك وهي ابهي
وأجمل مما انت عليه ولكنها صورتك .

وبعد كتابة ما تقدم بشهر وقبل طبعه قص عليّ الأديب محمود أفندي
منصور الاسكندري رؤيا ثم كتبها لي وهي : رأيت فيما يرى النائم رسول
الله (ص) جالساً في صدر مجلس وأنت بجانبه فتحدثت الى صديق كان
يجاني عن جماله (ص) قائلاً له : انظر يا أخي هذا هو النبي (ص)
ألا ترى أن أصدق من وصف جماله الخلق تلك المرأة القائلة إن جماله
لا يطمع الناظر فيه كما أن جلالة لا يفزع الناظر منه ؟ اولا ترى ان
النسب له دخل كبير في الشبه ، فهذا السيد رشيد أقرب الناس شبيهاً
به ؟ (ثم قال) ولقد اولت هذه الرؤيا بصدق دعوتكم وقيامكم بالعمل
بمقتضى كتاب الله وسنة رسوله ثم قصصتها على نفر من إخواني فأولها
بتأويلي هذا . ٥١٠ (١)

(١) ان الرؤى الصالحة تقم لكثير من الناس ومنهم من لا يكون صالحاً -

المكاشفات

مما أثمرته لي العبادة والمراقبة قبل سلوك الطريق وبعده المكاشفات بقسميها:
الصوري والمعنوي أو الظلماني والنوراني كما يقول الصوفية ، والمراد بالثاني

— في نفسه ، ولكنه يرى أمثال هذه الرؤى وينفاهل بها خيراً ويتبرك بها
وبقصها على الناس ويفسرونها له ، وربما تحققت أو ربما تحقق منها شيء ؛ وهي مع
ذلك لا يبني عليها شيء شرعي ولا يؤخذ بها حجة كما لا يخفى . ولكن من الرؤى
ما يتحقق بتمامه ، وأعجبها ما يرى الإنسان فيه حوادث حقيقية تقع على بعد في
نفس الوقت الذي يراها فيه ويستيقظ فيعلم خبرها ويعلم أن تلك الحادثة وقعت في
أثناء رؤياه لها ، والحال أنه لم يكن يتوقعها ولا عرف من أمرها قليلاً ولا كثيراً
ولم يكن من سبيل مادي لاطلاعه عليها . والافرنج يقولون لهذا النوع من
الرؤى « تيليپاثي Télépathie » ومن الناس من يسندل بذلك على صلة الأرواح
في الغيب بعضها ببعض ، ومنهم من يرى فيه انتقال الخبر بواسطة تموجات
الانثير كما يتصل التلغراف اللاسلكي والنور والحرارة ، فلا يرى هناك إلا عملاً
مادياً بحتاً .

وقد وقع لحرر هذه السطور من هذه الرؤى التي تحققت بمخافتها بعد اليقظة
شيء كثير وسمع مثلها من غيره . وكذلك رأى النبي (ص) وقد فرغ من
صلاته وجلس بتلو وبدعو محرراً شفتيه ، وكان جلوسه على أرض حمراء محروثة
وكان عليه الصلاة والسلام ينظر إليّ وهو يبتسم ؛ وجليته حسباً رأيت في المنام
عريض المنكبين موثق الخلق قوي جداً مستدير الوجه ظاهر اللون ، قد بدأ
الشيب في لحيته الشريفة ووجهه الكريم أبيض موزج إلا أنه غلب عليه تأثير
الشمس ؛ رأيت هذه الرؤيا منذ ثلاثين سنة وقصصتها ثاني يوم على العلامة —

المعرفة والحقائق ، وقد سبقت الإشارة اليه في الكلام على الاستعداد النفسي وتحصيل العلم - وبالأول الشؤون الدنيوية ، وكانت كثيرة جداً بحيث يتعذر كتبتها كلها ، وكنت أكنتم ما لا يعلمه الناس واما ما يقع لي معهم فقد كنت اسمي بعضه مصادفة وبعضه رأياً أو خاطراً وان كان في موضوع طويل الامد كثير الحوادث ومنه ما كنت ارجع انه كذلك وأؤكدده فيقبله بعض الناس دون بعض .

من هذا انني كنت في دار آل الرافعي بطرابلس في أثناء زيارتي للبلاد عقب إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦ في فصل شتاء سنة ١٩٠٨ فقلت الله اعلم سينزل من السماء ثلج الآن ، فنزل الثلج بعد دقائق قليلة . وتزول الثلج في بلادنا الساحلية نادر وإنما بكثير نزول البرد فقال رئيس صيد بحري من القلمون كان حاضراً : من أين علمت ؟ قلت : إنه ليس بعلم ، وإنما هو شعور من برد الهواء اولذعه . قال : ايشر شغلنا نحن ؟ يعني ان الملاحين أعلم منا بأحوال الجو والطقس . ثم انقطع الثلج مدة وأراد هذا الرجل وغيره الانصراف فقلت غير مالك

— السيد أبي طالب الحسني الجزائري ابن أخي الامير عبد القادر ، وكان جارنا في حي رأس النبع من أحياء بيهوت حيث كنت ساكناً وحيث رأيت هذه الرؤيا ، وكان عنده ساعة قصصتها عليه صديقنا الاستاذ الكبير العلامة الشهير الشيخ طاهر الجزائري فقالا لي : هذه بشرى . هذه بشرى تكرر أ . ثم بعد ذلك طالمت في كتاب تفسير المنامات للشيخ عبد الغني النابلسي فأحبيت أن أعرف تفسير منام من يرى النبي عليه السلام يصلي فوجدته يقول : ومن رآه (ص) يصلي فإن الله يجمع على يده ما تفرق من أمر المسلمين .

للساني : الله أعلم ان الشالج سيمود ، فلم يلبث أن عاد . فقال الرئيس وهذه ؟
قلت كنتك . فلمعت الدموع في عينيه .

والحق ان مثل هذا ليس له قيمة المكاشفات التي سببها توجه الارادة
والكن الرجل كان من المتشبعين بحسن الاعتقاد من قبل هجرته الى مصر
ويحفظ عني أموراً غريبة عنده منها : انه امتشارني في تربية ابنه وتعليمه ،
فذكرت له ما سيكون من أمره في مستقبله بتفصيل حفظه فوقه كله
وهذا ليس بغريب أن يقع بصحة الرأي ، ولو لم يكن سامعه يعتقد
صلاح قائله وولابته لما كان بعده كرامة له . وقد كان الشيخ يوسف
النبهاني يبحث عن أمثال هذه الاخبار عن اشتهروا بالصلاح ليدونها فيما
يجمع من كرامات أهل عصره . وبعدي أنا والاستاذ الإمام والسيد الافغاني
من أعداء الصالحين لاننا أعداء الخرافات التي هي برهان الولاية في رأيه
الافين^(١) ولا يزال يقع لي مثله كثيراً في الدار ، فنقول أم الأولاد انك
تكاشف علينا فأبتسم .

(١) كان الشيخ يوسف النبهاني رحمه الله من الانقياء البررة الذين لا تشوبهم
شائبة ، وكان على جانب من العلم والفضل وكرم النفس وصدق اللهجة ، وكان
من رؤوس الادباء ومن الشعراء المفلحين ، وله القصائد الطنانة التي يحفظ الناس
كثيراً منها . إلا انه كان شديد الوسواس عظيم الاعتقاد بالأولياء والصالحين
قائلاً بنحو ارق العادات والكرامات الى حد القلق ، فكان يكره كل من يشك
في شيء منها . وقد بدا له ان السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده والسيد
رشيد رضا ، هم ممن يتشكون في هذه الأمور ، فكان يحمل لهم تحت كشحه
ضغناً شديداً ، ويعتقد ضررهم بالملة الإسلامية . ومرة اجتمع الشيخ محمد -

واذكر عن ولد هذا الرئيس (رحمه الله) وهو حي يرزق انه دخل

— عبده والشيخ يوسف النبهاني عندي في الجبل ، و كنت مصطافاً في قرية عين
عنوب من بلادنا وذلك منذ ٤٨ سنة ، فكان الجدل يطول بينهما . وكان الشيخ
محمد عبده إذا انحى باللائمة على علماء المسلمين فيما قصروا فيه من إيقاظ هذه الأمة
الموكلين اليهم إرشادها والنصح لها ، يأخذ الشيخ يوسف بالانكار عليه ويقول
له : لماذا سوء الظن بالعلماء ؟ الى غير ذلك مما يعارضه به ، و كنت أعلم شيئاً من
سوء ظن النبهاني بالافغاني وباستاذنا الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا
وهو سفي هذا الامر إلا أنني لم أكن أظن ان سوء الظن يبلغ بالنبهاني ذلك الحد
البعيد في حقهم حتى خرج به عن الاعتدال خروجاً لا يليق بمثله ، فقد قرأت له
قصيدة رائية مطبوعة وباللأسف رماهم فيها بهاجرات . وقذف بهم قذفاً فظيماً
منكراً ، حملة عليه مجرد سوء الظن ، وتجسم الخيال في نفسه مما يؤاخذ الله عليه
عفا الله عنه . وقد كان هو بلوم الشيخ محمد عبده على سوء الظن في العلماء مما
لا بعد كعبة الخردلة في جانب ما ظهر من سوء ظنه هو ، فكيف وقع فيما كان
ينهى عنه ، وقذف مثل هؤلاء العلماء بدون بينة ولا دليل ، وغفل مع نقواه عن
قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم »
وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً
بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين » إننا سألتنا الله له المغفرة لما قرأناه له من تلك
القصيدة الشاذة بل الشنيعة ولكن من ذا الذي ماساه قط ؟

وكان النبهاني كما تقدم مشهوراً بالشعر و كنت أستحسن كثيراً من شعره
ولاشياً قوله من قصيدة امتدح بها السيد أبا الهدى الصيادي :

ويمت دار الملك احسب انها الى اليوم لم تبح الى المجد سلماً
فألفيتها قد افترت من كرامها ولم يبق فيها الفضل الا توهمها

علي مرة في غرفتي فوقع في قلبي انه كان بغازل امرأة فذكرت له الاثر المروي عن الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) وهو انه دخل عليه رجل فقال له أبدخل احكم علي واثر الزنا ظاهر علي عينيه ؟ فقال الرجل أوحى بعد رسول الله (ص) ؟ قال لا ولكنها فراسة المؤمن اه . ذكرته له بلهجة الانكار ففهم واعترف خجلاً .

وجاءني السيد علي عبد القادر يريد أن يسأل عن شيء فقلت له قبل السؤال إنك تريد أن تعلم ما ورد فيها بقرأ بعد الفاتحة في رتبة الفجر وورد أنه كان (ص) بقرأ فيها سورة الكافرون والاول خلاص وورد بسورة الانشراح والفيل (ولا يصح) وورد في الركعة الاولى آية

والنبت مثلي أمة عربية يرى القوم منها أمة الزنج اكروا
وما تقوموا منا بني العرب خلة سوى ان خير الخلق لم يك اعجا
وله بتائم أقوال سائرة في الآفاق غير هذه ، فأحببت وأنا اذ ذاك في ريعان
صباي أن أساجله في الشعر لعلني أظفر منه بشيء يؤثر فنظمت له ابياتاً لم أحفظ
صورتها عندي ولا بقي منها في خاطري الا بيت أو بيتان فأجابني عنهما بهذه الايات :

راقني يا شكيب منك قصيد بانفاق هو البليغ الفصيح
قبل در وقيل زهر وبعض قال سحر والكل قول صحيح
نظمته أفكارك الغرُّ عقداً أي عقد لو ثم جيد مبيع
من نسب كصنوك الماجد اسماً وسماوا فهو النسب الصريح
ومدبح لو كنت انت مراداً فيه غنى لقلت جل المدبح
لست أجزيك حق طولك في الشعر وفكري كما علمت طليح
وسأجزيك عن ودادك ودأ انا فيه على كثير شجيع

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا - الى - مسلمون) من سورة البقرة وآية (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم - الى - مسلمون) من آل عمران فقال من أين علمت ؟ وقد يكون لمثل هذا أو بعضه ما يشعر به عند الذي يحاسب نفسه دقيقاً على طريقة الغزالي وإن منه لوقائع لا يمكن أن تخطر بالبال ومنه ما هو نتيجة النوحه المعروف عند الصوفية وهاك حادثة منه :

كنت أترك غرفتي في أعلى المسجد مفتوحة وأنا في الدار لعلمي بأنه لا يعقل أن يسرق لي أحد من أهل القلمون شيئاً وكان في الغرفة صندوق صغير أضع فيه بعض الأوراق وما عندي من السبح وهي كثيرة كانت تهدي الي وأحياناً أضع فيه الدراهم ومع هذا أترك مفتاحه فيه لئلا أحمله فيسقط مني وأحتاج الى كسر الصندوق . وقد رأيت الصندوق في صبيحة بعض الأيام مبعثر الورق والكيس الذي فيه السبح مسروقاً . فطلبت من صاعتي أن تشد لي الفرس فشددت فركبتهما وذهبت الى طرابلس ولم أنزل حيث كنت أربطها عادة عند مدخل المدينة بل قطعت الأسواق راكباً الى أن وصلت الى دكان عند الجسر الشمالي فنزلت أمامه وقلت لصاحبه : أين السبح التي اشتريتها اليوم ؟ فأخرج لي الكيس فأخذته ودفعت له ما اشتراها به وهو قليل . وكان السارق خادماً لصديقنا الشيخ عبد الفتاح الزعبي الجبلافي الشهير وكان مصطافاً في القلمون كعادته والخادم وهو من قرية المينا لا من القلمون ولا من طرابلس وقد علم بأنني عثرت على مرقته فلم يعد الى خدمة سيده ثم إنني عدت الى عادتي في ترك مفتاح الصندوق فيه ومفتاح الغرفة في بابها ثقةً مني بأهل بلدي .

الانتقام في الدنيا من كل من آذانا

تذكرت بهذه الحادثة أنه كان مشهوراً عند أهل بلدنا فوق احترامهم لشخصي أنه لا يعتدي أحد علينا الا وينتقم الله منه في الدنيا قبل الآخرة : حدث بعضهم عن نفسه أنه ذهب يخطب مرة من شجر الزيتون فاتمى الى كرم لم والدي الذي سبق ذكره في هذه الترجمة فصعد شجرة زيتون ليقطع منها (قال) وقلت في نفسي : يقول الناس هؤلاء أولاد جد (أي جدم ولي) لا يعتدي أحد عليهم الا أصيب « أنا رايح شوف أيش يصير لي » ولم أكد اشرع بقطع فرع من الزيتون الا وسقطت منها على الأرض سقطة مؤلمة فنتبت .

وهذه مسألة مما بعدها الكثيرون من كرامات المعتقدين فان كان ما يذكرون في بلدنا من انتقام الله من كل من آذانا من الحكام وغيرهم حقاً فأنما ما اظن انه استقراء تام على أنني لم أعلم ان احداً آذانا ولم يلق جزاءه في الدنيا . وقد آذانا رجل من أهلنا إيذاء مالياً كان جله خاصاً بي ثم كان عاقبته ان اضطر الى السفر الى مصر لطلب الرزق وان صار يطلب مني الإحسان اليه المرة بعد المرة فافعل ولا ازال اعنى بولده واهله بعد موته والله الحمد .

وكان آخر المعتدين عليّ بالطعن وقول الزور رجل معبود من كبار العلماء المشهورين في مصر ، فسلط الله عليه من العلماء والكتاب من شهره أنواعاً من التشهير في علمه وأخلاقه وأمانته المالية والعلمية . . . ومع هذا أصرح بأنني لا أغتر فأقول إن لي خصوصية عند الله تعالى وأنه

انتقام لي خاض وانما هو جار بأسبابه الظاهرة ، وقد بدخل في معنى ما ذكرته في تفسير قوله تعالى في البقرة : « يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم » الآية . ولكن جمهور الناس يعدون مثله من كرامات الاحياء والميتين ، وبذكر الشمراني وأمثاله من ناشري الخرافات في كرامات السيد البدوي وغيره وقوع البلاء والمصائب على المعترضين عليهم أو على موالدهم بحق فذكرته عبرة لهؤلاء ولغيرهم .

استجابة الدعاء

أحمد الله تعالى ولا أحصي ثناءه عليه انه استجاب دعائي له بالايان والإخلاص والتوجه الصادق في امور كثيرة جداً لا أحصيها . منها ما ظهر لي بالتدقيق في السنن والنواميس التي تربط الاسباب بالمسببات ، انه من توفيق الاقدار للاقدار وعلم ما لم اكن أعلم وتسخير ما لا يصل اليه كسبي من الاشياء والاشخاص ، ومنها ما لم تظهر لي فيه الاسباب حتى صح انه يعد من خوارق العادات .

ثم احمده عوداً على بدءه ودواماً أسأله الثبات عليه إلى آخر العمر ان ظهر لي فيما لم يستجبه لي بعينه أن استجابه بالمعنى المقصود منه وفيما لم يستجبه بعينه ولا بالمعنى المقصود منه ان كان الخلل لي في عدم استجابته كله واذكر منه دعائي وتضرعي اليه عز وجل لن يسخر لي رجال الدولة العثمانية فيما طلبته منهم ومكثت عندهم سنة كاملة اسعى له عندهم وهو إنشاء جمعية ومدرسة للدعوة والإرشاد أو للعلم والإرشاد في عهد ظهور

المصيبة الطورانية ونجوم قرون الاحاد فقد تم إنشاء الجمعية رسمياً وتم صدور الامر من مجلس الوزراء بتخصيص المال اللازم للمدرسة ولكن لم يتم تأسيسها بالفعل المقنضي لاقامتي في الاسنانة . وكان الخير لي ان عدت الى مصر فاست الجمعية والمدرسة فيها ثم ظهر لي ان عدم السكنى في الاسنانة كان خيراً لي بما كان في أثناء الحرب الكبرى من بغي الترك على العرب وتقتيل زعمائهم^(١) وطلاب ارتقائهم وقد كنت في مقدمتهم

(١) كان السيد رشيد يريد أن يقول انه لم بفعل كما فعل صديقه السيد عبد الحميد الزهراوي الذي بعد ان خرج من ميدان الخصاص مع الاتراك وبعد ان جاء الى باريز يرأس المؤتمر العربي الذي انعقد فيها سنة ١٩١٢ عاد فالتخدد باقوال بعضهم وجاء الى الاسنانة وظن انهم نسوا له ما فات ودخل عضواً في مجلس الاعيان وبقي في منصبه هذا سنتين وهو آمن مطمئن الى ان كانت الحرب العامة واثار جمال باشا مسألة العرب والترك في سوريا وجنى بانارتها على العرب وعلى الترك جنباً لجنب ليربح مكائبا من التاريخ فمن جملة من استحضرهم الى المحاكمة في الديوان العرفي بعاليه السيد الزهراوي وكان يومئذ من اعضاء مجلس الاعيان فماتل طلعت بك في تسليمه مدة الا ان جمال لم يزل يقتل في الذروة والغارب حتى ارسلوه اليه وهناك اراد الزهراوي ان يقنع جمال ببراءته ويستل سخيمة صدره وذكره بما كان بينهما من عهد يوم جاء الزهراوي الى الاسنانة وكان جمال ارغب الناس وقتئذ في اجتذاب الزهراوي الى الدولة وادخاله عضواً في مجلس الاعيان . فاجابه جمال عندما قبض عليه بانه ليس له مدخل في الامر وانه لن يصيبه اذى اذا كان الديوان العرفي يحكم ببراءته . وحقيقة الحال انه كان من البداية ينوي البطش به وقد كنت بذلت كل ما في وسعي لاجل إنقاذه . انقاذ زعماء السوريين الذين ساقهم جمال الى المشنقة برأيه الافين لاسريره الله وتمكمت

وحكم علي بالقتل (الاعدام) مرتين او اكثر . ندم ان الاجل محنوم والعمر محدود محدود ولكنه مرتبط بالاسباب في نظام القدر المعلوم على ان المقام في تلك البلاد في زمن تلك الحرب كان محفوفاً بالقهر والفقر والخوف والدل

— مع انور عندما زار سورية خفية عن جمال واغضب ذلك جمالاً ولم أبال غضبه وصعيت لدى قنصل المانية في دمشق سعيًا حثيثًا بعد ان استخلفته على كتمان السر حتى يبرق الى سفارة المانية في الاستانة لعلها تتوسط في الامر وتكفي الدولة شمر الشقاق بين العرب والترك فيما اذا نفذ حكم القتل بحق الزعماء السوريين وكل هذه المساعي وقف جمال في وجهها وفي وجه مساعي أخرى وقعت من رجال الدولة انفسهم وأبى الا القتل ولا بد من ان تكون الاوراق المحفوظة في سفارة المانية بالاستانة تشتمل على ما أفضيت به الى قنصلهم بدمشق . فلما ساءت احوال الحرب وصرفته الدولة عن سورية الى الاستانة ندم على ما فعل ولات حين مندم واجتهد بواسطة بعض اصحابه ان يتقرب مني وراحت السكرة وجاءت الفكرة كما يقال وجرت بيني وبينه محادثة اعدت له فيها جميع ما كنت قلته له في دمشق وذكرته بقولي له حينئذ : اياك والامر الذي لا يقبل التلافي ولنظمتها له بالفرنسية *Irreparable* فان الحبس والنفي والعزل وجميع انواع النكبات قد ينساها الانسان ويمسحها الدهر ولكن الذي لا يمكن تلافيه هو القتل فاياك ان تأتي بعمل قد تندم عليه فيما بعد وقد يكون الاتراك انفسهم اشد الناس تبرؤاً منه محيلين بالتبعة فيه عليك وحدك . فكل هذا لم يدخل اذ ذاك في عقله بما كان من شدة غروره وبأوه بل التفت نحو ي مبهما ابتساماً متهمزاً قائلاً : كن مستريحاً من جوتي . فلما وقع ما وقع ولم يستتب النصح الا بعد سنتين من فعله وعاد يحاول في الاستانة استرضاء الذين قد كان أحفظهم واستحق مقتهم أعدت عليه في المجلس الذي ذكرته جميع ما —

ولا سيما مثلي من العرب ودعاة الدين ورجال السياسة وابن منه المقام في مصر التي كانت جديرة بان يحسدها الملوك والامراء : في كل قطر امان واطمئنان وسعة في الرزق وجميع مرافق الحياة واما حالها بعد الحرب فهو شر علي مما كان في زمن الحرب .

شفاء المرضى بالرغبة ونحوها

اذكر من امثلة انتفاع المرضى التي لا تحصى حادثة مشهورة في القلمون وهي ان عمر قدور الصياد رمى شبكته ليلا في البحر فسمع حيث وقعت — كنت نهبته اليه ونهبته عنه في دمشق وكان في الاستانة مطرقاً رأسه ندماً لا بدري بماذا يجيب . وفي ذلك المجلس ضربت له من جملة الامثال قضية الزهراوي وقلت له : عندما استدعيتم الزهراوي من باريز وجعلتموه في مجلس الاعيان كنت انا منتقداً سياستكم هذه . فاما ان تؤمنوه وتجعلوه في منصب من أعلى مناصب الدولة ثم تعودوا فتقدروا به بعد سنتين من تأمينه واستدئائه فاي انسان يثق فيكم بعد ذلك ؟ فقال جمال : اتنا لو كنا بطشنا به في السنة التي خرج بها علينا لكان حصل من جراء ذلك فتنة ربما جرت احتلالاً اجنبياً لسورية فلذلك اضطررنا ان نسكت وان نكظم الغيظ الى ان جاء الوقت الذي نقدر ان نقص فيه ولا نخشي احتلالاً اجنبياً . فقلت له : انكم اخطأتم في استرضاء الزهراوي عندما كان يستحق العقاب ولكن كان اجدر بكم ان تستمروا على الخطأ وتحفظوا امانة الدولة من ان تنقضوا عهدكم وتقدروا بالرجل بعد استسلامه اليكم بمامين . ثم هل اأنتم الان من الاحتلال الاجنبي ؟ لعمرى ان الحال هي العكس !

أما السيد رشيد فكان الاتراك دعوه الى التفاهم معهم وأن يتولى منصباً شرعياً في الاستانة فخاف ان يكون ذلك استدراجاً وابي قبول دعوتهم ولم يقع في الخطأ الذي وقع فيه الزهراوي عفا الله عنه .

صوتاً رعب منه فعاد الى بيته مصروعاً واشتد عليه الصرع فكان لا يعي
ويبس جسده كأنه لوح من الخشب ويرى نفرأ من الجن يجتمعون حوله
وقد ضربه واحد منهم ضربة صرخ منها صرخة مزعجة فطلبوني لاراه
وأرقبه فقلت : بل أدعو له فعادوا اليه فالح في الطلب وكان من اغرب ما
قاله أن اخبر بالحال الذي كنت عليها في خلوتي ليلا قال : انه جالس
متكى برأسه على عصا قصيرة شبه الباكورة (يعني المحجن) وانه قال للذي
ضربني : ضربة بضربة فاتركوه . ثم عادوا الي الخوا في طلب الذهاب معهم
فذهبت فوجدته مستلقياً جامداً لا يعي فوضعت يدي على رأسه وتلوت
قوله تعالى بعد البسلة (فيكفيكم الله وهو السميع العليم) فاناق في
الحال وقام كأنما نشط من عقال .

وقيل لي مرة ان محمد زبدان مصاب بصداع شديد يصرخ من شدته
باعلى صوته فكسبت له ورقة وضعوها على رأسه فشر بان رأسه انشق
وخرج منه الوجد في الحال ثم كانوا يعيرون ذلك الحجاب لكل مصاب
وبذكرون انه يشفي الي ان خطر في بالهم ان يفتحوه لهدوا ما كتب فيه
فأروا فيه حرفاً واحداً من حروف المعجم كتب بعدد مخصوص فاحتقروا
ذلك فلم يعد ينفعهم كما قيل لي بعد ذلك بسنين وكنت اكتب نشرة
للحمى فتشفي باذن الله تعالى :

ومن هذا النوع رقية غريبة فعاتها من تلقاء نفسي وهي أنني كنت
جائئياً من طرابلس الى القلمون فوجدت بالقرب منها رجلاً من معارفنا
من نصارى أنفة (من لبنان) هو اسكندر الخوري الذي اظن انه لا
يزال حياً او اخوه مالك الخوري - وهو عاصب رأسه من صداع شديد
فيه فدأته فاخبرني فقلت له : ادن مني فدنا فقلت له : ان الانجيل

يروى عن سيدنا المسيح عليه السلام انه قال : وهذه الآيات تثبّع المؤمنين يضعون أيديهم على المرضى فيبرؤون . ووضعت يدي على رأسه ورسمت عليه كلمة كنت مجازاً بها . فذهب الوجع في الحال فتعجب وصار يهز رأسه لاجل ان يحرك الوجع ليعود فلم بعد . وكم فعل هذا غيره استغراباً من سرعة البر .

ومن التأثير في غير الآدميين ان والدة رحمها الله استكتبتني حجاباً طلبه منها بعض نساء الأعراب لوضعه على غنمهم لان الموت فشا فيها وبعد سنة او اكثر جاءني بدوي من مشايخ قبيلة أخرى فشكا الي وقوع الموت في غنمه وطلب مني حجاباً ليضعه على رأس اكبر كبش فيها لمنع الموت فقلت له ان الحجاب لا يمنع وقوع الموت في الغنم ولا بد ان تكون غنمكم قد اكلت زهر الدفلي وورقها او نباتاً آخر ضاراً فاسأل عن طبيب يبطري واخبره بما تعلم من حال الغنم فيرشدك الى ما ينفع فيها قال : بل الحجاب هو الذي ينفع . قلت : انا اعتقد انه لا ينفع . قال : وكيف نفع غنم بني عليوه ؟ وأنا لم اكن اذكر مسألة هؤلاء ، ولكن والدة ذكرتني بها فاعتقدت ان ذلك من قبيل المصادفات التي كبرتها الاوهام ثم تركت هذه الحجب والنشرات للمرضى والمعقودين عن النساء وكذا الرقى الا نادراً لحديث في صحيح مسلم « من استطاع ان ينفع اخاه فلينفعه » واجتنبت فتح هذا الباب علي بعد هجرتي لمصر لان الفتنة فيها بهذه الامور اكبر الا لاهل الدار قليلاً .

ولما كنت مسافراً من البصرة الى بغداد في إحدى بواخر الدجلة سنة ١٣٣٠ انتقلت من الدرجة الاولى الى الدرجة الثالثة في مقدمة الباخرة لارى حركتها . وكان هنالك كثير من الفقراء فوجدت بينهم فتاة

سريضة مضطجعة فقيل لي انها بتيمة فقيرة وقد اشندت عليها الحمي فوثبت لها ورقيتها فقامت في الحال كأنما نشطت من عقال وشكت الجوع فامرت احد الخدم بان يأتيها بصحن حساء من مطبخ الباخرة وبقيده ثمنه في حسابي ففعل فاكلت واشتد عجب الفقراء الذين كانوا معها من نساء ورجال .

ولكن هذه الحمي (وهي الملاريا) كانت أصابتي في البصرة ككل من كان يدخلها ثم عادت الي في الباخرة ولم ارق نفسي ولم يرقني احد ورقية الانسان لنفسه . شروعة واما استرقاؤه فينا في كمال التوكل وقد حققت الموضوع في المنار .

اعتقاد الناس بآلولة والكرامات

(وحفظ الله لنا من الفتون والافتتان)

تلك خلاصة من ذكرى ما من الله تعالى به علي من النعم والكرامة والتوفيق لو شئت ان اكتبها بالاسلوب الذي اعده في كتابة المناقب والكرامات لكان وقعها وتأثيرها اعظم في نظر اكثر الناس وما كان هذا من شأنني في وقت من الاوقات بل أحمد الله تعالى ان حفظني من الغرور والنفرير ومن الفتون والافتتان . ان هي الا اشارة من التاريخ فيها عبرة للعقلاء حدث لي نية صالحة في تدوينها في هذا الكتاب فأسأله تعالى دوام التوفيق وكال الاخلاص .

من المشهور ان مذهب اهل السنة يثبت الكرامات للاولياء الا من شذ من نظار الاشاعرة كالاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني والحليعي فانهما وافقا المعتمدة في انكارها . وقد بينت الحق في هذه المسألة في مقالات

كثيرة في المنار بدأت بها في المجلد الثاني من المنار سنة ١٣١٦ ثم عدت الى إتمامها في المجلد السادس سنة ١٣٢١ وذكرث خلاصة مفيدة منها في مباحث (الوحي المحمدي) وهي مسئلة فتحت للدجالين باباً واسعاً من ابواب الخرافات واكل اموال الناس بالباطل وتعدى ذلك الى الاعتماد على اعراض النساء وقد كان كشفنا لهذه الخرافات والباطيل من اسباب طعن الدجالين علينا كالنبياني من السوريين والدجوي من المصريين .
الا وان الكرامات التي يتناقلها هؤلاء ومن هم فوقهم علماً وصدقاً ودينياً قد من الله تعالى علينا بكثير منها ووقفنا فيها لما وفق له اهل الاخلاص ممن قبلنا فلم تفتن بها ولم تفتن احداً بل كنا نكتم ما لم يعلمه الناس ونأول لهم ما علموه بانه من الاتفاق والمصادفة او من الامور المعنادة التي جهلوا اسبابها كما تقدم .

أما عدم افتتاننا بها في نفسنا فالفضل الاول علينا بعد فضل الله الذي هو فوق كل شيء للامام ابي حامد الغزالي فقد كنت قبل عروض هذه الاشياء لي قد قرأت فيما قرأت من « احيائه » ^(١) كتاب الغرور واصناف المغرورين من الصوفية وغيرهم وكتاب محاسبة النفس وكتاب النية والاخلاص فانفتحت بها في هذه الاحوال . .

واما اجتهادي في منعم افتتان الناس بي فسببه فضل الله تعالى وحده عليّ بالاخلاص له في عملي لنفسي وفي إرشاد الناس

من المعتاد ان يحسن الناس الظن في دين من يعلمون انه متق الله دائب في عبادته بما هو أكثر من اداء الفرائض وروايتها وترك كبرائر

(١) يعني كتاب احياء علوم الدين أشهر تأليف الامام الغزالي .

الاوثم والفواحش . ومن فضل الله تعالى عليّ ان كان احسنهم اعتقاداً وظناً بي أقربهم اليّ وادنانهم مني : الوالدان والاخوة والاخوات والاعمام والعمات والخادمون والخاديمات فاهل قريتنا كافة رجالاً ونساءً وقد تقدم شيء من ذلك .

اما الوالدة قدس الله روحها فكانت الى آخر حياتها تأمرني ان ارقبها وادعوا لها كلما شكت شيئاً . واخي السيد صالح رحمه الله تعالى كان بعد أن كبر وتعلم يقول : كنت اعتقد ان اخي الكبير رشيداً نبيّ فلما علمت أن نبيتنا محمد (ص) هو خاتم النبيين صرت اعتقد انه من الاولياء وتعمّرت على شقيقتي الكبرى (السيدة زينب) الولادة مرة فكانت تقول : اطلبوا اخي رشيداً ليحضر هنا عسى الله ان يفرج عني ويسهل عليّ بحضوره وكان خوادم بيتنا يحرضن علي فضل ما اكلت من طعام وغيره للتبرك به وكنت اذا صرّرت بشوارع القرية يخرج من في البيوت من النساء والاولاد ينظرون اليّ وبذكروا الله ويصلون علي نبيه صلوات الله وسلامه عليه وآله^(١) أليس هذا من دواعي افتتان شاب ناشئ في نفسه ودينه ؟ بلى ولكن الله سلم وله الفضل والمنة .

إنها لفتنة لتلوها فتن كقطع الليل المظلم : شاب جميل الصورة معتقد

(١) إن الذي يعذر المترجم رحمه الله في نقل هذه الامور عن نفسه أنه لم يكن يكذب فيها ولا كان يقول غير ما يعتقد هو في نفسه فقد كان يروي كل ما يعلمه بدون زيادة ولا نقصان ومما لا جدال فيه ان الله تعالى عصمه من الشرور والآثام التي يسقط بها الكثيرون ممن نشأوا نظيره في مجبوحة النعم الدينية فكان رشيداً منذ صغره علي قدم صلاح منذ حدثته .

الامرة ، يشتهر بالولاية والتأييد بالكرامة ، قد يجبر الناس ببعض ما
يكتسبون ويسرون ، ويشرف عليهم بالامر والنهي فيما يعملون ، ويضع
يده على رؤوس المرضى فيشفون ويبرؤون ، وتنبئ به الحسان ، ويبلغ منه
البنان ، فهو عرضة للغرور بصلاحه في نفسه والافتتان باعتقاد الناس وتعظيمهم
له وعرضة أيضاً لما ينسئ له من سلب المال والتمتع بالجمال الذي ينفي
الى شر المال ، وكم فسد به من الرجال .

أما الغرور فقد بينت كيف نجاني الله منه ومن الافتتان باعتقاد
الناس ، وأما المال فلم اكن أستحل أخذ شيء من مال من يعتقدون
انهم انتفعوا مني ومن يطلبون الانتفاع ثم قطعت وسائل هذا الانتفاع ،
وأما فتنة النساء فقد انقيتها بالامتناع من السماح لمن بتقيل البدأ والخلوة
والانفراد او الرقية لابة امرأة الا أن نتوسل لذلك بسيدتي الوالدة ،
فتأسرنى بحضرتها ان ارقبها فحينئذ ارقبها بالعصار السواك اضعه على رأسها
المفتة . وقد اجتنبت حضور مجالس الادباء والوجهاء من نصارى طرابلس
التي يجتمع فيها النساء مع الرجال واقفلت الباب دونها بحيلة لطيفة .

واما مسألة الفرار من فتنة النساء الحسان فاذا ذكر منها حادثة واحدة
نظمت قصتها في المقصورة الرشيدية لما فيها من العبرة .
جاءتني فتاة بارعة الجمال في مكان خال الا انه مكشوف وقالت :
ياسيدي صدري ضيق حظ ابدك المباركة عليه .

قلت لها ان اليد التي توضع على صدر اجنبية مثلك يد نجسة لا
مباركة لان هذه معمية اذهبي وانا ادعو الله ان يشرح صدرك ويزيل
ضيقه . وانتي اذكر بعض الايات التي نظمت بها الحادثة لما فيها من

الفكاهة والعبرة وهي :

ورب ملء خميصة الحشا بهنانة تزنو بالحاظ اللائ
رقرافة شفت زجاج وجهها عن ذوب ياقوت ورائه جرى
خاشعة اللحاظ والصوت أنت تلتبس الدعاء مني والرقى
أواه بامولاي صدري ضاق عن قلبي وما يفيض عنه من جوى
فضع عليه يدك التي بما بارك فيها الله تبرى الضى
أنت فتى خاف مقام ربه ما زال ينهى نفسه عن الهوى
لم يقترب فاحشة قط ولم يعزم ولا هم بها ولا نوى
ثم قال ^(١) بعد وصف نفسه ووصف الفتنة :

لكنه استعصم راوباً لها ما امر الله به وما نهى
ما كان عزهاة ^(٢) ولا فؤاده قد من الحديد أو صم الصفا
ولم يكن يجاهد لما رأى من سحر هاروت العيون وروى
دُعي إلى حب الجمال طامعاً أو كارهاً فانقاد طبعاً واتى
ثم إلى اقتحاده رباً له فعاذ بالرحمن منه وأبى
قد وقف الدين به حيث الهوى لحظ وشعر وشعور ومنى
وظاهر الدين عزيمة له تضاءلت من دون عزمها القوى

(١) هو الناظم السيد رشيد قارة يروي عن نفسه بصيغة الغائب وتارة

بصيغة المتكلم

(٢) العزهاة بالكسر الذي يرغب عن اللهو والنساء فلا يصبو اليهن . قال

الفرزدق :

إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا فكأن حجر آمن يابس الصخر جليدا

وربما كان التاممها الشفا برقية الصدر هو الداء الدوى^(١)
 بما يثير من رقاد فتنة بين يياض النحر منها والثدا^(٢)
 ترجف اعصابي بكهربائه ان لمس الضمير منه ما اكتفى^(٣)
 فهل اشبهها باقوى موصل لسالب التقوى بموجب الردى^(٤)
 وهنا وصفت هذا الصدر وما عليه وافتتان الناس بهما وعبادة الجمال ثم
 قلت:

فذاك ما كنت له مستهدفا في ريتق السن وميعة الصبا^(٥)
 أبيع بامم الدين لي وهو حمي فكان ما اباح منه ما حمي^(٦)

(١) الدوى كالحوى بالقصر مصدر دوى (كتعجب) بوصف به المرض
 والمريض ذكراً أو أنثى منفرداً ومثنى وجمعاً ومعناه الداء الملازم

(٢) الثدالفة في الثدي

(٣) اكتفى احتجب واستتر

(٤) شبه حرارة الشوق الى لمس ذلك الصدر باشتعال الكهرباء وانما تشتعل
 باتصال الموجب منها بالسالب فهو يقول ان اعصابي ترجف وتضطرب اذا
 تصور ضميري لمس ما استتر فوق ذلك الصدر وهو الثدي تصوراً هو في حرارته
 كالكهرباء في استعدادها للاشتعال فهل اوقدها بلمسها بيدي الذي هو كالجمع
 بين موجبها وسالبها بما يسلب من التقوى وبوجوب من الهلاك بمعصية الله تعالى
 والموصل بين نوعي الكهرباء عند علمائها نوعان : قوي وضعيف فشبه
 اللمس باقواهما

(٥) اي اول سن الشباب وانشطه

(٦) اعني ان لمس صدر تلك العذراء الخفزة قد ابيع لي من ناحيتها ياعش

وما ابرتي النفس بعد من هوى اثمارة بالسوء الا ما هدى
 من لم يزعه الدين عن جهل الصبا فما له من عاصم من الردى
 لا تحذعنك رغبة الحسان عن زي اولى العلم وسمت ذي التقى
 فكم نوار لم يلبس معطفها لفرهد حذور يحكي الرشا^(١)
 يشبهها تورناً^(٢) وزينة الى غنى له يرق ما قسا
 اسلسها وراضها لنفسه يجاذب الدين وطلسم الرقى
 ذو نسك بلبس اخلاق التقى مجرداً من كل اخلاق التقى^(٣)
 قد تحذ النسك له احبولة لصيد نافر الظباء والمها^(٤)
 وجعل الدين له تجارة فما اشترى الا الضلال بالهدى

قولي : لا تحذعنك الخ هو المقصود من العبرة في هذه الحادثة وهو ان
 كثيراً من الناس يسمحون لنسائهم بزيارة رجال الدين الذين يظن فيهم
 الصلاح لظنهم ان النساء لا تميل اليهم ميل شهوة وان صلاحهم هم يزعمهم
 عن تصبتهن والفتنة بهن وقد يكون اظهارهم الصلاح احبولة لاصطياد
 الملاح ولهذا شواهد ووقائع معروفة

— الدين لاعتقادها ان لمسي له بشئها وان الذي حماني من اسمه هو الدين الذي
 اباحه لاعتقادي ان لمسه لا يبيحه الدين لي

(١) النوار ذات الحياء والصون والفرهد الغلام الحسن المحتلى صحة وشبابا
 والحزور بالفتح وتشديد الواو الذي اشتد وقوي
 (٢) المبالغة في التفع

(٣) اخلاق الاولى جمع خلق بفتحين وهو الثوب البالي والثانية جمع خلق

بضمين .

(٤) المراد بالظباء الغلمان وبالمها النساء الحسان

بل اقول ان كثيراً من رجال الدين حتى النساك من جميع الامم قد
افتتنوا بخضوع الحسان لهم ففسدوا وافسدوا وذلك ان العبادة الصورية لا
يقوى بها الايمان بالله والمراقبة له وانما هي تقاليد بدنية لا تزكي النفس ولا
تربي الارادة فتحكم على الهوى كما تفعل الرياضة الصوفية الشرعية . وقد
من الله تعالى علي بما استفدت من « إحياء العلوم » أن كنت احاسب
نفسي واراقب ربي حتى انني لأعاتب نفسي على الغفلة واعاقبها على الهفوة .
وكنت قد تعودت قبل ذلك انشاد الشعر في الخلوة واولقات الفسحة
فاستبدلت به ذكر الله تعالى غالباً وقد تغابي العادة فانذكر وقد انشدت
نصف البيت فلا أتمه فكانت هذه النشأة في الصبا ذخراً لما بعدها وما
أبرى نفسي من اللحم ولا اقول كما قال بعض الشيوخ الكرام في شأن
صحته في كبره : حفظناها في الصغر فحفظها الله في الكبر . بل أقول :
ان الله تعالى هو الذي حفظها في الصغر والكبر وله الحمد اولاً وآخرأ .

التعليم والارشاد

(والامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

انني طلبت العلم بوزاع من نفسي لتكميلها بالمعرفة والعمل لا لاجل
الانففاع به في تحصيل مال او جاه وقد عرض علي الدخول في خدمة
الحكومة اكبر اصحاب النفوذ فيها من اصدقاء والدي فأبيت . بدأت
بمطالعة بعض الكتب التي اراها عندنا وكنت كلما افدت ^(١) شيئاً في نفسي
اجد ارتياحاً فيها ان افيده غيري .

رأيت بعض من عاشرت من طلبة العلم في طرابلس يجب الاثره فيه

(٢) افاد تأني بمعنى استفاد كما تأني بمقام افاد غيره .

فيه والبخل بما يصيبه من شوارده وأوابده^(١) ان يوجد بها . فعجبت من
حالهم لمخالفتهم لطبعي ولما كنت قرأته في كتب الدين والادب من مدح
بذل العلم وكونه يزكو على الاتفاق وتكون كتبان علم الدين حراماً وبذله
واجباً وكون ارشاد الناس به افضل القربات عند الله تعالى فكنت اعمل
بما اعلم واعلمهم من دوني وأذكر من هم في طبقتي واطلب المزيد من فوقى .
و كنت بعد قراءة كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتاب
الاحياء آس وانهى لا اخاف لومة لائم واذكر في هذا اول حادثة لي في
طرابلس صدعت فيها بالنهي عن المنكر في محفل عام كثير فيها حديث
الناس ولوم بعضهم وتجبيد بعض .

(١) مما اذكره من هذا الباب وهو حب الانفراد بالعلم اني كنت في ربيعان
الصبا اطالع احد الكتب الادبية مكباً عليه وكان لي معرفة باحد كبار الادباء
من بلغ الدرجة العليا من هذا الامر فكان يزورني ويمدني عما كفا على هذا
الكتاب فقال لي مرة انه ليس بكتاب ذي طائل وان الأولى بي ان لا اضيع
الوقت في قراءته . فلم اجبه بشيء لاني لم اقتنع بكلامه ولم ارد ان ادخل معه في
جدال . فجاء مرة ثانية فوجدني مكباً على هذا الكتاب نفسه لانه عدة مجلدات .
ثم جاء مرة ثالثة فوجدني ايضاً على ما كنت عليه من الرغبة في ذلك الكتاب فعندها
صرح بما في نفسه وقال لي : انني ما اردت في تزهيدي اياك بمطالعة هذا السفر
غير امتحانك والحق انه احسن تأليف في الادب . وحقيقة الحال ان ذلك الاديب
الكبير لم تكن اخلاقه على مقدار ادبه وكان من الحسد والبغض لجميع الناس
على جانب عظيم فلما رأيته سالكا طريق الرشد سعى في ان يضلني فلما رأيته من
لا يلتبس عليهم الصحيح من الفاسد عاد فرغم انه انما كان يريد امتحاني .

أول هارئة لي في الزنظار العلني على أهل الطريق

قبل لي: ألا تنفرج على مقابلة المولوية في تمكينهم التي تشبه جنة الآخرة في مكانها من ضفة نهر أبي علي؟ قلت نعم فذهبت بعد صلاة الجمعة مع الذهابين وكان أول افتتاح موسم هذه المقابلات من فصل الربيع فجلست في ايوان النظارة (المتفرجين) نمتع البصر بروية جنات البرنقال والشم بعير زهرها والسمع بخير ماء النهر من تحتنا حتى اذا ما آن وقت المقابلة تراءى امامنا دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تجاه ايوان النظارة وفي صدره شيخهم الرسمي واذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوه يلبسون غلائل بيضا ناصعة كجلابيب العرائس يرقصون بها على نغمات الناي المشجية يدورون دورانا فنياً مريعاً تنفرج به غلائلهم فتكون دوائر متقاربة على أبعاد متناسبة لا يبغي بعضها على بعض ويمدون سواعدهم ويميلون اعناقهم ويمرون واحداً بعد آخر امام شيخهم فيركعون له. قلت ما هذا؟ قيل هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المشوي الشريف.

لم أملك نفسي ان وقفت في 'بهرة النظارة وصحت باعلى صوتي بما معناه: أيها الناس أو المسلمون! ان هذا منكر لا يجوز النظر اليه ولا السكوت عليه لانه إقرار له وانه يصدق على مقترفيه قول الله تعالى: (اتخذوا دينهم هزواً ولعباً) واني قد أدبت الواجب علي فاخرجوا رحمكم الله وخرجت من المكان راجعاً أدراجي الى المدينة مسرعاً وفي اثناء المسير التفت فوجدت ورائي عدداً قليلاً قد رجعوا وبقي الا كثرون لم ينكروا علي ولا على القوم بقول ولا عمل. ثم كانت هذه الحادثة الغريبة حديث

الناس وموضوع ممرهم مدة طويلة : فمن عاذل وعاذر .

سبرتي مع استاذي العلامة الجسر في النظر

اتفق في تلك الايام ان دعائي رجل وجيه من معارف والذي الى سيران^(١) في بستانه مع شيخنا الاستاذ الشيخ حسين الجسر والشيخ عبد الله البركة واثنين آخرين من العلماء ، وهنالك سألتني شيخنا عن الحادثة ولم يسألني عنها في المدرسة ، فذكرتها له بالاختصار . قال : اني أنصح لك أن تكف عن أهل الطريق . قلت : هل لأهل الطريق أحكام شرعية غير الاحكام العامة لجميع المسلمين ؟ قال : لا ، ولكن لهؤلاء في سماعهم نية غير نية سائر الناس ووجهة الى الله غير وجهتهم ، وما لك تخصهم بالانكار عليهم وان من أهل اللهو من يسمعون الأصوات والادوات في ملاهيهم بل بلغني ان بعضهم يقامرون ليلا في (قهوة العيوني)

قلت ان أهل الطريق ذنبهم اكبر من اهل اللهو لانهم جعلوا السماع المنكر ورقص حسان الغلمان عبادة مشروعة ، فشرعوا لانفسهم من الدين ما لم يأذن به الله . على اني لم ار منكراً آخر ولم انكره . وأنا غير مكلف ان أذهب في آخر الليل الى قهوة العيوني فاستفتحها لارى ما فيها وأنكر عليه . فلما أعيبته قال : ان مذهبنا (يعني الخنفي) أشد من مذهبكم (الشافعي) في تحريم السماع ولكنني أنصح لك ان لا تعترض على اهل الطريق . وسكت وسكت .

(١) السيران في عرف بلادنا الخروج للتنزه والطعام في البساتين والضواحي اه

قلت انا المحشي على كلام السيد: انه يقال للتنزه في التركية (سيرا يتمك)

وأظنها منها .

والشيخ رحمه الله تعالى كان خليفة لوالده الشيخ محمد الجسر المشهور
المعتقد في طريقتهم (الخلوتية) وكان يقيم ذكراً في داره كل ليلة جمعة
وكان يكون في مجلس الذكر عنده انشاد لشيء من أشعار الصوفية أو
أدوار في الآلهيات والمدائح النبوية.

ولما جئت مصر ورأيت فيها من بدع أهل الطريق أضعاف ما في بلادنا
وانشأت المقالات الضافية في المنار في منكراتهم في الموالد وغيرها - كان أول
كتاب رجعته اليّ الشيخ عفا الله عنه ضمنه الانكار عليّ بمثل نصيحته في
بستان السيران بطرابلس . وقد افتتح كتابه هذا بقوله : « ظهر المنار بانوار
غربية الا ان أشعته مؤلفة من خيوط قوية كادت تذهب بالابصار » .
وكانت حجته اني أبين عيوب المسلمين للافرنج وغيرهم .

فكتبت اليه رجع كتابه في ١١ صفحة قلت فيه اني لا ازال أعد
نفسي تلميذاً لك وان كنت اعطيتني شهادة العالمية واجزني بالتدريس
وانت تعلم يا مولاي اني من اول طلبي للعلم لم اكن أقبل شيئاً لا أعقله
ولا اقتنع به وحجتي عليّ ما كتبت في المنار كذا وكذا . . . فان كتبت
اليّ ما يقنعني بانه خطأ رجعت عنه واعلنت ذلك في المنار . فلم يرجع
اليّ قولاً . وقد نسخ صورة ذلك الكتاب صدّيق الشيخ عبد القادر المغربي
ولعلها محفوظة عنده .

ثم أنكر عليّ كتابة في جريدة طرابلس بقلمه ولكن بدون امضائه
وردت عليّ كتابته وتجايفنا حتى اذا ما زار القاهرة في طريقه اليّ الحجاز
ونزل ضيفاً في دار الاستاذ الشيخ عبد القادر الرافعي الكبير كنت ازوره
كل مساء فاقبل يده واجلس عنده ما جلس للناس . فلما كان يوم سفره

خلونا ساعة وسألته النصيحة فاعاد علي انكاره ذاك ومساءل اخرى أنكرتها
علي بعض ما في الكتب المألوفة وقال : انني احب لك ما احب لنفسي ...
قلت ولكن هل الله تعالى يحاسبني يوم القيامة بما أعتقد واعلم ؟ ام بما
تعتقد انت وتعلم ؟ أفنعتني بما تقول بالدليل ليصير عقيدة لي ارجع الي
قولك .

قال : انت اهل علم وصاحب حجة وليس عندي لك شيء ما قلته .
فذكرت في نفسي قول الله عز وجل : (قل كل يعمل على شاكلته فربكم
أعلم بمن هو أهدى سبيلا) .

فمن عرف سيرتي هذه مع استاذي الاول ، ولا اعرف له في الازهر
مثلاً في علمه وعمله وسيرته ، لا يستغرب انكاري علي علماء الازهر بل
يعلم ان لي فيه قدم صدق وموقف حق أجري فيه علي عرق وأدين الله
تعالى به ولا اهاب احداً ولا أخاف لومة لائم .

انطاري علي رجال الدولة والمحطم

ولقد كنت انكر علي رجال الحكومة في بلادنا كل ما اراه من منكر
ولي في ذلك حوادث ووقائع مشهورة منها : انني أنكرت علي والي ولايتنا
(بيروت) نصوحي بك الشهير إساءة صلاته في مصلى سراي الحكومة
بطرابلس فقبل كلامي شاكرآ ولكن اهل التملق والنفاق والاذلاء عابوه
علي حتى اذا ما رأني في بيروت مرة قال لي ما سمعته من الشيخ النهباني :
انك أنكرت علي ترك الطمانينة في صلاتي بطرابلس وانا انكر عليك
الآن تخفيف لحيتك فهذا لا يليق باهل العلم . قلت صدقت ولكن في
شعر وجهي ضعفاً فهو يسقط بادني تحريك له وقد عرضني علي بعض

الاطباء هنا فقال إن سببه كثرة المادة الدهنية فهي تضعف بصيالات الشعر ووصف لي علاجاً ٠٠٠ الخ (وأقول الآن ان شعر وجنتي لا يزال ضعيف النمو ومحتاجاً الى العلاج) .

وقد كان اول خطاب القيته في طرابلس مثاراً للانكار من أناس والعجب من آخرين عدوه من الإفراط في الحربة والشجاعة الادبية ، ذلك انه كان بين الاستاذين الشيخ علي رشيد الميقاتي والشيخ السيد عبدالفتاح الزعبي^(١) من اكبر وجهاء العلماء شيء من التقاطع فسعى المتصرف التركي وهو الحاكم الاداري العام للصالح بينهما وأشار علي الاول ان يبدأ به فدعا خصمه الى حفلة تكريم دعا اليها معه سائر العلماء وجميع رؤساء الحكومة وكبار الوجهاء الى العشاء وكلفني ان اكتب خطاباً يناسب المقام وألقيه على الملأ ففعلت ولم يكن في الحفل شاب من طلبة العلم غيري إلا أبناء الداعي ومنهم صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ رشيد الميقاتي مفتي طرابلس لهذا العهد .

شبهت في ذلك الخطاب الشعب أو الامة بالفرد منها والجماعات العاملة للمصالح العامة فيها ومنهم رجال الحكومة والدولة - باعضاء الفرد من رئيسية كالدماغ والقلب ومشاعر وآلات وقلت انهم يجب ان يكونوا سواء في الحقوق العامة والاحترام وان كانوا يتفاضلون في العرف والاعتبار وشبهت العاطلين الذين لا يعملون لامتهم عملاً نافعاً من السراة وأصحاب

(١) كان الشيخ علي رشيد الميقاتي من وجهاء طرابلس وكان فصيح اللهجة وكان الشيخ عبد الفتاح الزعبي نقيب اشراف تلك البلدة وكان محبوباً عند الناس دمث الاخلاق وقد عرفت كلاهما رحمهما الله .

الثراء الموروث وغيرهم ، ويمحتقرون الطبقات الدنيا من العالمين بقولي : « ولا التفات الى سفهاء الاحلام المنكبرين بالالوهام الذين يحثقرون الزراع والصناع فانما مثل الفريقين كالأعمى والاصم ، والسميع والبصير ، والنسبة بينهما كالنسبة بين الأيدي والأرجل في البنية ، وبين زوائد الاظافر والشعور لو كانوا يعقلون »

ولقد خشي استاذي الجسر عند سماع هذا الخطاب أن يحفظ علي قلب المتصرف وكاشفني بذلك سرّاً في الجلسة لآتلافي الامر بكلمة في فضل الدولة ورجالها ولكن ذلك المتصرف كان من كبار أحرار الترك أولي التربية العالية (وهو حسن باشا ابن سامي باشا شيخ وزراء الدولة في عصره^(١)) وقد أعقبني ثناء علي فقال : إني أفخر اليوم بان اعد نفسي طرابلسياً لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب ، وقال كلمة حكيمة في مقام رجال الدولة . ولما علم بهذا الخطاب ادباء النصارى عجبوا لجرأتي وأذكر ان الاديب المؤلف الشهير جرجي افندي بني قال لي يومئذٍ وقد علم بالخطاب : من أين جئت بهذه الحربة المنظرية في هذه البلاد المستعبدة ؟ وجرجي افندي لا يزال حياً ، يذكر هذا وهو صاحب مجلة المباحث^(٢)

وكان هذا المتصرف بعد ذلك يحب المذاكرة معي في شؤون سياسة الدولة والاصلاح ، فاذا زرته في دار الحكومة لا يأذن لاحد ان يدخل

(١) سامي باشا هو اخو صبحي باشا الذي تولى ولاية الشام في احدى المرات وإلى هذا البيت ينتسب حمد الله بك صبحي المعداد اليوم من كبار ادباء الترك .
(٢) جرجي افندي بني احد وجهاء طرابلس الشام وفضلائها الذين خدموا العلم طول حياتهم وله باع طويل في التاريخ وتآليف متممة .

علينا فيها لأننا نتكلم بغاية الحرية في عيوب الدولة وجعلني بعد ذلك عضواً فخرياً في لجنة إصلاح المعارف ، ثم لما صار والياً لازمير بعد هجرتي الى مصر كنت أرسل اليه المنار بالبريد الأجنبي ، اذ منع المنار من بلاد الدولة بإرادة السلطان .

وكان يكثر زيارتنا في القلمون قبله متصرف طرابلس مصطفى ذهني باشا بابان^(١) وكان سبق له اشتغال واسع بعلوم الشرع وهو شافعي المذهب مثلاً كقومه الاكراد فكان يكثر مذاكرة العلماء في الفقه والتوحيد وغيرهما وكانت تعجبه اجوبي وأنا طالب مبتدي فيلقي عليّ أسئلة كثيرة (منها) انه قال لي مرة بدارنا : ان دولتنا مخطئة في اعفاء طلاب العلوم الدينية والعلماء من الخدمة العسكرية فإنها خدمة دينية والعلماء أحق الناس بالقيام بها . قلت له على البداهة : إن لهذا الاعفاء اصلاً في كتاب الله تعالى ، قال متعجباً : في كتاب الله تعالى !! قلت نعم ، وهو قوله : (وما كن المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) فدهش وأثنى عليّ

(١) مصطفى ذهني باشا من آل بابان قال لي ابنه نعيم بك إنهم وان كانوا رؤساء الاكراد في السليمانية فنسبهم عربي صريح يرجع الى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وكان مصطفى ذهني باشا قد تولى ايضاً ولاية الحجاز وقد عرفته بعد إحالته على التقاعد وذلك في اثناء الحرب العامة وهو والد نعيم بك أحد اعضاء مجلس الاعيان في الدولة العثمانية وكان من الفضلاء ، والدة اسماعيل حتي بك أحد أركان جمعية الاتحاد والترقي وقد مات في حياة والده وكان يتولى نظارة المعارف .

ودعاني دعاء صالحاً من قلبه .

وتحدثنا مرة ونحن على مائدة الطعام بدارنا في شؤون الدولة فقلت :
ان الذي أضعف الدولة هو جهل العلماء بالسياسة وجهل الحكام بالدين .
فظهر على وجهه تفهم الاستياء وجحظت عيناه والذي وحدجني بنظره ، وقال
المتصرف : وهل رجال الدولة جاهلون بالدين ؟ قلت لو كانوا كلهم أو
أكثرهم مثل سعادتكم لما كننا نقول هذا فسرني عنه . ثم كان لكلامي
هذا دوي عظيم بين الناس .

ثم لما زرت الاستانة سنة (١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م) عقب الدستور زارني
فيها وأدب لي مأدبة فاخرة دعا اليها بعض العلماء والوجهاء وحدثهم بما
علمه من خبر حدثاتي وكان والياً ليلية وانما جاء الاستانة زائراً وكان
أحد انجاله وزيراً للمعارف^(١) فيها وآخر عضواً في مجلس المعارف الاعلى^(٢) .

وزار القلمون مرة رئيس المحكمة العدلية والمدعي العمومي (رئيس النيابة)
وكانا ضيفين عند الوجيه حسين آغا ياسين فطلبنا منه ان يدعوني لیسعما
كلامي . . . فقال لهما عليكما اذا ان تجبنا أنواط ساعاتكما الذهبية لأنه
لا يسكت عن الإنكار عليهما وكان قوله صادقا فقد أنكرت عليهما
ووعظتهما بما يجب عليهما من العدل . . .

(١) يشير الى اسماعيل حقي بك المتقدم الذكر من ابناء مصطفى ذهني باشا
فانه تولي نظارة المعارف كما قلنا .

(٢) يعني به نعم بك الذي كان من أعضاء مجلس المعارف وفي الآخر
صار من أعضاء مجلس الاعيان وقد توفي من عهد قريب .

سيرتي في تعليم العوام وعظهم

إن سيرتي في نصيحة العوام وتعليمهم في القلمون مشهورة . كنت أقرأ للرجال دروساً في مسجدنا وأذهب الى مقهى لهم يجلسون فيه لشرب القهوة والتارجيلة « الشيشة » فأجمعهم وكان فيهم افراد تاركون للصلاة فأستبثتهم وألزمتهم بما لي من النفوذ الديني والوراثي أن يحافظوا على الصلوات . ولما حضرت دروس السنوسية الصغرى في المدرسة واعتقدت أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد ما هو مقرر فيها من الصفات العشرية وغيرها تعبتُ تعباً شديداً في محاولة إفهام العوام فلسفة السنوسي الأشعرية فتعذر عليّ ذلك حتى كان بعضهم يبكي إذا لم يفهم ما أقرره ويخشى ان يكون كافراً بعدم فهمها ثم من الله عليّ بالعلم بانه لا يجب على مسلم التقيد بها وأن فيها خطأ وأن الناس مغرورون بها . فكشبت لهم عقيدة سهلة الفهم والعبارة لا يزال يحفظها الكثيرون منهم . وكنت أقرأ لهم في الفقه قسم العبادات من نهاية المحتاج في شرح منهاج النووي للشمس الرملي وكلهم شافعية فصار كثير منهم أفقه من طائفة العلم الرسميين .

ولم اخص الرجال دون النساء بل ارسلتُ الى نساء القرية من يدعوهن الى درس خاص بهن في دارنا القديمة فكنت ألقى اليهن القول في العقائد وأحكام الطهارة والعبادات بعبارة عامية سهلة بدون كتاب وألزمتهن تغيير ذمهن في اللباس بما هو استر وأظهر بحيث تكون المرأة في الشارع كما تكون في حال أداء الصلاة وكان أكثر نساء القلمون تاركات للصلاة فصرن يصلين وحسنت حالهن في النظافة وفي معاشره أزواجهن .

وأما نساء أهل بيتنا (بيت المشايخ) فكان كلهن يصلين ويعرفن أكثر واجبات الدين وسننه وزيتهن في الدار وفي الخروج كركي المحتجبات من أهل المدن على نفوق في الدين والادب . وكان فيهن المتعلمات بقدر ما يسمح به ذلك الزمان فقد ادركت عمه والذي نقرأ القرآن وسبق ذكرها وذكر غيرها . ثم كثرن في عهدنا بما لا حاجة إلى بيانه . على أنني كنت أقرأ لهن بعض كتب الادب أو التاريخ أو الوعظ في ليالي الشتاء .

ولا انسى ليلة كنت اقرأ فيها خبر مقتل سيدنا وجدنا الامام الحسين السبط عليه السلام وعلى قاتليه اللعنة ولهم سوء الدار فكنت ابكي وتبكي عمي الكبرى ونقول لي : تجلد فإن القاريء لا ينبغي له البكاء

وأما المواعظ التي كنت أقيمها في المسجد فكنت أعتمد فيها على القرآن وقد وفقت لاستحضار الآيات الكثيرة في الموضوع الواحد من ذلك العهد ثم على كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر « للشيخ احمد بن حجر الميثقي » الفقيه الشافعي فكتابه هذا خير كتبه ومنه عرفت بدع البناء على القبور وتشريفها ووضع السرج عليها أنها بدع ضلالة لعن النبي (ص) فأعليها وقد نقل فيها عن بعض الفقهاء وجوب هدم القباب التي تبنى على قبور الصالحين واقره . وقد كان أهل قريتنا يتبركون بقبر السيد محمد القصيباتي المشهور بالولاية . وهو الذي قال لي شيخنا أبو الحسن القاوقجي عند تلقينه إيانا المسلسل بالاشراف انه من ذريته وان أصلهم منا وهذا مذكور في سلسلة نسبه الذي تراه في مقدمة كتابه « اللؤلؤ المصروع » وقد كان لقبر القصيباتي المبني في مقبرته مشككتان كان النساء يضعن فيها الشمع ويوقدنه ليلا فنمتن منه .

وكن بوقدن الشمع أو السرج في عايقة على شاطئ البحر ويربطن عليها خرقة من طالبات الاستشفاء أو غير ذلك لانه اشهر ان هنالك ولياً اسمه محمد زكاً هو جد أهل بيت 'يسمى بيت زكاً'، فنعت هذا أيضاً .
وكان في أرض القربة على بعد بضعة دقائق مجرى ماء للمطر يسمى وادي الولية وفيه شجرة زيتون كبيرة تسمى زيتونة الولية كان كثير من المارة يتبرك بها لما اشهر من أن هناك ولية مدفونة وبجانبها شجرة آس كبرت وارتفعت ولم يرتفع غيرها من الآس في تلك الأرض على كثرتهم لانهم يقلعونها دائماً للوقود فامرت رجلاً ممن كانوا يحضرون درسي فقلعها ليلاً ولم يصب بشيء كما كانوا يتوهمون .

كل هذا قد كان مني وانا طالب للعلم ولم اكن رأيت شيئاً من كتب الامام المجدد شيخ الاسلام ابن تيمية ولا من كتب تلميذه المحقق ابن القيم بل كنت رأيت طعن ابن حجر هذا عليه في كتابه «الفتاوى الحديثية» وكنت أصدق ما فيها ثم رأيت في طرابلس كتاب «جلاء العينين في محامدة الاحمدين» للعلامة خير الدين الألوسي البغدادي ابن الشهاب محمود الألوسي المفي المفسر فعلمت منه ان طبقة ابن تيمية أعلى من طبقة ابن حجر الهيثمي ومن فوقه من العلماء بمراحل . ثم ظهر لي أن الهيثمي هذا طعن على شيخ الاسلام ولم يكن رأى شيئاً من كتبه وانما بلغه عنه مبالغته في الانكار على تأويلات المتكلمين لايات الصفات وأحاديثها وطعنه على الشيخ محيي الدين بن عربي وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمساني والرومي القائلين بوحدة الوجود . وكان الهيثمي هذا مفتوناً بالصوفية حتى غلبتهم كمحيي الدين (وقد سبق تحقيق القول فيه) .

وكان أشعرياً مقلداً يدين بتأويلات المتكلمين لآيات الصفات وأحاديثها بما يخالف مذاهب السلف والمحدثين لانه كان قليل العلم بالاحاديث وآثار السلف . وقد أنصف الالوسي فيما كتبه من تاريخها فليرجع اليه من شاء .
واما الوهاية فلم اكن اعرف عنهم شيئاً وانما كنت أسمع من الناس انهم مبتدعة ربطوا خيولهم في مسجد النبي (ص) وأول كلمة حق وقفت عليها في شأنهم لعلماء سوربة كلمة مفتي بيروت العلامة الشيخ عبد الباسط الفاخوري في كتاب « تحفة الأنام مختصر تاريخ الاسلام » وانما عرفت تاريخهم بالتفصيل في مصر بعد هجري اليها .

على ان هذا التاريخ طبع بعد هجري أيضاً . وقد كان من جرأة مؤلفه نشر نص دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب الى التوحيد وقوله فيها انها عين ما دعا اليه الانبياء والمرسلون وكان ذلك في زمن السلطان عبد الحميد اذ كان بعد الوهابيين اعداء له غير خاضعين لسلطانه .

* * *

هذه خلاصة تاريخ نشأتي العلمية والدينية واكثر ما دونته فيه إن لم يكن كله معروفاً لبعض الاحياء في وطني من اترابي ومن هم أسن أو اصغر مني وكان في جملته إعداداً من الله تعالى للمستقبل الذي اقامني فيه بفضلله وكرمه .



الارتار القاصية

من نظم ونثر وتصنيف

نظم الشعر

ذكرت في فصل استعمادي ما كان من اشتغالي بمطالعة بعض كتب
الادب والتبصوف من قبل طلب العلم وانه كان بمحض الميل الفطري
واللذة العقلية بدون ارشاد ولا تكليف من أحد ولا بقصد مني إلى غاية
ولا منفعة مستقبلية وانما رأيتني بعد تعلم مبادئ القراءة والخط في القرية
غير مطالب بعمل دينوي في بيت فيه كتب ومبلي للعب مع الصبيان
قليل فلبس أمامي شيء إلا هذه الكتب أتلاذ بمطالعتها وكان والدي
يرجي ويسوف في وضعي في بعض مدارس المدينة (طرابلس) خوفاً على
أخلاقي وآدابي أن تفسد بمباشرة أهل المدن كما تقدم فينتظر ان يرى
من رشدي ما يطمئن به عليّ وكان عمي السيد محمد كامل (والد السيد عبد
الرحمن عاصم) يمكنه أن يقرأ لي شيئاً من النحو والصرف اذ كانت صلتني
به أقوى من صلتني بكل أحد ولكنه لم يفعل . وكان الشيخ محمود النصري
زوج عمتي (وهو جد السيد عاصم لامة) يمكنه ذلك ولكنه عين قاضياً
في محكمة الكورة العدلية وعهد به بقرأ النحو لعمي هذا ولابن عمه
السيد محمد كمال فلما جاء دوري أنا ومن في سني من الامرة شغل بالقضاء .
أول ما ظهر من تأثير كتب الادب وحفظ الشعر في نفسي نظم
الشعر في حالات تعرض لي وكان منها قصيدة في دعوة خادعة الى أكلة

حلوى وصفت بها الداعي ومساوي داره وقد كتبته خلافاً لما كان يعرض لي من مفردات ومقطوعات وظلت عندي في مسودتها إلى أن تعلمت فرايتها صحيحة الوزن والاعراب . ولم أكن اذكر ذلك إلا للاتراب من أمثالي . وكان أول من سمع نظمي من أهل العلم الاستاذ الشيخ احمد عبد الجواد القاياتي (والد المرحوم الاستاذ الشيخ مصطفى القاياتي أحد خطباء الوفد المصري) اذ كان هو وشقيقه الاستاذ الشيخ محمد القاياتي ممن زارونا بالقلمون من أفاضل المصريين الذين نفوا إلى سوريا عقب الثورة العربية . واتفق أن صار يكلمني ويبحث معي فاسمعت أحياناً كنت نظمها فقال لي : « بدايتك نهاية غيرك » ولا شك انه قصد بهذه الكلمة الترغيب والتنشيط وانه مع ذلك استكثر ذلك النظم الصحيح المعنى واللفظ المستقيم الوزن ممن لم يقرأ شيئاً من الصرف ولا من النحو فضلاً عن العروض وقرض الشعر .

ذكرت في الكلام على نشأتي العلمية انني كدت أشتهر بالشعر في السنة الاولى من دخولي المدرسة الوطنية (وهي سنة ١٢٩٩) وذلك انني بلغت وانا في المدرسة أن نسبنا الاستاذ الشيخ محمود النصري الذي ذكرته آنفاً قد توفي فذهبت في المساء الى القلمون وفي اليوم الثاني جاش في صدري ان أرتيه فنظمت مرثية طويلة قرئت بعد ظهر اليوم الثالث في حفلة التأبين بمسجدنا وقد حضرها كبار علماء طرابلس ووجهائها اذ جاؤوا لتعزية والدي وصائر الاسرة . وكانت قارئها حسن الصوت واللقاء وهو السيد محمد العشي من أشراف القلمون فلما خلوت باستاذنا الشيخ حسين الجسر بعد الحفلة قال لي : هل المرثية التي انشدت في المسجد لاستاذنا

الشيخ عبد الغني الرافي ؟ قالت : لا . قال : ان هي اذا ؟ فنجلت ان
اقول انها لي بعد أن ظن انها بحسن انشادها لاديب العلماء العلامة
الرافي وقد تقدم ذكره . ففطن مما ظهر علي من الخجل والسكوت انها
لي وقال : أنقول انها لك ؟ اذا أنتحك . ثم طلبها فني مخطوطة وكان
يقرؤها في كل مجالسه الادبية ويقول انها لفلان الذي دخل المدرسة في
هذه السنة . فشم رني تشهيراً أخجلني من الناس الذين كانوا يذكرون لي
تبجحه بي . واني أذكر منها ما يعلم به انها كبيرة علي في ذلك العهد
صغيرة في نفسها وهو :

هو المذون فقصر دونه الأمل لا حول للخلاق منه بالغلاص ولا
ولا تفرأ لك الدنيا بزخرفها فإنها كخيال عند من عقلا
أو كالحشيم إذا ما الذاريات أنت تذروه قد ضرب الرحمن ذا مثلاً
ومنها :

يا نائمًا وصروف الدهر توقظه إن كنت في غفلة فالله ماغفلا
وأنت يا ذاهلاً عما يراد به مؤذن الموت نادى الناس : حي علي

فهذا أسلوب وعظما ويشبهه أسلوب مدح الفقيد . وأما معانيها فهي تقليد
للمألوف في المراثي من المبالغة في المدح بما يقصد به حسن اللفظ ومناسبة
لصنف الممدوح ومركزه الاجتماعي دون مطابقتها للواقع أو عدمها .

ثم إنني في أثناء طلب العلم رثيت من توفي من كبار علمائنا وأصدقاء
والدي بل أصدقاء بيتنا بما هو ارقى اسلوباً وأقوى مناسبةً وأصح معنى
وفي مقدمتهم شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابه والاستاذ الاكبر الشيخ
عبد الغني الرافي والمرشد الاكبر الشيخ ابو الحسن محمد القاوقجي وقد

تقدم ذكرهم في هذه الترجمة وكذا العالم المرشد الشيخ عبد الرزاق الرافي
والشيخ عبد القادر الميقاتي إمام الجامع الكبير في طرابلس ومرثية هذا
نظمت في ساعة وقرئت عقب دفنه وسائر تلك المراتي اشدها في
حفلات التأبين في الجامع الكبير في اليوم الثالث للوفاة او للعلم بها فإن
الشيخ عبد الغني والشيخ القاوقجي توفيا في الحجاز ودفنا في مكة المكرمة .
ولم أرث من وجهاء الدنيا إلا الأير احمد حسان الايوبي^(١) من
سروات الكورة (في جبل لبنان) رثيته باسم والدي : قال لي عندما جاءه نعيه
سنة ١٣٠٩ : يا بني هذا أكبر وجهاء الكورة وسيحضر حفلة اليوم الثالث
والسابع له كهراء البلاد من المسلمين والنصارى ويؤثرونه وعلاقة أمرتنا
باسرته قديمة وقوية فيجب أن ننظم له مرثية ننشد وتكون بها ...
فنظمت المرثية الدالية التي اشتهرت حتى كادت تذكر مع مرثية المعري
الدالية في فلسفتها ومرثية الشريف الرضي الدالية في تعظيم قدر المرثي
بها . وقد قلت في مطلعها :

ان النية غاية الميلاد والنعمش مثل المهد للاولاد
والله قد يرا الخلائق للبقا بعد الفنا وزيارة الأحاد
والموت باب النشأة الاخرى لنا وبها كمال الخلق والايجاد

ثم قلت بعد أبيات في وجوب السرور بالموت واستنكار الحزن والحداد
ومضارهما وقبح عاداتهما :

أطبيعة ذا الحزن ليس يشذعن ناموسه فرد من الافراد

(١) الامراء بنو الايوبي في الكورة من جبل لبنان على مقربة من طرابلس

متواتر أنهم من ذرية صلاح الدين الايوبي رحمه الله .

أم ذاك مما أوجبه شرائع الأ - ديان من هدي لنا ورشاد؟
 أم ذلك العقل السليم قضى على كل الشعوب بهذه الأصفاد
 كلا فليس الأمراض لآزب لكنه ضرب من المعتاد
 فاخلع سراويل العوائد إن تكن ليست بنهج العقل ذات سداد
 ونقلد الحزم الشريف كصارم كما تنافع جيشها بجهاد
 فانظر لموت الناس بالعين التي تنو بها لولادة الأولاد^(١)
 هاتيك مبدؤنا وهذا تمدنا طرفان مستويان للنقاد
 بل آخر الطرفين خيرهما نخذ بالاعتبار به والاستعداد
 ومنها في وصف الامير ووصف جنازته :

قد جاءه هذا الحمام فلم يكن إلا كبعض الضيف والقصاد^(٢)
 لم يرض إلا نفسه منه قرى فسخاها فاعجب لذي الإرقاد

(١) ما قرأت هذا الشعر إلا تذكرت النكتة التي رواها ابن خلدون في مقدمته
 وهو انه أنشد ابو القاسم بن رضوان مرة هذا البيت لابن النحوي أمام ابي العباس
 ابن شعيب وهو:

لم ادر حين وقفت بالاطلال ما الفرق بين جديدها والبالى
 فقال ابن شعيب هذا شعر فقيه . فقيل له : ومن أين عرفت ذلك ؟ قال من
 قوله : ما الفرق . فان هذا من اساليب الفقهاء لا من اساليب الشعراء . وانا اقول
 من قرأ هذه المروية علم انها شعر حكيم متصوف وهي من نمط شعر المعري كما قال
 ناظمها .

(٢) كان في دار ضيافة الامير احمد حسنة في عهد عنزه مائة فراش ومائة
 لحاف و ١٠٠ أو ٢٠٠ مخدة (هذه الحاشية في الاصل) .

وقفني الأمير وما قضى إحسانه بل ظل كالاطواق في الاجياد
خفت به زمر وسار كشأنه بمواكب الاعراس والاعياد
ذلعا على الاعناق لاعتقاً كما قد كان اذ يعلو منوت جياد
وسريه المرفوع افصح منشدأ (أعلمت من حملوا على الاعواد)
ما ذاك إلا البدر امسى آفلاً (أرأيت كيف خبا ضياء النادي)

و كنت اكره المدائح والتهاني الشعرية ولكنني لاشتتهاري بالشعر كنت مضطراً الى إرضاء بعض خواص الاصدقاء بشيء منها : فمنها الموشح الذي هنأت به صديقنا عبد الحميد بك الرافعي اشعر شعراء طرابلس بزفافه وكان ذلك في حياة والده الاستاذ الاكبر الشيخ عبد الغني الرافعي ونشرت نموذجاً منها في المجلد ٣٠ من المنار في الكلام على العيد الذهبي لعبد الحميد المهنأ^(١).

(١) السيد عبد الحميد الرافعي كان كما قال الاستاذ اشعر شعراء طرابلس الشام ومن اشعر شعراء العرب في هذا العصر وقد احتفلت طرابلس بعيدة الخمسيني وذلك من ثماني سنوات ودُعيت الى إرسال شيء الى تلك الحفلة فقلت:

إياك في الشرق أن تعدو طرابلساً إن كنت تبغي كرام الانس والانس
وحجج منها لقضاء الهدى حرماً أمناً وجاور لأرباب النهى قدساً
مدينة جادها البارئ برحمته من الخصائص ما عن غيرها حبساً
لم يكفها بحرها العجاج بل جمعت من أهلها أبحراً في شطه جدساً
أكارم بهم بانث طرابلس مصرأ بقعر عنها كل ما يَبَساً
إشارة إلى قول المتنبي:

(أكارم حسد الارض السماء بهم وقعرت كل مصر عن طرابلس)

ثم انني بعد الاطلاع على شؤون الاجتماع وسياسة العصر بتأثير مجالس
المرحوم الوالد مع أصدقائه وقراءة الجرائد التي كانت تأتيه (وعنده
وجدت بعض أعداد جريدة العروة الوثقى) ثم بتأثير صحة استاذنا العلامة
الشيخ حسين الجسر ومطالعة المجلات العلمية كالمتطف والطبيب مالت
ثم أقول :

ناهيك بالرافعيين الذين لهم	من المآثر ما يستنطق الخُرُما
الرافعين من الاعلام أرفعها	والخافضين من الاعداء مارأسا
لقد رعوا تلمعات انجد اجمعها	وجدوا من دروس العلم ما درسا
وآثروا من أيادي الفضل ما قربت	ثمارة ومن العلياء ما قصا
ساروا على اثر الفاروق جدهم	ولن يضلّ الذي من نوره اقتبسا
مثل السيوف المواضي في ضرائبها	صفاً اقيمت لشرع المصطفى حرما
وكل ذي أدب يبغى الكمال فمن	عبد الحميد بروم الاذن ملتصبا
الشاعر الفذ لو جاءت قريحته	تعارض العارض المخطا ل ما انجسا
تغدو عذارى المعاني قيد خاطره	وطالما امتنعت عن غيره شمساً
من معدن كله صافٍ ولا عجب	من تلمك النفس تلقى ذلك النفساً
إني أقول وخير القول مجمله	لو جاء في عصره الكندي ماندا
هذي طرابلس الفيحاء حافلة	تختال في حال من عيده وكُسا
عيدٌ لخمسٍ حولاً قد تنجزها	في خدمة اللغة الفصحى صباح مسا
وقد آتت غربي أني أرى وطني	وان أشاهد فيه ذلك الغرُما

وقد ارسل الي السيد عبد الحميد الرافي رحمه الله كتاب شكر أطال فيه من
اجل هذه الأبيات وتوفي بعد عيده المذكور بسنتين او ثلاث رحمه الله تعالى
وهو من انجال الشيخ العلامة الاستاذ عبد الغني الرافي الذي سبق ذكره .

نفسى لادخال المعاني المصرية في الشعر فكان مما نظمته في ذلك القصيدة التي سُميت (قصيدة الجاذبية) وقد نشرت أحياناً منها في المجلد الاول من المنار والقصيدة الجمالية التي خاطبت بها السيد جمال الدين الأفغاني في السنة التي جاء بها الامتانة ثم نشرتها في المجلد الثاني من المنار والقصيدة الشرقية التي عابت بها الشرق على تأخره عن الغرب .

وكان آخر ما نظمته من الشعر (المقصورة الرشيدية) التي عارضت بها مقصورة ابن دريد وكان سبب نظمها اقتراح صنوي وزميلي في طلب العلم ومذاكرات الادب الشيخ عبد القادر المغربي أن أنظم مقصورة اهنته فيها بزفافه فنظمت مائة بيت ونيفاً ^(١) ثم بدا لي أن أتمها في معارضة الدريدية بإيداعها معاني كثيرة من فلسفة هذا العصر وفنون الادب والاجتماع المناسبة له ولا سيما الإصلاح الاسلامي الذي وقفت كل حياتي على السعي له ثم هاجرت الى مصر لاجله فزادت على اربعمائة بيت ، وقد ذكرت شواهد منها في حواشي اسرار البلاغة في طبعته الاولى سنة ١٣١٧ فلما قرأها محمود سامي باشا البارودي كبير شعراء العصر أعجب بها

(١) كتب إلي الاخ العلامة الامتاز الشيخ عبد القادر المغربي الذي أصل نظم هذه المقصورة كان في موضوع تهنئته بزفافه بقول : إني مرسل اليك صورتها عن النسخة التي عندي بخط السيد رحمه الله وهي ١٢٩ بيتاً قرأها بنفسه ليلة الزفاف في طرابلس الشام في ملأ من الناس فيهم شيخنا العلامة حسين الجسر وذلك سنة ١٣١٥ في شهر ربيع الاول وسافر هو الى مصر في شهر رجب من تلك السنة وقد وصف حكاية نظمه لتلك المقصورة في كتابه « المنار والازهر »

وسألني عنها فأشددته بمضما ففضاها على الدريدية وطالبني بطبعها أو نسخها له . ثم ذكرت شواهد أخرى منها في طبعته الثانية ونشرت في الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام ما زدت فيها بعد وفاته من خطته الاصلاحية في الازهر وما تم له منه (وهو في ص ٥٦٧ و ٥٦٨) ثم نشرت في ص ٩٧٨ الى ٩٨٢ ما قلته في دعوة السيد جمال الى الاصلاح ووصف اعماله في مصر . ونقدم في الفصل الذي قبل هذا بعض القصة الغرامية التي فيها .

وقد أنشدت محمد حانظ بك ابراهيم هذه القصة كلها وأيائنا أخرى فقال : ان القافية تساعدك على هذا التطويل مع المتانة ولو انك تظهر بنظم الشعر لما كان لنا الا أن نعكف على كتب الفقه نشتغل بها . وعسى ان أجد فرصة أشرح فيها غريب هذه المقصورة واطبعها . ولا أحب ان يؤثر عني من الشعر غيرها إلا أن أجد مسودة القصيدة الشرقية وانقحها والقصيدة الميمية التي مدحت بها السيد جمال الدين الافغاني في حياته وهي لا تستغني عن التنقيح وإن كانت منشورة في المجلد الثاني من المنار وكذلك مرآتي العلماء رحمهم الله تعالى على انها كلها باكورة تلمهذ لا مقصودات خنذيد .

وأذكر من صفة ذوقي للشعر أنني كنت أكره منه المتكلف والمجون وما يقرب منه من وصف الشهوات وما هو صريح في التذكير بها حتى أنني نشرت في المنار قصيدة الاستاذ الكبير الشيخ محمد محمود الشنقيطي البائية فاستبدلت منها بكلمة (المخلخل) كلمة (الزوائد) فعاتبني عتاباً شديداً ولم يقبل عذري بذوقي ووجداني ولكن . الاستاذ الامام عذرنى في هذا وكان أكثر

ما في خزانة الادب لابن حجة الحموي من الشواهد على أنواع البديع مما
يمجّه ذوقي خلافاً لادباء بلدنا كلهم^(١).

(١) الاستاذ المترجم مصيب الى الغاية في استهجانهِ التصريح بالسوءات والالفاظ
التي تنبؤ عنها الاسماع وما إلى ذلك من التخيلات الشعرية المخالفة للآداب الاجتماعية
وهو مذهب شريف لم نجد ذا ذوق سليم وعقل قويم بنازع فيه وإنما حاد عنه كثير
من ادباء العرب وشعرائهم وأورثوا الادب العربي موضع ضعف ومجال انتقاد بحق
حيث اننا نقرأ كثيراً في كتب الاجانب من تعيير هذا الاسلوب الممجوج الذي
بكثرت في كتب العرب ولا نقدر إلا ان نوافق على هذا. ومن غريب الامور ان
الافرنج والعرب في هذا الموضوع على طرفي تقبض فالافرنج يتحاشون القول
ويجيزون العمل والعرب يتحاشون العمل ويجيزون القول ولقد سبقت لي كتابة
في جريدة الشورى في هذا الموضوع ذكرت فيها ان الافرنجي مثلاً لا يمكنه ان
يذكر في مجلس او يكتب في كتاب أو جريدة لفظة بارزة عن ظل الادب حتى
انهم في المجالس التي تكون فيها السيدات يتحاشون ذكر أي شيء من اعضاء
البدن المستورة فضلاً عن السوءات والعورات ولكنهم بمقابلة ذلك يستخفون
بعقد المآزر في الحمامات ولا يتسترن التستر الكافي عند الاغتسال وهذا بخلاف
العرب الذين يمتاط كل انسان منهم اشد الاحتياط في ستر ما يجب ستره من بدنه
ولو كان منفرداً فكأنه يخجل من نفسه إن لم يكن غرباء يخجل منهم ولكنه من
جهة ثانية قد تجده يتلفظ بالاسماء والافعال التي إذا احتاج الأوروبي الى التلطف
بها لاذ فيها بالمعاريض وعدل إلى التورية وهو مذهب يجب ان يكون عاماً وقد
كنت اسمع استاذنا الشيخ محمد عبده ينتقد بشدة استخفاف بعض الناس
بالادب اللفظي في مجالسهم وكتاباتهم والسيد المترجم هو في هذا على مشرب
استاذ.

قسم المنشور من الخطب والمقالات والرسائل الشخصية

انني لم أكتب شيئاً بقصد المرون على الكتابة وتكلف الإنشاء ولم يكلفنا استاذنا الجسر في المدرسة الرجبية شيئاً من ذلك إلا مرة واحدة كتب كل واحد من المحصلين خطبة في الموضوع الذي اختاره فأنشأت خطبة وعظيمة مسجعة لم أحفظ صورتها لأنني تكلفت فيها السجع وهو مما يكرهه ذوقي^(١) .

وكنت أنتقد خطب الجمعة المدونة ولما عرض لي أن أخطب في مسجدنا أنشأت عدة خطب سميت الأولى منها الخطبة الحديبية وأذكر انني بدأتها بعد الحمدلة والشهادتين والصلاة على الرسول (ص) وآله بما حاصله : اننا .عشر المسلمين نفتخر دائماً باننا امة محمد خاتم النبيين (ص) فأما امة دعوته فهم جميع البشر وانما يحق الفخر لامة الاجابة منهم . ثم طفقت اقول : هل تدعي اجابة دعوته يا تارك الصلاة وقد لعن تاركها صراحاً وقال « من ترك الصلاة فقد كفر جهاراً » . هل تدعي اجابة دعوته يا مانع الزكاة وقد قال كيت وكيت ؟ هل تدعي اجابة دعوته يا تارك كذا . من الواجبات ويا فاعل كذا . من المعاصي الخ ؟ .

ولما أنشئت جريدة طرابلس برأي شيخنا الجسر ونظره وكان هورئيس تحريرها غير الرسمي رغبتنا بان ننشيء مقالات بنشرها لنا فيها نتمرن بها على الإنشاء العصري وخصني بالذكر فكتبت مقالاً في فلسفة الأخلاق نشره في اعداد متفرقة ولقبني عند ذكر اسمي في عنوانه « بالاديب

(١) كان السيد المترجم يكره تكلف السجع ولكنه كثيراً ما يستعمل السجع إذا جاء عفواً بدون تكلف .

الأريب» ولكن كان من تأثير المقال أن فضله الناس على كل ما ينشر في الجريدة لغة وموضوعاً وانتقدوا عليه تفريق المقال وعدم إعطائي لقب (عالم) على كونه كان يشهد لي هو وغيره وقفتُذِ باني صرت عالماً حتى انه ذكر لي هذا الانتقاد عليه وانه اجاب عنه بانه خشي أن يعد هذا منه فخراً وتبجحاً بأولاده!! وكان أغرب ما سمعت باذني في شأن هذا المقال أن كنا في (متنزه التل) مع جماعة من العلماء والادباء فذكروا من الانتقاد على الاستاذ انه فرقه في اعداد غير متصلة على ما كان من استحسان الناس له والرغبة في قراءته متصلاً . فقال الاستاذ الشيخ صالح الراجحي وهو تلميذ استاذنا الشيخ حسين الجسر وابن اخته معندراً عنه : ان رشيد افندي كتب هذه المقالة بقلم أعلى من قلم الجريدة والشيخ (يعني خاله) يتحرى في مقالاته العبارة البسيطة القريبة من أفهام العوام ففرق المقالة حتى لا يظهر علو قلمها على قلم الجريدة . فعجبت وعجب الحاضرون من جواب الشيخ صالح وحربته الغريبة فيه وهو الذي قال فيه استاذي واستاذاه المذكور : انه لم يأخذ احد من أولادي افكاري السياسية الا صالح ورشيد . وقد نشرت هذا المقال في العدد الرابع من سنة المنار الاولى فليقرأه من شاء .

وكتبت قبله مقالة موضوعها « الشرف » لم انشرها وانفق ان اجتمعت في طرابلس بالخواجه اسكندر بك كاستفليس زعيم النصارى ووجههم فيها . وكان قنصلاً لدولتي روسية والمانية معاً - فاتفق أن ذكر معنى في الشرف عده عالماً او طريفاً وكان مما تضمنته مقالتي فذكرت له ذلك وأخرجت المقالة من جيبى وقراءتها له لثلاثا بتهنئي فأحب ان يسمع المقالة كلها

فقرأتها له . فقال لي : كيف تكتب مثل هذا وتخفيه ؟ أعطني هذه المقالة لأرسلها الى يهود وأشرها لك في جريدة لسان الحال . فاعتذرت له بانها تحتاج الى تنقيح فقال : اننا لما كنا في سنك كنا نضحي أنفسنا لاجل الشهرة والظهور فيما هو دون هذا .

وإنما امتنعت لان موضوع المقالة كان في بيان آراء الناس في الشرف وغلط كل فريق منهم والحكم بعد ذلك بان الشرف الصحيح او الرفيع هو ما يثبته الدين من التقوى والفضيلة . ذكرت هذا مجملًا ورأيت ان الكلام لا يكون ناقضًا لتلك الأغلاط التي حكمت بها على اللائذين بالشرف الوهمي الا إذا كان مفصلًا بعض التفصيل ببيان كليات الشرف الرفيع فاخرته لادرس هذه الكليات ولم 'يتح لي ذلك في تلك الايام كما كنت أريد .

وأما المکتوبات^(١) الشخصية فلا أذكر انني حفظت صورة مما كتبت

(١) كان الاستاذ المترجم يجمع مکتوباتاً على مکتوبات بحجة ان مفعولاً لا يجمع على مفاعيل إلا في الفاظ معدودة . ولقد خالف هذه القاعدة كثيرون من كتّاب العرب وتسامحوا في هذا الجمع ولا تزال المسئلة تحت البحث وقد سألت بعض من أثق بعلمهم في العربية عن آرائهم في هذه المسئلة فأجابني منهم السيد نبي الدين الهلالي المغربي بما يلي : الوصف المضاهي لمكتوب في الوزن ان كان لعاقل وجب جمعه على مفعولين قال تعالى : (انهم طم المنصورون) وقال تعالى : (أننا لمرءودون) وهو في القرآن كثير . فان كان لا يعقل جمع بالالف والتاء كقوله تعالى : (وأذكروا الله في أيام معدودات) . وقال تعالى : (الحج أشهر معلومات) وعلى هذا يتبين ان الصواب ما قاله السيد رشيد من جمع

منها قبل هجرتي إلى مصر وهو قليل الا كتابي التاريخي الذي ارسلته من طرابلس الى حكيمننا السيد جمال الدين الافغاني في أثر مجيئه الى الاستانة وما زالت صورة مسودته معي الى ان نشرتها في المزار ثم في ترجمة السيد جمال الدين وعلافتي به من تاريخ الاستاذ الامام (راجع الجزء الاول منه

المكتوب على مکتوبات وأصاب الشنقيطي في اعتراضه على من جمع مشهوراً على مشاهير . ولكن العرب قد جمعت مشروفاً على مشائيم ووردت ألفاظ أخرى مثله وذلك نادر لا يقاس عليه اه .

وأما السيد مصطفى جواد العراقي فاجاب بما يأتي : جمع مفعول على مفاعيل لما لا يعقل جائز مطلقاً - كما ذكرتم حفظكم الله - وجائز عندى للكل من غير استثناء . وما انتحله المانعون له لا اصل له ولا علة فان كان صورة الجمع هي المانع فلماذا قالوا للانسان : « مساميح ومحاوليج ومذابيع ومساعير ومساكير » ؟ واذا ذكر ان بعضهم كان اذا احتيج لزمه ذكر كلام الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلته من ان « مفاعيل » جمع تكسير وجمع التفسير لا يعمل بل العمل لجمع التصحيح . وهذا من أوهام الشيخ فان جمع التفسير يعمل كالجمع الصحيح ابدأ ومنه قول الجاهلي :

وقوفاً بها صحي علي مطيعهم يقولون لا نهلك أمي وتحمل.

فان « وقوفاً » جمع « واقف » اسم فاعل من « وقفه يقفه » و « مطي » مفعول به له . وقد نص على أعمال جمع التفسير الزمخشري في المفصل والشواهد على ذلك كثيرة . ولم يتصد احد لليازجي وبأخذ عليه هذه الغلطة الكبيرة - فيما أعلم - حتى بقي التعداد حتى يومنا هذا بعيدون كلامه تمزناً به . وكل انسان يخطأ اه . وعلى هذا يكون جمع مكتوب على مكاتيب جائزاً .

صفحة ٨٤) وفيه ذكر ما كان له من الوقع الحسن عنده وكتاباً آخر أرسلته من طرابلس إلى الشيخ سعيد أباس في يهروت عقب تلاقينا فيها ذكرت فيه وصف الصديق ومن يستحق هذا اللقب وشكوت إليه فيه أسراً الشكوى من افتتان المسلمين بالالقب الرسمية أو العرفية الخادعة والفخفة الباطلة واعراضهم عن الكمال الحقيقي بخدمة الأمة . وأذكر اني نشرته أو ذكرته في المنار .

شهرتي بالادبارة في الكتابة

على انني على قلة ما اطلع عليه الناس من آثارى القلمية قد اشتهرت في وطني بانني كاتب مجيد . ولما زار الاستاذ الامام طرابلس سنة ١٣١٢ على ما أرجح قال الاستاذ الشيخ خير الدين الميقاتي لرفيقه احمد فتحي زغلول إن السيد رشيد أفندي أبلغ كاتب عندنا ولا يعدله استاذاً في الانشاء إلا فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده أفندي . فقال له فتحي : كذلك الكتاب المجيدون عندنا في مصر يعترفون بانه لا استاذ لهم في الانشاء الا الاستاذ أو السيد جمال الدين (راجع ص ٩٩٦ من تاريخ الاستاذ الامام) وقد أخذ الشيخ خير الدين قوله هذا من كثرة تنوبي بالاستاذ الامام وبامتازة السيد جمال الدين الافغاني حكيم الاسلام ولكني لم أكن افكر في أنني كاتب مجيد ولا في ان لي استاذاً في الانشاء .

والحق ان الروح الذي نفخته العروة الوثقى في نفسي كان له أقوى تأثير في اسلوب كتابتي في موضوعات العروة وغيرها . ولم يكن لمقامات الحريري أدنى تأثير في ذلك وان كان أسناذنا الجسر كلفنا حفظها وكان

بقرؤها درساً لنا لاجل ذلك وقد حفظت خمساً منها وأذكر انني كلمته مرة في ذلك بل ناقشته فيه^(١) :

قلت له ان أسلوب المقامات ليس اسلوباً عريباً في التعبير عن المقاصد وإنما هو أسلوب مصنوع جل فائدته حفظ الكثير من مفردات اللغة فمثلها كمثل من بني داراً فيجعل فوق بابها نقشاً جميلاً بمجبب الناظرين بدقة صناعته في نقشه وألوانه ولا يمكن ولا يليق أن يجعل جميع حجرات الدار ومرافقها بهذه الصفة وانه لخير لنا أن نقرأ لنسا في مكان المقامات الجزء الثالث من إحياء العلوم فاسلوبه بليغ في النثر المرسل ، ومباحثه العلمية والدينية أهم وأنفع من مباحث مقامات الحريري ، فلم يقبل رأيي هذا ، فقلت له : واني أرى مقامات البديع^(٢) أنفع لنا في الاستعانة على ملكة الإنشاء

(١) لسنا على رأي الاستاذ المترجم في هذه المسئلة بل نحن فيها على رأي استاذه الشيخ الجسر فان حفظ النثر كحفظ الشعر ضروري لمن يعاني صناعة الادب وانه لا يعرف الطالب مفردات اللغة الا من محفوظه وكما حفظ عن ظهر القلب من النظم والنثر اتسعت افقته وانفسحت طرق التعبير أمامه وقد يتردد الاديب في صحة لفظة فيريد أن يراجع كتب اللغة ليريح عنها فاذا تذكرها في ما يحفظه من كلام الثقات استغنى عن المراجعة . ومقامات الحريري هي من المنثور الذي حفظه يساعد الاديب كثيراً على حفظ مفردات اللغة .

(٢) لاجدال في ان البديع المحدثاني أعلى درجة في الإنشاء من الحريري على فحولة هذا وكونه من أئمة النثر العربي . ومنزلة بديع الزمان على الحريري هي عدم التكلف وان الفرق بين الاثنين هو كالفرق بين الكحل والتكحل . واني ارى مفيداً جداً تحفيظ طلبة الادب من مقامات البديع ورسائله ، وقد كنت من عهد

العربي من مقامات الحريري لأنه أسلوب عربي لا تكلف فيه فلم يقبل هذا . مني أيضاً . ثم انني في أثناء المذاكرة مع الاستاذ الامام في الادب والكتابة بمصر ذكرت له ما دار بيني وبين استاذي الشيخ محمد الجسر وسألته عن رأيه فيه فقال : « انك أنت المصيب وان رأيي في الحريري انه هو الرجل الذي أنقذ التكلف » .

وجملة القول انني كنت بعد التقدم في طلب العلم أعلم ان جودة المقروء والمحفوظ تفيد في طبع ملكة الانشاء اذ طالعت في تلك الاثناء اكثر مقدمة ابن خلدون ولكنني لم أقرأ شيئاً ولم أكتب شيئاً بقصد ان اكون كاتباً كما انني لم أقرأ شيئاً من الشعر لاجل ان اكون شاعراً ولا شيئاً من العلم لاجل ان اسمي عالماً وإنما قرأت كلما قرأت بالهام الله تعالى وما فطرني عليه من حب الادب والعلم لذاتهما أو لما فيها من الجمال المعنوي فالكمال النفسي والعقلي فالاستعداد للقائه تعالى وثبوته في الدار الآخرة وهذا هو الذي غلب علي بعد قراءة الاحياء حتى انني لم أكن أحفظ مع الطلبة ما يحفظونه عند الاستعداد للامتحان السنوي الرسمي لانني كتبت أعدده من طلب العلم لغير الله تعالى كما قلت من قبل وإنما هذه وسوسة لا ينبغي لاحد ان يتبعني فيها . وأما استعدادي لتحرير المنار فيعلم مما يلي :

كتاب الحكمة الشرعية

(في حكمة القادربة والرفاعية)

عرض لي في أثناء طلبي للعلم باعث قوي وحافظ وجداني لتأليف كتاب

— حدثني كثير المطالعة لرسائل بديع الزمان الهمذاني وأبي بكر الخوارزمي أتوا تلك الرسائل المرة بعد المرة الى أن استظهرت كثيراً منها .

كبير في كثير من المباحث الدينية والاجتماعية ذات الشأن العظيم في
الاصلاح الاسلامي فكتبته في اوقات الفراغ بسرعة غريبة فكان هو
التمرن القلمي الوحيد الذي أعدني للاضطلاع بانشاء المنار من حيث لم
أقصد به التمرن ولا الاستعداد لشيء بل بيان ما أعتقد انه الحق الذي
يجب ان يعلم .

ذلك أن الشيخ محمداً أباً الهدى افندي الصيادي المشهور طبع كتباً
كثيرة في الامتانة ومصر وبيروت بث فيها دعاية واسعة النطاق لنفسه
وأهل بيته وللشيخ احمد الرفاعي الصوفي الشهير والمنتمين اليه نسباً وطريقة
تضمن تفضيله على الشيخ عبد القادر الجيلاني وغيره من الاولياء لمباراة
كيلانية بغداد وحماه في الجاه . اذ نالوا بالانتساب الى الشيخ عبد القادر
مقاماً رفيعاً وجاهاً عريضاً في العالم الاسلامي كله .

وقد رأيت في هذه الكتب كثيراً من الاباطيل في الدين والتصوف
والتاريخ فكتبت في الرد عليها مصنفاً كبيراً اسميته بما ذكرت في العنوان
وامتطردت فيه الى تحقيق مسائل كثيرة من الاصلاح .

(منها) أصل التصوف وأطواره وما انتهى اليه عند اهل الطرائق التي
تدعيه في هذا العصر ونقاليدهم وعاداتهم وأزيائهم وما يخالف الشرع منها .
(ومنها) مسألة الزني في الاسلام ما يحل منه وما يحرم وما بكره وما
يباح وما يفضل غيره بمنافعه أو زينته وما ينبغي للمسلمين في الاجتماع
والسياسة من كونهم قدوة . شيوخين لا مقلدين تابعين .

(ومنها) مسألة تشبه المسلمين بغير المسلمين في الامور الدينية وغيرها
من العادات والماعون والاثاث وآلات الحرب وسلاحه ما فيه من مضار ومنافع .

(ومنها) مسألة المهدي المنتظر وما حدث بسبب اعتقاده من الفتن والحروب وما كان ينبغي للمصلحين ان يتوسلوا به الى الاصلاح والقوة بدلاً من الاتكال على ما ينظرونه منه .

(ومنها) مسألة الخطابة التي شرعت في الاسلام للاصلاح العام في السياسة والاخلاق والآداب وما يختلف منها باختلاف الاحوال والاحداث والاطوار فجعلها الخطباء الرسميون تقليداً سورياً كالعادات حتى فقدت ملكتها واكتفى أهلها بأداء الواجب في الجمعة بخطب مدونة يحفظونها حفظاً أو بقرائنها في القرايطيس قراءة غير مؤثرة ولا تكاد تتجاوز موضوعاتها مدح الشهور والمواسم الشرعية والبدعية والتذكير بالموت والتزهيد في الدنيا بدعوى انها منافية للدين أو مضافة له ، وبينت ما ينبغي من الاستعداد للخطابة الارتجالية وجعل الخطب بحسب الحاجة الى اصلاح الامور العامة كلها في الامة والدولة .

(ومنها) مسألة الكرامات حقيقيةها والخلاف في جوازها ووقوعها وأنواعها والحقيقي والصوري منها وما دخل من بابها على الامة من الخرافات والفتن وقد استغرق هذا البحث عدة كرايس كانت مادتنا فيما نشرناه في مجلدات المنار من مباحثها وتأويلها .

فهذا الكتاب الذي يزيد على مجلد كبير من مجلدات المنار كان خير استعداد غير مقصود لتوجه الفكر بعده الى انشاء صحيفة للاصلاح الديني وقد نشرت بعض مباحثه في المنار منذ السنة الاولى ومنها مقدمته التي وصف الاستاذ الامام رحمه الله إنشاءها لما قرأها بقوله « اسلوب رفيع » على ما علم من عاداته في التعبير عما يستحسنه من مقالات الجرائد بكلمته

العرفية المصرية «موش بطل» وكانت هذه الكلمة منه تفيظ الكاتب
البليغ ابراهيم بك الموبلحي عندما يطلقها على بعض مقالاته الانيقة ولكنه
كان اذا بلغ منه الإعجاب مبلغه الأقصى من مقالة قال فيها «طيبة» .
وأذكر انني قرأت هذه المقدمة في بيروت قبل هجرتي الى مصر للعالم
التقي الحر الشيخ مرتضى الجزائري^(١) فبالغ في إطرائها والدعاء لي وقال
ان هذا ليس في استطاعتك وإنما استعملك الله بقدرته (أو الهامه)
واستشهد بحديث: «إذا أحب الله عبداً استعمله» .

ومسودة هذا الكتاب محفوظة عندي ولما يوجد فيها ترميج (شطب)
في منشور أو منظوم لانني اعتدت من أول أمري أن لا اخط الجملة
أو البيت من الشعر الا بعد تمام التصور الذي أراه صحيح اللفظ والمعنى . ولما
اطلع قراء المنار على مقدمته وغيرها مما نشرته منه كبحث الأزياء
والكرامات اقترح علي كثير منهم طبعه وعرضوا علي الاشتراك فيه
فامتنعت لان فيه كثيراً من المسائل الجدلية في الرد على الرفاعية وعبارات
الكتب التي نشرها الشيخ ابو الهدى أفندي مما لا توازي فائدته الدائمة
إضاعة الوقت بتنقيحه ونشره . وقد رجعت عن رأيي في بعض مسائله

(١) السيد مرتضى الحسيني الجزائري هو ابن اخي الامير عبد القادر الجزائري
كان عالماً بترسلاً كاتباً لبث مدة في بيروت وكانت جريدة «بيروت» لعبد القادر
أفندي الدنا تنشر من مقالاته وكان صاحباً متصافواً قانعاً محباً للزلة وكنت أزوره
في الأحياء وصادف انه سكن في بيت يقال له بيت الغول ثم اراد تغيير مكانه
منتقلاً الى رأس بيروت ليشاهد دائماً البحر فوجدوا له بيتاً مرعياً فضحك وانشد:
مازلت في بيروت أثقل غربتي ما بين منزل غولها والمربع

على انني كنت أطلع بعض ثقات العلماء في طرابلس عليها فتلاقي من ثنائهم وإعجابهم ما تلاقي ، الا أن شيخنا الجسر قال لي في بعضها إنها خلاصة قلمية يوشك أن يوجد عند الخصم من تمكنه قوة القلم من الرد عليها بمثلا . وقد كانت صديقنا الشيخ السيد عبد الفتاح الزعبي أخير الزعيمين الكبيرين من آله ^(١) السيد سلمان الكيلاني نقيب بغداد وإخاه السيد عبد الرحمن المحض - خبر هذا الكتاب قبل هجري إلى مصر فطلبه الثاني لطبعه في الهند فلم أسمع بإرساله اليه ليطلع حيث لا أصححه رحمهم الله تعالى ١٠هـ .

هجرني الى مصر

تلك خلاصة ترجعتي وما انتهيت اليه في وطني من تربية صوفية وتعليم

(١) الشيخ السيد عبد الفتاح الزعبي نقيب أشرف طرابلس الشام في وقته هو من فروع الشجرة الكيلانية التي فروعها كثيرة في القطر الشامي ومنها بنو الزعبي الكيلاني في طرابلس الشام وبنو الزعبي الكيلاني في حوران وهم هناك عشيرة كبيرة تبلغ بضعة عشر الف نسمة ومن الكيلانية جماعة في نابلس كان منهم السيد وجيه الكيلاني الذي ارسلته الدولة العثمانية بناء على طلب حكومة اميركا مرشداً لمسلمي جزائر الفيليبين ثم أصابته علة توفى بها بعد رجوعه من تلك الديار وكان صديقاً لي رحمه الله وطالما حدثني عن مسلمي الفيليبين وعمائم فيه من الجهل والافتقار إلى الارشاد . وأما السادة الكيلانية في حماه فإن يتهم الكريم أشهر من أن يذكر ولا يزال فيهم رؤساء تزدان بهم مدينة حماه من قديم الزمان وواسطة عقدهم اليوم هو السيد عبد القادر حسني الكيلاني صديقي ورفيقي في مجلس النواب العثماني ومن امثال الرجال المعدودين في سورية كلها .

استقلالي وآثار قلبيّة وشهرة علمية وأدبية أشعرتني بأنني مستعد لاستزادة من العلم والاختبار لا أجدّهما في وطني وأنني قادر على خدمة ديني وأمتي بما لا تبيحه سياسة الحكومة في بلادني فعزمت على الاتصال بالسيد جمال الدين لتكميل نفسي بالحكمة والجهاد في خدمة الملة كما صرحت به في الكتاب الذي أرسلته اليه وهو في الاستانة فلما توفاه الله تعالى اليه واشتهر أن السياسة الحميدية هي التي قضت عليه^(١) ضاقت عليّ المملكة العثمانية بما رحبت وعزمت على الهجرة الى مصر لما فيها من حرية العمل واللسان والقلم ومن مناهل العلم العذبة الموارد ومن طرق النشر الكثيرة المصادر وكان أعظم ما أرجوه من الاستفادة في مصر الوقوف على ما استفاده الشيخ محمد عبده من الحكمة والخبرة وخطة الإصلاح التي استفادها من صحبة السيد جمال الدين وأن أعمل معه وبارشاده في هذا الجو الحر.

ولما يسر الله لي اسباب السفر ورضي لي به الوالدان رحمهما الله تعالى ورضي عنها كتبت الخبر حتى لا يبلغ رجال الحكومة في طرابلس فأعطيت كل ما أريد حمله من متاع لفرح أفندي انطون الاديب المشهور في طرابلس للاتفاق على أن نسافر معاً في باخرة واحدة ومنه شهادات

(١) قد ترجمنا السيد جمال الدين الحسيني الأفغاني ترجمة وافية في حاضر العالم الاسلامي وفيها كيفية مرضه وموته رحمه الله وعولنا في خبره على أوثق المصادر وعلى ترجمته بقلم كبير تلاميذه الشيخ محمد عبده وعلى ما عرفناه نحن منه شخصياً . فمن شاء فليراجع تلك الترجمة في حاضر العالم الاسلامي أو فليراجع ترجمة الشيخ محمد عبده للأفغاني المصدرة بهار رسالة السيد جمال الدين في الرد على الدهريين .

العلماء لي بالعالمية والإذن بالتدريس التي تعطيني من الخدمة العسكرية مع شهادات الامتحانات الرسمية . وذهبت الى بيروت منفرداً فأخذت منها جواز السفر إذ كان (ناظر النفوس) فيها صديقي الاستاذ الشيخ صالح الرافعي وهو رئيس هذه المصلحة ولم أكتشف بهذا السفر في بيروت غيره الا الامير شكيب أرسلان وعبد القادر أفندي القباني الشهير صاحب جريدة ثمرات الفنون أقدم الجرائد الاسلامية في سورية وكان صديق الاستاذ الامام منذ كان متنبياً في بيروت وكانت جريدته ثمرات الفنون هي التي تنشر آراءه وافكاره ومقالاته كما بينته في الجزء الاول والثاني من (تاريخ الاستاذ الامام) . وقد اتفق الثلاثة على ان والي بيروت اذا علم بأنني أريد السفر الى مصر فإنه ينبغي منه فأوصاني كل واحد منهم أن اكتب الخبر .

وعرض عليّ عبد القادر أفندي القباني أن أقيم في بيروت واتولى رئاسة التحرير لجريدته إذ أخبرته بعزمي على انشاء صحيفة اصلاحية في مصر فقلت له إن الحربة التي في بيروت لا تسعني فقال : أوتريد ان تنتقد جلالة السلطان عبد الحميد أو تخوض في سياسته ؟ قلت إنما اريد إصلاح الأخلاق والاجتماع والتربية والتعليم . قال : ان لك أوسع الحرية في هذا . قلت : إذا أردت أن اكتب في فضيلة الصدق ومضار الكذب ومفاسده فابين ان أكبر أسباب فشو الكذب في الامم الحكم الاستبدادي أنتشر لي ذلك جريدتكم ؟ قال : لا لا . عجل بالذهاب الى مصر ولا تخبر أحداً . وهذا الرجل لا يزال حياً . وكان هذا في أوائل رجب سنة ١٣١٥ الموافق سنة ١٨٩٢ م .

ولما حضرت الباخرة التي نزل فيها رفيقي فرح أفندي من ميناء طرابلس الى بيروت نزلت اليها في زورق مع الاستاذ الشيخ صالح الرافي ناظر النفوس وليس شيء معنا يدل على إرادتي السفر . وقد تساءل رجال الشحنة (البوليس) الذين يفتشون المسافرين عني فقبل لهم هذا ضيف طرابلسي عند ناظر النفوس . ولما استقرت قدمي في الباخرة تنفست الصعداء وحمدت الله تعالى أن من علي بالخروج من تلك البلاد وأنجاني من ذلك الوباء . وقد اتصلت بالاستاذ الامام من أول يوم طلعت علي فيه شمس القاهرة وكان من أمرنا في التعاون على إصلاح الازهر ما أجملته في مقدمة هذا الكتاب وفصلته في تاريخه تفصيلاً .

فعل مما تقدم انني جئت مصر مستعداً لهذا الإصلاح كأنني خلقت وتعلمت وربيت لاجله وكان أول ما علق بذهني من نقصير علماء الدين وحاجتهم الى الإصلاح ما قرأته في كتاب الاحياء للغزالي من التفرقة بين علماء الدنيا الذين يلقيهم بعلماء سوء وعلماء الآخرة . وشرهم الذين يثقبون الى الملوك والامراء . وبين العلوم المحمودة والعلوم المذمومة . ثم ما استفدته من شيخنا الجسر من حاجة علماء الدين الى معرفة علوم العصر وعدم إمكان الدفاع عن عقائد الاسلام وشريعته بدون ذلك - ثم ما استفدته من جريدة العروة الوثقى من توقف نهضة الاسلام ودفع دول الاستعمار عن ملكه واستعادة ما سلبوه منه - على نهضة علماء المسلمين بالدعوة الى ذلك ثم ما استفدته من كتب التاريخ القديم والحديث ولا سيما الحكيم ابن خلدون وتاريخ جودت باشا الوزير التركي الشهير واستفدت اختباراً كثيراً وعلماً بمجالة هذا العصر من مذاكراتي لأدباء النصارى الاحرار ولدعاة الدين (المبشرين) النابغين لجمعية الولايات المتحدة الاميركية والاطلاع

على كتبهم وجرائدهم ومن مطالعة مجلتي المقتطف والطبيب منذ طلب العلم ولا أزال أطلع المقتطف ما وجدت له فراغاً .

ثم كانت ما استفدته بعد ذلك من الاستاذ الامام وغيره ومن معرفة الأزهري بنفسي مادة عظيمة لما أقصده من إنشاء المنار ولا أزال أزداد علماً واختباراً في كل يوم أستعين بهما على خدمتي للأزهري وسعيي لإصلاحه في كل وقت بما يناسبه وإني لأراه في هذا العهد أشد حاجة الى الإصلاح منه في كل وقت .

الحاجة الى هذه الترجمة

هذه خلاصة ترجمتي في نشأتي وتربيتي وتعليمي وتصوفي التي أعديني الله تعالى بها لإنشاء المنار وللتصدي للإصلاح الاسلامي العام حكيت بعض ما تذكرته منها حكاية تاريخية ساذجة ولم يكن يخطر ببال أن أكتب شيئاً منها قبل الشروع فيها للسبب العارض الذي ذكرته ولا أن أطيل فيها عشر هذه الإطالة . ثم تذكرت انها من مادة تاريخ الإصلاح الاسلامي في هذا العصر لانني بفضل الله قد صرت من رجاله الذين لهم فيهم اثر قد بذكره مؤرخوه ويبحثون في أسبابه من جميع نواحيها فلا يجدون في قرية القلمون حيث ولدت ونشأت ولا في طرابلس حيث تعلمت احداً يرويها لهم فقد كاد ينقرض الجيل الذي يعرفها فيهما وأعلم الاحياء بهاعمي السيد محمد كامل العابد الزاهد القدوة وهو من شهداء الله على خلقه ولم يكتب من تاريخ بيتنا شيئاً ولا يطوف بنفسه طائف الشعوب بالحاجة الى هذه الكتابة . ولو وجد داعيتها قبل شيخوخته لكان قادراً عليها وقد ذكرت فيما سبق أشهر أسماء من بقي من العارفين بها وعن فاتي ذكره منهم

صديقي العلامة الفقيه الشاعر الاديب الشيخ اسماعيل الحافظ وقد كان صديقي السيد عبد الحميد الزهراوي نادرة الزمان كتب مقالاً في وصف نشأتي ونشره في بعض الصحف لا أدري أيها: الجريدة أم المؤبد أم الحضارة؟ وكان من زهدي المعيب في نفسي أنني لم أحفظ نسخة منها . وأما سيرتي الشخصية والاجتماعية في مصر فيعرفها مجملّة أو متفرقة كثير من أصدقائي وتلاميذي وان أعلمهم بها وبسيرتي السياسية الاسلامية والعربية والمثلية ابن عمي السيد عبد الرحمن عاصم لأنه بعيش معي من زهاء ربع قرن . على أنني كنت وما زلت أكتب أكثر أعمالي التي يمكن كتابتها وقد كتبت قليلاً من المذكرات فضاع بعضها ويمكنني كتابة سفر كبير من أعمالي السياسية وحدها .

ولكن المذكرات والوثائق الخاصة بجماعة الدعوة والإرشاد ومدرستها محفوظة كلها ما كان منها في الاستانة وما كان في مصر وفي كل منها عبر للمسلمين في وزرائهم وأمرائهم وغيرهم . وفي مجلدات المنار وتاريخ الاستاذ الامام مادة غزيرة لهذه الترجمة .

وقد طلبت مني احدى الجمعيات العلمية في شيكاغو ترجمة حياتي غير مرة فلم أكتبها لها زاهداً في الشهرة . وألف أحد علماء الاميركان المنشرقين اللاهوتيين ^(١) كتاباً باللغة الانكليزية موضوعه « الاسلام وروح العصر بمصر » (Islam and modernism in Egypt) جعل فصوله الاولى في ترجمة حكيمينا الامامين المصلحين السيد جمال الدين الافغاني والشيخ

(١) هو المستر تشارلس ادمس الدكتور في الفلسفة واللاهوت بالارسالية الاميركانية بالقاهرة . (هذه الحاشية في الاصل)

محمد عبده المصري اقتبس أكثر مادتها من مجموعة مجلدات المنار بليها فصلان في ترجمة صاحب المنار وفي خطة المنار نفسه ترجم لي بعضها بالعربية فأبته يتحرى فيه الصدق في التاريخ وهو قد قدمه الى مدرسته التي تخرج فيها فنال به شهادة علم اللاهوت الذي صار به داعية للنصرانية على مذهبه البروتستانتي وقلماً عرفت أحداً من هؤلاء المبشرين يتحرى الصدق .

أهم ما في هذه الترجمة من العبر

إنني أذكر قاري هذه الخلاصة من طلاب العلوم الدينية والميادين الى الاصلاح الاسلامي بمسائل مجملة منها عسى أن ينتفع بها المستعد لها ولهذا أقصر على الكسبي منها دون الوراثي والوحي وان كان بعض ما يكتسب عادةً بارشاد الرب والمعلم أو بفهم المتعلم قد كان عندي أشبه بالوحي الالهامي إذ لم يكن والدي ولا غيره من اساتذتي بتوجيهي الى وجهة معينة في العلم ولا في العمل ولا الاستعداد للمستقبل . وقد تذكرت في هذه الدقيقة كلمة لمستر منشل إنس الذي كان وكيلاً للامية بمصر وكان هو الرجل الوحيد الذي عاشرتة وكثر اجتماعي به ومذاكرتي له من الانكليز في مصر . وكان الاستاذ الامام هو الذي عقد صلة التعارف بيننا لأسباب ظهرت لي بعد وبينت بعضها في تاريخ الاستاذ الامام . وكان هذا الرجل من أشد الانكليز بل الناس استقلالاً في فكره وحرية في رأيه ، وهو لا يزال حياً في بلاده ، وقد قال كلمته هذه بعد طول الخبرة والبحث معي في المسائل السياسية والدينية ورأى مني ما لم يعهده في مصر من الحرية والاستقلال والشجاعة وعزة النفس وهي : يظهر ان والدك قد عني عناية خاصة بتربيتك وتعليمك فوق ما هو معهود ومعروف في الشرق . . . وقد

نقلت عنه في المنار انه صار حني ثلاث مرات بانه اذا كان الاسلام ما
أمثله انا والشيخ محمد عبده فهو مسلم .
والحق أنني لا اعرف شيئاً من عناية والدي الخاصة بي الا ما ذكرت
من كراهته لاقامتي في طرابلس لطلب العلم قبل بلوغي سن الرشد وثقته
التامة من ديانتي واخلاقي خشية ان تعبت بي معاشره اهل المزل والمجون
في المدينة (البندر) وليست هذه المنه بقليلة فرحمه الله تعالى رحمة واسعة .
وهذا ما اريد الاعتبار به مما ذكرته في هذه الترجمة تحديداً بالنعمة
وتذكيراً بمواضع العبرة :

اهم الموائد والعبر

لطلاب العلم الديني من هذه الترجمة

١ - طول المكث في المدارس ضار

كتب لي استاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر في شهادة العالمية
أو (اجازة التدريس) انني طلبت العلم عنده ثماني سنين تلقيت فيها المنقول
والمعقول الخ (وكنت في هذه المدة اتلقى عن غيره ايضاً) والعبرة في هذا ان
طول مدة التلقي والأخذ عن المعلمين لعلوم وفنون قليلة كالعربية والشرعية
تضعف في الطالب ملكة الحكم والاستقلال في العلم وتحتصر علمه فيما
يسمع ويقرأ حتى لا يكاد يجد غيره فيما يقرر أو يبلي أو يصنف أو يفتي
ومن كان هذا كل علمه فلا علم له وإنما هو ينقل ما عند غيره : علماً كان
أو ظناً ، حقاً أو باطلاً ، خطأ أو صواباً .

وقد قال لي الاستاذ الامام عند ما عرضت عليه أن يكون الشيخ عبد

العزیز جاویش من اخواننا خواص مریدہ بعد عودتہ من اوربہ : اے العلوم حصل فی اکثرہ ؟ قلت لما أسأله عن ذلك لقرب العهد بعودتہ ولکنہ ذکی فصیح ذو ہمة وغیرہ قال : سلہ عن مدة إقامتہ فی الازھر قبل دخول مدرسة دار العلوم فإن كانت طويلة تزيد علی بضع سنین فاعلم انه قد فقد قوة الاستعداد للعلم وانه لم يحصل شيئاً يعتمد بہ .

٢ - النبة وصحة الفسر ونوجه الارادة

قال نبی الرحمة ومعلم الکتاب والحكمة : « إنما الأعمال بالنیات وإنما لكل امرئ ما نوى » وان لصحة القصد وتوجه الارادة الى الامر أعظم التأثير فی النجاح والفوز ولا شيء أنفع لطالب العلوم الدينية من الاخلاص لله تعالى فیها وقصد تزكية نفسه وتثقیفها بمعرفته الصحیحة وعبادته المشروعة ثم تعلیم الناس وهدایتهم وأن يكون قدوة لهم فی الحق والخیر وتدبر ما عأحنا الله تعالى من دعائه بقوله : (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعین واجعلنا للمتقین اماما) . وقوله : (ربنا لا تجعلنا فتنة للذین كفروا) . وان بین هذه الفتنة بتنفییر الکفار عن الاسلام والامامة للمتقین فیہ - لدرجات بعيدة فی الايمان والصلاح ودركات فی الکفر والضلال . لما اشتغلت بطلب العلم فی طرابلس وعرفت الاستاذ العلامة الشیخ محمد ابراهیم الحسینی وكان عائداً من الازھر وصحبته بالتبع لصحبة صديقنا المرحوم الشیخ محمد کامل الرافي - كما تقدم فی الترجمة - قال لی مرة : اننی بعد أن أتم مطالعة أعلى کتب الاصول والکلام والبلاغة سأذهب إلى الاستانة وأقرأ درساً فی جامع السلطان أحمد . وذكر ما يتوقع لهذا الدرس من حسن التأثير والشهرة وما یعقبه من الفوائد . فقلت له مامعناه :

انه خير لك أن تنوي بقراءة هذه الكتب القرب إلى الله تعالى والاستعداد لخدمة دينه ورفع عبادته وإن منافع العلم بالجاء والمال قد تأتي تابعة لذلك ولا يصح أن تكون متبوعة له ولا مقصودة لذاتها . ثم رجع الاستاذ عن ذلك الرأي بعد أطوار مرت عليه كما تقرر على أمثاله من كبار الأذكياء .

ان الذين اشتغلوا بعلوم الدين بقصد إصلاح أنفسهم وإصلاح غيرهم في كل جيل كانت الدنيا أشد انقياداً لهم ممن طلبوها بالدين وعلومه ولكن أكثر أولئك قد زهدوا فيها وآثروا ما عند الله تعالى على جاهها ومالها . ولقد قال لي شيخنا الاستاذ الامام اني لولا قصد التوسل بدخول الحكومة المصرية إلى التمكن من إصلاح الأزهر لأبیت قبول أي وظيفة فيها . وقال لي : لو كنت أريد أن اكون غنياً لكنت من اكبر الاغنياء . فليعتبر طلاب العلم في الأزهر وغيره ممن يقصدون الجاه أو الثروة بتأريخ الاستاذ الامام وعاقبة امره وما رفع الله من ذكره وبغيره ممن لا غرض لهم من علم الدين إلا غرض هذا الادنى ليروا كيف كان قدوة صالحة في حياته وبعد مماته وانهم سيرون وسوف يرون من سوء شيرة تجار الدين ان بعض الفقر خير من الثراء وان من الخمول والخفاء ما هو اشرف من الشهرة والجاه وان العاقبة للمتقين والخزي والسوء على المنافقين (ولعل من نبأه بعد حين) .

٣ - الاستقلال والتقليد في طلب العلم

أنصح لكل طالب علم ان يتوخى الاستقلال بفهم ما يلقنه من مسائل العلم ثم الاقتناع بما يفهمه وان لا يكتفي بفهم استاذه للعبارة دون فهمه هو ولا باقتناع أستاذه بان ما فهمه هو الحق في نفسه اذا لم يقتنع هو بذلك

فأعلم بعبارة المعلم أو المؤلف غير العلم بمناها والعلم بصحة المعنى مرتبة فوق مرتبة فهمه معنى العبارة وفوقهما مرتبة العبارة الباعثة على العمل بالعلم والاختلاص فيها . ولن تكون عالماً بالشئ نفسه الا اذا كنت مقتنعاً واثقاً به ولا يحصل هذا في غير البديهيات إلا بالاستدلال وقد يقع التقليد بالدليل كما يقع باصل المطلب فاحذر هذا .

واعلم أيها الطالب المسلم ان ما يسمى بالاجتهاد في جميع ابواب الفقه هو مرتبة عالية من مراتب العلم الاستقلالي بالاحكام الشرعية سواء أريد به الاجتهاد المطلق أو الاجتهاد في مذهب واحد . وما أنصح لك به من الاستقلال في فهم كل ما تلقنه والاقتناع بصحته دون ذلك هو أدنى مراتب العلم ، هو ما لا تكون ذا علم صحيح في أي علم من العلوم أو فن من الفنون بدونهُ ، هو ما لا ترتقي عن دركة الجهل المطلق أو الجهل التقليدي مع فقدهِ فانت محتاج الى الاستقلال في كل علم تطلبه وكل مرتبة من مراتبه فلا تقلد من قالوا ان بعض العلوم قد احاط به العلماء الأولون علماً فليس على من بعدهم الا أن يقلدوهم في كل ما دونوه فيه بغير بحث ولا محاولة تمحيص ولا تحقيق .

إنما الاحاطة بالعلم من صفات الله الخاصة به وقد أمر الله رسوله خاتم النبيين بطلب المزيد من العلم بقوله (وقل رب زدني علماً) فكل ما كتبه البشر وكل ما يكتبونه ما كان ولن يكون إلا ناقصاً قابلاً للكمال ولا أستثني من ذلك علوم الحديث في الجرح والتعديل ونقد الرجال وأجهل الجهل بالشئ ما كان قابلاً للاحتمال .

٤ - آية العلم الصحيح النافع

العلم الصحيح ما كان صفة للنفس ، والعلم النافع ما كان باعثاً على العمل الصالح ، والعمل الصالح ما صلحت به نفس العامل وكانت قدوة حسنة لكل من عرفها ، وآية ذلك كله شعورها بجهلها ونقصها وب حاجتها الى الاستزادة من العلم والاستفادة من كل شيء ، والى المزيد من الادب وتنقيف العقل وتركيب النفس ولا أحفظ عن أئمتنا في هذا المعنى أبلغ من بيتين للإمام الشافعي (رض) هما أدل على علمه وفضله من مجلد يؤلف في مناقبه وهما عين الحق فلا تحسب أنه قالهما من باب التواضع قال :

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي
وإذا ما ازددت علماً زادني علماً يجهلي

٥ - آيات تركبة النفس الروحية

قال الله تعالى : (وفي الارض آيات للعوقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون) . وقال عز وجل : (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) الآية . وقال تبارك اسمه : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) الآية . فمن لم ير في نفسه شيئاً من آيات ربه ومن لم يتألق في قلبه شعاع من نور ربه فاسلامه صوري وراثي وإيمانه تسليم ظني أو جدلي . وهاتان الثمرتان للدين لا تؤتيهما شجرة الايمان الطيبة الثابتة الاصل الباسقة الفرع الا بمجاهدة النفس (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع الحسنيين) مع كثرة الذكر بالقلب واللسان له . وأجمعه تدبر كتابه (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه

بكرة وأصيلاً) . (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من
الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيماً) .

ولكن الذين يدعون هذه الآيات في أنفسهم كثيرون وتراهم في
ظلمات لا يبصرون يضلون الجاهلين بخرافاتهم ويأكلون أموالهم بالباطل
ولا يستفيد احد منهم علماً نافعاً ولا هدى رافعاً وانما الاسلام علم وهدى
فلا تغتر بدعوى حي ولا ميت ولا بشهرته ولا بخوارق العادات الصورية
ولا المعنوية له واعتبر بما أفشيت لك على خلاف عادتي من تجاربي واختباري
في بدايتي ومنه ان بعض الامور الروحانية التي تشرها رياضة النصف
قد تكون فتنة تعقب صاحبها ضلالة وان بعض الانوار التي تتراءى
لبعضهم خيالات شيطانية وأن المكاشفات التي تحصل لهم كلها خواص
نفسية هي كغيرها مما يكشفه العلم من السنن المادية والانوار الكهربائية
فمن لم يزدد بها علماً وعرفاناً ، وهدى وإيماناً ، كانت ضلالاً له وطفianاً .
وأعني بالايان اليقين بعالم الغيب وبالهدى الاعتصام بعروة الشرع فمن لم
يؤت نصيباً من ذلك كان عرضة : إما للشك المادي واما للتقليد الخرافي
فلا تنكر الخواص الروحانية اليوم خاضعاً للأفكار المادية الافرنجية - وهي
من مفاسدهم بشهادة أعلم فلاسفهم - ثم تعود غداً فتقلدهم باثباتها إذا
انتصر المؤمنون بها على جاحديها فانهم قد شرعوا في البحث عنها بوسائل
العلم العصري وقد آمن الالوف منهم بمبادئها ولما يصلوا الى غايات صوفيتنا
فيها ولو طلبوها من طريقهم لوصلوا الى ما انتهوا اليه أو لسبقوهم فيه
وسيسلكون كل طريق له فانهم ما شرعوا في شيء وتركوه وأبعد
الفروق بين الفريقين ان هؤلاء شاكون محزون وأن أولئك مؤمنون

يطلبون أعلى مقام في العرفان وهو معرفة الخالق بآياته في الانفس والآفاق
وتجلي انواره فيما له من الاسماء والصفات .

إني ليسوءني أن يزورني بعض علمائهم من الشعوب المختلفة ليذاكروني
فيما وصل اليه علمي واختباري منها وأن يجعاني بعض جماعاتهم عضو
شرف^(١) فيها ثم لا أجد أحداً من المسلمين يسألني عن شيء من هذا
حتى الذين يرجعون إليّ في التفسير والحديث والعقائد وحكم الشريعة وقد
كان هذا من أسباب ما كتبت في المسئلة . وأهم منه التمهيد لما أريد
كتابته في مسألة استحضار الارواح . وأنتقل بعد هذه المقدمات الى تلخيص
الشواهد على خدمتي للأزهر وما كان لها من التأثير :

أثارة من تاريخ دعوة المنار

(الى إصلاح الأزهر)

كان المنار هو الصحيفة الدورية الوحيدة التي عيّنت بالدعوة الى اصلاح
الأزهر وتجديد العلم وهداية الدين فيه وما يحتاج اليه في هذا العصر من
العلوم والفنون التي نهض بها الاستاذ الأمام قولاً وفعلاً وأبدناه بها كتابة وحجة
وكان جمهور علمائه ينبرم بهذه الدعوة لمعجزهم عن القيام بها لا لعدم
حاجة الأزهر اليها حتى إذا ما اضطروا الى العمل بكل ما دعوناهم اليه في
هذا العهد اضطراباً واكروها على الاستعانة بخريجي المدارس الاميرية على
ذلك إكراهاً كان ذلك اعترافاً عملياً بمعجزهم ولو أجابوا الدعوة وقبلوا

(١) هي جمعية العلوم الروحانية والابحاث النفسية بمملكة رومانية العظمى كما

جاء في خطابها اليّ في اول يناير سنة ١٩٣٣ . (حاشية في الاصل) .

النصيحة أولاً لتخرج به بعد البدء بها كثير منهم ولنسى لهم أن يقوموا بتعليم الكليات الجامعي بأنفسهم ولكن ذلك خيراً لهم وللأزهر والاسلام من هذا التفريق الخطر الذي نخشاه الان ولما كان جزاء المنار على إرشادهم أن سبوه وشتموه في أول صحيفة رسمية أنشئت للأزهر بل لحدوده وشكروا له سعيه ولكن كانت هذه العقوبة للمنار أمنية لأشد خريجي الأزهر مقتناً لدعوته الإصلاحية في الباطن ومدحاً لها في أول عهدا في الظاهر حتى اذا تولى تنفيذ الدعوة على غير وجهها شرع في عقوبة الداعي إليها فخذله الله عز وجل ونصر المنار عليه نصراً مبيناً كما فصلناه في القسم الاول من هذا الكتاب تفصيلاً .

تأثير المنار في العالم الاسلامي

لقد شهد اهل البصرة من الافرنج كما شهد خواص المسلمين بما كان للمنار من التأثير الاصلاحى والانقلاب العظيم في العالم الاسلامي ودورها في بعض صحفهم ونصائيفهم ونشير الى ذلك بعد مقدمة وجيزة فنقول :
لرجال الانقلاب العام وسيلتان : اما الثورة التي تصخ بصيحتها المسماع وتهيج الساكن الوداع فتكون كالربيع الصرصر العاتية لا تحفى من امر داعيتها خافية وهي خطة حكيمنا الاول السيد جمال الدين وإما الدعوة الهادئة بالحجج الناضجة وهي أوج في المسماع وأجول في الجامع ولكنها بطيئة السير خفية التأثير في أول الامر وهي خطة حكيمنا الثاني الشيخ محمد عبده التي جربنا عليها في المنار وقد شرحت كلاً منهما في سيرة الحكميين من « تاريخ الاستاذ الامام » والامة لا تأخذ من الخطتين الا بقدر استعدادها الخلقى والعقلى والاجتماعي وقد جمع القرآن الحكيم والرسول

الكريم بينهما بما أعد الله به الامة العربية للثورة وسائر الامم لقبول الدعوة كما فصلت ذلك في كتاب (الوحي المحمدي) .

الثورة أسرع تأثيراً وأظهر وقد يكون إثمها العاجل اكبر من نفعها الآجل إذا كانت الامة غير مستعدة للبناء عقب الهدم . والدعوة اللينة اسلم عاقبة وقد يخفى امر دعائها وتأثيرها حتى على الذين ينفعون بدعوتهم ويعملون بها ولا سيما الذين يتلقونها عن تلاميذهم الذين لا يروونها عنهم وعن أشربتها قلوبهم بانتشارها واشتهارها والافتناع بها مع عدم الشعور بمصدرها .

قد استفاد من دروس حكيمينا المصلحين ومجالسها خلق كثير واقتبسوا من حكمتها ما يزينون به خطبهم وكتبهم ويقل منهم من يروي ذلك عنهما أو يعزو معناه اليها كدأب كثير من المصنفين مع من قبلها . واما صاحب المنار فانه يروي كل ما سمعه بلفظه أو بمعناه وكذا ما فهمه واستنبطه منه ولذلك يقول الكثيرون وكتب بعضهم في الصحف انه لولا صاحب المنار لضاع اكثر علم الشيخ محمد عبده وحكمته وجهل إصلاحه وتاريخه .

ووقع لنا مثل هذا بعينه مع الذين استفادوا من المنار وتفسيره ما انفرد به من رواية ورأي وما حققه من حكمة وحكم . ومنهم كثيرون من علماء الازهر الذين يعتمدون على تفسيره في دروسهم ومحاضراتهم ورسائلهم ومقالاتهم في المجالات بل منهم من ينقل منه المباحث الطويلة بلفظها ولا يعزوها اليه . وقد اعتذر عن بعض فضلائهم من يحسنون الظن بهم بأنهم يخافون انتقام الشيخ الظواهري رئيسهم اذا عرفوا عنده بذلك .

يد ان ما يخفى على دهما الشعوب لا يخفى على زعمائها وما يسكت عنه الوطني قد ينطق به الاجنبي فقد علمت من بعض رجال هولندة من تأثير المنار في جزائر الهند الشرقية الخاضعة لدولته ما لم أسمع من أحد من مسلمي تلك البلاد الاندونيسيين الاصليين ولا العرب المستوطنين لها وقد رأينا عدة كتب للافرنج في ذلك .

وقرأت في هذه الايام في كتاب (وجهة الاسلام) الذي كتبه جماعة من مستشرقى الدول المستعمرة شهادات لهم في تأثير كثير من رجال الاسلام في أمتهم تأثيراً مختلفاً في النفع والضرر كحكيمينا وغيرهم (ومنقرظه في المنار) ومن ذلك تأثير المنار في العالم الاسلامي كله وفي بلاد شمالي افريقية الفرنسية واندونيسية منها قول كاتب هولندي مانص ترجمته العربية :

شهادة مستشرق هولندي بتأثير المنار

« ولم يشرق (منار) القاهرة على المصريين وحدهم ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وفي خارجها وعلى مسلمي ارجيل الملايو الذين درسوا في الجامعة الازهرية أو في مكة وعلى الاندونمي المنعزل الذي ظل محافظاً على علاقاته بقلب العالم الاسلامي بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الاسلام : هؤلاء جميعاً رأوا الاسلام على نور جديد لم يروا فيه مثلاً للتشدد والجود ورأوه لا يزال الدين المختار بين الاديان وحامل المثل العليا لكل زمان مضي والمثل الجديدة لكل زمان آت وهو شاب منجد الشباب حامل لواء كل تقدم ، شديد في تسامح ورفق وأصبح الذين اقتبسوا من نور (المنار) في مصر (منارات) صغرى في اندونيسية بعد ان عادوا اليها » اهـ . من الترجمة العربية للاستاذ محمد عبد الهادي ابوريدة .

تاريخ عرفت مع السيد رشيد رحمه الله

الذي أتذكره انه في سنة ١٣١٣ هـ وفق سنة ١٨٩٥ م قيل لي في بيروت ان شاباً ادبياً من طرابلس الشام يسأل عنك ويهيمه الاجتماع بك فلم أعلم من ذلك الشاب الاديب وما مضت ايام حتى جاءني وكنت نازلاً في فندق بيروت يقال له « كوكب الشرق » فرأيت شاباً سرياً ظاهرة عليه سماء النجابة والاصالة وضيء الطلعة وقور المجلس غالباً عليه الادب وحب العالم . علمت منه انه قصد ملاقاتي من قبل ولم يوفق وأنه كان مولماً بقراءة ديواني المسمى « بالباكورة » الذي نشرته عندما كنت في السابعة عشرة من عمري وذلك سنة ١٨٨٢ المسيحية ورأيت هذا الشاب يحفظ كثيراً من أبيات ديواني هذا . ولكن ظهر لي ان اعجابه بديواني مع افتتانه به لم يكن شبيهاً بالقياس الى اعجابه باتصالي بالشيخ محمد عبده . والسيد جمال الدين الافغاني اللذين كان يقصد لقائي لاجل أن أحدثه عنها وأروي له من اخبارهما . وكنت أنظر الى وجهه عندما أبدأ بالكلام عنهما فأراه يشرق نوراً ويطفح سروراً وكأنه يصير كله آذاناً واعية واسماعاً صاغية يريد أن يحفظ عنهما حتى الحرف والحركة وبفضي آلي بما في نفسه من حب التعرف اليهما وبالجمل فكنتم أقرأ على وجه هذا الشاب سورة النور واتفرس فيه منتهى الخير وأعتقد انه سيكون في يوم من الايام عظيماً . وكنت أرى المثل الاعلى في نظره . كلاً من الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الافغاني وقد علمت أن اسمه هو « محمد رشيد

رضا» من «قربة القلمون» من عمل «طرابلس الشام» وانه من بيت مجد
وفضل ونقوى وانهم هم مشايخ تلك القربة .
ثم اتنا تلاقينا مرة ثانية ثم مرة ثالثة وهي التي جاءني فيها قاصداً
السفر الى مصر وذلك كما قال في أوائل رجب سنة ١٣١٥ الموافقة سنة
١٨٩٧ وفي هذه المرة ايضاً كنت نازلاً في فندق كوكب الشرق
فتناول السيد رشيد طعام الغداء عندي ودعوت له الاستاذ الشيخ سعيد
الشرتوني صاحب «أقرب الموارد» وكان من أعز أصدقائي ومن أخلص
المخلصين لي ولعائلتي آل رسلان وجلسنا نتحدث ثلاثاً أو أربع ساعات من
ذلك النهار وقرأت لهما إحدى مقالاتي في جريدة الاهرام عن مباحة لي
في صرود لبنان . وبعد أن انصرف الشرتوني اسرّ إلي الشيخ رشيد
قضية سفره الى مصر وأوصاني بكتمان الخبر لانه يجوز ان الحكومة في
حال معرفتها بالخبر أن تمنع الشيخ رشيداً من السفر فقد كنا في عصر
السلطان عبد الحميد لا تقدر على السياحة إلى الخارج الا باذن وكان
هذا الاذن متعذراً كثيراً . ولما أقيم معرض باريس سنة ١٩٠٠ حاولت السفر
اليه فلم أستطع ذلك فكان للسيد رشيد حق وقد اجمع الرحلة إلى مصر
أن يستر حركته هذه الى أن يكون قد دخل في الحدود المصرية .
وأظن أن الشيخ رشيد أخبرني وقتئذ بما دار من الحديث بينه وبين السيد
عبد القادر القباني صاحب جريدة «ثمرات الفنون» وهذا الرجل توفاه الله
بعد أن ذرّف على التسمين . وقد سمعت انه بقي حتى حين وفاته حافظاً
قواه العقلية متمتعاً بصحة نادرة فيمن بلغ هذا السن وقد عرفته منذ
كنت في العاشرة من العمر . ولما أكملت تحصيلي للعلم وكنت قد

بلغت السابعة عشرة كنت أممراً في بيت المرحوم الحاج محي الدين حماده في بيروت فيكون هناك الشيخ محمد عبده والسيد عبد القادر القباي وجماعة لا يتخلفون عن السمر في ذلك البيت المشهور بكرم الوفادة وكنت جريماً على سماع أحاديث الاستاذ الامام وهكذا عرفت السيد القباي منذ خمسين سنة تامة وعرفت فيه العقل والنبالة وعلو الهمة والحزم وأصالة الرأي والحمية الاسلامية وأول جريدة اسلامية في سورية هي جريدته «ثمرات الفنون» التي كان هو المؤسس لها وكان يسكنها بمساعدة العلامة الشهير الشيخ ابراهيم الاحدب .

وبعد أن وصل الشيخ رشيد إلى مصر أصدر مجلته المنار وبعث بها إليّ وسنشر في مكان آخر أول مقالة له في مجلة المنار بعلم منها القراء كيف بدأ الشيخ رشيد جهاده فيكون عمر المنار نحواً من سبع وثلاثين سنة وكان السيد رشيد يكتب إليّ من مصر من وقت إلى آخر ويرى في أحياناً وفيها حفيظاً مشاركاً له في مبادئه وأفكاره ولو لم يكن بيننا من رابطة سوى كوننا نحن الاثنين من مرابدي الاستاذ الامام لكان ذلك كافياً . ولا أحفظ المراسلات التي كانت تدور بيننا في هذا الدور الاول من صداقتنا بما سطا على أوراقنا من الضياع وإنما أحفظ المراسلات الكثيرة التي دارت بيننا بعد أن أنقمت باوربة وسيأتي الأكثر منها في محله . ثم انه لم يمض على المنار إلا مدة وجيزة حتى اشهر واستجلب النظر وأخذت مقالاته تترن في الآفاق وصار مرجعاً في الفتيا ولا ضماً في تطبيق النوازل العصرية والاحداث الجديدة على الشريعة الاسلامية . وكان المنار منذ ظهوره لسان حال المصلح الأكبر الشيخ محمد عبده . وكان الاستاذ الامام بكثرة شواغله

للمتعددة والمتنوعة لا يقدر أن يتولى بنفسه إبراز جميع افكاره الى القراء فكان السيد رشيد هو الزوجان الاول لافكاره لا يسمع منه نغمة الا أودعها مناره بيان أنيق وأسلوب رشيق . فكان السيد رشيد كان معتمداً للشيخ محمد عبده بكل ذلك ما فات هذا وكأنهما روح واحدة . وقد حدثني السيد رشيد ان الاساذ الشيخ عبد الكريم سلمان الذي كان والشيخ محمد عبده كالاخوين نفاًس على السيد رشيد مكانه من الشيخ محمد فصار يتقرب الفرصة للوقفة به وإقصائه عن الشيخ فغضب الشيخ محمد عبده وبعث الى الشيخ عبد الكريم يقول له : اني لا أقبل منك ان تغتاب الشيخ رشيد رضا وانك ان لم تكف عنه هجرتك ولو بعد صداقة أربعين سنة . ومن هنا يعلم الانسان مقدار حرمة الشيخ الامام للتلميذه السيد رشيد واعتقاده بفائدته لهذه الامة .

هذا ولما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وجاء عهد الحرية جاء السيد رشيد لزيارة وطنه ورأبته في بيروت واجتمعت معه طويلاً في ناديه الاتحاد والترقي بتلك البلدة وكذلك جاء مرة أو مرتين ففسر عند عمي الامير مصطفى ارسلان فكنت هناك فجرت بيننا أحاديث ذكر بعضها في المنار وذهب من بعدها الى دمشق وهناك التقى درساً في الجامع الاموي يتعلق بالعقيدة ذهب الشيخ صالح الشريف التونسي - وكان حاضراً ذلك الدرس - الى ان فيه تعرضاً للاولياء وانه شيء من الوهاية ! وتكلم الشيخ صالح بحجة فقال الجمهور ممن يقال لهم الحشوية الى كلام الشيخ صالح كما أن اصحاب النزعة الجديدة والدستوريين مالوا الى كلام الشيخ رشيد وحصلت ضجة عظيمة في الجامع واتصلت بالحكومة فاستدعت الشيخ

صالح الى دائرة البوليس واستنطقته بحجة انه اعتدى على الشيخ رشيد
وانه كفره فشاع في دمشق تلك الليلة أن الشيخ صالح التونسي اعتقل
وأوجب ذلك هياج العامة فاجتمعوا الوفاً وجاؤوا لتخليص الشيخ صالح من
السجن والحقيقة انه لم يكن سجين وإنما استنطقوه بحجة انه هو الذي
تعرض للشيخ رشيد فلما رأى الوالي هذه الحالة وخاف المهرج والمرج ركب
العربة وأجلس الشيخ صالح بجانبه حتى سكن هيجان الجمهور ولم احضر
أنا تلك الواقعة ولكنني سمعت خبرها . ثم علمت أن السيد رشيد رضا
ذهب بعد إعلان الدستور بمدة الى الاستانة وسعى لدى رجال الاتحاد
والترقي في تأسيس مدرسة باسم دار الدعوة والارشاد وهو المشروع الذي
قام به في مصر بعد أن أخفق فيه بالاستانة فيظهر ان الاتحاديين بذلوا له
المواعيد في البداية ولكن ماطلوه في إنجازها حتى قضى في الاستانة سنة
تامة ولم يفر بشيء فضجر وخرج من الاستانة عائداً الى مصر معتقداً انه
لا يرجى شيء من الخير للعرب من جمعية الاتحاد والترقي وصار عدواً لما
ينتقد سياستها في كل فرصة .

ولما ذهبت الى طرابلس الغرب مجاهداً سنة ١٩١١ سررت بمصر وكنت
أجتمع بالسيد رشيد كثيراً وأزوره في بيته وصادفت عنده ضيفاً كريماً
هو الشريف علي بن عمر ابن عم الشريف حسين أمير مكة . ومن ذلك
الوقت جرت صداقة بيني وبين الشريف المشار اليه . وكان السيد رشيد
لعمد الاستاذ الامام قد شمله غضب الخديوي عباس حلمي لاجل غضب
الخديوي علي الشيخ محمد عبده فلما مضى الشيخ الى ربه عاد الخديوي
فرضي علي السيد رشيد وعندما سررت انا بمصر كان السيد رشيد رضا

من المقربين عند الخديوي كما كان من المقربين أيضاً عنده الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد . فبدأ للخديوي وقتئذٍ ان يزهدني في الذهاب الى الجهاد في طرابلس لانه كان عنده مشروعات اخرى سياسية يظن انه يقدر أن يدخلني فيها فاعتذرت له عن قبول أمره وقلت له اني قاصد الى الجهاد في طرابلس وما خرجت من بيني في جبل لبنان إلا بهذه النية فلا بد لي من إتمامها بالعمل فتكلم الخديوي مع كل من السيد رشيد والشيخ علي يوسف لعلهما يتمكنان من تحويلي عن تلك الفكرة فنكلما معي فوجدنا أن لا سبيل الى ذلك فعندها قطع الخديوي أملاً من استبقائي في مصر واستدعاني قبل السفر حيث جلس اليّ ساعة من الزمن وتكلم فحاول إعطائي مبلغاً من المال بحجة اني ذاهب الى جهاد يحتاج فيه مثلي الى الاتفاق فاعتذرت لسموه عن قبول أي شيء منه قائلاً له على سبيل الاعتذار : انني لست في حاجة الى شيء وانني متى رأيت الحاجة ماسة فاني لا أنزدد طرفة عين عن استمداد سموه وأبدي وأعاد كثيراً فبقيت مصرأً على الاعتذار وذلك أمام احمد بك العريس البيروقي ومحمد بك عثمان المصري من حاشية الجتاب العالي . ثم ذهبت الى بركة وأقمت زهاء ثمانية أشهر في معسكر عين منصور فوق درنة ثم في معسكر بني غازي ولما كنت في عين منصور تلاقيت مع الشيخ صالح التونسي رحمه الله وكنت أقضي أكثر ساعات نهاري في مجالسته وكنت أراه بمقت آراء السيد رشيد في الدين وأجتهد في تعديل أفكاره من جهته فكان مصرأً على سوء ظنه به وباستأذه الشيخ محمد عبده . وعلمت منه انه لما مر الشيخ محمد بتونس حصل بينهما جدال شديد . ومن غريب ما سمعت من الشيخ صالح مما يدل على شدة نفوره من الشيخ رشيد انني مرة كنت أقرا في

محنة النار فظهر الغضب على وجهه وقال لي إن فيها كثيراً من الضلالات وأحياناً من الكفر والعباذ بالله ! ثم قال انه نسي عدداً من النار في خيمته فكان أن طلعت عليه الشمس ذلك اليوم قبل أن صلى صلاة الفجر وإيماً . كان ذلك من شؤم النار . فجاء في الضحك الشديد عند سماعي هذا الكلام وقلت : سبحان الله لا أرى عداوة أشد من عداوة العلماء وقطعت الأمل من تعديل أفكار الشيخ صالح بحق الشيخ رشيد . ولما رجعت الى مصر رأيت الشيخ رشيد يعلم اني كنت كثير المجالسة في معسكر عين منصور للشيخ صالح التونسي وكأنه يعاتبني من أجل هذه الملازمة . فأجيبته باننا كنا في بركة لا يوجد فيها من أجالسه أحسن من الشيخ صالح واني كنت دائماً أدافع عن مبادئه وأفكاره أمام خصمه . ولما اجتمعت مع الشيخ رشيد في جنيف حيث انا الآن وذلك سنة ١٩٢١ أي منذ ست عشرة سنة سألتني رحمه الله عن كيفية وفاة الشيخ صالح فروبت له الخبر وكيف مرض في داثوس حيث كان يعلم العربية والعقيدة أنجال الأمير عمر طوسون . وداثوس بلدة عالية ارتفاعها عن البحر ١٦٠٠ متر . وكان مع الشيخ صالح مرض في القلب لا يلائمه هذا الارتفاع فاشتدت به العلة وأشار عليه الاطباء بالنزول من داثوس الى سواحل بحيرة لجان فاخترنا له بلدة موترو وكان فيها فؤاد باشا سليم الحجازي حفظه الله وحسين بك شيرين رحمه الله فكانا يتعهدانه كل يوم ثم جئت انا الثالث من (برن) ولزامته مدة شهر ونصف إلى أن فاضت روحه تغمده الله برحمته . فلما كنت أقص ذلك على المرحوم السيد رشيد اغرورقت عيناه بالدموع وقال لي : نعم جاءنا نعيه ونحن في الشام وتأثرنا والله كثيراً لفقده . لا شك ان الموت يذهب بالاحقاد كلها .

ثم انني برحت برقة سنة ١٩١٢ قاصداً الى الاستانة خوفاً من ان الحرب البلقانية التي كانت آذنت بالنشوب تصرف نظر الدولة عن مساعدة الطرابلسيين ولو مرةً فنشبت حرب البلقان وانا في الاستانة وكلفتني جمعية الملل الاحمر المصري أن أكون مفوضاً على بعثاتها لدى الدولة فبقيت عدة أشهر قائماً بهذه المهمة مع المرحومين محمد باشا الشريبي وكامل باشا جلال ثم استدعاني الخديوي الى مصر فلما وصلت اليها أرسل اليّ بواسطة السيد رشيد أن آتي اليه في سراي القبة فبحث السيد عني فوجدني عند مدحت بك سامي الذي كان رفيقي في برقة فحُتّ وقابلت الخديوي وأشار ببقائي في مصر بقوله إنه ربما تجد حوادث خطيرة توجب وجودي مع اخواني الشيخ رشيد رضا والشيخ علي يوسف . الا أنني أنا لم أكن موافقاً في تلك الازمة الشديدة على مناوأة الاتحاديين الذين كان في أيديهم زمام الدولة وحصلت بيني وبين فريد باشا الارناؤوطي الصدر الاعظم السابق في سراي عابدين مشادة شديدة من أجل الاتحاديين ووجوب الحملة عليهم في أثناء الحرب البلقانية وعدمه : إذ كنت ممن لا يميز المضي في الاختلافات الداخلية الى ذلك الحد الاقصى حينما يكون البلقانيون على ابواب الاستانة عاصمة الاسلام . وكنت أرى وجوب الهدنة بين الاحزاب في داخل السلطنة العثمانية ريثما يتعقد الصلح ويزول الخطر عن الدولة . وقد كان الجدل بيني وبين فريد باشا امام جمال الدين أفندي شيخ الاسلام السابق الذي كان يهدي روع كل منا . وبلغ الخديوي خبر هذا الجدل العنيف من أجل الاتحاديين فأغضبه عليّ لانه كان يتربص بهم الدوائر . ولم يهمني هذا الامر لأنني ما تعودت أن أراعي كبيراً ولا صغيراً عندما أكون

مقتنماً بقضية من القضايا . وكان السيد رشيد هو أيضاً في ذلك الوقت من أعداء الاتحاديين وقد جرد قلمه في النار وغيره لتمقّب سقطاتهم وإظهار مساوئهم . وكانت هذه الحالة معروفة عندي ولم أكن أنقاضي السيد الرجوع عن رأيه في قضية الاتحاديين لانه كان مقتنماً مثلي بصحة مذهبه السياسي . وكانت المودة التي بيننا غالباً على ما بيننا من اختلاف النظر في هذه المسألة . وعلى كل حال لم نصل الى الوحشة . إلا انه في أثناء الازمة البلقانية شاع أن تركية وقد بلغ بها الجهد مبلغه أرادت ان تقترض من أسواق لندرة مبلغاً من المال لتممكن به من متابعة الحرب صوناً لشرفها الذي انثلم بانتهزامها أمام ممالك كانت الى عهد قريب من جملة ولاياتها . فاتمّيز هذه الفرصة بعض السوريين المقيمين بمصر المناهضين لتركية وللإتحاديين معاً فابرقوا إلى لندرة يقطعون الطريق على القرض الذي كانت الدولة العثمانية تريد عقده . فلما بلغني الخبر أنكرت هذا الامر وأكبرته وألقيت سؤالاً عن هذا الموضوع أقول فيه : ان العرب الذين يحاولون قطع مادة الرزق عن الدولة حينما تكون مضطرة إلى ميرة عساكرها ينبغي أن يعلموا أن في الجيش العثماني عشرات الوف من الجنود العرب فإن لم تأخذهم رأفة بالترك ولا بتركيا حال كونها دولة الخلافة الاسلامية فلتأخذهم بالأقل رأفة بابناء جلدتهم . نشرت هذا السؤال في جريدة (الشعب) بمصر وتركته مغفلاً من التوقيع حتى لا أكون اتهمت تلك الفئة بغير ثبوت . فانبهرى رفيق بك العظم رئيس تلك الفئة للجواب على هذا السؤال . وما أكتفى بإنكار الخبر حتى شفعه بقوله إنه سؤال يقصد به صاحبه للذي هو من النفعيين التذلف الى الاتراك بحق أو يياطل .

فعند ذلك صرحت عن ذات نفسي وأجبت رفيق بك العظيم الذي
 كان صديقي من قبل وكنت أجمع به وبالسيد رشيد لمذاكرات لا
 يكون فيها أحد غيرنا نحن الثلاثة فقلت له : انني لا أتزلف الى احد
 وانه سيثبت المستقبل حقيقة الامر ويعلم الناس من هو المتزلف الى الترك
 يحق أو يبطل . ومن هم أولئك الذين يريدون توطئة مناكب البلاد
 للاحتلال الاجنبي . فهذا الجواب غاظ تلك الفئة وجعلها تنظر إليّ نظر
 المناوي لمبادئها حينما كانت تظن أن الدولة الانكليزية ستعضدها في مشروع
 تأميم دولة عربية ! . وكان المرحوم المترجم يومئذٍ منحيلاً إلى الفئة
 التي نحن في صدددها ولكنه لم يكن كغيره ممن يسترسل الى مواعيد
 الانكليز ويرى أن انقياد العرب لانكلترا هو عين المصلحة كيفما آل الامر
 بهم . ولبت بعد هذه الحادثة أجمع معه وأبادله الافكار لكن المودة
 بيننا كادت تتزعزع بسبب وجود كل منا في غير صف الآخر . وصادف
 أني يوم تناقشت مع فريد باشا في سراي عابدين أثبت الى ادارة المؤيد
 فوجدت الشيخ علي بوصف وعنده السيد رشيد رضا والسيد عبد الحميد
 الزهراوي وحنفي بك ناجي فيينا نحن نتحدث إذ وردت برقية معناها ان
 المانية خصصت ثلاثة مليارات لاجل النفقات الحربية فقال الشيخ علي
 يوسف : انني أتم راحة الحرب . وخرجنا من هذا البحث إلى قضية
 الجهة التي ينبغي أن تكون فيها الدولة فيما إذا نشبت الحرب فقلت انا:
 ان الدول التي غلبت على العالم الاسلامي وأخت على استقلال أكثره
 من الدول المعاديات لالمانية . فقال الزهراوي : إذا يجب ان نكون تحت
 حكم المانية . . . فساءتني هذه الكلمة التي فيها تمرير بأني سائر على

مشرب الاتحاديين الذين كانت سياستهم اتباع المانية . فقلت له : بل يجب أن نكون تحت حكم انكثرة اشارة الى ان ذلك الحزب من العرب جعلوا هذا قاعدة سياستهم . فوقع حينئذ الجدال ووصل الى أن الزهراوي عفا الله عنه قال : أين هي الدولة ؟ فقد ذهب . فقلت له : إنها لم تذهب وأحد رجال انكثرة نفسها صرح مؤخراً بأن أمامها مستقبل عظيم ولكنكم أنتم لا تزالون ترجفون بها وتنفألون بسقوطها وتقولون هذا امام الاجانب والحال انكم تعلمون انه ليس لنا مائة دولة وانها إذا سقطت لا نجد من يسد مسدها . فقال الزهراوي : هبنا كتمنا هذا القول عن الاجانب أفلا يعرف هؤلاء الحقيقة ؟ ثم أخذت الحدة السيد رشيداً وكان رحمه الله سريع البادرة فقال لي : أنت دائماً تقول إننا نرجف بالدولة وتفترى علينا . وأراد ان يكمل فرددت تلك الكلمة عليه وقبل أن أكمل الجملة دخل الشيخ علي بوسف وحنني بك ناجي بيننا وسكتنا كلاً من الفريقين . وهذه هي أول مرة اختلفت فيها مع المترجم . وقد تعددت ذكر هذه الحادثة مع ما تقدمها من أسباب تلك الوحشة وذلك حتى لا يقول لي قائل : إنك تتكلم عن إخاء اربعين سنة مع السيد رشيد رضا والحال ان هذا الاخاء كان قد طرأ عليه ما طرأ فأجبت أن أذكر كل شيء على مذهب السيد رشيد نفسه الذي كان لا بغادر صغيرة ولا كبيرة حتى يسجلها في رواياته . وقد فعلت مثل هذا يوم تأييني للملك فيصل ، ابن الحسين رحمه الله فأني بعد أن سررت في سلسلة مقالات كيفية مرضه ووفاته في مدينة بزن ونحن حوله وذكرت ما كان بيني وبينه من المودة وما كان يرجع فيه إلي رأبي في المسائل العربية وفي قضية الاتفاق

بينه وبين الملك ابن سعود وغيره ونشرت كثيراً من مناقبه لم أغفل عن ذكر ما فصل بيننا في أثناء الحرب العامة وكيف كان كل منا في واد . واني مع ذلك كنت أعتمد إخلاصه في مذهبه السياسي وكان هو أيضاً يعتقد إخلاصي في مذهبي السياسي وطالما دافع عني في هذا الموضوع ورد كلام أعدائي الذين كانوا يتهموني بأنني قاومت الحركة العربية تحيزاً الى الأتراك !! ولما وضعت الحرب أوزارها وتبين الرشد من الغي وعرف العرب ان الإنكليز غدروا بهم ازداد الملك فيصل اعتقاداً بي وعرف أني من أول الامر لم أعارض تلك الحركة الا خوفاً على العرب أنفسهم وحرصاً على الجامعة الاسلامية .

وكذلك السيد رشيد بالرغم مما وقع بيننا كان اعتقادي متيناً بإخلاصه وانه لا يمكن أن يواطئ على الاسلام في كثير ولا قليل ولا في المنام وانه مع كراهيته للأتراك في آخر الامر كان يفضلهم على الإنكليز من جهة كونهم مسلمين . على ان هذا المجلس الذي وقع بيننا عند الشيخ علي يوسف سنة ١٩١٢ فرّق بيننا مدة تسع سنوات وان كان كل منا في ذات صدره بقي حريصاً على أخيه محباً ان يسمع عنه الاخبار السارة . وفي أثناء الحرب انقطعت العلاقات بين البلاد العثمانية ومصر كما لا يخفى الا انه كان يتراعى إلينا من وقت الى آخر أخبار عن مصر وما يعمل الإنكليز فيها . فجاءنا في إحدى المرات ان السيد رشيد هو من المفضوب عليهم عند الإنكليز لانهم رغبوا اليه في بث الدعاية الانكليزية ببلاد العرب فلم يستطع أن يجيبهم علناً وأظهر شيئاً من الموافقة لهم على مقاصدهم على صورة أن يبث الدعوة لفصل العرب عن الترك . فوافقوه على ذلك الا

انهم فيما بعد قبضوا على كذب منه تتضمن التحذير من الانكاز أنفسهم في خبر طويل لا يسهه هذا المقام ٠٠٠ فقبضوا عليه وفكروا في نفيه الى مالطة في جملة من نفوهم وكادوا يفعلون الا انهم عادوا ففكروا ان نفي مثل الشيخ رشيد قد يقر به من الاتراك ويزيد الضرر بسياستهم فتركوه في مصر لكن تحت المراقبة الشديدة وسممنا أيضاً خبر مجلس تداعي اليه بعض المشتغلين بالسياسة من السوريين المقيمين بالقاهرة من مسلمين ونصارى فتكلموا في برنامج يجب أن يوضع للعلاقات التي ينبغي ان تكون بين العرب وانكلترة فيينا هم في الاخذ والرد اذ بدرت من بعض الحاضرين كلمة فظيمة بحق الخلافة الاسلامية فنفر الشيخ رشيد بمجرد سماعها وخرج مغاضباً كما روى لي هو وغيره من حضور ذلك المجلس مما لا يزيد الان الخوض في خبره ٠٠٠ واخلاصة ان السيد رشيداً لبث الى نهاية الحرب تحت مراقبة الانكليز ولم يكن كغيره من أعداء الاتراك محلاً لثقة الحكومة الانكليزية ولا ممن كانوا آلات في أيدي الانكليز يجر كونهم كيف شاؤوا ٠٠٠

ولما انتهت الحرب العامة جاء السيد رشيد الى طرابلس الشام وزار بلاده القلمون ومنها جاء الى بيروت وذهب الى دمشق وفي اثناء تأسيس الحكومة السورية العربية التي كان اميرها الملك فيصل بن الحسين انتخب السيد رشيد رئيساً للمؤتمر السوري الذي كان هو مجلس الامة السورية. وهذا دليل من أدلة كثيرة على مكانته العظيمة في نظر أهل بلاده كما انه كان من جملة أعضاء المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في مكة المكرمة منذ ثلاث عشرة سنة ثم انتخب من جملة أعضاء اللجنة التنفيذية بأعظم

مؤتمر اسلامي انعقد الى الآن وهو مؤتمر القدس الذي التأم منذ ست سنوات .

ولما دخل الجيش الافرنسي الى دمشق وقضى على الحكومة العربية السورية بعد اتفاق انعقد بين فرنسا وانكلترا نقضت فيه انكلترا عهدها مع العرب نقضاً جديداً وأباححت لفرنسا الاستيلاء على سوريا الداخلية بمقابلة ترك فرنسا دعواها على ولاية الموصل ، رجع الشيخ رشيد من الشام الى مصر وكان ذلك في سنة ١٩٢٠ المسيحية . ثم اتنا فكرنا نحن السوريين والفلسطينيين في عقد مؤتمر باوروبة لأجل الاحتجاج على احتلال الفرنسيين سورية والانكلز لفلسطين وتبادلنا الافكار في هذا الموضوع الى ان قرأ رأينا على عقد هذا المؤتمر في مدينة جنيف وكان للوجيه ميشال بك لطف الله في هذه القضية خدمة وطنية عظيمة لا تنكر ومأثرة عربية لا تجحد في هذا المشروع . فجاء الى جنيف ومعه عدة اشخاص من رجالات العرب من مسلمين ومسيحيين وكان السيد رشيد في مقدمتهم ووافيناهم يومئذ من برلين حيث كنا مقيمين فاجتمعنا في جنيف بضعة عشر شخصاً بهم تألف المؤتمر السوري الفلسطيني فانتخبنا ميشال بك لطف الله رئيساً والسيد رشيد نائباً أول للرئاسة والحاج توفيق حماد من اعيان فلسطين نائباً ثانياً وانتخب هذا الفقير ناموساً أول للمؤتمر والامتاذ توفيق اليازجي ناموساً ثانياً . واما بقية الاعضاء فكانوا من سورية احسان بك الجابري ورياض بك الصلح ونجيب بك شقير وسليمان بك كنعان . ومن فلسطين وهي أفندي العيسى وشبلي أفندي الجمل وأمين بك التميمي ولحق بنا في الآخر قادمًا من أمهركا الجنوبية طعان بك الهاد فانعقد المؤتمر

السوري الفلسطيني في شهر أغسطس سنة ١٩٢١ ووضع نداء للدول وجمعية الأمم بعد المذاكرات المستمرة والبحث والتدقيق . فكان هذا النداء هو حجر الزاوية في استقلال سوريا الذي عاد فبتحقق بعد ست عشرة سنة من ذلك التاريخ . وسيكون أيضاً هو حجر الزاوية في تحرير فلسطين الذي لا بد أن تظهر به العروبة ظفراً تاماً . هما قام في وجهه من العقبات الأجنبية . وقبيل انقضاء المؤتمر السوري الفلسطيني الذي اجتمع مدة شهرين انتخب هذا العاجز واحسان بك الجابري وسليمان بك كنعان وفدأً يمثل في اوربة ولدى جمعية الأمم . فاقفنا من ذلك اليوم في سويسرة لتكون على مقربة من هذه العصبة وبقينا ستة عشر عاماً نجاهد في سبيل تحرير اوطاننا لهذه عصبة الأمم وفي جميع العواصم الأوروبية وبعد ثلاث سنوات من عمل الوفد السوري الفلسطيني رجع سليمان بك كنعان الى وطنه لبنان فجاء رياض الصلح منضماً إلينا وبقي نحواً من ثلاث سنوات معنا في الجهاد . ثم رجع ايضاً الى سوريا وبقيت انا واحسان بك الجابري قائمين بهذه الخدمة الى هذه الساعة . وعندما انعقد الاتفاق الاخير في السنة المنصرمة بيننا وبين فرنسا وتألقت الحكومة الوطنية في دمشق أردنا جمع ما تقدم منا في الست عشرة سنة المذكورة من النداءات والمذكرات والاحتجاجات الى جمعية الأمم وما وجهناه من الخطابات الى رجال الدول فوجدنا ذلك يقع في خمسة عشر الى عشرين مجلداً مما نتعذر النفقة اللازمة لاجل طبعه . فقررنا إهداء هذه الوثائق كلها الى نظارة الخارجية السورية .

ثم أعود الى سيرة السيد رشيد وعلاقتي الشخصية معه فأقول : انه لما ظهر ما ظهر من نكث الانكليز بالعهود التي قطعوها للعرب في ايام الحرب

وعلم هؤلاء أن الذين كانوا يحذرونهم من مكابد الانكليز وينذرونهم بسوء المصير اذا استمعوا لهم ، وفي مقدمة هؤلاء كاتب هذه السطور لم يكونوا خائفين للقضية العربية ولا كان مقصدهم ممالأة الاتراك على قومهم كما كان يزعم بعض سماسرة الاجانب . فأخذ كثيرون يتذكرون كلامي الذي كنت اتادي به بكثرة واصيلاً قائلاً للعرب : انكم ستندمون على مخالفة من وثقتم به . . . وسيطلع الفجر على كل ذي عينين . وصارت ترد إلي الرسائل من اناس كثيرين من العرب الذين كانوا يسيؤون الظن بي ويحتجون على سياسيي وقد أذعنوا فيها باني كنت على صراط مستقيم واني كنت الوحيد الذي تكهن بحقيقة المصير وحققت الايام كلامه . وكتببت انا بعد الحرب مقالات في الصحف في هذا الموضوع كانت توقفي فيها «عربي صميم لم ينخدع من القديم» وكان كثير من العرب الذين احترقت أكبادهم من نكث الانكليز بما عاهدوا عليه العرب وظهرت لهم كالشمس في رابعة النهار سياسة انكلترة الصهيونية يقولون : إي والله ما انخدع هذا الرجل من القديم وكأنه كان يقرأ في ظهر الغيب . وجاءني مرة كتاب من أحد اخواني في دمشق يشير الى هذا المعنى وكان يخشى المراقبة على البريد فلم يزد على أن قال : الجميع يتذكرونكم وينشدون قولكم : سيعلم قومي الخ . وهذه الجملة لها حكاية .

تقد كان صديقي هذا يشير الى بيت من الشعر قلته من قصيدة في صلاح الدين الايوبي وكنت تلوت هذه القصيدة في الاستانة بين يدي تمثيل رواية صلاح الدين التي قام بتمثيلها شبان المنتدى العربي فيمد ان ذكرت زحف الغرب على الشرق وقيام الشرق في وجه الغرب وبينت ان

هذا الاعتداء من الغرب على الشرق دأب قديم وان الحاضر ليس بمحدث جديد . وإنما هو راجع الى اصله ، وفازع الى عرق . قلت الايات التالية :

فيا وطني لا تترك الخزم لحظة بعصر أحبطت بالزحام مناهله
وكن بَقْظًا لا تسخِّم لمكيدة ولا لكلام يشبه الحق باطله
تذكر قديم الامر تعلم حديثه فكل أخير قد نمته أوائله
وكيد على الاتراك قيل مصوب ولكن لصيد الامتين حباله
إذا غالت الجُمَى أخاك فانه لقد غالك الامر الذي هو غائله
فليست بغير الاتحاد وسيلة لمن عاف ان تغشي عليه منازل
وليس لنا غير الهلال مظلة بنال لديها العز من هو آمله
ولولم بفدنا عبرة خطب غيرنا لمان ولكن عندنا من نائله
سيملم قومي أنني لا أغشهم ومهما استطال الليل فالصبح واصله

وقد كان السيد رشيد في طبيعة من تذكرني وبدأ وهو في الشام بتكليف بعض من يرأسني باهدائي سلامه فأجبت بالمثل فعاد وكتب إلي راسماً يقول لي ما معناه : إنه مضي الذي مضي وصار علينا أن نجتمع وننفق لأجل معالجة الحال الحاضرة . وقد كان هذا دأب كثير من المخلصين الذين قاوموا سياستي قبل الحرب وفي أثنائها وكانت مقاومتهم عن عقيدة واقتناع . فلما انجلى القبار ، وانكشفت الاسرار ، وعرفوا اني ما تكلمت إلا بما وقع عادوا فوضعوا أيديهم في يدي وعولوا علي . ومن هؤلاء الملك فيصل رحمه الله : فإنه ما سقط عن عرشه في دمشق حتى أرسل إلي بمكافئ من برلين رسالة تدل على منتهى الثقة ومزبد الاعتقاد بإخلاصي للقضية العربية . وأففى إلي بأمرار لا يفضي بها إلى أعز الناس عليه . وبعد

ذلك بسنوات جاء في منه كتاب هو عندي بقول لي فيه : أشهد بانك أول من تكلم معي من العرب في قضية الوحدة العربية .

فإذا كان هذا مبلغ ثقة فيصل بي بالرغم مما شجر بيني وبينه سيف أثناء الحرب فما ظنك بالسيد رشيد الذي كنت أمت إليه وكان يمت إليّ بأواصر روحية لا توجد بيني وبين شخص آخر من العرب . فقد كان رجوعنا الى الاخاء القديم أمراً طبيعياً واستؤنفت بيننا المكاتبة . وكان أصل الفكرة بعقد المؤتمر السوري الفلسطيني في اوردية هو مني ومنه ووافق ذلك آراء أخواننا الآخرين وما لبثوا أن أقبلوا على جنيف ووافقتهم انا من برلين . وقد ذكرت في مقالات التأبين التي نشرتها عند فقد السيد رشيد قصة سياحته في سويسرة والمانية وأنا معه مما لا حاجة الى إعادته . ثم انني بعد إيابه الى مصر أرسلت اليه بمذكراتي عن ايام الحرب وماقت به في سورية من خدمة أبناء وطني وتلطيف وبلاتهم في تلك الايام العصبية . وكنت قد رويت للشيخ رشيد جميع ذلك مشافهةً وأخبرته بخبر جمال باشا ومقاومتي له ومحاولتي ردعه عما أتاه من الأعمال التي أغضبت العرب وأضررت أبلغ الضرر بالدولة العثمانية . فأشار الشيخ بنشر ذلك في المنار بقوله إن هناك أعداء يقولون العكس . فبعثت اليه بسلسلة رسائل نشرها كلها في المنار وجعل لها مقدمة أفشى فيها بكل ما كان عنده من حسن الظن بي . وقد كانت هذه المذكرات أول ما كتبته بعد الحرب في هذا الموضوع ثم اقترح عليّ أناس في أميركة سنة ١٩٢٧ وأنا يومئذ هناك نشر ما أعرفه من ذلك الموضوع بحجة أنهم لم يطلعوا على المنار . فأملت سلسلة مقالات نشرتها جريدة (مرآة الغرب) في نيويورك وكانت أدنى

وأتم تفصيلاً مما نُشر في المنار . ثم كتبت هذا التاريخ مرة ثالثة في ضمن ترجمة نفسي واستودعته مكتب المؤرخ الاسلامي في القدس بعد الاحتياط له بالتصديق والتسجيل وذلك حتى ينشر بعد وفاتي .

هذا ومن سنة ١٩٢١ الى السنة الفاتنة نشرت في المنار مقالات كثيرة لا يسع هذا الكتاب إيرادها كلها ويجوز أن أنقل بعضها مما هو بسبيل من كتابنا هذا كما انني سأُنشر أكثر رسائله الخاصة إليّ ، وقد كنت أدعوه كل سنة تقريباً أن يأتي الى سويسرة وبصطاف عندي تبديلاً للهوا . وطلباً للاستعجاب فكان يعتذر بكثرة شواغله . ولم أكن أرى في عصرنا هذا أصبر على الكتابة وأجلد على الشغل وأسيل قلماً وأسرع خاطراً من الشيخ رشيد : فلو وزعنا ما كتبه بقلمه وبخط بنانه في حياته على خمسين كاتباً لأصاب كلاً منهم قسط يجدر بأن يجعله في صف المؤلفين العاملين . وقائل هذا القول الآن ليس ممن يأخذه العجب في هذا الموضوع لأدنى شيء بل هو معروف بأنه لا يضيع دقيقة واحدة من وقته وأنه يتلقى أكثر من ألفي مكتوب في دور السنة فيجيب عليها كلها ويكتب زيادة عليها مائتين الى مائتين وخمسين مقالة في دور السنة وينشر من التأليف بضعة آلاف من الصفحات المطبوعة تأليفاً فلست إذاً لأغبط أحداً من الخلق على شأو بعيد في الجهد ولا على محصول غزير من ثمرات الافلام . ولكني لا أدعي مباراة السيد رشيد في هذا الشأو فقد كان يكتب جميع ما يكتبه بخط أنامله ولم أعلم أنه استعمل كاتباً يجلي عليه إلا في ما ندر . والحال انني انا أصغر منه بضع سنوات واني منذ عشر سنوات تقريباً أستعين بكتاب أملي عليهم سواء الرسائل الاخوائية أو المقالات

السياسية أو العلمية . وما أدهشني ان كتابه الاخير إليّ كان قبل وفاته بأيام قلائل وكان يشكو إليّ فيه المرض وهو أيضاً بخطه .

وفي سنة ١٣٤٧ هـ حججت بيت الله الحرام وكنت أرجو أن أمة بمصر القاهرة فمعتني السلطة من الدخول الى مصر لاسباب ليس هنا محل ذكرها وكانوا يريدون أيضاً أن يمنعوني من النزول في بورت سعيد حتى ان شركة (هانزه) الالمانية عرضت عليّ أن أركب احدى بواخرها على ان تسير بي من بورت سعيد الى جدة ولولم يكن من عادة بواخر هذه الشركة المرور بجدة ، إلا أن الحكومة المصرية في آخر الامر بسعي السيد رشيد وأحمد زكي باشا وغيرهما من الاخوان رضيت بان أبيت ليلة في بورت سعيد ومنها أذهب الى السويس ثاني يوم حيث أركب البحر الى جدة فلما أذنوا لي في النزول ببورت سعيد أقبل علينا الاخوان الجلاء الفقير وفي مقدمتهم الاستاذ المترجم وبعد أن جلسوا عندنا عدة ساعات أرادوا الانصراف ومنهم من كانت تستدعي أشغاله سرعة الاياب الى القاهرة فلما تحرك الاستاذ للانصراف قلت له : لا . من البحر الايض الى البحر الاحمر لا يفارق أحدنا الا آخر . فبقي معي الى أن ركبت البحر في السويس وكتب عن حجتي هذه فصلاً في المزار ثم اني في أوتي من الحجاز حصلت على رخصة بالمرور بالسويس لأشاهد سيدتي الوالدة التي أنت من سورية لمشاهدتي ومعها ابن عمي الامير أمين مصطفى ارسلان فأقبل أيضاً جم من اخواننا الى السويس ومنهم من اقام يوماً ومنهم من اقام يومين ولكن السيد رشيداً بقي ملازماً لي منذ وطئت ميناء السويس الى أن ركبت الباخرة من بورت سعيد . فأكون شاهدته مرتين بعد أن رجع من

وربة إلى مصر وشاهدته أيضاً مرة ثالثة وهذه سنة ١٩٣٤ عندما قررت
لجنة المؤتمر الاسلامي في القدس إرسال وفد مؤلف من الحاج امين الحسيني
وهاشم بك الاتامي ومحمد علي باشا علوبة . وكتب هذه السطور الى جزيرة
العرب للإصلاح بين جلالة الملك ابن سعود وجلالة الامام يحيى وقد امل
الشيخ رشيد في هذه التوبة أن الحكومة المصرية تأذن لي في المرور
بمصر وشرع في تهيئة دائرة خاصة بي في منزله بشارع الانشاء ، فغاب
هذا الامل هذه المرة أيضاً . وعندما جئت بالطيارة من برنديزي إلى
الاسكندرية وجدت في استقبالي ماجوراً انكليزياً ومعه جماعة من الضباط
وعلمت أنه لن يؤذن لأحد بمكالمتي ولا بمواجهتي إلى أن أكون ركبت
الباحرة من بور سعيد فسرنا من الاسكندرية بالقطار الحديدي الى
السويس وفي أثناء الطريق لا أعلم بابة محطة وجدت السيد رشيد قد
صعد إلى القطار وأقبل علي في العربة التي أنا جالس فيها . وكان الماجور
الانكليزي يمنع كل إنسان من الاتصال بي وكاد يدخل في صراع مع
السيد محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى الذي حاول مصافحتي بالرغم
منه . فلما رأيت السيد رشيد امام باب العربة نهضت مسرعاً وقلت للماجور
الانكليزي : لا بد لي من مصافحة هذا الامام الكبير ولك أن تفعل ما
تشاء . فصافحته ورجعت الى مكاني ولكن لم يقع بيننا كلام وركب
السيد في عربة أخرى من القطار . ثم اتنا في الاسماعيلية قدم علينا
اخواننا الحاج امين الحسيني ومحمد علي باشا علوبة وهاشم بك الاتامي
وأرادوا أن يتصلوا بي فأبلغهم الماجور ان ذلك ممنوع بأمر الحكومة فقالوا
له : نحن رفاق هذا الرجل في السفر إلى الحجاز ولا نقاس بغيرنا . فاجابهم

انه .أمر بمنهم هم أيضاً من الاجتماع بي في أرض مصر إلى أن نكون صرنا في
البحر فقصى الناس العجب من هذه الفلسفة وكنت خرجت من القطار
لأجل إرسال برفية من محطة في الطريق فلما وقع عليّ بصر الشيخ رشيد
قال لي هذه الكلمة بصوت عالٍ : لا عجب . وهذه آخر كلمة سمعتها من
فه قدس الله روحه . وحاول في السويس أن يقابلني فلم يسمحوا له
وإنما اجتمع برفاقي المشار اليهم وما زدت في السويس على أن شاهدته
عن بعد وكانت هي النظرة الاخيرة وتفارقنا الفراق الذي لا لقاء بعده
بالجسم وان كان مستمراً بالروح . ولم أكن أقطع الامل من مشاهدته
في يوم من الايام ولكن الآجال طالما قضت على الآمال وليس في مكاره
هذه الحياة أشد على المرء من مفارقة الاحباب لا سيما إذا كانت فراقاً
أبدياً . فيا لهول ما لقيت عندما جاءني نعي السيد رشيد إذ انا في جنيف
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .



علاقة السيد رشيد بالشيخ محمد عبدة

ملخصاً من الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام

قال : لم يكن أحد يجهل في عهد الاستاذ الامام انني كنت معه في سني جهاده الاخير كما كان هو مع السيد جمال الدين في مصر وباريس وكنت معه كما قال هو للاستاذ الشيخ محمد شاكر « ترجمان أفكاره » وكنت مستودع أسراره والداعية له والمدافع عنه في كل معركة من معارك جهاده أكتب بشأنها في المنار ما يلقى بملاقتي به وفي الجرائد اليومية ما يكتبه من لا يعنيه إلا إظهار الحق والمصلحة وفوق ذلك اتنا كنا على اتفاق في العقيدة والرأي في جميع ما ينشره المنار الامسائل الدولة العثمانية وسلطانها فانها من السياسة التي كان ينفذها^(١) وقد مرت الشواهد على ذلك في عدة مواضع : من أهمها سعي سمو الخديو للتفريق بيننا ومن قول الاستاذ أبي شادي بك : اتنا رجل واحد . فوجب ان أبسط في هذا التاريخ بدء هذه العلاقة وما انتهت اليه ووضعناها هنا لان عملي في الإصلاح والتجديد متمم لعمله كما كان عمله متمماً لعمل السيد

(١) كان الشيخ محمد عبده مع معرفته بما كان من الخلل في ادارة الدولة العثمانية لا يكره هذه الدولة بل كان يحب بقاءها ويهتم بإصلاحها والشيخ رشيد نفسه نقل عنه انه قال له عن الدولة العثمانية انها سياج في الجملة . وقد صمته انا مرة بقول : يعنى بعضهم بانى ضد الدولة العثمانية وكيف بمقل أن أكون ضدها وأنا أعلم انها اذا زالت في هذا الوقت يبقى المسلمون كالأيتام .

جمال الدين من الوحة الدينية والمدنية وكان عمل سعد باشا زغلول في جمع كفة الشعب المصري . متمماً لعملها من بعض نواحيها السياسية . ولقد قال له صديقه القديم محمود سامي باشا البارودي في أول تلاقيهما بعد عودة الباشا من منفاه في جزيرة سيلان الهندية : ان السيد جمال الدين قد تركك لنا فقمنا بالاصلاح بعده خير قيام واني لخائف ان تنقطع السلسلة بعدك فبشرني هل عندك أحد ترجوان يتصل به سير الاصلاح ؟ قال نعم عندي شاب سوري يقوم بذلك وسأرسله اليك لتعارفا . أخبرني الاستاذ الامام نفسه بهذا وأرسلني الى الباشا لتعارف فتعارفنا وتآلفنا وكان رحمه الله أشد الناس عشقاً للمنار حتى كان يطلب ما طبع من كل جزء منه قبل ان يتم طبعه .

ذكرت في ترجمة السيد جمال الدين من هذا الكتاب (ص ٨٤) خبر عشقي له وكتابي اليه بالرغبة في صحبته لتلقي الحكمة منه وان سبب عشقه وعشقي الاستاذ الامام هو قراءة جريدتهما (العروة الوثقى) وان ذلك كان سنة ١٣١٠ هـ اذ كنت أطلب العلم في طرابلس الشام ثم بينت ما كان من تأثير « العروة » في نفسي في فصل عقده للكلام على تأثيرها في العالم الاسلامي (ص ٣٠٣) ثم ذكرت لقائي للاستاذ أول مرة في طرابلس الشام بعد عودته من أوروبا وما كان من إكباري له وإعجابي بكلامه (ص ٣٩٠) وما كان ذلك الا ساعة أو سبعة من الزمان .

وقد لقيناه مرة ثانية في طرابلس إذ كان جاء سورية مصطافاً وكان يصحبه أحمد فتحي بك زغلول من خواص مرابطيه (وكان رئيس نيابة الاسكندرية) فدعاه كبير عشائر لواء طرابلس محمد باشا الحمد المرعي

الشهير الى ضيافته في منارعه الواسعة في عكار فأجاب ورأى من حفاوة هذا الامير ما لم يره في مكان : من ذلك ان الاستاذ الامام كان في بعلبك على ما أذكر ولم يعين الطريق التي يسلكها الى بلد الباشا التي ينتظره فيها من عكار فأرسل الباشا الى كل طريق من الطرق الموصلة الى بلده (برقابل) كوكبة من الفرسان ممتطية جيادها العربية مشرعة رماحها الخطية فصادفته إحداها فجاءت في خدمته . ثم كانت الاخباريات تعود تترى كلما وصلت واحدة منها قالت : يا سعادة الباشا ما وجدنا للضيف أثراً . وكان الاستاذ الامام في مدة وجوده في عكار متنقلاً بين منارع الباشا وقراه يركب معه ومع آله وعشيرته فرساً من هذه الجياد العربية فتوقل به الجبال وتبهط الاودية وتسبح في السهول وقد دعا الباشا لاجله أشهر علماء طرابلس لبأنس بهم .

وكنيت في طرابلس أنتمس أخبار عودته كل يوم فوصل اليها ليلاً ونزل في دار صديقه الاستاذ عبد العزيز أفندي سلطان^(١) الذي كان مدرساً للقانون في المدرسة السلطانية ببغروت أيام كان الاستاذ مدرساً فيها ذهبت في الصباح لزيارته فقبل لي انه ذهب لحمام عز الدين فجئت الحمام وانتظرت في محل الجلوس الخارجي ربثاً يخرج وكان في انتظاره بعض العلماء فخرج قبله أحمد فتحي بك زغلول فمرقه بي الاستاذ الشيخ خير الدين الميقاتي وذكر له حيي للاستاذ والسيد جمال الدين وتشيبي لهما وكان

(١) كان المرحوم عبد العزيز أفندي سلطان من أعز إخواني وكان من أمثل أدباء سورية وأشدهم ذكاءً ولكن لم يكن حظه بقدر عقله وتوفيقه في دمشق وهو رئيس لمحكمة التجارة فيها .

مما قاله إنه أبلغ كاتب عندنا ولا يمدله استاذاً في الانشاء الا الشيخ محمد عبده وهو لم يلقه فقال له فتحي بك : كذلك عندنا الكتاب المجيدون في مصر كلهم يعترفون بانه لا استاذ لهم في الانشاء الا الاستاذ أو السيد جمال الدين . ثم خرج الاستاذ فسلمت عليه وقد تذكر تلاقينا تلك السبوعة منذ بضع سنين وكنت ألامه مدة وجوده في طرابلس من أول النهار الى وقت النوم وكان في مجالس التنزه في حديقة التل وفي السير ليلاً لا تلقاه الا مسؤولاً فكان سبعة اعشار الحديث له أو أكثر .

والكن محمد باشا المحمد اضطره الى سؤاله والسماع لحديثه في أيام ضيافته له إذ ذكرت أنساب العرب فكان الباشا يذكر اتصال قبائل هذا العصر بالقبائل المدونة في الكتب كتاريخ ابن خلدون وغيره وكان للباشا باع طویل في ذلك " فكان الاستاذ يسأله التفصيل ويمجب بأجوبته . وقد أطرى في بعض مجالسه الشيخ أحمد فارس الشدياق في اللغة والانشاء فقلت له : أين هو من أسلوب العروة الوثقى الرفيع ووضعكم لفرائد اللغة الطريفة في مواضعها منها ؟ قال تلك ألقاها نديرها أما الشيخ أحمد فارس فهو إمام في اللغة . وأما أسلوبه في الكتابة فغريب قلما فطن له الادباء :

(١) كان محمد باشا المحمد المرعي بقية من بقي من اسراء سورية الكبار على ما كانوا عليه من علو الهمة والنبالة والكرم وحسن الضيافة وقد عرفته في بيروت إذ جاءها مرة وذلك اذ كنت في ريعان شبابي وكان له ميل الى التاريخ وعلمت انه قرأ كتابي « آخر بني سراج وخلاصة تاريخ الاندلس » مرتين وكانت وفاته في الحجاز حاجاً وقد تجاوز سن الثمانين . هذا وبين عائلتنا والمائلة المرعية صداقة قديمة يتذكرها كل فريق من العائلتين وكان همد باشا المحمد يحدثني عنها .

ذلك انه خدم الدولة الانكليزية في الاستانة عشرين سنة بما كان يعتقد جميع قراء جريدته « الجوائب » انه خدمة للدولة فقط إذ أفتسح مسلحي الهند بل العالم الاسلامي كله ان هذه الدولة صدبة للسلطان ودولته ونصيرة لها . وقد عجبنا من تفضيله لأحمد فارس على نفسه في الانشاء وهو أبلغ منه .

وكان مما سأله عنه إسلام مسلحي ليفربول من بلاد الانكليز : أهو إسلام صحيح أم ميامي ؟ قال السياسة لا تأتي من العامة وهؤلاء من العامة . وقد تعارفنا في هذه المرة وكان كلما كتب الى عبد العزيز سلطان يسلم علي .

وكان مما أعجبني من كلامه وكلامه حكم كالدرر انه لما أراد السفر من طرابلس الى مصر طفق العلماء والوجهاء يلحون عليه راجعين أن يطيل إقامته عندهم اسبوعاً على الأقل فقال إذا نصل بعد انتهاء الاجازة بأيام . قلت له : وهل في هذا تبعه أو مسؤولية ؟ قال نعم نحتاج إلى الاعتذار الى ناظر الحفانية فنذكرت حديث : « إياك وكل أمر يعتذر منه » : رواه الضياء المقدسي في أحاديثه المختارة عن انس مرفوعاً الى النبي (ص) .

ولما قفى السيد جمال الدين نجبه بالاستانة في شوال سنة ١٣١٤ هـ (مارس ١٨٩٦ م) أجمعت الرأي على الهجرة الى مصر للاتصال بوارث علمه وحكمته الاستاذ الامام لتلقي الحكمة منه والوقوف على رأيه ونتائج اختباره في الاصلاح الاسلامي . وكنت قد نلت من شيوخه شهادة التدريس (العالية) فطفقت أمهد السبيل لارضاء والذي بهذا السفر حني رضي . وأما

الوالدة فكانت توافقي على كل ما أقول لها اب فيه فائدة لي (رضي الله عنهما) .

(الى ان قال) : وسافرت من طنطا يوم السبت ٢٣ رجب الى القاهرة قبل الظهر . وفي ضحوة يوم الاحد ذهبت الى زيارة الاستاذ الامام بداره في الناصرية ومعي صديقي الاستاذ الشيخ اسماعيل الحافظ ورفيقي الشيخ ابو النحى القاوي فلما بلغناها أرسلت اليه بطاقة الزيارة فلما لبث أن نزل وهي يده وطفق بعد السلام يسألني عن أصحابه في طرابلس : الاستاذ الشيخ حسين الجسر ودروسه وجريدة طرابلس التي ينشر فيها مقالاته والشيخ عبدالله البركة والشيخ عبدالله المسقاوي وعبد المزيز أفندي سلطان ومحمد باشا المحمد .

ثم قلت له ان غرضي الاول من الهجرة الى مصر تلمي الحكمة عنه وإنني أعتقد انه بقية رجاء المسلمين وأنه موجه غايته لاصلاح الازهر . فتكلم في مسألة الازهر ومسألة الزام الخديو توفيق باشا إياه ان يكون قاضيا في المحاكم الاملية بما نشرته في اول الكلام على عمله في إصلاح الازهر . ثم تكلم في مسألة السياسة بما نقاه عنه في موضوع رأيه في السياسة . ثم قال ان المسلمين في يأس من كل خير وبخارج الا إياي فان لي املاً كاملاً ويوجد رجل آخر في مصر له نصف أمل . وقد علمت بعد ذلك ان هذا الرجل هو صديقه الشيخ عبد الكريم سلمان .

(الى ان قال) : قلت له انني مررت بطنطا فرأيت في مسجد السيد البدوي ما لم ار مثله من الطواف بقفص القبر وطلب الحوائج منه ... فذكر لي ان احد وجهاء المصريين كانت عنده في اثناء مولد السيدة

زینب من هذا الشهر (رجب) مع جماعة آخرين فقام الوجیه وقال انه
ذاهب لزيارة السيدة (قال) فقلت له : لم خصصت الزيارة بهذا اليوم ؟ قال
لأنه يوم المولد وان هذه الليلة هي الليلة الكبيرة .

« قلت : ما هذا المولد ؟ أنا لا أفهم معنى لهذا اللفظ هل يوم المولد أو
الليلة الكبيرة من لياليه عبارة عن ليلة تخرج السيدة فيها للقاء الزائرين ؟
قال : ونهيته عن الذهاب فلم يفته وهم بالخروج . فقلت له : إنني لست مازحاً
وإنما أتكلّم الجد وأقول ان هذا العمل من أعمال الوثنيين وإن الاسلام
يأباه . كل آيات القرآن في التوحيد تنهى عن هذا ونذمه . ان الفاتحة التي
تقرؤونها كل يوم في صلاتكم صراراً تنهاكم عن هذا العمل - مخاطبون
الله تعالى فيها بقوله : (إياك نعبد وإياك نستعين) كذباً فإنكم تستمعون
غيره وتعبدون غيره ثم ان عملكم هذا متناقض حيث تهذون الفاتحة الى
من تزورونه إذ معناه انه محتاج اليكم وينتفع بفاتحكم ثم تطلبون منه قضاء
حوادثكم » . الخ .

ثم كنت أختلف الى داره بإذنه فيقابلني في حجرة النوم والمطالعة
والكتابة كما يقابل بعض خواص أصحابه أحياناً وأما سائر الناس فكان
يقابلهم في حجرة الاستقبال من الدور الأسفل . وقد نشرت بعض ما دار
بیني وبينه في بيان آرائه آنفاً . وكان عند الانصراف بعد كل لقاء يذكر
لي مواعيد في اليوم التالي والوقت الذي يمكن أن بلقاني فيه بالملء وهو
كل وقت يكون فيها .

كثير اجتماعي به قبل اصدار النوار وكنت أكتب خلاصة ما يدور
بيننا من المذاكرة وكله في المسائل الاصلاحية التي هاجرت لاجل الاغتيال

بها والوقوف على منتهى علمه ورأيه فيها ولم تكن تختلف الا في مسائل قليلة ينتهي البحث فيها بالاتفاق كمسألة البايّة والبهائية التي شرحتها في الكلام على آرائه وسيأتي غيرها .

استشارتي اياه في انشاء صحيفة

لئن كان الغرض الاول الباعث لي على الهجرة الى مصر هو صحة الاستاذ الامام كما تقدم فقد افترن به عند إجابة قدح الفكر فيه باعث آخر وهو انشاء صحيفة اصلاحية أستمد من حكمته واختباره فيما أكتبه فيها اذ آن لي أن أكون مفيداً كما أكون مستفيداً . وقد جربت نفسي في الكتابة بتأليف كتاب (الحكمة الشرعية) فكان كل من سمع شيئاً منه في تحقيق المسائل الاصلاحية الدينية والاجتماعية والمدنية من أهل العلم والفهم يبالغ في الثناء على إنشائه والاستقلال في تحرير مباحثه .

(الى ان قال) : وجملة القول انني كنت عازمت على انشاء الجريدة قبل السفر وعقدت مع رجل آخر اتفاقاً عليه ورأيت أن أختبر حال البلاد وأعرف رأي الاستاذ الامام فيه ولم أكتشفه بذلك الى ما بعد سياحة قصيرة في الوجه البحري قبل دخول القاهرة وسياحة أقصر في الوجه القبلي بعده . وكان قد ذم جرائد مصر أمامي وقال إنها قليلة الفائدة لعدم وجود أحزاب تنطق بلسانها وتكون هي داعية لها .

زرتني في سادس شعبان (سنة ١٣١٥ هـ) . تلك الزيارة الطويلة التي كان من حديثنا فيها مسألة الصوفية والبهائية التي شرحناها في الكلام على آرائه فكان أول حديثه معي ان زائراً يبروتياً من بيت الانسي أخبره أن

جماعة جاؤوا من طرابلس الشام لإنشاء جريدة في مصر فقال له : وهل رأوا الجرائد هنا قليلة ؟

حينئذ قلت له : انه يعنيني وقد جاءني أنا من طرابلس ان والي بيروت بلغه انني جئت من مصر لأنشيء جريدة للطعن في رجال الدولة وأصل الخبر صحيح ولكن المقصد أعلى من الكلام في الشخصيات والحكومات . وان رجال الدولة قد ذموا كثيراً ومدحوا كثيراً فما نفع المدح ولا الذم .

رأيه في جرائد مصر وقراءتها

قال الأستاذ : إن المصريين في حالة جعلت أفكارهم موجهة الى شيء واحد من الجرائد : وهو أخبار الحكومة وما يقال عن الخديو وعن الانكليز ، ولا يلتفتون الى ما وراء هذا ، وقد قامت به ثلاث جرائد : المؤيد والمقطم والاهرام . وشرح خطة كل جريدة منها ، وذكر أنه لا يمكن لي مباراة واحدة منهن في خطتها .

قال : واذا كتبت في الموضوعات الأدبية كالتربية أو التعليم أو آداب اللغة لا يلتفت الى كلامك الناس ، فإنني لا أعرف أحداً في الازهر ولا في المدارس مشتغلاً باللغة وآدابها إلا أن يكون في الزوايا من لم يعرف ، وهؤلاء إن وجدوا لا غناء فيهم وهذا أمر مهم ومفيد ، ولكنه لا يأتي منه ما يفي بنفقاته ، ولا يبنّي الشعب وإتقان المال هكذا .

قلت : إن صاحب مجلة الهلال أخبرني أن له ٣٥٠٠ مشترك ، فاستغرب ، وقال : إن كانوا يحسبون أن كل من يكتبون اسمه في

دفاترهم مشتركاً فقد يكون عنده هذا العدد ، وأما الذين يدفعون
الفلوس فلا أعتقد أنهم يبلغون الالوف .

قلت : إن من غرضي الاشتغال والتعمرن على الكتابة في المسائل
الاصلاحية المفيدة . قال : يمكنك أن تكتب هذه المباحث في كتاب
فهو أرجى لقراءة الناس له .

موافقتي على إنشاء صحيفة اصلاحية وشروط فيها

ثم انتقلنا الى الكلام في موضوع مرض الامة وضعفها ، وأن أنفع
الوسائل في معالجتها التربية والتعليم ، ونشر الافكار الصحيحة لمقاومة
الجهل والافكار الفاسدة التي فشت فيها كالجبر والخرافات .. فقلت :
إن هذا هو الباعث لي على إنشاء هذه الجريدة ، وإني أسمع أن أنتق
عليها سنة أو سنتين من غير أن أكسب شيئاً .

قال : إن كان هكذا فهو حسن ، وهذا أشرف الاعمال وأفضلها .
وأنا اذا كنت على ثقة من مشرب هذه الجريدة فأني أساعدها بكل
جهدي .

قلت : اني أعاهدكم على ان أكون معكم كالمرشد مع أساتذته على
نحو مما يقول الصوفية ، ولكنني أحفظ لنفسي شيئاً واحداً أخالفهم فيه ،
وهو أن أسأل عن حكمة ما لا أعقله ، ولا أقبل إلا ما أفهمه ، ولا
أفعل إلا ما أعتقد فائدته .

قال : هذا ضروري لا بد منه . ومن هنا انتقلنا الى الكلام
في الصوفية .

ثم زرته في يوم الاربعاء (١٢ شعبان) وكان معي الاستاذ الشيخ اسماعيل الحافظ ، فكلتني في مسألة الجريدة ، فأشار بثلاثة أمور :
(١) ان لا تتحيز لحزب من الاحزاب (وذكر في حديثه صاحب المؤبد ومصطفى كامل الشاب المتحمس او المتهور » . (٢) ان لا نرد على جريدة من الجرائد التي تعرض لنا بدم او انتقاد . (٣) ان لا نخدم افكار احد من الكبراء (هؤلاء الشاغلين للوظائف الكبيرة الذين يدعون بها كبراء انتاقد نستخدمهم ولكن لا نخدمهم) .

ثم أشار الى ان الطبع ينبغي ان يكون في المطبعة الاميرية للبعد عن الدسائس وعن اطلاق جماعة المطابع على شؤون الجريدة الداخلية (وذكر لي ما يعلمه من أخلاق اصحاب الجرائد من السوريين والمسلمين) .
ثم تكلم عن حرية الجرائد وقال : أنتم تسمعون ان في مصر حرية ... هذه الحرية ليست للمسلمين ! المسلمون في أشد المراقبة عليهم وأبعد الناس عن الحرية ، لا حرية لهم فيما ينفعهم أصلاً ولكن لهم الحرية المطلقة في كل ما يضرهم (وقد قال في حديث آخر ان الحرية التي كانت بمصر كافية للنهوض لاصلاحها وانما كان العائق فساد الاخلاق) .
(الى ان قال :

ثم شاورته في اسم الجريدة فذكرت له لسم النار مع اسماء أخرى ليختار منها او غيرها فاختر لسم النار وكان احبها اليّ لفظاً ومعنى . ثم شرعت في تحريره في الاسبوع الذي صدر فيه فكتب فاتحة العدد الاولى بقلم الرصاص في جامع الاسماعيلي المجاور لدار الاستاذ بالناصرية وذهبت بها الى داره فعرضتها عليه فأعجبته جد الإعجاب كما تقدم

كما تقدم (ص ٩١٣) ولما صدر العدد الاول قال : كان ينبغي أن تكتب فيه مقالة أخرى في موضوع من الموضوعات الاصلاحية التي ذكرتها في المقدمة . فقلت : موعدا العدد الثاني . فلما صدر الثاني مفتتحاً بمقال طويل عنوانه (القول الفصل - محاوراة في سعادة الامة) جئت به دار الاستاذ وكان عنده الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان فقرأ هذا كله والاستاذ الامام يسمع وبعد الفراغ من قراءته أثنيا عليه ثناءً جميلاً وقال الشيخ عبد الكريم : انك لم تترك في هذا المقال شيئاً يقال في الموضوع . قلت : هذا كله مقتبس من مولانا الاستاذ . قال الاستاذ كلا اني والله لم أتكلم معك في شيء من هذا . قلت : وأنا لست بالمتعلق إنما أعني اني استفدت هذا المذهب دروبت من هذا المشرب من قراءة جريدة (العروة الوثقى) . وما ذكرت هذه المسألة هنا لاجل الثناء على نفسي بل لأبين كيف تأسست الصلة بيني وبين الاستاذ الامام في اتحاد المذهب والمشرب .

(الى أن يقول) :

حياتنا المعنوية في الحياة

وأما حياتنا المعنوية فكنا كروح واحدة في جسدين : كان بكاشفي بجميع أفكاره وأمراره ، في علاقته بالحكومة والخطيب والورد كروم ، ورئيس النظار وفي أعماله في الازهر ومجلس الشورى ومجلس الاوقاف الاعلى ويعهد اليه بكتابة بعض المقالات في الجرائد لتأييد رأيه وتفنيد آراء مخالفيه في بعض المسائل أو الأعمال ونشر كل منها في الجريدة التي تليق بها بإمضاء تناسب الموضوع كازهري أو حقوقي أو مسلم ... وكنت

أنشر بعضها في المؤيد وبعضها في المقطم وبعضها في الاهرام وكذا الرائد المصري وأحياناً كان يرسل إليّ إحدى الجرائد وعليها إشارة منه إلى شيء لأجل الرد عليه وقد يكتب بجانبه أو على ورقة أخرى موضوع الرد والابتناء إلى الروح الذي يبرز فيه من شدة أو لطف أو نهك أو تجهيل ولا يزال لديّ شيء من هذه الأوراق .

وكان يعمد إليّ في بعض الاوقات بكتابة المکتوبات الشخصية لأصدقائه سواء أكانت مبتدأة كمنهشة أو تعزية أم رجع كتاب منهم أو جواباً عن سؤال من غيرهم . وقد ذكرت نموذجاً من هذين النوعين فيما تقدم وتارة كان يطالب مني أن أكتب له بعض النصوص أو الاحاديث في بعض المسائل وسأله بعض الناس لا أدري في أي البلاد أن يرسل اليهم برنامجاً لمدرسة اسلامية أنشئت أو يراد انشاؤها وطريقة التدريس فيها فعمد إليّ بذلك ففعلت ولا يزال لديّ بعض أوراق المسودة التي كتبتها . وقد مرّت من الشواهد والمثل على هذا في الفصول السابقة ما يغني عن الإطالة فيه هنا . (إلى أن يقول) :

ما لا بد من تنقده لـ «نار علي» المنار

كان أحسن الله إليه ينتقد عليّ في المنار أموراً بذكرها لي عند وجود ما يذكرها .

(أحدها) الصراحة التامة والشدة في إظهار الحق وكان يعبر عن ذلك بقوله ما محتاه : أنك كثيراً ما تبرز الحق عربانياً ليس عليه حلة ولا حلي يزيّنه للناظرين - ويهون قبوله على المبطلين فينبغي أن نتذكر أن الحق ثقیل .

وقلما يكون للداعي اليه صديق وانه لا يد من مراعاة شعور من يعرض عليهم كيلا يزداد اعراضهم عنه . وكان يعجبه من مقالاتي ما جعلته بأسلوب المناظرة كمحاورات المصلح والمقلد فوضعها اشد ما كتب وطأة على الجامدين المقلدين ولم يسمع من احد منهم شكوى منها ولا قدح في كتابها .

(ثانيها) كان يقول لي مراراً ان المنار في موضوعه ولفظه لا يفهم أكثر ما فيه إلا الخواص فينبغي أن نتحرى من سهولة العبارة وقلة غريب اللغة^(١) فيها ما يقربه من أفهام جميع القارئین حتى العوام وقد تحربت موافقته في هذا حتى إن قارئ المنار ليجدون من غريب اللغة في السنة الأولى ما لا يجدون فيما بعدها ولكن بقي أكثر مباحثه للخواص بالرغم من ذلك التحري .

(ثالثها) الخوض في سياسة الدولة العثمانية في بعض الاحيان وهذا مما كنت أكرهه أنا أيضاً فيعرض لي من الضرورة ما يحملني عليه وجعل عملي المهم منها كان صرياً وقد أشرت الى ذلك في فاتحة المجلد ١٢ من المنار سنة ١٣٢٧ هـ بقولي : « سألنا السياسة فساورت ووثبت وأسلست لها فجمعت وثقمت وكنائهم بها في بعض الاحيان فيصدف بنا عنها الاستاذ الامام ولم نزل منها ما نهواه الا بعد أن اصطفاه الله » وروى في آخر هذا الفصل ما يلي :

لما مرض الاستاذ الامام مرضة الاخير كنت أعوده بداره في عين شمس كل يوم وأقرأ عليه ما كتبه الشيخ عبد الكريم من رسالة (أعمال) (١) وكان الاستاذ الامام ينصح لي ايضاً في هذا الموضوع بما ينصح به السيد رشيد

مجلس إدارة الازهر) فيصحح فيها ويزيد او ينقص منها وقد أملى عليّ
تقريره عن امتحان مدرسة دار العلوم وهو في سريره فكتبته . ولما سافر
الى الاسكندرية سافرت معه وكنت اقيم عنده اياماً واعدت الى القاهرة
فأنظر في اعمال ادارة المنار ثم أعود الى الاسكندرية دوايك . ولما اشتد
عليه المرض أذيع وأنا في مصر انه توفي فكنت اقضي من الغم وبنت
تلك الليلة بعد تكذيب الخبر ولما استيقظت وجدت على مخدتي دماً قد
خرج من في وانا نائم وفي الصباح عدت الى الاسكندرية فلما قابلته قال لي:
قد جاش في نفسي الشعر في غيبتك كأنني لا أقول الشعر الا في
الحبس أو المرض - يشير الى القصيدة التي نظمها في السجن في عاقبة
الحوادث العرايية وقد تقدمت (ص ١٥٠) وانشدني هذه الايات فكتبتها
واحداً بعد واحد وهي :

ولست أبالي ان يقال محمد	أهل ام اكتمظت عليه المآتم
ولكنه دين ارادت صلاحه	أحاذر ان نقضي عليه المآتم
وللناس آمال يرجون نيلها	اذا مت مانت واضمحلت عزائم
فيارب ان قدرت رُجعي قريبة	الى عالم الارواح وانقض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشداً	رشيداً يضيء النهج والليل قائم
يمائلي نطقاً وعلماً وحكمة	ويشبهني السيف والسيف صارم



ما ورد في المنار بقلم السيد رشيد

عمر رحلتنا الى الحجاز : الاولى للصحح . والثانية للصلح

من حيث انه ورد خبر رحلتنا هاتين إلى جزيرة العرب في أثناء كلامنا عن علاقاتنا مع السيد المترجم فلا بأس بنقل ما كتبه هو رحمه الله عن ذلك . قال في الجزء الثاني من المجلد الثلاثين المؤرخ في صفر سنة ١٣٤٨ هـ ما يلي :

أداء الأمير شكيب لفريضة الحج

كان قلب الأمير شكيب يحن إلى أداء فريضة الحج منذ صغره كما هو شأن كل مسلم وإن كان أمثال الأمير شكيب في تربيتهم المدنية والسياسية والاجتماعية صار يقل فيهم من يحج كما يقل من يطعم ويصوم إذا لم تفرق تلك النشأة المصرية بمعارف دينية صحيحة راغخة كالطود ، لا تؤثر فيها امواج الشهوات ولا تنال منها عواصف الشهوات ولكن شكيبنا تلقى عقيدته من الاستاذ الامام وغازها بالعلم الصحيح والعمل . وقد كان لكبراء الرجال السياسيين من موانع الحج في السنين الخالية ما ليس لغيرهم . عزم شكيب على الحج في موسم السنة الماضية (١٣٤٧) وكان يجب أن يسافر من اوروبا قبل موعد الحج فيخرج على مصر فيقيم فيها مدة مع صديقه الحميم صاحب المنار بداره التي بعدها بحق داره وكتب إلي بذلك وانه لقي في برلين معالي وزير خارجية مصر الدكتور حافظ بك عنيبي -

وكان بينهما صداقة سابقة - فكشفه بعزمه فتبرع الوزير بوعده بأن يهد سبيل الاذن الرسمي له بزيارة مصر في طريقه لعلمه بانه كان ممنوعاً من دخولها بعد الحرب الكبرى ومن المعلوم بالبداهة أن المرجع الرسمي في هذا الامر لوزارة الخارجية ولكن الوزير نفسه رأى ان الاذن له به يحتاج الى تمهيد رسمي !!

ثم أزمع الامير السفر وخرج من داره في لوزان قاصداً البحر من طريق ايطالية وطلق براسل وزير الخارجية ثم يرسل بعض أصدقائه في مصر سائلاً هل تأذن له الحكومة المصرية بالامام بمصر ولو بميناهي بور سعيد والسويس لينتقل من الباخرة التي يسافر فيها إلى باخرة من البواخر التي تنقل الحجاج ؟ وكانت هذه الرسائل بوقية فعلمنا بعد البحث انه لا يزال ممنوعاً من ذلك وبعد بذل السعي من بعض المهتمين بالامر لدى صاحب الدولة رئيس الوزارة اقتنع بأن اللائق بحكومة مصر بصفتها الاسلامية الرسمية أن لا تمنع أحداً من الامام ببعض ثغورها بقصد السفر إلى الحج من غير إقامة تزيد على مدة الانتقال من باخرة إلى أخرى فأصدر أمره بالاذن في آخر وقت أدرك به الامير آخر باخرة تحمل الحجاج في آخر وقت يمكن إدراك الحج فيه وقد علمنا ان الامير بذل في أجور البرقيات أكثر من ثلاثين جنياً وأنه لو كان يعلم هذا لفضل أن يسافر في باخرة ايطالية الى مصوع أو عدن ثم يسافر منها الى جدة .

في أثناء هذه المساعي وتبادل البرقيات شاع بين الناس ان الامير شكياً مسافر الى الحجاز وأنه سينزل من الباخرة التي نقله من لوزية في بور سعيد وينتقل منها الى السويس فعزم كثير من أصدقائه ومن يحبون

الخطوة بمعرفته لشهرته الشريفة في عالم العلم والادب والسياسة والجهاد الاسلامي والوطني على السفر الى بور سعيد للقاءه فيها وطفقوا يتحدثون بتأليف الوفود لذلك في مصر وفلسطين وسورية ونشر ذلك في الجرائد ولكن بعضها ذكر خبر منعه من الالمام بالثغور المصرية . فلم يعلم بموعد وصوله الى بور سعيد إلا بعض أصدقائه في مصر فسافر بعضهم اليها في ذلك اليوم وبعضهم قبله بيوم وقد نزلت مع بعض السابقين في زورق بخاري فاستقبلنا باخرته في البحر عقب وقوفها وأذن طبيب الحجر بمخالطة ركابها للناس وسبقنا ابن عمه الامير أمين فصعد الى الباخرة مع الطبيب الرسمي ولما تلاقينا لم أملك دمع السرور من حيث جرى . ولا تسلك هناك عما قد جرى . ووصل في ذلك اليوم الى بور سعيد الاستاذ المربي المصلح والزعيم الوطني الشهير الشيخ محمد كامل قصاب من حيفا لاجل استقباله وأخبرنا ان وفد حيفا ووفد القدس قد انفض جمعهما إذ نشرت جريدة الجامعة العربية برقية من مصر بعدم الاذن له وهو إنما جاء للاحتفال . وقد جاءت الامير برفيات كثيرة وعاد بعض المستقبليين له الى القاهرة وبات بعضهم في بور سعيد بعد الحاحه على الجميع بالعودة الى اعمالهم إلا كاتب هذه السطور فقد قال له : أنت تبقى معنا من البحر الابيض الى البحر الاحمر .

وقد سافرنا في اليوم الثاني الى السويس فوجدنا بعض المستقبليين في الاسماعيلية من طريقنا وبعضهم في محطة السويس نفسها ومن جاءها بالسيارات الخاصة أحمد زكي باشا وعبد الحميد بك سعيد . وقد بلغ الامير في المحطة أمر الحكومة المصرية إياه بالانتقال منها الى باخرة الحجاج الاخيرة التي تبحر في ذلك اليوم ٢٩ ذي القعدة الى جدة وأنها أمرت

شركة بواخر البوسنة الخديوية التابعة لها بتخصيص مخدع له «قرة» في الدرجة الاولى منها وكان يريد السفر في باخرة البريد في ٢ ذي الحجة فركب الامير ومن كان ثم من المستقبلين المودعين السيارات الى الباخرة تواء وذهبت أنا الى السوق فأخذت له منه الاحرام لانني علمت منه أنه لم يحمل من أوربة شيئاً من ذلك .

الامير شكيب أكبر رجال السياسة من زعماء الامة العربية واشهر كتابها الذائدين عن حوضها والمناخين عن حقوقها والعاملين لمصالحها . فالجاهدون المخلصون منهم يسرون بلقائه لمجدد ملك العرب ومجد العرب وقبله آمال العرب الملك عبد العزيز آل سعود وتناجيهما في المصالح العربية السياسية والمدنية ويرجون من ذلك خيراً كثيراً .

وللامير شكيب مكانة اسلامية سامية عند طلاب الاصلاح الديني المدني الذي يقتضيه هذا العصر من عرب المسلمين وشعوب عجمهم الكثيرة ولا سيما الترك والهنود لماله من خدمة الدولة العثمانية عندما كانت تمثل الزعامة الاسلامية ثم ما جاهد به ملاحدة الترك بعد جهرم بنفذ الاسلام ومعاداته بالقول والفعل ولما له من الدفاع عن الاسلام والمسلمين في مواقع أخرى كثيرة قد كان آخر ما نشر منها مقالة للمنتع الذي رآه القراء في جزء المنار الماضي . ومن الدلائل على مكانته الاسلامية إجماع أعضاء المؤتمر الاسلامي العام من جميع الشعوب بمكة المكرمة في موسم سنة ١٣٤٤ على اختياره لامانة السر العامة (السكرتيرية) للمؤتمر الدائم ولم أكن أنا أشد تقريراً وعناية بهذا الاختيار من الوفود الهندية ولا سيما الزعيمين محمد علي وشوكت علي المناوئين لملك الحجاز ونجد لعدم

اتباعه لهوامها - فأهل الرأي من مسلمي الاقطار المختلفة يسرون برحلة الامير شكيب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ولقائه للإمام المجدد للإسلام في رحاب تلك المشاعر العظام لان شخوص زعماء المسلمين السياسيين وعلمائهم المعصرين إلى الحجاز مفيد بما فيه من القدوة والاسوة الحسنة لأمثالهم المقصرين في أداء هذه الفريضة ومفيد بما يرجى من ورائه من التعاون على المصالح الاسلامية . ومن هذا الباب انه لما شاع في السنة الماضية ان الامام محيي حميد الدين سيحج في موسمها تناقلت هذا الخبر السنة المسلمين وصحفهم وتلقته بالاكابر والاعظام لاسرين : (أحدهما) ان ملوك المسلمين قد تركوا أداء هذه الفريضة منذ قرون عديدة . (ثانيها) حرص مسلمي العالم كله على اعتصام إمامي الجزيرة العربية وملكي الاسلام المستقلين بعروة التحالف والاتحاد الوثقى ورجاؤهم أن يكون تلافئها في بيت الله تعالى متمماً لما مهتدا له السبيل من ذلك بالوفود والمكاتبات والهدايا . ومن فضل الله على صاحب هذه المجلة أن كان هو الساعي الاول الى ذلك بالمكاتبات والوفود من قبل الحرب الكبرى ومن بعدها وبليبه فيه صديقه الأمير شكيب .

ومن دلائل اهتمام اهل الرأي والخدمة العامة من مسلمي الشعوب المختلفة وعرب الملل المختلفة بحج الامير شكيب ورجائهم الخير فيه للملة وللامة انه ساء دعاة الاتحاد في المسلمين ودعاة الاستعمار في العرب ولا سيما السوريين من الفريقين فنشروا في بعض الجرائد مقالات سخيفة طعنوا فيها على الامير في دينه وفي سياسته وفي غرضه من أداء الحج . وكان الذي

تولى كبر هذه الازاجيف ذلك (١)
ولكن بامضاء ألصق الناس بخدمته ولم يصد عنه ذلك اشتهاره هو بالدعوة
إلى الاتحاد ونبذ الدين وتهتك النساء وغير ذلك ومما اتهم به انه يسعى
بمحبه الى جعل الملك عبد العزيز إياه سفيراً له في اوروبا !! وربما كان
هذا الملك أشد احتقاراً لهذا التشبي الذي فانه صار من أعرف الناس
بفضائل الرجل وريائ حاسده . وقد احتفى جلالتة بضيافته احتفاء يسر
نار الحسد في كبد الحسود .

استقبلت الحكومة السعودية ووجهاء الحجاز الامير شكيب في جدة
ثم في مكة أحسن استقبال فقد خف الى لقائه في الباخرة الحاكم
الإداري (القائمقام) وغيره من الموظفين والوجهاء وفي مقدمتهم عين اعيان
الحجاز الشيخ محمد نصيف . ثم قابله جلالة الملك في جدة اذ كان فيها وبعد
أن تعشى مع جلالتة سار معه في سيارته الملكية الى مكة المكرمة
فكانت هذه أول فرصة واسعة للمذاكرة في المصالح العامة . وقد كتب
إلى جلالتة عن هذا التلاقي ما نصه :

« وقد أنسنا بقاء صديقكم وصديقنا الامير شكيب ارسلان وهو كما
وصفتم إخلاصاً وعلماً وأدباً » ويعني جلالتة بهذا الوصف ما كتبه اليه
أخيراً من أنني لم أئن له على أحد وهو فوق ما أتيت ووصفت من كل
جهة إلا الامير شكيب .

وقد علمت علم اليقين ان جلالتة رغب اليه أن يبقى لديه في الحجاز
(١) حذفنا هنا الاسم المكفى عنه وذلك تفادياً من القيل والقال وان كان
الأصل في النار موجوداً .

دائماً أو ما شاء وطابت له الإقامة ليقوم بما لا يستطيع غيره ان يقوم به من أعباء الإصلاح في حكومته فاعتذر بانه لا بد له من البقاء في أوربة لأجل القضية السورية وبأنه يخدم القضية العربية هنالك بما شاء جلالته إلا الوظائف الرسمية فان فكرة المناصب الرسمية قد خرجت من فكره فهو لا يقبل منصباً لا في الحجاز ولا في أوربه كالسفارة في بعض العواصم .

بعد هذا زار الملك جدة فذكر في مجلسه الحافل ما نشر في المقطم من اتهام الامير شكيب بالسعي الى نيل سفارة في أوربا - وهو ما أشرنا اليه في هذا المقال - فغضب الملك وقال من هذا - يعني صاحب مقالة المقطم - وإيش يكون؟؟ ثم أثنى على الامير شكيب ثناءً عظيماً قال في سياقه : والله ان السفارة التي يريدوها في أوروبة تكون له بشرط ان يرضى .

ومن أخبار الامير في الحجاز التي تسر محبيه الذين لا يحصهم الا الله تعالى أن هواء الطائف قد وافق مزاجه فزال هنالك ما كان أصابه في أوربة من مرض الصدر الذي كان فيما يظهر من أسباب ما انكرته عليه من استطالته لعمره ونعيمه لنفسه . ويسرنا ان ما رأينا عند تلاقينا الاخير في وجهه من الاشرار والبهجة وفي حديثه من جرس الصوت وقوة اللهجة وفي مشيته من النشاط وخفة الحركة وفي أكلته من زخم اللقم وجودة المضغ في غيرهم ليبشرنا بأنه مستعد لحياة طيبة طويلة الاجل اذا لم يجن عليها بالافراط في الانكباب على العلم والعمل . وقفنا الله وإياه للقصد والاعتدال والتوفيق لما يحب تعالى ويرضى من الأقوال والاعمال .

وفد الصلح والسلام

وقال رحمه الله في المجلد الرابع والثلاثين من المنار الجزء الثالث المؤرخ في ٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٥٣ هـ تحت هذا العنوان :

اننا قد وفينا حادث الحرب والسلام في جزيرة العرب حقه وبيننا ما لنا فيه من موعظة وعبرة وشكرنا لكل من الامامين عبد العزيز ومجى فضله فلا يفوتنا أن نختم حديثه بشكر وفد السلام وجهاده في سبيل الله بخدمة العرب والاسلام فهو الذي انتدب لهذه الخدمة بالفعل من غير دعوى ولا اعلان في الصحف ولا تبجح بنشر المقالات والقاء الخطب ولا دعوة الى جمع المال كما فعل الذين يقولون ما لا يفعلون ويسرون غير ما يعلنون بل قال وفعل وجاهد بماله ونفسه ولم يطلب مساعدة أحد .

اول من دعا الى هذا زعيم فلسطين الاكبر ومفتيها ورئيس مجلسها الاسلامي الاعلى ومؤسس المؤتمر الاسلامي العام فيها : السيد محمد أمين الحسيني دعا نقرأ من أشهر رجالات الافطار العربية الاسلامية ذات الجوار والصلة بجزيرة العرب : سورية والعراق ومصر فاستجاب له من سورية زعيمها السيامي الاكبر هاشم بك الاتامي رئيس الكتلة الوطنية الممثلة لسورية كلها واعتذر زعيم العراق الاكبر ياسين باشا الهاشمي بمرض عرض له .

واستجاب له من مصر محمد علي باشا علوبة من وزرائها ونوابها السابقين ووكيل المؤتمر الاسلامي العام وهو الذي سبق جميع الزعماء المصريين الى

العناية بأمر المؤتمر الاسلامي وسافر مع رئيسه الى الانطار الاسلامية لجمع الاعانات وعني بخدمة المسألة العربية عناية خاصة .

وانتجاب له من اوربة أكبر كتاب الامة العربية وأمير البيان فيها الداعي الى وحدتها المحامي عن حقيقتها المدافع عن ملتها ورئيس الوفد السوري الفلسطيني في جنيف متنابهة سياسة الامم كلها - الامير شكيب رسلان ووافي اخوانه الثلاثة طائراً من أوربة الى مصر على ما في طيرانه من زيادة النفقة في هذه العسرة المرحقة وعلى ما قاساه من عنف الحكومة المصرية وإرهاقها إياه العسر السيامي الذي هو أشد على الاحرار من العسر المالي في سروره بأرضها من الاسكندرية الى السويس وقد رأيت هذا العنت بعيني وذقت مرارته بنفسي إذ سافرت من القاهرة الى بنها للقاءه فيها والذهاب معه الى السويس فلم بأذن لنا الجلاوزة المسيطرون عليه من قبل حكومتنا المصرية - وهم من الانكليز - بسلام ولا كلام ثم كان المصريون منهم أشد من هؤلاء الانكليز وطأة في القطار بعد القطار ثم في السويس ولم نرَ أحداً فهم لهذا العنت معنى .

ركبت أنا ومحمد علي باشا علوبة في قطار بورسعيد والسويس الذي يخرج من محطة مصر في نهاية الساعة السادسة مساء وهو يلتقي في محطة بنها بالقطار الجائي من الاسكندرية الى مصر وهناك نزل الامير شكيب من قطار الاسكندرية وركب هو والجلاوزة المحافظون عليه في قطارنا وأدخلوه في المخدع المجاور لنا وأردت أن أسلم عليه وهو يعلم انه ممنوع من السلام علي وعلى غيبي فخالوا بيتنا .

ولما نزلنا في الاسماعيلية ونزل فيها السيد امين الحسيني وهاشم بك

الاتامي القادمان من فلسطين وانقلنا جميعاً الى القطار الذي يحملنا الى
السويس فرق جلاوزة الامن المصريون بين الامير شكيب والجالئين من
فلسطين والجالئين من مصر جميعاً فلم يسمحوا لاحد منهم في المحطة ولا في
القطار أن يكلم الفريق الاخر ولا أن يسلم عليه فكان هذا الحجر أبعد
عن العقل والفهم والشرع والعرف والقوانين من كل ما سبقه إلا ما يكون
من الحجر الصحي في أوقات الاوبئة والعسكري في وقت الحرب. وإنما
يكون الاول لوقاية الاصحاء من المصابين بالوباء والثاني لحماية الوطن
وأهله من فتك الاعداء وكنا أصدقاء وأصدقاء والله الحمد جنسنا واحد
وديننا واحد وحكومتنا المصرية موادة لحكومتى فلسطين وسورية
والدولتين المسيطرتين عليها ولاجلها نخرج على الامير شكيب وتعتته ولا
نعرف لنا وللآخرين ذنباً .

بيد اننا لما وصلنا الى السويس نزلنا كنا في فندق واحد فارتفع
الحجر عن كل منا الا الامير شكيب فان الحكومة أمرت بنقله الى
فندق آخر حالت فيه بينه وبين كل أحد منا ومن غيرنا إلا السيد محمد
امين الحسيني فقد أذنوا له أن يكلمه في مسألة السفر بأول باخرة أو
بطيارة . ولما اجتمعا اتفقا على الالتحاق على بالسفر مع الوفد فأدليت بما
لدي من الموانع المالية وغيرها فقبلوا عذري وكاشفتهم بما عندي من رأي
وزواية في موضوع الحرب والصلح وحماتهم كتباً الى جلالة ملك العرب
السعودي وبعض رجال بطانته أظهرت فيه ما بيني وبينهم من التكافل
والثقة بهم وعذري في التخلف عنهم وكل ذلك في ٢٧ ذي الحجة

سافروا باسم الله الى الحجاز فكان لهم عند جلالة الملك ما يليق
بمكانتهم الشخصية والقومية وبسفارة وفدهم الاسلامية العربية من حسن
الضيافة وكرم الوفادة وقلما اجتمع في مجلسه وفد كوفدهم في سعة معارفهم
ودقة خبرتهم وصفاء نيتهم واتفاق رأيهم وحسن بيانهم فبسطوا له خلاصة
ما يعلمونه من آراء العالم الاسلامي والشعور العربي في بلادهم وغيرها في
مسألة الجزيرة العربية المقدسة وما يحشونه من المطامع الاجنبية وما وفقوا
اليه في بيئاتهم الاربع من استقلال عقله وبعد رأيه وحسن نيته وكمال
صراحته وحزمه وشجاعته وعدم مبالاته بدسائس المفسدين الخائين .

وكان من توفيق الله أن نجحت المفاوضات البرقية المتصلة بين جلالاته
وجلالته الملك الامام يحيى حميد الدين بما يوافق رأيهم فقبل الثاني ما
اقترحه الاول لاعلان الهدنة ووقف رضى الحرب ووضع معاهدة الصلح
وتلاه إرسال مندوبه الزعيم الكبير والسياسي التحرير الاستاذ العلامة
السيد عبدالله بن الوزير مفوضاً من مقام الامامة المتوكلية بذلك فوجد
الوفد الاسلامي في معارف سيادته ودقة سياسته وصفاء طوبته وصدق
صراحته ما كان موضع العجب والاعجاب والثقة بما يرجون ويرجو العالم
الاسلامي والعربي من الاتفاق والاتحاد .

ولما وضعت المعاهدة الاسلامية العربية العظيمة الشأن بالاتفاق السري
الغني من الجانبين التي كانت موضع اعجاب أهل الخافقين وحضر أعضاء
الوفد توقيعها في الحجاز ودعوا جلالة الملك الامام عبد العزيز وسافروا
مع مندوب جلالة الملك الامام يحيى حميد الدين الى صنعاء اليمن ليشهدوا
توقيعها فيها ثم يحضروا مبادي تنفيذها . وقد اعتذر محمد علي علوبة باشا

العضو المصري عن السفر مع اخوانه الى اليمن لكثرة ما ينتظره من الشواغل في مصر . وقد تم الصلح والله الحمد وحملهم كتاباً الى جلالة الامام يعتذر فيه عما كان يرجوه من الشرف بالثول في حضرته .

سافر الوفد من جدة الى الحديدة فاستقبلها فيها صاحب السمو الملكي الامير فيصل السعودي بالحفاوة والتكريم وكان أهبج ما سرهم فيها ما رأوه من حسن التلاقي بين سموه وسيادة عبدالله بن الوزير فقد كانت كتلافي اخوين شقيقين طال عليهما البعاد فطفقا يطفئان لوعته بالنقبيل والعناق ثم ما رأوه من جيوش كل من الامامين عند الحدود بين منطقة تهامة المحتلة من قبل الدولة السعودية ومنطقة الجبال التي ترابط بها الجيوش المتوكلية وكيف كان تلاقي جماعتهما تلاقي الاخوان ثم ما هو أعلى من ذلك وهو لقاء جلالة الامام الهمام وحفاوته بضيوفه الكرام وما سمعوه بأذانهم من ثنائه على أخيه الملك عبد العزيز كما كان هذا يشي عليه ويشهد كل منها للآخر بحسن النية ثم ما شاهدوه في الحديدة من تنفيذ المعاهدة بجلاء الجيوش السعودية عنها وتبادل تسليم الرايات وتسلمها فيها بما عليه اتفقا من التكريم والتعظيم العسكري والود الاخوي .

ثم سافروا من الحديدة الى مصوع وسافر منها الى السويس السيد أمين الحسيني وهاشم بك الاتامي فوصلا اليها في السابع من هذا الشهر الميمون (ربيع الاول) واستقبلناهما فيها مع جماهير المستقبليين مهنيين داعين وتحلف الامير شكيب ليسافر منها الى اوربة .

كنا قد وقفنا على أطوار الحرب والصلح من انبائها الرسمية وغير الرسمية العامة منها والخاصة بنا وبقي علينا أن نعلم من الوفد

ما كان للصلح والمعاهدة من التأثير النفسي في قلوب الفريقين مما لا يعلم
الا من رؤية الوجوه المستبشرة أو الباسرة ومن سماع جرس الاصوات في
الحديث والتفرقة بين نغماتها السارة والقارة والحارة . ولا يعلم هذا وذاك الا
من رأي بعينه وسمع بأذنيه وشعر بقلبه وأخبرنا بما رويناه عنه .

هذا وانه قد بلغنا قبل إصدار هذا الجزء ان جلالة الملك عبد العزيز
وجلالة الامام يحيى قد أبرقا الى جلالة ملك الانكليز برجوانه بأن يوصي
حكومته بالاذن للامير شكيب بدخول فلسطين للقاء والدته الجليلة فيها
اذ طالت غيبته عنها فنقبل شفاعتهما فيه وأبرق اليه المندوب السامي من
فلسطين بالاذن له بذلك فمنهته ونهته السيدة الفاضلة بهذا اللقاء الميمون
فبارك الله لها وعليها .



بعض ما كتبه السيد رشيد عنا في المنار

بمناسبة بعض الجواند

آثرنا وقد جعلنا هذا الكتاب لسيرة السيد المترجم وتاريخ علاقاتنا معه أن نقل ما جاء بقلمه عنا في المنار ان لم يكن كله فبعضه .
فمن ذلك هذا الفصل المنشور في الجزء الثاني المؤرخ في ٣٠ جمادى
الآخرة سنة ١٣٤٠ هـ من المجلد الثالث والعشرين :

كوارث سورية في سنوات الحرب

من تقتيل وتصليب ومخمصنة ونفي

مشاهدات ومجاهدات شاهد عيان هو الامير شكيب أرسلان

« مقبرة »

قد التقينا في اوردية بصديقنا القديم الامير شكيب أرسلان الشهير
بعد افتراق بضع سنين وكثر اجتماعنا به في جنيف (سويسره) بسبب
الاشتراك في أعمال المؤتمر السوري الفلسطيني وفي سياحتنا معه في سويسرة
والمانية - وفي هذه الاثناء سمعنا منه أخباراً تفصيلية لفظائع جمال باشا
في سورية وما كان من معارضته له بالحسنى ثم بالمفاضة فتعذروا لو تنشر
هذه الوقائع لبيان الحقيقة التاريخية فان معرفة حقيقة تاريخ الامة هو
الوسيلة الاولى للنهوض بها والصعود في مصافي الحياة بين الامم وضرر
الجهل به والكذب فيه كضرر الجهل والكذب في بيان أحوال المريض

وأعراض أمراضه للطبيب الذي يعالجه . وقد كانت الحقائق التي سمعناها منه ومن غيره في أوربة مؤيدة لرأينا في جمعية الاتحاد والترقي وفي تأثير سياستها في الأمة التركية والدولة الألمانية كما سنبينه في التعليق على هذا المقال بعد - ولرأينا في الأمير شكيب نفسه أيضاً وهو ما نبينه في هذه المقدمة :

الأمير شكيب من أشهر كتاب سورية وأدبائها بل لا أبالغ إذا قلت أنه لا يُلمَز به قرين منهم في مجموع منابيه كجولان قلمه في جميع ميادين المنظوم والمنثور والوقوف على دقائق السياسة وشؤون الاجتماع والعمران - وفصاحة اللسان في الخطابة والمناظرة . وله في الكتابة السياسية والاجتماعية أسلوب خاص يشبه أسلوب الحكيم ابن خلدون وكانت سياسته الوطنية السورية محصورة في وجوب الاخلاص للدولة العثمانية مهما يكن حال سلطانها ورجالها في إدارتها وسياستها لاعتقاده أنه إذا زالت سيادة الدولة عن وطنه الخاص (لبنان) وسائر سورية وسقطت تحت سلطة دولة أوروبية فإنه يذل ويخزي . وكان له خصوم في سياسته هذه أكثرهم من نصارى الجبل المشايخين لبعض الدول الأوروبية ومبغضون آخرون لا نثير لبغضائهم إلا الحسد أو التعصب الديني أو المذهبي . وهو من مرابدي أستاذينا موقظي الشرق الأستاذ الامام المصري والسيد جمال الدين الافغاني وله غيره على دينه الاسلامي ودفاع عنه لا يطبق صبراً على من نال منه بلسانه أو قلمه ، على أنه لطيف التساهل فكه المعاشرة وله أصدقاء كثيرون في بلاده السورية وفي مصر والامانة واوربة مختلفو الملل والاجناس ولكنه حديد الزاج ألد الخصام : فهو كما قال ابن دريد :

سهل اذا لويفت اذن معطى ألوى إذا خوشنت مرهوب الشذى^(١)
ولهذا يبالغ في وده أصدقاؤه ويغلو في عداوته خصماؤه . وإنما شذاه
في نضال الاعداء هو ما يعهد في مجادلة الادباء ومجادلة العلماء لا يكاد
يعدو كلوم الكلام . يوخز أسلات اللسنة وأسنة الاقلام . فهو أديب متدين
ينفر من الاعتداء على الانفس والاموال . وشجاع يترفع عن دنينة السعابة
والاغراء .

وقد كان كثيرون من الناس يزعمون انه ليس له مبدأ أو مذهب في
السياسة ثابت وإنما يدهن للدولة ولكبراء رجالها لاجل المنفعة . وأكثر
هؤلاء من حساده أو مخالفيه في مذهبه السياسي ، وبعضهم ممن كانوا
ينكرون عليه مشايعته للحميديين في عهد عبد الحميد الذي كان يطريه
بالنظم والنثر^(٢) . ثم مشايعته للاتحاديين عندما صاروا في الدولة أصحاب
النهي والامر وأنه لم يكن من طلاب الاصلاح للدولة في جملتها ولا
لبلاده السورية أو العربية في خاصتها . وعندي ان مثله في هذا كمثل
مسلمي مصر والهند وغيرهما من الاقطار البعيدة يريد من مشايعة من

(١) الشذى هو الاذى .

(٢) نظمت في أيام صباي عدة قصائد في مديح السلطان عبد الحميد تعظيماً
لمقام الخلافة في حد ذاته لا تزلفاً الى السلطان ولا انتجاعاً لبره وأدلى دليل
على ذلك أني كنت أنشر هذه القصائد في الجرائد ولم أقدم منها الى السلطان
نفسه قصيدة واحدة وقد أشرت الى هذا في كتابي « شوقي أو صداقة اربعين
سنة » ولكن الحساد يحارون كيف يقولون ليجدوا الى الطعن سبيلاً .

بيده زمام الدولة تأييدها على الاجانب لا الرضى بسوء الادارة أو السياسة ^(١) وقد كنت أنا من هؤلاء المنكرين عليه تشيعة للاتحاديين ودفاعه عنهم على علمي بما ذكرت من مذهبه السيامي في تفضيل الدولة على جميع الاجانب وإبثارها عليهم. هما تكن حالها لانني كنت على هذا المذهب منذ عقلت السياسة ولا أزال عليه مثله . وقد كان سيء الظن بحزب اللامركزية العثماني الذي كنت أحد مؤسسيه وطعن في هذا الحزب حتى نالني من طعنه بالباطل ^(٢) ما نالني على ما كان يحمد من خدمتي للإسلام وإخلاصي

(١) إن الجرائد المصرية والسورية نشرت لي من المقالات الإصلاحية والانتقادية ما لا يكاد يحصى من كثرته وطالما اغتاضت الدولة من حملاتي هذه على ما كان يقع من سوء إدارتها وقد كانوا اقترحوا عليّ أن آتي الى الأستانة وأنشر جريدة فيها باسم «الكوكب» فاعتذرت عن ذلك فراراً من أن أقول في الادارة ما يخالف وجداني وهكذا تركت «الكوكب» لanas آخرين ..

(٢) لم تنقل في الفصل المتعلق بعلاقاتنا مع السيد المترجم ذكر الوحشة التي وقعت بيننا من أجل انضمامه قبل الحرب الكبرى بسنوات الى أعداء الدولة العثمانية ولكننا صرنا باعترافنا فيه انه لم يكن يريد زوال تلك الدولة قط وإنما كان يريد إسقاط جمعية الاتحاد والترقي وحدها وبكره استئثارها بأمور الدولة والحال ان كثيراً من رفاق السيد رشيد كانوا يعملون لهدم الدولة من أساسها ويتظاهرون بانهم إنما يعملون لبناء دولة عربية ! وقد يكون هذا مقصد بعض أولئك الرفاق ولكن كثيراً منهم كانوا يعملون في ذوات صدورهم أن انكثرة هي التي ستورث الدولة العثمانية في الشرق ولا سيما في البلاد العربية و كانوا يعتقدون ان مصلحة العرب والشرقيين هي في ذلك وما أخذوا يتبرأون -

للدولة حتى إنه أطرا في مقال نشره في المؤبد بزعمه أنه إذا اختير من العالم الاسلامي مائة ثم من المائة عشرة ثم من عشرة واحد لكنت ذلك الواحد ! ولم أرد عليه لمحي بالشبهات التي مكنت ذلك الظن السيء في نفسه .

ولما علم ما كان من أنباء تشكيل جمال باشا بالسوريين في أثناء الحرب أشيع أن الأمير شكيباً معه وأنه مساعد له على سياسته الطورانية في سورية لشبهات روجها أعداؤه وحساده حتى صدق التهمة غيرهم ولما علمنا منه أخيراً أن الامر بضد ما قالوا افترحنا عليه أن يكتب لنا مذكرة بما سمعناه منه أو مقالاً فيه لنشره في المنار انصافاً له وللتاريخ وقطعاً لالسنّة المتقولين فأجاب طلبنا معذراً عما استلزمه من تزكية المرء لنفسه وقد نهى الله تعالى عنها وقد جاء ما كتبه رسالة طويلة فجعلناها عدة فصول وضعنا لها عناوين من عندنا واختصرنا قليلاً منها . ومنه اعتذار الكاتب وهضمه لنفسه في فاتحتها . (ثم نشر السيد سلسلة مقالات لنا عما جرى في سورية في أثناء الحرب العامة وذلك في الجزء الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع من المجلد الثالث والعشرين من (المنار) فمن شاء مراجعتها فليراجعها هناك اثلاً نعيدها في هذا الكتاب هي بنفسها وقد سبق لنا أن نشرنا في موضوعها ما هو أوفى منها وذلك في جريدة « مرآة الغرب » عندما كنا في أميركا حيث ألح علينا في نشر ذلك كثير من أصحابنا المسيحيين الذين كانوا يريدون تبديد الشبهات التي كانت - من هذه السياسة إلا بعد الحرب العامة حينما رأوا ما رأوا من ثورة الأمة العربية على الذين خاسوا بعمودهم معها .

أثارتهما أقوال الاعداء والحساد بحقنا . هذا وقد ختم السيد رشيد سلسلة مقالاتنا في المنار عن كوارث سورية في سنوات الحرب بالتعليق الآتي :
الامير شكيب كاتب سيامي بارع ومؤرخ محقق وقد كتب هذه المقالات للتاريخ فأثبت فيها ما رأى بعينه وسمع بأذنيه وما سمى اليه فأصابه وما سعى اليه ولم يصبه . وليس الامير بالرجل الظنون وما هو على سياسة الاتحاديين بظنين بل كان متعمداً بمشابعهم لانه كان في السياسة الخارجية من شيعتهم .
كل من قرأ مقاله بإنصاف يجزم معناه بأن الحكومة التركية لم تكن تريد في تلك السنوات إمانة السوريين بالجووع ولا اللبنانيين منهم ولم تفضل المسلمين على النصارى في التعمين ولا في غيره من المعاملات بل كانت وطأتها عليهم أشد ولم تبطل امتياز لبنان كما أبطلت الامتيازات كلها :
ولكن هذه المقالات أبدت الآراء المهمة التي كنا نعقد لها ونصرح بها قولاً وكتابةً وان حكمت المراقبة على الصحف بمنعنا من بعض ما كنا نكتب :

١ — كنا نعتقد ان جمعية الاتحاد والترقي قد افترست ما أعطتها الحرب من التصرف في سلطنة آل عثمان بالحكم العرفي العسكري للقضاء على الشعب العربي فيها وجعل سورية والعراق ولايات تركية وان النهضة العلمية والوطنية لما كانت في سوريا أقوى منها في العراق عجل جمال باشا بتتركها بالقوة القاهرة متوسلاً الى ذلك بتعريض الضباط والجنود منها للقتل في المعارك الخطرة وبتقتيل رجال النهضة الفكرية والقلمية —
وبنفي البيوت ذات الثروة والملك الواسع الى الاناضول لادغامهم في الشعب التركي هنالك ثم بالانتيان بيوت تركية تخلفهم في بيوتهم وأملأهم في

سوريا، فجمال باشا كان منفذاً لقرار جمعيته الاتحادية الطورانية لا مبتكراً لهذا الفساد .

راجع قول جمال باشا للامير شكيب معاتباً له على التوصل اليه بطلمت باشا ان يكف عن القتل والصلب : أنظن أنني أفعل ما أفعل بدون مشاورة رفقائي ؟ (آخر صفحة ١٣٠) ثم ما بعدها من خيبة الامل بالتوصل بأنور باشا . ثم راجع كلامه في (ص ٢٠٢) وما بعدها عن إجلاء السوريين عن وطنهم الذي وضع له اسم (التهجير) . ثم راجع في (صفحة ٢٩٢) مسألة محاولة جعل سورية تركية بمشروع قانون وضع لذلك كانوا يريدون تقريره في مجلس المبعوثين .

٢ - كنا نعتقد ان محاكمة جمال باشا لمن يريد قتلهم محاكمة سورية لا يراد بها إحقاق الحق ليتبع ولا تمهيد ما يشوبه من الباطل ليجنب ، وإنما هو رياء السياسة المصرية المعهودة من سائر الدول في معاملة من بعده أهلها عدواً لهم يحاكمونه لاجل إدانته والحكم عليه ولا يعدمون ما يثبتون به التهمة من الافك والتأويل وليس لاحكامهم معقب من استئناف أو نقض وإجرام فيفند ما بأفكون !

راجع قول الكاتب عن جمال باشا انه لما صمم على شق الجماعة استدعى اليه شكري بك رئيس الديوان العرفي في عاليه الى الشام وأعطاه ما علمت من شكري بك نفسه أسماء أربعين شخصاً يجب أن يحكم عليهم بالموت ! فراوده شكري بك كثيراً ودافع كثيراً فهدده بالقتل . الخ . (آخر ص ١٣١ وأول ص ١٣٢) .

٣ - كنا نعتقد أن هذه الخطة خطة جهل وغرور لأنها تكون

سبباً طبيعياً ليأس العرب من هذه الدولة وحملهم على الخروج عليها في الوقت الذي يجب فيه من توثيق روابط الإخاء والولاء ما لا يجب مثله في غيره لانه أرجي الاسباب لانتصارها فقوته من أعظم الاسباب لانكسارها وعندما بلغت أنباء فعاثله بل فظائمه قلت لبعض اخواننا انني أتمنى لو أمكنتني أن أصل الى جمال باشا لأبين له خطاه والخطر على الدولة منه . فكانوا يقولون لي : اذا يبدأ بقتلك وصلبك ولا يرجع عن ضلاله .

وقد ظهر ان الحق كان معهم فإن الكاتب بذل له هذا النصح فلم يسمع له بل لولا صداقته لانور وطلعت لفنك به ^(١) فإن هؤلاء المفرورين

(١) بعد أن رأيت ان النصيحة بالحسنی لجمال باشا لم تأت بفائدة شرعت أبين لرجال الدولة خطر سياسته هذه وأطالبهم برده عنها فبلغه الامر وجرت بيني وبينه مناقشة في فندق فكتوريا بدمشق وسفر الجويني وبينه مما شرحته في مذكري الخاصة التي استودعتها مكتب المؤتمر الاسلامي في القدس حتى بنشرها بعد وفاتي وقد استوفيته أيضاً في سلسلة مقالاتي إلى المنار وإلى جريدة (مرآة الغرب) في أميركا وخلاصة القول إني غادرت سوريا في أواخر سنة ١٩١٦ قاصداً الامتانة حيث حملت على جمال لدى رجال الدولة أشد الحملات فلما بلغه ذلك من كل جهة طرح مسألتي في مجلس النظار في إحدى قدماته إلى الامتانة وحاول أخذ قرار من المجلس المشار إليه يأذن له بالبطش بي وبأخي عادل فعارضه زملاؤه في ذلك وكان أشدهم معارضة أنور رحمه الله فما قدر على شيء فانتبهز فرصة أخرى وذلك أنه عندما انتصر الجيش العثماني في واقعة غزة أبرق بالبشرى إلى الباب العالي ثم طلب أن يسمحوا له باتخاذ « تدابير شديدة » يحق شكيب أرسلان وأخيه عادل وأشخاص آخرين فلم يجيبوا أيضاً طلبه هذا وتلفت طلعت باشا

كانوا يظنون أن البلاد العربية التي جندوا منها خمسمائة ألف مقاتل تظل خاضعة لهم حتى بعد اليأس من إمكان حفظ لغة شعبها ودينها والامن على وطنها في ظل دولتهم؟ وان الخضوع بقوة الارهاب خير من الخضوع بوازع الاخلاص؟ وكانت الحرب خير الفرص لاستمالة من نفرم الاتحاديون من الدولة وأبأسهم من حفظ حقوقهم أو حياتهم معها فعند الشدائد تذهب الاحقاد والكنهم زادهم نفوراً . وتأمل كيف كانت انكسرة تبالغ في مدح أهل الهند ومصر . وفرنسة تبالغ في مدح أهل تونس والجزائر .

راجع في (ص ٢٠٣) قول الكاتب في رئيس « قومسيون التهجير »
نوري بك المفسد: انه كان يكره في الباطن جمالاً وطامت وكل رجال جمعية الاتحاد والترقي ولكنه كان يغري جمالاً بالنفي والتقريب انتقاماً منهم لعلهم ان هذه الاعمال ليس وراءها الا الخراب وقيام الاهالي . وقد نبهنا جمالاً الى هذا الامر وحذرناه من نوري وأحزابه ومن أقوال الجواسيس الخ . .

٤ - كنا نعتقد ان ثورة الحجاز توقف بني جمال عند حد وانه هو الذي جعلها ضربة لازب لا مناص منها ولا مفر وذلك ان الفارين من بني جمال باشا هم الذين جرّوا الشريف حسيناً على ما كان يهواه من الثورة وهم الذين قاموا مع الضباط العراقيين بأثقل أعبائها .

وقد كان الامر كذلك، كما بينه الامير شكيب في فصل خاص من

الصدر الاعظم الى المايين الهابوي بذلك فحادثه بالتلفون زميلنا إحسان بك الجابري الذي كان من أمناء سر السلطان وعرف منه طلب جمال باشا هذا وكتب إحسان بك ذلك في مذكراته اليومية .

مقاله فراجعہ فی (ص ٢٠٧) وما بعدہا فقد صرح فی أولہ بأن جلالاً خاف العواقب فعدل عن المخاشنة الى المحاسنة . وبأنہ استدعاه هو وبعض زعماء العشائر (وسماہم) وتکلم معهم فی اتحاد العرب والترك وفي مقاصد الدولة العلیة الحقیقیة (قال) وأفاض بكلام بعضه صحيح وبعضه سياسة والتمس منا السہر علی الامانة للدولة وأنا وان كنت لا أصدق کلامہ فی البراءة من السياسة الطورانية ١٠٠٠ لم أخالفہ فی الطعن بسياسة الشریف من جهة محالفتہ لانکثرة وتصدیقه لمآہداتها الخ .

ثم ذکر أن توفیق بك الذي جعلہ جمال باشا وکیلاً لولاية الشام اجتہد فی إقناعہ بوجود مؤامرة علی قتله وخلع طاعة الدولة وانه مع ذلك اضطر الى الاکفاء بالحبس ولم يتجاوزہ الى القتل - أي بعد أن کان يقتل بدون ذنب - وذكر ما قيل من أن الاستانة أنذرتہ فی هذه الصکرة إنذاراً شديداً بان يعدل عن خطتہ المہودة لانه قد طفع الکيل . الخ .

وقد كنت صرحت بما يرجى من هذا التأثير فی مقالة (المسألة العربية) التاريخية التي نشرت فی الجزء الاول من المجلد العشرين الذي صدر فی شوال سنة ١٣٣٥ هـ (يوليو سنة ١٩١٧ م) بعد أن حذفت المراقبة البریطانية منها ما حذفت وكانت کتبت فی السنة التي قبل هذه السنة . ثم صرحت فی الفصل السابع من الرحلة الحجازية : « بأن الثورة الحجازية قد أدت وظیفها وأفادت ما رجوانہ منها فأنقذت الحجاز وأوقفت بني البغاة » ولكن خاب سعي فی إيقانها عند هذا الحد حتى لا تكون من أسباب انکسار الدولة فی الحرب كما بینتہ فی مواضع متعددة بالتلميح عند المعجز عن التصريح ثم بالتصريح عقب زوال المراقبة .

هـ - كنت أعتقد ان المصلحة العامة للبشر عامة وللشعوب المستضعفة خاصة أن تنتهي الحرب الكبرى بهد قوى الحلفين القائمين بها جميعاً وعود التوازن بين دولها في عهد الضعف الى ما كان عليه في عهد القوة والآن فباتتصار الحلف الذي فيه الدولة العثمانية وكان يخالفني في هذا بعض من اكشفتهم به حتى من المسلمين فائلين ان الاتحاديين اذا انتصروا لا يقف بغيرهم عند حد فهم سيقضون على الامة العربية قضاء مبرماً ويسعبدونها استعباداً لا يقوم لها بعدها قائمة وسيقضون أيضاً على الدين الاسلامي متممين ما بدأوا به . وكنت أجب بانني أعلم من سوء نية زعماء الاتحاديين فوق ما تعلمون ولكنني أعتقد ان الالمان لا يمكنونهم من مثل هذا الفساد الذي يضطرون الى السكوت لهم عليه في زمن الحرب انقاء للفشل فيها . وانه لا بد أن يقدر الالمان من قدر الامة العربية ما لا يقدره هؤلاء الاتحاديون المنطرون وان الشعب التركي الذي يغلب عليه التدين بالاسلام سيكون عوناً لنا وللالمان عليهم .

وقد ذكر الامير شكيب في مقالته ما يؤيد هذا الرأي ما سبق له في هذا السبيل من السعي وهو ما ذكره في (ص ١٣٢) من سعيه لدى قنصل المانية في الشام ليتوصل بتنفيذ حكومته لدى حليفها بمنع فظائع جمال باشا لان الضرر يعود عليها من ذلك . وقوله : « ان قتل هؤلاء الجماعة سيحدث بين العرب والترك فتنة لا نهاية لها فتكونون زدتهم الدول الائتلافية قوة أمة جديدة هي الامة العربية » . وقول القنصل بعد اخباره اياه بعجز مفارقتهم في الاستانة عن عمل شيء في هذا الباب : ان الاتراك سيندمون على هذا العمل . ثم ما ذكره في (ص ١٣٣) من سعيه لدى (خون

كولمان) الذي كان سفير الدولة الالمانية في الاستانة لجعل الترك والعرب كالتبسة والمجر . ثم لدى خلفه (الكونت برونستورف) الذي كان يصرح بانه على هذا الرأي . اطلع .

فثبت بهذا ان آراءنا كانت صحيحة لانها مبنية على الروية والتدقيق في البحث عن الحق . ولكنني لم أكن آمناً من عاقبة غرور الاتحاديين ونهورهم اذا انتصروا ولا يائساً من رحمة الله بهذه الامة اذا انكسرت الدولة بسوء تصرفهم ولا محل لشرح هذا هنا .

هذا واننا سنعود لشيء من هذا البحث في الرحلة الاوربية ونبين فيها ما كان من شدة نفور السواد الاعظم من الترك من أعمال الاتحاديين واضمارهم للثورة عليهم بعد الحرب ومن منع الغازي مصطفى كمال باشا لزعمائهم من دخول الاناضول مدة الحرب لكرهه الامة لهم وحذراً من وقوع الشقاق بوجودهم وما عارضه مما لقينا من الاتحاديين انفسهم من اعترافهم بخطئهم في المسألتين العربية والاسلامية ومن معيهم الآن لتكوين الجامعة الاسلامية مع عدم الرجوع عن الجنسية الطورانية وقد تولى جمال باشا أفضل عمل يمكن عمله للجامعة الاسلامية وهو تنظيم الجيش الافغاني الباسل . ولكن وردت الانباء بان بعض أشقياء الارمن قد اغتاله في القوقاز منصرفاً من أوربة الى الافغان . ولا شك ان فقدته الان خسارة كبيرة لانه كان قائماً بعمل عظيم ولكن رجال الثورات قلما يموتون حنفاً أنوفهم .



وللسيد في المنار الجزء السابع من المجلد الثالث والعشرين

تحت عنوان «الرحلة الأوروبية» ما يلي أحببنا نقله هنا لما فيه من الفوائد السياسية

مريقتا مع أعضاء جمعية الأمم

كان مما قرره أعضاء المؤتمر السوري الفلسطيني قبل انقضاؤه أن يسعى بعض أعضائه الى مقابلة بعض أعضاء جمعية الأمم الذين يرجى أن يعطفوا على قضيتنا اذا عرفوا كنهها والذين يرجى أن نستفيد من الحديث معهم فائدة تزيدنا بصيرة في أمرنا فكتب الامير شكيب الى كثير منهم مكتوبات خاصة يطلب فيها تعيين وقت لمقابلة وفد من أعضاء مؤتمرنا وان يجنبوه به - من حيث انه هو (السكرتير) للمؤتمر - فاجاب كثير منهم الطلب وأبى المندوبان الفرنسيان واستكبرا أن يجيبا كأنها لا بعترقان بأن مؤتمرأ عقد . على ان حكومتها قد كانت أشد اهتماماً بأمر المؤتمر من زميلتها انكثرة فحملت صنائعها في سورية على توقيع عرائض ينكرون فيها أن يكون المؤتمر ممثلاً لهم ومعبراً عن إرادتهم فأجابها الى ذلك أنهم أشد تفاقاً من المستخدين وقليل من الجبناء الطامعين^(١) . وستفصل أخبارهم في هذا مع غيرها في كتاب المؤتمر الذي سيكون تاريخاً دقيقاً لهذا العمل . وكذلك مندوب الهند وأمره ليس بيده بل بيد سكرتيره

(١) أخذ الفرنسيين في ذلك الوقت بزقيات استنكار لعمل المؤتمر السوري الفلسطيني من كثير من السوريين وبينهم عدد من المشايخ المعتمدين في دمشق وقد أوردنا هذا الشاهد في بابه من رسالتنا المشهورة «لماذا تأخر المسلمون» .

الانكليزي . وإنما مراد أنكثره من وجوده كثرة أنصارها في الجمعية .
وكانت عن أجاب الطلب رئيس مجلس جمعية الامم وهو مندوب
الصين ورئيس الجمعية العامة وهو مندوب هولنده ومن الاعضاء البرنس أرفع
الدولة مندوب ايران واللورد روبرت سيسل البريطاني الشهير مندوب
حكومة الترانسفال والمستر فيشر مندوب الدولة البريطانية نفسها وكذا
مندوبو ايطالية واسبانية والبرازيل والارجنتين وغيرهم . وكنا نبسط لكل
منهم قضيتنا وكان أشدم عطفًا عليها وتمنيًا لمساعدتنا مندوبوا ايزان والصين
لما بيننا وبين شعوبها من الجامعة الشرقية وبليها مندوبو البرازيل والارجنتين
فمندوبوا اسبانية وهولنده .

كان بسطنا للقضية لدى هؤلاء منسايها وكان الامير ميشيل يتكلم
معه باللين والاعتدال ولا سيما مع الاوروبيين منهم وكنت انا والامير
شكيب نتكلم بشدة في رفض الانتداب وسوء الاعتقاد بالدولتين المتصديتين
له ووصف سيرتها وكان سليمان بك كنعان يزيد علينا ياناً في قضية
لبنان ومثله توفيق بك حماد وشكري أفندي الجمل في الشكوى من
الوطن القومي لليهود في فلسطين . ولا فائدة في استقصاء ما دار بيننا وبينهم
كلهم في ذلك ولا بد من بيان نموذج منه :

مناقشتنا للورد سيسل

قابلنا اللورد روبرت سيسل في عصر يوم الجمعة (٣٠ سبتمبر) ومكثنا
معه ساعة وربع ساعة وقد أفاض في الكلام معنا بطلاقة وحرية غربية
وهو جالس على كرسي بين الجالس والمستلقي . كما أجلس أنا في عامة

الاوراق إلا أنني أتحامى هذه الجلسة إذا كنت مع بعض المتكلمين المحافظين على الرسوم فأترك راحتي مراعاة لهم والظاهر أن الرأي العام في اوردية لا ينتقد مثل هذه العادة ولا بعدها محلة بأداب المجلس والا كان اللورد قليل الاحترام لنا وكبراء الانكليز شديداً المحافظين على الآداب العامة على كبرياتهم وإعجابهم بانفسهم .

بسطنا قضيتنا للورد وبينما له رأي أمتنا في الانتداب وخصصنا بالذكر مسألتي فلسطين ولبنان فقال : ان البلاد السورية لا تزال بحسب القانون الدولي من بلاد العدو المحتلة صاحبها الدولة التركية وهي في حالة حرب مع دول الاحلاف لانها لم تصدق على معاهدة سيفر التي أمضاها مندوبوها فلماذا لم تر جمعية الامم أن لها حقاً في النظر في صكوك الانتداب للبلاد المرموز لها بحرف (أ) المقدمة لها من انكلترة وفرنسة وقد اقترحت أنا النظر فيها فلم يقبل اقتراحي .

(هذا نص كلامه وقد كانت الجرائد ذكرت أن كلاً من الدولتين وضعت صكاً لانتدابها ونشرت صك الانتداب للعراق - وهو ميّ جداً - ولم ينشر صك الانتداب لسورية لأنه أسوأ . والظاهر انهما استرجعتا الصكين ثم استبدلتا غيرهما بهما في هذا العام وقد أقرهما مجلس عصبة الامم وان لم يكن له حق في ذلك بشهادة اللورد) .

ثم قال اللورد : ان الغرض من الانتداب أن تكون البلاد المفروض عليها مستقلة في إدارتها وتساعد الدولة المنتدبة حتى تستعد للاستقلال التام .

قلنا : نعم هذا ما نص في عهد جمعية الامم ولكنه خداع كشفته

سيرة الدولتين المستوليتين على البلاد قبل أن يتم لها أمر الانتداب . وما ذكر في عهد الجمعية ان لاهل البلاد الحق الاول في اختيار الدولة المنتدبة ونشرت الدولتان بلاغاً رسمياً وعدتا فيه بالعمل برغبة الاهالي ثم أخلفنا الوعد ولم تعتد برأي الاهالي في شيء .

قال : نعم ولكن الدولتين احتاطتا لذلك فجعلتا الاتفاق بينهما حائلاً دون انتفاع أهل البلاد بهذا النص وهو أن لا تقبل فرنسا الانتداب لفلسطين ولا للعراق ولا تقبل بريطانيا الانتداب لسورية كما انها لا تمكنان دولة أخرى من التصدي لهذا الانتداب .

وقال جواباً على كلامه يتعلق بعدم تمكينها جمعية الامم من جعل الانتداب موافقاً لروح عهدها ونصوصها : ان للجمعية أن تفعل ذلك بأن تطبق الانتداب على مبدئها وروح عهدها فلا تقبل ما يخالف ذلك .

ثم قال ان حكومة العراق الجديدة موافقة لروح جمعية الامم وان انكثرة تنوي مساعدة هذه الحكومة بإخلاص وان سورية تستحق حكومة مثابها - لكنه اعترف بان مسألة فلسطين مشكلة ودقيقة (أي انها غير متفقة مع نصوص جمعية الامم ولا مع روحها) وقال ان انكثرة مضطرة الى الوفاء لليهود بوعدهم بلفور وإلى ارضاء العرب وحفظ حقوقهم وهي ستجتهد في اختراع وسيلة لارضاء الفريقين مع موافقة روح جمعية الامم في الانتداب .

هكذا قال اللورد ولكن صك الانتداب الذي ظهر أخيراً لم يرض الا اليهود الصهيونيين وحدهم وقد أغضب العرب وخفر عهود انكثرة لهم وأخلف الوعود التي منتهم بها ولم يوافق روح عصبة الامم ولا نص

مرادها نحن نصدق وبين متى؟ الا اننا لم نصدق قول اللورد ولكن كان يصدق مثله ومن دونه كثير من الفلسطينيين حتى انهم اليقين .

ولما صرحنا للورد باننا لا نقبل هذا الانتداب بحال من الاحوال ولا نصدق الوعود والاقوال نصح لنا بان لا نغرقل مسألة الانتداب بل بان نقبله ونطالب بمجعله . ووفقاً لروح جمعية الامم فانه خربة لازب (قال) : ومعهادة سيفر وان كانت ستعدل فبلاد العرب لن تعود الى الحكومة التركية . فليس اماننا من تشكل عليه لانصافنا من سوء التصرف في الانتداب الا جمعية الامم نفسها لانها هي صاحبة الحق في المراقبة على الدول المنتدبة ومحاسبتها على اعمالها .

قل هذا جواباً عما اُطال به الامير ميشيل من سوء التصرف في البلاد بلسم الانتداب فكان للورد توهم انه يمكن أن نقبله اذا حسن التصرف فيه وقد صرحت أنا والامير شكيب باننا لا يمكن ان نقبله كما نقدم واننا انما نذكر سوء التصرف فيه لاقامة الحجة من الان على سوء النية لا للاقتصاص .

وكان ملخص كلامي له : انه ليس في استطاعتنا أن نضج للدولتين ويكون لنا الفلج عليهما في دائرة قانون هما الواضعتان له والحالكتان به والمنفذتان له بالقوة وانما نشكو الى عصبة الامم منذ الان هذا الامر ونبين لما انه مخالف لبدئها وغايتها . ولا نخطبه به بصفته البريطانية بل بكونته من كبراء أعضاء العصبة الذين تشبعوا بروحها كما نسمع عنه وتري ان مثله ينبغي أن يعرف الروح السائدة في الشرق الان ولا سيما سوريا وفلسطين ونائر بلاد العرب وان الحرب الاخيرة قد علمتهم ان الحياة يجب أن

تكون رخيصة في سبيل الحرية فهم لا يسألون بذلك دمائهم في سبيلها - وأنهم قد ثبت عندهم أن هذا الانتداب استثمار واستعباد لا مساعدة لاجل استقلالهم ولو كان مساعدة لما قاوموه كل هذه المقاومة . وقد اجاب عن أول هذا الكلام ولم يجب عن الجملة الاخيرة بل قام على أثرها .

كلامي مع المندوب البريطاني

وأذكر مما قاله لستر فيشر المندوب البريطاني في أثناء حديث وغدا معه : ان أهل الشرق كانوا يثقون بالبريطانيين ما لا يثقون بغيرهم من الغربيين ولا الشرقيين ويضربون المثل بصدقهم ووفائهم . فإذا أراد أحد أن يقول قولاً فصلاً صادقاً لا رجوع فيه قال : « كلمة انكليزية » وقد انقلب هذا الاعتقاد بعد الهدنة من الحرب العامة الى ضده فلم يعد أحد يثق بقول انكليزي ولا غيره من الاوروبيين بل خسرت أوربة كل ما كان من نفوذها الادبي .

ذلكم بأنكم في أثناء هذه الحرب قد القيمت على جميع الامم والشعوب في الشرق والغرب درساً واحداً كانت يتكرر في كل يوم مدة أربع سنين وهو أن الغرض من هذه الحرب بين حلفكم والحلف الجرمانى هو نصر سلطان الحق وحرية الامم والشعوب على سلطان القوة والاعتداء على الضعفاء وإخضاعهم بالسلاح العسكري ووعدتمونا معشر العرب وعوداً خاصة بأننا سنكون بانتصاركم أحراراً مستقلين وقد امتزجت هذه الوعود بدمائنا وأعصابنا كما صدقت الشعوب كلها تلك الدروس التي كانت تلقى عليها

برقيات روتر وها فاس كل يوم وتشرحها وتفصلها جرائدكم وجرائد أحرافكم .
وما كان إلا أن وضعت الحرب أوزارها بخضوع أعدائكم لكم ونزولهم
على شروطكم في الهدنة والصلح حتى نثلت الكنائس وظهرت الدفائن فعلم
أنكم إنما خشيتم أن تشارككم الدولة الألمانية بقوتها في استعبادكم للشعوب
واستعماركم لبلادها فأردتم القضاء على قوتها لتفردوا بذلك . وكان أسوأ
الناس خيبة من اتخذوهم واتخذوكم أصدقاء من مخدوعي الأمة العربية
فانكم انتزعتم منها خير بلادها وأخصبها ومواطن مدينتها وهي سوريا
والعراق فقسمتوها بينكم وبين حليفكم فرنسا اقتسام القنائم وقهرتموها
على الخضوع لحكمكم بالديابات والطائرات والبنادق والمدافع .

واننا نرى إنما أسستم امبراطوريتكم العظيمة بالقوة المغتوبة والادوية
كالدهاء والحكمة واللين وانكم ستكونون باستبدال القوة العسكرية
الوحشية بها من الخاسرين وانني قد كتبت في إثبات هذه القضية مذكرة
أرسلتها الى وزيركم الاكبر لويد جورج في العام الماضي أثبت فيها انه
يمكن لكم أن ترحبوا من الشعوب العربية والتركية والفارسية وغيرها من
أمم الشرق بالصدافة وحسن المعاملة معها إذا تركتم لها استقلالها أضعاف
ما تصورون من الربح منها باستعبادها واستغلالها . والخذاع بالاقتوال
كتسمية الاستعمار بالانتداب لم يبق له رواج عند أحد من الناس .

وقد انسل المندوب البريطاني من المناقشة في هذا الموضوع بأنه الآن
عضو في جمعية الامم لا في الوزارة البريطانية وان الانتداب مقرر في
عهد الجمعية وليس موكولاً الى أعضائها ليقرروه أو يتركوه وإنما بطلبون
يجعله مطابقاً للمبادئ والاحكام الموضوعه له .

وما أضحكنا من كلام المندوب الايطالي أنني لما غزت الحلفاء باقتسام بلادنا باسم الانتداب قال : إننا نحن لم نأخذ شيئاً !!

مضروب الصين

وما قلته لمندوب الصين : - وهو رئيس مجلس العصبة بالانتخاب وبإله من رجل عالم عاقل حليم - لا يغرب عن علم مساعدتكم ان الدول الغربية الطامعة تعد الشرق كله مباحاً لها وترى انه ليس لشعوبها حق في الحرية القومية واستقلال الحكم الا من أثبت ذلك لنفسه بالقوة الحربية القاهرة كاليابان وما يتمتع من المدونات على شعب شرقي ضعيف في عقر داره السلب حريته واستقلال بلاده بيده - وأيديهم من فوقها - إلا التنازع فيما بينهم عليه وقد بدأوا بعد هذه الحرب الوحشية باقتسام بلاد الشرق الادنى فاذا فرغوا منها لا يبقى أمامهم إلا الشرق الأقصى فأنتم بدفاعكم عن قضيتنا تدافعون عن أنفسكم :

من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته

فاعترف بصحة هذا القول وبوجوب تكافل الشرقيين وتعاونهم على جعل آسية للاسيويين . وقد عني بنا أكثر من غيره .

مضروب ايران

وما قلته لمندوب ايران - البرنس ارفع الدولة - ان خصم المسلمين الاكبر في الشرق بل خصم الشرق كله هو الدولة البريطانية وهي مع المسلمين اليوم على طرفين متقابلين وان كانا يشتركان في أن كلا منهما أقوى ما كان وأضعف ما كان في كل تاريخ حياته .

فأما الدولة البريطانية فقد خرجت من هذه الحرب وهي سيدها أوربة كلها - دع الشرق - فإنها استراحت من خطر الاسطول الألماني الذي كان يهدد سيادتها البحرية بالزوال وأضافت الى مستعمراتها بلاداً واسعة غنية ... ودسكت صرح الدولة العثمانية وجعلت أختها الدولة الإيرانية تحت حمايتها وأحاطت بجزيرة العرب من أطرافها بعد أن أعلنت الحماية على مصر واحتلت العراق وفلسطين (الأرض المقدسة) وانفردت بالسلطان في البحر المتوسط فصار كل دولة وراءها كالخدم وراء المخدم ولكن هذه العظمة والرفعة هي منتهى ما يمكن أن تصل اليه ولا يطبق النوع البشري احتمال عظمة فوق هذه . فهي قد بلغت القمة ولما كان الوقوف والسكون في عالم الاحياء محسلاً لم يبق إلا أن تنحدر وتندهور . وقد بدت آيات الانحدار والسقوط فقد ثارت عليها أيرلندة ومصر ^(١) والعراق ثورات دموية . وثارت فلسطين ثورة سياسية والهند ثورة اجتماعية . ونجمت نبت الشقاق بينها وبين جاراتها وأقوى حليفاتها الدولة الفرنسية ورفضت ايران معاهدتها الاستعبادية وصارت جاراتها أفغانستان دولة مستقلة حربية واستعادت الامة التركية قوتها الحربية . ووراء ذلك كله الروسية البلشفية .

(١) بعد أن قال السيد هذا يضع عشرة سنة تحققت آماني أيرلندة ثم أماني مصر في الاستقلال وكان قد سبق استقلال العراق أيضاً . فأنت ترى الحكم السياسية التي تأتي في كلام السيد رشيد ويحققها الزمن . وأما مسألة فلسطين فلا تزال في إبان شدتها كما ان أهالي الهند أعطوا قانوناً جديداً يجعلهم قرباء من ممالك الدومنيون البريطانية وهم به غير راضين .

كل هذه المعضلات قد فاجأتها وهي في هذا الاوج من مجدها . فمجزت
عن معالجة أدنى معضلة منها .

وأما المسلمون فقد انتهت هذه الحرب بالقضاء على ما بقي من دولهم
المستقلة . واقتسام ما بقي من بلادهم بين الدول الظافرة فبلغوا الحضيض
الاسفل من الذلة والمسكنة . ولما كان الوقوف والسكون محالاً لم يبق
إلا أن يصعدوا ويرتقوا . وقد ظهرت طلائع الارتقاء بما أشرنا إليه من
ثورات شعوبهم ونهوض حكوماتهم . فاذا كانوا قد اعتبروا بما كان من
جنايتهم على أنفسهم وتابوا كما نرجو من ذنوبهم وتعاونت شعوبهم مع
سائر شعوب الشرق على دفع الضيم والعدوان عنهم فلا ريب في نظر الله
اليهم ونصره وإياهم . والمسلم لا يأس من روح الله مهما تكن الخطوب والكوارث
التي تساوره لان اليأس لا يجتمع مع الايمان بقدرة الله وعنايته وفضله في
قلب واحد وهذه آيات الله قد ظهرت للمسلمين بتسخير الامة الروسية
لدولتي الاسلام - العثمانية والایرانية - تنصرهما ، وتشد أزرها ، وتساعدهما
على درء الخطر البريطاني عنهما ، بعدما كانت هي الخطر الاكبر عليهما
الساعية الى ثل عروشهما وكانت الدولة البريطانية هي التي تقاومها في هذا
لا حبا فيها بل خوفاً أن تنازعها سلطاتها البحري بالاستيلاء على الستانة
وتزحف على الهند من طريق ايران - أو كما قال المثل - لا حبا في علي
ولكن بغضا في معاوية .

ثم نوهنا بنهضة الغازي مصطفى كمال باشا العسكرية والسياسية ولا
سيما عنايته بجمع الكلمة بين الشعوب الاسلامية ^(١) والشرقية فقال

(١) هكذا كان في مبدأ أمره قبل أن تغلظ شوكته . ولكنه فيما بعد قلب
للاستلام ظهر الحزن .

البرنس : لولا مصطفى كمال باشا لكان كل مسلم في الدنيا ذليلاً الان .
وبهذه المناسبة أذكر أنني قلت لا أكثر من تكلمت معهم من أعضاء
جمعية الامم بالاشتراك مع بعض اخواني من وفد المؤتمر أو منفرداً
ولرئيس الجمعية خاصة - وهو آخر من تكلم معه الوفد - ما ملخصه :

بعض كلامي لرئيس جمعية الامم

إن هذه الجمعية التي اقترح الرئيس ويلسون تأليفها من جميع أمم
الحضارة ظهير جميع البشر لا يليق بشرفها وشرف اممها وحكوماتها وشرف
المبدأ والغاية الموضوعين لعلمها أن تكون آلة لدولتين استعماريتين تكفل
لها استعباد من استوليتا عليه من الشعوب قبل الحرب ومن تريدان
الاستيلاء عليهم بعدها باسم الانتداب منها ولا سيما بلادنا العربية التي هي قلب
الارض ومهد الاديان الكبرى في العالم وموضوع التنازع في النفوذ بين
الدول الكبرى : فان هاتين الدولتين قد قلبتا الموضوع فحولنا الغاية
المقصودة من الجمعية الى ضدها . وقد عزّ علينا أن نتحمل تبعه الاستيلاء
على البلاد المقدسة ومهد الاديان السماوية الكبرى فجعلت تبعته على
عائق هذه الجمعية وكلفتها أن تكفل لها هذه الغنيمة وما قبلها من
غنائم الاستعمار الذي كان التنازع عليه علة هذه الحرب الخزية وبخشي ان
يفضي الى حرب شر منها هولاً وشر مآلاً . - ولا يصح منها أن تسفه
نفسها وتحقرها بان تعتذر عن هذه الجريمة بانها مقيدة بقانون وضعه لها
هؤلاء الطامعون فان قانونها يجب ان يكون من وضعها وأن يقرر بأصوات
الاكثرين من أعضاء جمعيتها العامة فاما أن تقبل الدول الطامعة ذلك

وإما أن يفتضح رباؤها وتلقى عليها وحدها نعمة ما ستجنيه على البشر
مطامعها .

إذا كان البلقان هو مسرح نيران الفتن والحرب في الغرب . فان سورية
وفلسطين وسائر بلاد العرب ستكون مسرح نيران الفتن والحرب في الغرب
والشرق جميعاً . وإذا كانت انكلترا وفرنسا قد فقدتا في عاقبة هذه
الحرب كل ما كان لهما من النفوذ الادبي في الشرق . فتكون جمعية الامم
هي القاضية على نفوذ اوربة الادبي في العالم كله اذا رضيت أن تكون
آلة لها فيما ذكرنا . وإذا أصبحت اوربة لا تبالي بالنفوذ الادبي لاستعواذ
الافكار للمادية عليها - كما قال فيلسوفها الاكبر هوبز سفسر - فلتعلم
ان النفوذ المادي سيتبع النفوذ الادبي . فان الشرق قد استيقظ
وعرف نفسه . ولن يرضى بعد اليوم أن تكون شعوبه عبيداً أذلاء
للطامعين المستعمرين . ولتعلمن نبأه بعد حين . اه .



تأبين السيد رشيد لأخي نسيب

رحم الله الاثنين

عندما انتقل أخي الأكبر نسيب إلى رحمة ربه كتب السيد رشيد في
تأبينه في الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين الذي تاريخه ٣٠ رجب
١٣٤٦ هـ ما يلي :

(الامير نسيب أرسلان) هو من خيرة امراء هذا البيت الكريم
أمراء أرسلان - تهذيباً وعلماً وأدباً كان رحمه الله تعالى ركناً من
أركان النهضة العربية الجديدة وشاعراً من ابلغ شعرائها وخطيباً من مصافح
خطبائها . وحسبك انه ثالث العمرين الاميرين الشهيرين شقيقه الامير
شكيب والامير عادل وان لم يشتهر في مصر والبلاد غير العربية كسهرتها
انه لم ينح له من السياحة في الارض ما أتيح لها بل قضت عليه شؤون
الامرة النبيلة أن يظل في وطنه كما أشرت الى ذلك في تعزيتي عنه لآله
وأسرته خطاباً لأخي الكريم ووليي الحميم الامير أبي غالب شكيب
وهذا نصها :

من محمد رشيد رضا الى اخيه الامير شكيب أرسلان
أطال الله تعالى بقاء أمير البيان وعماد بيت أمراء أرسلان وأحسن
عزاه وعزاءنا به عن شقيقه الامير نسيب الكاتب الاديب والشاعر
الخطيب والكافل لخدمة أم الأمراء في الوطن وقد طوّحت باخويه طوائج

الزمن وأطال لنا وله بقاء شقيقه الامير عادل رب السيف والقلم ورافع الراية والعلم خواص الفترات ومئة نص الطيارات^(١) قائد الكماة الاباة في ميادين الجهاد والحماة الرماة في مواطن الجلال وأبقى الله فيما يطيل من عهده وللأمة في مستقبلها البعيد من بعده عمر نجله النجيب وغصن دوحته الرطيب (الامير غالب) يحسن تأديبه وتربيته . ويتم تثقيفه وتنشئته فله منها خير عزاء وسلوة وفيما فقدنا وفقدوا من السلف والخلف أحسن أسوة .

ولأنت أيها الامير بعلمك وتجاربك وكبر نفسك وعلو همتك وبما ينتشرب في قلبك من حب وطنك وما يلوث يزعماتك من حقوق امتك أجدر بالصبر عن أخيك من الخنساء بالصبر عن أخيها على كونك أحق منها بالتمثل بقولها :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
وما يكون مثل أخي ولكن اعزّي النفس عنه بالتأمني
فأطال الله بقاءك لامتك العربية المظلومة ولملتك الاسلامية المهزومة
ولوطنك السوري المجتاح فكل منهم محتاج الى علمك وبيانك والى قلمك ولسانك وأطال الله حياتك لامراء آل رسلان تجدد من مجدم ما لا يخلقه الزمان وإنما هو طور جديد واسلوب طريف لفضل تليد جمعت به بين قلم ابن خلدون ومقول سحبان تلي بالسنه العرب والتترك والفرنسيس والالمان . أفليس هذا تجديداً لأدب أجدادك الذين قال فيهم اليازجي الكبير شاعر لبنان :

(١) وقع له أن رمى طيارة فأسقطها في أثناء الثورة السورية .

شبانهم مثل الشيوخ نباهة وشيوخهم في الرأس كالفلان
ويخاطبون بكل فن أهله فكأن واحدهم بالف لسان
بلى فهذا هو الحمد لا ما يكذب دعيه فيه الاب والجد وهذه هي
الزعامة والامارة لا الالقاب المزورة والمستعارة فاصبر فإن مصابك بالجنة
على وطنك وامتك أوجع من مصابك بابن أهلك وامك (واصبر وما صبرك
الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين
انقوا والذين هم محسنون) .

رشيد رضا

وقد اجبته عن كتابه هذا بما يلي : وهو منشور في المنار الجزء الثالث
من المجلد التاسع والعشرين تاريخ ٣٠ ذي الحجة ١٣٤٦ وذكر الاستاذ ان
كلا الكتابين نشره كثير من الجرائد العربية في مصر وسوريا وفلسطين
ولبنان وعدوما من الآثار الادبية في عبارتها كما أنهما من آيات
الإخلاص في الاخوة الروحية بين صاحبيها :

الى حضرة الاستاذ الاكبر والسراج الازهر ، القدوة الحجة ، مذكى
المنار ، الهادي الى اقوم محجة ، السيد رشيد رضا أمتع الله الاسلام بطول
حياته آمين

إذا كنت قد فقدت أخي الكبير فما زال لي منك أخ أكبر وإذا
كان قد انهك ركني المتين فلم يترح لي منك ركن أركن وعماد أمتي ،
وليس بمريض الجناح من أنت جناحه ولا بأعزل في الميدان من رضا اليد
من آل الرضى ملاحه . ولقد كان ما تفضلت به من التعزية على صفحات
الصحف السيارة خير جابر لخاطري الكسير ومرقي لدمي الغزير ولم يكن

بأول برهان على خالقك العظيم وقلبك الكبير وعلى أنك تعطف على القليل
فإذا به بأكسیر نظرك كثير . وكأنك علمت بما فت هذا الخطب من
عضدي وكوى من كبدي فبدت إلي بما يكف سورة الخطب
ويكف كف صوبة الدمع ويشفي حرقه الصدر . يهيب بي إلى ما أمرنا به
من الصبر .

فأسأل الله واجب الوجود أن يتمتع الاسلام كله بطول بقائك وأن
يهدي القاصي والداني بأشعة ضيائك وأن يقيقك للامة العربية السند الاقوى
والجناب الاونع والبرهان الاسنع والحجة القاطعة التي لا تدفع وان يجعل
البركة في حياة أنجالك وأن يقر عينك بذربتك وكلالتك وآلك . ولعمري
إنه بسلامتكم يحسن العزاء وبوجودك تهون الارزاء وبطلعة محيالك عوض
عن كل ما ساء . وما ضرء أن يكابر مكابر أو يعاند معاند فالحق شديد
المحال والنور لا يخفى بحال وما يتعب هؤلاء أنفسهم الا بالمحال :
وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويمجد أن يأتي لها بضرب

تكتب أرسلون

ولما نشر الاستاذ تأليفه الممتع المسمى بالنوحى المحمدى كتبت له
التقرير الآتي ، الذي نشره الاستاذ في نفس الكتاب وفي المنار الجزء
الاول من المجلد الرابع والثلاثين بتاريخ ٢٩ المحرم سنة ١٣٥٣ :

كتاب النوحى المحمدى

إن المسلمين على بينة من أمرهم لا يحتاجون الى دعابة ولا الى التماس
الادلة حتى يعتقدوا بوجود واجب الوجود الذي لا يمكن العقل البشري

أن بتصور هذا الكون بدونه وكذلك لا يفنقرون الى الادلة على صحة نبوة محمد (ص) بعد أن تلقوا خلفاً عن سلف النور الذي أنزل عليه والذي ما زال بنهرهم من العهد المصطفوي الى الان . فكتاب الوحي الحمدي للاستاذ العلامة حجة الاسلام في هذا العصر السيد محمد رشيد رضا لم يكتب في الحقيقة للمسلمين لانه كتاب بقم الادلة على صحة امر يحيا المسلمون ويموتون عليه ويروون جميع براهيته من قبل البدييات التي لا لا تحتاج عندهم الى برهان كما لا يحتاج النهار الى دليل . وإنما وضع الاستاذ هذا للاوروبيين الذين يريدون أن يعلموا ما عند الاسلام من الادلة على صحة الوحي الحمدي والمحمدية والذين منهم من اذا أنار لهم الدليل لم يكابروا فيه تمصباً وعدواناً وصدوداً عن رؤيته . وقد كتبه أيضاً لكل من نشأ نشأة اورية أي خالية من التربية الاسلامية حتى يكون الناشئ قد ارتضع فيها مبادئ الاسلام مع لبن امه فيقال إنها رسخت فيه من الصغر . ولما كان جميع من يقرأون العلوم العصرية اليوم ويتعلمون بحسب برامج الحكومات الاسلامية الحاضرة هم في الحقيقة أشبه بناشئة الاوربيين من جهة فقد التربية الاسلامية أو على ما يقرب من ذلك .

فلهذا كنا ندعو لقراءة هذا المؤلف ليس الاوربيين فحسب بل ناشئة المسلمين أيضاً ولا سيما الناشئة التي أبت الحكومات الاسلامية الا ان تطبعها بالطابع الاوربي لاننا في هذا العصر مغلوبون واوردية هي الغالبة ، والمغلوب مولع بتقليد الغالب حتى في الخطأ كما قال ابن خلدون . فالاستاذ الحجة يسرد للمرتابين الاسباب التي تحمل المسلم على أن لا يرتاب بصحة الوحي النازل على محمد عليه السلام . يقول :

« إن محمداً كان أمياً لم يقرأ سفراً ولم يكتب سطرأ وهذا القرآن العظيم بفصاحته وبلاغته وإشارته الى جميع مناحي الاجتماع بأرشق اشارة وأوجز عبارة لو لم يكن من عند الله لا يعقل أن يقوم به رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولم يحصل علماً من قبل بل قضي طفولته في البادية عند بني سعد بن بكر يرعى الغنم مع اخوته في الرضاع . ثم انه نشأ نبياً وكان مع يثمه المثل الاعلى في حسن التربية واستقامة الاخلاق حتى لقب بالامين ولم يكن أحد يماري في استقامته وكانوا لنزاهته يختارونه ليقوم بما يختلفون فيه فيما بينهم فيستحيل أن يكون رجلاً موصوفاً بالصدق والامانة الى هذا الحد من أول نشأته الى أن يبلغ سن الاربعين ثم يتحول دفعة واحدة فيصير كاذباً مفترياً ويضع من عنده أشياء يدعو الناس اليها ويقول إنه سمع صوتاً ولو لم يسمع صوتاً وشاهد ملكاً ولو لم يشاهد ملكاً . إن هذا من الامور المستحيلة عرفاً . ثم انه لم يكن طالباً شيئاً من وراء ما قام به من الدعوة لنقول انه كذب على الناس لينال حظاً من حظوظ هذه الدنيا . فكل أحد يعلم انه لم يكن ينشد ملكاً ولا مالاً ولا ثروة ولا جاهاً . فلا شيء يقوم بدعابة غير صحيحة ويضع أشياء من عند نفسه ويتحمل عليها المزو والسخرية ثم البغضاء والشنآن ثم الاضطهاد والانتقام ويتعرض لخطر القتل وهو لا يريد رياسة ولا نفاسة ولا نعمة دنيوية من جميع هذه النعم بل كل ما يريده أن يتترك قومه عبادة هذه الاصنام التي ما أنزل الله بها من سلطان والرجوع الى عبادة الواحد الاحد مبدع هذا الكون لا إله الا هو .

قد كان محمد عليه السلام مؤثراً العزلة لا يخالط أبناء عصره في

بجامهم ولا يشاركهم في عباداتهم الوثنية . ونشأ من صفه لا يعبد الا الله تعالى وكان من مزاياه أن لا يقول الشعر ولا يخطب في الاندية ولا بنصدي شيء من مظاهر الرياسة ولا الشهرة فكيف يمكن أن ينقلب دفعة واحدة فيخالط الناس ويدعوهم الى التوحيد والى مكارم الاخلاق ويقوم فيهم بشيراً ونذيراً ويتجشم من العذاب ما يتجشم ويتعرض لآلام أسر من العلقم لو لم يكن هناك باعث فوق العادة حافظ له على الخروج من عزلته التي بلغ الاربعين وهو عاكف عليها .»

ويقول السيد رشيد : إنه من المقرر عند علماء النفس وعلماء الاجتماع أن من بلغ سن الخامسة والثلاثين ولم ينبغ في علم أو عمل عالمي عظيم لا يمكنه بعد ذلك ان يقوم بشيء منها أنفياً (بضميتين) أي جديداً لم يسبق اليه فضلاً عن الجمع بينهما . والحال ان محمداً ظهر بهذا الامر العظيم وبهذا البيان الآلي الذي لم يعهد العرب مثله وذلك بعد الاربعين فلم يكن قبل هذا التاريخ استمد له شيء ولا وجد ما يدل عليه من قول ولا فعل ولا علم ولا عمل .

قلت : وقد يقول بعض الناس إن محمداً كان يظن في نفسه انه يوحى اليه فهو لم يعتمد الكذب تعمداً وإنما بلغ به التأمل انه كان يسمع تلك الاصوات ويرى تلك الخيالات فيظن ما سمعه وحيماً وما رآه ملكاً . والجواب على ذلك ان هذا الوحي كان قولاً ثقيلاً خارقاً للعادة وكان يؤخذ به أخذاً شديداً حتى كان يخاف من نفسه وظالماً خاف أن يكون به جنون . وهذا من جملة الادلة على صدقه وكونه لم يعتمد النبوة تعمداً ولا استشرف لها بشيء من الاشياء وانه قد فاجأ الوحي.

مفاجأة لم يتقدمه عنده سوى الرؤيا للصادقة وانه جاء وحياً فيه من العلوم العالية كما يقول السيد رشيد والاعمال العظيمة ما كان قلباً للاحوال والادواض الدينية والمدنية والاجتماعية بل انقلاباً لا يائله انقلاب معروف في التاريخ .

ثم إن هذا الكلام الذي نفث في روع محمد ليس من نسق كلامه الذي يعرفه الناس له فقد تسكلم محمد عليه السلام قبل البعثة وتسكلم بعد البعثة ولا شك انه كان من أفصح البشر وأبلغهم وقد نطق بجوامع من الكلم تحار لها العقول ولكنه لا يزال بين كلامه الخاص وبين القرآن الموحى اليه بوث بعيد فلا كلامه الخاص ولا كلام أحد من الانبياء يسامت درجة القرآن في كثير ولا قليل . وكل من تأمل في القرآن العظيم وكان بصيراً بالبلاغة وقابله بكلام البشر يدرك هذا الفرق الكبير .

لا جرم أن القرآن يعلو في بلاغته وأسلوبه وشدة تأثيره علواً كبيراً عن جميع كلام العالمين وكيف يكون ذلك إن لم يكن القرآن وحياً إلهياً ؟ فتقول بعض الناس أن محمداً عليه السلام كانت تعزوه نوبة عصبية فيظن نفسه بوحى اليه ليس مما يعمل هذا العلو الذي يعلوه القرآن الذي أوحى اليه على الكلام الذي كان يقوله من نفسه بدون أن بوحى اليه فإن النوبة العصبية التي يزعمونها ليس من شأنها أن تأتي بهذا الاعجاز كله وأن تجعل هذا الفرق البعيد في كلام إنسان واحد .

ثم اننا لا نفهم لماذا يأتون أن يعتقدوا بكون تلك الحالة التي كانت تعزو محمداً عند نزول الوحي عليه هي من شدة وطأة الوحي وكونه قولاً ثقيلاً ؟ ولماذا يأتون الا أن يسموا هذه الحالة التي كانت تعزو نوبة

عصبية ناشئة عن مرض من أمراض الجسم ولولم يقم على وجود هذا المرض دليل ؟ فأبي استحالة في كون باري الوجود يوحى الى أحد عباده الذين اصطفى فولا يحدث نزوله عليه نوبة عصبية يضطرب لها ويتفصد جسده عرفاً كما كان يعتري محمداً عليه السلام . وأيضاً فالنوبة العصبية الناشئة عن علة بدنية تقتضي أن يكون صاحبها مصاباً بداء الصرع أو يمرض عصبي آخر تحدث منه هذه النوبات والحال أن النبي عليه السلام كان سليم الجسم ولم يكن مريضاً ولم يقل أحد من أهل عصره : لا من أعدائه ولا من أصحابه - انه كان يصيبه شيء من أعراض الصرع او من أعراض مرض آخر مزمع والذين ذهبوا الى ذلك لم يستندوا إلى ادنى دليل وإنما هي افتراضات مبنية على غير أساس وتخصصات بغير الواقع وبمجرد التخيل كما هو شأن كثير من الاوربيين او هي فرار من التسليم أن تلك الحالة التي كانت نعرو محمداً عند نزول الوحي عليه هي حالة خاصة بنزول الوحي لم تكن لتحدث لولا ذلك . ولكن محاولة هذا الفرار لا تغني هؤلاء الفارين من الحقيقة شيئاً اذ قد ثبت أن النبي (ص) كان مزاجه عقلاً وبدناً بقابة الاعتدال حتى ان المستشرق الافرنسي ماسينيون نفسه برغم صبغته الكاثوليكية الشديدة يعترف بأن مزاج محمد كان موزوناً لا شائبة فيه . اذاً فافتراض النوبة العصبية بغير تأثير الوحي لم يبق له مجال إلا التعنت .

وقد أشار السيد رشيد الى هذا الموضوع فقال : إن أعداء الرسول من الافرنج وتلاميذهم تأولوا هذه الحالة التي كانت تحدث له بأنه كان يعرض له نوبات عصبية وتشنجات هستيرية . وما أبعد الفرق بين حالته

تلك وحالة أولي الامراض العصبية في المزاج فقد كانت مزاجه (ص)
معتدلاً ولعله الى الدموي العضلي أقرب فذو النوبة العصبية يعرض له في
آثرها من الضعف والاعياء البدني والعقلي ما يرثي له العدو الشامت وأما
صاحب تلك الحالة الروحانية العليا فكان يتلو عقب فصمها وتسريها عنه
آيات أو سورة كاملة من القرآن الذي يؤمن في هذا البحث بعض وجوه
إعجازه اللفظي والمعنوي الخ .

قد اهتمنا بهذه النقطة دون سواها من هذا المعترك لانه لا يكاد
يوجد احد اليوم في اوربة من العلماء المحققين الا وهو معترف بان محمداً
لم يعتمد ادعاء النبوة تعمداً لينال بها رياسة او مجداً او مالاً او حظاً
من حظوظ الدنيا وانه إنما اراد صلاح عقائد بني عصره من تقلم عن
عبادة الوثن الى عبادة الحق فهذا امر قد اتفقوا عليه تقريباً . ولكنه لا
يزال يصعب عليهم التسليم انه كان نبياً يوحى اليه ولما كانوا لا يقدررون
ان ينكروا الحالة التي كانت تصيبه قبل ان ينطق بالقرآن وانها حالة لم
يكن يعتمد عليها ولم يكن يمكنه لو اراد ان يعتمد عليها ويتظاهر بها
- لجأ بعضهم لتحليل هذه الحالة الى قضية النبوة العصبية ، وذهب آخرون
انه من قبيل الوله بالله تعالى الذي يخرج الانسان عن الطور المعتاد . وعلى
كل حال قد اجتاز الاوربيون المرحلة الاولى من مراحل الاعتقاد بصحة
دعوة محمد ، فقد لبثوا طوال القرون الوسطى يزعمون بتأثير كلام رهبانهم
أن محمداً كان كاذباً فرجعوا الان عن هذا القول الى القول بأنه كان
صادقاً معتقداً ما يقوله حقاً وان هذا القرآن كان ينزل عليه وكان يعتقد
هو انه من عند الله و كان يرى الملك ماثلاً أمامه ولكن هذا كان نتيجة

المرض بقول بعضهم أو التخييل بقول الآخرين . فادعاء الكذب على محمد قد سقط اليوم في أكثر بلاد النصرانية وقد اجتيزت المرحلة الاولى فبقيت المرحلة الثانية وهي تصديق كون محمد عليه السلام إنما كانت تحدث له هذه الحالة غير المعتادة لسبب وحي كان يأتيه من قبل الله تعالى لا بمجرد التخييل ولا من قبل المرض . وليس بمجيب أن يتأول هذا التأول أهل عصر مادي كهذا العصر بصعب عليهم الاعتقاد بالغيب وتعليل الامور بغير ما يقع تحت الحس . ولكنهم لو تأملوا الوجود انفسهم عاجزين عاجزاً تاماً بإزاء الامرار الكونية لا يحلون منها مشكلاً الا وصلوا الى سد واقف في وجوههم لا يقدررون أن يجتازوه الا بعد التسليم أن هناك قوة خارقة للعادة وأن القول بوجوده أقرب الى العقل والى العلم من هذه التمحلات الواهية التي يحاولون بها تعليل الحوادث كلها بالاسباب المادية وبلجئهم الاسرفي أكثر الاحيان الى تلمس الافتراضات المبنية على غير أساس .

إن كتاب « الوحي المحمدي » الذي جاء به الامتاذ السيد رشيد رضا في هذه الايام قد أتى عصره على قدر لانه زمن صار يجب فيه التعليل حتى في الامور التي هي معدودة الى اليوم من البديهيات . وما دمننا نقفوا الاوربيين صاعداً ونازلاً ولا مناص لنا من هذا الافتداء كان لا بد لعلماء المسلمين من إعداد الاسلحة العقلية اللازمة لمكافعة الشبهات التي هي من أصل اوروبي . فكتاب الامتاذ واف بهذا الغرض لا يخطر ببال معنى من المعاني التي يقتنع بها القارئ بعلمنا الاسلام الا وقد أشار اليه .

نعم قد فات هذا الكتاب موضوع جليل ربما كان أدل على إعجاز القرآن وعلى صحة الوحي به وكونه من عند الله حقاً - من سائر الموضوعات وهذا هو ما في القرآن من الآيات المطابقة للقواعد العلمية التي انتهى إليها تحقيق الاوربيين في هذا العصر من جهة التحولات الكونية . فمن المعلوم أن محمداً عليه السلام فضلاً عن كونه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب قد نشأ في مكة حيث لم تكن علوم ولا معارف ولا جامعات ولا مدارس تقرأ فيها العلوم الكونية وذلك في غير جزيرة العرب كالشام أو كالاسكندرية أو كاثينة أو كرومية مثلاً فان محمداً كان بعيداً عن ذلك المحيط العلمي كله لا صلة له به . ثم إن العلوم الكونية التي كانت في ذلك العصر لم تكن فيها هذه النظريات الحديثة كالرأي السديمي مثلاً الذي يقتضي أن تكون الاجرام السماوية كلها في الاصل دخاناً ثم تتجمد كتلة واحدة ثم ينفصل بعضها عن بعض أجراماً متفرقة . وإنك لتجد هذا في القرآن صريحاً : (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) فلو لم يكن القرآن وحياً ما كان يمكن محمداً أن ينطق بحقيقة علمية لم تنقرر فعلاً إلا في هذا العصر . وكذلك كون مبدأ الحياة في الماء قيل انه قال به بعض فلاسفة اليونان ولكنه لم يكن قاعدة علمية كما هي اليوم . وكذلك كون الزوجية منبثقة في الممالك الثلاث الكونية : الحيوان والنبات والجماد لم يكن ذلك معروفاً في عصر محمد عليه السلام وإنما كانوا يعرفونه في المملكة الحيوانية وشيء من المملكة النباتية المشابهة للحيوانية ، والحال أن القرآن جعل هذا المبدأ عاماً : (ومن كل شيء خلقنا زوجين) وغير ذلك من الآيات التي

جاء فيها مثل (من كل زوج بهيج) و (من كل زوج كريم) وكذلك حركة
الاجرام الفلكية فقد كان الفلكيون في القديم يعتقدون بوجود سيارات
وثوابت ولم يتغير هذا الاعتقاد الا بحسب علم الهيئة الجديد . والحال ان
في القرآن ما يدل على أنه ليس من جرم غر متحرك (وكل في فلك
يسبحون) وغير ذلك مما أحصاه المرحوم الغازي أحمد مختار باشا نحواً من
تسعين آية فيما أتذكر وفسره تفسيراً علمياً أثبت ما فيه من المطابقة
للتنظريات العلمية الحديثة . وكان مختار باشا من أفذاذ الدهر في علم الهيئة
والرياضيات والطبيعات فلا يقدر أحد أن ينكر ضلوعه في هذه العلوم .
ولقد أشرت على الاستاذ الحجة السيد رشيد بان يلحق بكتابه هذا
ليكون مستوفياً جميع شروط الافادة - خلاصة كتاب مختار باشا الغازي
المسمى (سراير القرآن) لان الذي يؤثر في عقول الادريين وعقول النشء
الجديد في الشرق من مطابقة القرآن للتنظريات العلمية الحديثة هو أعظم
مما تؤثره البراهين العقلية والادبية والاجتماعية .

(المنار) كتب أمير البيان هذا التقريل بعد قراءته لكتاب الوحي
المحمدي بيضة أشهر وكان قد نسي على ما يظهر ان الموضوع الذي قال
هنا انه قد فاتنا - لم نفتنا . فاننا قد أشرنا اليه في مواضع كان
آخرها ما يراه القارئ في آخر صفحة من خاتمة الكتاب وفيها ذكر
هذه المسائل التي مثل بها لما في القرآن من المسائل العلمية التي
في القرآن وزيادة عليها وقد وعدنا في هذه الخاتمة كما وعدنا في
تصدير هذه الطبعة بأننا منعقد لما فصولاً في ملحقات الكتاب التي

متكون في الجزء الثاني منه مع أمثال لها من منن الكون الاجتماعية
والاخبار الغيبية والوصايا الصحية .

وفات الامير حفظه الله تعالى ما كنا اقترحناه عليه عندما كتب
اليانا انه سيكتب تقريرا للكتاب بان يجعله استدرাকা على كلام له في
كتاب (حاضر العالم الاسلامي) النفيس مضمونه أنه لم يوجد في هذا
العصر كتاب يصلح لدعوة الافرنج الى الاسلام .

وأما ما ذكره في أول التقرير من استغناء المسلمين الصادقين عن
هذا الكتاب أو كونه غير موجه اليهم ففرضه خاص بصحة عقيدتهم في
أصل الاسلام ولكن السواد الاعظم منهم عرضة للتشكيك بالشبهات
العلمية المصرية أو شبهات دعاة التنصير لأنهم اسري التقليد وأمرنا الى
حاجتهم الى جواهينه على اعجاز القرآن والنبوة في مقدمة التصدير لهذه الطبعة .
وقد وصل هذا التقرير اليانا في ٢ من ذي الحجة سنة ١٣٥٢ هـ بعد
طبع ما اخترناه من التقرير فجعلناه مسك الختام .



« والسيد رشيد مقدمة على كتابي (الارتسامات اللطاف . في
 « خاطر الحاج الى اقدس مطاف) الذي طبع بمطبعة المنار
 « وهي هذه بنصها :

بسم الله الرحمن الرحيم
 « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ
 مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ
 مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ
 الْفَقِيرَ *

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ
 آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
 الصُّدُورِ * (الآيات من سورة الحج) .

يُحج بيت الله الحرام ويزور مسجد رسوله وروضته عليه أفضل الصلاة
 والسلام ألوف كثيرة من مسلحي الافاق اكثرهم من العوام والفقراء
 وبعضهم من العلماء والادباء والكتاب والشعراء وبقل في جملتهم من يفقه
 ما يعمل ومن يعي ما يسمع ومن يعقل ما ينظر ، وبقل في هؤلاء من
 يكتب لآخوانه المسلمين ما يفيدهم شيئاً لا يجدونه في كتب الفقه والتاريخ
 والرحلات والادب .

بل نرى من حجاج اخواننا المصريين من يكتبون في كل عام ما
 بغضب الله تعالى ويسوء جيرانه في حرمه وجيران رسوله (ص) في روضته

وخدام قاصدي هذين الحرمين من المطوفين والمزورين وحكامها المحافظين
لأمن السكان وآتين البيت الحرام وأطباءهما المحافظين على صحة أهلها
وصحة من يشرف بأداء المناسك والزيارة فيها بل يكتبون ما ينفر
المسلمين عن إقامة هذا الركن العظيم من أركان الاسلام ويصدون عن
إحياء هذه الجامعة العامة التي امتاز بها على جميع الاديان - فهذا يشكو
من شدة الحر وذاك يتحمل من كثرة النفقة وآخر يتبرم بما يزعم من
نقص المطوفين وطعمهم .

وأغرب من كل هذا أن منهم من ينتقدون منع البدع والخرافات
والطواف بالقبور والاستغاثة بالاموات وان منهم من كتب في هذا الشهر
مشنعاً على حكومة الحجاز التقصير في عمارة مسجد الرسول (ص) وتجديد
فرشه وهو يعلم أن حكومة الحجاز الحاضرة على فقرها قد فعلت
ما لم تفعله حكومة قبلها من حفظ الامن وتسهيل السبل وتوفير المياه
والاسعافات الصحية للحاج فان هذا قد صار متواتراً . ويعلم أيضاً أن
حكومته هو قد منعت ما كانت ترسله الى الحرمين وأهلها من الاموال
والحقوق المقررة لها التي كانت ترسلها في كل عام وان هذه الحقوق هي
بعض ما وقفه الملوك والامراء واهل البر من الاغنياء . ويعلم أن وزارة
الاوقاف تنجي من أوقاف الحرمين في كل عام مئات الالوف من الجنيهات
وتصرفها في غير ما وقفت عليه - ويعلم أيضاً ان الحكومة التركية قد
استحالت حكومة لادينية وضمت أوقاف الحرمين الى أملاكها بل هي
تمنع من يريد الحج من شعبيها وحجتها الظاهرة على هذا المنع ان الترك
أحق باموالهم أن تبقى في بلادهم من أن تصرف في بلاد العرب !!

وخير من هؤلاء الصادين عن سبيل الله والمنفرين عن شعائر الله
والمؤذين لجهران الله من يؤلفون كتباً في رحلاتهم الحجازية ينقلون فيها
أحكام المناسك الفقهية وبعض الاخبار التاريخية والادبية ومن كتبوا في
رحلاتهم وفي الصحف ما أملاه الحق من وصف أمن الحجاز وتوفير
أسباب الراحة للحجاج والثناء على الحكومة السعودية ورجاء الخير العظيم
للإسلام فيها .

يد أنك قلما ترى فيما كتبوا عبرة جديدة أو شيئاً من الاقتراحات
المفيدة أو ترغيباً في البذل لعمارة المسجد الحرام ومسجد الرسول عليه
الصلاة والسلام أو لتسهيل السبيل على الحجاج والزائرين وتوفير المياه لهم
والمقيمين اقتداء بما كان من فعل السلف الصالحين .

دع ما هو أعلى من ذلك منزعاً وأروى مشرعاً وأبعد في الإصلاح
غاية وأقوى في درء الخطر عن الإسلام وقاية فقد علم الواقفون على
سياسة الاستعمار الاوربي أن خطره قد أحاط بجزيرة العرب ونفذ بعض
دوله تغافل في بعض انحاءها ثم طفق بوغل في أحشائها وبلغ في
دمائها فان المستعمرين قد استولوا على مكة الحديده الحجازية التي كان
الغرض الظاهر القريب من إنشائها تسهيل أداء الفريضة والبساطن البعيد
حنظ الجزيرة نفسها من الاستعمار الاوربي ومن قتل الإسلام في عقرداره
وإزاحته عن قراره تمهيداً لمحوه من الارض كلها .

كذلك كان شأن المسلمين في حجهم وزيارتهم وكذلك كان ما
دونوا في رحلاتهم ومقالاتهم إلى ان أذن الله لعبده المجاهد في سبيله بماله
ونفسه ولسانه وقلمه وعلمه وعمله الامير شكيب أرسلان الذي بحق

لقبته امته بأمير البيان أن يستجيب لأذان إبراهيم خليل الرحمن فيؤدي
فريضة الحج ويمرض مرضاً يضطره بعد أداء المناسك الى الالتجاء الى
الطائف والنوقل في جبالها وذراها والتنقل في مزارعها وقراها والهبوط في
أخفافها وأوديتها فينال الشفاء والعافية من مرضه ومن مرض سابق له بما
شم من هواء نقي وشرب من ماء روي وجنى من ثمر شعبي ويشاهد ما تم
من قابلية للعمران لا يكاد يفضلها مكان في عصر عم الحجاز فيه العدل
والامان وأن يصف ذلك بقلمه السيل وبيانه السلسال الذي يجري فتكبو
في غاياته جياد الفرسان ومن ذا الذي يطمع في لحاق أمير البيان في
مثل هذا الميدان؟ ميدان التاريخ وعلم الاجتماع والعمران وما فيه من
عبرة السياسة في هذا الزمان ولا سيما سياسة الامة العربية والاسلام .

أحمد الله تعالى أن وفق اخي شكيباً لاداء المناسك وشهود ما قرنه
بها القرآن من المنافع وانما هي منافع امته لا منافع شخصه واسرته وان
يسر له السير في تلك الارض لفته ما أرشد اليه عقله وهدى له قلبه
فيعرف بنفسه جبالها ووهادها واغوارها وانجادها وسهولها وصفاصفها ومجاولها
ومعارفها ثم يبعث ما دفن في بطون الكتب من تاريخ عمرائها وكنوز
معادنها مع بيان اماكنها ووسائل استخراجها من مكائنها ويحلي للعقول ما
فيها من العبر البالغة ويقرن بها وصف حالتها الحاضرة ويستنبط منها ما
يجب على الامة العربية وحكوماتها والشعوب الاسلامية وزعمائها من توجيه
أصدق ما أوتوا من إرادة وعزيمة وافضل ما أعطوا من علم وثروة في
سبيل عمران الحجاز وحياته من خطر الاستعمار . وان ذلك لا يتم لهم الا

بعمران جزيرة العرب كلها لان انتقاصها من اطرافها يفضي الى الاحاطة بسائر اكنافها .

تلك الغاية البعيدة المرمى هي التي وضع لها الامير رحلته الحجازية التي سماها : (الارتسامات اللطاف . في خاطر الحاج الى اقدس مطاف) . وقد أقام الدلائل على امكان ما دعا اليه ومهولته من قابلية في المكان ومواتاة من الزمان واثار الى ما يعترض به على ذلك من شبهات داحضة وكر عليها بما ينقضها من حجج ناهضة بما لم يبق لمعتذر عذراً مقبولاً ولا لمقصر قولاً معقولاً .

ثم انه لم يقف في ارتساماته دون هذا المقصد الاسمي بل أَلَمَّ فيها بكل ما يهم المسلم من حال الحجاز واهله وحكومته فافاض القول في تعظيم شأن المياه فيه وما يرجى من زيادتها بالوسائل العصرية ولا سيما الآبار الارتوازية واستشهد التاريخ على ما كان من عناية السلف الصالح بعمرانه وحبس الاوقاف الواسعة عليه وعناية الخلف الطالح بتخريب ما عمروا واضاعة اكثر ما وقفوا وتمهيد حكاهم الفاسقين سبيل ذلك لسالي ملكهم من المستعمرين . وضرب لذلك الامثال بتاريخ اكبر المعمرين من الملوك والامراء والوزراء وأسهب في بيان احوال المطوفين والمزوربين وقناعتهم وما يجب من اصلاح حالهم ونوه فيها بفضل الحكومة السعودية الحاضرة وخدمة ملكها للحجاز . واعظمها والمقدم منها تعميم الامنة في بدو البلاد وحضرها قريبتها وبعيدها وما يرجى بحكمته من سائر اركان اصلاح فيها .

وقد من عليّ بأن عهد بنشر هذه الارتسامات إليّ بأن اطبعها

بمطبعة المنار وأشرف على تصحيحها بنفسي لتعذر إرسال مثل الطبع اليه في أوربة ليتولى تصحيحها بنفسه بل من علي بالاذن لي بتعليق بعض الحواشي على بعض المواضع التي أرى التعليق عليها مفيداً لقارئها ليكون اسمي مقروناً باسمه في هذا الاثر الخالد له في خدمة العرب والاسلام كما من علي قبله بمثله في رسالته التي جعل عنوانها : « لماذا تأخر المسلمون ، ولماذا تقدم غيرهم » وهي هي الرسالة التي :

سارت بها الركب ان تطوي نفنفا فنفنفا وسبباً فسبباً
فاضطربت بها بعض دول الاستعمار وزلزلت زلزلاً شديداً حتى قبل
لنا انها أغرت حكومة سورية بمنع نشرها فيها وهي أحق بها وأهلها
فانفردت بهذه العداوة للاسلام دون من أغروها بها .
ولقد كان سماح الامير حفظه الله لي بهذا وذاك إعلاما لقارئ
الرسالة والرحلة بما بيننا من الاخوة الاسلامية الصادقة والاتفاق في المقاصد
الاصلاحية النافعة للامة العربية والشعوب الاسلامية التي تنفخ روحها في كل
منا شيخنا الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) بالتبع لاستاذة موقظ الشرق
وحكيم الاسلام (السيد جمال الدين الافغاني) قدس الله روحهما وأجزل
ثوابهما .

هذا وان الامير أمتع الله بعلومه وعمله ولسانه وقلمه قد وضع للرحلة
حواشي كثيرة عزوتها اليه في مواضعها وكان يجب أن أشير الى ذلك في
ديباختها ولكنني ما علمت بها الا عند بلوغ أول حاشية منها :
وقد كان لي وقفة ونظر في اقتراحه على الحكومات المختلفة في الدين
والسياسة أن تشدد على حجاج بلادها الفقراء فيما تفرضه من الشروط

للسماح لهم بالسفر الى الحجاز لا لأن هذا الاقتراح منكر في نفسه بل لان الحكومات الاستعمارية التي تكره للمسلمين المرزوثين بسيطرتها عليهم أن يؤدوا هذه الفريضة لم تقتصر في إرهابهم بالشروط المالية والصحية بل أنا أعلم علم اليقين أن جميع الدول الاستعمارية تمتعت قيام المسلمين بهذه الفريضة وتعاون على صدم عنها بما تستطيع من حول وحيلة . ولولا ما لبواخرها وتجاريتها من المنافع من نقل الحجاج لكأن تشديدهم في الصد أكبر ولكن ما وضعوه من العوائير والعقاب في سبيل الحج باسم المحافظة على الصحة قد أنالهم بعض مرادهم منه بقله من يتحمل مشقته من ملوك المسلمين وأسرانهم المترفين واغنيائهم المحسنين وزعمائهم المفكرين .

وقد كانوا حاولوا أن يقرروا في مؤتمر طبي عقد بمصر في أوائل عهد الاحتلال البريطاني أن الحجاز بيئة وبائية بطبعه يجب جعله تحت سلطة الحجر الدولي دائماً لذاته فجاهد المرحوم سالم باشا سالم كبير أطباء مصر (والطبيب الخاص لسمو الخديو توفيق باشا واسرته) يومئذ جهاداً كبيراً دون ذلك حتى دحض كل شبهة تؤيد هذا الاقتراح وأثبت بالادلة الفنية الطبية والتاريخية ان الحجاز ليس بوطن لوباء الهیضة الوبائية (الكوليرة) ولا لغيرها من الاوبئة السارية المعدية . ولكنني لم أضع لهذه المسألة حاشية بل أدعها الى علم الامير الواسع ورأيه الناضج لعله يستدرك ما يرى استدراكه محصاً لهذا الرأي .

وها اناذا أزف الى قراء العربية هذه الرحلة النفيسة والارتسامات اللطيفة ولا ريب عندي في أنهم يقدرونها قدرها ويعنون معي بنشرها وبث الدعاية الى العمل بما فيها من النصيحة الثمينة التي لتوقف عليها

حياة هذه الامة المسكينة التي كانت هي الدائرة لدعوة الاسلام والمفيضة لنور هدايته والمفجرة لانهار حضارته وباحيائها وعمران بلادها بنأط بقاؤه ويعود رواؤه وينضر إهابه ويتجدد شبابه .

وأختم هذا التصدير لما بما يؤيد قولي هذا من الاحاديث النبوية في شأن الحجاز ومستقبله وكونه مأرز الاسلام ومقله وحصنه وموئله عندما يشتد على المسلمين البغي والعدوان ويركبون المناكير فيناكرهم الزمان أو تستباح بيضتهم بما أعرضوا عن هداية القرآن .

قال رسول الله (ص) : « إن الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة .

وأعم منه وأدل على المراد قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الاسلام بدأ غربيا وسيعود غربيا كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » رواه مسلم من حديث أبي عمر .

وأعم منه وأظهر قوله (ص) : « إن الدين ليأرز الى الحجاز كما تأرز الحية الى جحرها وليمقلن الدين من الحجاز معقل الأوربة من رأس الجبل . إن الدين بدأ غربيا ويزجع غربيا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي » .

وأوسع من ذلك كله وأدل على الباعث عليه ما رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن النبي (ص) أوصى عند موته بثلاث أولها : « أخرجوا للمشركين من جزيرة العرب » وما رواه أحمد ومسلم والترمذي عن عمر (رض) انه سمع رسول الله (ص) يقول : « لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلما » . وما

رواه أحمد من حديث عائشة (رض) قالت آخر ما عهد به رسول الله (ص) أن قال : « لا بتذك بجزيرة العرب دينان » وروى عن أبي عبيدة عامر بن الجراح قال : آخر ما تكلم به رسول الله (ص) « أخرجوا يهود الحجاز ونصارى نجران من جزيرة العرب » والمراد أنه آخر ما أوصى به عند موته وأما آخر كلمة نطق بها (ص) فهي : « اللهم الرفيق الاعلى » .

وقد بينت في مواضع من جزء التفسير العاشر وغيره حكمة هذه الوصايا النبوية وهي ما أطلع الله تعالى عليه رسوله وأخبر به كما في حديث ثوبان (رض) وغيره من تداعي الامم على المسلمين كما تنداعى الأكلة على قصعتها وسلبهم ملكهم واضطهادهم لهم في دينهم الى ان يضطروا الى اللجوء الى مهد الاسلام الاول ومقوله الاعظم وأمرزه الا من وهو الحجاز وسياجه من جزيرة العرب . ولذلك أوصى بأن يكون هذا المقل خاصاً بالمسلمين لا يشاركهم فيه غيرهم فهذه الوصية من دلائل نبوته (ص) قد ظهر مرها في هذا العصر .

وها نحن أولاء نرى اعداء الاسلام ما زالوا يطاردون المسلمين حتى انتهوا بهم الى جزيرة العرب وطفقوا بتازعونهم فيها بل وصلوا الى الحجاز واستولوا بمساعدة بعض أمرائه على اعظم موقع من معاقلة البرية والبحرية (ما بين العقبة ومعان) وصاروا باستيلائهم على مسكة الحديد الحجازية على مقربة من المدينة المنورة التي خصها الرسول (ص) من هذه الوصايا بالذكر وأنشأوا يؤسسون وطناً لليهود في جوارها من فلسطين التي يدعون انها لهم وأخدمهم وسيطليون ضم خير اليها بانها كانت لهم واخرجهم عمر بن الخطاب منها .

فإذا لم نتعاون جميع الشعوب الإسلامية على مساعدة حكومة الحجاز
بالمال والنفوذ السوري والعنوي على حفظ الحجاز وعمرانه بل إجلائها إلى
ذلك واضطرارها إليه فستقطع قلوبهم أسفاً وندماً وبذرفون بدل الدموع
دماً إذ لا ذات مندم ولا متأخر ولا منقدم . ولقد كنت في حيرة لا
أهتدي السبيل إلى أقرب الوسائل لهذا العبران حتى وجدته مرسوماً في
هذه الارتسامات داحضة أمامه جميع الشبهات فبادروا إليه أيها المسلمون
« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات »
(وكتبه ناشر الارتسامات)

منشي مجلة المنار
السيد محمد رشيد رضا



« والسيد رشيد ما نشره في المار ج ٣ م ٢٦ في المطبوعات الحديثة
« ما يلي :

كتاب حاضر العالم الاسلامي

لو كان المسلمون يعنون بمعرفة شؤون أنفسهم ويبحثون عن أسباب
تغييرهم لما كان بأنفسهم من عقائد وفضائل ومعارف وما أعقبها من تغيير
الله تعالى ما كان بهم من نعم السيادة والسلطان والعزة والقوة — كما يعنى
بذلك علماء الافرنج — لما وصلوا الى هذه الدركة من الضعف والهوان .
قد أتى على الشعوب الاسلامية قرون متتابعة وهم يتدهورون من قنة
الى هوة كما تتدهور الجلاميد من شماريخ الذرى لا تدري من حطها من
علـ الى أسفل وتتحول من عزة الى ذلة ولا تعلم لم تتحول .

(ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من
الطيب) فقد قيص بفضلهم للمسلمين من يوقظهم من سباتهم ويرشدهم الى
تغيير ما بأنفسهم الآن من أسباب التردّي على علم وبصيرة كما غيروا من
قبل ما كان بأنفسهم من أسباب الترفي عن جهل وغفلة ولكن طرأت
عليهم في أثناء هذا الابقاظ فتنة التفرنج فلبستهم شيما وفرقتهم طرائق
قددا فقد أفسد ساسة الافرنج وملاحدتهم جبلا كثيرا من أبناء المسلمين
كانوا أضر عليهم من سائر أعدائهم في الدنيا والدين فهم يضلون المسلمين
ويخدعونهم عن دينهم ودنياهم من حيث يوجد في أحرار الافرنج من يرشد
المسلمين الى ما فيه صلاحهم وفلاحهم بما يعنون به من تمحيص الحقائق
في شؤونهم لداتها او ليستفيد اقوامهم منها .

أماننا الآن ونحن نكتب هذا كتابان يشغلان مسلمي مصر ومبشغلان
سائر البلاد الإسلامية التي يصلان إليها .

(أحدهما) كتاب « الإسلام وأصول الحكم » الذي رأى القراء في
الجزء الماضي ويرون في هذا الجزء شيئاً من بيان مفاسده وأنه لرجل متعرج
في الجامع الأزهر وقاض شرعي في بعض المحاكم المصرية هو أضر على
المسلمين من كل عدو .

(والثاني) كتاب « حاضر العالم الإسلامي » وهو لعالم أفرنجي هو أنفع
للمسلمين من كثير من أفراد الناصحين دع متفرنجتهم الملاحدة المفرقين
ألا وهو العلامة البهائية « مستر لوثرروب ستودارد » الاميزيكي الذي زاد به
شهرة على شهرته ألفه بلفظه الانكليزية وسماه « العالم الإسلامي الجديد » فراج
في امريكة واوربة رواجاً عظيماً وطبع مراراً متعددة ونقل الى أشهر اللغات
الغربية والشرقية وقرظه كبار الكتاب وأعجبوا بدقة بحثه وسعة اطلاع
صاحبه .

وقد نقله الى لغتنا العربية عجاج افندي نويهض احد ابنائها البررة
المجيدين لها ولغة الانكليزية ليطلع هذه الامة على اصح ما كتب في وصف
حالتها أدق من عرف في علماء الفرنجة يبحث عنها واعدلهم حكماً لها وعليها
وأصدقهم قولاً فيها ، وذكر ان المحققين من العلماء الغربيين شهدوا له بهذه
الصفات عند تقيظ كتابه هذا .

ترجم الكتاب وعرض ترجمته على كاتب المصبر - كما قال بحق -
الامير شكيب ارسلان الشهير وطلب منه أن يكتب له مقدمة تليق به
ففعل بل اجاب السائل بأكثر مما سأل ؛ وله في ذلك لمسة حسنة ولكنه

أربي في الكرم فوضع على الكتاب حواشي وذبولاً يصح في وصفها قول
العرب : على الثمرة مثلها زبدا . بل تربى على صحائف الاصل عدداً . ولعلها
مدت مادته بضعفيها مدداً . فهي بطولها واستطرافها تضاهي الحواشي الازهرية .
ولا غرو فروح الامير العلمية والادبية اغلب عليه من روحه الاقتصادية
والاجتماعية فانه لو جمل هذه الحواشي كتاباً مستقلاً لكان البقي بمقامه
وأجدر بافادتها من جملة إياها تابعة لغورها ولكان له منها ربح مالي يزيد
على ربح الكتاب الاصلي بل ربما زاد عليه موشى وموشحاً بها أيضاً .
فإن أكثرها موضوعات مستقلة بنفسها وما فيها من إيضاح لبعض غوامض
الكتاب أو استدراك عليه هو أقلها . ولكنه على ما يظهر من معرفته
لقد رفسه وعلى ما يقول بعض حساده او مكبري فضله من اعجابه بها
كثيراً ما يهضمها ويضعها تواضعه دون ما رفع الله من قدرها ومن ذلك
ظنه أن جمل هذه الحقائق الثمينة ذبولاً لترجمة هذا الكتاب أخرى
باستئالة الناس الى مطالعتها كأنه لم يشعر بأنه اشهر من صاحب الكتاب
لدى قراء العربية ولم يستشعر ان الثقة به في شؤون الاسلام اقوى من
الثقة بذلك عند جميع الشعوب الاسلامية وغيرهم من الشعوب الشرقية
وكثير من علماء البلاد الغربية . واننا نكتفي الان بذكر عناوين فصول
الكتاب واهم عناوين الحواشي لتعريف قراء النار قيمتها .

اما موضوع الكتاب ومواده فهي مودعة في مقدمة وتسعة فصول
وخاتمة لا يستغني مسلم يهجم امر امته وملته عن الاطلاع عليها :

المقدمة « في نشوء الاسلام وارثائه وانحطاطه » وقد انصف فيها
الاسلام بالثناء عليه وييان أصول الاصلاح والمهدي المودعة فيه . فيكلم

في ذلك كلام عليم خبير منصف وبين ما أصاب المسلمين بهدايشه وما أصابهم بتركها وأسباب الارتقاء وأسباب الانحطاط في الحالين بما تعطيه فلسفة التاريخ وأصول علم الاجتماع للمطلع على تاريخ الاسلام القديم والحديث والواقف على عقائده وآدابه بالاجمال .

ولكن كلامه فيها لم يسلم من اخطأ في مسائل يتوقف تحقيق الحق فيها على علم استقلالي واسع في العقائد الاسلامية والفرق المختلفة فيهم فهو على إدراكه لطهارة العقائد والآداب الاسلامية وموافقتها للفطرة البشرية والعقل السليم ولعدالة التشريع الاسلامي واصلاحه للذين جعدهما الشيخ علي عبد الرازق - ولكون العرب كانوا أجدر الشعوب بفهم تلك المزايا لحريتهم وطبايعهم السليمة غير المضطربة بتقاليد الادبانية التي قد أفسدها الزمان - وعلى جملة هذين الامرين - التعاليم الاسلامية والفطرة العربية - هما الاساس والعلة الاولى لنجاح الاسلام ومدنيته وعلى إدراكه ان الاعاجم المتبيلة قلوبهم وعقولهم بالتقاليد الموروثة لم يفهموا الاسلام كما فهمه العرب وان تغلبهم على الخلفاء وصلبهم لسلطان العرب كان علة العلل للانحطاط الذي تلا ذلك الارتقاء - هو على إدراكه لكل ما ذكر - قد اختلط عليه الامر عند المقابلة بين أهل السنة ومتبعي النقل والمعتزلة الذين حكموا العقل .

علم أن الاسلام دين العقل والفطرة فظن ان المعتزلة الذين ارجعوا كل شيء في الدين الى اصول العقل هم الذين استمسكوا بجوهر الاسلام ولبابه الصحيح وان خصومهم المحافظين الذين ذهبوا الى ان النقل والسنة مقياس كل شيء في الدين هم الذين جهلوا جوهر الاسلام وظن ان

الذين دخلوا في الاسلام وقد أشربوا في قلوبهم الدين البزنطي القديم (وأشألمهم من الذين فهموا الاسلام بمراة أدبانهم ونقاليدها ؟) قد كانوا من زمرة أهل السنة والنقل لما اعتادوا من التقليد . وانهم هم الذين أولوا القرآن والاحاديث النبوية تأويلات بعدت بها عن سهولتها وبساطتها قال : « فنتج من ذلك أن أصيب الاسلام بمثل ما أصيب به النصرانية في الاجيال المظلمة من تلبيس الدين عقائد غير عقائده ونسبة الآراء الدينية الجافة اليه وهو وراء منها فلا غرو اذا اشتد الخلاف واتسعت شقته وطال عهده بين الذين اعتصموا بالسنة والنقل فقاموا عليها وبين الذين جعلوا العقل نفسه مقياساً لكل شيء » .

ثم زعم ان عقيدة السنة هي التي غلبت على العقل كما كان متوقفاً وأن تاريخ السنة والتقاليد إنما هو تاريخ السيرة نحو أدوار الاستبداد وعواقبه المشؤومة .

لم يفرق المؤلف بين السنة والنقل في الاسلام وبين التقاليد في الاديان الاخرى وهي عبارة عن العقائد والشماز الموروثة عن الآباء والرؤساء والمعلمين . والحق الواقع ان كل ما ذكر من الفساد في الاسلام إنما كان من بدع الذين حكموا عقولهم أي آراءهم النظرية في الدين وانهم هم الذين حولوا الاسلام عن بساطته المعقولة الموافقة للفطرة وهم الذين كانوا السبب في ادخال البدع وضلالات الاديان القديمة وسخافاتا وخرافات الوثنية في الاسلام بالشبهات النظرية التي سموها دلائل عقلية والافيسة الشيطانية فيما لا مجال للقياس فيه من عقائد الدين التي لا تأخذ لها الا الوجي ومن الاجحك الم الشائبة بالنص .

أهل السنة والجماعة هم الذين كانوا يجمعون قداسة الدين وسهولته من تطرق بدع الاديان والآراء الفلسفية والشعرية اليها لتحذير النبي (ص) أمته منها فمنهم من منع القياس في امور الدين مطلقاً ومنهم من قال : إن القياس جائز في غير الامور الاعتقادية والتعبدية وقصره بعضهم على الاحكام القضائية والمدنية والسياسية .

وكان من بدع المعتزلة دعوتهم الى القول بخلق القرآن وحملهم بعض خلفاء العباسيين الذين اتبعوا فحلتهم بحمل المسلمين على ذلك بالقهر والاضطهاد وقد آذوا به خلقاً كثيراً من أهل السنة : من اجلهم قذراً امام الائمة أحمد بن حنبل رضي الله عنه فقد ضربوه ضرباً مبرحاً وداسوه بأرجلهم ليقول بقولهم فامتنع أن يقول هو مخلوق أو غير مخلوق احتجاجاً بان النبي (ص) واصحابه لم يأمرؤا بذلك ولم يقولوا به فيسمعنا ما وسعهم ولا نعرف ديناً الا عنهم ولو أجزنا مجاوزة نصوص الوحي وتفسير السنة له بأرائنا العقلية نزول الوحدة وتفرق شيعاً كما تفرق من حذرنا الله أن نكون مثلهم .

ومبتدعة الشيعة الفاطميين بل زنادقة الباطنيين كانوا يعتمدون في ترويج بدعهم على الفلسفة اليونانية وهم الذين ابتدعوا في مصر احتفالات الموالد التي لا تزال مشوهة للاسلام وصية للمسلمين . والاسلام بريء منها ، وملوك الاعاجم وامراءهم هم الذين ابتدعوا جعل القبور مساجد . وكانوا سبب تقديس الجاهليين لها بل عبادتهم إياها كما فعل أهل الكتاب قبانا وحذرنا نبينا فعلمهم إذ قالت السيدة عائشة (رض) في سبب لعنه (ص) للذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد : يحذر ما صنعوا - كما في صحيح

البخاري ولا يزال المدافعون عن هذه البدع يحتجون لما بنظريات يسمونها عقلية كوجود الارواح وجواز قضائها أو حملها الخالق تعالى على قضاء الحاجات ولا يوجد دليل عقلي على شيء من هذه البدع والخرافات .

من الاسف ان البدع التي يسمونها نظريات عقلية هي التي غلبت على السنة حتى أفسدت على المسلمين دينهم ودنياهم خلافاً لما قاله المؤلف ولو اتبع الناس الامام أحمد وأمثاله لما زادوا في الدين شيئاً ولا نقصوا منه شيئاً ولصرفوا ذكاهم وجهدهم في العلوم والفنون الكسبية التي تفيدهم وترفع شأنهم ولم يخلطوا بالدين ما ليس منه .

ألم تر أن مؤلف الكتاب بعد الدعوة الوهابية إصلاحاً في الدين على صراط المستقيم — الكتاب والسنة الصحيحة — ورد جميع ما اجتدع فيه سواء استحسنته العقول أم لا ؟ وهل للعقول قاعدة أو حد تقف عنده في هذه الامور ؟ أليس لعباد الاوثان فلسفة دينية وشبهات نظرية يسمونها دلائل عقلية ؟ بلى وبكفينا هذا في بيان غلط المؤلف في هذه المسألة .

ولنعد إلى موضوعات الكتاب فنقول :

الفصل الاول	في اليقظة الاسلامية	وهو في الجزء الاول
الثاني	في الجامعة الاسلامية	" "
الثالث	في سيطرة الغرب على الشرق	" ج ٢
الرابع	في التطور السيامي	" " "
الخامس	في المصيبة الجنسية	" " "
السادس	في المصيبة الجنسية في الهند	" " "
السابع	في التطور الاقتصادي	" " "

الفصل الثامن في التطور الاجتماعي في الجزء الثاني

التاسع مع الخاتمة في القلق الاجتماعي والبلشفية.

وأما موضوعات حواشي الامير شكيب فهي في بيان أحوال مسلمي العصر العامة الحديثة وبعض القديمة تكلم عن مسلمي الصين وجاوه وما جاورها والهند ومسلمي الروسية في عهد البلشفية الحاضر وشرقي إفريقيا والحبشة وماداغسكار وجزائر القومور وربف المغرب الاقصى والفيلبين... تكلم عن مسلمي هذه البلاد وغيرها بما يهم كل مسلم يهم باسم المسلمين أن يعلمه ولا سيما علاقتهم بأوربة ومن سيادتها عليهم ومحاولتها لتتصرهم وله في أذيال الجزء الاول فصول تحت عنوان « الاسلام والجنود السود » منها « لمحة على حالة الاسلام الحاضرة » ومنها فصل في « الاسلام الاسود » وفصل في « الاسلام عند السنغاليين » وبلي ذلك « خلاصة » سياسية لهذه الفصول وما قبلها في شؤون المسلمين واوربة فيها من الحقائق التاريخية والعبر السياسية ما يعز أن يصدر مثله عن غير الامير شكيب .

وبليها فصل في « الجنس الاسود والاسلامية » فصل « في الاسلام في إفريقيا » وما يلاقه من مهاجمة الاستعمار ودعوة النصرانية - فصل في « الرسائل البروتستانتية في إفريقيا » فصل « في نهضة الاسلام في إفريقيا وأسبابها ووسائل دعوتها من سنة ١٢٩٠ - ١٩٠٠ » .

وبلي ذلك الكلام في الطرق الصوفية في إفريقيا : القادرية والشاذلية والتيجانية والنوسية ويتبع الكلام في الاخيرة ترجمة بعض كبار شيوخها وجدول في أسماء أشهر زواياها في ست صفحات بالحرف الصغير (جسم ١٢) .

وبلى ذلك فصل في « مجاري الدعوة الاسلامية في إفريقيا » فنصل في « الصراع بين الاسلام والنصرانية وأيهما الغالب في أمر المدينة » وبإيه خلاصة لما تقدم في هذا الموضوع كله .

ومن موضوعات هذه الحواشي والذبول فصول في الاصلاح والمصلحين وزعماء الاسلام المجددين منها الكلام عن الوهاية وزعيمها العلمي الشيخ محمد عبد الوهاب وزعمائها الامراء آل سعود « ومنها ترجمة حكم الاسلام وموقف الشرق السيد جمال الدين الافغاني وشيخ من ترجمة الاسناد الامام وأشكر له حسن ظنه أن قرن اضي باسم أستاذنا » ومنها ترجمة بطل الاسلام والعرب في هذا العهد (الامير محمد عبد الكريم) وتراجم زعماء جمعية الاتحاد والترقي التركية : انور باشا وطلعت باشا وجمال باشا الخ .

وكلام عن بعض الفرق والطارق القديمة والحديثة كالمعتزلة والخوارج والبكطاشية والباوية والبهائية والاشتراكية والبلشفية والاحمدية القاديانية .

وجملة القول ان مؤلف هذا الكتاب من أعلم كتاب الفرقة بشؤون المسلمين فان لم يكن أعلمهم بها فهو أجدرهم بتحري الحقيقة وبيانها وان واضع الحواشي والذبول التي هي كتاب آخر هو أجدر كتاب العرب بالجمع بين تاريخ الاسلام والمسلمين وبين علاقة أوربة بهم وسياستها فيهم وأقدرهم على بيان ذلك وأحرصهم على النصح فيه . نعم انه يوجد من يساوبه ومن يفوقه في بعض فروع هذا التاريخ وشعب هذه المسائل ولكننا لا نعرف أحداً يضاهيه في معرفته جملتها وتفصيلها ولا في منزلة

حسن البَيان لها وقد بلغنا انه طالع وراجع عند كتابة هذه الحواشي
عشرات من الكتب الحديثة التي ألفت بأشهر اللغات الاوربية ولم يعتمد
على حفظه واختباره . فقد اجتمعت في هذا الكتاب خلاصة معارف
الغرب والشرق الخاصة بجمال المسلمين السياسية والدينية والاجتماعية
الحاضرة والمستقبله فهو يغني في بابه عن كثير من الكتب والجرائد
والمجلات وهي لا تغني عنه ومننقل للقراء بعض النماذج منه .



ما قيل في السيد رشيد عند وفاته

هذه المقالة لي في جريدة الجهاد

أنا رجل من أربعمائة مليون مسلم يندبون اليوم السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ويشعرون بالفراغ الهائل الذي ستركه في العالم الاسلامي ومن من هؤلاء لم يعرف قدره رأساً عرفه بالسماع من غيره . ومن لم يقدر فضله اجتهداً فقد قدره تقليداً . وكما قلت يوم انتقال السيد الشريف احمد السنوسي الى رحمة ربه : إنه لو كان في زمن الصحابة رضي الله عنهم لكان من جماتهم ومن أفضلهم . فإني أقول الان لو كان السيد رشيد رضا في أيام الائمة المجتهدين لكان من جملة الائمة ان لم يكن هو المجلي كان المصلي . ولا يمنع السيد رشيد تأخره في الزمان ان يلز في الطبقة الاولى من الاوائل . لقد اثبتني أحد اخواني باني أبالغ في قدر من ينطوي من أصحابي وباني أعطي كثيراً من الناس فوق حقهم ولكني لست أراني مبالغاً إذا قلت إنه منذ أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الى صاعتنا هذه ومنذ نشأت الامة المحمدية وقد نبغ فيها من الامراء والعلماء والقواد والحكام ورجال السيف ورجال القلم عدد كبير من العبقرين والمشاهير والاقطاب فسواء قل هذا العدد أو كثر فان السيد رشيد رضا من صيتابة المعددين في هؤلاء ولا يمكن أن يكتب تاريخ الاسلام على الوجه الصحيح ويوفر فيه لكل عالم من أعلامه الحق الذي يستحقه بدون أن يكون لصاحب المنار فيه مقام

كريم وبرهان ساطع وليس التأخر في الزمن بالذي بدعو الى التأخر في
الرتبة . فكم ترك الاول للآخر بل كم رجح الحاضر على الغابر . والفضل
لا يتعلق بزم الفاضل .

أخذ السيد رشيد رضا عن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وأخذ
الشيخ محمد عبده عن فيلسوف الشرق الاكبر السيد جمال الدين الافغاني
فكانت روح كل من الاثنين من روح استاذة الا اننا لا نعلم روح جمال
الدين هل كانت مستمدة من أحد أو كانت روحاً لدنية ؟ وهي روح
إصلاح وتجديد في الاسلام وتأليف بين شروط الدين والدنيا ونظم بين
حاشيتي المادة والمعنى ورجوع بالشرع الى نشأته الاولى وتطبيق للنوازل
الحادثة على القواعد الموضوعية والتوفيق على ضوء القرآن بين المبادئ الاسلامية
والمدينة العصرية خطة وسطى بين الجمود القاتل الذي جعل الاسلام كأنه
في عزلة عن هذه الدنيا الحاضرة وبين التسامح المنكر المؤدي الى الانقلاب
التام من أوامر الشرع ونواهيه والخروج عن الكتاب والسنة بالتأويلات
الفارغة : فهذا المذهب الاصلاحى الجامع بين الرجوع الى عقيدة السلف وبين
الارتياح الى المتجددات العصرية دون أدنى حرج اخذاً بما حث الله
تعالى عليه من طلب العلم وما ندب اليه من التعمق في امرار الكون
هو المذهب الذي يعتقد هؤلاء الاقطاب الثلاثة انه في الاسلام مذهب
الاولاىل وانه سيكون المعول عليه في الزمن الآتي . وهؤلاء المصلحون
الثلاثة هم لا تُمذا الرأي وعزاه وَمَنَاتِهِ والذين بهم سطعت براهينه وبيناته .
وقد لقوا في سبيله الاهوال وتعرضوا لكيد الرجال وقيل فيهم ما قيل في
غيرهم من قبلهم ممن أرادوا الاصلاح ما استطاعوا فتناولهم اهل عصرهم

بقوارص الانتقاد وسلقوم بالسنة حداد حتى إذا تعاقبت الاعصار أقوت
الامة بفضلهم ورجعت إلى رأيهم وحصل لهم من الاقبال والخط بعد المات
ما لم يحصل في هذه الحياة . وسيرى الناس أن السيد رشيد رضا
كأستاذ الشيخ محمد عبده كأستاذ السيد جمال الدين الافغاني سيكون
من الاقطاب الذين هم في قبورهم أعظم جداً مما كانوا في دورهم ومن
سيلقون من الاقبال من دهرهم ما لم يلقوه في عصرهم . فهو لا هم من
الفريق الذي يزداد حياة بعد المات وقياماً وهم رفات وإقبالاً بعد الذهاب
وعلواً بعد المواراة في التراب . أقول هذا وإن كنت لا أجهل أن جمال
الدين في حياته قد بلغ من علو القدر ونبالة الذكر والتأثير في النفوس
والمهابة في الصدور ما لم يبلغه مسلم في العصر الاخير حتى أجمعت الامة
على تلقيه بموقف الشرق . وإن الشيخ محمد عبده القيت اليه مقاليد الزعامة
الفكرية في مصر ومن ثمة في سائر الاقطار العربية قبل وفاته بكثير .
وكان قد جرى ذكره بيني وبين جمال الدين سنة ١٨٩٢م ونحن إذ ذاك
في استانبول فقلت له : إن الشيخ عبده بنذر مثله في مصر فقال لي : بل لا
يوجد مثله في مصر . وهذا قبل وفاة الشيخ رحمه الله بخمسة عشرة سنة .
وكذلك السيد رشيد لم تكن شهرته في العالم الاسلامي بأقل من شهرة
أستاذيه . وفي آخر الامر وقع الاجماع على أنه في النضال عن الاسلام
وفي حل المشكلات المصرية وتطبيقها على القواعد الشرعية كان الفذ
المنقطع النظير الذي إذا خلا لم يخلفه أحد الا في زمن طوبل . ولم تنحصر
شهرته في العالم الاسلامي بل عرفت الامم الاخرى مكانه في الامة
الاسلامية . وعلمت انه من المصلحين الكبار والمجددين المشهورين في

الاقطار وأن رأيه يعول عليه وبؤخذ به وأنه لا ينازعه منازع في رياسته الشرعية مع زعامته العقلية فكان المستشرقون يشيرون دائماً اليه وبنوهون بأرائه عندما يدور الكلام على الاسلام المصري ويحصل الاخذ والرد في منزع التجديد ضمن دائرة العقيدة . وكان الذي يدهش في الشيخ رشيد رسوخ قدمه في مختلف العلوم حتى اذا نظرت اليه في علم علم منها وعلمت مبلغ إحاطته فيه ظننته متخصصاً في ذلك العلم وحده كأنه إنما انقرد به . والحال ان له في سائر العلوم الملكية نفسها . فكان إذا أمسك القلم تدفق نحواً وصرفاً ولغةً وبياناً وبدعاً وفقهاً وحديثاً وتفسيراً وتوحيداً وفروعاً وأصولاً وكل ذلك في نسق واحد .

وهو وان كان لا يسامي جمال الدين ومحمد عبده في العلوم العقلية على قوته فيها فإنه كان يفوقهما في العلوم النقلية ومعرفة النصوص والآثار فكانت النازلة إذا نزلت أتى عليها جمال الدين أو محمد عبده بدليل عقلي وأتى عليها رشيد رضا بدليل عقلي وعززه بحديث أو أثر . ولهذا اتسعت دائرة بيانه وجمال قلمه في كل موضوع وتكلم فيه بكلام الواضمين . وكان إذا استند النصوص غرف من بحر ووضع الهناء موضع الثقب . وأكثرت ما أمده في خطته هذه قوة ملكته العربية وفهمه من أسرار اللغة ما لا يفهمه غيره فكلام الله وحديث رسوله مشرقان عليه إشرافاً تاماً يحكم له بذلك كل من رزق ذوقاً سليماً وبصراً تاماً باللغة وبالشرعية معاً .

وقد سبق السيد رضا أستاذيه العظمين في منزلة الكتابة وفيض القلم إذ كانا يؤثران تنبيه العقول وإيقاظ الهمم من طريق الخطابة والمحادثة . وكانت مجالس جمال الدين لا يمر منها مجلس إلا كان أشبه

بمحادثة تاريخية تسجل الفاظها وتحفظ جوامع كلماتها .
وكانت مجالس محمد عبده بقدر السامع أن يكتبها بأمرها لا يزيد
منها حرفاً من شدة إحكامها . وكانما هي فصول مكتوبة بقرأها فاري
وكانما هي نثبات سحر في استيلائها على الافكار وطالما خرج السامعون
منها نشاوى تترنح أعطافهم .

فأما السيد رشيد فانهصرف بكليته إلى أعمال القلم وصار يكتب في
الساعات مالا يقدر أن يسوّده غيره في الاسابيع حتى لو قيل إن
محصول قلمه قد يتوزع على عشرة كتاب كبار ويصيب كلاً منهم نصيب
وافر لم يكن في ذلك أدنى غلو لان سهولة الكتابة التي كانت عند
صاحب النار بما أوتي من اجتماع القوتين الحافظة والحركة وانتظام المذتين
المطبوع والمسموع كانت آية باهرة لا يثامى فيها الا حاسد أو معاند .
وتفسير السيد رشيد للقرآن الكريم هو كاف ليخلده بين علماء هذه الامة .
وأجوبته على الاسئلة المتعددة المتنوعة التي كان يستفتى فيها لم يكن في
هذا العصر من يقوم لمثلها ويحيد فيها بعض إجابته وكان يأتي باللفظ
القليل الذي يدل على العلم الكثير .

ولو شاء الشيخ رشيد أن ينشر جميع معلوماته ويؤلف الى القراء
جميع بنات أفكاره لعجزت الافلام وما نسقت ونضبت الحابر وما سقت .
فعقله ينبوع صافٍ متدفق أبداً لا يقف الا في ساعات النوم فتى استيقظ
لا ينقطع سيله جارياً الى يراع إذا سال على الرق أقرله الجميع بالرق .
وناهيك كتابه في حقوق النساء المسمى بالنداء الى الجنس اللطيف وكتاب
الآخر المسمى بالوحي المحمدي وهما من تأليفه الحديثة التي زادت في

إعلاء قدره وإثبات عبقريته . ولم آت بهذه الاسطر المستعجلة لأرسم للسيد رشيد صورة تامة أو أستوفي فيها وصف آثاره والتنبية الى ما انفرد به من آراء مبتكرة وأنحاء طريفة فاني تارك هذا الى تأليف خاص سأجعله باسمه وأسرده فيه مزاياه الكثيرة وبدائع تأليفه الاثيرة . وقد كنت وعدت عند وفاة أخي شوقي رحمه الله بأن أكتب في ترجمة حاله وتحليل شعره وعلاقاتي الاخوية معه كتاباً أسميه : «شوقي أو صداقة أربعين سنة» وقد أنجزت وعدي بعبونه تعالى وأهديت الى روحه العبقريّة هذه الريحانة الزكية التي روحت فيها من وجداني وخففت من بئي . وكذلك سأزف الى روح الاستاذ الاكبر والمصلح الاشهر السيد رشيد رضا كتاباً يتضمن ما أعرفه من مناقبه وما أؤثره من بدائعه وروائعه واسميه أيضاً : «السيد رشيد رضا أو إخوان أربعين سنة» فلاني كنت قد عرفت شوقي قبل السيد رشيد رحمه الله تعالى بسنتين أو أكثر قليلاً فالآن مضى على إخواننا واحسرتاه أربعون سنة كما كان مضى على إخواني لشوقي يوم وفاته أربعون سنة وأما علاقاتي الاخوية مع السيد الاستاذ فلا مقايسة بينها وبين علاقاتي مع شوقي لان شوقي كان قليل الكتابة غير حريص على المراسلة بينما الاستاذ يكتب دائماً ويكتب طويلاً ويبعث في اتصال دائم مع اخوانه إن قربوا فيالمشاهدة وإن بعدوا فيالمراسلة . وكان يؤازرهم في خطوطهم ويشاركهم في همومهم وان المحفوظ من كتبه عندي في ظرف خاص قد يربي على المائتي مكتوب وفي هذه المكتوبات (كان رحمه الله يؤثر جمع مكتوب بالالف والتاء أخذاً بقاعدة ان مفعولاً لا يجمع على مفاعيل الا في الفاظ معلومة) فوائد عظيمة أدبية وشرعية ولغوية وسياسية

يمكن إثبات أكثرها في الكتاب الذي أستخير الله تعالى في تأليفه
 عن السيد رشيد وفاء بحقه وقياماً ببعض الواجب من بره وإن كنت
 أعرفني مقصراً عن تأدية هذا الواجب كما يليق بقدره . وقبل أن أختم
 هذه العجالة لا بد لي أن أقول إن الذي كان يزين علم الشيخ رشيد
 وأدبه هو ما تحلى به من الاخلاق الكريمة والمنازع العالية ولا خير في
 علم لم تكن معه أخلاق فهو في هذا يتقبل استاذيه عبده والافغاني اللذين
 كانت علومهما تندفق في أعمالهما فكان من أعظم الناس خلقاً وأمتهم عهداً
 وأحلمهم طبعاً وأصفاهم قلباً وأحسنهم وفادة وأصدقهم بشاشة وأكلمهم
 إخلاصاً وكانت مجموعة فيه صفات العلماء والامراء معاً . وكان مع وداعته
 وقوراً وفي تواضعه كبيراً وكانت رقة قلبه في مواطن الخنان تدل على
 بلوغ الانسانية فيه مثلها الأعلى فلما اجتمع العلم والخلق اجتماعها في الشيخ
 رشيد رقما جرى العقل والقلب شوطاً واحداً كما جرى في هذه الفطرة
 الشريفة . وأما الحمية الاسلامية بدون بغضاء للخارجين عن ملته وأما
 الصارخة العربية بدون تحامل على المسلمين من غير العرب فلا أحدث عنها
 أحداً يجملها : فلقد عاش الشيخ رشيد في عالم الادب والسياسة رئيساً وقائداً
 عظيماً مدة تزيد على أربعين سنة وهو يتنافح عن الاسلام في كل موطن
 ويخدم الاسلام في الفقه وفي الادب وفي الاجتماع وفي التاريخ وفي
 السياسة ولم يقع بحقه كره من غير المسلمين ولا جفاء أحد من أصحابه
 الكثرين ممن لا يدينون بالاسلام وذلك لما يعرفون من إخلاصه ومن
 سلامة نيته ومن أنه كان يضع العدل فوق كل شيء ومن أنه كان يفهم
 من معاني الاسلام ما يجعل مودته لمن يعاشره من غير المسلمين خلقاً لا

تخلقا . وكانت الى جانب نزعة الاسلام المحضة نزعة عربية لا تقل عنها
تمحضا وكان يجمع بينهما دون أدنى تكلف لانه كان يعلم أن صدر
الاسلام ينسج لمودة غير المسلمين وللاتفاق معهم في الجامعة الوطنية
والرابطة القومية وفي كل ما يعود الى المبادئ الانسانية . ولم يكن فقيدنا
اليوم لينفي على أحد ولا ليضر لاحد سوءاً وان أخذته في بعض الاحابين
حدة لاعتداء يقع عليه . وهي خلق كل كريم عرف بصراحة الطبع
وسلامة الصدر فسرعان ما كانت تذهب تلك الحدة ويحل محلها الصفاء الذي
لم يكن يفارق سريرة الشيخ رشيد . وقد كان الفقيد يعرف السياسة
العالمية والسياسة الشرقية خاصة ويدرك أمرارهما . وكان من أطباء
الامراض التي ابتلي بها المجتمع الحاضر سواء في السياسة أو في الاخلاق .
وكانت له آراء في المشكلات السياسية والمعضلات الاجتماعية منقطعة من
معادن الحكمة لا يتنازع فيها الا الذي أعماه الله عن الصواب . وقد كان
بعض الذين يأبون الا أن يتحذلقوا يعيرون على السيد رشيد اشتغاله
بالسياسة ويقولون انه كان الاولى به أن يقبل على شأنه في الاشتغال
بالامور الشرعية والعلوم اللغوية التي قد أحكمها بخلاف السياسة التي ليست
من فنه ! وحقيقة الحال ان العقل الكبير ينسج لكل شيء لا سيما إذا
كان مستيقظاً ساهراً يلتقط كل شاردة وولردة وان للسياسة صلة وثيقة
بالعلم وبالشرع وبالمنطق وبالأدب وبالاقتصاد وبغير ذلك مما اذا كان السيد
رشيد لم يعرفه تفصيلاً فقد عرفه إجمالاً بحدة ذهنه وسعة اطلاعه
وكثرة تجاربه . ومن أغرب ما يكون أنني قد سمعت الانتقاد على الاستناد
في تدخله بالسياسة ممن إذا قيسوا اليه في السياسة كانوا بجانبه أطفالاً .

هذا والسيد رشيد من سادات القلمون بجوار طرابلس الشام والبيت
الرضوي هو هناك بيت تقوى ووجاهة وسراوة ومكانة يعرفها جميع اهل
سورية فهو من أصله غذي طهارة صافية وسليل نعمة هامية وفرع أرومة
زاكية وقد زين ذلك الاصل بترية عالية جاءت فيه نوراً على نور فخدم
الاسلام والشرق والعروبة خدمة قلما وفق الى مثلها عربي صريح فلا
غرو أن يهتز العالم العربي لفقده وان يستوحش العالم الاسلامي من بعده
وليقول من قال اني غلوت في وصفه وأمرفت في تأيينه فليس ذلك بالذي
يمنعني من أن أقول ان هذه السيرة العظيمة وان هذه الحياة الحافلة بمجلائل
الاعمال المنصرفة الى الجد من أولها الى آخرها والمشغولة بمعالي الامور عن
سقامها لا يمكن ان توصف في العربية بغير هذه الالفاظ اذا تركنا
الحسد جانباً وسلمنا من آفة المعاصرة التي قد تحجب الفضائل أو تنقص
منها . وكذلك ليس تأييني هذا من قبيل : اذكروا محاسن موتاكم فقد كان
السيد رشيد ملأً حياة وكنا نقول فيه في مجالس لا تحصى ما نكته
الان على صفحات الجرائد في ترجمة حاله . وكم سمعت من افواه العلماء
والعقلاء انه متى مات الاستاذ لا يسد مسده احد اليوم . فنسأل الله أن
يكرم مثواه في منقلبته وبعلي درجته في جواره ويمجزيه عن الاسلام
والعروبة والشرق خير ما يجزي عبداً أطاعه وأن يفرغ علينا الصبر الجميل
على هذا المصاب الجليل وأن يميز خواطرننا الكسيرة ويثبت قلوبنا الحسيرة
بالزكة في أنجاله وأنجال اخيه ويجعلها جميعاً فروعاً جذيرة بذلك الاصل
الكريم وتلك التركة الادبية العظيمة .

المقالة الثانية

ذكرت في مقالة سابقة أني سأكتب في مناقب فقيد الاسلام السيد محمد رشيد رضا كتاباً خاصاً تحت اسم : « السيد رشيد رضا أو إخوانه اربعين سنة »
يكون رسالة من روحي التي تأخرت على هذا الشاطئ من الدنيا الى روجه التي عبرت الجسر الى الاخرى تناجي بذلك إحدى الروحين شقيقتها الى أن يقدر الله اجتماعهما ثانية .

ولكن الذي بي من برحاء مصاب الاستاذ لا يتحمل الانظار والانتظار الى أن يكون صدر هذا الكتاب . وما يسرتني عني شيئاً في حالتي الحاضرة مثل التحدث الى الناس بمناقب هذا الرجل الراحل الكبير الذي كنت من أعرف الناس به .

لم يكن السيد رشيد استاذي بالمعنى المفهوم من هذه اللفظة لأنني لم أقرأ عليه شيئاً من العلوم ولا كان من الفرق بيننا في السن أكثر من بضع سنوات ففي سنة ١٩١١ عندما مررت بمصر قاصداً الجهاد في طرابلس الغرب جرى بيننا حديث العمر وكنت أنا انتهيت من سن الأربعين فقلت له : أنت أكبر مني بقليل لعل الفرق بيننا سنة . فقال : وكم عمرك الان ؟ قلت : أكملت الأربعين . فقال : بيني وبينك خمس سنوات بالاقبل .

وإنما كنت أعدده استاذاً لي بما أستفيد من كتبه ورسائله وبما أستفنيه دائماً في مشكلاتي من كل نوع فما استوربت زنده في فن إلا أقبسني وأزال حيرتي وما وردت حوضه المشفوه في حادث إلا رواني ونفع غلتي .
ولقد روى الاخ الوفي الكاتب البارع السيد محمد علي الطاهر صاحب

« الشورى » انه رأى في بور سعيد عندما تلاقيت مع السيد رشيد عانقته وعانقني وجرت دموع الاثنين ثم أهويت على يده وقبلتها .

نعم قبلت يد العلم والفضل وقبلت اليد التي طالما فاضلت عن الاسلام وتناولت قلما من نوادر الاقلام التي كشفت الكرب عن وجوه المسلمين وان من أعظم حسرات قلبي أن أكون بعيداً عن مصر وان أحرم تقبيل تلك اليد قبلة الوداع الاخيرة .

عندما دعيتي لجنة المؤتمر الاسلامي برقياً للسفر الى الحجاز بمهمة الصلح بين الامامين دودعت العيال قالت لي أم البنين وأنا على ثنية الوداع : سنكون لك فرصة هذه المرة أن ترى الشيخ رشيد . لم تذكر سواء من اصحابي لانها كانت تعلم بانه أعز علي من الجميع .

ولم أكن أنا أعتقد أن الحكومة المصرية تبلغ من التضيق علي في أثناء مسوري من الاسكندرية إلى السويس المبلغ الذي رأبته ودهشت له كما تتجهز له جميع الناس ، فكنت وأنا راكب الطائرة من برنديزي الى الاسكندرية طائراً فرحاً بتصوري قرب لقاء الاخوات ولاسما الشيخ رشيد . فلما وصلت الاسكندرية ووجدت عند نزولي من الطائرة ذلك الماجور الانكليزي مانلا يقول لي : انه مأمور بمرافقتي الى السويس ، وحوله الجنود والضباط ، علمت ان الاذن لي في التمرج على القاهرة غير مأمول . ولما جاء الدكتور سعيد طليع علي ، لحال الماجور الانكليزي بيني وبينه حيلولة لا تدل على شيء من الكياسة ، علمت ما هو أمر من عدم المرور على القاهرة ، وهو اني لن أقدر أن أجالس اصحابي ، واني سأحرم التحدث الى الامتاز . ولما ركبنا

القطار ركب .. منا الاخ محمد علي الطاهر ، ولكنه برغم الصراع الذي وقع بينه وبين قائد الالف البريطاني المذكور لم يتمكن من محادثتي . وفي أثناء الطريق صعد الاستاذ المرحوم وتقدم حتى حاذى العربة التي كنت فيها . وكنت أنا أتخاشى مصافحة أي انسان خشية أن يتجراً البيبائشي الانكليزي علي بابداء ملاحظة بعد ان رايت ما رأيت فيسرع بي التأثر الى ان اواجهه بما يكره . ولكني لما بصرت بالاستاذ أمام الباب اقامتني من مكاني قوة فجائية لم استطع ان اغالبها ، وذهبت وصافحت السيد وقلت للبيبائشي : لا بد لي من مصافحة هذا الاستاذ الذي هو عالم العالم الاسلامي . فسكت وابلس ولكن لم يقع بيني وبين الاخ الفقيه اي حديث ، ولا قدر ان يقول لي الا هذه الجملة « لاعجب » وبقي املي معلقاً بالاتصال معه في السويس ، فخاب هذا الامل ايضاً . لانهم حالوا بيننا وبينه هناك ، وحالوا ايضاً بيني وبين زملائي في وفد الصلح : الحاج امين الحسيني ومحمد علي باشا علويه وهاشم بك الاناسي بحجة ان الكلام معي ممنوع على اطلاقه ما دمت في ارض مصر . ولذلك بقي الحجز علينا الى ان صرنا على متن الباخرة . اما في رحلتي الاولى إلى الحجاز فقد كانت الوطأة اخف وقد كانوا اكنفوا بوضع الارصاد من حولنا بدون منع الاتصال والاختلاط مع الاصحاب ، فجلسنا في بورت سعيد نتحدث وبلبنا من صدى الشوق ما لا ازال اتنعم بمجرد ذكره . ولما أراد السيد الانصراف فيمن انصرفوا قلت له : لا . لرجو ان تنعم بالملازمة من البحر الابيض إلى البحر الاحمر . فلم يفترق عني من بورت سعيد الى السويس ، وهناك ذهب بنفسه واشترى لي الاحرام حتي يكون

حاضراً عند محاذاتنا لرابغ حيث يحرم الحجاج الواردون من الشمال وتاولني رسالة له في مناسك الحج حثني أعمل بها لانه كان رحمه الله يعلم اني في الامور الشرعية لا أقلد غيره . وقد كتب مرة عني في المنار « إنه لا يلد له شيء مثل الصلاة بإمامتنا » وهذا والله صحيح .

وطالما دعوته أن يأتي فيصطاف في سويسره وبروح من عناء نفسه وقلت له انني أقوم بواجب خدمته بحيث يستوفي أوفر قسط من الجمام . وكان قصدي بذلك ان يخلص من حر مصر في أيام القبط ويتمتع بأهوية جبال سويسرة حتى يستأنف نشاطه الذي يعوزه لاجل القيام بما كان يمانيه من الاشغال التي لا يقوم بمثلها أحد غيره . وكانت لي ايضاً اثره خاصة في ما كنت اكرره عليه كل بداية صيف من الدعوة ان يأتي الى سويسرة ويقبل ضيافتي وهي أن اتمتع بمصاحبته ومناجاته وبث ما عندي له وان تطول بيننا المجالس التي يمكنني ان استفيض فيها بحو علمه نعم اننا في سنة ١٩٢١ عندما عقدنا المؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف تبسر لي ان القاء مدة طويلة كانت هي عيون ابامي وغرر اعوامي . ولما انتهى المؤتمر وانصرف أعضاؤه كل الى بلده اراد الاستاذ أن يعود الى مصر وكنت انا بومئذ أسكن في برلين فأخذت بتلاييه قائلاً له : لا بد من ان أسبحك في سويسرة والمانية حتى تنظر احسن بلاد اوربة فانك لم تشاهد منها الا جنيف وهذا لا يكفي . فقال لي : ان كنت انت عائداً الى برلين فاني أذهب معك اليها وإنما أذهب لاجلك . فاما ان كنت غير معجل في الاوبة الى برلين فدعني انصرف الى مصر مع اللنصرين فان ورائي من الاشغال ما يستدعي مرعة إيابي . والاشغال هذه كانت هي

عذره الدائم في عدم امكانه المجيء الى سويسرة عندما كنت أُلح عليه في ذلك . فقلت له : لست بشاركك حتى أسير بك شيئاً في سويسرة وشيئاً في المانية لانك إذا ذهبت يجوز أن لا تعود الى اوردية فتذهب هذه الفرصة وأنا أريد أن نتعلم اطلاقاً على هذه البلاد . ولما رأى إلحاحي عليه سار معي فبدأنا بالرحلة الى بلدة مونترو وهناك عرفته بسعادة الاخ فؤاد باشا سليم الحجازي ولم يكن بينهما تعارف من قبل فسر الاستاذ بقاء هذا الرجل الملائم علماً وأخلاقاً وشكر لي هذا التعريف وبقيت الصحبة بينهما منذ ذلك الوقت إلى ان توفاه الله الى رحمته . ومن مونترو ذهبنا الى برن وصعدنا الى جبل « غرتن كولم » المشرف على برن وطوفنا في تلك البلدة وضواحيها . ثم ذهبنا الى زوريخ أكبر مدينة في سويسرة ومنها انتقلنا الى لومرن وركبنا الباخرة مطوفين في بحيرتها البديعة التي لا مثيل لها في البحيرات كلها . وكنا نقيم بكل بلدة ليلتين حتى يتسنى لنا ان نشاهد محاسنها الطبيعية والصناعية . ومن سويسرة قصدنا المانيا وقضينا ليلة في فرنكفورت وهناك مرت به الى إدارة جريدة (فرنكفورتر تسايتونغ) وهي من أرقى جرائد العالم وكانت لي معرفة بهم فأحسنوا استقبال الاستاذ وهو يزبه العربي الاسلامي الذي لم يكن يفارقه . وعندما أخذوا بالحديث معه ازداد في أعينهم لما عرفوا من مكانه من العلم وسمعة الافكار . ثم واصلنا السير الى برلين فأنزلته عندي وعرفته بكثير من معارفي وأصحابي واكثر من احتفى به ولازمه في تلك النوبة من اصحابي البارون المستشرق صديق المساحين (ماكس اوبنهايم) والدكتور ميخائيل بيضا التاجر السوري . وبقي في برلين ستة أيام وكانت يومئذ الاسعار في المانية بغاية الرخص فاستبضع

الاستاذ كثيراً من الحوائج البيتية واستدعيت له أحد اصدقائي من التجار فكنا نذهب الى المخازن فيشتري ما يريده بمساعدة ذلك صاحب وانا أجلس جانباً الى ان يكون انتهى لانني لم أكن قادراً أن اساعده بنفسي فيما ليس لي به علم . وقال لي إذ ذاك : قد اشترت بخمسة عشر جنيتها ما يساوي في مصر خمسين جنيتها بالاقبل وذلك من سعة الفرق في الاسعار بين المانيا ومصر . فقلت له : إلا ان المشكل هو في إخراج هذه الحوائج من المانية فإن هذا الرخص انما يتمتع به أهل المانية وحدهم ولا يخرج شيء من هذه البضائع الى الخارج والحكومة الالمانية لا تهود في هذا الموضوع أصلاً . وكنا خائفين انهم على حدود المانية وهو مجتاز منها الى تريسته يمنعون من إخراج تلك الحوائج ولا يبقون له منها إلا الضروري مما يعود الى شخصه . ولكن لما وصل الى الحدود ورأوه شيخاً معماً وقراً وبه وجهه النبالة والكرامة اللتين لم تكونا لتخفيا على أحد عاملوه معاملة استثنائية مع ان مأموري الالمان لا يعرفون الهوادة في تطبيق الاوامر التي في أيديهم فكتب إلي من تريسته بأن ما كنا نخذره لم يقع منه شيء وان رجال المكس على الحدود تركوه يمر بدون تفتيش أصلاً .

هذا ولما كنا في برلين ذهبت به للسمر في النادي الشرقي الذي كنت رئيسه والذي كان المرحوم الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويز من أعضاء مجلس إدارته . وكنت أعلم ما بين الاستاذين الكبارين من الوحشة وكان بعز علي هذا النطاق بينهما وكلاهما من أعز احبابي وكلاهما من فحول الاسلام وكلاهما خادم للغاية التي يخدمها الآخر ^(١) . فرأيت

(١) في المجلد التاسع والعشرين من النار الجزء الصادر في ٣٠ شعبان -

الفرصة سانحة لاصلاح ذات البين بينهما . وجئت بالاستاذ جاويز فسلم علي
الاستاذ رضا ورحب به واخذنا نتحدث جميعاً . ثم تلاقينا بعد ايام في مونيخ

سنة ١٣٤٧ ذكر وفاة الاستاذ الكبير الشيخ عبد العزيز شاديش الى رحمة
ربه قال الشيخ رشيد في هذا المصاب : « ان العالم الاسلامي قد خسر اليوم بفقد
الشيخ عبد العزيز شاديش رجلاً من اركان حزب الاصلاح المعتدل الذي هو
وسط بين المسلمين الجامدين الاثريين والمسلمين الجغرافيين الملحدون . لا عزاء
بفقدته إلا ما رأينا من اكبار الامة لفقدته » .

ثم ذكر في عرض ترجمته ما يلي : « لماذا كان لموت هذا الرجل هذا
الاكبار الذي حزن قلوب الشعب واطلق السنن بالثناء وبسط يد حكمومته
بالعطاء ؟ انما كان كذلك لان من فقدوه كان كبيراً في نفسه وان لم يكن كبيراً
في وظيفته . عالياً في همته وان لم يكن عالياً في ثروته . وكان بوجه كل ما أوتي
من كبر نفس وعلو همة الى خدمة الامة والله يجرأة جنان وذلاقة لسان وقوة ايمان
وقلم سيال وهمة لا تعرف الكلال وقد أوتي جميع المواهب التي يكبر بها التأثير في
أنفس الافراد والجماعات من حسن صورة وطلاقة وجه وفصاحة نطق وجرس
صوت وحسن أداء وغزارة مادة وكان خطيباً مفوهاً وكاتباً مدرهاً وداعية
مؤثراً . » .

ثم قال من جملة الترجمة : « ثم انه اتصل من طريق الحزب الوطني بجمعية
الاتحاد والترقي التركية وبتطوع لخدمة الدولة العثمانية تحت لوائها وقادماً مشروع
الدعوة والارشاد باوغرائها كما جاهد في مقاومة الحركة العربية التي حدثت تجاه
العصبة الطورانية التركية وبهذا صرنا على طرفي نقيض وشرح هذا لا يليق هنا .
ثم التقينا في برلين وتصلحنا بسعي صديق الجميع الامير شكيب ارسلان وبعدان -

فدعا الأستاذ جاويز ورفاقه المصريون الأستاذ رضا إلى طعام مصري
طهاه الشبان المصريون بأيديهم . وقد كنت قرير العين باني أصلحت بين
أستاذين عظيمين ومجاهدين شهيدين كن كل منهما من أعز الناس عليّ
وكانا مختلفين كما يختلف المتعاصرون في كل زمن . والمناظرات بين العلماء
قضية قديمة حتى بين الزهاد منهم . وقد كان الشيخ رشيد والشيخ عبد العزيز
بنشايهان مع اختلافهما في كثير من الاخلاق : فكان كل منهما من اشد
الناس استمساكاً بالكتاب والسنة مع كراهية الجود ومع الارتياح الى
الاخذ بالعلوم العصرية بأجمعها دون حيد عن عقيدة الاسلام الصافية .
وكان كل منهما على مشرب الأستاذ الامام محمد عبده . وقد سمعت الشيخ
جاويز مراراً يثني على علم السيد رشيد وسدبده آرائه في مسائل كثيرة
وذلك بالرغم مما كان بينهما من الوحشة .

وطول تلك الرحلة كنت أؤدي أنا النفقات التي تنفقا كل يوم فيأتي
السيد فيسألني في آخر النهار عما أُنفقنا ويأبى إلا أن يؤدي ما عليه ولا
يقبل في ذلك مني كلاماً . ولما صرنا الى برلين قلت له : أنت قلت إنك
إنما جئت الى برلين لاجلي فليس من العدل أن تستنكف عن قبول

عاد الى مصر نشرت له في المنار تلك المقالة التي كتبها في مفاسد مقاومة الترك
الكماليين للدين لانه رجع فيها الى رأينا في ملاحة الترك وعداوتهم للاسلام
والعرب » الى آخر ما قال . وأضيف انا اليه وكنت من أعلم الناس بسرائر الشيخ
شاويز انه ما كان بكمه شيئاً أكثر من الحركة الطورانية التركية التي هي
ضد الجامعة الاسلامية . وإنما كان إخلاصه للدولة العثمانية ملجأ المسلمين
في وقتها .

الضيافة مدة مقامك في برلين . فأصر أيضاً على خطته الاولى ولم أكن
أنجراً على شيء يزعمه فكنت أطيع أمره ولكنه سها في الآخر عن
طلب الحساب وفارقني وهو ساه عن ذلك ولكنه ما وصل الى مصر حتى
تنبه من نفسه لهذه البقية فبعث إليّ بكتاب صبح الاعشي اربعة عشر
جلداً وهو يساوي أكثر من البقية التي كانت عليه .

ولما قفلت من الحجاز في رحلتي الاولى اليه وجاء رحمه الله الى السويس ولازمي
خمسة أيام الى أن جاء ميعاد الباخرة التي ركبت فيها أدبت الى الفندق
الحساب عني وعنه بدون علمه فلما أطلعه صاحب الفندق على ذلك أمره
بان يرد لي ما كان أخذه مني عنه فراجعته في الامر فأبى إلا أن
يماصب عن نفسه من ماله . فقلت له حينئذ : انه لا يزال لك عندي بقية
حساب ثمانية الجنيهات فقال : من أي جهة ؟ فقلت له : اشتريت من مكتبة
المزار كتباً بلغ ثمنها ثمانية وأربعين جنيهاً فأنا أرسلت لك حوالة بأربعين
جنيهاً على أن ارسل اليك بالثمانية الجنيهات الباقية في وقت آخر وما زالت
هذه البقية في ذمتي تحت الحساب فإن كنت تأبى ان أحاسب أنا عنك
من جهة أجرة الاوتيل فلا يلبق بك أن تأبى ان أوذي انا اليك بقية
ثمن الكتب . فقال لي : أخشى ان تكون ناسياً وأرى الاحسن أن تبقي
هذا الحساب المتعلق بالكتب الى ما بعد وضوئك الى لوزان - حيث كنت
أسكن حينئذ - ومتى راجعت فذلكم الحساب وتحققت منها بقاء تلك
القيمة فيمكنك أن تبعث بها إليّ . فقلت له : اني غير ناسٍ وليس من
العدل ان تمنعني من دفع ما عليّ لك الان . فلما رأى عزمي هذا سكنت
مكرامة لي . وفي المدة الاخيرة كان دخل عليه حساب من جهة مبلغ ارسلت

به اليه لاجل طبع كتاب ووجدت ما ارسلت زيادة على كلفة الطبع
فأراد أن يرد لي الزيادة وهي ثمانية جنيهات . فقلت له في الجواب : ما
يدعوك الى هذه العجلة ؟ وعلى فرض أن هذه الزيادة بقيت عندك أفليست
لك بحق ؟ أفليست مدبونا لك بأكثر منها وأنت بالرغم من ضيق وقتك
تصحح لي مسودات أربعة كتب لا كتاب واحد . فبعث اليّ بجواب يقول
لي فيه : لا تعد الى مثل هذه الهفوة أفأنا أقبل منك شيئاً عن تصحيح أربعة
كتب او أكثر ؟ لم يتحمل شمه أن أنرك له شيئاً من الحساب بقابل
تعبه مع انه تعب جزيل ومع ان الازمة المالية نالت منه في السنوات
الاخيرة ما يعلمه جميع اصحابه . قد ذكر الاخ ابو الحسن محمد علي الطاهر
من أمانيل سماح الاستاذ ما يقضي بالمعجب وكم من مشترك بالنتار
بني خمس عشرة سنة وعشرين سنة وربما ثلاثين سنة ينلقى المنتار ولا
يؤدي من بدل الاشتراك شيئاً والسيد رشيد بسامحه . وهكذا كان
شأنه في جميع أعماله عاملاً بالحديث الشريف : رحم الله امرءاً سمحاً اذا
أخذ سمحاً اذا أعطى سمحاً اذا اشترى سمحاً اذا باع أو كما قال : وقد بلغني
من الاستاذ الشيخ يوسف ياسين كاتب مر جلاله الملك عبد العزيز بن
سعود أبده الله انه كان بقي على السيد رشيد حساب من أصل مبالغ
مرسلة من جلاله الملك اليه لاجل طبع كتب يبلغ خمسمائة جنيه فنظراً
للعسرة المالية في هذه السنين صدر امر لللك بتبرك هذه البقية للسيد
فراجع السيد في ذلك وأصر على ادخالها في الحساب الجاري وهو مع ذلك
لم ينكر معاونات الملك والطافه . وقد اشار الى ذلك في المنتار . وبالجملة
فقد كان المثل البعيد في الشمم وعزة النفس وقد ذكرنا هذه النبذة من

سيرته وله من امثاله ما لا يعد ولا يحصى لان هذه الجزئيات هي التي تمثل حقيقة النفس . وليس كل من يسمع باسم الفقيه يعرف هذه الدقائق من أعماله . ولم يتيسر لي أن ازور فقيدنا في بيته إلا قبل الحرب العامة فأما بعد الحرب العامة فقد حظر علي دخول مصر وكان تأهب السيد عند رحلتي الاولى الى الحجاز ان ينزلني عنده ولكن حال الجريز دون القريض . وقد أجمع كل من عرفه انه من أسخى الناس بدءاً وأكرمهم مهزة وأحسنهم ضيافة وآفهم طعاماً وأكثرم رماداً وكان كرمه طبعاً لا تطبعاً وسجية لا تصنعاً .

وأما برؤه بأصحابه وغيرته عليهم واهتمامه بكل ما يعود اليهم فانه شيء يلحق بالوادع القديمة لا سيما بالنسبة الى أخلاق هذا العصر . فقد كان يحافظ على صاحبه حاضراً غائباً وبدافع عنه ما استطاع الى الدفاع سبيلاً ولا يرضى أن يقال سوء بحق صاحبه . وكان بكره الغيبة ويحتقر النسيئة وبغطي على السيئات وينشر الحسنات وبوفرها لصاحبها ويمزبها في أعين الناس .

لما ذهبت الى حرب طرابلس من طريق مصر توقفت في القاهرة نحواً من اربعين يوماً وصرت اكتب كل يوم مقالة في المؤيد استجيش بها العالم الاسلامي ولا سيما مصر لاعانة اخواننا الطرابلسيين فكان لذلك المقالات اليومية دوي عظيم في القطر واعجب بها كثيرون ممن عافاهم الله من مرض الحسد فقال أحدهم للسيد رشيد : ما كنا نظن صاحب هذه المقالات بهذه الدرجة . فأجابه السيد : ان هذا من روح الشيخ . يريد بذلك استاذنا الامام الشيخ محمد عبده . فقال له مخاطبه : وهل الامير

شكيب هو من اخذ عن الشيخ محمد عبده ؟ فقال له السيد : هو قبلنا جميعاً . يشير بذلك الى معرفتي بالشيخ محمد عبده التي كانت قبل معرفته هو به . وقد كان الفقيه بأني من طرابلس الشام الي بيروت عمداً ليواجهني ولا يتحدث له عن الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الافغاني من شدة ولوعه بهما . ولما اجمع على الذهاب الى مصر قاصداً التعرف بالاستاذ الامام سر علي وانا في بيروت وودعني واستدعيت له الاستاذ الشرتوني صاحب (اقرب الموارد) الذي كان مولماً بالاستاذ محمد عبده نظير السيد رشيد وكان لنا مجلس طويل . وفارقني الي مصر وأخمن ان هذه هي السنة التاسعة والثلاثون بالحساب الميلادي من ملاقاتنا تلك . وبعد ان وصل الي مصر كان لا يرغب الكتابة إلي وكان يواظب على ارسال المنار إلي ابنا كنت . ثم لقيته في بيروت سنة إعلان الدستور العثماني اي منذ ثمان وعشرين سنة وكانت لنا مجالس . ولم ألقه بعد ذلك الا حينما سمرت بمصر قاصداً الي طرابلس للجهاد كما اني لقيته بعد القفول من طرابلس . وبعد ذلك لم يقدر الله الاجتماع الا في جنيف أي بعد تسع سنوات من آخر اجتماع بمصر . ثم تلاقينا في بورت سعيد وانا ذاهب للحج سنة ١٣٤٧ هـ وتلاقينا في السويس منصرفي من الحجاز . وآخر لقاء كان بيننا هو في رحلتي الصيف الماضي الي الحجاز بمهمة الصلح وهي المقابلة التي صانحتها برغم البنيامين الانكليزي الذي أرسلته الحكومة المصرية مانعاً من اتصال الناس بي ولكن لم يكلمني ولم أكلمه ولم يزد علي تلك الجملة (لاعجب) وكانت هي النظرة الاخيرة التي ألقيتها عليه والجملة الاخيرة التي سمعتها منه . وكمن من حسرة توافق الي التراب .

وأدل دليل على برّه ووفائه انه بقي طول حياته بلهج بذكر اسنادنا جميعاً الشيخ محمد عبده باللسان وبالقلم ولم يكفه كل ما كان يكتبه عنه في النار حتى ألف في ترجمة الاستاذ الامام جزئين كبيرين الثاني منها صدر من سنتين بألف ومائة وأربع وثلاثين صفحة . ولهذا العاجز بضع عشرة صفحة في هذا الجزء . وكتاب خصوصي في الجزء الآخر وذلك بامضائي . فما أظن أحداً بلغ من البر باستاذہ أكثر من السيد رشيد وكان معظم من قدر الشيخ محمد عبده التعظيم الذي زاد كثيراً في شهرته . وهو الذي اطلق عليه لقب (الاستاذ الامام) وما لا شك فيه انه كان أعلم بعلوم كثيرة من استاذہ . وإنما كان الشيخ محمد عبده أطلق اسماً وأعلى درجة في المعقول فكل منهما يملك مزايا يرجع فيها على الآخر .

واما رقة إحساسه رحمه الله فقد كانت متناسبة مع رقة طبعه . ولا شك ان بين الكرم والرفقة رحماً ماسة . وكتبت اليه مرة من مرسين وكنت استقدمت اليها عائلي بعد أن غبت عنهم سبع سنوات فقلت لهم: كنت لا أصدق عيوني عندما رأيتهم . فأجابني رحمه الله انه ما قرأ عبارتي هذه الا هطلت دموعه على خدوده . وكنت منذ أشهر لا غير كتبت اليه اوصيه بحسن مقابلة السيد محمد داود من أجل أدباء المغرب وأفضل الشبان العاملين في ذلك القطر وقلت له : انه هو صهر الحاج عبد السلام بنونه الذي كان قطب النهضة الوطنية في المغرب ولم يكن مضى على الفجیعة به أكثر من شهر . ولم يكن الاستاذ يعرف الحاج عبد السلام شخصياً ولكنه كان يسمع ببناقبه وكنت انا أوكد له مكانه العالي من النبل والحمية والشمم والارحية فلما زاره السيد محمد داود استقبله على عادته

من الاحتفاء والترحيب ولكنها لما وصلا الى ذكر المصاب بوفاة الحاج
عبد السلام بنوثة غلب على السيد الحزن حتى أصبح لا يقدر ان يكلم
صهر الفقيد فكانت رقة شعوره من جملة محاسنه الكثيرة التي اجتمعت
فيه كالعقد المنظوم ولم يكن يحمل على احد حسيكة في صدره مهما
كان بلغ من أذاه له وكما قال السيد محمد علي الظاهر: كان لا يعرف
الحقد الى قلبه سبيلاً . وسارراً رأبته بثور من تحامل بعض الناس عليه ثم
لا يمضي فليل الا أراه نسي ذلك بالمرّة وعاد الى ذكر حسنات ذلك
الذي كان يشكو اعتدائه . وكان خلقه هذا يذكرني بما قرأته في سيرة
صلاح الدين يوسف الايوبي فقد روى بهاء الدين بن شداد ان الملك
الظاهر بن صلاح الدين استأذن والده بعد أن تم له فتح القدس ليرجع
الى حلب التي كان أبوه أقطعها اياها . فلما اراد وداعه اخي للمكان وقال
له : اوصيك بتقوى الله فإنها رأس كل خير وآمرك بما امر الله به فإنه
سبب نجاحك وأحذرك من الدماء والدخول فيها والتقليد بها فان الدم لا
ينام وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر بأحوالهم فأنت اميني وامين الله
عليهم وأوصيك بحفظ قلوب الامراء وارباب الدولة فما بلغت ما بلغت الا
بمدارة الناس . ولا تحقد على احد فان الموت لا يبقى على احد . واحذر
ما بينك وبين الناس لانه لا يقدر إلا يرضاهم وما بينك وبين الله يقدره
الله بتوبتك اليه فإنه كريم . قال بهاء الدين بن شداد : وكان ذلك بعد
ان مضى جانب من الليل وهذا ما امكنني حكايته وضبطه ولم يزل بين
يديه الى قريب السحر ثم أذن له بالانصراف ونهض يودعه فقبل وجهه
ومسح على رأسه وانصرف في دعة الله . وقد ترجمت هذا بالحرف الى

الافرنسية ونشرته في العدد الاخير من مجلتنا «لانسبون آراب» ومراديه
ان أترجم سيرة صلاح الدين بقلم بهاء الدين بن شداد كلها الى الافرنسية
لان الافرنج بأجمعهم معجبون بأخلاق صلاح الدين الايوبي ولكنهم
يجهلون نواتره التي كسب بها هذه الشهرة .

والخلاصة ان السيد رشيد رضا كان لا يحقد على احد لان المات
لا يبقى على احد . وما احسن قول الامتاذ ابي الحسن حفظه الله : «و كانت
فيه على وفرة عقله وكثرة تجاربه طفولة العطاء بصدق كل الناس وبثق
بهم» . ولا عجب فان الذي يكون مفطوراً على الخير لا يري الناس الا
بمراة نفسه ونفس الشيخ رشيد لم يكن ينتقش في لوحها غير الجميل . وبالمجلة
فقد كان السيد رشيد كبيراً حقاً في جميع اطواره وكانت فطرته فطرة
سليمة غالباً عليها الخير من كل جهاتها .

وكان الفقيد من اصدق الناس لهجة وابعدهم عن الكذب والتدليس
وقد انطبع ذلك فيه من كثرة قيامه على الحديث الشريف . وعلم الحديث
يحتاج فيه اصحابه اشد الاحتياط ويحرمون على ضبط الكلمة بل الحرف
والحركة ويمجسون الروايات تمحيص من يعتقد الكفر في من زاد في الحديث
او نقص منه عمداً ، وقد كان السيد رشيد من علماء الحديث واهل
الرواية والدراية معاً فكان ينثبت في الروايات حتى في غير الحديث فقلبت
عليه لهجة الصدق وصار لا يقول الا ما يعلمه . الا اذا كان فيما يعلمه
ما يدعو الى الفتنة لو باح به فكان يسكت عن ذلك سكوتاً ولا يقول
الا خيراً ، واما الكذب فكان من ابعد خلق الله عنه .

وسأعود إلى ذكر مناقبه وأذكر طرفاً من مضايقه قبل أن أشرع في
تأليف الكتاب الذي أريد أن أخصه بترجمة حاله وبملاقاتي معه . انه
قد سود في خدمة هذه الامة عشرات وعشرات الوف من الصفحات فليس
بكثير أن نخدم روحه بكتاب خاص . والله يتولاه بواسع رحمته ورضوانه
ويسكنه في أعلى غرف جناته انه كريم والكريم يحب الكرماء ؟



قطعة من كتاب الى الاخ السيد محمد علي الطاهر أذكر له كيف كان عليّ وقع مصاب السيد رشيد

في ٢٣ اغسطس نهضت صباحاً في غابة الاتزجاج ولا أدري السبب .
وحملت أحلاماً كلها غم و كرب ولما انجلي الليل بالصبح لم يكن
الاصباح بائلاً . ولا أعلم هل كن فراق فقيدنا للحياة ليلة ٢٣ أغسطس^(١)
فانه إن كان ذلك فأكون قد شعرت بالمصاب باتصال الارواح وإلا فما
الذي أوجب أن أقضي ذلك الليل في أحلام مزعجة ويصبح عليّ الصباح
وأنا في غم شديد أشمر به ولا أعلم سببه . وبعد ذلك علمت تفسير هذا
المنام لان الاستاذ إحسان سامي حقي قال لي : بعثنا لك الى زوربخ برقية
وردتك من مصر فهل تلقيتها وأنت هناك ؟ قلت : لا . وما عسى أن
تكون تلك البرقية ؟ قال : عظم الله أجرك في الشيخ رشيد . فلما سمعت
ذلك طاش عقلي وأصابني ما أصابني ساعة بلغني وفاة الشيخ محمد عبده قبل
وفاة السيد رشيد بثلاثين سنة . ثم تحدرت العبرات على عوارضي وأنا

(١) علمت فيما بعد ان المرحوم السيد رشيداً أسلم الروح وهو عائد في السيارة
من السويس الى مصر وذلك في نواحي الساعة الثانية من مساء الخميس الثالث
والعشرين من جمادى الاولى سنة ١٣٥٣ هـ الموافق الثاني والعشرين من اغسطس
سنة ١٩٣٥ م فيكون الحلم الذي انا رأيتُه وقع في مساء يوم وفاته رحمه الله أو
الليلة المسفرة عن اليوم التالي .

ولبست هذه بأول واقعة وقعت معي من هذا النوع .

أتلو: «إنا لله وإنا اليه راجعون» . هذا ولما انتهيت من البكاء بعد أخذني للخبر من فم إحسان - بقي كتبت برفقة باسم المنار جواباً على النعي وضمنتها بعض ما يجب لمقام الفقيه الأكبر استاذ الاساتيد وعلامة العلماء وإمام الأئمة ونبراس هذه الامة .

ووضعت إيمضائي وإيمضاء أخي إحسان بك الجابري وبقينا ذلك المساء نتحدث واحرقناه عن مناقب هذا الفقيه الفريد ونبرد أكباده الحري بسرد محاسنه التي لا تحصى .

وأخذت أتلو له آخر كتبه إليّ وكيف كان رضي الله عنه يشغل بهمة لا تعرف الكلال ولا الملل وانه كان في هذه المدة الاخيرة يشغل بترتيب ديواني وتصحيح طبعه وانه لم يكن أعجبه الترتيب الذي وجدته فقدم وأخر في مواضع القصائد والتزم الترتيب الذي رآه وحمل نفسه على نسخ كثير من الديوان بخط يده رحمه الله مع أن أشغاله لا تحصى .

وذكرت أن كتابه الاخير إليّ لم يمض عليه الا عشرون يوماً هو بخط يده وفيه أثر للشكاية من المرض ولكن لبس فيه شيء بدل على ضعف في النفس ولا على حيونة الاجل .

وقد أجبته قائلاً له : دع عنك الآن كل شيء وانظر إلى صحتك . هذا ونهار أمس أردت أن أكتب اليك فما كان يجيئي الكلام لشدة وقع الصدمة . فحدثت نفسي بأن أبعث اليك برفقة وهذا أيضاً ذهلت عنه وقت في هذا النهار وأردت أن أبرق اليك وأشكو بشي وحزني ومضى النهار وأنا ذاهل الى أن فكرت في أنه لا بد لي من أن اكتب اليك وأعزبك وأبث ما عندي من هول هذا المصاب ولوعة هذا الحزن

وأقول لك اني لو كنت جبلاً لتصدعت واني بخلاف سائر آيامي لا
أكاد أمسك القلم إلا تكلفاً ولا أُملي على الكاتب إلا تلوّثاً . ولا
يجول في فكري سوى السيد رشيد انذكره واذكر تعارفي معه من اثنتين
وأربعين سنة وأتأمل في خلاله الكثيرة الاثيرة من حسن عهد ، وصفاء ود ،
وطيب سريرة ، ومشفق نفس ، وعلو همة ، ورقة شعور ، وكرم أخلاق ،
ونبالة مبادئ . وهذا عدا العلم الذي هو فيه بحر لا تنزحه الدلاء
والتحقيق الذي قلما يصل إلى مثله أحد من العلماء حتى انه ليندر مثله في
الغابرين فضلاً عن الحاضرين . وقد كنا في أثناء مذاكراتنا عنه منذ
سنتين نقول : انه إذا انطوى لا يخلفه أحد وانه في الفن الذي اختص به
وهو إيجاد الحل الشرعي للقضايا العصرية لن يقوم بعده من يسد مسده
وان هذا الرجل أمة وحده وانه سيتعب من بعده وان شأوه لا يدرك في
مناقب كثيرة . والآن بعد أن فقدناه وواجهنا هذه الحقيقة ازداد علمنا
بها وخفقت القلوب من هولها ورأينا بأعيننا الفقد الذي لا يعوض والفراغ
الذي لا يسد والمنازل وقد خبا وذلك القلم الجبار وقد انطوى وذلك السراج
المنير وقد انطفأ واوحشت الدنيا لانطفائه وأظلم العالم الاسلامي لفقد ضيائه .
إنها لمصيبة ولا كالمصائب وانها حياة كانت ملأى بالجد وجلال الاعمال .
وما انتهت الا بعد أن امتلأت الآفاق شرقاً وغرباً بذكر رشيد رضا
فمكذا فليحي من أراد أن يحيا حياً وميتاً وهكذا فليقلب الى ربه من
أراد أن يلقاه بقلب سليم ونفع لعباده عظيم . ومن كرشيد رضا في العلماء
العالمين ومن كذلك السيد السند في رجال المسلمين . إنا لله وإنا اليه
راجعون . اللهم انه كان رؤوفاً رحيماً فتغمده برحمتك وانه كان برأ كريماً

فعامله بكرمك واتزله منازل الابرار الذين أنعمت عليهم واجعل علمه خالداً يستفاد به في الاعقاب واجعل اسمه رمزاً للعلم والكرم والنبل على طول الاحقاب وأورث أنجاله وذريته خلاله الكريمة ومحاسنه الباهرة حتى يبقى هذا البيت نارا عالياً ومثالاً صالحاً . وأفرغ الصبر الجميل عليهم وعلينا جميعاً . فقد جل هذا الخطب وفدح هذا الامر حتى إننا لا نتمزى عنه الا بذكرى المصاب برسول الله عليه الصلاة والسلام وخلفائه الراشدين الذين شيدوا بناء الاسلام . ثم أرجو منك أن تخبرني كل ما تعرف عن كيفية مرضه قدس الله روحه وفي أي يوم وأية ساعة فاضت تلك الروح الطاهرة راجعة الى ربها . وانه ليبرد من لوعتي الوقوف على ذلك ولا شك انه ستألف لجنة للتأبين نهار الاربعين وسيكون مشهداً حافلاً لائقاً بمقام الراحل الكبير فعرفني عن الذين تتألف منهم لجنة التأبين وهل يوافق أن أبعث بالثناء شعراً الى الجرائد قبل الاربعين أم أبعث به اليك وأنت تقدم القصيدة الى اللجنة وسأكتب الى الصحف عما يحضرني بشأن الفقيد تباعاً وربما كتبت كتاباً خاصاً كما كتبت عن صديقي شوقي . وللسيد الفقيد عندي أكثر من مائة وخمسين مكتوباً محفوظاً كلها في ظرف خاص فيجوز أن آخذ منها ما يوافق نشره لان فيها فوائد كثيرة وأخلاقاً وآداباً في كل فن . وأراني لا أقدر ان أخفف من حسراتي إلا بنشر مناقبه والتحدث الى الناس عنه :

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

والله تعالى يعظم أجركم ويظيل عمركم والسلام عليكم ورحمة الله

وبركاته .

حفلات تأبين الفقيد رحمه الله

وقد أقيمت للسيد رشيد بعد وفاته حفلات تأبين في كثير من المدن؛
منها الحفلة التي اقيمت في مصر بدار جمعية الشبان المسلمين . وقد أئنه فيها
الاساتذة : حبيب الجاماتي . علي سرور الزنكلوني . رشيد المفسر . محمد لطفي
جمعه . محمد المرادي (قصيدة) . محمد الحدي . عبد السميع البطل . عبد
الرحمن شهنندر . عبد الله عفيي (قصيدة) .

والحفلة التي اقيمت في تونس بمسرح قصر الجمعيات الافرنسية وقد
أئنه فيها الاساتذة : عبد الرحمن الكعك ، خميس الشامخ ، صالح النيفر ،
ابن عاشور ، محمد الغربي ، الشاذلي نيفر (قصيدة) ، علي البلهوان ، محمد شاكرا ،
الامير شكيب ارسلان (وقد قرأ خطابه محمد الغربي) ، محب الدين الخطيب
(وقد قرأ خطابه المختار بن عثمان) ، الصادق بسيس ، بلحسن بن شعبان
(قصيدة) .

والحفلة التي اقيمت في بغداد في مركز جمعية الشبان المسلمين . وقد
أئنه فيها الاساتذة : حسن رضا ، محمد بهجة الاثري ، عباس العزاوي ، سلمان
افندي ييات .

والحفلة التي أقيمت في دمشق في مدرج الجامعة السورية أقامها المجمع
العلمي العربي إذ كان السيد رشيد رحمه الله عضواً فيه . وقد افتتح الحفلة
رئيس المجمع الشيخ عبد القادر المغربي بكلمة ثم ألقى كلمة شيخ الجامع الازهر

في الفقيه ، وبعده الدكتور نجيب الارمنازي ثم الاستاذ شفيق جبري ، ثم
الاستاذ التنوخي الذي قرأ قصيدتنا الآتية في الفقيه كما تلا خطاب
الشيخ مصطفى الغلاييني (قاضي بيروت) ثم الاستاذ محمد بهجة البيطار التي
كنهه وكلمة الشيخ احمد عمر الحمصاني (بيروت) ثم السيد ظافر القاسمي التي
كنهه وكلمة الشيخ بهجة الأثري (بغداد) .

رأى الفقيه الاسلام

في هذه دمشق

و عارضي السحاب مكتوباً بأسكوبـ	تحدري يا دموعي بالميازيب
عن مارج في صميم القلب مشوب	وأدركي كبداً لج الأوار به
وأبى داهية دهياء تلوي بي	هيات أي الزايا بعد ترمضي
يا عمري انفض أو يامحتي ذوبي	وأي خطب ملي أن أقول له
ومن نشدت لتعليمي وتهذيبي	مضى الذي كان فيه منتهى أملي
ومن للقباه إسادي وتأوبي	ومن عن الأخذ عنه شد راحتي
لم يكفني طول تشريدي وتغربي	شعرت أن خلت الدنيا بمصرعه
ومن أرى بثه بثي وتعذيبي	فمن أناجيه بعد اليوم في حزني
ذاك الشهاب بليلات غرايب	وها على حجة الاسلام حين خبا
فلا تصادف قلباً غير منخوب	وها على علم الاعلام حين هوى
عن شأوه فهي منه كالاهاضيب	هوى وكل جبال العلم دانية
في أي فن أتانا بالاعاجيب	أين الذي كان إن أجرى براعه

نظل نلبس منه جلد مرعوب
وكم حسبناه صدعاً غير مرووب
إلا على حادث من قبل مرهوب
بين الائمة في أعلى الشناخيب
لبات يرفل في سود الجلايب
والجمع ما بين منسوب ومكسوب
تذكيه نفحة نوار التعاشيب
ويكره العفو أن ينأى عن الحوب
ولا وعى سره شيئاً سوى الطيب
بفضل ذيل على الآثام مسحوب
بالدين أصبح كالبنزل المصاعيب
الا سيأخذ منه بالتلايب
لدى اللقاء وسيف غير مقروب
فليس يعرف قرناً غير مكبوب
معها على الرغم من نعمت وتلقيب
والعقريّة ليست بالاكاذيب
قيس الرهام الى الطير المناسيب
لها وتخضع أقواس المحاريب
تلك البراهين في أحلى الاساليب

هذا المصاب الذي كنا نحاذره
من قبل رزناه فقد أغير ذي عوض
حتى اذا حل لم تعقد مناحته
قضى الامام الذي كانت مكانته
لو كان أنصفه الاسلام يوم ثوى
كان المقدم في علم وفي عمل
له شمائل أمثال النسيم سرى
سمح السجية لا يلوي على حسك
لم تعرف الحق في يوم سريره
كم قد تلقى أعاديه وقد كشحوا
يلقونه حملاً حتى اذا عبثوا
هناك لا هدنة يدري ولا خصم
هناك أعظم بفعل غير ذي نكل
بصول صول علي في وقائعه
عدا على عقر من ليس ذا صلة
فالعقريّة وصف في رشيد رضا
قس كل صاحب فضل مع رشيد رضا
تسمو المنابر إعجاباً بوطاته
سبحان من زاده علماً وألمه

رب الوفاء الذي أربى شهرته
لم يدرب بغيّاً على الاخوان في زمن
له المنار الذي كانت تنار به
مقلة من اصول الشرع أشرعة
كان المنار لحزب الحق مقتصرّاً
غدت به ملة الاسلام حجتها
جميع أجزائه تأتي على نسق
فيه الفتاوى التي يرضى الجميع بها
تجري بأذان من يرضى لقارئها
ما بالمنار ضياء غير مقتبس
وكم كتاب له غير المنار غدا
في كل عام تأليف يجود بها
مواقف لن ترى من يستقل بها

* * *

سر نحو ربك مبكياً بكل دم
وانعم لديه بما قدمت من عمل
واترك ثناء كنفح الطيب ليس بني
قد يغلب الحزن أقوام بصبرهم
أبكيتك مادمت في الدنيا مابقيت
لي معك عهد فأبى أن أخيس به

قان على صفحة الحدين مصبوب
وفز بقسطك من بر وثوب
يملا البلاد بنشريق وتغريب
لكن حزنك عندي غير مغلوب
الا بقية عيش غير محبوب
حتى أصير إلى الحد وتذهب

المقصورة الرشيدية^(١)

التي عارض المترجم بها مقصورة ابن دريد

وتفسير بعض غريبها بقلمه

تَبَارَكَ الْبَارِي مُبْدِعُ الْوَرَى	بِحِكْمَةٍ تَرُوفُ أَرْبَابَ الْحِجَى
بِرَاهُ مِنْ حَيْثُ رَصَاهُ ^(٢) فَأُنْبِرَى	مُسْتَحْصِفَ الْمَرِيرِ مَشْدُودَ الْعُرَى
أَنْشَأَ مِنَ الْأَسَدِيمِ ^(٣) كُلَّ صُورَةٍ	فَسَحَكَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ دَحَا
وَخَلَقَ الْأَشْيَاءَ أَزْوَاجًا وَقَدْ	قَضَى بِنَامُوسٍ تَنَازَعِ الْبَقَا
ثُمَّتَ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ	بِحَسَبِ أَسْتَعْدَادِهِ ثُمَّ هَدَى
فَأَبْعَثَ رَسُولَ الْإِطْرَافِ مِنْكَ رَائِدًا	يَجُوبُ أَجْوَازَ ^(٤) الْبَحَارِ وَالْفَلَاحِ
وَأَسْرَبَ بِهِ لِلْأَفْقِ فِي مَرَاوِدِ ^(٥)	مِعْرَاجِهَا يُدْفِي إِلَيْكَ مَا تَأَى
وَأَرْسَلَ الْفَكْرَ رَسُولًا ثَانِيًا	لِعَالَمِ الْأَرْوَاحِ يَسْمَى وَالنَّهَى
حَتَّى إِذَا جَاسَا خِلَالَ الدَّارِ مِنْ	عَوَالِمِ الْحَسَنِ وَعَالَمِ الْحِجَى
مَسَائِلِهَا هَلْ ثَمَّ مِنْ تَفَاوُتٍ	أَوْ خِلَالٍ فِي الْأَصْلِ كَانَ أَوْ عَرَى

(١) راجع سبب نظم السيد رحمه الله لهذه المقصورة في ص ٣٢ و ص ١١٤

(٢) احكمه وأتقنه (٣) أد الهياه (٤) أوساط (٥) جمع مرصد وهو التلسكوب

أَنِّي وَتِلْكَ مَظْهَرُ الْحَقِّ بِهَا قَدْ ظَهَرَتْ أَسْمَاءُ جَلٍّ وَعَلَا

مِنْ جَرَّيْ هَذَا قِيلَ لَا إِسْكَانَ فِي أَبَدٍ عَمَّا كَانَ قَبْلُ وَجَرَّيْ
فَارْجِعْ إِلَيْهَا الطَّرْفَ كَرَّ نَزِيرٍ وَاسْتَوْضَحْ دِنَاجٌ^(١) الْأَمْرُ مِنْ ثَنِي الْقَضَا
تَلَقَّى هُنَاكَ سُنَنًا حَكِيمَةً لَا يَعْتَرِيَنَّ الْعَفَاةَ وَالْوَهَى
مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْإِزْدَوَاجَ^(٢) سُنَّةٌ قَامَ بِهَا التَّوْلِيدُ فِي هَذَا الْوَرَى
يُظْهِرُ هَذَا فِي الْمَوَالِيدِ الَّتِي تَأَلَّفَتْ مِنْهَا طَبِيعَةُ الدُّنَا
فَأَجْتَلِهَ فِي الْحَيَوَانِ نَاطِقًا وَأَعْجَمًا وَفِي النَّبَاتِ الْمُجْتَنِّيِ
وَالْمَاءِ وَالتُّرْبَةِ إِذْ تَقَارَنَا تَوَلَّدَتْ صُمُّ الصَّخُورِ وَالْحَصَا
بِلِ كُلِّ ذَرَّةٍ لَقَدْ تَوَلَّدَتْ بِجِسْمٍ حَيٍّ وَبِهَا الْجِسْمُ نَمَا
خَلِيَّةٌ تُقَرَّنُ فِي غُضُونِهَا نَوْبَتَانِ عِنْدَهَا تَفْدُو زَكَ^(٣)
وَمَا زَجَّ الْمَاءُ الْحُمِيَّ فَأَنْثَتْ عَنْ وَلَدٍ يُدْعَى الْحَبَابَ مَذْ حَبَا
كَذَا الْقَدَمَاتِ لَمَّا اقْتَرَنْتِ تَمَخَّضَتْ عَنِ النَّتَاجِ لِلْحَصَا^(٤)
وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ لَمَّا قَارَنَ الشَّمْسُ تَوَلَّدَ الْهَلَالُ فِي الدُّجَى
وَالْكَهْرُبَا زَوْجَانِ إِمَّا التَّقْيَا تَأَلَّى الْبَرْقُ وَشَيْكََا وَخَفَا^(٥)
كَالزَّنْدِ وَالزَّنْدَةُ حِينَ التَّقْيَا مَزْدَوَجِينَ أَنْتَجَا نَارَ الصَّلَى

(١) إِحْكَامُهُ وَانْقَانُهُ (٢) الْإِقْتِرَانُ (٣) أَيْ تَفْدُو زَوْجًا حَتَّى تُتَوَلَّدَ مِنْهَا
خَلِيَّةٌ أُخْرَى وَهَكَذَا (٤) لِلْحَصَى أَيْ لِلْحَبَى وَهُوَ الْعَقْلُ (٥) أَيْ وَظَهَرَ

وَالْمُعْصِرَاتُ عِنْدَمَا لَقَّحَهَا الثَّائِبُ^(١) جَاءَتْ بِوَلِيدِهَا الْحَيَا
وَلَا مَسَّ^(٢) الْبَحَارَ فِي مَسْكُونِهَا فَأَعْلَجَ^(٣) الْأَذْيُ^(٤) فِيهَا وَطَمَا
وَأَقْدَرَشَ الْأَرْضَ الْحَيَا فَأَنْفَقَتْ عَنْ كُلِّ زَوْجٍ بُرْنَعِي وَيُجْتَنَى
وَعَنْ رَبَّاحِينَ ذَكَاءَ شَمِيمِهَا بِفَوْحٍ مِنْهَا الْعَرْفُ عَاطِرَ الشَّدَا
بِمَازِجِ الْأَرْوَاحِ طِيبُ رِيحِهَا فَتَنْثَنِي نَشْوَى وَلَمْ تَرَشْفْ طَلَا

* * *

وَرَوْضَةٍ تُجَلِّي بِثَوْبٍ سُنْدُسٍ رَصَمَهَا النُّورُ بِأَصْنَافِ الْحُلَى
مَاصُوحٍ^(٥) الْبَارِحِ^(٦) غَضَّ نَجْمِهَا وَيَا نَعُ الْأَفْنَانِ مِنْهَا مَا ذَوَى
وَالْبَاسِقَاتُ رَفَعَتْ أَكْفَهَا نَسْتَنْزِلُ الْغَيْثَ وَنَطْلُبُ الْأَنْدَى
تَمِيلُجُ^(٧) الْكُرْبُونِ^(٨) مِنْ ضَرَعِ الْهَوَا إِذَا آثَرْنَا بِالْأَزُوتِ^(٩) الْمُنْتَقَى
مَدَّتْ عَلَى الصَّعِيدِ ظِلًّا وَارِفًا فَلَا ذَايَ^(١٠) الْعُودُ وَلَا الظِّلُّ أَرَى^(١١)
وَالشَّمْسُ تَبْدُو مِنْ خِلَالِ دَوَّحِهَا أَوْنَةً تَخْفَى وَطَوْرًا تَجْتَلِي
كَفَادَةٍ وَضَاحَةٍ^(١٢) قَدْ أَتَلَمَتْ^(١٣) مِنْ خِلَالِ السُّجُوفِ^(١٤) قَرْنُو وَالْكُوى

(١) الهواء الذي يتقدم المطر (٢) أي الثائب (٣) التطم (٤) الموج
(٥) شقق (٦) الريح الباردة (٧) توضع (٨) غاز سام يمتصه الشجر من
الهواء (٩) أحسن الأكسجين أو خلاصته (١٠) ذبل (١١) تقلص
وانقبض (١٢) وضاحة مشرقة الوجه (١٣) أتلمت مدت عنقها (١٤) السجوف
الاستار .

تُلْقَى عَلَى الرُّوضِ نَثِيرَ عَسْجِدٍ فَتَحْسَبُ الرُّوضَ عَرُوسًا تُجْتَلَى
وَأَفْتِيهَا^(١) وَالْفَجْرُ مَدٌّ رَمَحَهُ يَسْطُو فُلَامٌ يُخْطِ مَقَاتِلَ الدُّجَى
أَقْلَقُ ذَا أَمٍّ حُسَامٌ أَدْهَمُ^(٢) أَجَلِي فَيَالَيْقَ «الْكَرْبُكُ»^(٣) وَأُنْجَلَى
وَالشَّمْسُ كَرَّتْ إِثْرَهُ وَانْتَشَرَتْ مِنْهَا سِهَامُ النُّورِ تَمَلُّ الْفَضَا
فَانْقَلَبَ النُّجُومُ عَلَى أَعْقَابِهِ وَخَسَتْ كُنُوسُهُ مِثْلَ الظُّبَا
كِتَابٌ تَتْبَعُهَا كِتَابٌ وَجَحْفَلٌ فِي إِثْرِ جَحْفَلٍ مَضَى
سَيَّارَةٌ تَعْقِبُهَا ثَوَابٌ وَأَعَزُّ بِرَامِحٍ قَدْ اسْتَوَى

وَصَاحِبَايَ^(٤) (دَفْتَرٌ) فِي طَيْهِ مِثْلَ مَدَبِ النَّمْلِ يَسْعَى فِي الرُّبَى
فَرَدُّوا لَكِنْ قَدْ وَعَى إِهَابُهُ كُلُّ شُعُوبِ الْعَالَمِينَ وَحَوَى
وَقَاتِمُ الْأَعْمَاقِ لَكِنْ كَمْ بَدَا فِي أَفْقِهِ بَدْرٌ وَكَمْ نَجْمٌ هَوَى
وَجَمَعَ الْأَضْدَادَ فِي غُضُونِهِ وَأَلْفَ الْأَشْتَاتِ مِنْهَا وَضَوَى^(٥)
فَالضَّبُّ وَالنِّينَانُ تَرْتَعِي مَعَا وَالشَّاءُ وَالسِّيرْحَانُ يَسْرَحْنَ سَوَى
لَوْجَالِ طَرَفِ الطَّرْفِ فِي سَاحَاتِهِ وَطَافَ مَا بَيْنَ الرَّجَا^(٦) إِلَى الرَّجَا

(١) أي الروضة (٢) أدم هو القائد التركي الذي هزم اليونان في الحرب
اليونانية العثمانية التي نشبت يومئذ (٣) تعريب الاغريق وهم اليونان (٤) حال
من فاعل وانيتها يقول ان صاحبيه اللذين وافي بهما الروضة اثنان «دفتري» و اراد
به مجلة المقتطف ، ثم قال «وأروع» وأراد به صديقه الذي يهنؤه بالزفاف .
(٥) ضم (٦) الجانب .

عَنَّتْ لَهُ عَوَالِمُ الْأَرْضِ كَمَا لَاحَتْ لَهُ بِهَا السَّمَوَاتُ الْعُلَى
كَمْ عِلْمٌ أَمْوَاهُ مَدِيدُهُ طَفَتْ وَعِلْمٌ بِرُكْنِ نَارِهِ الْتَطَى

* * *

و (أَرْوَعُ) (١) تَلَقَّاهُ فِي رَبْعَانِهِ
مَا خَاصَرَتْ بَيْنَهُ خَصْرًا وَلَا
كَلًّا وَلَا عَانَقَ جِيدَ عَانِقِ
أَلِهَاهُ حُبُّ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ عَنْ
فَضْلٍ وَالْحِكْمَةُ مَرَى طَرْفِهِ
وَالْعِلْمُ قَدْ أَلْقَى لَهُ جَلْبَابَهُ
فَأَسْوَدُ الْأَسْطُورِ فَوْقَ أَيْضِ الطُّرُوسِ كَالْوَشِيِّ بِأَجْيَادِ الدُّمَى
أَشْهَى إِلَيْهِ مِنْ ضُحَى غُرَّتِهِ
أَدْرَاكَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ كُنْهَهُ
حُرِّ الضَّمِيرِ وَرَقِيقِ الطَّبَعِ لَا
تَمْنَقُ الْحَزْمُ عَلَى أَعْطَافِهِ
لَيْسَ بِجَبِيبٍ دَاعِي الْغَيِّ وَإِنْ
يَرْتَنُو بَعِينَ الْإِنْتِقَادِ إِنْ رَأَى

رَيَّانَ مِنْ مَاءِ الْعَفَافِ وَالْحَيَا
غَازِلَ فِي الْغَرَامِ غَزْلَانَ الْنَقَا
يَضْفُو عَلَى عَانِقِهَا بَرْدُ الْأَصْبَا
حُبِّ كَحِيلِ الْطَرَفِ أَغْيَدِ الطُّلَا
وَمَنْتَحَى أَفْكَرَهُ إِذَا انْتَحَى
فَأُتْزِرَ الْفَنُونُ مِنْهُ وَأُرْنَدَى
وَاللَّيْلِ مِنْ طَرْنِهِ إِذَا سَجَا
وَالدَّهْرِ لَمَّا يَذِرُ كُنْهَ ذَا الْفَتَى
تَعَذَّرَ مِنْهُ مَلَقًا وَلَا أَذَى
وَأَشْتَمَلَ الْأَصْدُقُ عَلَيْهِ وَأَحْتَبَى
أَوْحَى لَهُ الرِّشَادُ لَبَّى بِالْوَحَا
صَفَا (٢) وَإِلَّا فَيَعِينِي الرِّضَا

(١) بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى دَفْتَرِ (٢) عَوْجًا وَمِيلًا

إِنَّ الَّذِي يُرْضِيهِ كُلُّ مَا يَرَى
 وَالْحُلُّ مِنْ يَدَيْهِ الْخَلَالِ كَيْ
 بَلْ هُوَ مَرَّادٌ بِرَيْكَ نَوْرَهَا
 مَتَى رَأَى فَضْلًا أَذَاعَ وَرَوَى
 وَإِنْ قَسَا وَدَبِدَهُ لَانَ وَإِنْ
 لَمْ يُخْشَ مِنْهُ الطَّيْشُ فِي شِرَّتِهِ
 نَوَاضِعٌ عَنْ شَمَمٍ وَرِفْعَةٍ
 أَلَمْ تَرَ الْهَوَاءَ فِي رِقَّتِهِ
 يَزَاحِمُ النُّجُومَ فِي أَفْلَاكِهَا
 حُلُوُ الْإِحَادِيثِ وَرُبَّ كَلِمَةٍ
 ظَلَّ لَهُ الْأَبْرَاعُ مِنْهَا جَاءَ^(١) لَذَا
 بِجَرِي لَدَى مَوْلَاهُ فِي كِتَابَةٍ
 إِنْ تَلَيْتَ لِلسَّمْعِ كَانَتْ حَالِيَةً
 رُبَّ صَرِيفٍ قَلِمَ أُرَابِي عَلَى
 سَبَطِ بِنَفْسِي نَفْسَهُ فَمَنْ بَرُمَ
 وَرُكِبَتْ تَرَكِبُ كَيْمِي فَمَنْ
 قَدْ عَلِقَتْ بِي وَبِهِ سَوْرَةٌ

مِنْكَ خَلِيقٌ أَنْ يُعَدَّ فِي الْعِيدِ
 يُثْنِي عَلَى الْحُسْنِيِّ وَيُنْكَرُ الْفَعَا^(٢)
 مِنْكَ كَسَاءَ عَنكَ الَّذِي لَسْتَ تَرَى
 وَإِنْ رَأَى مَيْلًا أَجَنَ وَطَوَى
 يَكْدُرُ عَلَيْهِ رَاقٍ وَرِدَاً وَصَفَاً
 وَالْحِلْمُ وَالْإِغْضَاءُ مِنْهُ بَرْنَجِي
 وَرِقَّةٌ مِنْ غَيْرِ عَجَزٍ وَوَتِي
 وَأُطْفَهَ لَدَيْهِ شِدَّةُ الْقُوَى
 عَلَى وَكَمٍ بِمِثْلِي بِصَافِحِ الْأَثَرِ
 دَاوَى بِنَفْثِ سَحَرِهِ كَلَّمَ الْحَشَا
 زَفَّ إِلَيْهِ مِنْ إِمَائِهِ الدَّوَى^(٣)
 لَوْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ يَوْمًا لِأَبِي
 وَإِنْ تَلَوْتُ فَهِيَ حُلُوِي فِي اللَّهِ
 نَفْعَةٌ قَانُونٍ وَوَسْوَاسٍ حُلِي
 فَضْلًا تَبَدَّلَ الْجَنُونَ بِالْحَجِي
 حَاوَلَ تَحْلِيلًا فَقَدْ ضَلَّ الْأَصْوَى
 مِنْ وَطَنِ اخْتِيرَ أَبَا فَمَا أَبِي

(١) القبيح من كل شيء (٢) عبداً عربياً في العبودية (٣) جمع الداوة

وَوَضَعْنَا نَوَافِيزَ أَعْزَازِي
كَانَ فَصَالِي وَفَصَالُهُ مَعَا
ثُمَّ تَرَعَرْتُ قَوِي نَفْسِي كَمَا
لَمْ يَخْتَلَفْ بِمَتَدَا مَسْأَلَةٍ
كَمَنْ عَلَى الْمُحِيطِ مِنْ دَائِرَةٍ
رَقْدَ نَسَاوِي الْوُدِّ إِذْ تَعَادَلِ الْجَذْبُ وَالْإِنْجَذَابُ فِينَا وَأُسْتَوَى

قَدْ أَنْجَبْنَاهُ أَسْرَةً لَقَدْ زَكَّتْ
قَوْمٌ لَقَدْ كَانُوا مِنْ الْبِدَاءِ وَمَا
مَا بَرِحَتْ «نُونِس» ^(١) فِيهِمْ «نُونِس»
قَدْ رُفِعَتْ هِيَ كُلُّ الْفَضْلِ بِهِمْ
كَمْ خَضَعَتْ هَامُ الْوَرَى لِأَمْرِهِمْ
وَكَمْ سَحَوْنَا مِنَ الْمَعَالِي مِنْبَرًا
سَلَى الْعَلَى وَالْمَجْدُ عَنْ تَارِيخِهِمْ
مَالِي وَمَا لِعَاذِلِي فِي حَبِيهِمْ
أَذْكَرُ مِنْ كِهَالِهِمْ فَيَنْثَنِي

أَصُولُهَا وَفَرْعُهَا قَدْ أَعْتَلَى
زَالُوا مِثَالِ الْعَالَمِ فِينَا وَالنُّقَى
وَفَاحٍ فِي «الْفَيْحَاءِ» لَهُمْ عَرَفُ الشَّنْذَا
وُنُصِبَتْ لَهُمْ تَعَاثِيلُ الشَّنَا
حَبِثُ قَضَوْنَا بِمَا بِهِ اللَّهُ قَضَى
لَبِيسُ بُسَامِي فَتَعَالَى مِنْ بَرَى
بِقَصَّةِ الْمَجْدِ عَلَيْكَ وَالْعَلَى
فَقَدْ أَضَلَّ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى
يَشْكُرُ مَنْ يَحْسُنُ مِنْهُ الْمُشْكَى

(١) آل للغربي في طرابلس الشام أصلهم من أسرة ما زالت إلى اليوم مشهورة في تونس و«الفيحاء» لقب طرابلس الشام

ذاك شأني مع شائهم إذا
 هيات ما تساويان حكت
 وأختاره (القادر) من خيارهم
 لاح له المجد طريقاً تالداً
 جرى على آثارهم محتدياً
 ثم ننص السروات فتلا
 إن قلت آل (علم الدين) بقل
 وإن ضمنت عالم الدين لهم
 قد جمع الله الشيتين لهم
 شيوخهم بهمة الفتيا إذ
 بلمع نور البشر في وجوههم
 أحج^(٤) بأن ينجل منجياً فتى
 فمنزع الآباء خير منزع
 هل يسكن الغيل سوى الليث وهل
 أربته البذر بريني السهي
 صرح القوارير فواقع الحجا^(١)
 (عبدًا) فكان مصطفى من (مصطفى)
 فضم فطر به عليه وكفى
 مث لهم فاعتز من حيث اعتزى
 نلو أبيه (المصطفى) بما أنتص^(٢)
 عرف معروفًا لدنيا فلغا
 يقال: قد راعى النظر إذ حكي
 صلاحه الدين ونعمة الغني
 فتيانهم نحي الشيوخ في الأنا^(٣)
 ما لمعت في جوههم نار القري
 من غمد خير ناجلين منتضى
 ومقتفى الأنضاد^(٥) خير مقتفى
 يصلح من غير الوشيحة القنا

يا حسن شمل جمعت أطرافه ليلتنا أغراه في هذا الشئ^(٦)

(١) تفاخات الماء (٢) أي انتقى: يعني انه اختار أن يتزوج من أميرة «علم الدين»
 في طرابلس الشام التي تزوج منها والده «مصطفى» (٣) جمع أناة (٤) أي ما أجدره
 بأن ينجب (٥) الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف (٦) المجلس يحوي أكابر الأشراف

نُبِيَّ قَدْ اُنْتَحَاهُ اَهْلُ الْفَضْلِ مَا
يَحْتَفِلُونَ فِي زَفَافِهِ وَلَا
قَدْ اُحْتَسَوْا مِنَ السُّرُورِ رَاحَةً
يَشْعُرُ مِنْهَا فِي مَجَارِي نَفْسِهِ
لَا لَغْوٍ فِي شَرَابِهَا يُخْشَى وَلَا
تَنَازَعُوهَا حَيْثُ لَا تَنَازَعُ
دَارَتْ بِلَا سَاقٍ لَهَا وَحُسِبَتْ

بَيْنَ ثُبَاتٍ وَفُرَادَى وَثُنَا
يَدْعُ إِذَا اَلْتَدُّ إِلَى اَلْتَدِّ اُنْضَوَى
مَا ضَلَّ مِنْ يَمَانِهَا وَلَا غَوَى
كَأَنَّ مَجْرَى الْكِبَرِ بَاعٌ قَدْ جَرَى
غَوْلٌ فَيَغْتَالُ الْجِسْمَ وَالنَّهْيَ
صَرِيفًا بِأَفْوَاهِ النَّفُوسِ نُحْتَسَى
مِنْ غَيْرِ مَا كَلَسَ فَمَا هَاتَا اَلْطَّلَا

يَا أَيُّهَا الْوَطَنُ الَّذِي زَهَا
يَهْنِكَ أَنْ نَابِغِي بَنِيكَ قَدْ
دَيْنُ نَقَاضَتِ بِهِ الدَّهْرَ فَيَا
مَا السَّأُو^(١) الْآ بِرَجَالِهِ فَإِنْ
لَنْ نَسُودَ أُمَّةً إِلَّا إِذَا
فِي أَنْ رَأَتْ عَيْنَاكَ شَعْبًا عَاكِفًا
وَإِنْ عَثَرَتْ بِشَعُوبٍ نَكَبَتْ
مَنْ يَتَوَقَّلُ^(٥) وَهُوَ يَعْنُو^(٦) لَلْعَنَا

سَاكِنُهُ بِذَا الْقِرَانِ وَأَحْتَفَى
أَمْرَعِ وَأَدْيِهِمْ وَغَرَسَهُمْ نَمَا
بُشْرَى لَقَدْ اُنْشَأَ بَقْضِي أَوْ قَضَا
سَادُوا وَإِلَّا سَاءَ حَالًا وَكَصَا^(٢)
كَانَ لَهَا الْعِلْمُ غِذَاءٌ وَرَوَا^(٣)
عَلَى الْفَنُونِ بِشَرْنُهُ بِالْمُنَى
عَنْهُ فَبِالْرِقِّ وَالْأَ فَا لَمْنَا^(٤)
تَعْمُولُهُ الرَّاحَةَ فِي أَهْلِ الذُّرَى

(١) الوطن (٢) خَسَّ بِمَدْرَفَةٍ (٣) الماء الكثير المروي (٤) أي اللوت
(٥) يصمد (٦) يخضع للتعب .تحملًا له

مَنْ طَلَبَ الْغَايَةَ فِي الْمَبْدَأِ لَا
بِوُجُوبٍ إِلَّا بِالْقَنُوطِ وَالشَّقَا
وَمَنْ بَسَرَ سِرًّا طَبِيعًا لَهَا
يَبْلُغُ بِالتَّوْفِيقِ مِنْهَا الْمُنْتَهَى

هذا أصل المقصورة الرشيدية ثم أخذ كلما هتف به هاتف الشعر يزيد
عليها ، فمن ذلك ما يلي :

كَمْ لَيْلَةٍ أَبَيْتَهَا مَفْكَرًا	بَنِي لِي السَّهْدُ وَيُخْلِفُ الْكَرَى
أَطْوِي جَنَاحِي عَلَى جَمْرِ اللَّظَى	أَرْضُكَ عَيْنِي عَلَى الْمَاءِ الرُّوَى
خَلْتُهُمَا رَكَبَتَيْنِ كُلَّمَا	نَزَحْتُ هَذَا الْمَاءَ فَاضَ وَطَغَى
وَكُلَّ جَفْنٍ مَاتَعًا فَكُلَّمَا	أَهْوَى بِشِبْهِ الْفُحْمِزِ بِمَلَأُ الدِّلَا
نَلَّكَ لَيَالٍ خَنْتُ عَهْدَ الصَّبْرِ فِي	حَنَدِسَهَا وَكُنْتُ أَرْفَى مِنْ وَفَى
إِذْ خَانَتْنِي الْعَزْمُ الَّذِي بَلَوْنَهُ	فِي مَبْهَمِ الْخُطْبِ فَمَا قَطُّ نَبَا
لَوْ أَنَّمَا أَبْكِي لِمَحْبُوبٍ جَفَا	أُومَالٍ أَغْتَبِلَ وَذِي قُرْبَى قَضَى
وَأَعُوذُ الصَّبْرُ فَقِيلَ جَاذِعٌ	أَشْبَهَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ فِي الْبُكََا
لِرَاعْنِي الْقَوْلُ بِصَدَقِهِ وَقَدْ	يُقَصِّدُ مِنْ بَصْدُقٍ إِنْ قِيلَ رَمَى
لَكُنَّمَا أَبْكِي لِمَجْدِ أُمَّةٍ	ثَلَثَ عُرُوشَهُ وَحَلَّتْ الْعُرَى
وَوَطَنَ ذَلَّ فَمَادَ حَوْضَهُ	(مَدَعَثَرُ الْأَعْضَادِ مَهْدُومَ الْحَبِي)
وَمَلَّةٍ حَكِيمَةٍ رَحِيمَةٍ	قَدْ نُرَكْتُ لِلْجَهْلِ كَالْشَيْءِ اللَّقَا

وَقَالَ فِيهَا الْآخَرُونَ إِنَّهَا مَلَأَتْ هَذَا الْإِنْحِطَاطَ وَالْشَّقَا
فَكَيْفَ كَانَتْ عِلَّةَ السَّمَادَةِ الَّتِي مَضَتْ لَنَا وَذَلِكَ الْارْتِقَا
بِهَا أَصَبْنَا الْمَلَكَ وَالْحَكَمَةَ وَالْأَلَمَ نَوَحِدُ أُمَمًا تَفَرَّقَتْ
فَكَيْفَ عُدْتُمْ وَأَنْتُمْ إِخْوَةٌ
أَمَّا بَدَتْ فِي أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ
فِي كُلِّ عِلْمٍ لِلْعُقُولِ يُقْنِي
فَكَيْفَ عُدْتُمْ بِتَرْكِ هَدْيِهَا
أَلَمْ يَكُنْ أَسْلَافُكُمْ بَعْدَهَا
وَعَمَرُوهَا فَغَدَتْ بِفَضْلِهِمْ
زِرَاعَةً صِنَاعَةً نِجَارَةً
فَلَمْ أَضْعَعْتُمْ جُلًّا مَا نَأْتَلُوا
شَرِيعَةَ الْقُرْآنِ دَانَ وَرَدُّهَا إِلَيَّ
فَإِنْ أَبَاهَا الْحَاكِمُونَ عَنْ عَمِي
فَرُبَّمَا أَبَدَهَا عَلَى هُدًى
وَإِنْ يَكُنْ قَدْ عَقَّبَهَا أَبْنَاؤُهَا

مَلَأَتْ هَذَا الْإِنْحِطَاطَ وَالْشَقَا
مَضَتْ لَنَا وَذَلِكَ الْارْتِقَا
بِهَا أَصَبْنَا الْمَلَكَ وَالْحَكَمَةَ وَالْأَلَمَ
نَوَحِدُ أُمَمًا تَفَرَّقَتْ
فَكَيْفَ عُدْتُمْ وَأَنْتُمْ إِخْوَةٌ
أَمَّا بَدَتْ فِي أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ
فِي كُلِّ عِلْمٍ لِلْعُقُولِ يُقْنِي
فَكَيْفَ عُدْتُمْ بِتَرْكِ هَدْيِهَا
أَلَمْ يَكُنْ أَسْلَافُكُمْ بَعْدَهَا
وَعَمَرُوهَا فَغَدَتْ بِفَضْلِهِمْ
زِرَاعَةً صِنَاعَةً نِجَارَةً
فَلَمْ أَضْعَعْتُمْ جُلًّا مَا نَأْتَلُوا
شَرِيعَةَ الْقُرْآنِ دَانَ وَرَدُّهَا إِلَيَّ
فَإِنْ أَبَاهَا الْحَاكِمُونَ عَنْ عَمِي
فَرُبَّمَا أَبَدَهَا عَلَى هُدًى
وَإِنْ يَكُنْ قَدْ عَقَّبَهَا أَبْنَاؤُهَا

مَلَأَتْ هَذَا الْإِنْحِطَاطَ وَالْشَقَا
مَضَتْ لَنَا وَذَلِكَ الْارْتِقَا
بِهَا أَصَبْنَا الْمَلَكَ وَالْحَكَمَةَ وَالْأَلَمَ
نَوَحِدُ أُمَمًا تَفَرَّقَتْ
فَكَيْفَ عُدْتُمْ وَأَنْتُمْ إِخْوَةٌ
أَمَّا بَدَتْ فِي أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ
فِي كُلِّ عِلْمٍ لِلْعُقُولِ يُقْنِي
فَكَيْفَ عُدْتُمْ بِتَرْكِ هَدْيِهَا
أَلَمْ يَكُنْ أَسْلَافُكُمْ بَعْدَهَا
وَعَمَرُوهَا فَغَدَتْ بِفَضْلِهِمْ
زِرَاعَةً صِنَاعَةً نِجَارَةً
فَلَمْ أَضْعَعْتُمْ جُلًّا مَا نَأْتَلُوا
شَرِيعَةَ الْقُرْآنِ دَانَ وَرَدُّهَا إِلَيَّ
فَإِنْ أَبَاهَا الْحَاكِمُونَ عَنْ عَمِي
فَرُبَّمَا أَبَدَهَا عَلَى هُدًى
وَإِنْ يَكُنْ قَدْ عَقَّبَهَا أَبْنَاؤُهَا

إلى أن يقول :

فكيف حال وطن أبناؤه
قد عضد العاضد منهم دوحه
وغادر الأرض به مظلوبة^(١)
ولي أمره إمام جائر
إذا استخف قومه فأصبحوا
بليه في الظلم ولاة أبصروا
وسمعوا رعوها تنذر من
فأثروا ما عنده حتى على آل
وجعلوا مال العباد دولة
من نال منهم حاجة لكرشه
يربك عزة الأمين فإذا
والوطن الذي أمتروا أخلافه
وكيف لا يسخته الله وهم
قد بشت بطونهم فأصبحوا
ومشبعوها يشكون سفا

ما فتروا أعق من صب الكدى
وخصد الشوكة والعود التحى
وغمرة الفرات ضحضا حأجوى
قد استبد بالأمور وأعتدى
أطوع من ظل الهذاء يعتدى
بروقه ترجى لري حيا
خالف أمره صواعق الردى
أوطان والرحمن جل وعلا
فدالت الدولة منهم للعدى
وفرشه قال : على الدنيا العفا
لاح له المال أستكان وضفا^(٢)
أوشك أن يقضى وربما قضى
لأسحت أكبالون فيه والرشا
يشكون سوء المضم منها والطسى^(٣)
قدأ كلوا العلم^(٤) من طول الطوى

(١) وظبت الروضة : ألح عليها في الرعي . (٢) استخذى وتذأل .

(٣) التخمه من فرط أكل الدسم (٤) طعام من الدم والوبر كان يتخذ في الحماة

فَأَصْبَحُوا فِي شُظْفٍ رَضْفٍ^(١) وَجَفَفٍ^(٢) وَحَفَفٍ^(٣) قَدْ أَجْتَوَى
وَعَالَمٌ مُتَدَعٍ مُنَافِقٌ لَقَدْ أَضَلَّ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى
لَا بِأَمْرِ الْحُكَّامِ بِالْعُرْفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فِيهِمْ فُشَا
وَلَيْسَ بِوَصِيِّ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا الصَّبْرُ سَوَى عَلَى الْمَكْرُوسِ وَالْأَذَى
وَمُرْشِدٌ غَيْرَ رَشِيدٍ دَابُّهُ عَزُو الْخُرَافَاتِ لِأَرْبَابِ الْوَلَا
وَالرَّجْمُ بِالْغَيْبِ مُسْتَنْدًا إِلَى أَضْغَاثِ أَحْلَامٍ وَمَكْدُوبٍ رُؤَى
وَالرَّقْصُ وَالْفَنَاءُ فِي الذِّكْرِ الَّذِي قَدْ تَخَذُوهُ هَزُوءًا لِمَنْ هَدَى
أُولَئِكَ سَادَتْنَا الَّذِينَ قَدْ أَضَلُّوا لِلْسَبِيلِ كُلَّ مَنْ قَفَا
وَالْأُمَّةُ الَّتِي أَسْتَذَلُّوا بِشَتْ مِنْ نَفْسِهَا فِي تَرْدَى فِي الرَّدَى
لَوْلَا صِبَا حُ مَنَدِرٍ أَهَابَ أَنْ هُبِّي وَعَنْ عَيْنِكَ فَأَمْسَحِي الْكَرَى
قَدْ ظَلَعَ الصَّبْحُ فَقُومِي وَأَنْظُرِي مَا فَعَلَ الْمُسْتَبْقِظُونَ فِي الْوَرَى
قَدْ رَكَبُوا الْبَخَارَ وَالْبَرْقَ إِلَى مَا يَنْتَحُونَ ثُمَّ طَارُوا فِي الْهَوَا
وَأَنْتَ بَعْدَ الْخَيْلِ وَالْجَمَالِ وَالشَّعْرَاعِ قَدْ صَرْتَ إِلَى مَشْيِ الْحَفَا
تَذَكَّرِي فِي أَيِّ أَرْجٍ كُنْتَ مَا هَزَّ وَانْتَ الْآنَ فِي أَيِّ الْهُوَى
فَتِلْكَ عَقَبِي طَاعَةُ الْبَغَاةِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَتَقْلِيدِ أَلْعَمَى
وَالْجَهْلِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ هِدَايَةِ آلِ قُرْآنٍ وَالْكَفْرِ بِنِعْمَةِ الْحَبَى
لَا نَبَأَ سِي لَشِدَّةِ الضُّفْطِ فَقَدْ يُحْدِثُ الْأَنْفِجَارَ تَجْمِيعُ الْقَوَى

(١) قلة المال وكثرة العيال (٢) الذهاب بالمال (٣) العوز وشوه العيش

وإنما تلك قواك جهات
وصاح بالملك والسادة أن
قد كاد أن يحاط يا قوم بكم
فبادروا الانحداد بينكم
لا يرتقي الشعب بلا علم ولا
والشعب إما يجتمع ويتحد
أليس بأجتماع ذرات الهبا
أنتم أشد خلقاً وبني
فقوة الشعب له ذاتية
فالجند من أبنائه والمال من
فمطأت دهرًا فكانت كالبها
حسبكم من الشقاق ما مضى
ويسرع الزوال فيكم والفنا
ورأب شعب الشعب من غير وني
حياة لا موم إلا باللغى
يخلق من يظلمه خلع الحذا
كوانت الأرض وكانت السما
أم السماء الله سوى وبني
وقوة الظالم منه تقتني
أفراده : يعرفهم عرق المدي

* * *

ذلك جمال الدين فيلسوفنا
والنجم يهتدي به إذا هوى
فإن يكن ذلك للاستبداد في
فإن ركن الظلم في الترك أبي
ومن أبي الكتاب والميزان لا
أو نجعل النار له قد أثفا
ونلكم دعوته التي دعا
ما ضل في دعوته وما غوى
فارس طوداً كان شاخ الذرى
حكمته وسعيه الذي سعى
بقده إلا الحديد يمتعي^(١)
نقوض الصروح من أعلى الذرى

أَنفَذُ أَهْلَ عَصْرِهِ بِصَبْرَةٍ
 إِلَّا مِنْ اخْتَارَ الْعَلِيمُ وَأَصْطَفَى
 بِخَتَرٍ الْحَجَبَ شِعَاعُ رَأْيِهِ
 كَانَا الْغَيْبُ لَدَيْهِ حَاضِرُ
 أَلَمْ يَنْبِئِي بِأَهْمٍ مَا جَرَى
 أَصْدَقُ مِنْ زَمَانِهِ عَزِيمَةٌ
 إِنْ فُلَّ صَارِمُ الزَّمَانِ أَوْ خَبَا
 وَإِنْ خَبَا زَنْدٌ لَهُ مَقْتَدِحَا
 وَإِنْ خَوَتْ نَجُومُهُ فِي نَوَلِهَا
 عَنْهُ سَلُّوا مَصْرَ ذَلِكَ الرَّجَا
 بَلْ ثُمَّ مِنْ يَنْبِئُكُمْ بِمَا رَأَى
 إِذْ جَاءَهَا الْحَكِيمُ وَهِيَ دَنَفُ
 بَعْدُ خَيْرَ مِنْ نَوَلِ أَمْرَهَا
 وَأَفْسَدَ الْأَنْفُسَ فَهِيَ عِنْدَهُ
 أَرْهَقَهَا مِنْ أَمْرِهَا الْعَسْرَ بِمَا
 قَدْ أَبْسَلَ الظُّلْمُ وَالْاِسْتِبْدَادُ مِنْ
 لَا عَالَمَ الشَّرْقِ بِدِينِهِ وَلَا
 فَذَا أَجِيرٌ لِلْإِمِيرِ عِلْسُهُ
 وَغَيْرُ أَهْلِ عَصْرِهِ مِنْ مَضَى
 فِيمَا لَهُ اخْتَارَ الْحَكِيمُ وَأَصْطَفَى
 وَيَشْهَدُ الْغَيْبَ كُلُّمَا رَنَا
 إِذَا ارْتَأَى كَانَ كَأَنَّهُ رَأَى
 فِي فَارِسٍ وَمَصْرٍ قَبْلَ أَنْ جَرَى
 وَعَزَمُهُ أَمْضَى نَضَالًا وَظُبَى
 مَا فُلَّ عَضْبُ عَزَمِهِ وَلَا ذَبَا
 أَوْ رَى زِنَادُ رَأْيِهِ وَمَا خَبَا
 جَاءَهُ نُورُهُ بِرِيٍّ وَحِيَا
 نُنَبِّئُكُمْ الْآثَارُ ثُمَّ وَالصَّوَى
 بَعِينَهُ وَمَا رَوَاهُ فَوَعَى
 أَعْضَلَ دَارُهَا وَأَعْوَزَ الدَّوَا
 مِنْ أَصْلَاحِ التَّرْبَةِ وَالْمَاءِ الرَّوَى
 بِهِمْ تَسَاسُ بَلْ تَسَاقُ بِالْمَصَا
 أَفْسَدَ مِنْ رُوحِ الْإِبَاءِ وَالنُّثَى
 سَاكِنَهَا كُلُّ مُضِيمٍ مُزْدَرَى
 مُقْتَبِسُ الْعِلْمِ مِنَ الْغَرْبِ هَدَى
 لَهُ وَمِنْهُ وَآلِيهِ يَبْتَغَى

وَذَاكَ غَافِلٌ وَمَغْرُورٌ بِمَا
فَلَيْسَ فِيهِمْ كَاتِبٌ مُؤَثِّرٌ
وَلَا خَطِيبٌ فِيهِمْ مَفُوءٌ
وَلَا سِيَاسِيٌّ يَرُوضُ الصَّعْبَ مِنْ
وَلَا حَكِيمٌ يَحْمِلُ الْفَرْقَانَ فِي
فَتْلِكُمْ مِصْرُودًا كَمْ دَاوُهَا
وَأَشْرَعَ الطَّرِيقَ لِلْإِصْلَاحِ مِنْ
بِمَا أَفَاضَ مِنْ هَوَامِي حِكْمَةٍ
فِي خُطْبٍ يَحْيِي الْقُلُوبَ صَدْعَهَا
وَفِي دُرُوسٍ كُتِبَ أَحْيَا بِهَا
وَفِي أُمَالِيٍّ بِهَا أَنْشَأَ مِنْ

بَعْدَقَهُ مِنَ الْمَرَاءِ وَاللَّخْيِ^(١)
يُدْنِي بِرَاعِهِ إِلَيْكَ مَا نَأَى
بِخْتَلَبِ الْقَلْبِ وَيَبْعَثُ الْأَسَى
مِثْلَ كُلِّ السَّاءِ^(٢) وَيَأْسُو إِنْ سَأَى^(٣)
غِيَاظَ الْخُطْبِ إِذَا الْخُطْبُ قَسَا
إِذَا جَاءَهَا الْأَسَى فُطْبٌ وَأَسَى
عِلْمٍ وَحُكْمٍ وَلِسَانٍ وَحُجَا
قَدْ زَانَهَا فَصَلُ الْخُطَابِ وَثَنًا^(٤)
وَنُكْشَفُ الْخُطْبِ وَتَبْعَثُ الرَّجَا
مِنْ دَارِيسِ الْعُلُومِ مَا كَانَ حِفَا
مَعَالِمِ الْإِنْشَاءِ مَا كَانَ أَمْحَى

إِلَى أَنْ يَقُولَ :

تُمَتَّ بِالْإِصْلَاحِ قَامَ بَعْدَهُ
مِنْ حِكْمَةٍ تَكْشِفُ أَحْلَاكَ الدُّجَى
وَهَمٌّ إِنْ جُرِدَتْ لِحَادِثِ
مَرِيدُهُ الْوَارِثُ كُلُّ مَا حَوَى
وَغَيْرُهُ نَأَى كَلَّتْ فِيهَا الْجُدَى
فَبِيعَ أَسْرَارَ نَصَارِيفِ الْقَضَا

(١) كثرة الكلام في الباطل (٢) الوطن (٣) ساء الثوب مده فانثى

(٤) ثأ الخبر حدث به وأشاعه

إِذْ تَحَدَّثَ الْحَسَامَ الْمُتَنَضِّي
وَصَدَّقَ إِخْلَاصَ غَدَا بِفَيْضٍ مِنْ
مَنْ كَانَ مِنْهُ الْمَقُولُ الَّذِي حَكِي
نَازَرَا لِيُنْقِذَا الْأُمَّةَ مِنْ
نَآخِيَا لِيُنْقِذَا الْإِسْلَامَ مِنْ
قَدْرٍ وَرَثَا مُوسَى وَهَارُونَ بِمَا
وَأَعْتَصَمَا (بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) فَذَا
وَهَلْ بَتِيحُ اللَّهِ مِثْلُ (عَبْدِهِ)
وَأَقْسَمَا الْإِصْلَاحَ شَطْرَيْنِ فَذَا
وَذَلِكَ لِلسِّيَاسَةِ الَّتِي قَضَى
كَادَتْ وَمَا كَادَ لَهَا السَّيْدُ بَلْ
لَا يُسْتَجِيبُ الْحَيَّةُ الرِّقَاطُ لَا
وَلَيْتَهَا وَدَعَتْ الشَّيْخَ كَمَا
تُمِيتُ وَلَى الْمَصْلُوحُونَ شَطْرَهُ
مَا وَرَدُوا حَيَاضَهُ وَصَدَرُوا
فَأَحْيَوْا الْإِسْلَامَ فِي النَّفْسِ وَمِنْ
فَعَادَ أَهْلًا إِلَى مَوْطِنِهِ

أَعْيَا مَضَاوِهَا الْحَسَامَ الْمُتَنَضِّي
جَوَانِبِ الْقَلْبِ فَيَمْلَأُ الْحَشَا
وَالْقَلَمُ الَّذِي بَعَلُّهُ جَرَى
فَرَعُونَهَا الَّذِي أَصْنَبَتْ وَعَلَا
دَجَالِهِ الَّذِي يَدْعُهُ غَلَا
نَآخِيَا وَالْمُصْطَفَى وَالْمُرْتَضَى
حَرَّرَ مَا أَمْلَأَهُ ذَاكَ أَوْهَدَى
(مُحَمَّدٍ) لَهَا إِمَامًا مَقْتَدَى
آثَرَ إِصْلَاحِ الْعُلُومِ وَالْحَصَا
بِهَا وَأَمَّا وَطَرًا بِمَا قَضَى
أَعْرَضَ عَنْ مَكْرِ الْجَهُولِ وَنَأَى
حِكْمَةً لَكِنْ لَا خَادِمَ الرُّفَى
وَدَعَا إِذْ عَادَ مِنْهَا وَقَلَا
يُنْجُو بِهِ مَنْ كُلُّ فَجٍّ وَرَجَا
إِلَّا بِفَيْضٍ عُلُومًا وَهَدَى
وَاصْلَهُمْ بِجَرِّهِ صَرْفَ الرَّدَى
مِنْ غَرْبَةٍ طَالَ بِهَا عَهْدُ النَّوَى

وَأَسْتَبَعَتْ غُرْبَتُهُ الْمَجْدَ كَمَا
 مَا تَمَّ لِلْإِمَامِ مَا أَرَادَ مِنْ
 وَلَمْ يَفْتَهُ كُلُّ مَا شَاءَ فَقَدْ
 إِذْ أَسْتَجَابَ اللَّهُ مَا بِهِ دَعَا
 وَعَلَّمَ الْأَزْهَرَ كَيْفَ بَفَقَهُ
 مِنْ غَيْرِ مَجْثٍ فِي مَقَالٍ مِنْ خَلَوْا
 عِلْمُهُ التَّوْحِيدَ كَيْ بَفَقَهُ
 عِلْمُهُ التَّفْسِيرَ كَيْمَا يَهْتَدِي
 وَعِلْمَ (أَمْرَارِ الْبَلَاغَةِ) الَّتِي
 عِلْمُهُ (بِصَائِرِ الْمُنَاطِقِ) كَيْ
 وَهَلْ وَرَاءَ الدِّينِ وَاللِّسَانِ وَالْأَلْ—
 فَإِنْ يَكُ الْأَزْهَرُ لَمْ يَصْلُحْ بِهَا
 وَنَبَتَتْ مِنْ غُرْمِهِ نَابِتَةٌ
 وَنَرَفَعُ الْحَجَرُ عَنِ الْمَعْمَدِ أَوْ
 حَتَّى يَنْالَ - وَهُوَ قَدْ أَشْفَى - الشِّفَا
 كَانَ فَعَادَ الْأَمْرُ مِثْلَمَا بَدَأَ
 خَطَّتَنِي الْإِصْلَاحَ هَذَا مَا وَبَّنَا
 خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ كُلُّ مَا بَنَى
 وَزَالَ مَا حَاذَرَهُ بِمَا رَجَا
 الدِّينَ وَيَطْلُبُ الْعِلْمَ وَاللَّغَى
 يَكْثُرُ فِيهَا الْإِحْتِمَالُ وَالْإِمْرَا
 بِعَقْلِهِ لَا بِعَقُولٍ مَنْ قَضَى
 بِهِ عَلَى عِلْمٍ صَحِيحٍ يَقْتَضِي
 (ذَلَالُ الْإِعْجَازِ) مِنْهَا تَبْتَعِي
 يَقِيمَ مِيزَانَ الْعِلْمِ لِلْحُجَى
 قَلِيلٌ إِذَا أَصْلَحْتُمْ مُنْتَهَى
 فَقَدْ نَأَى عَنْ سَبِيلٍ مَنْ كَانَ مَأَى^(١)
 سَتْلَامُ الصَّدْعِ وَتَرَابُ الثَّأَى
 يَعُودُ جُحْرُ الضَّبِّ رَحْبًا كَالْفَضَا
 مِنْ مَرَضٍ بَاتَ بِهِ عَلَى شَفَا

لَا تُعْجِبَنَّكَ كَثْرَةُ جَاهِلَةٍ فَرُبَّمَا كَانَ حَصَاها كَالْحصى

(١) مَأَى فِي الْأَمْرِ بِالْمِ وَنَعْمَقِ

كم فئة قليلة قد غلبت
 وإنما العزة للكثير إن
 وليس تقوى الله أن تترك ما
 وإنما التقوى اجتناب كل ما
 والمال عدة لكل قوة
 فاكسب المال وكن رباً له
 معبد المال كريم يرتجى
 فانشربه العلم المفيد للورى
 فتم سوق للفعال والندى
 كرائتم ما صد عن وصالها
 فالكسب والإنفاق للدين
 والزهد أن لا نعبد المال وأن
 كم مملق وهو حريص طامع
 وكم فقير تائب أو مهتد
 وهو إذا أصاب فضل ثروة
 ورُبّ ذي وفر تراه تائباً
 قد جمع الله الشئتين له
 وهو إذا شاء بفضل ماله
 كثيرة بالاتحاد والنهى
 نوحّد الكثير قصداً والنهى
 تعجز عنه من فجور وخنا
 يردي واخذ ما استطعت من قوى
 تنقض أنكاثاً بفقدك القوى
 ولا تكن عبداً وإن قيل فتى
 وعابد المال لثيم يجتوى
 واجعله للأمة ذخراً يجتدى
 فيها الشناء والثواب يقنى
 زهد ولا نوكل ولا تقى
 وللزهد والأنكال للقلب حلّ
 تنفق مما نلت في نعم الورى
 ورُبّ زهد كان عن ظهر غنى
 على يد الإفلاس تائب وأهتدى
 سارع في الإثم وضل وغوى
 مرتدباً بردي عفاف وهدى
 صلابة الدين ونعمة الغنى
 أزل زبّات الحدور وأصطفى

والانكسار أن ترى من خلل الـ أسباب من قدرها ثم هدى
 فإن تقطع دون أمر لا ترى سواء من يدعى له ويرتجى
 ولا ترى الأوهام أسباباً كمن يلجأ للطمس منها والرقى
 ومن يجي للقبر أو يستنبي الطير وخط الرمل أو ضرب الحصى
 فالناقة أغفل وتوكل وأستشر فإن عزمت أمض من غير وني
 فإن نوكلت بلا عقل ولا عزم فقد ضللت هدى المصطفى



مناجاة أخ لأخيه

أو السيد رشيد رضا في مفاصله

لا يختلف اثنان في أن السيد رشيد رضا هو من أعظم رجال الإسلام في كل دور سواء نسب إلى عصره أو إلى العصر التي تقدمته وإن الآثار التي تركها متجمله حياً في نفوس الأنسال القادمة ، حجة عند مسلمي الادوار المستقبلية لا يزدده تعاقب الملوك إلا شهرة ومكانة وجلالة قدر . وانه سيأتي وقت يبحث الناس فيه عن الشاردة والفاردة من كلماته ويدقق أهل العلم في الحرف والحركة من اقواله . ولقد عهدنا كثيراً من الاعاظم شرقاً وغرباً تكون لهم الكتابات الكثيرة الاثيرة عند اصحابهم والدرر النفائس في خزائن من لهم صلة بهم فما داموا في الحياة لا يبالها الناس ولا يحرصون عليها معشار ما يحرصون عليها بعد انصراف هؤلاء الاعلام من هذه الدنيا وبعد ازدياد الولوع بآثارهم بعدم لان العادة هي أن تزداد آثارهم قيمة ونفاضة كلما مرّ الزمن عليها .

وأي فتى لا يرغب اليوم في أن تكون عنده مكتوبات من السيد جمال الدين الافغاني أو من الشيخ محمد عبده مثلاً ولو بذل في اقتنائها ذهباً مع انه لم يمض على وفاة الاول أكثر من اربعين سنة وعلى وفاة الثاني أكثر من اثنين وثلاثين سنة . ولقد حرص السيد رشيد على جمع الكتب الخصوصية التي بقيت من آثار الاستاذ الامام فبعثت اليه من الجلفة بيضة عشر كتاباً صادرة منه إلي وذلك لينشرها في الجزء الرابع

الذي كان ينوي اخراجه في تاريخ الاستاذ الامام . ولو كان غير السيد رشيد هو الذي اقترح ارسالها ما سمحت له منها بسطر واحد من شدة ضني بها .

ولقد وقعت بيني وبين السيد المترجم مراسلات في أيام الشباب تبعثرت فيما تبعثر من أوراقني بسبب كثرة اسفاري وانما حفظت من مراسلاته ما كتبه إلي بعد أن أقمت في اوروبا وكانت مدة هذه المراسلة من سنة ١٩٢١ التي اجتمعنا فيها بالمؤتمر السوري الفلسطيني في جنيف الى سنة ١٩٣٥ التي لقي فيها ربه . فحفظتها كلها في ظرف خاص كما هي عادي في حفظ أكثر ما يرد علي من الرسائل التي لها قيمة . ولما عزمت نشر هذا الكتاب أحصيت مكاتبات السيد رشيد إلي فزادت علي مائتي مكتوب كلها بخط يده رحمه الله . وقل أن وجد فيها مكتوب ذو صفحة واحدة بل أكثرها ذو صفحتين وثلاث . ومنها ما يتجاوز عشر صفحات .

وهذه المكاتبات الرشيدية هي بحسب نظري أحسن ما كتب السيد رشيد في حياته وان كان كلام السيد كالغيث لا يدري أوله خير أم آخره .

إن منزلة هذه المكاتبات هي أنها نجية أخ مع أخيه الذي يثق به ثقته بنفسه فلا يجمجم عنه شيئاً مما في ذات صدره ولا يكتم شيئاً من عجزه ويجبره . بل ترى السيد رشيد فيها متبذلاً تبذلاً من يقول ولا يخشى انتقاداً لا في المعنى ولا في المبنى ، فلماذا ترى فيها نفسه كما هي صافية بلا رسوم ولا تكاليف ولا تحوطات كالتي اعتاد الناس ان يستعملوها في كتاباتهم الى من لا يركنون اليهم . وهكذا ظهرت لمن يقرأ هذه التجاوى

نفاسة تلك النفس العالية التي تساوى فيها السر والعلانية في الاستقامة والصدق والورع والطهر وكرم الاخلاق وحفظ الدمام والمروءة وعلو المهمة . فالشيخ رشيد مع أقرب الناس اليه وأخلصهم له وعندما يكون غير منتظر نشر شيء من كلامه الخصوصي هذا هو الشيخ رشيد بعينه في المنار وفي مقالاته الى الجرائد وفي خطبه على الجماهير لا يختلف باطنه عن ظاهره في شيء . وان كان ثمة اختلاف فيكون في الاسلوب الذي من البديهي ان يكون في المراسلات الاخوانية غيره في الرسائل العمومية .

وكما كانت أخلاق الشيخ رشيد العالية هي في التجوى كما في العلن كانت بلاغته وقوته البيانية هي أيضاً فيها ، فلا تجد إنشاءً في هذه الكتب الخاصة ينزل درجة واحدة عن انشائه في المنار وفي كتبه العامة لان ملكة الفصاحة لا تفارق قلمه في عام ولا خاص ، ولا بد للبحر أن يقذف الدر كيفما تحرك . بل بروز السيد رشيد في مفاضله بلا تكلف ولا توقع نشر جعل كلامه أوقع في النفس وأبعد مدى في التأثير ولذلك قلت ان هذه الرسائل الخاصة هي من أعلى ما جرى به قلم السيد رشيد في حياته كما يتضح لكل ذي بصر بصناعة الكتابة .

ومن مزايا هذه المراسلات انها اشتملت على آراء السيد في جميع حوادث العالم الاسلامي والمسائل والتوازل التي أهتم المسلمون في هذه الحقبة الاخيرة الممتدة من نهاية الحرب العامة الى يوم وفاة السيد . فما من خطب ولا يابس ولا رطب الا في هذه المكثوبات اشارة اليه وبيان رأي المترجم فيه .

وفي هذه المراسلات مباحث شرعية ولغوية واجتماعية وتاريخية وسياسية

ومطارحات ومناقشات من كل نوع ومن كل لون وأخذ ورد معي في كثير من الشؤون التي تباينت فيها وجهة نظري عن وجهة نظره . وهو فيها كلها لا يدعي لنفسه العصمة ولا يستنكف ان يعترف بالحق اذا حصص وان كان — وهو مخفي أو مصيب وغالب او مغلوب — هو في جلال قدره وفي روح الاستاذية التي كأنها ولدت معه .

كنت فكرت أن أنشر هذه المكتوبات بالزنكوغرافيا حتى لا يستطيع أحد ان يتارى في صحتها ولكن عاقني عن ذلك عدة موانع :

اولاً — ان الاستاذ مع حسن خطه اضطر في كثير منها الى العجلة بما كان عنده من الاشغال التي لا تحصى فلم يجيء خطه الذي استعجل فيه كسائرهم وقد يتعذر احياناً قراءة هذا القسم بسهولة .

ثانياً — ان الاستاذ في مناجاته هذه لآخيه هذا وبثه اليه قرارة نفسه قد سبق قلعه الى كلمة ربما لم يكن يقدم عليها لو علم انها ستنتشر في يوم من الايام او الى جملة كان يفضل ان يطوبها لو توقع ان من تعلقت بهم سيطلمعون عليها . فنشر كتابات كهذه بالزنكوغرافيا لا يكون موافقاً في حال اضطرارنا الى طي كثير من هذه الجمل ورفع كثير من هذه الكلمات التي برزت بسائق التبذل .

ثالثاً — عدا ان الاستاذ لم يكن يظن ان مكتوباته هذه ستنتشر على الملأ كما قلنا وعدا أنها رسالة من روحه الى روحي رأساً على أن لا تتجاوز هاتين الروحين لا تخلو من التصريح بأسماء وبأفعال وبحقائق لو علم ان المكاتيب منتظم ويطلع القراء عليها لآشار حتماً بطيها على غرها وربما لم يكن تعرض الى الموضوع من أصله . فلذلك لا نعد محلاً بأمانة

النقل حذف هذه الاسماء التي إثباتها قد بوّدي الى مرأى أو عتاب والاعتياض منها في بعض المواضع التي لا مندوحة عن ذكرها بوضع نقطة او بلفظة «فلان» أو بتلميح يغني عن التصريح . فمن أجل هذا لم يكن ممكناً نشر هذه الرسائل بالزئكوغرافيا وكان طبعها بالحروف المنقّدة هو الاولى . على أن الاصول باقية كلها عندنا بينها حتى إذا حاول محاول أن يتماهى في شيء منها أبرزنا له الاصل .

رابعا - إن نشر بعض المباحث السياسية والامرار المتعلقة بمسائل لا تزال معلقة قد يكون له محاذير لا تخفى على العاقل وربما أضرت نشرها أضعاف ما نفع فكان لا مناص من طي هذا القسم أيضاً .

والخلاصة إننا نجزأنا على السيد الامام بطي كثير من كلامه إما لمحدور سيامي وإما لمحدور اجتماعي او لاجتناب مرأى أو لتفادي عتاب ومنه ما ضربنا عنه صفحاً لعدم فائدة نشره . ولكننا لم نجراً أن نزيد حرفاً واحداً من عندنا على كلامه ولو كان في معناه إذ أن ذلك يكون مخالفاً لامانة النقل وتبدلاً ليس لنا فيه أدنى حق ويكون مما ينطبق عليه قوله تعالى : « فإئنا إثمهم على الذين يبدلونهم » والله تعالى يتولانا بعفوه ويهدينا طريق الصواب بكرمه .

* * *

فمن هذه الكتب كتاب مؤرخ في ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٣٤٠ هـ وفق ٢٠ يناير سنة ١٩٢٢ م يخبرني فيه بوصول مذكراتي عما جري في سورية أيام الحرب وهي التي اقترح هو نشرها في المنار نقياً لما كان الحساد يذيعونه بحقي من أنني وافقت جمال باشا على أعماله في سورية . وهانحن أولاه ننشر الكتاب بنصه ولا نخذف منه إلا ما تعلق بالشؤون الخاصة وما ليس في نشره فائدة للقراء واليك الكتاب :

سيدي الاخ الكريم والولي المحميم

اليوم وصل كتابك المؤرخ في ٤ يناير ومعه آخر رسالة من ذكريات الحرب ووصل منذ أيام قليلة « اسبوع » ما أرسل قبله وأما الكتاب الاول المؤرخ في ٩ ديسمبر فقد وصل هو والبطاقة التي أرسلت بعده مؤرخة في ١٣ ديسمبر والبطاقة التي أرسلت بعدها غير مؤرخة في يوم واحد مع كل رسالة من الموضوع أو طائفة من الرسالة وما أظن ان علة التأخير محصورة في البريد المصري . وقد تلا وصول الثلاث بل وافقها ما كان هنا من الاضطراب السيامي وانقطاع المواصلات بيني وبين البلد لاختلال الامن في الطرق والشوارع وامتناع الترام من السير في جميع الخطوط لثلا يكون سببا لتسهيل المظاهرات وكان هذا دأب القوم عند كل مظاهرة منذ العام الماضي بآبيه ازخني . وفي هذه المرة كان امتناعه (يعني الترام) بامر صريح من السلطة العسكرية ولعلمهم يعوضونه عما خسروه من مال مصر إذ صرحوا بأن جميع النفقات العسكرية وغيرها تكون من مال مصر .

أخرت الكتاب اليك أولا انتظاراً لفرصة أقرأ فيها الرسالة الطويلة وأذكر لك رأيي فيها . ولما جاء الكتاب الثاني كنت قد أشرفت على اتمامها مع اختصار قليل فيها لا ينقص من المعاني شيئاً وأكتفي الان بان أقول : إن الرسالة على طولها قد كتبت بأسلوب الاطناب حتى إنه قلما يوضع فيها ضمير موضع مظهر . وفيها تكرار للجزئيات ولورد على الخصوم وما يتعلق به كذكر حياة كل شخص من الاشخاص الذين يستشهد بهم وهذا النوع من الدفاع أو الجدل بذكر خالي الذهن بأن الكلام عرضة للارتياب ويكفي الاشارة الى ذلك مرة واحدة تذكر المكابر بانه لا يستطيع ان

يماري في هذه الوقائع مرءً ظاهراً - فاختصاري القليل للرسالة خاص بما ذكرت في هذه الاسطر . انتهى .^(١)

هذا ولما زلرني في المانية كما تقدم الكلام عليه وأقام عندي أياماً في برلين ثم أراد السفر عائداً الى مصر جئت معه الى مونيخ . وكان رحمه الله قد اشترى البسة كثيرة من برلين ومونيخ : لان الاسعار كانت وقتئذ في غاية الرخص فقال لي انه اشترى ببضعة عشر جنيهات ما لو اشتراه في مصر لكلفه دفع خمسين جنيهاً بالاقل ولكن إخراج الالبسة والامتنعة الى الخارج عن المانية محظور جداً فكنت أخشي ان الالمات عند الحدود يبحثون في حقائب الاستاذ ويتبركون له الضروري من الثياب ويردون الباقي الى المانية . وفارقنا من مونيخ ونحن في شغل بال عليه فلما وصل الى تربسته كتب إلي بما يأتي :

من تربسته - ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢١

صديقي الرفي وأمهري الحفي

أحمد اليك الله عز وجل وأبشرك بأنه حاطني بعنايته وحفني بلطفه في حال انفرادي دون الاخوان والاعوان وانقطاعي بالسفر في ممالك أجمل لها كل لسان لتوكلني عليه وحده وتجريدي التوحيد له وقد كان أمر النظر في ما أحمل من المتاع في آخر الحدود الجرمانية اهون الامور . صلت عما

(١) أقول قد يكون الاستاذ على حق فيما يقول من جهة التكرار وكثرة الاستشهاد ولكن الذي بلونه من مكابرات الاعداء في هذه المسألة دعانا إلى ذكر كل حادثة بشواهدنا وأحياناً كنا نشفع الشهادة بترجمة صاحبها حتى لا يبقى مجال للمكابرة .

في صناديقي ففهمت بالقربنة فأشرت الى الصندوق والسفط اللذين وضعت
فيهما الثياب واستطعت أن أفهمهم ان ما فيها للعيال وهو جديد وفتحتهما
فأخذوا مني ٢٤ ماركاً فقط وأفهمتهم أن ما في سائر الصناديق خاص بي
فلم يطلبوا فتح شيء منها لانهم علموا انني صادق.

وبعد حمد الله تعالى عوداً على بدء أحمد لك أيها الصديق عنايتك
بأخيك وما أرهقت من العسر وتكلفت من ترك العادة في سبيله وما
ألقيت على أصدقائك من أثقاله على انني أرجو أن يكون لك في ذلك
فائدة أو فوائد وليس لي فيها فضل واني ما كنتك ترك نوم الضحى
وغشيان الاسواق لاجل أن تستفيد اختباراً بعقب اقتصاداً بل لاستفيد
من معرفتك للبلاد ولغتها ما لا بد لي منه كما أستفيد من خبرك وأدبك
ما لا غنى لي عنه ، ولولاك لما دخلت بلاد الجرمان ولو وقف الامر عند هذا
الحد لهان . أننى وإن من ذبوله المادية مسألة الآلة الثلجية وآلة الطباعة
ومعصرة الزيت ومن ذبوله الادبية المبادرة بترجمة احتلال اجدادنا العرب
لسويسرة وارسالها وغير ذلك مما لا ينسج هذا الوقت الضيق لشرحه فان
الباخرة تسافر بعد الظهر بساعة واحدة ولا بد لي من جولة في البلد فأرجو
أن تبلغ جميع الاخوان تحييتي وشكري والسلام عليك وعليهم اجمعين .

أموك رشيد

حاشية غير أزهرية — أخص الدكتور صاحب الابداع البيضاء

بالشكر والثناء . اه .

قلت : وهنا لا بد لي من تفسير بعض ما ورد في هذه الرسالة فان

السيد أوصى في برلين على آلة للطباعة وممصرة للزيت ليرسلها الى بلده القامون حيث أكثر ملكه من شجر الزيتون وكذلك أوصى على آلة لصنع الجمد وقد كان رحمه الله مفرماً بالماء البارد يشربه في ساعة معلومة بعد الظهر . كما يشرب الناس الشاي وشجد ابريق الزجاج أمامه مملوءاً بقطع الجمد وله في ذلك لطائف يعرفها اخوانه ولما حج البيت الحرام لأول استيلاء جلالة ابن السعود على الحجاز كان الملك يرسل اليه يومياً بمقدار كبير من الجمد . وكنا نداعبه في هذا الامر حتى أني قلت في جريدة الشورى انني سأضع رسالة اسمها « قطف العُملوج » في وصف الماء المثلوج بجوار البيت المحجوج » وأهدي هذه الرسالة للسيد رشيد رضا .

وأما قضية ترجمة احتلال العرب لسويسرة فقد كانت هذا العاجز أول من نشر هذا التاريخ بين العرب أخذته عن تواربغ الفرنسي والالمان والطلبان ولم يكن العرب يعرفون من هذا التاريخ شيئاً حتى إن السيد رشيد بعد أن حدثته به روى ذلك للاستاذ المرحوم أحمد زكي باشا فوجده مع علمه وسعة اطلاعه لا يعرف عنه شيئاً وقد اقترح علي الاستاذ أن أنشر في المنار خلاصة لهذا التاريخ ففعلت ثم من أربع سنوات نشرت كتاباً وافياً بهذا الموضوع باسم « غزوات العرب في فرنسا وسويسرة وإيطالية وجزائر البحر المتوسط » .

أما الاخوان الذين أرسل اليهم السيد بالسلام فهم الذين احتفوا به يوم كان عندي في برلين وكنت أصلحت بينه وبين الاستاذ المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويز وذلك في النادي الشرقي الذي كنت انا رئيسه وكانت بينهما وحشة قديمة ومناظرات شديدة في الجرائد وكان صديقنا

البارون ماكس اوبنهايم الالماني الذي اشتهر بمحبة المسلمين والشرقيين قد
عصف بوجود الاستاذ عندي فدعانا معاً الى الطعام وبالغ في الحفاوة بالسيد
الاستاذ وكذلك صديقنا الدكتور ميخائيل بيضا الذي أشار الاستاذ اليه
بقوله صاحب الايادي البيضاء وقد كنت أخبرته بانه لا يقدم الى برلين
قادم من أبناء العرب الكرام الا كان محل عناية الدكتور بيضا .

* * *

وكتب إليّ الكتاب الآتي :

من القاهرة ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٤١ و ٣٠ يناير سنة ١٩٢٣

أخي الكامل وأهيري النذب الحلال

تواصيت أنا ونجيب بك (يريد نجيب بك شقير) البارحة بأن يكتب
كل منا اليك كتاباً في الحالة الحاضرة وقد كتب كل منا من أيام قليلة
ولكن تطور هذه الايام سريع والبرقيات تنذرنا فيها بقرب أجل مؤتمر
لوزان (وكل يوم هو في شأن) ولكن مما يقضي بمتابعة الكتابة والاقترب
إلى معقولنا أن خيبة المؤتمر واشتداد شأن الاتراك لخصومهم الذين هم
خصومنا من أرجى ما يقرّبهم منا إذ لا يعقل أن يدعوا بلادنا المجاورة لهم
سلاحاً في أيدي أعدائهم بقائلونهم به وهم قادرون على عكس ذلك إذا
أنصفونا من أنفسهم ببناء التعاون بيننا على اعترافهم باستقلالنا كاستقلالهم
ومن العجب أن يطعموا بالاتصال باليمن والحجاز ومن دونها بيننا سوريا
والعراق تحتلها الدولتان الظافرتان فاما إذا صالحوهما ورجعوهما علينا فقد
يقال إن عذرهم الحاجة أو الاضطراب الى الاستراحة من القتال والانصراف
الى تعمير بلادهم ويقبل منهم قولهم انهم لا يكفون أن يحاربوا الدولتين

لأجلنا . وماذا عسى أن يقال إذا خاب أملهم في الصلح على قاعدة ميثاقهم ولم يجدوا إلا سلماً مخزياً واعتنام فرصة لتحريرهم وتحريرنا من الخزي والاستعباد فلما يوجد بمثلها الزمان . فهل يلقى بهم أو يكون من مصلحتهم ترجيح خنزوانة المفسرين من ملاحدتهم على توثيق روابط الإخاء الديني بيننا وبينهم . إني لأرجو أن يكون لاهل الدين ولاهل الروبة والعقل القول الراجح في هذه المسألة ولا اقيسها على مسألة الخلافة على أنهم قد علموا أو كادوا يعلمون خطئ الفلاة فيها .

انني لا أكنم عنك انني ما زلت ارجح الترك على الافرنج كافة وإن ظلمونا واحتقرونا وبغوا علينا وأعرضوا عنا واسمحونا أذى كثيراً ولم يعذروا من تعلموا منهم التعصب القومي (أي العرب الذين تعلموا التعصب القومي من الترك) إذا قابلوا الشنآن مثله بل بما دونه بعد ان ذاقوا منه الرجز الاليم والبادي اظلم بل ارجح ملاحدتهم الذين يناهضون لغتنا وديننا ويحتقرون سلفنا الصالح الذي تفاخر به جميع الامم في صالحها - أرجح أن يعود الترك سائدين حاكمين لبلادنا على بقاء الافرنج فيها بأي اسم من الاسماء أو صفة من الصفات . ولكنني لا أجد في قومي من يوافقوني على هذا ويقبلون مني انه أهون الشرين وان السلامة من اشد ما يتوقعون من شره أهون من السلامة من شر الافرنج - لهذا كله أتمنى أن نجد عند عقلاء الترك إنصافاً نبني عليه اتفاقاً ثابتاً لا يستطيع اعداؤنا نقضه . والعدل والمساواة ملاك النظام وقوام العالم ، وليس فوقها شيء الا الاخوة والمحبة ، ودواعي الامرين بيننا قوية . وانني اعتقد منذ عقلت أن دسائس المحوس هي التي فرقت كلمة سلفنا ودسائس الافرنج هي التي فرقت كلمة

مسلمي عصرنا وأنه ليس بيننا اسباب صحيحة تقتضي تعادينا أو تحول دون اتحادنا على إحداث اعظم انقلاب اجتماعي في الارض في هذه الفرصة التي زلزلت فيها اركان المدنية الفاسدة حتى صار يخشى عليها من البلشفية التي لا تزيدنا الا فساداً .

لو عرف هذا الرجل العالي الهمة مصطفى كمال من الاسلام ما أعلم لأمكنه أن يكون رجل العالم لا رجل الترك فقط . فالاسلام لا يحتاج الا إلى رجل عالي الهمة ييده شيء من القوة يعلم ما فيه من علاج فساد البشر وينهض لمعالجتهم به . وقد علم بعض هذا نابليون الشهير وحاول أن يقوم به على ضعف علمه وانحصاره في بعض خواصه ولو أحاط به علماً لاشربه قلبه ايماناً ولما استطاع أحد ان يقف في طريقه .

(قلت : الحقيقة أن نابليون عندما كان في مصر انشرح صدره للاسلام وهمّ باعلانه وكان معجباً بالنبي عليه السلام وبمصر رضي الله عنه وبسائر رجالات العرب الذين نشروا هذا الدين في الارض وفتحوا الفتوحات . ولنا بليون كتابات أشرنا اليها في مجلتنا « لانسبون أراب » وترجمناها الى بعض الصحف العربية تدل على ما كان في نفسه من هذا الامر وقد نقلناه عن المؤرخ « لاكاز » الذي رافقه الى جزيرة سانت هيلانة كيف سأله : أصبح أنك كنت في مصر عزمت على التدين بالاسلام ؟ فأجابه : قد كان عندي هذا الفكر ولكني ما كنت لاجربه بالفعل حتى أكون بلغت نهر الفرات . وكان جيشي موافقاً لي على ذلك . ثم أخذ نابليون يذكر للمؤرخ لاكاز عظيم رأيه في الاسلام ورجاله ؛ وهذا المبحث يجده القاري في كتاب لاكاز عن نابليون في سانت هيلانة)

ثم قال السيد رشيد : وأنتي أرى مصطفى كمال على كونه ولد ونشأ مسلماً لا يعلم من اصول حكومة الاسلام ما يجب أن يعلمه مثله ولهذا حاول أن يجعل منصب الخلافة مصلحة دعابة دينية لنفوذ الترك في العالم الاسلامي ومن وراء العالم الاسلامي . وأمر منصب الخلافة اعظم من ذلك واعظم من شكل حكومة الجمعية الوطنية أيضاً .

لكن هذا الرجل ^(١) الكبير لا يعلم ومن لي بان يعلم وقد كتب إلي بعض زعماء الهند بمثل ما يطالبني صاحب لي هنا من الترك وهو التزغيب في الذهاب الى انقرة .

قد كتبت مقالاً طويلاً في مسألة الخلافة نشرت منه الى الان سبع كراريس في المنار ثم طبعتها على حدة واتي مرسل بها اليك فتعلم انه لم يكتب مثلاً في الاسلام واني واثق بانها ستترجم بعدة لغات وسيعلم منها اخواننا الترك انهم لا يستطيعون السيادة على العالم الاسلامي بمنصب الخلافة إلا اذا تأخروا مع العرب على الطريقة التي سابينها في نعمة هذا المقال . على أنني لست عازماً على أن أكتب كل ما عندي في هذا الموضوع لثلاث يستفيد منه اعداؤنا الخازمون من دوننا ولكن عقلاؤنا قد يستفيدون منه مستدلين بما ذكر على ما لم يذكر او يراجعون صاحبه فيه مراجعة خاصة . وقد كتب إلي بعض زعماء الهند المسجونين بعزمهم على زيارتي بعد الخروج من السجن لاجل الاتفاق على ما يجب في هذا الشأن . وخلاصة

(١) قد كان هذا الكتاب قبل ان بلغني مصطفى كمال منصب الخلافة تماماً من

تركية وقبل أن يظهر بالمظهر اللاديني الذي ظهر به وجعله صبغة تركية الحاضرة .

القول ان الفصل في أمر الاتفاق مع القوم أرجى ما يرجى من مثلك . ومن
ذا الذي بقدر على ما تقدر عليه وله ما لك من المكانة عندنا وعندهم فإن
عجزت كان عجزك جوهاناً على سوء نيتهم وفساد طوبتهم ^(١) .

(١) نعم عجزت عن إتمام امر كانت تحول دونه المبادي التي اراد مصطفى
كمال بشا لا في تركية فقط بل في كل العالم الاسلامي والتي لو نجح بها لآتى على
الاسلام من قواعده . وبعد تاريخ هذا المكتوب بعدة سنوات جاءني من بونس
نادي رئيس لجنة الامور الخارجية في انقرة وصاحب جريدة « جمهوريت »
كتاب يدعوني فيه الى سياسة التآخي التي يشير اليها الشيخ رشيد ولكنني كنت
أعلم ان التآخي الذي يرمي اليه بونس نادي تريد تركية الكمالية بناءه على
قواعد اللادينية وما يتفرع منها وكنت بمرفقي لاحوال تركية أكثر من غيري
عالمًا بأنه لا سبيل الى الاتفاق بين العرب والتترك ما دام التترك غير مقلعين عن
مبادئهم هذه وما دامت الحكومة التركية هي في بد هذه الفئة . فكسبت الى
بونس نادي وقد كان زميلي في مجلس الامة العثماني أقول له : إننا شاكرون اسم
حسن نيتكم بحق العرب كما اننا نحن لا نريد بالتترك الا خيراً فأما استعدادكم
لمعادتنا في جمادنا لا نخاف من حكم الافرنج فان العرب سيخلصون من هذا الحكم
ويتحررون بأنفسهم بدون احتياج الى غيرهم وما جرى من الانفصال بين العرب
والتترك إما أن يكون فاصلة صغرى او فاصلة كبرى فأما إذا كان الذي فصل
بين الامتين هو السياسة فهذه هي فاصلة صغرى لانه لا يوجد شيء أسرع تغيراً من
السياسة . وإن كان الفاصل ما أنتم فيه من المبادي اللادينية ومن مظاهر التفرنج
يخالفها فهي الفاصلة الكبرى . هذا كان جوابي لبونس نادي وقتئذ فلم يعد
بعدها الى مكاتبني .

ثم يقول لي الشيخ رشيد في هذا الكتاب نفسه : وصل كتابك المطول اليوم وهذه الورقة بيدي وستجتمع اللجنة للبحث فيه . ويظهر انني كنت كتبت اليه عن تشكيلات سياسية كانت أنقرة قائمة بها فاجابني بما يأتي :

إن صح المسموع عن تشكيلات أنقرة الواسعة ٠٠٠ فرمما كان خيرها أعظم من شرها أو مما يقصد منه وإن كان قولك : « فانظروا الى أين يوصلنا طمع الانكليز والفرنسيين » يشعر بان شرها كبير وشررها — ان نفذت — مستطير وانا على جهلي المطلق بها أراها خيراً من الحال التي نحن عليها وانا لا أخشى على العرب من البلشفية ولا من الترك وانما أخشى إجهاز الانكليز عليهم قبل أن تنجلي غمرة جهلهم . ولا قوة للانكليز عليهم الا بهم : فانهم لا يقاتلون جزيرة العرب بالسلاح بل بالدرام والافساد . وليندمن الترك ندامة الكسبي اذا تركوهم لهم وأضاعوا هذه الفرصة التي يحشى ان لا تعود الى يدهم وقد اصبح تصافي الانكليز والترك من ضروب الحال : فقد زعب الكابيون الامة البريطانية حقداً وضغناً لا يشفيه الا اشد الانتقام واقوى آلات الانتقام يدها العرب ولولا تمصبيها الديني وحذرهما السياسي من عاقبة قوتهم ووحدتهم لبادرت اليهم ولو كان هؤلاء الاسراء الحجازيون رجالاً لزالوا منها ما يقدرون به على تحقيق أمنية الامة العربية ^(١) .

(١) كان كتاب السيد رشيد هذا قبل استقلال العراق لانه مؤرخ في سنة ١٩٢٣ واستقلال العراق جرى سنة ١٩٣٢ والحق ان الملك فيصل الذي هو أحد الاسراء الذين أشار اليهم السيد رشيد في هذا الكتاب قد قام بنهضة كبيرة للامة العربية وهو الذي بدهائه ومرونته وحزمه وبصلابة الشعب العراقي

(ثم يقول) : فيا ليت شعري هل يمكن اقناع الترك بهذا ام في آذانهم
وقر وعلى ابصارهم غشاوة ومن بيننا وبينهم حجاب ؟ اعرض عليهم هذا فان
آمنوا به فإنا مؤمنون (١) وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا
عاملون وانشظروا إنا منتظرون) وتفضل علي بكل ما تعلم عن التشكيلات
التي اشترت اليها وانا لها حافظ امين . وسلم على من شئت من المحبين .

أفوك رجب

— في وجه الانكليز تمكن من فك قيد الانتداب الانكليزي على العراق وادخال
ذلك القطر العربي في دور الاستقلال و كان من جملة اسباب موافقة الانكليز
على هذه السياسة خوفهم من تمالؤ الترك مع العرب عليهم وربما كان هو السبب
الاقوى . أما الان فانه وان كانت انكلترة لا تصني الود لتركية باطناً فقد حصل
بينهما تقارب كثير وكان مصطفى كمال قد دعا المرحوم فيصل الى زيارة اقرة
وكشفه بما في نفسه من التقرب الى انكلترة مما حمله عليه خوفه من الروسية فأراد
الرجوع الى سياسة تركية القديمة وسعى فيصل بذلك في لندرة سعيًا مخلصاً وأمر
إلي هذه القصة وذلك سنة ١٩٣٣ قبل وفاته بقليل وسأله : ماذا اجابك الانكليز
على اقتراح مصطفى كمال ؟ فقال : انت تعلم ان الانكليز بطاء في الغضب كما هم
بطاء في الرضى . إلا أنه جد اليوم بسبب القضية الصهيونية عداوة شديدة من
العرب نحو الانكليز حملت انكلترة على التقرب من الترك وزال ما كان من
العداوة بين الفريقين وان كان كل منهما على حذر من الآخر . وغير خاف ان
مسألة الحبشة جعلت بين ايطالية وانكلترة داعياً قوياً للنزاع وربما ادى الى
الحرب في يوم من الايام فانكلترة بهذه المناسبة اخذت لتقرب من تركية لتكون
لها رداً هي واليونان على ايطالية .

وقد ألحق بهذا الكتاب ملحقاتاً يتضمن شيئاً يتعلق بعلاقات الاسلام مع ايطاليا . فان السيد رشيداً في سنة ١٩٢١ كان أرسل وهو في جنيف اوان انعقاد المؤتمر السوري الفلسطيني بكتاب سياسي الى الحكومة الايطالية ترجمه الى الفرنسية احد فضلاء المصريين ومآله أن المسلمين مستعدون ليتخذوا من ايطاليا صديقاً ان لم نقل حليفاً اذا كانت تسير بإزائهم سيرة تحالف سيرة الدولتين الغربيتين انكثرة وفرنسة وكانت سياسة السيد رشيد هذه من قبيل (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) وكتابه هذا من اهم ما كتب في السياسة واليك نصه :

في ١٤ جمادى الآخرة ٣١ يناير

(١) طالما خطر في بالي أن اكتب اليك شيئاً في موضوع سمعنا مع الطليان على الطريقة التي كنت عرضتها عليك في جنيف فعددتها مما وراء الامكان . وقد اخبرتك يومئذ اني شرعت في السعي لهذه السياسة لدى قنصل ايطاليا في الشام اذ كنت فيها فاستحسنها . ثم استأنفت هذا السعي مع المفوض السياسي لما هنا بعد عودتي من اوردية في العام الماضي وانني استغني عن اطالة الشرح لك فيه بارسال المذكرة التي كتبتهما لجناب المفوض المشار اليه في العام الماضي بطلب منه . وأحب ان تواصل هذا السعي مع القوم على هذا الاساس اذا استحسنته بل اذا وجدت له مجالاً اذ لا شك في استحسانك له في نفسه واذا نجحت هذه السياسة معهم فيوشك ان يكون لما تأثير حسن لدى السيد ادريس السبوعي الذي جاء مصر في هذه الايام وقد علمت بمبايعة زعماء يرقة وطرابلس جميعاً له مذبضة اشهر وهو صديقنا . وقد اتفقنا عند السلام عليه على اجتماع خاص او أكثر

للبحث في مسائلنا العربية من الوجوه العامة والخاصة .
وقد كان أهم اسباب نقاعصي عن الكتابة اليك في هذه المسألة ما
علم من شدة ميل رجل ايطالية ورئيس وزارتها الجديد الى الاستعمار
وتشديده في معاملة اهل طرابلس وجرقة ولا غرو فهذه العدوى سرت الى
هذه الدولة من حليفتيها وهي احوج منها اليها ولكن ما ندعوها اليه خير
لها منها وذلك بأن العالم البشري كله في حال تطور عتيد واناقلاب اجتماعي
جديد سيقضي فيه على الاستعمار ويعود على المستعمرين بالخذلان واليوار
فاذا فطنت هذه الدولة الفتاة الجامعة بين الفتوة والفناء الى ذلك وسبقت الى
ابتكار سياسة فكية مثلها فانها تبتدئ بها المعجوزين اللتين بذتاها في ما قبلها .
أساس هذه السياسة الجديدة أن تجعل هذه الدولة نفسها مناط آمال الامة
العربية فيما توجهت اليه من إحياء مدينتها فتساعدوا عليه بالعلم والعمل
وتكفي من الجزاء بالمنافع الاقتصادية والسياسية والادبية وهو ما طلبناه
من غيرنا اولاً^(١) .

(٢) أحب ان تكررنا على المصريين تخطئتهم في عزلهم وانفرادهم دون
اخوانهم من الشعوب العربية المجاورة لهم وبيان الفوائد الكثيرة التي يجنونها
من انصالحهم بهم وما في غرورهم بجنسيتهم المصرية البتراء من الضعف لهم
وتذكروهم بان البلاد العربية المجاورة لهم لا تأبى الا اذا اتيح الاستقلال
للجميع أن تكون تابعة لمصر كما كانت من قبل^(٢) .

(١) من تأمل في سياسة ايطالية اليوم بعد مضي اربع عشرة سنة على هذا
المكتوب قال : هذه كرامة للشيخ رشيد .

(٢) طالما كررنا على اخواننا المصريين هذا المعنى بالمشافهة والمكانبة واشرنا

(٣) يحسن أن تكشفوا مكاتي التيمس وغيرهم بما نصحنابه من قبل
بلسات أمثنا لبعض ساسة دولتهم قولاً وكتابة باستهدافهم لعداوة العالم
الاسلامي كله وللشرق من ورائه إذا أصرروا على عداوة الترك ولم يكفروا
عن هذا الذنب يجعل الامة العربية امة مستقلة قوية عزيزة على أن يكونوا
اصدقاءها لا سادتها ولعلي أرسل اليك في البريد الآتي صورة مذكري
للويد جورج سنة ١٩١٩ إذا بقيتم وبقي الجماعة في لوزان والسلام عليك
وعلى سائر الاخوان .

* * *

ومن كتبه إليّ هذا المؤرخ في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٣٤١ :

أخي الحبيب الامير شكيب

ما أشد شوقي الى رؤيتك وإلى رؤية كتبك وإلى الكتاب اليك
وقد طالت فترة المكاتبه والدور عليّ إذا كانت المسألة مسألة مبادلة ومعاذ
الله أن تكون مودتنا كالتجارة أو كضيافة الكرماء وآديهم : يتحري
كل أن يكون له الفضل . انما نحن اخوان لا كلفة بيننا ولا تكلف واني
ما زلت أطالب نفسي في كل هذه الفترة بالكتاب اليك في كل وقت

اليه في مقالاتنا الى الصحف ولا شك في أن النزعة العربية في مصر قد تقوت أكثر
مما كانت من قبل وصار لها أنصار أشداء ولكن على وجه العموم لا تزال هذه
الروح ضعيفة في مصر وما أتذكره أن طلبة العرب في باريس قرروا تأسيس جمعية
اسمها « جمعية الثقافة العربية » فدخل فيها المراكشيون والجزائريون والتوانسة
والسوريون والفلسطينيون والعراقيون ولم يدخل فيها الامصري واحد مع أن طلبة
المصريين في باريس كانوا يزبدون على سبعين شخصاً .

من ليل ونهار وفي كل مكان من الدار والمكتبة والطريق ومزار الاخوان بأشد مما سبق لي من مثل هذا من قبل . ولم تكن كثرة الشواغل العامة والخاصة وحدها هي الصارفة عنه والمرجئة له على انها حالت دون ضروريات كثيرة وإنما انتظر فرصة واسعة أكتب فيها شيئاً مفيداً مما في نفسي وموضوع سمي ولما أجدها . والحرك الآن لكثابة هذه الكلمات الموجزة هو الغاء الاحكام العرفية التي كانت مطوقة لمصر وخصوص ادارة البلاد لحكومتها فهل يرجى أن يكون هذا مهداً لالمامكم بنا أو مرجحاً لاقامتكم عندنا ؟ فاذا كان البت في مسألة الاقامة يتوقف على ما سيكون من أمر قانون الجنسية المصرية الذي يقرره البرلمان المصري فأبي مانع من زيارة مصر الآن واجتماع شمل الامل فيها وهم في عمان على مقربة منها (كانت عائتي يومئذ مع السيدة الوالدة واخي عادل في مدينة عمان شرقي الاردن) .

قطعت عنا أخبار وفدكم وقد فضح الله صاحب الحجاز بالمعاهدة الجديدة شر فضيحة فقامت عليه قيامة العالم الاسلامي وهاجت عليه جميع الجرائد (رأيُ الشيخ رشيد في الملك حسين عنا الله عنهما معروف . فلا لزوم لنقل سائر العبارات في هذا الباب . وإنما بقول عن احدى قضايا الملك حسين ما يأتي) : وانها لتزعجة لا يمكن أن يصل أحد إلى مثلها الا بمخدرات من الله كما قال الجاحظ فيها هو خير منه . ولكن هذا لا يثني فلاناً وفلاناً وفلاناً عن الاستمسك برعامته للعرب الخ .

كتبت مقالاً عنوانه « خطاب مفتوح من روح الاسلام والجامعة العربية الى الشعب الانكليزي والحكومة البريطانية » يتعلق بمسألة المعاهدة الجديدة قال الناس انه مكتوب بقلم من نار وكان له تأثير عظيم .

وبيت القصيد فيه اقتراح جعل حكومة الحجاز مقيدة بمجلس استشاري مؤلف من علماء مختارين من جميع الشعوب الاسلامية وذات حرص اسلامي مؤلف من الحكومات الاسلامية المستقلة ومن الحجازيين وأن تكون البلاد مسلمية حيادية باعتراف جميع الدول فأرجو أن تروجوا هذه الفكرة وتنشروها ما استطعتم وأن تكلموا بشأنها عصمت باشا^(٢) وغيره من رجال الترك ونحن سنكلف حكومتني نجد واليمن بطلب ذلك أو تأييد من يسبق الى طلبه من أمراء المسلمين وقد كتبت الى سلطان نجد به واني لم أرَ بعد التفكير الطويل خيراً منه لتأمين الحج ووقاية الحجاز من دسائس السياسة وفتحها الخ .

اخوكم

محمد رشيد رضا

قلت : كان هذا الرأي عند السيد رشيد قبل أن استولي ابن سعود على الحجاز .

ومن المكاتيب التي وجدتها من السيد رشيد عندي مكتوب غير مؤرخ ظهر لي منه انه كتبه قبل اجتماعنا في جنيف لاجل المؤتمر السوري الفلسطيني وهو اول مكتوب جاءني منه بعد ذهاب تلك الوحشة التي وقعت بيننا . وهذا نصه :

صديقي التليد

أحييك حامداً الله على قرب المزار ورجاء اللقاء مبتدئاً اياك بالتحية

(١) جاءني هذا المكتوب أيام كان عصمة باشا في مؤتمر لوزان سنة ١٩٢٢

و ١٩٢٣ .

والكتاب وأنت الاجدر بالبدء وبلاستعتاب لانك بدأت بالجفوة بل انت
الذي جفوت وقاطعت بل زدت على ذلك ما علمت وما كان ذلك الخلاف
في الاجتهاد يقتضي كل تلك الظنة والقدح باللسان والقلم . ولقد كان في
بني عم شقيق - رماح ولكنها الحرب الاعداء وان لبسوا لباس الاصدقاء
لا لحرب الوداء في المصلحة المشتركة والشائج المشبكية وان تقلدوا
سلاح الاعداء . ولا أمن عليك بانني كنت لك خيراً منك لي فاني
ضنت بك ولم أسمح لاحد بان ينال منك أمامي على اعتقادي بانك مخطئ
بل كنت قبل الخلاف الاخير أدافع وأدود عنك فربقاً واحداً فصرت بعده
أناضل الفريقين من أبناء وطننا وأبرئك بكل قوة من النفاق واتبعاع
سبل المنافع الشخصية لا من الخطأ والافراط في الحدة .

هذا وانني قد علمت وانا في مصر بعزمك على الامام بجنيف عند
وصول وفدنا اليها للاشتراك معنا في خدمتنا الوطنية وقد وصلنا امر الجمعة
الى هنا (يريد الى جنيف) واستقبلنا اليازجي ونجيب شقير وصلاح القاسم
في لوزان فسألتهم عنك فأجابوا انك ربما تكون هنا بعد أربعة ايام وانني
لاشوق الى رؤيتك الان مني في كل زمن كنت اتوقع رؤيتك فيه لان
شدة الحاجة الى التعاون والاستفادة من التجارب قد ضاعفت جاذبية الشوق
الودية والادبية والسلام عليك أولاً وآخراً .

محمد رشيد

* * *

ومن كتبه إلي ما هو مؤرخ في ٩ المحرم سنة ١٣٤٢ و ٢٢ اغسطس

سنة ١٩٢٣ :

سيدي الاخ الامير

احبيك واحببتك بالعام الجديد والتصنيف الجديد وان كان حاشية خالفتم فيها رأي استاذنا واستاذكم الامام في النهي عن الحواشي والاستغفار له من حاشية صغيرة على تفسيره لقوله تعالى (واما السائل فلا تنهر) ولكن لكم ان تقولوا في حاشيتكم كما قال الخصري في حاشيته على ابن عقيل : «نجأت حاشية ولا كالحواشي . اعيزها من عين كل حاسد وواشي» ولعمري ان لكم من الحساد ما لم يكن له (يعني حواشينا في حاضر العالم الاسلامي) . وفي هذا الكتاب كلام عن الترك في غابة الاهمية آثرنا نقله فهو يقول : «اما ما ذكرتم من اخباركم مع الترك فقد كنا عرفنا جله منكم ومن غيركم فساد الترك سيئو الطوبة راسخون في بغض العرب والعربية وقد وجدوا من عمل الملك حسين وأولاده ما اتخذوه عذراً في جعل غابة المساومة بينهم وبين اوردية على العرب ومنها مصر يبيع بلادهم كلها للدولتين المحتلتين فيها وهذا العذر ليس بعلة صحيحة ولا سبب لدوس هذه الامة الكبيرة التي هي قوام الاسلام بلغتها وبلادها على ما فيها من القوى الكامنة المتفرقة . . . اذنب حسين وأولاده وشابهم كثيرون ولكن الامام يحيى أحسن اليهم والادريسي وابن سعود ما أساءا و كانا قادرين على الاصااة وهما لم يريا من الدولة الا شراً . وقد أحسن اليهم فيصل ورجاله في الشام في منع الفرنسيين من استعمال السكة الحديدية السورية لسوق الجيوش وحمل الذخائر لمقاتلتهم بها في كيليكية . ثم كان العطف عليهم والميل لمساعدة حكومة انقرة الجديدة عاماً في سورية وجمعت لها الاعانات على شدة العسرة في البلاد وأرسلت اليهم الوفود تحطب ودم ومن جملتها اننا

أرسلنا نحن رسولاً الى رئيسهم بمذكرة اشترك فيها اخوكم الامير عادل فلم ياذنوا له بالوصول الى انقرة . وكتبنا انا كتاباً طويلاً لهذا الغازي بتعظيم شأنهم وبوجوب تعضيدهم للمسئلتين العربية والاسلامية وبيان مكانتهما فلم يسف من اوج كبريائه للرد عليه وكان هذا كله قبل مؤتمرات مودانية ولوزان . ولم يمنعني هذا كله من كتابة ما كتبت بعد ذلك من اكبار شأنهم في كتاب مباحث الخلافة ومطالبتهم بالقيام برعاية الاسلام ولعلمكم رأيتم ما كتب أحمد جودت عنه في جريدة « اقدام » وخلاصة القول ان هؤلاء الزعماء قد ازدادوا غروراً ومقتناً للعرب وللإسلام ولا علاج لهم الا نهضة إسلامية في بلادهم وقد سدوا دونها للمنافذ الخ .

أفوك رشيد

حاشية غير ازهرية :

بعد ختم الكتاب في الصباح جاءت الصحف فاذا فيها برفقة باقتراح عقد مؤتمر إسلامي لتقرير جعل اللغة التركية لغة الاسلام التي يتخاطب بها شعبه في شؤونهم المشتركة . . . يحتكر الاسلام من يهدمونه . . .

وهذا نص علاوة على أحد كتبه في ذلك الوقت نرى مفيداً

إيرادها وهي :

نسيت أن أكتب اليك أننا شرعنا في طبع كتاب « اعمال المؤتمر السوري الفلسطيني » قدرناه الان بمائة ملزمة فأذكركم بما كنت اقترحت عليه من قبل من كتابة مذكرة بخلاصة اعمال وفدكم لو تفصيل ما شتم مما لم يفصل ولم ينشر من قبل . لاننا نخصي كل ذلك في الكتاب ان

شاء الله وامضاءكم «رئيس الوفد» والا فنحن نذكر ذلك^(١) هذا واخبركم بان السلطان ابن سعود (كان هذا قبل استيلاء ابن سعود على الحجاز ومبايعة الحجازيين له ملكاً) الذي كان بمعزل عن السياسة واهلها قد عزم على النزول في ميدانها ويرغب أن يكون له وكيل مفوض بدخل في المؤتمرات وغيرها . وعلاقة اخيكم معه ومع امام اليمن قوية وللمكاثبات متصلة والثقة تامة . وكان المرحوم الادريسي كذلك ولكن لا ندري ما يكون حاله ولده هنالك من بعده .

والانكليز قد تساهلوا مع الامام في المدة الاخيرة ورجعوا عن كثير مما كانوا عرضوه من قبل للاتفاق معه حتى لم يمد فيها قيود خطيرة الا تعهدهم بحماية سواحله والا تفضيلهم على غيرهم من الاجانب في كل مشروع اقتصادي أو غيره إذا تساوت الشروط . وكانوا من قبل يشترطون ان لا يعامل غيرهم من الاجانب إلا برضاهم وتوسطهم ورضوا الان بان يعترفوا باستقلاله التام وبان المقاطعات التي يدعون حمايتها تكون تابعة له بشرط ان يمنحها الاستقلال الاداري ومنها لحج وحضرموت ولكنهم يستثنون عدناً وهو يطلبها أيضاً^(٢) .

(١) كانت اللجنة الدائمة للمؤتمر السوري الفلسطيني خاطبني عدة مرات بلقب «رئيس الوفد السوري الفلسطيني» في لوربة فرفضت أن أكون رئيساً . وأشارت إليهم بأن يخاطبونا جميعاً كأعضاء وذلك حتى لا أميز نفسي عن رفاقي . .

(٢) ان السيد علي الادريسي الذي يقول السيد رشيد انه كان بينه وبينه صلة مودة كان داهية عنكاً فحفظ تلك الامارة التي اسمها لنفسه في عسير -

وله كتاب إلى ٠ تاريخه ٨ ذي القعدة سنة ١٣٤٢ جاءني عندما أقمت بمدينة

مرسين :

— وبدهائه تخلص من الترك ومن الطالiban ومن الامام يحيى ولكنه كان يعلم أن الذين بعده ليست فيهم كفاية لانهم قد يخسرون هذه الامارة وكان أكثر خوفه من الامام يحيى فلذلك قبل موته بمدة من الزمن جعل الوصاية على اولاده للملك عبد العزيز بن سعود إذ بعلمه الملك العربي الوحيد الذي يمكنه أن يقف في وجه الامام يحيى فلما توفي السيد علي الادريسي تولى بعده ولده الامارة تحت حماية ابن سعود فأصاء السيرة ولم تكن فيه ادنى كفاية لادارة قوية فضلاً عن بلاد فضج الاهالي واضطر ابن سعود الى أخذه من هناك وجعل عمه السيد حسن اميراً ولكن هذا ايضاً مع كونه غير سيء السيرة عجز عن الاضطلاع بالحكم فالتزم ابن سعود أن يجعل نائباً من قبله هناك ليتولى اماره « صيبا » وكان الامام يحيى يرى في هذا الاسراء اعتداء من ابن سعود على حقوقه لانه بعد عسيرة من بلاد اليمن وإنما كان يتفادى الحرب معه ابن سعود تجنباً لسفك الدماء فحدث اخيراً سنة ١٩٣٤ ان الادارة اختلفوا مع نواب ابن سعود في صيبا فلجأوا الى الامام يحيى وصار عمال كل من الامامين يتحرش بعضهم ببعض وكل ينهي الى مرجعه بما يثير العداوة كما انه حدث أن الامام يحيى ساق عسكرياً الى نجران اليمن لادخال اهله الاسماعيلية في الطاعة فالتجأ هؤلاء الى الملك ابن سعود فنشأ سبب آخر للفتنة وما زالت تنقذ شرارات من هنا وهناك حتى أشعلت بين الامامين حرباً أغرب ما فيها انها اشتملت بدون أن يكون لكل من الامامين أدنى رغبة فيها ٠ وكان الامامان قبل ذلك بسنة اختلفا على « جبل عرو » فأرسل كل منهما مندوبين لاجل تسوية المسألة باتفاق بين الفريقين فلم يتفقوا فأرسل الامام يحيى الى الامام عبد العزيز يقول له ان اللجنة المختلطة لم تصل الى اتفاق—

سيدي الاخ الكريم والولي الحميم أمير البيان حياه الله تعالى

وصل الكتابان الكريمان المطول والمختصر ولقد قرئت عيني وانشرح

فأنا أجعلك حكماً في المسألة فاحكم فيها بما شئت . فأجابه الامام عبد العزيز :

أما وقد حكمتني في المسألة فأنا أحكم بأن جبل عرو هو لك . وهكذا كان

فلينأمل القارىء كيف انهما بعد سنة من هذه المعاملة الشريفة التي اعجب بها الشرق

والغرب عاداً فافتتلا . فلما وقع ما وقع بينهما هال ذلك العالم العربي والاسلام أجمع

وخيف من ان استمرار القتال بين الفريقين يفضي الى كيد أجنبي لجوزرة العرب

فصارت تنهال على كل من الامامين بزقيات من العالم الاسلامي مألها الرجاء بقبول

الصلح مع جاره ولكن الحرب بقيت مستمرة فقررت اللجنة الدائمة للمؤتمر الاسلامي

ابن باد رئيس المؤتمر الحاج امين الحسيني مفتي القدس الشريف وهاشم بك الانامي

رئيس الجمهورية السورية الان ومحمد علي باشا علوية ناظر المعارف والادوار سابقاً

بمصر وهذا الفقير اليه تعالى . فذهبنا الى الحجاز ومازلنا نعالج هذا الخلاف الى

أن من الله تعالى بنهايته على أحسن وجه . وكان الفضل في ذلك لكل من

الامامين اللذين كان كل منهما أزهد في الحرب من الآخر حقناً لدماء المسلمين

ولا يجوز أن ننسى في هذه القضية فضل الامير الكبير العلامة المنقطع النظر

السيد عبد الله بن الوزير امير الحديدة ونهامة حالاً فقد كان بحسن سياسته أقوى

عامل في ازالة هذا الخلاف . ثم أخذنا معاهدة الصلح وهي معاهدة أشبه بمخالفة

منها بمصالحة وذهبنا الى صنعاء اليمن وكان الملك ابن السعود قد وقع عليها فليلة

وصولنا الى صنعاء وقع عليها الامام يحيى ومنذ ذلك الوقت العلاقات بين الامامين

على ما يرام أحسن الله توفيقهما لخدمة الاسلام .

أما الذي انتهى عليه الصلح بين الامام يحيى وانكسرت فهو أن هذه عدلت

عن جميع مطالبها الماضية التي كانت تريد بها أن تضع على اليمن لنفسها شبهة .

صدري بما كتبت من خبر وصول اهل بيتك وتلاقيكم في يوم عيد الفطر
وقرأته لوالدتي ومن حضر من آل بيتنا وأنا أغلب الدروع وأتسكف القراءة
تكالفاً فأسأله تعالى أن يتم عليكم النعمة . وأما خبر الامير غالب مع مولانا
السيد السنوسي فقد قرأته مبسماً غير متلثم وفقك الله تعالى لتربيته كما
تحب وجعله قرة عين لاهله وأمنه (كان السيد أحمد الشريف السنوسي
قدس الله روحه مقبلاً بمرسين ضيفاً على الحكومة التركية وكانت بيننا
الصداقة متينة الى الغاية كما شرحت ذلك في حاضر العالم الاسلامي فلما
جئت الى الاستانة بعد استقلال تركية وكنت أبغي السكنى في بلد
يكون قريباً من سوزية جاءني من السيد السنوسي دعوة أن أسكن في
مرسين ليكون اللقاء بيننا متصلاً وقد استحسننت هذا الرأي واكتربت
بيتاً في مرسين واستدعيت سيدتي والدة وعائلي الى مرسين فحضرت
ومعهم أخي حسن واجتمع شملنا وكان ولدي غالب في السادسة من عمره
فاستغربت منه أنه لم يكن يقبل بد أحد من زائرينا وانما كان من تلقاء

— حماية وقد اعترفت للامام بالاستقلال التام ولم يكن لها في اليمن أدنى منزلة
على دولة اخرى . اما من جهة الحج² وحضرموت والامارات التسع التي كان الخلاف
واقفاً عليها بين الانكليز والامام فقد نقرر بقاء الحال على ما هي عليه الان الى ان
تمحل هذه المسألة بين الفريقين بصورة نهائية . فسكنت الامور وارتفع العداء
وقد أبدى الامام يحمي من الحكمة والحزم في موقفه بإزاء الانكليز وإزاء ايطالية
ما لا ينكره احد . وما لا يجوز ان ننساه هو لباقة القاضي محمد راغب بك ناظر
خارجية الامام الذي وإن لم يكن هو عربي المتمد فانه يخدم المروبة والاسلام كأب
أبنائهما .

نفسه بقبل يد السنوسي وكان يجلس معي ساعات طوالاً في حفرة السيد ولا يطلب الخروج الى اللعب كما هي طبيعة الاحداث فروبت هذه القصة للسيد رشيد) بل خطر لي الان ان أدعو له بمثل ما دعا ونجت باشا مردار الجيش المصري وحاكم السودان لولدي محمد شفيع عند ولادته بقوله : وأسأله تعالى أن يفوق والده علماً وحكمة وثروة . فتأمل يا أخي في الفرق بين أفكارنا وأفكار هؤلاء القوم : نحن نغفل عن الثروة حتى في مقام الدعاء وما أشد حاجة مثلي ومثلك الى الثروة للاستعانة بها على ما وقفنا أنفسنا له من خدمة الامة ونحن لا نفكر فيها ولم نعود السعي لها على ما نعاني من فقدها وبأيت شعري متى نستدرك في تربية أولادنا ما فات والدينا في تربيتنا .

إنه ليهمني أن تبادر الى تعليم غالب في المدارس المصرية كما يهمني أن تكون معي هنا لما لا حاجة الى بسطه ولا الى الاشارة اليه الخ

وكان السيد كتب إلي عن الشيخ عبد العزيز الثعالبي التونسي كذابة شملت منها رائحة الوحشة فنبهته الى ما يرحى من الثعالبي من الخبز للامة فأجاني عن ذلك بقوله : صدقنا الثعالبي : رأيتك فهمت مما كتبت اليك عنه بعض ما لم أرده وهو صديق قديم زاده اللقاء الحديث تمكناً في الصداقة وهو علي مشربنا في المقاصد العامة وما دونها فاخطب فيه سهل لا يصل عند امثالنا الى حد يخذش الصداقة أو يصد عن التعاون . وقد سافر الى فلسطين ويسرنا أن لقي من أفاضل اهلها ما يليق بفضله وغيرته وإخلاصه من الخاوة والتكريم . أكثرت الله من أمثالكم وأمثاله وما أنتم الآن إلا كما قال الشاعر :

« فمثل (كثير) في الانام قليل » .

مسألة الامامة لم أقصد بما بينته من الحقائق فيها أن أكلف مسلمي اليوم إقامتها على الوجه الحق الذي بينته بنصب إمام يتولى أمورهم كافة فاني لا أعيش في عالم الوهم والخيال فأكلف هؤلاء المساكين الجاهلين المتخاذلين المستعبدين للاجانب او لشهواتهم - أمراً عظيماً أعتقد انه منتهى الكمال الذي وقف الخلفاء الراشدون في أول الطريق الذي أشرعه الاسلام له وانما قصدت أن أعرف المستعد للعلم والفهم الصحيح هذه الحقائق وأوجه وجوههم الى هذا النظام الكامل عسى أن يسموا له سعيه بالتعاون على وضع خطة لاجياء الاسلام ذكرتهم ببعض ما يجب مراعاته فيها وضنت ببعض بل خفت أن يغفل عنه الالباء ويفطن له قطاع طريقه من الاعداء .

(المسألة المصرية العربية) ما ذكرت لي وللثعالبي من قبل من فروع هذه المسألة مهم جداً بل هو أهم فروعها وأجدره بالتقديم وقد صار امر جارك السيد السند من همي ومن وطري وأعجبي ما كتبت لي عنه فصار أكبر مما كان في نفسي ولم يعجني ما كان نشر عنه في مسألة الخلافة . وأما إيمانه بالكرامات فلا ننكره عليه ونحن نؤمن بها ونحمد الله تعالى أن لم يجعلنا بمعزل عنها وان أعطانا فرقاناً نعرف به حقها من باطلها وكان استاذنا الامام أعلى كعباً في ذلك كان يقول لي : انني أقرأ الفتوحات المكية كما أقرأ تاريخ ابن الاثير . ولكن يا أخي هذه مسألة خواص وقد افتنن بها العوام حتي قتلتهم الخرافات وتصرف الدجالون باموالهم

وأنفسهم واعراضهم بل أفست على الكثيرين توحيد الله عز وجل ونحن نحارب الدجل الذي أفست على الامة امر دينها ودنياها تحت حماية الكرامات والشفاعات . وأما المكاشفات فأمرها أهون والافتتان بها امر معروف . والتوسل منه حق وباطل ومنه ايمان وشرك . واذا كان السيد بجائاً فإنني أرحو اذا تلاقينا معه أن نكون متفقين في هذه المسائل كاتفاقنا في المسائل المهمة الدنيوية التي هي موضوع سعينا وبجئنا الخ^(١) .

(مؤتمر الخلافة)^(٢) انني لما بنشر صدري للدخول فيه ولما اجتمع ثانية مع أذكى اعضاءه وأحرصهم على اشتغالي معهم وهو الشيخ مصطفى المراغي رئيس المحكمة الشرعية العليا وهو من اخواننا تلاميذ الامام وبيننا موعد غير محدود ولا ادري هل أجد في مذاكراته ما يحدث لي أملا في المؤتمر ام لا ؟ ولا اعني بالامل ان يتفق اعضاء المؤتمر على نصب امام ترضاه الشعوب الاسلامية كلها أو اكثرها بل اكبر الامل عندي وضع نظام بدعي اليه الخ ..

* * *

(١) كلام السيد المترجم هنا جواب على كتاب مني اليه ذكرت له فيه مشرب السيد أحمد الشريف السنوسي الذي كنت اجتمع معه كل يومين مرة طول مدة إقامتي بمرسين وهي نحو من سنة . واما قول السيد المترجم « المهمة الدنيوية » فمكذبا اعتماد الناس أن ينسبوا الى الدنيا مع أن سيئوبه بقول في فصل النسبة من كتابه: قالوا في دنيا دنياوي وإن شئت قلت ديني واما في الخصاص لابن سيده فيقول بالوجهين دنيوي ودنياوي هكذا أتذكر وفي المصباح بقول ان دنياوي اكثر من دنيوي والله أعلم .

(٢) الذي كان انعقد بمصر .

وله كتاب آخر في ٢٣ المحرم ١٣٤٢ هـ سبتمبر

أخي وأمهدي الهام عليه التحية والسلام

بعد ان كتبت اليك في كتابي الماضي بشأن حاشيتك على الكتاب المترجم ما علمت بلغني ان الحاشية مما يستنكره الجماهير حتى اهل الازهر لا حزب استاذنا الامام فقط لانها بلغت من الطول المذنب مبلغاً ترك الاصل الذي وضعت عليه أثراً بعد عين او كهلال الشك لا تدركه كل عين وصارت قراءة كل منهما مع الآخر مضيفة لكل منهما وقراءة وحده لا ترتاح اليها الانظار ارتياحها اليه لولم يكن معه ما يشغل عنه وشبه لي الكتاب مع الحاشية بشرح ديوان صديقنا محمود سامي باشا البارودي رحمه الله تعالى ولعلكم رأيتموه فإن شارحه كثيراً ما شرح البيت الواحد بصفحة او بصفحات باستطرادات لا تفني من يريد قراءة شعر البارودي فكان هذا الشرح سبباً لعدم رواج الديوان بقدر ما كان ينتظر لو طبع وحده بغير شرح او بشرح بعض غريب اللغة او محاسن نكت البلاغة .

وفاني أن أقول لك في الكتاب السابق انني مخالف لك في ما تظن من قلة الرغبة في قراءة هذه الحاشية لو جعلت كتاباً مستقلاً بل يغلب على ظني انك لو الفت كتاباً في تاريخ الاسلام أو جعلت هذه الحاشية كتاباً مستقلاً لوجدت من الاقبال على ما تكتب فوق ما تنتظر للكتاب المترجم وحده من الرواج . وأرى ان ترض بما بقي لديك مما كتبت وما تنوي ان تكتب إذا كان يمكن ان يجعل كتاباً

مستقلاً ولو بضم بعض ما طبع منها اليه ^(١) . اهـ .

(١) حاضر العالم الاسلامي للمؤرخ المدقق لوثرروب سنودارد الامير كاني ترجمه من الانكليزية الاستاذ عجاج نويهض وبعث به إلي وذلك سنة ١٩٢٢ ملتصقاً مني أن أبدي بعض ما يعن لي من الملاحظات على مباحث هذا الكتاب وكنت يومئذ في شغل شاغل كدت معه أرد الكتاب معذراً عن إجابة الطلب الذي طلبه مترجم الكتاب إلا أنني نظرت فيه بعض الشيء فوجدت مباحث ذات بال لهم الاسلام والمسلمين ورأيت المؤلف قد نقل مقالة لي نشرتها في بعض الصحف الاوربية بعد الحرب العامة لم ينسبها إلي بالصرامة بل بالإشارة تأييداً لقوله: إن دول الحلفاء قد غاظت العرب بنكثها بما عاهدتهم عليه واستيلائها على كثير من بلدانهم بدلاً من الاستقلال الذي وعدتهم به . فرأيت هذا المؤرخ منتصباً للحركة العربية كما نحب محيطاً منها بكل شاردة وواردة فأجلت مقامه وربأت به عن أن تكون في رواياته مواطن ضعف فعلفت كلمات قليلة على هذه المواضع ولم يكن في نيتي أن أكتب حواشي تزيد على سطرين أو ثلاثة بالكثير ولكن الحديث شجون والمواضيع التي خوضها المؤلف تحتاج الى مزيد التدقيق فصار الكلام يتسع معي تدريجاً وبعد ان كانت النية تعليق كلمات أو أسطر معدودة انتقلنا الى حواشي نستغرق الصفحة والصفحتين . ثم رأينا ان الاختصار يحل بالمعنى وانه يكون من قبيل فتح الباب لمقام شائق للقراء ثم صكه قبل ان يشفي لهم غليلاً فصارت التعليقات على الكتاب تزداد طولاً كلما تقدمنا في مطالعته إلى ان أصبح المتن ربع الكتاب بالقياس الى الحواشي التي صارت هي ثلاثة أرباعه بحيث قال العلامة الدكتور يعقوب صروف الطيب الذكر في مجلة المقتطف ان هذا الكتاب « حاضر العالم الاسلامي » أصبح بحواشيه كتاب الامير ارسلان . ولكن

وكان السيد رشيد في تلك الاونة قد طمن في الملك حسين بالمنار مطاعن
لا محل لها هنا فانبرى للرد عليه جماعة من بيروت اوسعوه شتاً وبينهم
اصحاب صحف كان بعضهم من اصدقائه . فشكا إلي في القسم الثاني من هذا

— الناس رأوا في حواشي كاتب السطور مباحث كانت مجهولة وكانوا يشناقون الى
مثلها ولا يجدون ذلك في مؤلف آخر في هذا العصر فصار كثير منهم ومن هؤلاء
السيد رشيد يقولون لي: ما دمت قد أردت إفاضة هذه المعلومات كلها فلماذا لم
تجعلها في كتاب على حدة ؟ فأجبت السيد بأنني لو جعلتها في كتاب مستقل لربما
كان قراؤها أقل عدداً من قرائها الان وقد افترت بكلام المؤرخ ستودارد على
ما في طباع الشرقيين عموماً من الاحتفال بكلام المؤلف الاوروبي او الاميركي
بنوع خاص . فالفارسي الان يقرأ ما قاله المؤلف الاميركي مشفوعاً بما قاله الكاتب
العربي ويرى بعضه مؤيداً لبعض ما فأجاني السيد رشيد بهذا الجواب الذي نقلناه
ولكنه لم يصبر رحمه الله في تشبيه هذه الحواشي بحواشي شارح ديوان البارودي
فانه ظهر فيما بعد من رغبة الناس في اقتناء هذا الكتاب من أجل حواشيه ما ندر
ان يقع لكتاب آخر في زماننا هذا حتى اننا اعدنا طبعه من ثلاث سنوات لنفاد
نسخه بأجمعها وضممنا اليه حواشي جديدة تعادل القديمة فصار من الكتاب بالقياس
إلى حواشينا بمقدار واحد من ثمانية . وقد كان يمكن جعل هذه المعلومات كلها
في كتاب على حدة يكون اوسع من هذه الحواشي ويصير أشبه بمعلقة اسلامية
نقع في عشرة او اثني عشر مجلداً ولكنني من الاصل لم أقصد وضع كتاب مستقل
أنأمنب له على ان يكون معلقة اسلامية وإنما بدأت بتعليقات وجيزة اوسميتها
أهمية المواضيع تدريجياً كما تقدم الكلام عليه . والمرء في التأليف كما في جميع
حر كاته في هذه الدنيا مسير غير محير .

الكتاب ما رآه من هذه الفئة التي رثي لحالة جهلها . وعند الله تجتمع الخصوم .

وله إليّ كتاب مؤرخ في ٢١ ذي الحجة ١٣٤٣ و ٢٣ تموز ومعناه وجوب الذهاب إلى جنيف في أثناء الثورة السورية الكبرى وهو يقول إن اللجنة في القاهرة جاءها كتاب من الأمير ميشيل لطف الله رئيسها الذي كان وقتئذ في أوربة معظم فيه من شأن اجتماع عصبة الأمم في هذا العام ويحث على تأليف وفد يحمل الوثائق اللازمة ويأتي إلى جنيف وإن هذا مطابق كما كتبناه نحن اليهم . فأجابات اللجنة ميشال بك بأنه بلغها أن في الوطن أناساً يجمعون وثائق ليبعثوا بها إلى الأمير شكيب لإيقاده بها إلى جنيف وإن الدكتور عبد الرحمن شهبندر عاد من سياحته في أميركة وإن الظاهر من حاله أنه مستعد للعمل فإن تيسرت لديه اللجنة الوسائل المادية الكافية توصلت إلى تأليف الوفد منها ومن يرغب في السفر معها وسعت في جمع الوثائق اللازمة لها وإن اللجنة تنتظر جواب رئيسها من أوربة ومع هذا فهو يقول لي : إذا أحببتم أن تكتب لكم اللجنة توكيلاً مشتركاً بينكم وبين صاحبنا (أي ميشال بك) وتكتب إليه مثله نسخة واحدة فإنها تفعل . إلى غير ذلك مما يتعلق بالجيء إلى جنيف لاجل الاحتجاج على فرنسا . وقد حضرت إلى جنيف في تلك النوبة وقت بواجبي مصحوباً بالوثائق اللازمة ولكنني رأيت أنه لا يمكنني القيام بمهمتي هذه إلاً بالاقامة الدائمة بسويسرة . فعند ذلك استقدمت عائلتي من مرسين والقيت عما التسيار في هذه البلاد .

وفي هذا الكتاب تفاصيل كثيرة عن جرعات بعض الزعماء المشتغلين

بالقضية العربية وبسببهم في أثناء الحرب من جهة انكثرة ٠٠٠ ثم بما ظهر منهم بعد الحرب من الآراء الغريبة التي من أفظها « أن تتسامح مع الانكليز بما ملخصه أن نستوي منهم سورية بالعراق » هكذا صرح به أحد هؤلاء السيد رشيد نفسه في نجوى بينهما . ومما جاء في هذا الكتاب من المعلومات المهمة خبر تأسيس حزب الاتحاد السوري وأنه كان في البداية دخل فيه فلان وفلان « فكان جلّ مؤسسيه من حزب الانكليز » قال رحمه الله : ولما غلبناهم على الحزب تسلسل منهم من تسلسل لواءاً وبقي آخرون يجادلوننا في قبول النفوذ الاجنبي بصيغ مختلفة حتى إذا يشعروا طلبوا منا التقيّد بقبول الوصاية الاميركانية وكان فلان وفلان من هذا الرأي فخابوا ولو تساهل أخوك وحده أقل تساهل لنجحوا ٠٠٠ ولما أرادوا توريط السوريين بقبول مضمون معاهدة سابكس ييكنو عقب إعلانها في لندن وباريز بالاجتماع الذي دبروه في دار فلان كان من البرنامج ان يخطب فلان وفلان وفلان من حزب الانكليز فلما أفسدت عليهم الاجتماع برّدي على الخطيب الاول لم يتجرأ أحد على مخالفتي الخ : (وهذا الكتاب أبد لي ماله أكثر من واحد ممن حضروا تلك الاجتماعات) .

* * *

وكتب إليّ في ٢١ ذي الحجة من تلك السنة ١٣٤٢ بقول : إننا دعونا اللجنة للاجتماع مساء هذا اليوم للمذاكرة فيما كتبتنه أنت والامر مهم جداً ولنا فيه آراء وان كانت اللجنة وحزب الاتحاد السوري على رأي واحد هو الثبات على الدعوة الى الاستقلال المطلق ومقاومة الانتداب بأي شكل ظهر . وأري ان مجيئك الآن الى هنا عاجلاً قد صار واجباً حتماً لا تجيئ فيه ولا عذر إلا العجز . إنه لم يبق لدينا من

أعضاء اللجنة إلا فيجب شقير واليازجي واسعد داغر وليس مثل هذا
العمل الكبير أي وضع نظام اسامي للبلاد والذي يكفي فيه هذه اللجنة
وحدها الخ...

وله كتاب إلى تاريخه ٨ صفر ١٣٤٢ الموافق ١٩ سبتمبر ١٩٢٣ :
أخي الامير

تعذر إرسال الكتاب الذي كتبتك أمس وتأخر إلى هذا اليوم
فكان ذلك لحكمة الاطلاع على كتابك الجوابي المؤرخ في ٩ ايلول
الذي مررت به جد السرور . وأما سبب تعذر إرسال الكتاب اس
فهو انه هو اليوم الذي دخل فيه الزعيم سعد باشا القاهرة فكانت الاعمال
فيه معطلة حتى الرسمية وانقطعت فيه مركبات الترام حذراً من اسنثار
الطلبة وأمثالهم بها وتسببها حيث شاؤوا بغير أجره . وأنا لم أنزل من
الدار . (الى ان يقول) سرني ما كتبتك عن الترك والعرب فتحن والله
الحمد متفقون في جملة الامر وتفصيله (الى ان يقول) وأما مسألة البطل
العربي الكريم محمد بن عبد الكريم فانني حريص على كتابة شيء يرضيني
ونفسي تطالبني بهذا منذ سنتين وألحت علي في هذه الايام لتجدد جهاده
والحاجة الى الحث على اعانته . ولكن ما أعلمه في المسألة قليل ووقتي
أضيق من مم الخياط . وقد اتفق وصول جريدة البيان اس فقصصت
مقالتك منها لاجل نشرها ولا تشك في صدقي إذا قلت لك ان ما ذكرته
فيها من تفضيله على مصطفى كمال واعدته في هذا الكتاب قد سبق لي
مثله بعينه في التنويه به لبعض الاخوان وكنت اريد أن أخبرك بهذا

ثم فاني قبل إتمام الكتاب والحمد لله على اتانفتنا في جميع المسائل والازاء
والسلام .
اخوك

محمد رشيد رضا

* * *

وله كتاب آخر تاريخه ١٤ ربيع الآخر ١٣٤٢ و ٢٢ نوفمبر وهو جواب
على كتاب بعثت به اليه من الاستانة اذ كنت فيها أواخر سنة ١٩٢٣ . قال:
سيدي الاخ الكريم والولي الحميم

أنست منذ ثلاث بكتابك المرسل من الاستانة بقدر ما آلمني من
الوحشة بطول فترة المكاتبة وسرتني ما وعدت به فيه من كتابة مقالين
للمنار أحدهما في ملخص ما ينكره البروتستانت على الكاثوليك وثانيها
في رد السيد جمال الدين علي ربنان - ومن إرسال كتاب المرحوم احمد
مختار باشا الذي طال تشوقي اليه (يريد به : مرائر القرآن في تكوير
وافناء واعادة الاكوان) .

وقد سألت فيه عن نعمة مقالاتك (انتداب العرب على سويسرة)
فأقول انها نشرت في الجزء الرابع وقد أرسل اليك في وقته وارسل بعده
الخامس والسادس متصلين والسابع والثامن متفرقين ولما نوزع التاسع وفيه
جوابك عن امثشكالي قولك إن العرب اكنسجوارومية وما كتبت صحیح
ولكن هل يصح أن يسمى اكنسجوارومية؟ وسيوزع هذا الجزء وهو مطبوع
كله مع العاشر الذي بقيت خاتمته وقد طال الزمن عليه وعليهما ولم يمر
عليّ زمن كثر فيه العمل كهذا العام ولا سيما هذه الايام .
مقالتك في الحاكمة بيني وبين من حملوا عليّ في الجرائد السورية

نشرت في جريدة السياسة وأكثّر الذين يقرأون مقالاتكم يعرفون أنها لكم وإن عزوها إلى «الكاتب الكبير» كالتصريح باسمكم وقد انكرت منها كلمة واحدة وافقتم فيها انصار فلان في كونه زعيماً للعرب يرجى... وما اعهد هذا من رأيكم وقال بعض من قرأها: لعله وافق الخصوم في هذه الكلمة جذباً لهم إلى الاذعان لحكمه بعد ان فند كل ما جاؤوا به بالحجج الناهضة التي تدفع الاوهام الباطلة . واحمد الله تعالى اني كنت نقلت عنهم هذا المعنى في حكاية شبهاتهم ورددت عليها في المقالة السابقة من المقالات التي نشرتها في الاهرام على ما اذكر . ولولا ذلك لصعب عليّ ان أردّها بعد ورودها في مثالتكم التي نصرتموني فيها نصراً مؤزراً ، لا زلتُم ناصرين للحق واهله .

جاءنا في هذه الاثناء صديقنا القديم الشيخ البعلبي فسررنا ببقائه وسيكون عوناً لنا ان شاء الله على بعض اعمالنا الاسلامية التي تشغل جل اوقانتنا في هذه الايام وقد ذكرتم في كتابكم بعض ما تروونه أهلاً له . الخ .

وجاءنا ايضاً رفيقنا في المؤتمر ثم رفيقكم في الوفد احسان بك ووافق بحيته انتهاء فصل الحر وتجدد نشاط الحركة الوطنية فشرعنا في موالاة الاجتماع وهو يحضر جلسائنا وبنوي ان يسافر إلى القدس فشرق الاردن . وقد تحقق ايضاً قرب مجيء الملك حسين إلى شرقي الاردن لاجل عقد مؤتمر آخر للتشاور مع اولاده ومع زعماء البلاد في الطريقة التي يجب سلوكها في القضية الوطنية سواء عقدت المعاهدة البريطانية العربية ام لم تعقد الخ . اما مؤتمرهم فقد كان مقرراً لاجل وضع خطة لتنفيذ المعاهدة

بالتواطؤ مع اهل سورية وفلسطين . اما وقد فشلوا فيها وخابوا برفض اهل فلسطين لها اولاً وقيام قيامة العالم الاسلامي ثانياً فقصار غرض المؤتمر المذكور الاتفاق مع اهل فلسطين ثم اهل سورية على ما يمكن اقتناع الانكليز به من الجمع بين المصلحتين البريطانية والعربية .

ما كتبتموه بشأن الترك مفيد والجرائد هنا تلخص جميع اخبارهم ، ولا سيما « الاهرام » و « الاخبار » وكنت اتوقع ما وقع واكثر منه واني لأعلم ان السواد الاعظم من الشعب التركي يدينون الله تعالى بدين الاسلام وان بعض الملاحدة والمترابين يرجح المحافظة على الرابطة الاسلامية سياسة لا ديناً . واكتفي أخشى ان تكون كفة ملاحدة الطورانيين ارجح في زعامة الشعب وتبوؤ مقاعد الحكم والاستعانة بذلك على صبغ النابذة بغير صبغة الاسلام فإن قوة الجند في ايديهم والجند في الترك كل شيء . ولولا غيرتنا على هذا الشعب الاسلامي الكبير ان يفسد دينه هؤلاء المتهاونون لما بالى مثلي بما يعملون ولما كتبت في مباحث اخلافة وغيرها بشأنهم فكل همنا ان ننصر الشعب الاسلامي على ملاحدة المتفرنجين وان زعماء الكمالين منهم كزعماء الاتحاديين وفي مقدمتهم رئيسهم الذي قرب الوقت الذي تظهر فيه حقيقته للعالم الاسلامي (قد ظهرت هذه الحقيقة ولم يبق عند احد فيها شك) الذي قن به كما قن بمن كان قبله من زعماء الاتحاديين (قلت : وجه للمقايضة بين هؤلاء الاتحاديين في هذا الموضوع) . وقد اخبرني صاحبنا التونسي ان الانكليز تواطأوا مع الكمالين قبل الصلح في لوزان على إلغاء منصب اخلافة من تركية الجديدة .

(الدعابة) وردت في كتاب النبي (ص) الى هرقل قال « ادعوك

بدعابة الاسلام» كما في كتاب « بدء الوحي » من اول صحيح البخاري وهي كال دعوة الكثيرة الاستعمال في كل ما يدعى اليه فأجبت استعمال الكلمة الطريفة في الدعوة اخصا بالمذاهب العامة من سياسية ودينية واتبعتي بها كثير من الكتّاب^(١) واما « القداسة » فتسري إلي من استعمال

(١) نعم قد صار هذا الاستعمال تماماً في معنى ما يسميه الافرنج « بروباغندا » وقد سألت السيد رشيداً عن مصدرها فأجابني بهذا الجواب وسألت غيره من علماء الحديث مثل الاستاذ نقي الدين الهلالي المغربي السجلماسي فأيد كلام السيد رشيد وقد جاء في لسان العرب خبز هذا الكتاب من النبي عليه السلام الى هرقل « أدعوك بدعابة الاسلام » أي بدعوته ولكنه قال بعدها : وفي رواية « بداعية الاسلام » وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة واقتصر صاحب المصباح ولهذا تمسك بعضهم بان دعابة قد تكون خطأ نسخ وان أصلها الدعاوة لا يجوز غيرها وعللوا ذلك بان الفعل واوي وان الدعاية بالياء والحقيقة ان نسخ البخاري لا تعد ولا تحصى فلو كانت الدعاية من خطأ النسخ لكانت العلماء أصلحوها ومن المعلوم ان علماء اللغة في المحدثين كحصى البطحاء فليس السيد رشيد رضا وحده بالذي روى ذلك واما كون الفعل واوياً قد يمنع من انقلاب الواو ياء ولذلك امثال كثيرة ؛ جاء في لسان العرب : سَنَتِ السَّانِيَةَ تَسْنُو سَنَوْاً اذا استتقت وسنابة وسناوة وهو في صياغة قومه وصوابة قومه والنقارة والنقابة من كل شيء والنفاوة والنفاية من كل شيء وهي النفية والنفوة وداعية دهواء ودهياء وله غنم قنوة وقنية وقنواف وقنيان واهل العالية يقولون القصوى واهل نجد يقولون القصية واثوت به أثاوة وإثابة ورغاية الابن ورغاوته وجباية الخراج وجباوته وهو بلو سفر ويلي سفر وهلم جرا مما لا يحصى .

للمعاصرين ومثلها «الاعدام»^(١) بمعنى القتل لا الافناء ومعناها في أصل اللغة افتقاد الشيء اذا كانت مصدرًا للفعل المتمدي وقد ورد : لا أعدمني الله فضله والمُدم يضم فسكون الفقد وكثر في فقد المال فغلب واعدم اللازم بمعنى افتقر وقد ضاق الوقت عن التطويل وأرجو اتصال المكاتبة والسلام عليك مني ومن لدي اجمعين .

رصيد

* * *

وله كتاب في ٧ صفر ١٣٤٣ و ١٨ منتهبر ١٩٢٣ وفيه بعض الاجوبة على ما كنت سألته عنه من ذلك مسألة الحجاج البانين الذين وقعت معهم معركة في الطريق وهم سائرون الى بيت الله الحرام فهو يقول ما يلي :

مسألة الحجاج البانين هي صحيحة وانباء الحجاز تكسوها كل يوم ثوباً وقد قيل لي إن سببها ثار لمن قاتلهم من النجديين عندهم وان عامل ابن سعود في «أبها» نصح لهم بأن يسلكوا طريقاً آخر لا يتحشرون فيه بهم وقيل بل ظنوا أنهم من جماعة ملك الحجاز . وقد كتبت الى سلطان نجد بأن يتلافى الامر بأحسن ما يزيل أثره السيء وجاء في الجواب الاخيرة انه أرسل وفداً الى اليمن لاجل ذلك ولما يجثني منه شيء

(١) كنت دائماً اذا وجدت في كلام السيد لفظه لا اجد لها أصلاً في اللغة اعترض عليه فيها واسأله عن الوجه الذي عنده في هذه اللفظة وكان هو يفعل معي كذلك ، وسنورد جل ما وقع بيننا من المطارحات اللغوية لان فيها فوائد لطلاب العربية .

في هذه الحادثة . وإني مرسل اليك كتابا جاء في من اليمن ^(١) ومنه تعلم
سوء تأثير الحادثة فيه واهتمام الامام بتخفيف أثرها لما كان قد بدى به
من مقدمات الولاء الذي نسعى له سعيه .

* * *

وكتب إلي في ١٨ صفر ١٣٤٢

سيدي الاخ الامير

الآن التي إلي كتابك المرسل من جنيف وامن أرسلنا كتاباً الى
الامير ميشال بك بشأن اجتماعكما . واني بعد قراءة الكتاب وقبل الشروع
في الجواب قرأت ورفأت من قصة آخر بني مرّاج فراءتني اعثر ببعض
الكلم والجل التي عهدتك لتعاضى مثلها ولولا ان هذه ترجمة قديمة الفتها
لاستبدلت بها غيرها واني اذكر لك أنموذجاً منها وهو يتعلق بأذيال
المعاني والبيان في الاكثر وباصل اللغة في الاقل وبعضها له نظر الى الدين
كقولكم في المقدمة : (وهو الزعيم بحسن المآل) فهذا صحيح باللغة ولكن
صفة الزعيم لم ترد في الكتاب ولا في السنة صفة لله تعالى وأسماء الله
وصفاته توقيفية فاستحسن أن يستبدل بها لفظ المسؤول . وكقولكم (وهم
في كل خمسة أيام يقيمون في المسجد الصلاة لاجل رجوع غرناطة الى يد
الاسلام) فالذي يظهر لي أنها ترجمة حرفية وان ما يسميه الافرنج بالصلاة

(١) أرسل إلي السيد رشيد جواباً جاءه من الامام يحكي يذكر له فيه حادثة
الحجاج هذه وما كان من هياج الناس في اليمن بسببها وانه بذل جهده في
التسكين تفادياً لشر اعظم .

في هذا المقام هو ما نسميه بالدعاء وهو من معاني كلمة الصلاة لغة ولكن غلب عليها معنى العبادة المعروفة .

وعثر فهمي في قولكم (بل لم يكن عندهم خارجاً عن أبراج الجراء ثمار طيبة ولا عيون صافية) فوصف هذه الاشياء بالخروج المنني عن ابراج الجراء فيه غموض وخفاء .

ومما قدم فيه المفعول المطلق على المفعول به بغير مسوغ قولكم (فانهم كانوا فارقوا فراق الارواح للاجساد ميدان ذلك الجهاد) ويتمين هنا العكس وقد وضعت عليها علامة التقديم والتأخير قبل اذنكم .

ومنه قولكم (شدة الحزن الذي ليس مثله في هذه القوى الانسانية الباطنة) فاستعمال (ليس) هذا الاستعمال الجرائدي أي يحذف اسمها او خبرها مما لم استطع فهمه على كثرة قراءتي له في كلام أكثر كتاب العصر وانزله فلمكم البليغ عنه فإما أن تقولوا كما قال الله تعالى (ليس كمثل شيء) أو ما يقرب منه وإما ان تأتوا بلا النافية للجنس التي نسيها جميع كتاب العصر حتى كأنها ليست من اللغة ^(١) الخ .

* * *

(١) كانت ترجمتنا لكتاب آخر بني سراج تأليف شاتوبريان منذ أربعين سنة وراعينا فيه الاصل الا فرنسي فوقعت فيه هنات اصاب السيد رشيد في انتقادها فمنها ما كان خطأ ومنها ما لا يصلح إلا بتخريج فعندما أردنا تجديد طبع الكتاب قرأه السيد رشيد فنبه الى تلك الالفاظ والجلل ونحن نعترف بوجاهة كلامه ولكن لفظة الزعيم عن الباري تعالى ليست منفردة بل معلق بها قولنا (بحسن المآل)

وكتب إليّ في ٢٢ شعبان ١٣٤٢

سيدي الاخ الكريم والوليّ الحميم

احبيك وأهنتك بقاء الامل والولد ثم بشهر رمضان ربيع ارواح المؤمنين
واني لني وحشة وأي وحشة لانقطاع مكنوباتك عني جزاء ما اعترف به من
نقصيري الذي اعتذرت عنه من قبل ورجوت ان لا أؤاخذ به وان لا
تكون مكاتبتنا كعبادة التجار هذا وانه لم يأتي مكنوب منك الا وكان
له مرجوع مني (الى أن يقول) : جاءني منك جرائد وكتاب مختار باشارحه
الله وكان هذا يقتضي كتاب شكر ولكنني لم اكن اعتقد انك تبقى في
الاستانة ولما طال العهد ورأيت ما تكتب إلى جريدة السياسة نويت أن
أأنتف الكتاب اليك لكثرة ما لدي من الانباء والآراء التي أرى من
الواجب عليّ أن أناجيك بها ومنها ما هو موضوع ما كتبت في السياسة وما
خصصت به صديقنا الثعالي واطلعت عليه . وقد كنت شرعت مرة في كتاب
اليك لم أمتنع إتمامه في ذلك اليوم فجاء محمد شفيع ورسم فوقه رسماً
أُتلفه به (يعني به ولده محمد شفيعاً وكان وقتئذ طفلاً) ثم قال : اطلعت على
كتابك الاخير الى صديقنا الثعالي وكان أطلعني على كتاب قبله من
الاستانة فاستحسن فيه ذهابه الى اليمن وكنت أولى منه بما كتبت اليه
فإنه عندما جاء كان وفدي قد ذهب الى اليمن برسالة لو رأيتها ...
وقد كان من تأثيرها فشل المفاوضات التي كتبت أنت ما كتبت بشأن

و (الصلاة) في كتب اللغة معناها الدعاء وقولنا (لم يكن عندهم خارجاً عن
الحراء) معناه لم يكن في نظرهم الخ . . . وقد لبينا طلب الاستاذ وصححنا في
الطبعة الثانية ما لزم تصحيحه .

الأنكار على ما بلغك من امرها . ولما وصل الوفد كان الكولونل جاكوب ضيفاً عند الامام في الروضة من ضواحي صنعاء وكان والي عدن قد كتب إلى الامام احتجاجات على تعدي رجاله على بعض البلاد المحمية (الى ان يقول) : وكان من فوائد الوفد توثيق اللودة بين الامام وبين سلطان نجد وهو ما كنت نجيحت في اقناعها به بالمكاتبه . (الى أن يقول) : لو ذهب صاحبنا فلان ومن شاء معه لما كاشفهم الامام بشيء من أسرارهم وهو لم يثق باخيك الا بعد مكاتبه ١٢ سنة كان البدء بها بعد إرسال رسول اليه أنذكر ان لك علماً بأمره وهو السيد محمد بن عقيل الشهير وكان قد جاء القاهرة لمذاكرتي فيما يجب ان يعمل في اليمن بعد مكاتبه بيني وبينه إذ كان في حضرموت وكلفته أن يذهب مع الوفد وقال إن تذهب أذهب حتماً والا حفظت لي الخيار الى ما بعد الحج وذهب من هنا الى الحجاز فرض — وهو عمراض — واشتد عليه المرض فسافر الى سنغافورة حيث محل تجارته (ثم ذهب الى اليمن وتوفي هناك رحمه الله) . ثم ختم السيد كتابه بأخبار تتعلق بالجمعية التي أسسها لاصلاح الحجاز وانه دعا الثعالبي للدخول فيها وانه كان هو وسيد كامل الحرر في جريدة السياسة من المعوقين للتنفيذ بسبب افتقارهما على امر واحد في قانونها وهو المؤتمر الاسلامي وانه وقع خلاف ودخل رجل في الجمعية للتوفيق بين الآراء هو عثمان باشا مرتضى وانه سيعلن تأليف الجمعية لان السيد أنفع معه باشا بها . الخ .

* * *

وله إليّ كتاب مؤرخ في ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٣ اول يناير ١٩٢٥ :

سيدي الاخ الكبير

أبظأت في الكتاب اليك في هذه المرة بالنسبة الى ما أحب أن
أناجيك به لا بالنسبة الى المبادلة في المكتوبات فانه لما باتني مرجوع
كتابي الاخير اليك ولعله لم يصل اليك الا متأخراً الخ . (الى أن يقول
عن طبع آخر بني مراج ما يلي) :

أحييت أن أقرأه كله وأكتب اليك بما أرى أن تصححه حتماً أو
ترجيحاً أو استحساناً فلما لم أجد فراغاً لذلك شرعنا في الطبع وعلمت
بأن ذلك في التصحيح لما لم أر بداً من تصحيحه بل لبعضه وتركت بعض
الجل أو المفردات التي يحتاج الفصل فيها الى مراجعتك أو مراجعة الكتب
وهي قابلة لثلا يطول الزمان ولا سيما اذا كانت تختمل وجوهاً من
التأويل على ما كتبت إلي في مثلها مما استحسنيت تنقيحه بما هو اولى
بقواعد علم المعاني منه .

(الى أن يقول) : ومن أسباب تأخير الشروع في الطبع أولاً أنني
كنت أرجو أن تحيي مصر وأن نقرأ القصة معاً ونذاكر فيما يحسن
تصحيحه أو تنقيحه منها وذلك ان عبارتها دون ما يعرفه العلماء والادباء
من كتابتك بأنها ترجمة وبأنها من أول العهد بشمرتك على الترجمة على ان
اسلوبها الفتي هو اسلوبك الكهل في روعته وجماله وبلاغته وابداعه كثيراً
من فرائد اللغة وطرائفها وإنما نقف انهم بعض ادباء العصر واذواقهم في
بعض المفردات وبعض التراكيب وقد يكون منها ما هو خاص بأذواق
أدباء مصر الذين لا ينكرون انه صحيح وانه كان مستعملاً في كتابة

البلغاء بل في كتب الشرع ككلمة «التناكح» امكنهم يستمجنون مثل هذه الكلمة في الرسائل الادبية لان هذا اللفظ صار في عرف بلادهم مرادفاً لاصرح الفاظ الوقاع . وقد كنت عازماً على أن لا أذكر مثلاً لئلا بشير بحثاً وجدالاً نحن في غنى عنه وان إخلاصي في مودتك وحرصي على المحافظة على صينتك الذي أخذته بحق هو الذي حملني على ما كنت لولاهما في غنى عنه . الخ .

ثم انه يذكر لي مسائل متعلقة بمؤتمر الخلافة الذي كان انعقد في مصر تلك السنة كما لا يخفى . وبعد ان لامني على مكاتبة بعض المشتغلين في ذلك المؤتمر على توهم انه من ذوي الشأن فيه قال ما يلي :
اقتربت علي أن أكتب الي بعض معارفي في البلاد الجاوية بوجوب إرسال وفد الى مؤتمر الخلافة وكنت قد فعلت وطلبت أكثر من ذلك : طلبت إرسال وفود من الجاوبين ومن العرب المقيمين في تلك الجزائر وأكثرهم حضارمة وطلبت عناوين جميع السلاطين والامراء التابعين لهولندة وانكلترة وهي كثيرة . ولكن العرب هنالك مختلفون والسادة والتمشيعون لهم من العرب والجاوبين متشائمون من مؤتمر مصر ومنهم من بنوي الاحتجاج على جعل الخلافة بمصر وأكثر الجاوبين القح بودون ان يكون الخليفة بمكة فهذا اهم كليات آرائهم بالاجمال . ولكن الامر المهم ان رفاقنا أعضاء مجلس ادارة المؤتمر هنا مقصرون في كل ما يجب عليهم من علم وعمل لهذا المشروع ولا أستطيع ان اقول أكثر من هذا^(١) .

(١) بعد الفاء تركية للخلافة بادر العقلاء والمفكرون من المسلمين إلى النظر في هذا الموضوع حتى لا يبقى الاسلام بلا خليفة وكان محور هذه السطور بمن -

وفي خاتمة هذا الكتاب يذكر لي السيد رشيد التماس بعضهم منه التوسط في الصلح بين الملك علي بن الحسين الذي كان محصوراً في جدة وبين ابن سعود وانهم استعجلوه واقترحوا عليه انه إذا كان يرضى أن يدخل في هذه الوساطة يكتب اليهم بقرينة بكلمة «مقبول» فيستقدمه الملك الى جدة فأجابهم بأن الصلح اذا لم يكن مبنياً على أساس ثابت فلاخير فيه وقد بين الاسباب التي يراها مانعة من عقد صلح متين .

ومنه لي كتاب مؤرخ في ١٥ يناير سنة ١٩٢٥

صيدي الاخ الامير حياه الله تعالى

أول من أمس التي إلي كتابك المرسل من برلين مؤرخاً برقم واحد

— أشار بمالجة هذه المسألة في مؤتمر إسلامي عام فصادفت هذه الفكرة قبولا في جميع الاندية الاسلامية وبالاختصار نقول ان مؤتمر الخلافة انعقد في مصر سنة ١٣٤٣ وبعد أن تذاكروا ملياً في الموضوع لم يجدوا مملكة اسلامية في هذا الوقت تقدر أن تقوم بشروط خلافة سوى مصر ولكن الاحتلال الانكليزي وعدم تمتع المملكة المصرية بتمام استقلالها بومئذ جعل سبيلاً للاعتراض على جعل الخلافة في مصر وكان أكثر المعارضين هم من مسلمي الهند والجاو ولا نظن نحن الآن بعد زوال المانع المذكور أن جمهور المسلمين يعترض بعد الان جعل الخلافة في مصر غير أننا أشرنا في مقالة لنا بيجريدة كوكب الشرق نشرناها من شهرين أن الأولى بالمسلمين أن يتربصوا ريثما تكون مصر نظمت جيشها البري وقوتها البحرية والجوية ويكون مضي عدة سنوات على الطور الجديد الذي دخلت فيه ويكون ملكها الشاب قد حقق ما نتوهم فيه الناس من أمائر الخلد .

من هذا الشهر ولكنه خرج منها في ٦ منه ووصل كتاب قبله باسم الشقيق
الخ ٠٠٠ وهنا كلام يتعلق بطبع آخر بني سراج ثم فيه يأتي : وهاك
الجواب عن أهم مسائل الكتاب :

(١) ما وصفت من حالك وحالي هو الواقع وهو الواجب أن يكون
في الوسائل كالمقاصد ومن صفاتنا المشتركة العامة ان كلاً منا قد حذق
المناظرة والجدال ولا ينبغي أن يقع ذلك بيننا وان توخينا انقاء المراء فيه
والانتصار للرأي وتحرينا الحق دون القلب . وإنما الذي يحسن منا بيان
كل ما يجب أن يعرفه اخوه من رأيه بدون اسلوب الرد كما أشرت اليه
في كتاب سابق فإن رأى أحدنا ان قلم الآخر قد جمع به بتأثير العادة
فدخل في ميدان الجدل والاحتجاج ولو بغیر قصد وصارت مجاراته فيه
من قبيل المسابقة والمباراة فليحسك كما فعلت في مسألة ما اقترحت تنقيحه
من جمل الرواية بما هو أفصح منه وادخل في قواعد المعاني والبيان . فليس
كل ما كتبه أخي في الموضوع كان مسلماً عندي بل بعضه - وكذلك ما
كتبه في مسألة الحجاز ونجد - فرأيت ألا اعود الى الكلام في غير السلم
لانه ليس من المقاصد التي يضر تركها ميبهاً وليس من البديهيات التي
يتم الاتفاق عليها بوجيز من القول ومثل هذا لا يسهل إيضاحه إلا
بالمشافهة .

(٢) معاهدة ابن صمود مع الانكليز كان أخبرني بها الملك فيصل
الذي نشرها في هذه الايام في بعض جرائد العراق وأرسلت نسخ منها الى
جرائد سورية ومصر وكنت أشرت اليها في بعض مكتوباتي الى ابن

سعود وقلت له انهم كانوا أحوج اليكم منكم اليهم ولهم يرضون منكم بما دون تلك القيود التي ظننتم انها لا تضركم لانكم تنوون أن يكون لكم علاقة ما بالدول ... ولم يجيني على هذا المعنى ولكنني ذكرت له ان المخرج منها يسهل الان بمخالفتهما في ما يحتاج الى المخالفة فيه فنسقط بنفسها إذ لا يمكن أن يترتب على مخالفتها حرب وإنما ينحصر تأثيرها في الاستغناء عما التزموه له اذا هو التزم الوفاء بما عاهد عليه منها . وهو قد خالفها في أمور متعددة منها مهاجمة العراق ثم مهاجمة الحجاز أخيراً ومنها الاتفاق مع إمام اليمن بدون علم منهم والاتفاق قبل ذلك مع الادريسي بما بعد معاهدة مدونة^(١) .

(٣) اشاعة وعد ابن سعود للانكليز بالاغضاء عن العقبة ومدابن صالح ومعان إن لم تركوه يملك الحرمين لم أسمع بها وأجزم بأنه لا أصل لها^(٢) وإنما رأيت أخانا الامير عادلاً يخشي أن يكون عدم سبق ابن سعود الى احتلال هذه المواقع مبنياً على ما ذكرتم والامير عادل شديد

(١) كان الانكليز عقدوا مع ابن سعود وهو بعد في نجد معاهدة خدعوه بها وحملوه على تعهدات تمس في الحقيقة استقلاله الا انه عندما استولى على الحجاز تنبه للامر وعقد معهم معاهدة بحرة التي ألغى بها المعاهدة السابقة وكان السيد رشيد من أصر عليه في نقض تلك المعاهدة الخبيثة التي تقدمت فصار بعد ذلك حكماً لغواً ...

(٢) نعم قد أشاع ذلك بعضهم ولعلها من أوضاع الفئة الاخرى وإذا تبدل الحكم في مملكة من الممالك كثرت الاقاويل ولكن لم يكن لتلك الاراجيف أدنى نصيب من الصحة .

النشأؤم والنقد فلما يظن غير السوء وأنا لم أسمع ما ذكر إلا منه : ان دين
ابن سعود وتمصبت قومه يحولان دون الاتفاق مع أجنبي على حصة من أرض
الحجاز أولم يبلغك ما كتبه الى نوري شعلان من السماح له بالمقام في
الجوف بشرط منع الانكاز من مد سكة حديدية تمر منه إلى العراق
والامير عادل قد رأى هذا الكتاب . ثم إن ابن سعود صرح هو وابنه في
بعض ما نشرنا يمنع الاجانب من الجزيرة .

(٤) أما الاشاعة الثانية وهي وعده لهم بمجدة وبنبع والعقبة فهي
أغرب ولم أسمع بها قط ويظهر أن الدعاية الحجازية لادخال ذلك عليك
تفوق الدعاية لغش سائر العالم وحسبك من افتراء القوم علي . أنا بانني
كتبت لابن سعود ما سألتني عنه من انحراف الناس في مهزلة . . .
وهو بهتان محض لا أصل له .

(٥) قررت لجنتنا تأجيل المؤتمر وستعرض قرارها على مجلس إدارة
الخلافة الذي يعقد بعد غد وقد ضاق الوقت الآن والسلام .

رئيس

وكتاب تاريخه ١٩ المحرم ١٣٤٣ و ٢٠ اغسطس

أخي الكريم وولي الحميم

السلام عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد فقد ألتني إلي كتابك الكريم
المؤرخ في أول اغسطس فبادرت إلى إيدان أعضاء اللجنة بوجوب عقد
اجتماع خاص لتنفيذ اقتراحك فتيسر ذلك في مساء ١٧ منه إذ كان
ينجيب بك غائباً قبل ذلك (وهنا كلام يتعلق بطبع بعض الكتب ثم يقول) :

كنت عقب فعلة الكمالين^١ بخلافتهم شرعت في كتابة مقالات
الاهرام للتنبيه والتذكير بما يجب أن يعمل إذ رأيت العالم الاسلامي
اهتم بفعلتهم الاخيرة ما لم يهتم بما قبلها لانه كان يحتمل التأويل من
كتابة الجاهلين ثم قرئت^(١) مما قرأتُ وسمعت فتركت الكتابة أشهر
كثرت مطالبة الناس إياي بالعود الى ما تركت واتمام ما بدأت فلم أجد
بدأ من الاجابة . وفي المقالة السادسة التي نشرت في العدد الذي صدر
صباح اليوم نقلت بعض الآراء التي كتبتها إلي في كتابك للطول
وبينت فيها وجه إنكاري على الرأي الذي كتبت اليك انه أبعد تلك
الآراء عن الصواب عندي ولم أصرح بعزو المنقول إلي إسمك ولا إلي
بعض الالقاب التي اشتهرت بها^(٢) . وفي نشر تلك الآراء حكمة لا محل

(١) استعمل الاسناد هنا لفظة « قرئت » بمعنى ضجرت وسمعت وهو
استعمال عامي لا أصل له في اللغة فالقرء بالتحريك مدانة المرض وفي الحديث
إن قوماً شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وباء أرضهم فقال لهم : تحولوا
فإن من القرء التلف . قال ابن الاثير : القرء ملاسة الداء ومدانة المرض
والتلف الهلاك .

(٢) هذا الرأي كان نقل الخليفة عبد المجيد الثاني الى بلد إسلامي كالحجاز
أو اليمن أو جعل مركزه في الموصل بين العرب والأتراك والاكراذ على أن
تبقى حكومات تلك البلدان كما هي الان ولكن الخليفة يكون خرج من
بلاد الاجانب وسكن في بلاد الاسلام فالاستاذ لم يستحسن هذا الرأي لاسباب
ذكرها وإنما كنت أنا فيه متابعاً لكثير من المسلمين الذين كانوا يزورون عاراً بقاء
خليفتهم بالامس حيران قائماً في بلاد الاجانب لا يقدر أن يطاء بقدمه بلد إسلام .

هنا لشرحها . وإن فيما كتبت مسائل أخرى قد اختلف فيها الفهم والمراد
بيننا وأهمها مسألة إمكان نصب خليفة مستجمع للشروط الشرعية ؛ والحق
أن ذلك ممكن وإنما علة العلل جهل العالم الاسلامي وتخاذله وعدم وجود
هيئة تمثل مراد الشرع من الحل والعقد أو يكون لها نفوذ معنوي يحترمه
العالم الاسلامي كاحترام أهل الحل والعقد — اني بينت حقيقة شكل الخلافة
لا لأن لي رجاء قوياً بأن يقوم به المسلمون اليوم وقد صرحت في
كتاب الخلافة بأنه لا يقدر على إقامتها على الوجه الموقت ثم ما بعده
إلا التبرك بحكومتهم الجديدة لاقامة الحجّة عليهم وعلى غيرهم وكما أنه
لا يرجى إقامة الامامة الحق كما يجب لا يرجى إقامة خلافة قرنية منها
يعترف بها العالم الاسلامي كله . وسيكون المؤتمر عقياً إذا لم يجتمع فيه
أمثل عقلاء المسلمين المعتدلين من طلاب الإصلاح الديني المدني وقد كان
جهل المسلمين حقيقة حكومة الاسلام من أكبر المائب فسنحت الفرصة
لإعلامهم بها والعلم لا تنكر فائدته ولم يكونوا قبل الآن مستعدين لفهم
ذلك . والمسألة طويلة الذيل لا يمكن بيانها بالكتابة مهما طال والسلام
عليك من أخيك

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٢٤ ربيع الاول سنة ١٣٤٣

سيدي الاخ الكريم

وصل كتابك المتبسم بظفرنا السياسي والديني في الحجاز ثم قرأت مقالك

في جريدة (الاهرام) فرأيت فيها ما يخالف رأيي في بعض الآراء ومما يخالف ما عندي من العلم اليقيني في بعض الاخبار وتميت لو كنت اطلع على جميع ما كنت نشرته في هذا الموضوع ولأنا أشد أتمنيا لو امكر أن تمر بنا في طريقك الى اوربة^(١) فاطمك على ما لا يمكن ان يكتب في الجرائد ولا في الرسائل البريدية مما كتب الى سلطان نجد وإمام اليمن وما كتب إلي لتكون على معرفة وبصورة تامة من خفايا قضيتنا الكبرى فيكون ما ترتأي وما تقترح بفكرك المنير وقلبك الاعلى في التحرير نتيجة مقدمات يقينية لا خطابية ولا شعرية .

بالت في جملة حسين وانصاره فوضعت الندي في موضع السيف كمادة الشجاع الكريم في وقت الظفر وزكيت ولده علياً بشهادات لا تدل على هذه التذكية وإن فرضنا أن أصحابها عدول وأنا أشهد مع الشاهدين بأن آداب حسين وأولاد حسين كلهم مع الناس ولا سيما الغرباء الذين لا سلطان لهم عليهم آداب جميلة كأدب أرقى الترك في الاستانة - وأعلم مع هذا علماً صحيحاً أن حسيناً لم يترك إيوان كسريوبته ولم ينزل عن عرش قيصريته وهو يرجو البقاء فيها بقوته الهاشمية أو بحماية «العظمة البريطانية» إيثاراً لحقن الدماء وتزجها لحرم الله تعالى ان يبلطخه بدم العرب كما لطخه بدم الترك والعرب من قبل . انه لو كان يرجو او يظن انه يمكنه البقاء هنالك واقتداء نفسه بالالوف من الحجازيين وغيرهم لفعل ذلك ضاحكاً مسروراً بلذة الظفر ولذة الشهير بالوهابيين في البدو والحضر . ولكن كل قوته الحرية او جلها كانت في الطائف وفي هدى وهو موضع (١) كنت في مرسين و كان مرادي أن أعود الى جنيف .

بينه وبين عرافات بطريق مكة في شناخيت جبال من معانل المصم^(١) تعجز عن تساقه الممر وقد رُفعت اليه المدافع في وقت السلم قطعاً مفككة وهي أحدث المدافع السريعة التي يخرج منها في الدقيقة ٢٥ قذيفة تنفجر في الجو فتقتل الواحدة منها خلقاً كثيراً يديرها ضباط معلمون وجنود يمانون عمرنون وفي كلتا المركبتين ظفر الوهابيون وغنموا ما هنالك من سلاح وعتاد بعد أن فرّ الأمير علي ملك جدة اليوم منهزماً منها ثم من مكة الى بحرة ومنها الى جدة بدون قتال لا إبطاءً لحقن الدماء كما زعم من معه في جدة الخ. (ثم ذكر اعمالاً متعلقة بإدارة الملك علي رحمه الله لا فيجد لزوماً للكلام عنها لا سيما أن الاستاذ كان في الصف المتأخر لذلك البيت الذي أنصاه يردون كلام الاستاذ حقاً كان أو باطلاً واننا في نقل هذه الرسائل الخاصة مضطرون الى حذف كثير منها مما نشره بوغر الصدور بعد أن مضت تلك الحوادث ودخلت في التاريخ الا اننا مضطرون ايضاً الى نقل العبارات المتعلقة بالسياسة الاسلامية العامة وان شذّبناها بقدر الامكان وذلك كقوله في هذا الكتاب نفسه) : وأول عمل سيامي له امره لفلان . . . بامضاء المعاهدة البريطانية العربية التي تجمل للانكليز الطامعين حقوقاً قضائية وسياسية في الحجاز فهل يجوز لاحد يؤمن بالله وبرسوله الذي اوصى في امر الحجاز وسائر جزيرة العرب بما اوصى قبل وفاته بخمسة ايام ان يجعل هؤلاء ادنى نفوذ او سلطات في الحجاز

(١) رأيت هذه المعانل بعيني رأسي وصعدت الى أعلى الجبل التي هي فيه ويقال له جبل الهندي وسمعت هناك ان الحامية التي كانت فيها تركتها بدون قتال .

ومن مواطن الضعف أن يوصف حسين بالخاص لقومه الجدير بأن لا ينسوا فضله بأن يرجعوا اليه اذا حزبتهم الخطوب . فإن صح هذا الوصف بضرب من ضروب التأويلات الجدلية ؟ فأبي خائن أو جاني على امته بعجز أن يتأول لنفسه او يتأول له من شاء بمثل ذلك ^(١) .

(١) كنت في الصف المقاوم للملك حسين قبل الحرب وايام الحرب كما يعلم ذلك الجمهور منتقداً سياسته في الخروج على دولة الخلافة واكثر من هذا في ثقته بالدولة البريطانية وعمودها و كان الملك حسين عفا الله عنه وانصاره من العرب يحملون على حملات شديدة باللسان والقلم وكثيراً ما كتبت جريدة القبلة طعناً وقذفاً بحق كاتب هذه السطور يدل على ما هناك من ضغن ولم يكن بينهم من هو عفا اللسان بحقي غير الملك فيصل . وكنت احبه منذ كان زميلاً لي في مجلس الامة بالاستانة وانتهت الحرب العامة وتقامت دول الحلفاء البلاد العربية وظهر ما ظهر من نكث الانكليز بعمودهم وبقي الملك حسين عفا الله عنه مستمراً على الوقيعة بي بالرغم من أني عند تأسيس الحكومة المستقلة في دمشق أعلنت وجوب تأييد فيصل والانضواء تحت لوائه وكتبت في الصحف والى أصحابي بأنني كنت ضد الملك حسين وأولاده في خروجهم على الدولة لاسباب يعرفها الخاص والعام ولكن متى صارت المسألة بينهم وبين الاجانب فلا سبيل للتردد في الانتصار لهم لان القضية تكون حينئذ بين عربي وأجنبي . فلما زحف ابن سعود على الحجاز ونشبت الحرب بينه وبين الحسين خفت أن تقع مذابح وتزل بأهل الحجاز مصائب وان تسيل الدماء في باحة المسجد الحرام فيحترقنا الاجانب ويشمت بنا أعداء الاسلام فكنت ذلك اليوم من دعاة الصلح بين الحسين وابن سعود وإن كنت في ذات صدري أميل إلى ابن سعود وأحسن رأياً فيه مني في الحسين -

قال شيخنا في السياسة السيد جمال الدين شيخنا في العلم الشيخ حسين

— بتأثير ما كان قد سبق من العداوة بيننا فكنت في تلك الاونة أغلب هواي وأدعو الى الصلح بين المملكين لاجل حقن الدماء وكان السواد الاعظم من الامة على هذا الرأي وبينما نحن نتقرب توسط المسلمين في الصلح بينهما إذ فاجأت طلائع الوهابيين مدينة الطائف ولم يكن لابن سعود علم بمجر كتمهم وبمعلمهم فدخلوا البلدة عنوة وذبحوا عدة مئآت من أهلها المساكين وقتل من الجملة صديقي الشيخ حسن الشبيبي الذي كان زميلي في مجلس الامة في الاستانة كما كان الامير فيصل ابن الحسين وقرأت هذا الخبر وانا في جنيف حيث أنا الآن فارتعشت وأسرعت بالابراق الى بعض أصحابي بفلسطين ليحملوا المجلس الاسلامي الاعلى على المتوسط فملاً بين المملكين حتى يتهادنا ثم نقع الصلح وكان أكثر خوفي هو أن يدخل الوهابيون الى مكة فيقع فيها ما وقع في الطائف وتكون فظيعة شنعاء في تاريخ الاسلام فبادر الحاج امين الحسيني وغيره من رؤساء هذه الامة للتدخل لدى ابن سعود في الصلح حقناً للدماء وانتهالت البرقيات على جلالته سلطان نجد يومئذ بطلب منع الوهابيين من الفتك باهالي الحجاز وكان السلطان عبد العزيز قبل أن يأتيه النداء من العالم الاسلامي في هذا الموضوع قد تقدم بنفسه وعجل بالاواسر الصارمة الى النجديين فلم يتكرر شيء يشبه حادثة الطائف بل دخل النجديون الى البلد الامين وطافوا بالبيت الحرام بلا سلاح ولم يقع أدنى حادث منكرو بفضل حزامه ابن سعود وصرامته .

أما السيد رشيد فكان يرى ضرراً على السياسة الاسلامية بقاء الحسين أو أحد من آله ملكاً على الحجاز وكان معتقداً ذلك لا يتروح عن اعتقاده هذا فلذلك تلقيت منه كتابات كثيرة تتضمن التأييد لي على ما كنت اكتبه من —

الجسر : إننا لا نخطو خطوة إلى الامام ما لم نعطي كل ذي حق حقه
فنسبي المحسن محسناً كما نسبي المسيء مسيئاً وإنما يحسن العفو والمجاملة في
الحقوق الشخصية دون القومية والمالية . قال لي شيخنا الاسناذ الامام : إنني
عفوت عن جميع من أساء إليّ وعاشرت كثيراً منهم وساعدتهم ولكنني لم
أستطع ان أصفح عن نذري خانوا الوطن في عهد الفتنة العرابية ولا أن
أكلهم كفلان باشا وفلان باشا . ولما صرتُ عضواً في مجلس شورى القوانين
عظم عليّ أن أكون في مجلس يرأسه فلان باشا أو يضمني معه مكان
فرحمي الله تعالى بموته قبل أن أبتلى بذلك (الى أن يقول الشيخ رشيد) :
كتبت هذا الى اخي وولي في خدمة هذه الامة مقدمة بين يديّ .

اعلامه بأننا نحن العاملين لهذا الانقلاب لا نفيّز اماره أحد جربناه (الى
أن يقول) : انني لا أشك في حسن نية أخي فيما كتب ولا أشك في
قدرة قلمه البليغ على إجزائه في معارض أخرى من البيان ولكنني أحب
أن يعلم أن المسألة لم تبق من المسائل النظرية التي نتحاج فيها لنستبين
الصواب فتعمل به بل هي مسألة عملية مبنية على حجة يقينية فاذا استحسنها
كما نرجو تعاوناً معه على تنفيذها وإذا كانت اليناث عنده غير كافية
فالمرجو أن لا يكون قلمه الصارم قوة لخصومنا . لا أعني بخصومنا من بقي
في وطننا من المفردين بهؤلاء وهم قليل فنحن لم نبال بهم حين كانوا هم

— قضية الوساطة في الصلح . ومن البديهي أن العداوة الماضية التي كانت بيني وبين
الملك حسين وهو جالس على عرشه كانت قد زالت بسقوطه وحل محلها الشعور
الذي يحل بكل خصم كريم الطبع إذا رأى خصمه مصاباً . وعند الشدائد تذهب
الاحقاد .

الاكثرين وإنما خصومنا هم الاجانب الذين سعوا جد السعي لايجاد خصوم
للوهابيين وانصار للفئة الاخرى يرتفع صوتهم في الجرائد ليكون ذلك
وسيلة لتدخل الحكومة البريطانية في مسألة الحجاز بحجة خدمة الاسلام
والمسلمين فأظفروا الله تعالى عليهم وأحبطنا دسائسهم التي لم يتدنس بها
كاتب مسلم معروف . أما وقد علمت هذا وما قصصناه من قبل فلا ريب
بأن صار ملك النار لن ينبو بعد في جهاده معنا الخ .

ثم إن الاستاذ يذكر في نهاية هذا الكتاب أن أخى عادل وغيره
حملوا اصحاب النفوذ في العالم الاسلامي على إقناع ابن سعود بمصالحة علي
ابن الحسين لانهم خافوا من وضع جدة تحت الحماية البريطانية فصارت ترسل
البرقيات بهذا المعنى ولكن العالم الاسلامي لم يظهر الجروح الى هذه الدعاية
وإنما مال اليها الشيعة في ايران والمحدرة لشدة التباين بينهم وبين الوهابية
على ان رجال الجامعة الاسلامية وأعداء السياسة البريطانية في ايران يفضلون
سيادة ابن السعود في الحجاز والعرب على سيادة الحسين وأولاده كما يعلم
مما علقته جريدة « اتحاد اسلام » على منشور فيصل نجل سلطان نجد وستراه
في النار .

* * *

وكتب إلي في ٨ ربيع الاول ١٣٤٣

سيدي الاخ الكريم والولي الحميم

كنت متوقفاً وصول كتاب منك في هذا اليوم فوصل وكنت عازماً على
الكتاب اليكم على كل حال على كثرة الاعمال وضيق الليل والنهار عن
الهم منها . اما ما في الكتاب للجنة فسنجمعها لاجله واما الخاص بي منه

فكل ما ذكرتموه فيه حق ومعروف عندنا وقد سمعنا أكثر مما سمعتم من الآراء الشاذة الدالة على الشعور المضمر وجميع رفاقنا يعرفون كنه ذلك وقد سبق لي مکتوبات أدليت اليك فيها بشيء منه وكم تجدنا فيما نقترحه الان وكم هممنا ولم نفعل . واما الان فنحن على باب طور جديد للمسألة العربية عجبت من عدم إلمامك بشيء من حديثه وهو يروز قوة نجد للميدان وزحفها على الحجاز وقد ثبت ان حسيننا سقط مخلوعاً او متنازلاً وان اهالي جدة بايعوا ولده علياً بملك الحجاز وحده ولا بد أن تكونوا علمتم بذلك وسترون بعض التفصيل في الجرائد المصرية -- واما الثالث الذي بيني وبينك فلا يتسع الوقت للفكر ولا للكلام في اللغة والادب اللذين هما موضوعه فنعود الى الطور الجديد في المسألة العربية فنقول فيه كلمة وجيزة .

قبل الكلام في الطور الجديد أجيبك عن مسألة الثعالبي بأن ذهابه الى اليمن قطعي وقد كتب من عدن الى صديق له من المفاربة وآخر من فلسطين . ومما كتبه للاول انه لما عرف فلاناً تبين له انني لم اكن مبالغاً في شيء مما كتبه عنه . ومنه انه عرض عليه إمضاء قرار للمؤتمر الاسلامي فأبى وقال ان المؤتمر لن يقرر ذلك ومثله سليمان باشا الباروني .

ثم أجيبك عن مسألة الاحتجاج من بعض اللجان على إخراج جماعة حزب الاستقلال فهذا صحيح ولكن العلة التي ذكرتموها لم تخطر في بال احد منا بل نحن لا نجتمع الا اذا وردت لنا مکتوبات او برقيات منكم ولم يتذكر احد منا فيذكر اللجنة بهذا الاحتجاج . والتقصير في هذا يقع على مندوب حزب الاستقلال معنا وهو اسعد افندي داغر اه .

ثم يذكر الاستاذ شمانة مسلمي مصر والهند بخذلان الملك حسين وما

كُتبت عن ذلك الجرائد ويقول انه حصل انقلاب في الرأي العام من جهة
الوهابية بعد ان نشر هو مقالات في شأنهم ووزع الوفا من « الهدية السنية
والنخفة النجدية » وان شيخ الازهر قال له في ملأ من علمائه : جزاك الله
خييراً بما أزلت عن الناس من الغمة في أمر الوهابية . وانه قال له ايضاً :
ما زلت بملك الحجاز حتى اسقطته عن عرشه . ثم يذكر الاستاذ ان
استيلاء ابن سعود على الحجاز هو المشروع الذي نتم به أطمینتنا القديمة في
توحيد قوى الجزيرة وإصلاح امرها . ثم يعود الى لومي في ماسقت به
من الدعوة الى الصلح فيقول : انك انت انت على علم مكانتك في السياسة
العامة والعربية خاصة اقترحت على المجلس الاعلى في القدس بأن يسعى للصلح
وانا اعتقد اعتقاداً جازماً ان هذه الفرصة للعرب الآن أرجى من الفرصة التي
سنت في اول الحرب الكبرى وأضاعها الملك حسين واولاده الخ .

ولهذا الكتاب ملحق تاريخه ١١ ربيع الاول بقول فيه انه قد قبل
الدخول في لجنة مؤتمر الخلافة التي ألفها كبار العلماء وبعض الوجهاء وانه
سيقدم اليه بالنظر في دعوة مندوبي الشعوب الاسلامية الى المؤتمر وانه
سيعمل برأيه في قبول من كتب منهم الى المؤتمر يطلب الدخول فيه
ويقول لي انه سيدعوني قبل كل احد ثم يقول انه دُعي الى لجنة هذا
المؤتمر من قبل فلم يقبل لعدم ثقته بقيامهم بأمره والآن يقولون انهم عزموا
على الجد الخ . .

* * *

وله كتاب في قضية الخلافة فقدت أوله وإنما وجدت فيه ما يأتي :

المخلافه والاهواء والمؤتمر

يا حسرة على المسلمين ! ما كنت أدري قبل هذين العامين أنهم وصلوا إلى هذه الهاوية من الجهل واتباع الهوى وأنا الذي سلخت ٢٧ سنة أو أكثر وأنا أشكو من جهل علمائهم وفساد امرائهم وغباء دهمائهم . انهم لا يزالون يتخبطون في هذه المسئلة تحبط المصروعين وقد هدبناهم السبيل وأترونا لهم الدليل وبعد أن ملأ علماء الازهر أرجاء العالم جهلاً بما بايعوا خليفة الاستانة بالامس وبما قاموا يكفرون حكومة الكالبيين اليوم ويدعون الى قتالها لارجاعها عن بغيها على خليفة الرسول وامام الامة بزعمهم بعد هذا وبعد ان كملت شيخ الازهر وسكرتير المعاهد الدينية في هذه الفضائح وبعد ان عرفوا هوى عابدين في المسألة اصدروا قرارهم الرسمي باسم هيئة كبار العلماء فقالوا الحق في خلافة عبد المجيد والتزموا الدعوة الى المؤتمر وابتعدوا موعد عقده فجعلوه في مثل هذا الشهر من العام القابل وألقوا له لجنة اكثر أعضائها ممن بايعوا عبد المجيد ثم نصرروه بعد إخراجهم فزعموا ان بيعته لا تزال في أعناق المسلمين ٠٠٠ وقام آخرون منهم ومن غيرهم من أصحاب الاهواء حتى النساء يردون عليهم ويفندون قرارهم ويرمونهم باتباع الهوى وتعددت اللجان الداعية الى المؤتمر . ومن مفتوني طلاب الشهرة فيها الشيخ فلان الذي دخل في لجنة صديقنا فلان . وقد كنا اول من مهد السبيل لهذا العمل فلما رأينا تراحم الاهواء تركنا لهم الفضاء ولو عقد المؤتمر من أمثالهم لكان يكون شر فضيحة وخزي على المسلمين يسجل عليهم الهوان والضعفة في العالمين وانني لم أسمع من أحد ولا عن أحد

رأياً صحيحاً في هذه المسألة . ولا تسلم عما كان من اهل سوريا وفلسطين
في مبايعة الملك حسين الخ . . قد كتبنا الى إمامي اليمن ونجد . نسألهما عن
رأيهما في المؤتمر والاشتراك فيه . والسلام عليكم وعلى الشيخ الصالح السيد
السنوسي أولاً وآخرأ .

اخوكم
محمد رشيد

من هذا المکتوب يفهم انه جاء في أيام كنت في مدينة مرسين
وكان السيد احمد الشريف فيها وفي هذا المکتوب نفسه جملة أخرى
تتعلق بإحد الزعماء المعروفين في العالم الاسلامي كنت نصحت للسيد رشيد
بأن يعتمد عليه فأجابني بما يلي :

انا اعرف الشيخ . . . منذ أكثر من ربع قرن فقد كان هناك وقد
صحب المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي صحبة لزام . واطلقت تعلم أن
لقب « الشيخ » موروث له عن جد له قد اشتهر بالصلاح والولاية وهو من
ذلك العهد فصيح اللسان جري الجنان واسع الحرية ولع بالسياسة الاسلامية
لطيف المعاشرة مربع الميل والحكم كثير النقد . لا اذكر انه وقع
بيننا في العشرة الاولى وقد وقع بيني وبين صديقي وصديقه المرحوم
الكواكبي مناقشات شتى بدون أدنى مغاضبة . وقد أفكرت منه هذه المرة
بعض الآراء ولم يحل لي وجهه في فرصة واسعة لأنظره فيها ولم أكن
راضياً بل تأملت من سيرته معنا في مسألة جمعية (السلم العام في بلد الله
الحرام) ومآعابه عند الخلوة فقد كاد يفسد علي الجمعية التي أعدها اساماً

من أسس الإصلاح الكبرى وأرعى بها إلى مصالح شئ ثم كاد يجعل
زمامها بيد غيري ممن لم يفهم ما فهم إلاّ .ني وأنا موافق بأنه لم يفقه أحد
ممن دعوتهم إلى هذا الاسم كل مرادي منه ولا يوجد فيهم أحد يرجي
منه الثبات على الجهاد في سبيله . ثم لم يكتف بما فعل مع صاحبه حتى
أباح لنفسه الانفراد بادخال بعض الناس في الجمعية قبل الاتفاق على القانون
وخلافاً لما تواطأنا عليه من عدم انفراد أحد بدعوة أحد حتى انه دعا السيد
عبد الحميد البكري لقبول الرئاسة الاولى فاستمهلته وذكر لي ذلك . وكنت
قد ذكرت له خبرها وموضوعها قبل مجيء صاحبك الى مصر . وانني كنت
أتمنى لو يكون هو رئيسها لولا ما كان من غلظه بالانتظام في ملك حزب
كذا . وقد استخف هو صاحبك بدعوته إياه الى ما لا يملك تنفيذه هذا
وانني انا الذي عرفت البكري به واقترحت ضمه إلى جمعية الرابطة
الشرقية والى حفاوة مجلس ادارتها به . ثم عقدت رابطة المودة الخاصة بيده
وبين بعض أعضائها وكان أحظاظم عنده وأعجبهم اليه فلان (وذكر الاستاذ
هنا تعريف فلان هذا بما لم نجد لزوماً لذكره هنا الى أن قال) : وأصدق
أصدقاء هذا الرجل هو الشيخ كذا الذي تخرج في الازهر ثم سافر الى
فرنسة فدرس فيها عدة سنين ولهم جمعية خاصة وكثير من الناس يتبعونهم
بانهم دعاة الحاد . وأما انا فلم يقع بيني وبين أحد منهم نزاع ولا خصام
بل كلن بيني وبين والد الشيخ . . . مودة لانه كان من أصدقاء الاستاذ
الامام إلاّ . أني رددت عليه رداً شديداً في جريدة كذا في الليلة التي تسلكم
فيها عن السيد جمال الدين وربان ففتحت الباب لمن استأثروا منه فشقوا
الجرائد الكثيرة بالطنن فيه وقد رأيتهم ردي عليه في المنار وبلغني انه

قال : انه لم يكتب رد بمقل غيره وهو أديب مهذب جداً لم يقاطعني بسبب هذا الرد . ولكن ذاك قاطعني زمناً بالاعراض وترك السلام والكلام .

أطلت عليك في شؤون هذا صاحب لأنني رأيتك تنوط به الامور العظيمة وما كنت أنوي أن يطول الكلام الى هذا الحد وقد تذكرت الآن انك وعدتني بأن ترسل لي رد السيد جمال الدين علي رينان مترجماً عن الفرنسية وقد بحث عنه الشيخ مصطفى عبد الرازق وأصحابه ولم يجدوه وأرجو ان توافيني باهم ما سمعته منه من الآراء الاصلاحية والمسائل العلمية فقد قررت جمعية الرابطة الشرقية أن تحتفل احتفالاً آخر بذكرى حياته في يوم وفاته من شهر شوال الآتي وأن أكون أنا الذي يلقي فيه ترجمته وبين مذهبه في الاصلاح الديني والسياسي وفلسفته ايضاً ذلك بأن الاحتفال الاول كان خاصاً باعضاء الجمعية ولم يحضره إلا قليل منهم اهـ .

* * *

وله إلي كتاب مؤرخ في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤٣ و ١١ كانون الاول :

سيدي الاخ الكريم والولي الحميم

وصلت مکتوباتکم المختصر منها والمطول فأما ما أرسل فيها الى اللجنة فقد نسخ وسيترجم وينشر إن شاء الله تعالى وأما ما ذكرت في أحدها من الرأي في اللجنة ووفد السنة الآتية فالكلام فيه الان غير مفيد فيما

أرى ورأينا فيه مثنى كثيره والله الحمد (وما تدري به لعل الله يحدث
بعد ذلك أمرا) .

واما ما أطلت به في الكتاب الاخير في مسألة الحجاز فقد كدنا
ندخل به فيما لا يصح دخولنا فيه من الجدال والمراء لتصحيح بعض العبارات
أو الآراء التي تعد من اعراض الامر لا من جوهره بل دخلنا في ذلك
فعلاً باعادة الكلام في المداراة والمصالح السياسية وحديث أو أثر « إنا
لنبشّ في وجوه قوم » وأمثال ذلك .

انني أرى ان ما بيننا من الاتفاق في الرأي والسعي والقول والعمل
في مسائلنا العربية والحجازية ومسألتنا الاسلامية وفروعها من فضل الله
علينا ونتمنى مثله لكل واحد من العالمين في امتنا . ثم اننا نحمد الله
تعالى على ما من الله به علينا مع ذلك من المحبة والمودة الشخصية وتبني
كل منا لآخره ما يتمنى لنفسه من خير الدنيا والآخرة . ولكننا مع هذا
قد تهودنا المناظرات العامة والادبية والسياسية بما صادفناه من المخالفين
لنا والمنكرين علينا ولا أحب ان تقع هذه المناظرات بيننا واعني بها
ما يدخل في باب الجدل لتأييد كل رأي نفسه فهذا إن ألبأت اليه الضرورة
مع المختلفين في المقاصد فلا يصح أن يكون بين أخوين على مثل ما
أشرنا اليه من حالنا . قلت انني أصررت فيما راجعناك به من مسألة بريقتك
ومعالك في المسألة الحجازية على تخطئتك أو على حملك على الاعتراف بالخطأ .
وانني ربما كنت انا الخطيئ وربما يكون خطايي أضر من خطئك وطفقت
ترد عليّ ونقيم الحجج على شرعية المداراة وان لم يصح الحديث أو الاثر
الذي انكرت أنا كونه حديثاً مرفوعاً إلى آخر ما تعلم ولا حاجة إلى

ذكره ولا الى المناقشة في شيء منه حتى الشرعيات كالمصالح الرسالة التي
قلت بالاتفاق عليها . ولو قلت في كتاب مثل هذا بغير قولك ربما فهمت
انني انا من منكري المصالح في الشريعة كما فهمت من قولي بعدم صحة :
«إننا لنبش» او نكشر» أني انكر المداراة في الشرع والمصلحة في السياسة .
لا ادخل في شيء من هذا ولست حريصاً على تحطنتك ولا أبرئ
نفسي من الخطأ بل يجوز على كل منا الخطأ فيما يختلف فيه وفيما اتفق عليه
وكل ما ذكرته من الحجج لما أبرقت به وما كتبتك فيه مسألة البرقية
صرحت لك فيه بأنني لا انكر شيئاً مما ذكرت من حسن النية وصحة
القصد كما انني لم انكر عليك ولا على المجلس الاسلامي وجمعيتنا الرابطة
الشرقية صيغة ما اقترح من حقن الدماء وإنما وجلت وعانيت رئيس جمعيتنا
أولاً ثم عانيتك ثانياً ثم عانيت رئيس المجلس الاسلامي في القدس ثالثاً
(وأحمد الله ان الثلاثة من اصدقائي المخلصين) — بما وجلت من وقوعه وهو أن
تجادب بين ملوك المسلمين وزعمائهم اصوات الانكار على زحف النجديين
لانتفاذ الحجاز والدعوة الى الصلح بين ملك الحجاز وسلطان نجد فيحبط
العمل الذي فتح لنا باباً جديداً من الرجاء في مسألتنا الدينية والقومية .
وهو الباب الذي لا ارى امامي غيره وطال الزمان على سعبي له على ما
أعلم من احوال الاخوان ^(١) المنتقدة التي بقل من يعرفها اكثر مني . ولم
أكن غافلاً ولا ناسياً في ذلك المسعى مذ سنتين ما تجب مراعاته في الحجاز
من إقامة حكومة فيه من امله ومن انقاء الاحداث التي يستنكرها العالم
الاسلامي وإقامة الادلة الشرعية على الخروج منها — وقد كتبت لابن سعود

مكتوبات خاصة في هذا الموضوع ونشرت اهم هذه المسائل في المنار حتى ترجيح عدم جواز القتال بمكة ولو للضرورة واذكر منها الان الفتوى الطويلة في وجوب انقاذ الحجاز التي نشرت في الاهرام وفي منار ذي الحجة سنة ١٣٤١ وصرحت فيها بأن هذا المذهب هو الراجح الذي يدين به الله سلطان نجد . ثم انني ارسلت برقية الى سلطان نجد باسم وكيل نقابة الصحف عقب احتلال الطائف لزيادة التذكير والحمل على الجواب .

وأما ما ذكرتم في مطاوي الكلام من الشؤون المتعلقة بالجامعة الاسلامية فهو حق والخطب فيه أعظم مما أشرت اليه . وقد ظهر لي مما كابدناه فيه زهاء ثلث قرن ان تيار الاحاد لا يسهل صده بالوسائل العلمية التي جربنا عليها بهذا البطء والضعف وانما يرجى النجاح السريع اذا ابدت الاصلاح الديني دولة أو امارة مستقلة لا سلطان عليها للاجانب ولا للملاحدة وانه إذا تم لنا ما نسعى اليه في الحجاز فاننا نستطيع في سنين قليلة ان نظهر حقيقة الاسلام ونعاق آمال مساعي الشرق والغرب به ولا يمكن البحث في كتاب وجيز كهذا في وسائل هذا الامر ومقاصده . والمشاغبة في امثال هذه المسائل تغني ساعة منها عن كتب كثيرة طويلة عريضة فعسى الله ان يجمع بيننا .

اقترح مجلس إدارة مؤتمر الخلافة تأليف لجنة للنظر في من بدعى الى المؤتمر ومن يقبل فيه ممن كتبوا الينا وبكتابة صيغة الدعوة فألفت وانا منها وما أقنعت اعضاءها به دعوة اعضاء المجلس الاسلامي بفلسطين وقد كتب إلي رئيسه برغبتهم في الاشتراك معنا . ولكن الاحداث الاخيرة

توشك ان نجهلنا على تأجيل موعد المؤتمر ولما نقرر ذلك والسلام عليك
من أخيك

محمد رشيد رضا

وبما كتبته إليّ ما تاريخه ليلة الجمعة ٥ رجب سنة ١٣٤٣ مساء ٢٩
بنابر وهو :

سيدي الاخ الامير

اني ألتى اليّ الكتابان اللذان ارسلت من سويسرة واعيد في اثرهما
ما ارسلت أخيراً من كرايس كتابك وانا مشغول عن القراءة والكتابة
بأمر الانتقال من الدار التي عرفت الى دار خير منها في نفسها (وهنا كلام
طويل عن الدار الجديدة يقول في آخره ما يلي) : ولا ارى بأساً بمكاشفتك
بأنني كنت اتوخي في الدار التي أبحث عنها ان يسهل عليك المقام فيها اذا
جئت مصر براحة لا يشتر معها بضيق ولا بمضايقة وقد رأيت قبل هذه
الدار دارين اوسع منها كنت ارى ان محاسنها انه يمكنك ان تجد في
قسم منها ما يكفيك اذا جئت بأمل بيتك ايضاً ولكن لم يكن فيها
مكان يصلح للمطبعة ، واما هذه الدار فتجد لك فيها سعة اذا جئت زائراً
إن شاء الله تعالى .

وأما تصحيح أغلاط الكتب فيجب أن يمد منها ضبط (الدبي) بالفتح
والياء لا بالالف كما كتبها في الاصل . « والبواصل » عندي ان تستبدل
ببُسل دون بُسل لان الجمهور لا يعرفون ضبط هذه إذا لم تضبط بالشكل .

وقد كنت في غنى عن الاستدلال عليها ولا يتيسر لي مراجعة مكانها
الآن ولا أرى حاجة اليه ولا أستبعد سقوط الكلمة من قلبي ذهولاً
عن القاعدة وكون جمع فاعل على فواعل في المذكر سماعياً والفاظة في
العاقل معدودة كفوارس ونواكس ونواكص الخ . .

ولكنني راجعت مصراع « في كل شارقة الماس بالقة » فإذا هو
كالاصل فإن كان غلطاً فهو من الطبعة الاولى . وكذلك الجملة التي في
صفحة ٩٨ هي كالاصل فإذا كانت خطأ فمن سهوك كما رجحت وما كان
لي أن أقدم أو أؤخر في مثل هذا اه . .

وكان الاستاذ رحمه الله عند طبع « آخر بني مراح » وذيله « خلاصة
تاريخ الاندلس » عندما وصل الى القصيدة النونية المشهورة في رثاء الاندلس
لابي البقاء صالح بن شريف الرندي اعتمد على كلام بعض المؤلفين وظنها
من نظم الشيخ يحيى القرطبي فأضاف اليها أحياناً فيها ذكر سقوط غرناطة
وقال إن الشاعر استنجد بها السلطان سليمان العثماني وطبعت المزمرة طبعاً
نهائياً وهي على هذا الشكل فلما وصل الى المطبوع أکبرت ذلك فكتبت
اليه بأن القصيدة هي نظم ابي البقاء الرندي الذي مات قبل سقوط غرناطة
وقبل السلطان سليمان العثماني وإنما زاد بعض الناس فيها زيادات فيها ذكر
سقوط غرناطة وبسطة وغيرهما مما أخذه العدو بدم موت صالح بن شريف .
قال المقري في نفع الطيب : وما اعتمدته منها نقلته من خط من يوثق
به ومن له أدنى ذوق علم ان ما يزيدون فيها من الايات ليست نقارها
في البلاغة . وغالب ظني ان تلك الزيادة لما أخذت غرناطة وجميع بلاد

الاندلس إذ كان أهلها يستنمضون همم الملوك بالشرق والمغرب فكأن بعضهم لما أعجبت قصيدة صالح بن شريف زاد فيها بعض الزيادات وقد بينت ذلك في أزهار الرياض ١٠ اهـ .

والحاصل انني راجعت السيد رشيداً ورجوته تغيير الملزمة من أصلها على تفقني حتى لا يكون في الكتاب مثل هذا الغلط التاريخي الفاضح . وهكذا حصل وإنما كتب إليّ وقتئذ ما يلي : بقيت معنا مسألة القصيدة النونية — فأما نسبتها الي الشيخ يحيى القرطبي والزيادة فيها وكونه قصد بها استنجاد السلطان العثماني فهذا شيء ذكره صديق حسن خان نواب مملكة بهوبال الشهير في كتاب له ومنه نقلنا الزيادة وكنا نسمع بذلك من الصغر إذ كنا نحفظ القصيدة بالتقريب الخ ..

* * *

وكان في أميركا الشمالية كويتب سخيّف قليل العلم كثير الدعوى ينتف من هنا وهناك بدون فهم ويتجرأ على القذف بكبار العلماء بل بالصحابة انفسهم ومن جملة من كان يقذف بهم السيد جمال الدين الافغاني والسيد رشيد رضا وغيرهما ممن يقول بالجامعة الاسلامية فأرسلنا إلى السيد بعض قصاصات فيها من سخافات هذا الكويتب ما رأيناه قد يكون تسليمة للشيخ رشيد فأجابني عن ذلك بما يلي :

فلان رأيت هذيانه قبل تفضلك بإرسال قصاصاته فإذا هو يكذب عليّ أو يقول بما يراه يبصيرته المظلمة وربما كتب شيئاً صديقنا فؤاد بك سليم^(١) الضابط البارع الذي هو من افضل شباننا الخ ..

(١) هو المرحوم فؤاد بك سليم اللبناني من آل معروف كان ضابطاً ممتازاً بالعلم والادب مذبذباً يقل نظيره في الضباط وكان بطلاً مغواراً استشهد في مجدل —

وله إلي: كتاب في ١٨ رجب ١٣٤٣ :

سيدي وأخي الامير

كتبت اليك جواباً كافياً في مسألة الاغلاط وفيه كلام وجيز في
سائر المسائل . وقد سألت صديقنا أحمد زكي باشا عن التونية فقطع برأيه
فيها وهو أنها نظمت قبل سقوط غرناطة .

قد ألم بنا في هذه الايام الوفد الهندي الذي كان في جدة ومكث
هنا يومين شغلني فيهما عن كل شيء ، فترك المطبوعات بلقى الكثير منها
في باب الدار الخ . . وأخبار الوفد الهندي الصحيحة التي سمعناها من فم
صديقنا الشيخ سليمان الندوي وصاحبيه تؤيد أقوالنا وآراءنا السابقة في
أكاذيب . . وقالوا إنه ثبت عندنا ان بعضهم . . . طلب من المعتمد
الانكليزي بمجدة الحماية الرسمية لاجراء ابن السعود منها فأجابه بأن
حكومته قد وقفت موقف الحياد في أمر الحجاز ونجد فلا يمكنها التزحزح
عنه . قد بلغني ما كتبت إلي أخينا مفتي القدس أخيراً فأثر في نفسه
كتائيد كتابك الاول له . فأرجو من غيرتك وحسن اعتقادك بأخيك
هذا أن لا تكتب في هذا الموضوع إلا له . وعسى أن يستولي ابن
سعود على جدة في هذا الاسبوع ونستريح . . . والسلام عليك من أخيك
المخلص .

محمد رشيد رضا

* * *

- شمس في إحدى معارك الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥ وكانت الرزية
به عظيمة لا يزال الناس يشعرون بها إلى الآن .

وله كتاب تاريخه ٢٣ شعبان ١٣٤٣ :

صيدي الأخ الامير

أحييك وأهنئك بالعود إلى الاهل والولد بعد طول الامد . ثم أهنئك بشهر رمضان وأسأله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه فيه من صيام وقيام وتلاوة قرآن . أما بعد فقد ألتني إلي كتابك المرسل من الاستانة وما أناذا أجيبك عن كل مسألة فيه :

(١) سأرسل اليك جميع الكراريس المطبوعة وقد كتبت اليك في كتاب سابق انني رجعت إعادة طبع الكراسة التي فيها القصيدة النونية وفاقاً لرأي أحمد زكي باشا وهو لا يعرف مؤلف كتاب « أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر » وسنسال عنه تيمور باشا ونور الدين بك مصطفى العضو العامل معنا في الجمع اللغوي وهو خبير واسع الاطلاع على الكتب وفهارسها في الخزان المشهورة .

(٢) كلمت الوفد الهندي في مسألة اقتراح جمعية الخلافة جعل حكومة الحجاز جمهورية وقلت لهم : انني اقترحت هذا قبلهم للتفصي من مفسد السلطة الشخصية في تلك البلاد التي لم نرَ أحداً بمتقد أن فيها غير رجل واحد يجرأ أن ينطق بما بمتقد إذا كان مخالفاً لهوى الامير وهو صدقنا الشيخ محمد نصيف المنفي الآن من جدة تحت سيطرة الحسين في العقبة وقلت لهم : لكنني لا اصر على هذا الرأي اذا وجدت المصلحة في غيره ويجب أن لا نصر جمعيتكم على ذلك فقال رئيسه السيد الندوي إنها لا نصر وان غرضها هو عين غرضي ولا تظهر المصلحة إلا في المؤتمر عندما يتيسر عقده .

(٣) انني موافق لك على ترشيح الشريف علي حيدر لامارة الحجاز ولا أعرف أحداً أليق منه لها ومن الجهة الشخصية أعدّه صديقاً لي ووقع بيني وبين نجله الشريف عبد الحميد مكاتبة في مسألة ترشيحه ومساعدته ونوبت أن أنوته به عند سنوح الفرصة المناسبة وإن لم يعجبني كلام نجله في الموضوع لأن روحه ونخواه لا يختلف عن غرور حسين وأولاده وادعائهم أن الملك هنالك حق شرعي وطبيعي لهم يجب نوطه بهم ولكن انقاء شرّ هذا الغرور ممكن إذا وُجد مؤتمر إسلامي ذو نفوذ ووضع نظاماً لحكومة الحجاز يعسر على أميره العبث به وهو ما ستمعني به (جمعية السلم العام في بلد الله الحرام) التي نرجو أن تقوم بما يجب في ليالي رمضان . وأعيد القول مع هذا بأن الشريف علي حيدر عندي فوق كل رجل من اللاتقيين لهذا المنصب وإذا تبسر لنا وضع مشروع لنظام حكومة الحجاز فسأعرضه عليك وعليه للتشاور فيه لأن مساعدة جمعيتنا له تتوقف على قبوله لهذا النظام .

(٤) انني ما أنهمتكم ولن أنهمك بموالاة الحسين فنتحتاج إلى تهيئة نفسك من التهمة وإنما أذكرك بما أراه لما تكتبه من رأي منافي لما أعتقد من المصلحة التي يتوخاها كل منا ومن ذلك الكتابان اللذان أرسلتهما إلى مفتي القدس تشكر له في أحدهما اهتمام مجلسهم الاسلامي بالسعي لحقن الدماء في الحجاز وأن ذلك جعل للمجلس قيمة اجتماعية هو جدير بها ونقترح في الثاني تكليف الفريقين بعقد هدنة بمناسبة قرب موسم الحج وقد ترجع لدى المفتي الشاب من قراءة الكتابين بقاء الملك

علي ملكاً على الحجاز مع اعترافه بأنك فضلت في أولها حيدراً فعلياً^(١)
الذي في مصر الخ ...

(٥) علم مما تقدم أن مسألة ترشيح الأشخاص ما جاء وقتها لانها تأتي
نبعاً للنظام الذي يجب بناؤه على أساس سلطة الجماعة دون الفرد وانني لم
أكتب كلمة في ترجيح ابن سعود على غيره في إدارة الحجاز ولا في
إطرائه بنحو مما يطري حزب حسين وأولاده علياً الآن كاطرائهم حسيناً
بالامس وإنما كررت الشاء عليه بنوطه أمر الحرمين الشريفين بالعالم الاسلامي
وهو اقتراحي منذ سنين والحاجة اليه من جهة انه يتعذر معه تدخل النفوذ
الاجنبي ولقد أرسل الانكليز المستر فيليبي إلى جدة ليقابل ابن سعود وبفرضه
فيما يريدون من استغلال هذه الفرصة فرفض ابن سعود مقابلته على ما
كان بينهما من تعارف وما كان من إظهار فيليبي لمودته والدفاع عنه لدى
حكومته وتفضيله على البيت الهاشمي واعتذر عن رفض المقابلة بأن المسألة
دينية ومفوضة إلى العالم الاسلامي لا اليه .

(٦) لم يأتي من مفني القدس ولا عنه ما كتبت اليه بشأن
الاشتراك في المؤتمر المكي الذي دعا اليه ابن سعود فقولك انه كان
جزاؤك مني اللوم على هذا أيضاً بدلاً من الشكر وتعميقك على هذا
بالحوقلة — هو لوم منك وعتب كان يكون حقاً لو علمت أنا بما ذكرت
لي من الاقتراح المذكور ولكن لم يبلغني من موضوع كتابك له إلا
ما ذكرته لك أولاً وأعدته هنا . فكل ما كتبت في الصفحة الاخيرة لا

(١) أي الشريف علي باشا أمير الحجاز السابق الذي تولى الامارة قبل

يمسني منه شيء إلا أنني صدقت بلاغ المفتي وما أعهد فيه ولا في المبلغ عنه إلا الصدق والصراحة معي . ولكن ظهر لي الآن ان الحرص على المنصب ومداراة الانصار وما دفع حسين من ألوف الجنيئات لعمارة المسجد الاقصى قد جعل الحاج أميناً مخالفاً لنا في ابتغاء المصلحة العامة (إلى أن يقول) : أنني كنت كتمت اليه إنذاراً شديداً وشاورت الشيخ اسماعيل^(١) في الحملة على المجلس الاعلى فأشار علي بما صرفني عن ذلك والسلام عليك وأدام الله النفع بك ولا زلت ولياً ونصييراً لأخيك .

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إليّ سابع ٢٩ رمضان ١٢٤٣ و ٢٣ ابريل :

سيدي الاخ الامير

في أول هذا الاسبوع ألقى إليّ كتابك المرسل من مرسين بتاريخ ١٣ رمضان (إلى أن يقول) : أما الملحق (أي كتاب أخبار العصر الذي ألحقناه بتاريخ الاندلس المذيل به آخر بني سراج) فقد سألت أحمد تيمور باشا عن مؤلفه بعد سؤال أحمد زكي باشا فقال انه لم يكتب عليه اسم المؤلف ولا هو يذكر أنه رآه في كتاب آخر .

كتابكم السيامي البليغ للامير علي^(٢) إن كان لديكم نسخة صحيحة

(١) الحافظ .

(٢) في أثناء الحرب العامة سنة ١٩١٦ اشاع في الشام ان الامير علي بن الحسين جاء بعد ثورتهم على الدولة بجيش من العرب إلى ماء الأزرق وذلك لقتال عسكر الدولة فكتمت اليه كتاباً طبعناه ونشرناه في ذلك الوقت أتول له فيه : ماذا —

منه فأرسلوها أو أرسلوا ما بقي منه بعد الذي نشر في المنار وسأشر
التصحيح الذي أرسلتموه أخيراً بشأن ما نشر منه (الى أن يقول) : إن
المودة بيني وبين السيد أمين الحسيني فوق ما استنبطتم وما تظنون ولا
أعرف أحداً من إخواننا موافقاً لي في كل آرائي في أمر الحجاز ونجد
أكثر منه وقد كان مخالفاً في مسألة يعمته الحسين ولكنه غلب على أمره
وكان الظفر للشيخ المظفر في هذه المسألة دونه . وإنما كنت عزمت على
مناهضة المجلس في السياسة الحجازية إذا أصر على اتباع هذا الرجل فيها
لا في المسائل الوطنية ومسألة المسجد الأقصى : فقد كنت وما زلت مساعداً
عليها وقد أخبرني من أثق به من الهند انهم كانوا يظنون انها مسألة
انكليزية ولم ينتزع هذا الظن ويحملهم على المساعدة الا ما كتبه المنار من
نشر دعوتها .

— تصنع أيها الامير ثقاتلون العرب بالعرب وتسفكون دماء العرب بأبدي
العرب حتى تكون نتيجة ذلك إستيلاء الاجانب على بلاد العرب ونقسيمها بين
دول الحلفاء وإعطاء فلسطين الى اليهود النخ وأنصح له بالرجوع عن هذه الحركات .
ثم ظهر أن الشريف علي الذي جاء بذلك الجيش لم يكن هو الامير علي بن
الحسين بل كان الشريف علي الذي هو مر أشرف وادي فاطمة ويقال لهم
الحُرث . فجعل الملك حسين رحمه الله هذا الغلط سبباً للرد علي وإظهار افتراءي
بزعمه . والحال أن جوهر الموضوع لم يتغير بكون القوة التي جاءت لقتال عسكر
الدولة بقودها علي بن الحسين أو علي الذي هو من الاشراف الحرث بل المقصود
هو أن حركة الاشراف في قتال الدولة وقتئذٍ كنت أراها من جملة الحركات
المساعدة على تقسيم بلاد العرب بين دول الحلفاء وعلى إعطاء فلسطين الى اليهود .
وأظن أن مآل كتابي هذا قد تحقق كما لا يخفى على كل ذي عينين .

وفي آخر هذا المکتوب يقول : عليّ اليوم واجبات كثيرة لا يمكن تأخيرها بعضها للدار وبعضها للمطبعة وبعضها لمساعدة بعض الاخوات ومنها قراءة أكثر من ثلث القرآن لاتمام الختمة الاخيرة واسأله تعالى أن يجعل هذا العيد مباركاً علينا وعليكم وعلى امتنا الاسلامية ودمتم لايخيم الخالص ؟

رشيده

* * *

ومنه كتاب مطول إليّ تاريخه ٦ ذي القعدة ١٣٤٣ أكثره يتعلق بمباحث لغوية وهو :

صديقي الامير

وصلني كتابك المؤرخ في ٧ شوال وكل ما فيه أو أكثره مؤاخذه ببعض التعاليقات على كتابكم الذي تم بحمد الله وانما بقي الفهرس الذي وضعته ونسيت أن قبين أرقام مواده ولا فائدة بدونها وقد وضعت واعطي الفهرس للمطبعة . وأرسلت قبله جدولاً في أغلاط الطبع وقد قات انها كثيرة او ليست بقليلة ولو لم يكن فيه غيظها لكانت قليلة بالنسبة الى أغلاط أكثر المطبوعات العربية ولكن كل ما لم يذكر أو جله سواء منه ما فطنتم له وما لم تفطنوا له هو مما يدرك بالبداهة ولا يحتاج الى التنبيه على أن فيما كتبتموه من الاغلاط ما هو غلط في الاصل (أي في الطبعة الاولى) كتصحيحك : استلم ويستلم بتسلم ويتسلم وهو مكرر في الكتاب وهو مما كنت وضعت عليه في الاصل خطأ أزرق اللون وماذكر لك غيره مما فطنت له لكونه من الاصل . ومنه ما ذكرته لك في كتاب

سابق عن التقديم والتأخير في صفحة ٩٨ الذي لو لم يكن من الاصل
 لكان أكبر غلطة بتعذر معرفة سببها فان كثيراً من غلط الطبع في
 تقديم كلمة على أخرى يحصل من سقوط بعض الكلمات عند فك صفحات
 الملزمة بعد تصحيحها ووضعها في الطوق لاجل طبعها فيعيد المرتب ما سقط
 فيخطئ فيه بالتقديم والتأخير في أوائل الاسطر وأواخرها ويندرج ان
 يكون الساقط عدة كلمات . وما صححتموه وكان غلطاً في الاصل تعدية
 التفتيش « بلى » من ص ٤٥ فجعلتموه « بعن » وانما عرفته لانه من جملة ما
 كنت وضعت عليه علامة في ص ٣٣ من الاصل ولم اغيره لاحتمال وروده
 في لغة ولو شاذة ولعله مما اخرته للمراجعة ثم نسيتُه فجمع وطبع كأصله
 ومثله « عزائهم » بالجمع في ص ١٢٥ وهو بالفرد ومنه (نقل) في ص ١٣٤
 وصوابها بالفاء (أي نقل) والكنكم كنتم صححتموها بقلمكم في الاصل
 تصحيحاً طمست فيه الفاء طمساً فبقيت كالكاف . ومثلها في هذا كلمة
 « نجدي » في ص ٥٥ وصوابها « نجري » بالراء . ومنها كلمة « بتنا » في ص
 ١٥١ وصوابها « مبيتنا » . كل هذا من الغلط أو شبه الغلط في الطبعة
 الاولى واعني بشبه الغلط ما صححتموه بالقلم فطمس .

وما أخطأتم في تصحيحه كلمة من قصيدة في ص ٨٥ كانت في الاصل
 « مقلاة » وطبعت « مقلاة » فصححتموها « مقلال » والصواب « مقلات »
 بالناء المفتوحة وصاحب القصيدة اقتبس الشطر من البيت المشهور :
 بنات الطير أكثرها فراخاً وام الصقر مقلات تزور (١)

(١) البيت لكثير ولسان العرب لا يقطع بذلك بل يقول لكثير أو
 غيره . واما المقلات فهي التي لا يبيض لها ولد وقد أقلت . وقيل هي التي تلد واحداً —

و كنت أحفظ البيت : أ كثرها نفاعاً . ثم رأيت في كتب اللغة فراحاً
ومنه كلمتان بالهاء غير المنقوطة لأنها ضمير فنة طتموهما .

طال بي الاستطراد في مسألة غلط الطبع فكان من فوائده تذكريكم
بمسر تصحيح الكلام العربي والتوصل به لذكر ما كان من أمره وأمر
المطبعة في تصحيح كتابكم لتعلموا أننا بذلنا فيه جهداً لم يتيسر ما هو
فوقه في المهد الذي طبع فيه وهو عهد الاستعداد للثقل ثم الاشتغال
بأنقالنا عدة أشهر (إلى أن يقول) : إن الغلط الذي في الاصل نوعان :
الاول مطبعي ظاهر ومثاله : « ذبل جرناته عن الاندلس » وصوابه « على
الاندلس » ومنه « سبعة عشرة خلت » وصوابه « سبع عشرة » ومنه « عبي
جيشه » وصوابه « عبا » ومنه « النائرة » وصوابها « النائرة » ويحتمل أن
يكون منه « فافتدى في » وان يكون من النوع الآخر لاننا معشر
الاوربيين نكثر من وضع (في) موضع الباء الجارة حتى في ما لا يشتركان
فيه ولا يقع أحدهما موقع الآخر . وكذا « كادوا علي كيدهم » وصوابه :
كادوا لي . قال تعالى : (فيكيدوا لك كيداً) ومثلها « وشرع بالحديث »
وهي تقابل ما قبل كلمة الكيد ونسبت أن أذكرها قبلها .

النوع الثاني ما هو من الاصل وسببه في الأكثر كثرة استعمال المعاصرين
وهو قسمان أحدهما المفردات والثاني الجمل والاساليب . فمن المفردات قولكم
الخطر المحيق (هذه وقعت سهواً) والصواب في مثله الثلاثي كقوله تعالى :

— ثم لا تلد بعد ذلك وكذلك الناقة ولا يقال ذلك للرجل . وقيل هو أن تلد واحداً
ثم نقلت رحمها فلا تجمل وأنشد :

وجدني بها وجد مقلاتٍ بواحدٍها وليس بقوى محب فوق ما أجد

(وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وقوله : (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) . ويمدئ حاق بالحمزة فيقال : حاق به سوء . وأحق الله به .

ويشبهها قولكم ضجة مهولة « وإنما يقال حاله الامر أو الخطب وفيه الاساس : أمر هائل وهول عندي الامر جملة هائلاً . نعم في مجازة : مكان مهول . أي فيه هول اه ولا يظهر مثله في وصف الضجة وإنما صححت مثل هذا مع علمي باحتجاجكم أو إمكانه بمثل « مكان مهول » ^(١) . ومنها قولكم : (إن هذا النبأ عظيم) وهنا غيبت الموصوف فقلت : (لخطب عظيم) لان النبأ خاص بالكلام وليس المقام مقام كلام بل مقام وصف ابن سراج لأرقه وذله .

ومنها (ارتباد المعاشيب) والتماشيب نص في مرادكم فانها النبذ المتفرقة من العشب وأظن أن هذه من غلط الطبع وإلا فهي من سبق القلم والاول

(١) كلام لم ينجز لفظه مهول لاجل قولهم مكان مهول بل لورود مهول في الكلام العربي جاء في لسان العرب : وهول هائل ومهول وكرها بعضهم وقد جاء في الشعر الفصيح وقال :

ومهول من المتاهل وحشـ ذي عراقيت آجن مدفان

وتفسير المهول أي فيه هول والعرب إذا كان الشيء (هولة) أخرجه على فاعل مثل دارع ذي الدرع وإن كان فيه أو عليه أخرجه على مفعول كقولك : منحون فيه ذاك ومدبون عليه ذاك اه وقد قال بديع الزمان الهمذاني لابي بكر الخوارزمي في المناقشة التي جرت بينهما مرتجلاً :

أراك على شفا خطر مهول بما أودعت لفظك من فضول

وبديع الزمان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه .

أرجح فإن الكلمة من الفرائد غير المستعملة عند ضعفاء الكتاب الذين جنوا على جهابذتهم (إنما كتبتهما تماشيب وأردت أن أحيي بها كلمة فصيحة بمجولة تقريباً عند ضعفاء الكتاب) .

ومثلها في رجحان كونها من تحريف الطبع (أفنائم إذا هؤلاء الاسبانيول) جعلتها (أفنيام) ^(١) .

الثاني الجمل والاصالب . وما استذكرته من هذا القسم أكثر من غيره . وقد كشفتكم بشيء منه من قبل الشروع في الطبع فعلمتم بما رجعت إلي من القول فيه ان بعض ما هو قطعي عندي أو قريب من القطعي مما يترجح أو يمكن ان يكون موضع بحث وجدال طويل عندكم فصحت ما رجعت أو جزمت باستحسانكم لتصحيحه إن لم يكن لاعتقادكم بأنه خطأ أو غير فصيح فلاعتقادكم بأن بدله صحيح فصيح أو انه أفصح وأذكر بعض الامثلة على هذا القسم غير مرتبة :

(١) اما كون أفنائم من غلط الطبع وصوابه أفنائون أو أفنيام فهو ظاهر . ويظهر أن الاستاذ كان يميز قولنا « هؤلاء الاسبانيول » بخلاف العلامة النغوي الشهير الاب أنستاس الكرمللي فقد انتقد في كتاب خاص الينا قولنا « الاسبانيول والفرنسيس » وما اشبه ذلك ونحن أجبناه بأننا نراه جائزاً حملاً على غيره من أمثاله قال سيبويه في الجزء الثاني من الكتاب صفحة ٢٧ ما يلي : وأما قولهم اليهود والمجوس فإنما أدخلوا الالف واللام هنا كما أدخلوها في المجوسي واليهودي لانهم أرادوا اليهوديين والمجوسيين ولكنهم حذفوا ياءي الاضافة وشبهوا ذلك بقولهم زنجي وزنج إذا أدخلوا الالف واللام على هذا فكأنك أدخلتها على يهوديين ومجوسيين وحذفوا ياءي الإضافة وأشباه ذلك فإن أخرجت اللام والالف من للمجوس صار نكرة كما أنك لو أخرجتها من المجوسيين صار نكرة .

(١) قولكم «ومرت الفلك بربح طيبة» استبدلت به «وجرت الفلك به بربح طيبة» ووجهه أن السرى خاص بما كان في الليل ولا محل لهذا التخصيص وإن ما ذكرته موافق لقوله تعالى : (وجرين بهم بربح طيبة) وقد خطر ببالي أنكم أردتم استعمال أسلوب القرآن فلم تذكروا الآية . وقد راجعت استاذنا مرة في كلمة كتبها في مقالات الاسلام والنصرانية مخالفة لاستعمال القرآن وهي صواب في نفسها وكانت المراجعة كتابية فكتب إليّ بأن أصححها أو أغيرها وعلل ذلك بأنه لا يجب مخالفة أسلوب القرآن «ولو الى صواب» والكلمة المذكورة «نصح له» او «وهب له» لا أنذكر أيها الآن .

(٢) مثل «وما هو ذلك القصر» وهذا مما بكثير في كلام المعاصرين وهو مأخوذ من اصطلاح المناطقة في السؤال عن ماهية الشيء وكلمة الماهية مشتقة منه وهو من اصطلاحهم وقلدهم كثيرون والضمير فيه (هو لا حاجة اليه ولا مرجع له) والمدققون من الكتاب ومصححي الانشاء في وزارة المعارف يتحامونه ويرمجون الضمير مما يصححون . وفي الكتاب العزيز : «قال فرعون وما رب العالمين»^(١).

(١) لا شك ان القاعدة هي ما قال ولكن ليس بخطأ ان يقال «ما هو ذلك القصر» وما في ضربه . وقد ورد كثيراً في كلامهم وذكر سبويه ان هذه الضمائر : أنت وأنا ونحن وهو وهي وهم ومن وأنثى وهما وأنثى وأنتم تأني وصفاً للمضمر المجرور والمنصوب والمرفوع وذلك قولك مرت بك أنت ورأيتك انت وانطلقت انت وليس وصفاً بمنزلة الطويل اذا قلت مرت بزيد الطويل ولكنه بمنزلة نفسه اذا قلت مرت به نفسه وأناني هو نفسه ورأيت به نفسه وإنما تريد بهن ما تريد بالنفس اذا قلت مرت به هو (الى أن يقول) : وأعلم ان هذا المضمر يجوز ان -

(٣) قولك « ولذلك فإن بقايا آباءه » وفيه ان ما بعد الفاء لا يعمل -
 - يكون بدلاً من المظهر وليس بمنزله في ان يكون وصفاً له لان الوصف
 تابع للاسم مثل قولك رأيت عبد الله ابا زيد فاما البدل فننفرد كأنك قلت زيدا
 رأيت او رأيت زيدا ثم قلت اياه رأيت وكذا انت وهو واخواتها في الرفع .
 وادرد سيبويه قوله تعالى « ولا يحسن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله هو
 خيراً لهم » وقال : صارت « هو » ههنا بمنزلة ما اذا كانت لغواً في انها لا تغير
 ما بعدها عن حاله قبل ان تذكر واعلم انها تكون في ان واخواتها فصلاً وفي
 الابتداء ولكن ما بعدها مرفوع لانه مرفوع قبل ان تذكر الفصل (قال) :
 واعلم ان « هو » لا يحسن ان تكون فصلاً حتى يكون ما بعدها معرفة او ما
 اشبه المعرفة مما طال ولم تدخله الالف واللام (قال) : وقد جعل ناس كثير
 من العرب « هو » واخواتها في هذا الباب اسماً مبتدأ وما بعده مبنى عليه فن ذلك
 انه بلغنا ان رؤية كان يقول اظن زيدا هو خير منك وناس كثير من العرب
 يقولون (وما ظلمناهم ولكن هم كانوا الظالمون) وكان ابو عمرو يقول : ان كان لهو
 العاقل . ثم يقول سيبويه ان « هو واخواتها » يكون بمنزلة اسم مبتدأ وذلك
 قولك ما اظن احد خير منك وما اجعل رجلاً هو اكرم منك فلم يجعلوه فصلاً
 وقبله نكرة كما انه لا يكون وصفاً ولا بدلاً لنكرة وكما ان كلهم واجمعين لا
 يكرران على نكرة فاستعملوا ان يجعلوها فصلاً في النكرة كما جعلوها في
 المعرفة لانها معرفة فلم تصر فصلاً اذا لمعرفة كما لم تكن وصفاً ولا بدلاً إلا
 لمعرفة اهـ .

وقد جاء في مفتي اللبيب لابن هشام ان « ما » نكرة متضمنة معنى الحرف
 وان « ما » الاستفهامية معناها : اي شيء نحو ماهي ؟ ما لونها ؟ وما تلك يمينك ؟
 قال موسى : ما جئتم به السحر وذلك على قراءة ابي عمر والسحر بمد الالف فما

فيما قبلها وان الجمع بين لام التعليل وفاء السببية لا حاجة اليه في أكثر هذه الاستعمالات التي كثرت جداً في اسلوب المعاصرين غير الملقين والوجه في الجمع بينهما تقديم الفاء كأن يقال : فلذلك كان كذا^(١).

(٤) كلمة « فضلاً عن كذا » في مقام الاثبات وقد تكرر في كلامكم

— مبتدا والجملة بعدها خبر والسحر إما بدل من ما ولها قرن بالاستفهام وكأنه قيل السحر جثتم به واما تقدير أهو السحر او السحر هو ويقويه قراءة عبد الله ما جثتم به سحر . إذاً لو قيل ما هو السحر مثلاً « فما » مبتدا والجملة بعدها خبر والسحر بدل من ما . وقد سألت عن هذا الاعتراض العلامة السيد نقي الدين الهلالي السجلماسي فاستغرب وقال لا اظن ان السيد رشيداً يمنع جوازه كما انه لم يتبين لي ان الجملة منافية للبلاغة وقال : ما هو ذلك القصر . الضمير يعود على القصر وان كان متقدماً لفظاً فهو متأخر رتبة لان « ذلك » مبتداً والقصر بدل وجملة « ما هو » خبر ووجب تقديمها من اجل ما الاستفهامية .

(١) ان هذا الاستعمال وارد من القديم حتى في كلام سيبويه نفسه في الكتاب صفحة ٣٩٠ من الجزء الاول بقول : فعلى هذا فأجر ذا الباب . وفي الجزء الاول ايضاً صفحة ١٨٩ : فعلى هذا فقس المعرفة . وفي الجزء الثاني صفحة ٩٢ : فكذلك فقس هذه الاشياء . وفي صفحة ١٦٢ : فعلى هذا فقس هذا النحو . ومثله ما لا يحصى في كلام أئمة اللغة قديماً وحديثاً وابن هشام وهو من هو في النحو يقول في الصفحة الخامسة من الجزء الثاني من معني اللبيب الذي عليه حاشية الامير : وعلى هذا فلا يصح استئناف ما الخ . وقال في الآية الكريمة (وما بكم من نعمة فمن الله) الارجح أنها موصولة وان الفاء داخلة على الخبر لا شرطية : الفاء داخلة على الجواب اه . . وقال الله تعالى : (والذين كفروا فسمعاً لهم) .

لانه صار من الاستعمال المؤلف عند العلماء منذ قرون ولكن للتقدمين فلما كانوا يستعملونه الا بعد النبي لما لهم من التخريج التحوي له مع تصريح بعضهم بانه ليس من كلام العرب . فتقدير الكلام في « فلان لا يملك درهماً فضلاً عن دينار » انه فقد ملك درهم فقداً فاضلاً وزائداً عن فقد ملك دينار الخ . ولا بد أن تكونوا قد اطلعتم على هذا ونسيتموه ولا سيما عند الاستعمال فجربتم فيه على ما تقرأون دائماً في الكتب والجرائد وكم وقعت انا وغيري في مثل هذا . ومنه قولكم في كون المسلمين أحوج من النصارى إلى الماء « لانه فضلاً عن الشراب يلزمهم لاجل الوضوء » فبم تنصب كلمة فضلاً هنا ؟ واستعمال (يلزمهم) هنا بمعنى يحتاجون اليه مما لا اعرف له أصلاً في اللغة وانما هو عصري حديث ولكن لا ادري متى كان استعماله ولعلكم تعرفون له اصلاً فاني لم اراجع عنه باستقصاء . ومنه قولكم في وصف غناء ادماء : « وتوجد بكل نفعة يتروح لها الجلمود فضلاً عن كون الموسيقى الاسبانية في طبيعتها ما اشتملت عليه من كذا وكذا تفعل كذا وكذا » فيجوز ان تكونوا اطلعتم على تخريج يرضيكم لمثل هذا الاستعمال ويجوز ايضاً ان تكونوا قد اطلعتم على نص فيه لم نطلع عليه نحن ولا مثل ابي حيان الاندلسي الذي بحث ما لم نبحت . ولكن ما اظن انه يسخطكم تغيير هذا الاستعمال انا وامثالي بما لا تنكرونه بدليل انكم قرأتموه ولم تعدوه خطأ . على انني لا اذكر اني غيرت هذا الاستعمال في كل مكان وانما عرفت هذين الموضعين لانها مما كنت وضعت عليه علامات الاستنكار ^(١) .

(١) ان استعمال (فضلاً) عن كذا بمعنى زيادة عن كذا مستفيض في كلام

(هـ) يقرب من هذا الاستعمال مثال قولكم (ولكن كأنني بهذا الطريق
بدلاً عن ان يزداد بهم حركة وانساً ازداد وحشة ووحدة) وقولكم (ولكن

— المؤلفين والكتاب من زمن قديم كما يعلمه كل من تتبع كلام القوم وان كذا
لم نعرف متى بدأ هذا الاستعمال ؟ وقول ابي حيان الاندلسي انه ليس من كلام
العرب لا يدل على عدم جوازه لاننا لو نفضنا كلام المؤلفين من بعد
الاسلام الى اليوم لوجدنا فيه ما لا يحصى من الاستعمالات التي لم يكن
يعرفها العرب ليس في الامور العلمية والفنية والمواضيع الفلسفية فحسب بل في
الامور المعتادة الاجتماعية ايضاً : فقد استعمل العرب بعد الاسلام جملاً والفاظاً لا
ياخذها الاحصاء . لو نشر عرب الجاهلية والقيت على أسماعهم لم يفهموها ولا
عرفوا المراد منها حتى انهم قالوا ان بدويًا سئل عن القلم فلم يفهم معناه ف قيل له :
ماذا تنصور من كنة القلم فقال : اتصور انه شيء بقطع او بقلم ولا أقدر ان
انهم شيئاً وراء ذلك . وبقي العرب بعد الاسلام بكثير يتحامون كثيراً من
الاصطلاحات قال سيبويه في باب الجموع : اعلم انه ليس كل مصدر يجمع كالاغفال
والعقول والحلوم والالباب ألا ترى انك لا تجمع الفكر والعلم والنظر . اهـ .
فتأمل الاز لفة عربية لا يجوز فيها جمع العلم والفكر والنظر . . . والحال انه لا يسكاد
الكاتب ينمق بضعة اسطر حتى يضطر الى ذكر العلوم والافكار والانظار وهي
مستنبضة في النظم والنثر فقولهم (فضلاً عن هذا) زيادة على هذا لان الفضل هو
زيادة : قد رأيت في بعض كتب المتقدمين قوله : فضلاً عن كذا وزائداً على
كذا . نعم ان اكثر استعمال فضلاً عن كذا يبيح بعد نفي ولكن قولهم ان ذلك
في الاكثر صريح بأنه قد يبيح ايضاً بعد ايجاب . والسيد رشيد رحمه الله قبل ان
كتب اليانا هذا الاعتراض قرأ ما جاء في « المصباح » فانه يقول : لا يملك درهما
فضلاً عن دينار وشبهه معناه لا يملك درهماً ولا ديناراً وعدم ملكه للدينار —

وأسفاه بدلاً من فرع الطبول لم يكن حول ابن حامد إلا السكوت
 (النام) فيقف الدهن هنا في (بدلاً) المنصوبة حتى يجيء ما بعدها فيلتبس
 لها ناصباً بالتقدير في الكلام . وتأخيرها مما يتعلق بها يزول هذا التقيد .
 ومن الخطأ في الجملة الأولى وضع (عن) مكان (من) والمنقول (بدل)
 منه) كما في الجملة الثانية وربما كانت الأولى من غلط الطبع والمعاصرون
 يستعملونها .

— أولى بالانتفاء وكأنه قال لا يملك درهماً فكيف يملك ديناراً وانتصابه على
 المصدر والتقدير فقد ملك درهم فقدأ بفضل عن فقد دينار . وقال قطب الدين
 الشيرازي في شرح المفتاح : اعلم ان فضلاً يستعمل في موضع يستبعد فيه الادنى
 ويراد به استحالة ما فوقه ولهذا يقع بين كلامين متغايري المعنى واكثر استعماله
 أن يجيء بعد نفي . وقال شيخنا ابو حيان الاندلسي تزيل مصر المحروسة أبقاء
 الله تعالى : ولم أضفر بنص على أن هذا التركيب من كلام العرب وبسط القول
 في هذه المسألة وهو قريب مما تقدم اهـ .

وقد نقل الزبيدي في شرح القاموس ما ورد في المصباح عن قضية (فضلاً
 عنه) أما سؤال الاستاذ عن إعراب فضلاً في قولي (لانه فضلاً عن الشراب
 يلزمهم لاجز الوضوء) فأجيب بأنه منصوب على المصدر مثل قولهم لا يملك درهماً
 فضلاً عن دينار وتخريجه ان الماء يلزم المسلمين لاجل الوضوء لزوماً فضلاً عن
 لزومه للشرب . اما استعمال (يلزمه) (ويلزم له) فهو أيضاً مستفيض اكثر من
 استفاضة الاول ومعنى لزم ثبت ودام وكأنهم لحظوا ان ما يحتاج اليه الانسان
 بصورة دائمة بعد من الامور اللازمة أي التي يحتاج اليها الانسان لزوماً فصار هذا
 الاصطلاح يفيد معنى الاحتياج ولولم يكن كذلك في الاصل . وقد سألت العلامة
 السيد نبي الدين الهلالي المتقدم الذكر عن جملة « لانه فضلاً عن الشراب يلزمهم—

(٦) ومثله فيما قدم وحقه التأخير قولكم (وأسلحته تزيد رونقاً وجلالاً صباحة وجهه) فصباحة وجهه مفعول أول ورونقاً مفعول ثانٍ وتقديمه خلاف الأصل فلا ينبغي إلا لضرورة شعر أو نكتة من نكت المعاني . وأنا اعتقد أنك إذا لم توافقني الآن على هذا فعملته أنك ألفت قراءة هذه الرواية لأنها من أوائل ترجمتك . بل اعتقد أنك لولا هذه الالفة لصححت منها عند قراءتها الأخيرة ألفاظاً وجملات كثيرة مما لا نراك تستعمله الآن . واعيد التذكير بأن المراد تصحيح ما يتنافى الفصاحة والبلاغة لا ما يتنافى قواعد الاعراب ومفردات اللغة فقط .

(٧) قولك ثم تحفزا وتوائباً الواحد على الآخر . ولا يغرب عنك ان معنى توائباً : وثب أحدهما على الآخر . فلا حاجة معها الى قولك : الواحد على الآخر .

(٨) ومثله (وصاروا يتظاهرون بعضهم على بعض) وهو ما يسمونه لغة البراغيث والفصيح يتظاهر بعضهم على بعض .

لاجل الضوء» فأجاب : الذي يظهر لي أن هذا جائز وإن نصبه على المفعولية المطلقة كما ذكرتم سائغ (قال) : وبدالي وجه آخر في نصبه وهو أن يكون حالاً بمعنى فاضلاً من فاعل يلزم وتقديم الحال جائز قال ابن مالك :

والحال إن ينصب لفعل صرفاً أو صفة اشبهت المصرفاً
فجائز تقديمه وهو هنا كذلك فإن (يلزم) فعل متصرف وأما كون المصدر حالاً فكثير قال ابن مالك :

ومصدر منكر حالاً يقع
وفي ذلك خلاف معروف .

بكثرة كبقية زيد طلع

(٩) وأبعد منها عن الفصاحة بل عن الصواب قولك وبقيت سرايا
الفريقين تتردد الى غزو بعضها بعضاً فانه من عدوى الجرائد وأمثالها من
مكتوبات المعاصرين التي لا تقبلها لغة البراغيث وتجنبها من دونك من
الكتاب المتأقين .

(١٠) وأتذكر ان مما تكرر وهو لا يرضيك الان مثل (نحو ثلاثمائة)
بإضافة نحو الى العدد والمنقول عن الفصحاء (نحو من كذا) فان وجد
نقل للاول فلا اذكره ولا أجد وقتاً للمراجعة الطويلة وحسي من القصيدة
انتصار اساس البلاغة على قوله : وعنده نحو من مائة رجل ^(١) .

(١) متفق على ان الافصح ان يقال (نحو من كذا) ولكن ليس بخلط ان
قيل نحو كذا وقد رأيت هذا الاستعمال في كتاب سيويه وليس مرة واحدة فقد
جاء في الجزء الثاني صفحة ٢٣٥ من طبعة الكتاب في باريز ما يلي : وقالوا نظير
كما قالوا وسيم فبنوه بناء ما هو نحوه في المعنى . وجاء في صفحة ٢٣٦ من الجزء
الثاني : وما كان من الصغر والكبر فهو نحو من هذا وجاء في صفحة ٣٣٥ : وقالوا
ضخم ولم يقولوا ضخيم كما قالوا عظيم ثم قال في الصفحة التي تليها : وقد يبنون
الامم على قَعْل وذلك نحو ضخم ونخم وعبل وجههم اه . ثم يقول : فهذا بذلك
على انه نحو الطويل والقصير . إذا يجوز الوجهان ووضع (من) بعد (نحو) هو
أولي . وسألت صاحبنا السيد الهلالي وهو الغاية البعيدة في النحو واللغة عن هذه
المسألة فقال لي : نعم الافصح العربي الخالص (نحو من ثلاثمائة) . واما المؤلفون
من عهد سيويه الى الان والشعراء فانهم اكثرنا من ذلك . والنحو من معانيه المثل
كما هنا فلا اشكال في جوازه اه .

وسألته ايضاً عن بقية اعتراضات السيد رشيد رحمه الله فقال : «بدلاً من —

(١١) قولك : وكانت المقبرة عبارة عن روضة معروشة من الدارنج والسرور والتخيل . كلمة (عبارة) خاصة بالكلام واستعملها كثير من علمائنا في تفسير بعض الكلم أو تعريف بعض الاصطلاحات اللفظية وانكر هذا بعض اخواننا من نظار المدارس في احدى جلسات المجمع اللغوي فصوبت كلامه في مثل هذا الاستعمال الذي يكثر في الجرائد وانشأها فقط . وفي العبارة ايضاً ان المعروش من الشجر والنجم ما كان كالدوالي وغير المعروش ما كان كالسرور والتخيل وهو ما حققناه في تفسير : « جنات معروشات وغير معروشات » .

(١٢) قولك : ان يصلح ذات البين بين الفرسان . الوجه ان يقال : ذات

— قوع الطبول الخ » يظهر لي ان السيد انما اعترض هنا من جهة البلاغة و كان يوفق فيها كثيراً واما الجواز فلا اراه ينكره و امر ذلك سهل إذ لا يخلو انسان ان يوجد في كلامه خلاف الاولى من جهة البلاغة . (قال) : واصلحته تزيد رونقاً وجلالاً صباحة وجهه » هذا الاعتراض ايضاً من جهة البلاغة بلا شك و يظهر لي ان الصواب فيه مع السيد رشيد لان ركا كنه بادية ولست امنعه و ما اجبتم به فيه ان استجلاب الفكر لصباحة الوجه أهم واولى . (قال) : « و بقيت سرايا الفريقين تتردد الى غزو بعضها بعضاً » جائز وليس هو من لغة الجرائد لان لغة الجرائد ولغة عامة مصر ان يقال مثلاً : « و بقيت السرايا تتردد على غزو بعضها » نعم لا يخلو تلك العبارة من ركة ولو قيل : « و بقيت السرايا يغزو بعضها بعضاً » كما قال تعالى : (وتركنا بعضهم يوج في بعض) لكان اولى . اهـ

نقدم لنا كلام في انا ترجمنا هذا الكلام ترجمة عن الافرنسية من اربعين سنة وراعيناه في الترجمة الحرفية .

بين الفرسان بالاضافة فقط كما قال تعالى : « واصلحوا ذات بينكم » .
 (١٣) قولك في حث البغال وزجرها « بان بناديبها تارة يا جيدة يا مريضة
 او أن يزجرها طوراً بقوله عدس » لا حاجة هنا (لاو) ولا (لأن) فالإقام
 مقام الواو وحدها .

هذا بعض ما بذلت من الاجتهاد في تصحيح كتاب أجل : أصدقائي
 فضلاً وأدباً ووطنية وخدمة للامة من طريق المساعي السياسية ونفثات البراع
 لم أذكره إلا شفيهاً بين يدي اعتذاري عما ذكرني وعائني عليه من
 تعليق بعض الحواشي بمبارة تشعرباني لم أنتـ في بعضها ما يحل بمقامه
 الملحي والادبي فأقول أولاً اني لا أنكر أني تعودت التعليق على بعض
 ما ينشر في المنار لا على كله . ثانياً : لا أنكر أن بعض ما اعلقه —
 وكذا ما اكتبته ابتداءً — قد يكون خطأ . فأما إنكارك ما أقول فيه :
 لعل أصله كذا وهو من غلط الطبع الظاهر في المتن — فلا أراه صواباً
 لان وجهة نظري فيه ان نقله بنصه أمانة وان قولي : لعل أصله كذا
 أقصد به اني أرجح ان أصل الكاتب صحيح وان الخطأ من الطبع ان
 كان مطبوعاً ومن النسخ ان كان مخطوطاً . ولا أتذكر اني تعمدت إظهار
 التخطئة إلا في مقام المناظرة فان وقع مني ما يدل على خلاف ذلك دلالة
 قطعية فلا شك عندي انه من سوء التعبير لا من سوء النية . والتعاليق
 على المطبوعات من مصححي المطابع معهود مؤلف .

وأما حواشي ابن مراح خاصة فأكثرها قد وضعته بحكم العادة ولم
 أفطن لكون الكتاب لغزياً إلا في آخره وفي ذيله الذي طبع أكثره

قبل ورود كتابكم هذا^(١). هذا ما أقوله في جملتها واما التفصيل فأقول فيه ما يأتي :

(١) كان من عادة الاستاذ إذا جاءته كتابة فنشرها في المنار أن يضع عليها تعليقات من عنده في ما يراه خطأ في المتن ولما طبعنا « آخر بني سراج » تحت إشرافه فعل ذلك معنا كما كانت عادته إلا أنه كان لنا على الكتاب تعليقات من قلمنا فنظراً لكون الاستاذ لم يضع إشارة تفرق بين تعليقاته هو وتعليقاتنا نحن اختلط الحابل بالنابل فنهيناها الى ذلك فعاد وصار يضع إشارة تفيد ان التعليق منه لا منا والتزمنا أن نضع تنبيهاً في أول الكتاب هو هذا :

انه لما كان هذا الكتاب قد انطبع بمطبعة المنار بمصر وكنا نحن بمكان والمطبعة بمكان رجونا حضرة الاستاذ العلامة صاحب المنار أن يشرف على طبع الكتاب ويتولى تصحيح مسوداته — وهل يفتى ومالك في المدينة — فعلق الاستاذ أثناء تصحيح المسودات بعض ملاحظات عذت له ومنها ما هو شبه اعتراض على المتن ولما كان بعض هذه الملاحظات غير معاًم عليها بامضائه فخشيت أن يختلط الحابل بالنابل وجب التنبيه على الحواشي التي علقها الاستاذ فهي الواردة في صفحات ٨ و ٢٧ و ٦٣ و ٦٥ و ١١٣ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٩ و ١٩٠ و ٣٤٧ والحاشية الثانية من ص ٧٣ والاولى من ص ٣٧٥ وسائر حواشيه معزوة الى مصحح الطبع وما بقي من الحواشي فهو من قلم مؤلف الكتاب شكيب ارسلان .

فكتب الاستاذ تحت هذا التنبيه اعتذاراً قال فيه : اننا لم نقصد الاعتراض بما ذكر على أمير البيان بل جرى به القلم كعادته لزيادة الفائدة كطلع سينية أبي تمام ذكرنا نص الديوان المطبوع ولا نجزم بأنه الصواب لكثرة غلط الديوان وكلاستدراك في مسألة الجوهري والبرامكة فما في المتن لا بنافيه وكذلك حاشية القدر في ص ٣٦١ وأما حاشية ص ٣٦٧ ففيها حمل كلام المتن على اصل بليغ -

(١) مصراع بيت أبي تمام قصدت به أن هذاربما كان رواية وكان يجب أن أصرح بذلك وأعزوه إلى مصحح الطبع كما فعلت أخيراً ولكن لم أفطن لذلك وأنا فيه مخطي . وكان خطر بي في بالي بعد أن فطنت لتعدد هذا أن أشارككم في التنبيه والتصريح به في آخر الكتاب فسبقتم إلى ذلك فتلقينه بالقبول ودبوان أبي تمام كثير الغلط .

(٢) الاستدراك على مسألة أخذ اللغة عن الجوهري لا يشعر انه مما يخفى على مثلكم وهو مما يعرفه من نعظهم إن قلنا إنهم دونكم . وإنما الاستدراك زيادة فائدة كاستدراك الحاكم على صحيح البخاري ومسلم وهو دونها باتفاق علماء الحديث . وسبب استدراكي أنني أنا وسائر محبي العرب والعربية يتألمون من الدعوى الباطلة التي أذيعت بأن أكثر رجال العلم العربي من الاعاجم حتى اللغة نفسها فجعلت الاستدراك شفاء لآلم من يقرأ هذا الكتاب . والله لم يخطر ببالي انه ربما يكون من لوازمه اتهامك بأنك لا تعرف من كتب قبله من العرب كاخليل وبعده وهم كثيرون فكيف تقول اني جعلتك « ظاناً ان اللغة كلها اخذت عن صحاح الجوهري ومما لا اجعله ان اللغة كلها ليست فيه » . ومثلها مسألة البرامكة .

(٣) لم يبق بعد هذه المسائل إلا كلمة « لعله نخافه » في تصحيح نخاف . وأتذكر ان سبب توقفي في عدها من أغلاط الطبع هو أنني رأيتها في وقت ضيق بعمل كثير فأردت ان أعود الى التأمل فيها فلم يتفق لي ذلك . فثبت بكل ما تقدم جميهه أو مجموعته اني لم اكن لاحرص كل هذا

— مع مخالفة ظاهرة لمورد الحديث .

الحرص على تصحيح كتابكم من كل غلط مطبعي وغير مطبعي ثم أعمد إلى موضعين أو ثلاثة مواضع من غلط الطبع فأعاق تصحيحه بحاشية أقصد بها إيهام قارئه أنها خطأ أصلي وأتعمد تعليق حاشيتين أو ثلاث استدراكاً على عبارات فيه لمثل هذا الإيهام !!

لو ثبت هذا عليّ لكنت مجرداً من أفضل حسنة أرجو بها الزلنى عند الله تعالى بعد الايمان وهي حسن النية والاخلاص في كل قول وعمل . ومن أفضل حسنة أرجو بها ثبات مودة الاخوان الذين تجمعني بهم صلة العلم والادب والعمل للملة والامة وأنت عندي في الذروة من الجامعين لهما . وان انتهامي بذلك اتهام بضد ما أنا عليه لا بما أنا بريء منه فقط فوالله لم أقصد بإضاعة وقتي الذي هو أضيق من مم الحياط على عملي الا الحرص على سمعتك الحالية في علم الادب التي نلتها بحق أن يتناولها المدققون في تحريتي صحيح اللغة وفصيحها في هذه الايام فيضعوها في ميزان النقد بهفوات وقعت منك في أول عهدك بالانشاء والترجمة أيام كان أكثر ما يستعمل في الكتب وهو غير مخالف للقواعد النحوية والصرفية مقبولا عند الجمهور وهم اليوم يخطئون أشهر العلماء المتقدمين في مسائل كثيرة .

وما جربت معك في هذا إلا على الطريقة التي استقمت عليها في معاملة شيخنا الاستاذ الامام في عهده وبعد عهده فقد كنت أراجعه في حالة القرب بما أرى أن يحتاج إلى إصلاح لفظي أو معنوي من كلامه فيفسر بذلك جد السرور ويعمل به وكنت أصحح في حالة البعد ما أقطع بأن تغييره أولى . وقد علقت على رسالة التوحيد حواشي لا تخلو من تخطئة للأصل وقد أذن لي بتصحيح خطابه الذي ألقاه في تونس بعد أن

طبع فيها مصححاً بقلمه ولم يبال ان يرى علماء تونس وادباؤها ان ما طبع في المنار أصح مما طبع عندهم فقد كانت هذه المعاملة من أستاذنا الأكبر في الانشاء وعلوم البلاغة سبباً في تمكن تلك العادة التي أشار اليها سيدي الامير واعترفنا له مع ذلك بالحق فيما انتقده منها . وأرجو ان يكون لانتقادنا تأثير عملي يقف بالتساهل فيها عند حد فائتي أن أعد مسيئاً فيما أردت به الاحسان كما وقع لي معه في مسائل أخرى حرصت فيها على إبدائه بما عندي فيها من رأي ورواية وخبر وخبر لتكون متفقين فيها وسواء في معرفة قوادمها وخوافيها فاتهمني فيها بأنني اتهمته بما اضطرت بعد طول الجدل أن أقسم له يميناً مؤكدة بأنني لم أقصد اتهامه ولا ظننت ذلك فيه بل أعتقد انه على خلافه .

(إلى أن يقول) : هذا — واذا كنت أقصد بهذا الكتاب « تصفية حساب » تلك المجادلات التي أكرهها واتهامها مع الاخوان وقد وقعت فيها على توقع لها — فاني لا بد من ذكر كلمة في المسائلين اللتين ذكرت انني أخطأت فيهما الحق في حواشي المنار لا لأبرئ نفسي من الخطأ بل لأربك أن جزمك هذا فيه نظر ومجال للبحث في الاولى وأنت أقرب الى الخطأ في الاخرى بل انا المصيب فيهما جميعاً .

(الاولى مسألة ارياني في افتتاح العرب لرومية واكتساحها) الكسح والاكتساح هو الكس والاثني أبلغ من الاول ويستعملان مجازاً فيما استعملتم فيه الاكتساح ولا أزال أرى استعمالكم له في غير محله وأرى تعليلي عليه في محله . وما أجبتكم به عنه هو حجة لي عليكم لا لكم عليّ على انني لم أجزم بتخطئكم في تلك الحاشية وإنما وقفت معكم موقف

السائل لكم المعترف لكم بأنكم أعلم منه بالتاريخ وذكركم للمسئلة في سياق مکتوبکم الاخير يسلكها في الحواشي التي أدل بها وأظهر تهجیل الناس بها علی کونی مخطئا فيها . قال في شرح القاموس وبعض قوله من المتن : ومن الجاز أغاروا عليهم فاكتسحوهم أي اخذوا ما لهم كله . ويقال اتينا علی بني فلان فاكتسحنا ما لهم أي لم نبق لهم شيئا اه . فهو يقول يا سيدي ان ما كتبت في الجواب ونشرناه في (ج ٩ م ٢٤) نص في ان العرب فتحوا رومية واكتسحوها ؟ انك صرحت بانك لم تدع انهم فتحوها ولكنك لم تثبت انهم اكتسحوها فـا ذكرت عنهم ليس اكتساحا فإن أصررت بعد هذا علی انه يسمى اكتساحا فاننا نحكم في المسألة اشر علماء اللغة والتاريخ بمصر ونرضى بحكمهم (كأحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا) .

(المسئلة الثانية) قولك ان كلمة الفيالق « وردت بالتذكير أيضا في فقه اللغة للشمالي عند تفسيره درجات الجيوش » تنبي انني أخطأت في جعلها مؤنثة لانها وردت بالوجهين وقد راجعت فقه اللغة فلم أر فيه وصفها بالتذكير ولا بالأنثى وإنما ذكرها مع الالفاظ المرادفة للجيش والالفاظ المتفقة في المعنى لا يجب أن تكون كلها مذكرة او مؤنثة ولو وجب هذا لكان حكما منها بتذكيرها فقط ومخالفته لجميع رواة اللغة الذين نقلت اقوالهم في الماجم والمخصص علی أن جملة إياها بمعنى الجيش والجحفل وهو قوله : من الف الى اربعة آلاف ودون الكتيبة مخالف لاقوال بعض أئمة اللغة ككثير من حدوده . ففي المخصص بعد ذكر المقتب والاختلاف في انه الف واثنة أو مئتان أو أكثر ما نصه : فاذا كثروا فهي الفيالق . ابن دريد :

الفيلق الكثيرة السلاح أو هي الشديدة . ابو عبيد الفيلق اسم للكتيبة اه
ويؤخذ من لسان العرب وغيره تأنيث الفيلق لانه اسم للكتيبة أي على
رواية ابي عبيد — او لانه وصف للداهية الشديدة فقد نقل انهم قالوا
كتيبة فيلق اي شديدة وانه تشبيه لها بالداهية كما قالوا امرأة فيلق ، وفي
مستدرک التاج : والفيلق كصيقل الداهية والامر العجب ورمام بفيلق
شبهاء اي كتيبة منكرة ، وبلي فلان بامرأة فيلق اي داهية منكرة
صخابة . وجملة القول ان كلمة فيلق قد اتفقوا على تأنيثها واختلفوا في تحديد
معناها لان العرب لم تكن تتحد مثل هذه الالفاظ بالمدد . وتفسير بعضهم
لها بالجيش وهو المسكر الكثير لا يتضمن جواز تذكيرها لانهم اوردوا
لها شاهداً من كلام الرب ذكرت فيه مؤنثة . وهب بمد هذا انه جائز
واننا عثرنا على رواية شاذة تؤيد الجواز أي مد هذا مخرجا لمن اطلق قول
الجمهور من كونه محققا والمقام مقام ما يستعمله فصحاء الكتاب لا مقام
تحرير ما ورد من الروايات في الكلمة ؟

بعد هذا كله اعترف تكراراً بأنني أخطي كثيراً فيما اكتب وان
بعض ما اخطي فيه عن جهل وبعضه عن ذهول ونسيان لما انتقده على علم
وبعضه من سبق القلم ولم اقرأ لاحد من كتاب هذا المصر حتى المشهورين
منهم بالتدقيق والنقد كاليازجي كلاماً كثيراً سالماً من الغلط . وان من
حسن حظ الانسان ان يوجد له اخوان ينصحون له ببيان ما يروونه خطأ
من كلامه . وقد سررت جد السرور لما كتبتم إلي تلك الكلمات التي
قلتم انكم تجدونها او وجدتموها في كلامي وهي مما تتجنبون استعماله
« كالواسطة » « والخزينة » واجيبكم بما لراه صواباً منهن كالخزينة وما

جارت فيه العلماء كالواسطة — وقد رأيتها في كلامكم أيضاً — وما لا أعرف له أصلاً ولا استعمالاً للعلماء المتقدمين ولا أتذكر الآن ما هو واستحسن أن يتكلم هذا بيننا بمثل ما بدا من الانصاف في العلم وعدم اتهام أحد منا لآخره بالخط من قدره والانتصاب للمدافعة عن نفسه ولو بالقابل والاحتمال والتماس المخرج ولو بشواذ الأقوال وهو ما وقعنا فيه أخيراً حتى أنك أخذت تماربني في حديث مما اشتهر على الاسنة ذكرت لك القول الفصل فيه وفي بعض المسائل الدينية كما بوصف الله تعالى به وما لا بوصف وفي استعمال لفظ الصلاة بمعنى الدعاء كما يستعملها النصارى — فسكت عن تفصيل القول فيه لكرامتي لمثل ذلك ولا سيما مع الاخوان كما ذكرت في هذا الكتاب وفي غيره من قبل ولأن الشرح فيه يطول ولا يستحق ان يضاع فيه الوقت وهو ضار غير نافع . وما كتبت هذا الا لما ذكرت من تصفية الحساب فيما رأيتك فيه تعيد الماضي كمسألة اكتساح العرب لرومية التي أقررت لك في المنار بفضل بيانها بعد أن صرحت عند إيرادها بانك أعلم مني بالتاريخ وإنما أشرت بلطف خفي الى أن جوابك لي لم يظهر منه ان ما أوردته يصح ان يسمى اكتساحاً فلم تكف بذلك .

وأختم هذا البحث بأن لك الحق كل الحق في انتقادك وضع الحواشي على كتاب « هو لك لا لي » وبانني لا أعود الى مثل ذلك فيما هو لي اذا تفضلت عليّ بكتابة شيء فيه وهو المنار الذي أرجو أن يكون دائماً موضع عطفك ومساعدتك ومظهر علمك وأدبك وأرجو ان أكون أحسن حظاً في هذا الكتاب على ثقله وجدله وطوله مني في غيره فانال به مباح

أطلبه من حفظ المودة وثباتها ونائها بالاخلاص التام لا بمجرد المجاملة التي
تقتضيها المظاهر كما هو شأن أكثر الناس .

يا حبّ ليلى لا تغير وازدد وانم كما ينمي الخضاب في اليد
(إلى أن يقول) :

التعريف بكتاب اخبار العصر وبالمراسيم السلطانية الاربعة
لما أرسلتم هذين الاثرين التاريخيين أرسلتم معهما مقدمة لها للتعريف
بهما فوضعتما معهما ولم أقرأها لضيق الوقت عن قراءة شيء قبل الحاجة اليه
فلما حان وقت طبعها لم أرَ معهما شيئاً وكنت نسيت المقدمة فطبعها بدونها
وفي أثناء طبعها ورد كتابك فتذكرت المقدمة واضطررنا الى جعلها خاتمة
ولولا ذلك النسيان لما وضعت سطر الذنبه في آخر ديباجة الكتاب . وكنت
عازماً على إرسالها اليك قبل جمع حروف الفهرس وتصحيح الخطأ لفهرسها
وتصححها ثم رأيت ان هذا يقتضي تأخير إصدار الكتاب بدون فائدة .
والفهرسة لها سهلة وتصحيح غلط الطبع إنما يكون بمقابلة الاصل وهو
عندنا وما كان فيها من غلط أصلي بالمربية فقد ترك على حاله لان النقل
أمانة وقد تأخر جمع حروف الفهرس وجدول التصحيح لان الارقام التي
في المطبعة كانت مشغولة بفهرس آخر للسنار وكان لدينا فهرس ثالث
وجدول تصحيح لكتاب من كتب ابن سعود ثم طبعه من عهد بعيد
فأخراهما .

وأذكر على سبيل الاستطراد انك تكتب كلمة فهرست الفارسية مع
ورود كلمة فهرس في معاجمنا واشتقاقهم منها فهرس الكتاب بفهرسه وتصريح
بعضهم بانها معرب فهرست .

بدأت بهذا الكتاب منذ أيام فطال فوق ما كنت قدرت وجاء في هذه المدة كتابان منك لي وآخران للسيد عاصم وقد مررت بوجود الآلة النفيسة الرخيصة وكتبت الي وكيل الرجل المحتاج اليها بأن يبلغه خبرها .

وكتابك الاخير للسيد عاصم تمنى فيه لو يكذب ظن من أساء الظن باناس قد بلونا بانفسنا منهم مثل ما ظنه . ونحن موقنون لا ظانون ومم هذا تمنى مثلك لو يكذب ظنه لما في كذبه من الفائدة والمنفعة لمن نحبها لهم ومن توبة بعض المسيئين وصلاح حالهم . وإنما ذكرت هذا لا كاشفك بما وقع في نفسي عندما قرأ السيد عاصم تنبيك هذا قلت في نفسي : سبحان الله إن هذا الصديق يغلب حسن الظن على سوءه فيمن لا يعرف من الناس ويتأول لهم أو بدافع عنهم ويناضل دونهم إن أمكن ثم هو يسيء الظن في أخلص الناس له وأعرفهم بقدره وأحرصهم على رفعة ذكره — وبهذه المكاشفة قد انتهى العتاب . وأسأل الله تعالى ان لا يقع بيننا بعد هذا ما يثير ظنة أو يحدث ريباً في حسن النية وإن اختلف الرأي في بعض المسائل على انه لن يكون إن شاء الله تعالى إلا في الوسائل وقد اعتمد كل منا احترام آراء المستقلين حتى فيمن نخالفهم في السياسة والادب والدين وان بوقفنا دائماً للتعاون على البر والتقوى وخدمة أمتنا البائسة المسكينة ويقر أعيننا برؤية ثمرة خدمتنا وان يهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ويميلنا للمتقين إماماً .

محمد رشيد رضا

وله إلى كتاب تاريخه ٩ صفر ١٣٤٤ و ١٨ اغسطس :

سيدي الاخ الامير

وصلت مکتوباتك من مختصر ومطول وأطول وآخرها ما كتب قبل سفرك
بساعتين وهو مبني على بلاغ كاذب وصل اليك من مصر بشأن لجنة
المؤتمر السوري الفلسطيني وكنت أنتظر إتمام ما شرعنا فيه من خدمتك
وتنفيذ رغباتك في كتاب حاضر العالم الاسلامي ومجموع الكتب الاندلسية
من الرواية وذبولها واذنابها الطاووسية (إلى أن يقول) :

واما لجنة المؤتمر السوري الفلسطيني فقد كانت قليلة وادعة الحركة ضعيفة
النشاط الى يوم الاربعاء الماضي فقد ظهر في الجلسة التي عقدت في مساءه
حركة جديدة ذكر فيها وجوب ارسال وفد الى جنيف وكانت المنتظر
قبله الاكتفاء بإرسال مذكرة أو نداء الى جمعية الامم . وكنت أرجو
أن أوفق لاقتناع اللجنة بإرسال ذلك اليك . وكان سبب هذه الحركة
الجديدة انباء البلاد الاخيرة ووصول تعليمات تفصيلية عن حالة البلاد العامة
ارسلها حزب الشعب من دمشق لتودع في مذكرة اللجنة أو نداؤها كما
كان الحزب قد وعد . وقد ظهر تلك الليلة من الامير ميشيل الميل الى
السفر ولم يكن ذلك منتظراً لان اخويه كليهما مسافران وقد قرب موسم
القطن وبلغ علي رفاقنا بأن أسافر معه لاجل التوفيق بينكما وخشية
حدوث ما لا يحمد منكما لما كان في العام الماضي . . . ولكن شغلي في
هذا العام لا يتيح لي كثرته مفارقة القاهرة يوماً او يومين الى الاسكندرية
أو بورت سعيد أو رأس البر .

واني لا استطيع أن افتح على نفسي باب بحث آخر معكم في هذا

الكتاب إلا أني اتمعجب مما بقي لفلان واولاده عندكم من المكانة ولا
ازيد في هذا على قولي ان بيننا خلافاً في حال البلاد العربية ومستقبلها
وان كان ليس بيننا أذى خلاف فيما نخبه ونتمناه ولا يسهل عليّ بيان
رأبي مفصلاً الا اذا اذن الله تعالى بان نتلاقى وفرصة التلاقي سانحة ولكن
الموانع قوية والأمر بيد الله والسلام عليكم أولاً وآخرأ من انيكم
اغخلص

مبشر

وفي ذيل هذا الكتاب حاشية بقلم رصاص هذا نصها :
نشر سلطان نجد بلاغاً رسمياً للعالم الاسلامي صرح فيه بأنه لن
يكون لاجنبي أقل نفوذ في الحجاز وامتنع من التصديق على إلحاق خط
العقبة وممان بشرق الاردن فطفق الانكليز يشاكسونه بالدعاية وبمساعدة
خصمه وقد أذنوا للحكومة المصرية بتسليم الذخائر الحربية التي حجزتها
في السويس سابقاً للشريف علي .

وله كتاب مؤرخ في ٢٠ ربيع الانور من تلك السنة نفسها :

سيدي الاخ الامير

كنت اليك قبل هذا كتاباً وجيزاً كنت اريد أن اصله بغيره عند
انتهاء بعض الامور التي كنا بصدد الاشتغال بها فلم تنته الا وقد انتهى
مكثك في سويسرة او شغلك فيها ولم نعلم اين تنتوي بعدها حتى جاء
كتابك اول من امس الى ولدنا السيد عاصم وليس فيه إلا سؤالك اياه

عن الحكيم أجمل خان^(١) فأنا أعرفه من زهاء ربع قرن إذ كان ألم بالقاهرة في عودة له من اوروبا الى الهند ثم لقينته في بلدة دهلي وكرمني هناك تكرمياً . ولما زار القاهرة في هذه المرة جددنا المودة ودعوته مع كبار العلماء وحضرت دعواتهم له . ولما غادرها الى سوريا ولبنان لم أكن أتمت مباحثي معه في المسائل الاربع التي كانت موضوع البحث فكتبت اليه أن يعود الى القاهرة قبل سفره الى الهند فكتب إلي يقترح أن ألقاه في بورت سعيد إن أمكن حتى لا يشغلنا عن البحث شاغل فكتبت اليه : انه لا يتيسر لي ترك القاهرة في هذه الايام ولا بد من عودته هو ففعل .

اما المسائل الاربع فهي :

(١) مقاومة تيار الإلحاد الذي يفرق فيه الالوف من المسلمين في هذا

العصر .

(١) الحكيم أجمل خان من زعماء مسلمي الهند الذين اتفقت كلمة الخلق على وصفهم بالعلم والفضل والتزاهة والاخلاص ولم تسعف الاقدار بأن يكون بيننا وبينه تعارف شخصي الا انه جاءني من رشيد بك طابع بمكانه يومئذ في القدس كتاب يقول لي فيه : ان الحكيم أجمل خان الزعيم المسلم الهندي بوصيك بفلان من رجالات الهند الوطنيين ان تقابله وتعتمد عليه . فجاء الهندي المذكور وقابلته في منزلي بلوزان وكان موضوع المقابلة مسألة سياسية لا محل لذكرها هنا وإنما هي في مصلحة المسلمين . فأردت ان أستزيد معلومات عن الحكيم أجمل خان بسؤال الشيخ رشيد رضا فأجابني بالتفصيل كما يرى القارئ . وقد توفي الحكيم أجمل خان وابنه الشيخ رشيد في النار في نفس الجزء الذي ابن فيه اخي نسبياً وامين الرافعي رحم الله الجميع وهو الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين .

(٢) مقارنة العصبية الجنسية المضعفة للرابطة الاسلامية .

(٣) الوحدة الاسلامية وإزالة ما يضعفها من عصبية المذاهب .

(٤) الخلافة والمؤتمرات الاسلامية وحفظ جزيرة العرب من النفوذ الاجنبي

— أو وبدون هاتين مسألتين وما قباها مسألة واحدة — وقد أجبته عن كل واحدة بما أقمه وعده فصل الخطاب ووعد بعرض السري منه على اخوانه الزعماء فقط وكذلك كان شأني مع الدكتور انصاري صاحبه .

الحكيم اجمل خان من اكبر زعماء الهند — إن لم يكن اكبرهم — قدراً وعقلاً وعلماً وإخلاصاً هو من بيت قديم من صلالة « ملا علي القاري » المحدث الفقيه الحنفي المشهور . وهو طبيب واسع العلم بالطب العربي اليوناني مع الالمام بالطب الحديث . وفي أجداده عدة أطباء مثله وعنده خزانة كتب وآثار موروثه فيها من نفائس كتب الطب والعلوم المختلفة مخطوطة بأجمل الخطوط على اجمل الورق المصنوع بعضه من الحرير . وهو يحسن اللغة العربية فلا يحتاج مثلاً معه الى ترجمان وقد انتخب مرة لرئاسة المؤتمر الهندي العام المؤلف من جمعية الخلافة وجمعيات العلماء وغيرهم من الهندوس وتولى قبل الآن رئاسة جمعية الخلافة وقد انتخب للرئاسة ثانية قبل ان يرحل مصر في الشهر الماضي . وقد ذكرت لك له في اثناء الكلام مراراً .

الآن عند كتابة هذه الكلمة تذكرت ما كتبت إلي من قبل انتقاداً على اقتراح زعماء الهند جعل حكومة الحجاز جمهورية وأظن أنني كتبت اليك اني ما اراهم يصرون على هذا الاقتراح اذا ظهر لهم ان المصلحة في غيره . وقد قلت للحكيم : ان حكومة الخلافة الاسلامية اقرب

إلى شكل الجمهورية منها إلى سائر أشكال الحكم المعروف في أصول القوانين المصرية ولكن لنظ الجمهورية بنظر أكثر المسلمين ولا سيما بعد أن بنى عليه الترك إلغاء الخلافة والفصل بين الدين والدولة. والفرض الأول من معنى الخلافة ومن معنى الجمهورية منع الاستبداد وتحكم السلطة الشخصية المطلقة ويمكننا السعي لهذا مع انقضاء الاتهام الضار والبعد عن الالفاظ التقليدية... فوافقني على قولي هذا وعلى تخطئة الذين لا يزالون يهرون على جعل الخليفة تركياً.

وجملة القول انه في الذروة من زعماء الهند وكان كذلك قبل أن تعرف الهند صديقيه محمد علي. شجرت علي اللذين ما ظهرا واشتهرا إلا باضطهاد حكومة الهند لهما بعد الحرب. وقد مررتي انه كتب اليك ويسرني أن تكونا مدققين^(١) ويسوئني جداً أن وقع ما أرجو أن لا يقع منك من الكتابة له باستحسان الصالح بين الشريف علي وابن سعود. وأرجو أن

(١) لم يكتب إلي الحكيم أجمل خان رأساً وإنما كلف المرحوم رشيد بك طابع أن يكتب إلي توصية بحق أحد رجال الهند الوطنيين كما تقدم الكلام عليه فدل بهذا علي ما كان عنده من حسن الاعتقاد بحقنا ومضى رحمه الله إلى ربه ولم تقيض لي مشاهدته وكنت سألت عنه المحسن الشهيد الشيخ قاسم آل إبراهيم المقيم في بجاي لما زارني في لوزان سنة ١٩٢٧ فزكاه أحسن ترقية ونوته بفضل. وأما الدكتور أنصاري فكان قد حضر عمداً إلى لوزان لمواجهة فقيل له إنني انتقلت إلى جنيف ولم يجبروه بعنواني فيها ففعل إلى باريز وأخبر بذلك الاخ حسين رؤوف بك رئيس وزراء تركيا سابقاً فكتب إلي من باريز بذلك وان الدكتور أنصاري سيذورني مرة أخرى بعد أن يعرف عنواني الا انه لم يعد إلى أوربة وبلغني نعيه في السنة الماضية رحمه الله.

تنتظر رأي أخيك في هذا مفصلاً . بعض التفصيل في مقال طويل نشرت
جريدة الاخبار الفصل الاول منه وستنشر باقيه وسأرسله اليك . إن
زعهاء الهند السياسيين الذين يعرفون الحقائق مجموت على رأي ابن سعود
وقد أحدث الانكليز فتنة كبيرة في الهند وغيرها بنوها على الدعاية الهاشمية
ومقالي الاخير في هذه الفتنة والباعث عليها . وأما ما كنت وعدت به هنا
من شؤوننا السورية فقد علمت انني وفقت لانجازه والله الحمد والسلام عليك
أولاً وآخرآ من أخيك م

رحيم

* * *

وله إليّ كتاب مؤرخ في ١١ ربيع الآخر ١٣٤٤ و ٢٩ أكتوبر:
سيدي الأخ المجاهد في سبيل الله

لقد كنت في غنى عن إطالة كتابك الاخير باقامة الحجج على وجوب
اشتغال المسلمين بالعلوم الطبيعية والكجادية والآلية بمثل ما ذكرته في
كتاب وجيز سابق من ان مثل هذا يقال لفيدي وفي غنى عن الاعتذار
او الادلاء بالحجج في مشكلة طلب الصالح او عدوه ولا سيما بعد الذي
كتبته إلي اخينا الشيخ ابراهيم بن معمر .

قد مررت جداً من كتابك له فهو أهم ما عرض لنا من وسائل
النجاح . ولكن في مطالب الترك مشكلة عظيمة وهي الاعتراف لهم بأهم
موقع من العراق وسورية^(١) ومن يعترف لهم بما يطعمون فيه يمرض

(١) كنت ذكرت السيد رشيد بعض محادثات كانت جرت لي مع الترك -

نفسه لعداوة أهل القطرين جميعاً بحيث ، فإذا أمكن السكوت عن مسائل الحدود فلا عاقبة فيما أرى تحول دون نجاح السعي — وإن لم يمكن السكوت وأمکن التصريح بعبارة مجملة سلبية كعدم منازعة أحد للآخر في حدوده المقررة عنده من غير ذكر لشيء منها — يهون الأمر فما قولك وما رأيك في هذه المشكلة ؟ والكتاب أرسل الى ذي الشأن وسياسر بعض اخواننا بعد يومين إن لم يعرض له مانع وقد زودته انا وصاحب الكتاب بما يجب من النصح وما عندنا من الرأي في فروع القضية .

إن أخوف ما نخافه في هذه الايام على عبد العزيز أن يتفق مع من يفاوضه الان على شيء ما . ونسأل الله تعالى ان تفشل المفارضة وتنتهي بالتأجيل فإن كل اتفاق مع الظلم الطامع ضار غير نافع فإن وجد فيه ما صورته النفع فلا يكون نقماً صحيحاً من قبله اعني أنه يكون مما يمكن نياله بدون الاتفاق معه فإن سلم من هذه هان غيرها . ورجي ان يكون المستقبل خيراً من الماضي . ومن المشكلات الجديدة المهمة عندنا ان صاحب اليمن قد تصدى في هذه الايام للتدخل في مسألة الحجاز ولا ندرى بأي نية ولا بأي محرك وسأكتب اليه اليوم ان شاء الله .

وبقي من أخبار الجزيرة المهمة نبأ الوفد المصري انه ذهب للسعي والتوسط بالصلح ولم أرَ أحداً من المسلمين يحسن الظن به ولا يبرئه من الدسائس الاجنبية وزاد في سوء الظن فيه تنويه المقطم وحده به وتصريحه بفرضه وأنه السعي للصلح وإنما زاد الكثيرون على ما قاله المقطم مسألة

— وأنهم كانوا يشترطون للاتفاق مع العرب التخلي لهم عن الموصل واسكندرونة وانا أوضحنا لهم استحالة قبول العرب بهذه الشروط .

الخلافة ومنهم من كان يرى ان هذه هي المقصودة بالذات وكانت النتيجة كما قال انقظم ان رئيس الوفد أمكنه أن يأخذ من السلطان تفويضاً لجلالة ملك مصر بأن يتولى هو تأليف لجنة من المصريين وبدعو حكومتي ايران والافغان الى الاشتراك فيها ويسمح ايضاً لجمعية الهند الثلاث بثلاثة مندوبين ينتظمون في ملك اللجنة وتكون وظيفة اللجنة استفتاء اهل الحجاز فيمن يختارونه من انفسهم ليكون ملكاً عليهم من غير بيت الحسين ثم وضع نظام لحكومة الحجاز الخ ولا ندرى أأقنع رئيس الوفد المصري سلطان نجد بهذا اقناعاً كما يقول أم كان كل منهما مخادعاً للآخر؟ وسنعلم هذا . ولعلكم علمتم من اخبار الجرائد أن وفداً من الهند قد سافر الى الحجاز وهو لا علاقة له بهذا الاتفاق ولا ينسح وقتي اليوم لاكثر مما كتبت في هذه المسألة .

المسألة السورية

وصلت برقياتك وكلنا مهتمون بالعمل من جميع وجوهه السياسية والمالية كما تحب فلجنة المؤتمر السوري الفلسطيني حررت نداء وجهته الى جمعية الامم وخارجيات الدول الكبرى ومنها الولايات المتحدة وكذا الجرائد الشهيرة في هذه الممالك ومنها المانية . وهذه جمعية الرابطة الشرقية عقدت جلسة اول من امر بحثنا فيها في نكبة سورية فكانت منتهى شوطنا برقية وجيزة لعصبة الامم وللالة الفرنسية وبعض جرائدها الشهيرة وفتح باب الاكتتاب للاعانة فلم يبلغ ما تبرع الحاضرون من أعضاء مجلس الادارة مائة جنيه بل كان ٩٠ جنهماً على ما أذكره . والفنا لجنة

للدعوة ونشرنا استصراحاً للناس . ودعت لجنة التجار التي ألفت لاعانة الجرحى شهر وجهاء السوريين الى اجتماع عقد مساء الخميس الماضي بليلة السبت للبحث فيما يجب فحضر جمهور لا بأس به ووضع نداء الجمعية الامم وكبرى الدول وافق عليه الحاضرون بعد البحث والتنقيح وتألفت لجنة لارصاله بعد ترجمته الى سفراء الدول ونقرر تأليف لجنة لجمع الاعانات للمتكوبين غير لجنة التجار المؤلفة لاعانة الجرحى . وسأكلم اليوم شيخ الازهر أو السكرتير العام للمعاهد الدينية في وجوب كتابة شيء ونشره باسم كبار العلماء على ان هؤلاء لا يدخلون في باب الاعمال العامة وإن لم تكن سياسية إلا اذا علموا بارتياح البلاط لها . وهل يعدون من ذلك الدعوة الى اعانة المتكوبين ام لا ؟ سنرى .

كتاب حاضر العالم الاسيرى

لقد كان توقعك او تصورك اني امتنعت من تقريظ هذا الكتاب عمداً مثاراً لاشد العجب في نفسي وانت انت الذي يغلب عليك حسن الظن بالناس لاقبل معرفة على القرب او البعد . وما يجب أن يكون معلوماً عندك بالضرورة أن هذا الكتاب من أهم الكتب عندي وان تعليقاتك عليه اهم منه وان كونها لك يزيد قيمتها عندي وهذا مما يوقن به كل من يعرفني ويعرف الكتاب معرفة دون معرفتك دع ما كتبتك اليك في شأنه - فكيف خطرت في بالك إمكان وجود مانع يمنعني من تقريظه ؟؟ اني قرظته منذ موصل الى يدي وقبل أن أتمكن من مطالعته للاستفادة منه فاكثفت بقراءة ما يبيع لي أن أكتب على علم ومراجعة الفهرس وقد نشر التقريظ

في الجزء الثالث المؤرخ في سلخ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ ولكن الادارة
أخرت نشر هذا الجزء ففشرته مع الجزء الرابع وقد سألت السيد عاصماً
هل أرسل اليك الجزئين فقال نعم واذا علمت من كتابك الاخير انهما لم
يصلا اليك فسأرسل جميع ما وزع من أجزاء المجلد ٢٦ اليك وهي خمسة
وسيوزع السارس في الاسبوع الآتي ان شاء الله فاذا زاد عندك بعض
الاجزاء لتكرار إرسالها فلك ان تعيدها ولك ان تهبها او ترسلها لمن يرجى
ان يشترك بل لمن شئت مطلقاً .

وقد كتب الينا اخونا الامير عادل منذ اسبوع يقول انه كتب الى
صاحب مكتبة المعارف بأن يعطينا بقية النسخ الباقية لك من الكتاب .
والسلام عليكم أولاً وآخراً ؟
من اخيكم

محمد

وكتب إلي في ٢٥ ربيع الآخر ١٣٤٤ و ١٢ تشرين الثاني الكتاب
الآتي :

سيدري الاخ الامير

كتبت اليك جواب كتابك وانا انتظر مرجوعه ، وبرقياتك كلها
وصلت وكان لها من العناية ما يرضيك . والمهم عندي من مخاطبتك بهذا
الكتاب ثلاث :

(اولها) إعلامك بأن رسولاً سافر الى الحجاز حملته من التفصيل في
جميع المسائل ما تسر به ولا سيما اذا فجعنا فيه . ومنه ما يتعلق بسعيك
وجهادك العام والخاص في المسألة الاخيرة التي لا يحسن التصريح بها في كل

كتاب وقد كتبت إلى صاحبنا أن الاشكال فيها من جهة واحدة يسمى لانقاع الطرف الآخر بالسكوت عنها وهي التي يشير اعترافه بها مسخط أصحاب المصلحة فيها . وإذا دخلت المسألة في طور جدي فقد اقترحت أن تكون انت المعتمد فيه .

(ثانيها) إن السلطان ابن السعود قد كتب فعلاً إلى بعض الملوك والامراء ورؤساء الجماعات الاسلامية كتباً بدعهم فيها إلى إرسال وفود التعاون معه على حل مسألة الحجاز على ان تكون حكومة الحجاز للحجازيين بشروط منها أن تكون البلاد تحت إشراف العالم الاسلامي وان لا يكون لها حق في إعلان حرب وأن لا تعامل دولة غير اسلامية مطلقاً لا في اتفاق سياسي ولا اقتصادي وان ينتخب الحجازيون حاكمهم تحت إشراف لجنة وفود العالم الاسلامي وهذه اللجنة هي التي تضع النظام لحكومة الحجاز وتبين شكها وحدودها الخ . ووعد في كتبه بأن بلاد الحجاز التي هي أمانة في يده يسلمها للحاكم المنتخب بالشروط التي ذكرها وأن انتخابه يكون حراً تحت إشراف اللجنة ^(١) بشرط أن لا يكون من بيت حسين بن علي وأولاده — أترى أن صديقنا الشريف حيدرأ يرضى أن يرشح نفسه لامارة الحجاز بهذه الشروط لننخذ الوسائل لمساعدته؟ هذا ما كنت أتوقعه وانتظره في نهاية هذه المسألة ولم أحب أن أصرح بأن لي ضلعاً مع احد قبل وقته . أكتب اليه إن شئت ويجوز ان اكتب أنا أيضاً .

(ثالثها) إن مسألة سوريا ربما تدخل في طور المفاوضة في البلاد وفي خارجها وربما تؤدي الوسائل بذلك الى الفشل من قبيل من يتصدون

(١) هذا شيء جري العدول عنه فيما بعد لتعذر تحقيقه .

للساطة وقد بدأ سمامرة العروش وطلاب التيجان أثماناً للشعوب والايوطان
بلقون دلاءم بل بفتانون على أولي الشأن في بلادهم وشعوبهم لانهم جعلوا
أشخاصهم أولى منهم في أنفسهم . (الى أن يقول) :

ثم الواجب مع هذا أن نسي لجمع كلمة العاملين من رجال الثورة
وغيرهم لثلا يعرض لهم التخاذل والفشل بما قد يعرض عليهم من الشروط
أو المنافع - وأن تحصر المفاوضة في جهة واحدة على قاعدة الاستقلال
الصحيح - ومسألة المعاهدة على قاعدة العراق بدعي فيصل انه هو ابنكرها
وأقنع الفرنسيين بها والنواب أنها تكلم بها قبله وأنا كمت صفير فرنسة
هنا كلاماً جدياً طويلاً صرحت له فيه بأنه لم يبق لفرنسة طريق إلى
مرضاة سورية والتفصي من الخسائر المالية والادبية التي لا نهاية لها إذا
أصرّت على سياستها إلا استغلال البلاد ومساعدة فرنسا لها على الطريقة
التي سارت عايرها في مساعدة محمد علي باشا الكبير بمصر . . . فأعجبه هذا
الرأي ولكنه ادعى ان اختلاف الطوائف والادبان في سوريا يحول دون
اتفاق أهلها على حاكم واحد ونظام واحد . فأقنمته بأن هذا الرأي غير
صحيح وان الاختلاف والتفرق أولاً وآخراً لم يكن إلا منهم ومن على
شاكتهم من الاجانب - لا من طبيعة الاهالي ولا من الترك - وان
المسلمين يرهتوا على حسن نيتهم للنصارى والتعاون معهم في أثناء الحرب
الكبرى ^(١) . وأما النصارى فهم لضعفهم لا يعتمدون على المسلمين إلا
باغراء فرنسة أو غيرها من الدول لو كانت في محلها فلم يكابر في ذلك .
نحن تفكر في إرسال وفد الى ادرية بعمل معك . ويشغل معنا في

(١) هذه حقيقة لا ينكرها ولا يقدر أن ينكرها أحد .

اللجنة الآن بعض المهاجرة كشكري بك القوي وفوزي بك البكري
وبعض تجار دمشق وبعض النصارى المقيمين هنا كوطنينا نسيم اندي صبيحة
وسليم بلشا الموصلية فيحسن أن ينحصر كل سعي ومفاوضة سياسية في
خارج البلاد في هذه الهيئة وفيك مع من سبضم اليك اذا تيسر إرسال
الوفد كما نرجو قريباً .

فاتني أن أذكر لك ان السفير ارسل ما قلته الى دولته بالغراف مجذاً
له كما علمت من الثقة وكما وعد . أرجو ان تسرع هذه المرة في الكتاب
إليّ ولو بالاختصار وان كنت أرسلت قبل وصول هذا الكتاب مرجوع
ما قبله فلا يمكن إرساله مانعاً أو مؤخراً لإرسال مرجوع هذا فيما هو خاص
به والسلام عليك أولاً وآخرآ ؟

محمد رشيد رضا

حاشية :

أبشرك بأن الجنرال كلين لم ينجح فيما حاوله مع ابن سعود من
الاتفاق على الحدود بين نجد وشرق الاردن والعراق الذي كان مراده به
ضم الجوف الى شرق الاردن . واما حدود الحجاز فابن السعود لا يبيع
لنفسه المفاوضة فيه لانه فوضه أولاً وآخرآ الى المؤتمر الاسلامي . فحيب
بك يسلم عليك معي تسليماً .

* * *

وكتب إليّ من مصر في ١٥ جمادى الآخرة ١٣٤٤ و ٣١ ديسمبر ١٩٢٥ :

سيدي الاخ الامير

التي إليّ امس كتابك المرسل من برلين وفيه كتاب الشريف حيدر

الذي ارسله اليك جواباً عن سؤالك اياه عن رأيه فيما يقرر المؤتمر الاسلامي على قواعد سلطان نجد التي بينها في دعوته الى المؤتمر وقد حفظته لك .
واما ما كتبته لي ولنجيب بك في أثره اللجنة وضمها لحقك فقد اثار عجبنا إذ لم يحظر هذا في بالنا ولا نعلم انه خطر ببال احد ممن كان معنا من اعضاء اللجنة ولا من غيرها . وانما اجتمع هؤلاء مراراً وكانوا زهاء ٢٠ رسلاً ووضعوا المذكرة التي قدمها وقدم الى المندوب الجديد^(١) وكان وضعها قبل وصول مذكرةكم التي قدمتموها له في باريز ولما وصلت رأوا ان فيها

(١) كان المسيو هنري دي جوفنيل عند تعيينه مندوباً سامياً لفرنسة في سورية أراد ان يتصل بالوطنيين السوريين وبعدها بفرنسة عن سياسة عدم الاعتراف بوجودهم كما كان جارياً من قبل . فأول ما فكر فيه الدخول في محادثة معي وأنفذ إليّ من باريز الى لوزان السيد نجيب الارمنازي فلم يجدني فيها اذ كنت ذهبت الى براين فكتب إليّ بأن المندوب السامي الجديد يرغب في ملاقاتي فأجبت بآني لا اذهب الى باريز إلاّ بدعوة رسمية . فجاءني برفقة من المسيو جوفنيل بدعوني فيها الى باريز لمواجهة فذهبت وقابلته وقدمت له لائحة بمطالبنا ووافق عليها غير انه اقترح فيها سياسة المراحل اي التدريب . فأننا لم أوافق على التدريب . ثم دعاني ان اذهب معه الى سوريا لاجل السعي في الاتفاق فاعتذرت بآني لا اقدر ان اذهب الى سورية الا اذا وافقت فرنسا على الاتفاق ونقرر في جمعية الامم . وقد وقع هذا في سنة ١٩٢٥ في اثناء الثورة السورية الكبرى اي قبل المعاهدة الافرنسية السورية التي تقرر فيها استقلال سورية باحدى عشرة سنة . وكانت هذه المعاهدة الاخيرة في أمسها الا قليلاً في نفس اللائحة التي كنت قدّمتها للمسيو جوفنيل وايضاً غير خارجة عن المعاهدة التي كنا اوشكنا ان نتفق —

تساهلاً^(١) كما ذكرت لكم في كتاب سابق . وأما الكتاب الذي تفوا به على المذكرة وذكروا فيه استعدادهم للسعي لدى الثوار والزعماء . . . إذا قبلت مطالبهم بشرطها الذي ذكره . . . فلو كان قبله وانفردوا بالعمل دونكم لكان لكم ان تقولوا ما قلتموه في كتابكم . ولكنه عجل في الاجابة عنه بما علمتم من الشدة والتهمة وفتح باب المطاعن فيها . لانصار فرنسا الممضين ولبعض الاغبياء من غيرهم فما هذا الامر الذي استبدت به اللجنة واستأثرت به دونكم وحصرت فيه الزعامة في نفسها ؟ لا شيء . بل الذي عمل هنا على تزاخته لم تكن اللجنة التنفيذية فيه إلا أقلية مع السوريين الذين اشتركوا فيه .

هذا وإن الجماعة انفقوا قبل مجيء المندوب على السعي لاختد تفويض من أهل المكنة في البلاد السورية لافراد من العاملين والمجاهدين لعقد مؤتمر يقرر فيه مطالب البلاد ، ينتخب من يحضر فيه تفويض المندوب أو الحكومة الفرنسية نفسها في أمر البلاد وإنهاء حالة البلاد فأرسلوا رسلاً حملوا من دمشق

— فيها مع المسيو جوفنيل سنة ١٩٢٦ أنا وزميلاي ميشيل بك لطف الله واحسان بك الجابري بحيث ان المسيو لوسيان هوبر من كبار مجلس الشيوخ ووزراء فرنسا السابقين اعترف لي مؤخراً بأن تأخير عقد الاتفاق الذي كنا بدأنا به مع جوفنيل أضر كثيراً بفرنسة وبسورية معاً .

(١) لو كان فيها تساهل كما زعموا لما كان رفضها المسيو بوانكاره في ذلك الوقت وعزل جوفنيل من أجلها ولما كانت مضت ١١ سنة عليها وفرنسة تأبى قبول شروطها ولتتحمل اتفاق المليارات وتبذل الدماء الفزيرة حتى تفوز بمعاهدة اوفق لها منها .

وخلب وغيرها أوراق تفويض الذين اقترحهم الرسل في مقدمتهم أنتم وشقيقكم ورشيد بك طابع . وكانت الآراء متفقة على ان المفاوضة في داخل البلاد لا تكون حرة وبمنجاة من تأثير الدسائس ونفاق طلاب الوظائف وان الاولى أن تكون في مصر أو في أوربة ثم كان ما علمتم ولم ينتج الى جمع المؤتمر .

لا تبالغ يا أخي في تأثير سوء الظن بالرجل الذي وقع بينك وبينه ما وقع من التغاير والتدابير إن لك هنا من بدافع عن حق وجهادك بقوة تغنيك عن الدفاع عن نفسك . وانا نرى دفاعك عنها بما كتبت دون قدرك فأنت أجل مقاماً وأعلى مكانة بل أنت في هذا المقام مقام خدمة الوطن والجهاد في سبيله في الذروة التي لا يطمع احد في مساومتها وما كتبتك دون هذه الذروة وما كان أغناك عن التصريح بعدم طمعك في مكافأة من منصب ^(١) ولا غيره . اننا نعلم انك أجل من أن تطمع ولكنك أنت أجدر من جميع أهل الوطن بأن تكون رئيس الحكومة المستقلة إن يسرها الله لنا مما يكن اسمها ورسمها ونوعها . صرحت بهذا لبعض الافراد ولو وجدت فائدة في التصريح بها لغيرهم او لكل أحد لفعلت . وأما ما كتبتك اللجنة الى احسان بك فهو جواب له عما كتبه اليها واقترحه عليها وكنا اقترحنا في الجلسة أن يكتب اليه أيضاً بأنك ستعود الى جنيف للعمل في الموضوع .

(١) لما عرض عليّ جوفيل الذهاب معه الى سوريا ورفضته إلا ان يتفق مع الوطنيين السوريين قال : فإذا اتفقنا معكم فهل تذهب وتبقى في إزاله آثار الماضي ؟ قلت : نعم لكن على شرط أن لا أدعى الى قبول منصب في الحكومة .

كتب اليك قبل هذا ثلاث مرات جل الاخير منها في مسألة الحجاز .
فالحمد لله قد انتهت كما نحب وكان السلطان موفقاً وصحيح النظر حتى في
الارزاء التي أثارَت الظنون في ضمه . وكان محل لومنا نحن أيضاً . والرأي
العام المصري مشابع له كالرأي العام في مسلمي الهند . ولكن انصاره في
الهند اقوى وأقدر على مساعدته .

أرسل اليك في الاسبوع الماضي جواب السلطان الذي حمله الى هنا
طبيه الدكتور محمود حمدي الدمشقي وهو مجمل كمادته في كتبه الرسمية
وقد كتب قبل الاستيلاء على المدينة وجدة .

واعلم يا أخي أن ما تعلمه عن الحجاز ونجد قليل لم يكن كافياً
للحكم فيما ينبغي أن تكون عليه البلاد بالتفصيل . وقد أشرت في بعض
مكتوباتي السابقة الى ذلك بل أذكر انني صرحت بأن الكتابة لا تكفي
لتمحيص الكلام في هذه المسألة بل لا بد فيها من المشافهة . وقد جاء
وقت العمل في الحجاز للاسلام وللعرب فهذه فرصة لم يسمح بمثلها الزمان
وأول ما يجب عمله وضع نظام للمؤتمر ومشروع نظم أخرى للبلاد كمرض
عليها — وإيجاد رجال إخصائين لإدارة الاعمال بالتدريج . وفي البلاد
أسلحة وذخائر كثيرة منها القديم الذي تركه الترك ومنها الجديد وان بعض
ما ابتاعه علي من المدافع والذخائر لا يزال في صناديقه . ومسألة المال
أهم المهمات . والذي نعلمه منذ سنين وازددنا علماً في هذه الايام ان ما
وجد في بلاد العرب بعد صدر الاسلام من يقدر على حفظ الامن في
الحجاز ونجد مثل هذا السلطان ^(١) .

(١) هذه حقيقة لا يقدر أن يتارى بها أحد ولا من أعداء ابن سعود .

فمسي ان تستطيع المجيء الى الحجاز في اقرب فرصة فنقيم بقية فصل
الشتاء بمكة المكرمة ثم تكون في فصل الصيف في الطائف نعم ان هذا
ما تروى فيه الآن ولكنني أرجو ان يكون قريباً والسلام عليك من
أخيك م
رسي

* * *

وكتب إلي في ٢١ جمادي الثانية من السنة نفسها و ٧ يناير سنة
١٩٢٦ ما يأتي:

سيدي الاخ الامير

وصل في هذا الاسبوع كتابك المسجل المؤرخ في ٢٨ ديسمبر وتلاه
الكتاب غير المسجل المرسل قبله فأما مذكرتك الفرنسية فقد ذكرت لي
خلاصتها في الجلسة التي رؤيت فيها عقب وصولها بالاجمال وكتبت اليك
ما كتبت في ذلك ثم ترجمها كل من نجيب واليازي بالدقة ولكن قولاً
لا كتابة وكتبت اليك ثانية ما كتبت . ثم كتبت اليك في الكتاب
الذي قبل هذا رداً على ما اتهمت به اللجنة وأخبرني نجيب بك بأنه
كتب اليك ايضاً . ولم يكن حسن نيتك وملاحظتك في المذكرة من
مواضع التهمة . هذا وان اللجنة لما وضعت البيان العام عن الحالة الاخيرة
المتعلقة بالثورة وبالمندوب الجديد ذكرت فيها مساعيك في باريس بعضها بقلم
نجيب افندي الارمنازي وبعضها نقلاً عما كتبتك اليك ومنه ما طلبته للبلاد
من الاستقلال وما يتعلق به بالتفصيل ولكنها أجملت ما ذكرت في
المذكرة ان البلاد السورية تعطيه لفريسة — كان الرأي الغالب ان عدم

نشر ذلك بالتفصيل خير للمصلحة العامة ولكرامتك الخاصة ومكانتك في مصر وغيرها . وقد جاءت مکتوباتك التي تنجي فيها باللائمة على اللجنة لي ولنجيب بك ثم للامير جورج قبل نشر هذا البيان وأعدنا النظر فيه وطابت أنا أن يحضر الامير جورج جلسة عقدناها للنظر فيه قبل تقريره النهائي . وكان خاطبني بالتلفون بأنه يجب أن يراني ليذاكرني في كتاب جاء منك . فلما حضر وسمع البيان وطلبنا رأيه فيه قال : يجب أن ننشر مذكرتك أي ترجمتها كما هي فإن هذا أرضى لك لان لك ملاحظات في عبارتها تدفع ما عساه يعترض به عليها . ووافقه أخوه ونجيب بك وخالفت أنا واليازي وكذا اسعد داغر على ما أذكر .

وجملة القول — انه لم يحصل في اللجنة شيء يصح به اتهامها أو اتهام أحد من أفرادها بهضم حقك وإنكار جهادك ولا اتهامها بالاثرة ولم تعمل عملاً إيجابياً في هذا الطور الاخير منفردة به أو باسمها وحدها — وأعني بالايجاب هنا المنطقي المقابل للسلي — وإنما انفردت بعمل واحد باسمها وهو الرد على المسيو جوفزيل فيما اتهمها به وهو في معنى السلي . وما أراك إلا بالغت في الانكار عليها واتهامها والسخط عليها كما ذكرت لك هذا في الكتاب الذي قبل هذا فليس عندنا مسألة خلافية تقتضي كثرة القيل والقال .

وقد سألت عن الارمنازي لتكتب اليه فاخبرك انه جاء منه كتاب من يهود ذكر فيه انه سيعود الى مصر من طريق فلسطين فأرسل ما نكتبه اليه بعنواننا .

وأما الأمير عادل فقد ذهب الى الجبل^(١) وهو يتولى تدبير الشؤون مع سلطان باشا وقد علمت انه غير راضٍ هناك عن سياسة فلان وبلغت عنه أن أكتب اليك باستحضانه امر بحيثك الى بيروت ولعله يريد أن أستحسن أنا ذلك ايضاً . ولكن رأيي مخالف لرأيه هذا فإن المطالب التي ترضاها ويرضاها الثوار لا تزال بعيدة عما يرضاه موسيو جوفنيل بعداً شامعاً . والمرجو أن يرجع عن غلوه هذا بعد ان يبدو له ما لم يكن يحسب ويعلم ان الذين وثق بهم واعتمد على رأيهم قد غشوه كما غشوا من قبله . نعم إذا أمكن أن تنجيء الى مصر فتكون على مقربة من البلاد وتعلم كما يتجدد في وقته فذلك أولى وسنتشاور مع الارمنازي في ذلك وتزداد بصيرة بما يرد أو يتجدد من أنباء الجنوب والشمال والخفية ورب خفي أقوى من جلي .

مسئلة الحجاز

أشرت في بعض مكتوباتي السابقة المتعددة الى ان معلوماتك عن حال الحجاز - وهذا معلوماتك عن نجد - قليلة لا تكفي للجزم برأي صحيح وصرحت لك في بعضها بأن هذه المكتوبات التي تدور بيننا لا يمكن فيها تمحيص المسألة والاتفاق فيها . ولهذا أنكرت عليك بعض ما كتبت سابقاً في المسألة بما رأيته ينافي المصلحة مع الجزم بصدوره عن حسن النية - وأرى الان ان اقتراحك أن يعجل السلطان بطلب الشريف حيدر وبولييه أمر الحجاز من قبيل ما ذكرت آنفاً . والذي اعتقده أن

هذا ليس من مصلحة البلاد ولا من مصلحة الشريف حيدر . وانه لا
يسهل الحكم في هذه المسألة إلا في أثناء عقد المؤتمر وبحجته في مالية
الحجاز وحكومته وحفظ الامن فيه . ولعله صار يسهل عليك ان تصدق
انه ليس لاحد من شرفاء الحجاز عصبية قوية ولا نفوذ يمكن من حفظ الامن فيه
وإدارة شؤونه لو كان هنالك مال كاف للقيام بذلك فكيف والمال مفقود .
ولقد كان الشريف حسين أقدر هذه الطائفة على ما ذكر ولم يقدر على
تأمين طرق للمدينة المنورة وتمكين الزوار من الوصول اليها فكيف يكون
حال غيره ؟

وأما قدرته الممتازة فقد كانت بأسباب : (أولها) توليه على البلاد
في عهد الدولة العثمانية واعتماد البلاد رؤية أمير فيها . (ثانيها) استكبار
البدو والحضر لقتاله للدولة وتمكنه من الاستقلال (ثالثها) ما كان لديه
من الثروة العظيمة . (رابعها) ما كان معروفًا به من الشجاعة والشدة والحزم .
فلهذه المعلومات التي أجملتها كنت وما زلت ارجئ أمر مساعدتنا
لصدقنا الشريف حيدر الى الوقت المناسب له بعد انتهاء امر الشريف
علي . وسترى عما يصل اليك من جريدة أم القرى كيف انتهت . ومنها
تعلم فضيحة الاكاذيب الاخيرة عن شروط تسليم جدة . والسلام عليكم
أولاً وآخرآ

من أخيك
محمد رشيد رضا

وعلى ذيل هذا الكتاب هذه الحاشية :

(حاشية) بلغني ان كثيراً من بني معروف قد اتخذوا ملجأ لهم في الجوف .

وله إلى الكتاب الآ في المؤرخ في ٢٥ جمادى الاولى ١٣٤٤ و ١١ دسمبر :

سيدي الأخ الاعز

وصل كتابك المرسال من باريس بعد المذكرة الفرنسية (الى ان يقول):
أما المذكرة فلو علمت ما فيها لما عرضتها على اللجنة الحافلة بمن
ينضوي اليها في هذه الايام من مهاجرة الشام وغيرهم لما فيها من التسامح
الذي لم يقبل احد من المجتمعين بشيء من مثاله فيما قررنا تقديمه للمندوب
الجديد بل تشاحنوا بلفظ « ما عساه يكون من المصالح الاقتصادية والسياسية
لفرنسة » فكروا كلمة السياسية ثم اتفقوا على حذف العبارة برمتها . ولعل
بعضهم أساء ترجمة بعض العبارات فانترحت حفظ المذكرة وعدم نشرها
بالترجمة . ثم رأيت ما حملة حلبي باشا من تلخيص المطالب بخطك فرأيت
اهون مما قيل انه ترجمة حرفية لما في المذكرة الفرنسية ^(١) ولكن بعضه
كثير ولا حاجة اليه لجعل لغتهم رسمية إجبارية عامة ^(٢) والباعث لك
عليها بل على التساهل مطلقاً معروف عندنا وكان من فائدته انه ارضى
موسيو جوفيل في باريس والظاهر انه لا يرضيه في سورية إلا اذا اشتدت
الثورة واقتنع بأنه لا يمكنه إخمادها بالسهولة التي زينها له المندوب العسكري

-
- (١) ان بعضهم عمدوا ترجمة لائحتي بغير الواقع بحيث اني اضطررت ان
انشرها بالعربي مرتين في الجرائد واتحدى المنتهين اجمع ان يقتنعوا فرنسة بمثلها .
(٢) وهذا ايضا من الاوهام التي دخلت على الشيخ رشيد لاني في لائحتي لم اجعل
الافرنسية لغة رسمية مع العربية وانما جعلت تعليمها اجبارياً في المدارس العالية .
وهو امر ليس بجديد . توخيت في مذكرتي الى جوفيل ان اشدد في المواد
الاساسية المتعلقة باستقلال البلاد وان استرضي الفرنسيين في المواد الثانوية التي
لا تمس الاستقلال .

الذي ارسله حزبه من بيروت لاستقباله بمصر وسمم اقوال المسيحيين المتعصبين^(١) في القطارين فهذا يكون حجة عليهم .

قد علمت من هذه الكلمة الاخيرة وقوع ما توقعت من هؤلاء وانهم ملأوا قلبه بما نفتوه من سمومهم وهذا امر لم يكن منه بد ولم يكن في استطاعتنا ولا في استطاعة غيرنا ان يحول دونه فكان من الحكمة احتراشنا وتشددنا كما كان من الحكمة تساهلك^(٢) . وقد كان احسن استقبالننا وارضاه كلامنا وتصفح مذكرتنا ورأى فيها مطالبنا ولم ينكر علينا منها شيئاً في الجلسة التي كانت لوفدنا معه ولكن رأيه تغير في المساء بعد تقديم الكتاب الآخر الذي ليس فيه زيادة الا مطالبته بالتصريح بقبول المطالب اذا شاء ان تسعى اللجنة في العمل ولا بد ان تكونوا رأيتم تفصيل ذلك في الجرائد المصرية وهو طويل لا يمكن نسخه .

وقد تكلمت أنا في مسألتين المسألة العربية ورأبنا فيها واحد اي رأيي ورأبك والمسألة الدينية اي الشقاق الديني في سورية ورأبنا فيها واحد ايضاً وانا قلت له كما قلت قبله لسفيرهم هنا وهو اننا نحن نعلم من انفسنا اننا إذا اتحدنا في الحكومة المستقبلية لا نطلبهم اي التصاري بل نعطيهم اكثر من حقوقهم واستشهدت بما كان منا في زمن الحرب الكبرى في

(١) أل للعهد اي المسيحيين المعروفين بمعارضة رفع سيطرة فرنسة خلافاً للمسيحيين الذين هم مع المسلمين سواء في طلب الاستقلال .

(٢) عاد رحمه الله فاعترف باني كنت على صراط مستقيم في هذه المسألة وان الذي عملته كان عين المصلحة .

الحكومة السورية التي هدموها^(١) وذكرت من الوقائع معي ان أعضاء المؤتمر من المسيحيين لم ترضهم المادة التي كانت وضعت في القانون الاسامي للمحاكم الشرعية والبطريركيات فامتنعت من طرحها للتصويت وذهبت مع بعض الاعضاء الى بطرك الروم في دار البطريرك كية وانفقت معه على النص الذي يرضي النصارى وهو الذي تقرر . وقات له بعد ذلك : واما النصارى فلا يمتدون علينا إلا بالاعتماد عليكم وإغرائكم . . . فاذا أنت كفت لنا إرضاءهم أو عدم تعديهم — ولا يقدر على ذلك غيركم . فأنا أكفل لك المسلمين والدروز . . .

(إلى أن يقول) : لم يأتنا من الجنوب شيء جديد في الموضوعات المعلومة عنكم والارمنازي لا ينكر عليكم ما ذكرتم في الرجل ولكنه يرى انه من ينفع بهم في دائرة مخصوصة لا ينبغي تجاوزها . وقد سافر امس الى بيروت لينصل بالتندوب . وكنت تركت هذا الكتاب لشغل عرض للدار وسأخذه الآن لادرك به يريد الظهر والسلام من أخيك ؟

رشد

* * *

وكتب إلي في غرة جمادى الآخرة ١٣٤٤ و٧ ديسمبر :

سيدي الاخ الكريم والولي الحميم

أرسلت اليك قبل ظهر الجمعة الماضية كتاباً لا أدري أدركك يريد أوربة البحري يومئذ ام لا ؟ وأهم ما حدث بعد ذلك انني علمت علم

(اي الفرنسي)

اليقين أن صاحبي بعقدنا في خطبنا الحاضر بكل ما يراه ونراه من المصلحة لنا وله وقد شرع فعلا في بعض الوسائل وسنقترح غيرها مما صار ممكنا اليوم ولم يكن ممكنا بالأمس وكتابك المهم وصل اليه وهو مستعمل لواداة من يخطب وده بشرط اسامي هو أن لا يجعل له حقوقا فيما ولي أمره ولا بأس بمبادلة الحقوق فيما وراء ذلك من تعاون تجاري وغيره ومنصرح في فرصة أخرى لك بما نقف عليه من التفصيل في هذا وفيما قبله وهو أهم من الآن.

وصل منذ يومين الى مصر الشيخ حافظ وهبه المصري من جماعة السلطان ابن سعود والدكتور محمود حمدي الدمشقي طبيبته الخاص ورئيس مصلحة الصحة في مكة المكرمة . واول ما فعله الاول تكذيب خبر المقطم عن الاتفاق الذي وقع في « بجرة » وكذبت الحكومة البريطانية مسألة دفع المال للسلطان ومسألة الاتفاق على حدود الحجاز . وكانت جريدة ام القرى ذكرت انها لم تقع في المذاكرة - وكذبت جريدة العراق الرسمية خبر المقطم كله من أصله إذ كانت نشرته جريدة الاستقلال العراقية .

(الى أن يقول) : تضافرت الاخبار على قرب تسليم جده ومنها أن الشريف كتب الى السلطان عبد العزيز يطلب بعض الشروط للتسليم وقد صدق هذا الخبر الشيخ فؤاد الخطيب الذي وصل الى مصر في الباخرة التي حملت الشيخ حافظ وهبه والدكتور حمدي من رابغ . ولكنه قال انه لم يقف على الشروط او المطالب التي طلبها الملك علي وما قاله للدكتور في الباخرة انه قد استقال من خدمة علي ولكن ظهر في المقطم انه يحمل كذابا من ملكه الى ملك مصر .

(الى ان يقول) : ولا شك ان جوفنيل قد انتفخ من الغرور الذي طغي به كل سلف له وهو يسلك كل سبلهم في التفريق والافساد . ولكن العلاقة بينه وبين الارمنازي لا تزال حسنة . وقد سافر الارمنازي الى بيروت وبعد سفره بيوم جاءه كتاب منه يطلبه فيه لمقابلته فأعدنا اليه الكتاب وننتظر غداً وصول كتاب منه . كتبته ليلاً والسلام عليك من الشيخ ابراهيم بن معمر الحاضر معي الآن ومن أخيك ؟

رشد

* * *

وكتب إلي في ٢٩ جمادى الآخرة ١٣٤٤ و ١٤ يناير ١٩٢٦ ما يلي :

صيدي الاخ الامير

وصل منذ ثلاث كتابك الوجيه وما معه من كتاب الامانة وكنت أود لو كان هذا الكتاب لصاحب الشأن نفسه لا لمندوبه الذي لم يثبت عندنا بعد انه يفوض اليه انظر في امثال هذه المسائل بل هنالك شبهات أو أمارات تشير الى خلاف ذلك .

وقد سررتني من الكتاب ما في اوله من الرجاء في التلاقي مع صاحبنا في زمن غير بعيد وهو عين ما كتبته اليك واقترحته عليك في كتاب سابق لعله وصل اليك بعد إرسال الكتاب الذي نتكلم عنه .

واما مکتوباتك السابقة فقد اجبت عنها كلها بما رأيت كافياً وإن كان بعضه موجزاً ومنه مسائل مهمة في شأن الحجاز لعلها تسوغ لديك ما علمته — ولا بد — من انباء البرقيات العامة من لندن من أن اهل الحجاز بايموا سلطان نجد بملك الحجاز واقنعوه بأن يقبل فقبل على ان تكون

إدارة الحجاز مستقلة دون إدارة نجد — وهذا لا يمنع عرض مسألة الحجاز ونظمها على المؤتمر الحجازي الذي دعا اليه السلطان . ولعل جمعيتنا هنا تضع المشروعات لهذه النظم وقد نقحت بعض ما اقتضت الحالة تفيذه من موادها وأرسلتها اليه ليكتب إليّ برأيه فيها قبل الشروع في التنفيذ . وانتظر أن يجيء جوابه في البريد الذي يخرج من جدة في مساء ٩ يناير ويصل غداً أو بعد غد . فان لم يدركه فلا بد أن يرسل في تاريخ ١٩ ويصل في آخر اسبوع من الشهر ولعله الأرجح لان الجواب المنتظر سيكون شتملاً على مسائل أخرى مهمة لا يمكنه أن يجيب عنها إلا بعد تفكير وتدبر . والاخوان هنا وفي الحجاز يرون من الضروري أن أسافر انا إلى الحجاز عاجلاً ومنهم الشيخ حافظ وهبه والشيخ ابراهيم بن معمر وأنا لا أرى العجلة ضربة لازبة وانه يمكننا أن نعمل هنا الآن ما لا يمكن عمله في مكة . وأنا مقيد بأعمال كثيرة لا يقوم بها غيري فلو ذهبت لكان ذهابي موثقاً وعودتي ضرورية وان كان لا بد من ذهابي مرة ثانية في موسم الحج وأيام المؤتمر الذي لا بد أن يكون في أيام الحج وعسى أن نجتمع هنالك ! حقق الله الآمال .

ما بلغك من امتناع الامير ميثال من إرسال نقود الاعانة الى جبل الدروز والقوطية واصراره على إرسالها الى لجنة الصليب الاحمر التي ببيروت إنما بلغك على غير وجهه فطب نفساً وقر عيناً فليس الرجل كما بلغك وليس الجمعية آلة بيده . والذي وقم ان الجمعية كانت قررت السعي لتأليف لجان في الجهات المنكوبة ترسل اليها النقود وتكون مسؤولة عن توزيعها على المستحقين وقد اتخذت الوسائل الكتابية لذلك ومن غرائب الخلل في البلاد انه لم

بأنتنا نبأ بتأليف لجنة - فأما دمشق وحماه فيقرب. أن تكون المكتوبات إليها قد اختزلت دون المرسلة إليهم . ولكن لا عذر لجبل الدروز في التقصير وقد كتبت أنا إلى أخينا سمي المدير البارع^(١) وجاءني منه جواب يعتذر فيه عن تأليف لجنة في السويداء بعذر غريب ان يصدر عن مثله . وفرنسة اتهم الجمعية بأنها كلجنة المؤتمر تساعد الثوار واحتجت على الحكومة المصرية بذلك . وقد اتصلنا هنا بمندوب او معتمد جمعية الصليب الدولية وأراد أن يساعدنا في كل عمل فحال دون نجاحه مساعي فرنسة في جمعية جنيف فقررنا أن نكلفه بسؤال لجنة بيروت هل تأخذ على عاتقها إيصال الاعانات إلى المنكوبين في جبل الدروز والغوطة وأمثالها ولم تأخذ جواباً وسنجهد في إيصالها بكل ما نقدر عليه وقد أرسلت إعانة صالحة للمستشفيات التي في الجبل والسلام من أخيكم ؟

رشيد

وله إليّ هذا الكتاب المؤرخ في ١٤ رجب ١٣٤٤ و ٢٨/١/١٩٢٦ :

سيدي الاخ الامير

وصلت مکتوباتك الثلاث ثرى فلا عذمتها وان طولها لاشهى إليّ من طول أعناق الغيد عند العاشق الوهّان وطول المران في أيدي الشجعان واني لمجيبك عنها بإيجاز يغني عن التفصيل ولا يقال لقيله قليل :

فأما ما ذكرت في ملاحدة الترك من وصف ورأي فأنا موافق لك فيه من كل وجه ولملك لم تردني فيه علماً إلا ببعض الروايات القليلة

(١) المرحوم رشيد بك طليع

عما رأيت بعينيك وسمعت بأذنيك وأنا أطلقت على هؤلاء المتفرنجين من
الترك لفظة الملاحدة منذ كنت في الاستانة وكان يردده معي الشيخ
اماميل حتي المناستري العالم المفسر إذا خلونا في داره . وقد حكيت
عنه ذلك في المنار بعد وفاته . وأنا أعلم من قبل تهتك فلان في سعيه
ومجاهرته بإكراه الترك على الارتداد عن الاسلام أنه مرشد بكره الاسلام
ويسعى لانخلاص قومه منه وتأكد ذلك عندي كما تأكد شدة بغضه للعرب
وحقده عليهم بكتاب طويل كتبته اليه عقب انتصاره وقبل احداث ما
احدثه نصحت له فيه أن يجد ما شاء في تقوية الترك مع المحافظة على
الجامعة الاسلامية والتعاون مع الجامعة العربية لان ضياع العرب ولو في
سوريا والعراق وحدهما خطر على الترك . . . (وهو من الكتب التاريخية
المهمة وسيأتي يوم بنشر فيه كله أو بعضه) . وقد أرسلته اليه مع ضابط
سوري كان من أركان حربه وأرسلنا معه مذكرة أخرى باسم الجمعيات
العربية كان أخونا الأمير عادل من اشترك فيها وهي بمعنى كتابي إلا انه
ليس فيها مسألة الجامعة الاسلامية . وقد أعطاها الضابط الذي حملها الى
مرسين لمدير الخابرات التركي وهو أرسلها الى انقرة واستأذن للضابط
بالسفر اليها . فجاءه الامر برده وعدم الاذن له بالسفر الى انقرة . . . ثم كان
من اعماله ما كان من انواع الاعمال الهادمة للاسلام التي انكرناها كلها
في المنار بالمناسبات . وقد صرحت أخيراً في الجزئين الخامس والسادس في
فتوى من سورية تتعلق بلبس البرنيطة وتفسير في الجزئين السابع والثامن
بتفصيل طويل .

وطالما فكرت في مسألة طعم الترك في سورية والعراق وتوسلم الى

ذلك يجعل مفتاحي القطرين وأهم بقاعهما - الموصل واسكندرونة من الوطن التركي المحض^(١) - وطالما خطر في بالي من التفاؤل ان احتلال الدولتين الطامعتين للقطرين ربما كانت حكمته اتقاهما من شر الترك وطمعهم الى ان يتم لنا تأليف دولة عربية قوية^(٢) - اذا كان الله تعالى يريد أن نحيها من حيث لا يشعر خصومنا من الفريقين - ولا شك عندي في كون تسلط الترك علينا في هذا الطور شراً من تسلط الافرنج وانه كما قلتم^(٣).

أردت الاختصار والايجاز فاضطرت الى الاسهاب - الاضافي لا الحقبني - فأقول بمناسبة ما ذكرتم في لقب « بطل الاسلام » انني دخلت ليلة على امين بك الرافعي في ادارة الاخبار فألقيته يصحح مقالة له وضع هذا اللقب عنواناً لها وكتبه بحروف كبيرة (ثلث) فقلت من هذا الذي تسميه بطل الاسلام؟ قال بطل فيه : مصطفى كمال . قلت : انه ليس ببطل الاسلام ولا بمسلم بل عدو الاسلام . قال من بطل الاسلام إذا؟ الملك حسين؟ فقلت له : أبنا أشد على الملك حسين أنا ام أنت؟ قال انت . قلت : كيف نقول لي هذا؟ انا اعلم من مصطفى كمال ما لا تعلم انت ولا قومك؟ ان من اخواننا السوريين من تربي وتعلم وحارب معه الخ... ونحن ننصر الترك على الافرنج ولكن يجب ان نحفظ خط الرجعة

-
- (١) ابدت الحوادث كلام السيد رشيد بعد اربعة اسنة من تاريخ هذا الكتاب .
- (٢) وتكهنه هذا قد تحقق ايضاً فان العرب اليوم مجمعون على انه لا امل لهم بحفظ بلادهم سواء من الترك او من الافرنج إلا بالاتحاد عربي عام .
- (٣) بعد ان رأيت ما رأيت من هدم انقرة للاسلام اقتنعت بأن خطر الافرنج على العرب اصبح اهن من خطر ملاحدة الترك .

فما نكتب وكفانا ما جربنا من الاتحاديين وغيرهم . . .
لاجل هذا نقلت فيما كتبت به بعد ذلك تحت عنوان : « الانقلاب الشيعي
السيامي في الجمهورية التركية » منذ سنتين بعض ما كتبه الرافي والشيخ
شاويش والشيخ شاكِر في تكفير الكالبيين وزعيمهم اي لما كان من
سابق غلو الثلاثة ^(١) في الانتصار لهم وصرحت في ذلك السياق بأن
الكالبيين يريدون بعملهم سل الشعب التركي كله من الاسلام - فهل
نسيت هذا حتى قلت انني نصرت فيهم ؟

(الى ان يقول) :

شرفاء الحجاز وماله الون

ليس الآن اقلات ولا لآل فلان ولا غيرهم عصبية في الحجاز ولا
يستطيع احد منهم ان يحفظ الامن ويقوم بشؤون البلاد وليس لاحد من
هذه العشيرة ذكر في هذه القرون الكثيرة وما
ألحوا على سلطان نجد بقبول الولاية عليهم باسم ملك الحجاز الا خوفاً ان
يتركهم الى مؤتمر ينصب عليهم احد الشرفاء وهو لم يقبل دعوتهم الا
بعد ان عززهم فيها اهل نجد تعزيزاً لا يخلو من تهديد للسلطان .

ولعلك علمت ان البيعة وقعت على ان تكون إدارة الحجاز منفصلة
عن ادارة نجد وهذا ما يبني باب الامل مفتوحاً امامنا لمساعدة حديقنا

(١) لم يكن في الاسلام اشد انتصاراً للترك من الامتاز الشيخ شاكِر
والمرحومين الشيخ شاويش وامين الرافي فلما ظهر من اقره ما ظهر كانوا اشد
المسلمين عليها .

الشریف حیدر لیکون رئیس حکومت الحجاز من قبل ملکها مکان
نجله الذی عین موثقاً لا لأن من المتوقع سرعة تجدد عصیبتهم بقبائل حرب
وغيرهم کما ذكرت . فلوصح هذا لکان مانعاً عندي وعند ابن السعود
وعندک اذا فکرت قليلاً . من تأميره بل لأنه لا یحشى ان یجدد عصیبتہ
لمجزه لا لعله . والواجب الذی يتوقع من ابن السعود ان یمت عصیبات
القبائل الجاهلیة من الحجاز کما أمانها فی نجد وان یسندل بها عصیبة الدین
وحده . وهذا من الاصلاح الذی لا یرجى من غيره .

وکل ما کتبته غیر هذا فی مسألة الحجاز ونجد والعرب صواب لا
غبار علیه . واما کتابک الذی ارسلته إليّ مفتوحاً فقد قرأته وارسلته الى
السلطان الملك مع ابن معمر وهو قد سافر من هنا وسافر بعده الشيخ
حافظ یومین وقد اکشف الاول هنا ما یؤید رأي الرجل الذی صادفته
واقضی الیک بما اودعته إليّ او اودعته اياه علی ان یکون متراً عمیقاً
ورأى من باب الاحتیاط ما وافقته علیه وهو ما علمت آنفاً . ولا بد
ان یکون وصل الیک کتابی الذی کتبته الیک بشأن تلك المسائل
الخطیرة ولحت منه ما یشیر الى هذا الاحتیاط من تمنی لو کنت کتبتها
لصاحب الشأن مباشرة . وقد بلغت ما بلغت منها والحمد لله .

لم یصل الینا شیء جدید عن التفاهم بین الامیر عادل والدکتور وعسی
ان یکون ما عرض من قبل قد زال . وأحب لک ان تترفع انت عن
الدفاع عن نفسك بأنک لا تطلب فی البلاد وظیفه ولا منصباً فانت فوق
التهم واهلها . واما بحیثک الى هنا فسأطرق له باباً جدیداً من السعی خطر
فی بالی عندما کتبت ما کتبت فیہ .

مسألة البيعة والشهادة

الاصل المتفق عليه المعمول به ان الجنابة تثبت بالاقرار او بشهادة عدلين وهنالك مسائل مختلف فيها بين الفقهاء كالحكم بالنكول وما يثبت به . والنكول امتناع المنكر من حلف اليمين — والحكم بالتواتر والحكم باخط وبالقيافة وبالقسامة والتحقيق ما فضله ابن القيم في اعلام الموقعين من ان البيعة التي هي الركن الاول للحكم ليست الشهادة وانما هي كل ما يتبين به الحق . هذا ما تدل عليه اللغة واستعمال القرآن نفسه وقد نشرت كلامه في احدى مجلدات المنار . والسلام عليكم أولاً وآخراً من اخيكم

رشيدي

وكتب إلي في ٢٧ رجب ١٣٤٤ و ١١ فبراير ١٩٢٦ :

اخي الامير النحرير

وصل أول من امس كتابات لي منك احدهما مستقل والآخر مع كتابك إلى الملك وما معه من التقارير المطبوعة وإنما وصلا في يوم واحد مع اختلاف تاريخهما لان المكتوبات المسجلة تتأخر عن العادية دائماً . وقد بادرت امس إلى ارسال كتاب الملك السلطان وما معه وكتاب آخر مني في بريد الوكالة الحجازية النجدية مسجلاً مختوماً بختمها وإنما لم اترجم التقارير كما عهدت إلي لأنني أعلم أن في الحجاز من يعرف اللغة الفرنسية ومنهم الدكتور محمود حمدي الدمشقي طبيب الملك الخاص فلم أر تأخيرها لترجمتها هنا وانفق ان كان امس موعد ارسال البريد وبينه وبين

الذي يلبه عشرة ايام في الغالب وقد اعجبني الكتاب وما معه وعززت رأيك في كتابي بل هو عين رأيي الذي ادليت به اليه مراراً في مكتوباتي اليه والى بعض رجاله وبتوصية اناس سافروا من هنا أولهم خالد واوسطهم شكري بك القوتلي بعد ابن معمر وآخرهم حجازي صافر في أول فبراير هذا . (الى أن يقول) :

هذا وان الامير ميشيل مضطرب في مسألة الاعانة بين أمرين مهمة الفرنسيين وسخط متعصي النصارى فيخص سعي الجمعية لجمع المال بالمنكوبين وبقول انه يجب ان يكون سعيًا إنسانياً عاماً لكل الطوائف — وقد أطلعناه على ما كذب في بعض الجرائد من وصول اربعة آلاف جنيه لنصارى حاصيا وراشيا من اميركا وحدها دع إعانة اهل لبنان لهم ومساعدة الحكومة . وقد جرى في جمعينا جدال كثير في عدة جلسات غضبت فيها ورفعت صوتي . والحاصل اننا لم نوفق لا في جمع الاعانات ولا في توزيعها وانني كنت أرجو غير ذلك ومذ شعرت بالخيبة كتبت الى الهند بأن لا يرسلوا الى جمعينا شيئاً . وان بفضلوا جمعية القدس عليها وذكرنا هذا في بعض الجلسات .

وأما مسألة محمود سلمان عزام ونجيب بك شقير فلم أسمع بها هنا وسأسأل الثاني عنها عند لقائه . وما أظن انه كان يريد ان يأخذ إعانة زكي باشا لجمعية المنكوبين التي يرأسها لطف الله . ولعله اراد اعطاها للجنة جرحى الدروز التي يرأسها الحاج ادب خيد التاجر الدمشقي الفاضل واني ليؤمني كثرة الكلام في هذه المسألة ولكنني لا أقصر فيما اراد واجباً أو مستحباً ونحسب أن أوفق إلى سعي آخر على كثرة شغلي .

وأما مسألة انتقاد مذكرك وتوجيهها فقد سبق أن كتبت لك فيها ما أراه كافياً ولا يوجد أحد شك في صدق وطنيتك من منقذ ولا غير منقذ ولا أنت في حاجة إلى الدفاع عن نفسك كما قلت سابقاً والسلام عليك أولاً وآخرأ ورحمة الله وبركاته من أخيك المخلص

رشيد

حاشية :

جاءني كتاب من الامام يحيى كذب فيه ما كان أذاعه المقطم من عزمه على التصدي لمسألة الحجاز انتصاراً لعلّي وأكّد لي ما أعلم من حرصه على مودة ابن السعود وذكر لي انك كتبت اليه في ذلك ^(١) وأجابك وأرسل كتابه اليك عامله في الحديدة وقد ارسل الي جوابه عن دعوة ابن السعود فأرسلتها اليه أي بشأن المؤتمر أرجو إرسال عنوان صاحبنا زكي كرام .

* * *

والكتاب التالي المؤرخ في ٢٥ رمضان ١٣٤٤ و ٨ أبريل :

أخي الامير الكبير

أحييك وأهنئك بعيد الفطر السعيد أعاده الله علينا جميعاً الخ (الى أن يقول) :

(١) أظن اني كتبت إلى الامام يحيى في قضية المحالفة بينه وبين ابن سعود و كتبت إلى الملك عبد العزيز في قضية المحالفة بينه وبين الامام يحيى اكثر من خمسين مرة والاثنان شاهدان على ذلك . كما اني كتبت الى المرحوم الملك فيصل بقدر ذلك في امر اتفاهه معها وعندي منه مكتوب يقول فيه : أشهد انك أول من تكلم معي في قضية الوحدة العربية .

(١) سأرسل غداً وبعد غداً ما أمرتم بإرساله إلى الحجاز. ويريد يرسل من هنا في ١٠ أبريل ومن السويس في ١١ منه. وانني عازم على السفر بنفسى لمقابلة صاحبنا في أقرب فرصة (ولعلى لا أتأخر عن أول باخرة تسافر بعد العيد) وسنرى ثم ما يجب .

(٢) كلفى صكرتند مؤتمر الخلافة أخبرني انه أرسل اليك الدعوة وقد قرأت له اليوم أكثر ما كتبت لي في موضوع المؤتمر ومنه العبارة التي تدل على عدم وصول الدعوة اليك فتعجب وسأل الكاتب الذي تولى الارسال فأكد خبره .

(٣) الظاهر ان الكتاب الذي وصل اليك من الامام هو الذي عناه بما كتبه إليّ وسيجيبك عما كتبت بعده ان لم يكن قد فعل .

(٤) انني أعمل للاتفاق بين الامامين منذ سنين كما تعلم وإن كانت أخبار ظلم الزيدية للشافعية لا يمكن المراء فيها وأقبحها ان جيش الامام يحمل بيوت الاهالي في تهامة ولا يكتفي بضيفة الاكل والشرب بل والامام لم يظفر الى الآن بإزالة امارة الادريسي على ما اتناها من الضعف والاخلال بعد وفاة مؤسسها فكيف يطمع بالظفر بابن السعود؟ ولكن المشكل انه بعد تهامة وعسير من بلاده . ومندرس المسألة في مكة ان شاء الله ونجتهد في اقناع الملك السلطان بالاتفاق الممكن وأوله ان لا يغزو الامام لا تتذاع ما في يده ولا لاجل مذهبه ومن غير الممكن اقناعه بترك ما بيده من بلاد عسير وبين هذا وذاك حمايته للادريسي وهي موضع الدرس الدقيق .

(٥) علمت بخبر الشريف خيدر ورأيت أخاه هنا وأفطر عندي سمع

جمهور من كبار المصريين وباشواتهم .

(٦) الخلافة واجبة قطعاً وأما الخليفة فأحسن ما قيل فيه ما نقله المالبي

كان في جدة عن ابن السعود وهو انهم أرادوا مبايعته بالخلافة فامتنع

وقال : ان هذا حق للعالم الاسلامي يتوقف إنفاذه على ظهور رجل يثبت

له بالفعل انه هو الزعيم القادر على تنفيذ الشرع والنهوض بالمسلمين في

هذا العصر . والسلام عليك وعلى إحسان بك ؟

محمد رشيد رضا

وكتب إلي من مكة المكرمة في ٥ ذي القعدة ١٣٤٤ :

سيدي الاخ الصديق

سلام عليك . وصل إلي كتابك أمس مع كتاب من السيد عاصم

فعلمت منه أن شعورك في مسألة الخلاف بين مصر والحجاز واحد .

ونحمد الله تعالى انه لم يقع خلاف حقيقي وإنما أراد المرجفون ذلك

نخاب سمعهم . وسوس قنصل المعجم (غيرة الملك) في اذن بعض رجال

الحكومة المصرية وفي آذان أخرى من محوري الجرائد أعداء الإسلام

عقب عودته من مكة بأن الملك ابن السعود سيفعل كذا وكذا فاستعلمت

الحكومة عن ذلك وطلبت بياناً خطياً من الملك فأجابها بما أرضاها

وانتهى الامر والله الحمد . ولعلكم علمتم ذلك أو تعلمونه من الجرائد

المصرية قبل وصول هذا اليكم وقد كتبت إلى الملك قبل سفري

بما بلغتني كتاباً قلت فيه ما مؤداه : اذا لم يكن لديكم مانع من إجابة
طالب الحكومة المصرية بما يرضيها فذلك ما نبغي وان كان ثم مانع فأرجو
أن لا تردوا طلبها وأنجلوه الى ان أحضر . . . ولكن الرجل حكيم .
وأما مسألة العجم فقد كنت سميت لعقد المودة بينه وبينهم حين
ثاروا ثورتهم وهاجت بلادهم ونوابهم ليهتان فلان في مسألة ضرب القبة
النوبية . . . فإن حكومتهم يومئذ أمرت سفيرها بمصر وقنصلها في سورية
بأن يسافرا الى الحجاز ليكشفوا الحقيقة فأعطيت السفير عند سفره كتاب
توصية لابن السعود وظهرت فيه ما أراه من المصاحبة الاسلامية في المودة
مع دولة ايران . . . و كنت قبل هذا أطالت الكلام مع السفير في ذلك
فأظهر الارتياح لكلامي والافتناع به وعاد من مكة راضياً من ابن السعود
وحمل إليّ كتاباً منه وكتباً اخرى منه للدعوة الى مؤتمر الحجاز .
والظاهر الان أن حكومته وحكومة أخرى كانتا تريان او تبغيان ان
يقرر المؤتمر خروجه من الحجاز . فلما بابمه أهله أظهر العجم مخطهم
وظفوا بكيدون له مع الكائدين من حزب الشرفاء . والسلام عليكم وعلى
ولدكم وإحسان بك ولا زلت سالمين موفقين ومنسجمين ما يسركم إن
شاء الله .

رئيس

وكتب إليّ أيضاً من مكة المكرمة في ٨ ذي الحجة ١٣٤٤ و ١٩

بونيو :

أخي الأمير

أكتب اليك هذه الكلمات يوم التروبة الذي تصعد فيه الى عرفات وقد سبقنا اليها أكثر الحجاج وأسأله تعالى أن يعيد هذا الموسم عليك وعلىنا وعلى أمتنا والاسلام بعلو والعرب تسمو وأبشرك بأن صاحبنا الامام^(١) قد تبرع لمنكوبي بلادنا بأربعة آلاف جنيه بعد ان طلبت منه نصفها وأقسم بالله انه في خجل من هذا المبلغ القليل الذي سببه قلة ماله بسبب الحرب حتى كثرت ديونه مع كثرة النفقات في هذا العام ونحن نعلم أن ضيوفه الان بمكة يعدون بالمئات وجميع نفقاتهم عليه من بيوت وأطعمة متنوعة تقدم اليهم وركائب الخ . وقد قدم منذ ايام ممن قدم من نجد بقية اسرة آل سعود مع آل الرشيد وآل عايض ضيوفهم الذين يعاملهم الامام كأولاده واخوته في كل شيء وهم مع اتباعهم الفان . دع وفود المؤتمر واعضائه ومن هو لاه الضيوف من يعطون تقوداً ومنهم من يطلب هذا وانه في اليوم التالي لليلة التبريح أوعز الينا بأن لا نذيع خبره .

أما استمداده العقلي والفطري وذكائه فقد رأيتها فوق ما كنت أتصور . وهو بقدر كل ما نطلبه منه من الاصلاح قدره ولكنه شديد الحذر والروية لا يحب أن يتعجل بشيء قبل أوانه واعداد العدة له وسأذكر لكم شيئاً من التفصيل في هذا الباب وموعدي معه في الاسهاب في المذاكرة انقضاء موسم الحج وانقضاء المؤتمر الذي تأجلت جلساته الى ما بعد إتمام النسك .

لولا شوكت علي وأخوه لसार المؤتمر على الطريقة المثلى التي ترضي

(١) يعني بالامام الملك ابن سعود وهذا لقبه في نجد .

جميع المسلمين ولكن الرجلين كانا مصيبة . ولولا اننا أجمعنا على مداراتها
خشية الفشل لوقع في المؤتمر شقاق ادى إلى انسحابها منه فمن ذلك المعارضة
في تسمية ابن السعود ملكاً زاعمين ان الملك لا يليق بشأن الحجاز
والاسلام بل الجمهورية كما فعل الترك !! ومن أكبر أسباب سخطها هدم
قباب القبور المعبودة الذي يؤيده أهل الحديث وغيرهم من علماء الهند
وسائر اهل السنة وسأذكر لك عذر ابن السعود في هدمها في كتاب
آخر . . . وقد هيأنا احتجاجاً شديداً على فظائع سورية سنعرضه على المؤتمر .
الحج في هذا العام عظيم فإن كان الذين جاؤوا من طريق جدة لم
يبلغوا مئتين ألفاً فان الذين جاؤوا من جزيرة العرب لا يقلون عنهم واكثرهم
من نجد .

وصل وفد الامام يحيى يحمل الى الملك هدايا متنوعة . معي هنا وفد
القدس المفقي والحافظ الشيخ اسماعيل وعجاج وانضم الينا حسن بك الحكيم
والحاج اديب خير والجميع يسلمون معي عليك تسليماً

رحب برضا

* * *

وكتب إليّ ايضاً من مكة المكرمة في ٢٧ ذي الحجة ١٣٤٤ و٨ يوليو:

سيدي الاخ الامير

كتبت اليك قبل الذهاب الى عرفة كتاباً لم يمكن ارساله من مكة
لانتقال البريد الى منى فأرسلناه من منى بعد يوم العيد اي ثاني أيام منى
أو ثالثه فلعله وصل واليوم اكتب اليك بما لعل خبره وصل اليك في
بعض الجرائد وهو انتخابنا اياك في المؤتمر الاسلامي العام كاتباً عاماً

(سكرتير) للجنة التنفيذية المنوط بها تنفيذ قراراته والاستعداد للمؤتمر الثاني^(١).

لم نرَ في مكة رجالاً اهلًا لان يكونوا أعضاء للجنة التنفيذية فاقترح شوكت علي ان ينتخبوا من اهل الكفاية الممتازين في أخلاقهم وفنونهم وان يوكل تأليف اللجنة ثلاثة اشهر لتتمكن الوفود من اختيارهم من البلاد المختلفة وذكر ايضاً ما يجب مراعاته في الكاتب العام وضرب المثل بك وبالشيوخ شاويش وثنيث أنا على اقتراحه — كما يقولون — وتكلمت في طريقة تنفيذه وأبدنا اخونا امين الحسيني ثم ألفت لجنة منا ومن آخرين لوضع طريقة للتنفيذ وبعد بيان تكلمنا في الكاتب العام فقلت لهم : اننا نوافق الاخ شوكت علي في قوله ان سكرتير اللجنة (وسيكون سكرتير المؤتمر عند انعقاده) مثل فلان وفلان في الاستعداد والمكانة واقترح ان نختار فلاناً ونعرض ذلك على المؤتمر وبعد موافقته أتولى انا عرض ذلك عليه وافنائه به فقبلوا ذلك بالاجماع مع الارتياح كما قبله المؤتمر بعد فأنا الان اكتب اليك راجياً قبول هذه الخدمة الشريفة بصفة رسمية . ولا أراك تخالفني في ان اختيارك لها باجماع أعضاء المؤتمر بعد اعظم شهادة بمكانتك الرفيعة واستعدادك الكامل في العلم والكتابة والعقل لخدمة للملة والعالم الاسلامي وانا قصدت باقتراحي تسجيل هذه الشهادة لك في التاريخ وان كنت أشك كغيري في قبولك اياها وارجو ما لا يرجو غيري من اقتناعك بها . وما كان ذكر شوكت علي لك الا من قبيل ذكره لسعد

(١) قد اعتذرت عن قبول هذا المنصب الا اذا رضوا مني بالاقامة في الحجاز

اربعة اشهر لا غير وهي اشهر الشتاء .

باشا زغلول ومصطفى كمال باشا عند ذكر من يصلحون لرئاسة المؤتمر
تعظيماً لشأنه وشأن مقرراته .

قالوا ان الامير شكيباً عاش عمره كله متنقلاً بين البلاد المعتدلة
والباردة فلا يستطيع الإقامة في الحجاز وقد سبق لنا مكاتبة وجيزة في
هذا الموضوع واعد الان فأقول بعد ان اختبرت مكة في هذه الاشهر
الثلاثة وعلمت من امر جوها ما لم اكن اعلم : ان اقامتك في الحجاز مع
اهل بيتك ممكنة بدون احتمال مشقة كالمشقة التي يحتملها الانكليز في
الإقامة في السودان والهند والافطار التي هي اشد منها حرارة ولا سيما بعد
تعبيد الطريق بين مكة والطائف وهو ما لا بد منه . والمرجو ان يتم قبل
الصيف الآتي وانت تعلم ان هواء الطائف اقل حرارة في الصيف من
مثل الشويفات^(١) ولا يقدر الناس على النوم فيه بدون غطاء ولبس
الاكسية الصوفية .

واما في هذا العام فسيكون قدومك الى مكة في فصل الخريف لان

(١) قصة الشويفات من غرب لبنان هي مركز الارسلانيين ومسقط
رأسي بناها جدنا الامير مسعود ابن الامير ارسلان ابن الامير مالك المنذري
اللمي المتوفي ليلة السبت ثالث عشر محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين ومائتين
وعمره ثمان وسبعون سنة . قال العباس بن الوليد بن مزيد العذري قاضي بيروت -
وكان من مشاهير المحدثين - : « وحضرت جنازته ودفن في الشويفات بجانب
الحصن الذي بناء بها » والسيد رشيد يعلم ان الشويفات لكونها في آخر الجبل يشتد
حرها في الصيف ولكني في حياتي ما قضيت صيفاً في الشويفات وانما كنت اقيظ
في الصرود عين صوفر ونحوها .

المؤتمر آخر انعقد اللجنة التنفيذية ثلاثة اشهر فاذا اخذنا لك بيتنا في ضواحي مكة من جهة المعلى حيث يسكن الملك أو في جهة الشهداء (حيث الطريق الى جدة) يمكنك أن تكون مرتاحاً فان الهواء في الضواحي اعدل بل أشد اعتدالاً من مكة ان صح ان نشايع اهلها فنقول ان الهواء يعتدل في الخريف عندهم بالمعنى المألوف عندنا - والحق أن الاعتدال نسبي عندنا وعندهم - ولكنني اذكر لك انني في الايام التي كنت أتاها من هواء الليل في مكة أشد التألم بت ليلة في الشهداء ^(١) في مكان خلوي فندمت لانني لم أطلب غطاء وكنت انتقل من المكان المكشوف الى ما وراء الجدار من حركة الهواء الذي كنت اشكو سكونه في مكة وجملة القول ان المرجو ان يكون الخريف خيراً من هذه الأيام التي تهبط فيها الحرارة ليلاً الى ٢٧ بل الى ٢٥ أو ٢٤ ليلاً وقلما تزيد نهائياً عن ٣٧ والمادة ان تكون أشد من ذلك ولا بد أن تشتد . وأما وجودك هنا بقرب صاحبنا ففائدته اكبر من فائدة خدمة المؤتمر وسنعود اليه وسأسافر بعد ثلاثة أيام الى مصر إن شاء الله والسلام على من معك من اخيك ؟

مستبد

(١) هذا صحيح فان الانسان الذي لا يقدر أن يذوق طعم الكرى في مكة من شدة حرها في الصيف يقدر ان يبيت في الزاهر أي الشهداء بكل راحة وان يقبل الغطاء بل يضطر اليه وذلك لان الشهداء سهل افصح تحيط به بعض الاكام وليس عن بعد كمكة التي تحصرها تلك الجبال الصخرية من كل جانب .

وكتب إلي من القاهرة في ١٦ صفر ١٣٤٥ و ٢٥ أغسطس:
أخي الأمير .

عدت من الحجاز منذ ثلاثة اسابيع وأيام فوجدت كتاباً مطولاً منك
بنتظري ليس فيه اشارة الى وصول آخر كتاب ارسلته اليك من مكة في
شأن اختيارنا اياك سكرتيراً للجنة المؤتمر الاسلامي التنفيذية لانه كتب
قبل ذلك وقد أرسل اليك رئيس المؤتمر بعده برقية ولكنك ذكرت في
كتابك انك علمت بذلك من الجرائد وفي كتابي كلام في المسألة لابد
ان تذكر لي رأيك فيه إذا كان الكتاب قد وصل اليك كما ارجو .
كتابك المطول ارسلته الى مكة وجاءني في اليوم كتاب ممن امره الملك
ان يجيبني عنه وانه سيجيب ويرسل جوابه في البريد الاول بعد البريد
الذي حمل كتابه اذ الوقت بعد أمر الملك لم يتسع للجواب . وكنت كتبت
مذكرة بالمسائل التي فيه لاجيبك عنها بما عندي من العلم وهي ١١ مسألة
فلم اجد فرصة لذلك واكتب الآن هذه الكلمات بعد الظهر لان رياض
بك الصلح اخبرني بالتلفون انه سيؤورني بعد قليل وسيسافر الساعة ٣ بعد
الظهر الى الاسكندرية ليبحر منها الى اوروبة حيث بلافيكم فيها ومتى جاء
اشتغل بالكلام معه وانما فرصة الكتابة هذه الدقائق التي انتظر مجيئه فيها
فأقول بالايجاز :

(١) مسألة الفنين في الاسلحة موجودون وعمدتهم . . . الذي رأيته . . .

(٢) المخالفة مع اليمن قد عرضها الملك على مندوب الامام عرضاً مع
اعلامه بأن الامام احوج اليها منه وقد كان مندوب الامام الذي ارسله
الى مكة راضياً قبل سفره من الملك تمام الرضا ولكنه كما قال غير مفوض

بعقد محالفة وكن جل ما يسعى اليه لدى الملك تخليه عن الادريسي وقد حضر بعض مذاكراتي معه ومذاكراته مع الملك محمود نديم بك^(١) وكان راضياً من الملك وقد تكلمت مع المنسوب في مسألة التعويض أو الدية عن قتلى البانين وهو لم يذكرها للملك على ما أعلم وإنما ذكرناها بيننا وقلت له سأذكر الملك بها بعد أشهر عندما تنتظم مالهته ونقل نفقاته وقد سبق وعده بالتعويض فلن يخلفه . . .

(٤٣) إن مسألتي عصبة الأمم والتشيل الخارجي لا يغني فيها الاختصار والايجاز والذي علمته ان النظر في هذه المشروعات سيكون بعد تنظيم الحكومة ولا سيما المالية وتنظيمها متوقف على اختيار الرجال وليس عند الملك أحد منهم وقد اخترنا له بعضاً ولا تزال نبحث عن غيرهم مما سأفصله لك في كتاب آخر .

(٥ او ٦) فصل ايطالية يعود وقد جرى بينه وبين صاحبنا حديث في مسألة عودة السيد أحمد السنوسي إلى بلاده كتبه صاحبنا إلى السنوسي فأجابه هذا بأنه سينظر فيه عند اللقاء بعد عودته إلى مكة . . . ولكن ايطالية لا تعترف بالحكومة الحجازية رسمياً^(٢) كما علمت وسأكتب اليك بما يبيحني في البريد الآتي .

(١) الذي كان والياً لليمن من قبل الدولة العثمانية .

(٢) ترددت ايطالية مدة في الاعتراف بالحكومة السعودية في الحجاز وذلك على أمل عقد معاهدة معها تتضمن بعض شروط لم يجد ابن سعود لها داعياً فجاءني معتمد يومئذ من قبل ايطالية يلتمس وساطتي في الموضوع وكنت علمت حقيقة الموانع التي حالت دون المعاهدة فأنتعت الطليان بأنه لا لزوم لكتابة الصيغة التي

(٧) ما أظن أن الترك بقدرهم على شيء مما نخشاه منهم . وقد تبين لي انني كنت (غيداراً) ^(١) حين كنت أقول بمكة ان مندوبي الترك للمؤتمر يتعمدون إرجاء مجيئهم الى ما بعد موسم الحج وانتهاء المؤتمر وانهم لا يريدون من إرسال الوفد باسم المؤتمر إلا موادة ابن السعود وقد سمعنا منهم ما يدل على صحة هذا الرأي وسأذكر لك شيئاً من خبرهم في كتاب آخر .

(٨) متصرفية الجوف مهمة وتوقف على تنظيم الحكومة العليا وعسى أن يكون قريباً وسنرى ما يجيء من رأي الملك فيه .
(الى ان يقول) :

(١١) كذلك نسبت تفصيل ما اعتذرت به عن قبول سكرتارية المؤتمر وقد كنت بينت لك في كتابي الذي أرسلته من مكة ما يتعلق بمانع حر مكة وانتظر جوابه .

أهم مسائل سياسة ابن السعود وادارته أن يقبل كل إصلاح علمي وفني وعلمي وسياسي وحربي واقتصادي بشرط عدم إخلالها بالدين و « بالشيعة العربية » وعدم استلزامها تدخل الاجانب في شؤون البلاد ولا يقبل من العمال عنده إلا متدينين حسن الاخلاق قادراً على العمل وبراعي التدريب

— اقترحوها ولكن ايطالية بقيت مدة متوقفة عن هذه المعاهدة بسبب مداخلات وقعت من الجهة المناوئة لابن سعود وما عقدتها إلا فيما بعد وعلى الصيغة التي أرادها الملك ابن سعود وأقمنا نحن ايطالية بعدم إمكان غيرها .

(١) الغيدار الذي يسي الظن فيصيب .

ولم أختلف معه في شيء جوهرى وحسى هذا الان وأقبلك ونجلك غالباً
بفهم الضمير والسلام

رَسِيد

وكتب من القاهرة في ٩ ربيع الاول ١٣٤٥ و ١٦ سبتمبر ١٩٢٦ :

سيدي الاخ الصديق

إني ألتقي إليّ كتابك الاول بعد عودتي من الحجاز وكانت وقت
وصوله موعد سفر بريد الحجاز وكنت كتبت إلى جلالة الملك وإلى غيره
فبادرت إلى إرساله بعد قراءته مع ما كتبتك وإني أجيبك عن مسألتين
من مسائله بعد أن أذكر لك ما كتبه إليّ الملك بشأن كتابك الذي
قبله وقد أخبرتك انني كنت أرسلته اليه قال : « كتاب الامير شكيب
أطلعنا عليه وأعجبنا ما جاء فيه من آراء وأفكار وانتم تعلمون آراءنا
ومساعيها في أكثر الامور التي ذكرها ولا بد لنا من التريض (كذا)
قليلاً في السير لنعرف موقفنا الخارجى بصورة ثابتة . ان الذي نستطيعه
من الامور لن ندخر وسعاً في إجرائه في هذه الساعة وما لا نقدر عليه
نتريث في أمره حتى يأتى الوقت الذي نتمكن فيه منه » اهـ . ومقابل
أكثر الامور التي قال انني أعلمها أمران لا أتذكر غيرهما : مسألة
عصبة الامم ومسألة المتصرفية الجديدة التي اقترحتها وسائر الامور
تذاكرنا فيها .

واما المسألتان اللتان وعدت بالاجابة عنها هنا فأولاهما قولك ان الملك

بأبي إنشاء الشركات^(١) ولا أدري من أين بلغك هذا وقد صرح لي وحدي أولاً وصرح لي مع وفد من المؤتمر ثانياً انه لا يأبى الشركات مطلقاً وإنما يأبى الشركات الاجنبية والتي يمكن أن تكون سبباً لدخل الاجانب في شؤون البلاد ولعلك وقفت على ما قرره المؤتمر بعد في هذه المسألة . (والثانية) وهي الالم عندي لعدم جواز تأخيرها مسألة مجيئك الى مكة وتسلمك أعمال المؤتمر لم يكن في الوقت سعة عند إرسال كتابك الاخير مع كتاب لي في البريد اكتب فيه شيئاً لصاحبنا وسأكتب في البريد الآتي ورأيت أن يرسل هو تفقة السفر^(٢) ولا حاجة الى توصيته بالقيام بما يلزم مدة إقامتك في مكة ولا حرج في هذا فقد كانت جميع اعضاء المؤتمر ضيوفه وقد انتهت الثلاثة الاشهر التي ضربها المؤتمر لانتخاب اعضاء اللجنة التنفيذية من مصر وسوريا مع فلسطين والهند والحجاز ونجد ولم

-
- (١) كان شاع ان الملك السعودي يأبى قبول الشركات في بلاده ولو كانت اسلامية فاستعلمنا عن ذلك وقلنا ان الشركات لاجل اصلاح احوال المملكة من الجهة الاقتصادية وإنما الاحتياط لها بان لا يكون فيها اجانب هو عين المصلحة . فجاء الجواب من السيد رشيد بنفي خبر رفض الشركات ولو كانت اسلامية .
- (٢) وفي ذلك الوقت بلغ سمو الخديوي السابق اني اتدبت لا كون السكرتير العام للمؤتمر الاسلامي في مكة و كان في الامتانة فأمر مستشاره عبد الله بك البشري بأن يكتب إليّ بأن لا أسافر الى مكة قبل أن يعود الخديوي الى السويس ويقابلني وبهي أسباب راحتي في سفري . وكان هو المتعرض لذلك من نفسه كما فعل في أوقات أخرى وهو مشكور على البر بدون طلب ولكن المن بعد ذلك يصير في غير محله .

نسمع ان أحداً انتخب واللجنة الموقفة لم تعمل شيئاً بل لم تجتمع كما
أعتقده ومحاضر الجلسات كانت يراد طبعها فقلت للملك ولرئيس المؤتمر
والسكرتير انه لا يمكن طبعها كما كتبت لكثرة أغلاطها العربية فلا بد
من تصحيحها أولاً ولم يبلغني انهم صححوها وكانوا يريدون طبعها عندي
فاذا ذهبت أنت الى مكة يمكنك العمل مع اللجنة الموقفة الى أن تجي
اللجنة الثابتة إن كانت ستجي وقد فاتني أن أذكر الملك في شأن
المؤتمر الآتي وصأ كتب في البريد الآتي كل ما أراه واجباً وكف الشيخ
محمد بهجة البيطار بيان ما لا يكتب فهو يسافر بعد خمسة ايام مع الامير
سعود . أسلم على رفيقك وأقبل فجلك بالغيب ثقيلآ ودمت لاختيك

رحيب

وكتب من القاهرة في ٣٠ ربيع الاول ١٣٤٥ و٧ تشرين الاول

سنة ١٩٢٦ :

سيدي الاخ الامير

وصل اول من امس كتابك المختصر لي اطلع . (الى ان يقول) :
قد علمتم ان وظيفة او مهمة الامير فيصل سعود شكر الدول التي
اعترفت بحكومة والده في الحجاز وايطالية ليست منهم . وإنما اتني لو يزور
سويسرة وبلقاكم فيها وان لم يزور ايطالية على انه يمكنه الاطلاع بها بصفة
غير رسمية فإن استحسن هو هذا فالمصلحة ان تكون زيارتها بعد زيارتكم
واستحسن ان تدعوه انت الى زيارة سويسرة وصأسأل الليلة عن عنوانه
في لندن فإن عرفته كتبت اليه — بل تذكرت الآن ان الجرائد المصرية

ذكرت ان ما بقي من مدته في لندن لا تكفي لوصول كتابي اليه .
ظهر من محمد علي وشوكت علي بعد عودتهما الى الهند اضعاف ما رأيتاه
منها بمكة . وكانا بنوهما في مشايعة لابين السعود على الملك حسين انهما
سيكونان مسيرين له كما يريدان ويكون لهما النفوذ الاعلى في الحجاز
ونجد من كل وجه وقد احدنا شفاقاً جديداً في مسلمي الهند . هذا ما
عن لي وانا مشغول جداً وعازم على اصدار جريدة اسبوعية سأطلب
امتيازها من الحكومة والسلام عليك وعلى من معك من اخيك

رشد

وكتب إلي في ٦ جمادى الاولى سنة ١٣٤٥ و ١١ نوفمبر ١٩٢٦ :

سيدي الاخ الامير

اني أتي إلي كتابك الكريم رقم ١٣٠ أكتوبر منذ ثلاث فارجأت

الجواب عنه الى مساء الخميس كالعادة الخ . (الى ان يقول) :

اما المؤتمر الاسلامي في الحجاز فسيعود ويعقد فقد عقد مسلمو جاوه
مؤتمراً مثلثاً فيه جمعياتهم كلها إلا جمعية العلماء الجامدين فزادت الجمعيات
التي أرسلت اليه مندوبيها على أربعين وقرروا تأييد ملك الحجاز بعد ثناء
عليه عظيم في الجلسات وقرروا جمع المال اللازم لمندوبي مؤتمر الحجاز
وقد وعد بمثل ذلك الوفد الرومي وهو أصدق الوفود وأعلمها وكان
مؤيداً للملك وكان رئيسه من أقدم أصدقائي . والظاهر ان الحكومة
المصرية تواصل اشتراكها فيه وسأعود الى الكلام مع سعد باشا وثروت
باشا في ذلك وسيجيئي في الاسبوع الآتي او الذي بعده ما يقرره مؤتمر

الخليفة الهندي كما وعدت وموعد اجتماعه هذه الأيام بل الاسبوع الاول من نوفمبر وسترى نعمة الكلام عن الوفود في المنار (ج ٨) ولا بد ان تكون رأيت في الجرائد المصرية فشل مؤتمر لكهنو وبمبي اللذين عقدا بسعي زعماء الشيعة.

لو كنت قرأت مقالاتي السابقة في الوهابية والحجاز وغيرها من المقالات والفتاوى في بدع القبور بمثل الدقة المعمودة منك في قراءة كتب التاريخ والسياسة والاجتماع لاستغنيت بها عن بعض ما تسأل عنه الآن ولما كتبت مقالاتك المؤثرة المبكية التي نشرت في كوكب الشرق اخيراً . ومن الغريب ان تنخدع انت انت ايها المؤرخ العظيم بالظواهر فنقول ان بناء القباب على القبور وتعليق القناديل عليها قد وقع منذ ١٣ قرناً بمشهد من علماء الاسلام ولم ينكروه مع ان هذه الشبهة قد اوردها بعض ائمة العلم في رسالة له واجاب عنها والرسالة طبعت مسارراً لرواجها وسأرسل اليك نسخة منها وان كانت نشرت في المنار مع رسائل أخرى تعطيك علماً تفصيلياً بهذه المسألة . ومن الضروري ان نقف على العلم التفصيلي فيها لانها دخلت في طور عملي له شأن في سياسة الملة الاسلامية والامة العربية وانت مقصد لنشر الاقتراحات فيها لا للمناقشات اخصاً فقط .

واما الفرق بين قبة قبر النبي (ص) وسائر القباب المبنية على قبور بعض الصحابة وآل البيت وغيرهم من الصالحين فقد بيناه في المنار ابضاً ولا أحملك عليه بل اكتفي بأن اقول في الفرق ان هذه القبة وان كانت من ابتداع ملوك الاعاجم في القرون الوسطى كغيرها الا انها لا تدخل في وعيد قول ما قاله (ص) بحق اليهود والنصارى الذين اتجذوا قبور أنبيائهم مساجد

— يحذر ما صنعوا — كما قالت عائشة راوية الحديث : فقبره عليه صلوات الله وسلامه لا يزال محبوباً في حجرتة قل أن يراه احد او يصلي اليه ويتمسح به وبطوف حوله والتحریم ليس منوطاً بالقباب لشكلها بل لجعل القبور مبهودة وجعلها مساجد ومعابد لها والطواف عبادة ولكنها خاصة ببيت الله فإذا جعلت لغيره كانت عبادة فاسدة لغير الله تعالى . وتستجد في الرسائل التي أرسلها اليك ما يغنيك عن الاطالة في هذه المسألة .

واما مسألة البيت الذي ولد فيه صلوات الله وسلامه عليه وغيره من البيوت الاثرية التي ليس فيها مقابر وقد اتخذت معابد فهي اهل من مسائل المساجد التي على القبور . وقد رأيت البيت الذي يقولون انه بيت المولد فرأيت مدخله مهدواً بحيث يعسر الدخول اليه وباتيه لا يزال كما كان حتى تحته . واتي على تأييدي لهدم مساجد القبور التي هي اضر من مسجد الضرار الذي نزل بشأنه القرآن قد قلت للملك بعد وصولي الى مكة بأيام وقبل وصول محمد علي وشوكت علي اللذين اثارا مسألة القبور وغيرها — قلت له اني لا اري بأساً بمجعل بيت المولد وبيت خديجة (رض) مدرستين لتخريج المحدثين والدعاة الى الاسلام وجعل زيارة الناس لها منوطة باذن رسمي لا يعطى إلا لمن يعرف او يعرف ان الدين الاسلامي لا يبيح لمسلم أن يطلب نفعا ولا كشف ضرر وراء الاسباب العادية إلا من الله تعالى وحده ويعد من يؤمن بأن هذه البيوت أو غيرها تنفع أو تضر مشركاً بالله تعالى ولم يشرع لنا تعظيم بيت غير بيت الله ولا حجر غير الحجر الاسود . واتناع ذلك نعتقد انها لا ينفعان ولا يضران أحداً كما قال سيدنا عمر عندما قبل الحجر الاسود رافعاً صوته : انني أعلم انك

حجر لا تنفع ولا تضر ولولا اني رأيت رسول الله (ص) بقبلك لما قبلتك -
كما رواه عنه البخاري ومسلم وغيرهما ورواه غيرهما مرفوعاً الى النبي (ص) الخ
والمعنى ان ثقبيله لمحض الاتباع .

فقال لا يمكننا ذلك بدون فتنة كبيرة إلا إذا اقتعنا به علماء نجد
فاكتب إلي ما ذكرت لارسله الى فلان وفلان وفلان منهم وأرجو ان
أقنعهم بالموافقة فكتبته له - وفي أثناء ذلك جاءت وفود الهند وملا الأخوان
المعلومان مكة بالقبيل والقال في مسألة القبور وهذه البيوت ونظمها في سلك
واحد وجعلها كأركان الإسلام والايان مع انه لم يؤثر عن الصحابة إلا
أئمة السلف شيء في ذلك عند ذلك قال : إن هذه البيوت كالقبور
ذرائع فتنة في الدين لا يجوز أن تأخذنا هواة في منعها ولن تمنع الفتنة ولا
يمنع سبها . وتعليم الملايين من الحجاج وغيرهم حقيقة التوحيد وفروع
الشرك لا نتم إلا في دهر طويل . على اني لما أبأس منه .

وأما ما ذكرت من ترجيحك لسبب غضب الامام يحيى وامتناعه عن
عقد الخالفة مع ابن السعود وأنه ناشئ عن غضب قومه لهدم هذه الاماكن
وانها أهم عنده من مسألة القتل البائين ومن الطمع في توسيع حدوده
في الشمال - فأنا مخالف لك فيه كل الخالفة لان يحيى عالم فقيه يعلم ان
هذه المساجد على القبور بدع منكورة في الإسلام وان قومه الزيدية
ليسوا كالشيعة الامامية في هذه المسألة فهي ليست عنده أمراً ذا بال يفضله
على مصالحه الحقيقية كضم تهامة اليمن اليه وكذبات القتل (أو التعويض
على أهلهم كما يقال في لغة محاكم مصر) والذي نعلمه علماً صحيحاً ان
الامام يحيى ليس له أمنية في الدنيا اكبر من ضم جميع بلاد اليمن

وملحقاتها الى ما بيده منها . وقد كنت كتبت له تقريراً طويلاً فيما أراه
من إدارة بلاد اليمن ومعاملة النواحي المستقلة منها والمحمية ومن التوسل
لاعتراف أهل السنة له بالخلافة الذي يرجي به إحياء منصبها الخ .
(إلى أن يقول) :

وأما قولك قبل هذا وذلك في مسألة السنة والشيعة ^(١) من الجهة العامة
فلا مجال معي بل لا وقت للبحث فيه وقد سعينا لكلافي هذا بالمعل لا
بالقول فقط . ولكن لا يجوز ديناً ولا سياسة ان ينتصر الرفض الابتداعي
على السنة في الحرمين الشريفين . والسلام عليك وعلى نجلك النجيب
ورفيقك في الجهاد ولا زلت ولياً ونصيراً لامتك وماتك ولاخيك المخلص

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إلي في ٥ جمادى الآخرة ١٣٤٥ و ١٠ ديسمبر ١٩٢٦ :

سيدي الاخ الامير

(١) اني ألتى إلي في اوائل هذا الشهر الشمسي كتابك رقم ٢٥ نوفمبر
واهم ما فيه نبأ سفرك الى اميركا وطلبك جواز سفر من الحجاز لك
ورفيقك الكريم احسان بك ورغبتك الى اخيك هذا أن يكتب الى
الحجاز بطلب الجواز وقد احسنت بما كتبت قبله الى الدكتور محمود فغسي
أن يكون كتابك اليه قد وصل بإدراكه البريد الذي يسافر من السويس

(١) كتبت اليه سراراً بأن ينتد في مسألة الشيعة تجنباً لازدياد الشقاق ولكنه

لم يكن يسكت عن بيان ما يعتقد .

الى جدة في أول ديسمبر هذا فان البريد يرسل من مصر الى الحجاز ٣ مرات في الشهر وتبحر البواخر الخديوية التي تحمله في ١ و ١١ و ٢١ من السويس — وهذا اليوم هو موعد أول بريد يرسل من القاهرة بعد وصول كتابك إليّ وسأكتب اليوم مذكراً بطلبك ومستنجزاً له وعسى ان يصل إليك قبل اول يناير الآتي . وقد نسبت ما كان خطر ببالي من طلب الجواز لكما من الوكالة الحجازية النجدية هنا ولعلي اذا كررها فيه غداً .

وكان صديقنا الحاج أديب خير قد أخبرني قبل وصول كتابك إليّ بما كتبت إليه في شأن سفرك وعلاقته بطلبك لمؤتمر الحجاز وكففته ان يكتب اليك بأن سفرك الى اميركا ضروري جداً وانه لا يعارض سفرك الى الحجاز قبل موعد اجتماع المؤتمر الثاني ولا بد ان يكون كتب اليك بذلك وان يكون كتابه قد وصل . ومن الضروري ان نعرف عنوانك في اميركا فان لم يجئنا بيان له فسأكتب اليك بوصاطة جريدة البيان ان شاء الله تعالى .

(٢) رأيت صديقنا نسيم افندي صبيحة راغباً في السفر الى اميركا وكنا من قبل نذاكرنا في ارسال وفد من قبل جمعية الاعانة السورية وكفناه ان يكون من اعضائه فاعتذر مع استحيان ارسال وفد لان الجمعية كان ثقبلاً عليها بذلك النفقة للوفد اما وقد كتب اليه من قبل جماعة المؤتمر الذي سيقع في مشيغن بالدعوة وكون النفقة عليهم فقد زال اكبر مانع على ان في ذهابه والحال ما ذكرنا تضحية وطنية كما يقال في عرف العصر لان والدته المعجوز تشكو اسراض الشيخوخة وآلامها ويخشى ان يكون قد اقترب اجلها . . .

(٣) الذي اعلمه ان ابن السعود يحذر من النفوذ الاجنبي ما تحذر
واشد مما تحذر وهو من اطماع الدول أحذر ولكن عقد الاتفاق مع الدولة
الجمعة لا يتفق مع هذا الحذر . وما أرى الامام يحبي الا قد فتح على
نفسه باب الخطر ولم أكن موافقاً لرأبك كله فيما ناقشت به الكاتب
العربي من هذه الجهة ^(١) ولا مجال الان للخوض في هذه المسألة واما قولك
انك تحب ان يكون ابن السعود على وثام مع جميع الدول — فقد صرح
هو بمثله لمراسل جريدة المانية وزاد في الصراحة عند الكلام في مسألة
اليمن ما لم أكن أتوقعه منه ولعله قد عرض مقتض له .

(٤) أم ما كتبت في مسألة الرجل وحكومته بشدة الحاجة الى ان
يكون عنده بعض الاختصاصين في السياسة . . . وليس هذا بالامر السهل
فقد كان كفني أن أختار له اثنين من الهند وكتبت بذلك الى الحكيم
محمد أجمل خان ولما يجيني — كما طلب مني أن أختار له سكرتيراً عربياً
لشخصه ولما أجده . وهو ليس كغيره بقبل كل من يواتيه من مؤمن
وكافر وبر وفاجر . . . ويا ليتك ترغب فيما تنصلت منه في الكتاب وهو
الغرض الاول من السعي الى وجودك في الحجاز والسلام عليك وعلى رفيقك ؟

مبدرضا

(١) كان كاتب عربي انتقد عقد الامام يحبي مع ايطالية فأجبهته:
اننا حينئذ نملو كنا : إن لم يعقدوا معاهدات مع الدول تتعرف هذه فيها باستقلالهم
قلنا : هؤلاء يريدون ان يلبثوا مشايخ قبائل مبتعدين عن المدنية . وان عقدوا
معاهدات مع الدول قلنا : هذه المعاهدات مع الاجانب عاقبتها دائماً خسارة . فماذا
تريدون ان يصنعوا ؟

وكتب اليّ في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٠ و ٣٠ كانون الاول سنة

: ١٩٢٦

سيدي الاخ الامير

لديّ كتابان منك موضوعهما واحد وهو ثلاث مسائل : (١) الحجاز واليمن والامامان . ورأيتا فيها واحد يعرفه الامامان . (٢) مسألة اللجنة التنفيذية والمفاوضة وما كتبته بدل على أنها وصلت مصورة بغير صورتها وملونة بغير لونها وان لدينا في مصر وسورية افراداً تجمعهم رابطة معروفة يطعنون في هذه اللجنة ويقتننون هدمها بفضاً للامير ميشيل لطف الله وكراهة له وحده دون سائر أعضائها فيما أعلم . وحقيقة المسألة الاخيرة ان زميلنا نجيب بك جاءني واستشارني في إرسال بوقية او خطاب الي موسيو بونسو بذكر فيه أن اللجنة التنفيذية كانت وما زالت تعمل لاقرار الامن والعمران في سورية ونيل حقوقها القومية (او ما هذا مؤداه وحاصله وهو تمهيد) وانها بناء على هذا خاطبت موسيو جوفنيل بما خاطبته به . ثم دخل وفدها في اوربة في المفاوضات التي دارت في باريز ثم وقفت وعهد اليه هو درس المسألة السورية . . . فاذا كان يرى انه قد آن الوقت لاستئناف تلك المفاوضات على أساس السيادة القومية السورية ومصالح فرنسا الحقيقية فاللجنة مستعدة لذلك . هذا ما أتذكره من ملخص الاقتراح الذي استشارني فيه نجيب بك . قلت له : انني ارى ان مسيو بونسو لا يجب اللجنة ولا يدخل معها في مفاوضة فما فائدة الكتاب اليه ؟ قال فائدته تبرئة اللجنة مما يرمونها به من انها هي الحركة للثورة والقائمة بنفقاتها عداء لفرنسا وانها هي تناقض في الصلح . وأقل فائدته انه احتجاج عليهم ببراءتها

مما يتهمونها به حتى حملهم ذلك على الكتابة الى وزارة الخارجية المصرية
بوجوب نفي اعضائها السوريين او منعهم من اعمالهم الافسادية . وقد كان
بلغتي هذا الخبر الاخير من قبل وخبر مخاطبة فرنسا للهندوب السامي
البريطاني بمثل ذلك . قلت هذا التعليل الاخير مقبول . ثم اجتمعت اللجنة
وقررت صورة ما يكتب بعد بحث ومناقشة وخالف اسعد أفندي داغر
في ذلك وطلب تأجيل ارسال الكتاب لزيادة المناقشة فيه . وبعد خروجه
أرسل بريقة بانه يعد نفسه مستعفياً اذا أرسل قبل الدود الى المناقشة فيه .
فطلبته اللجنة وسألته عن السبب ؟ قال : انه لا حق للجنة في طلب المفاوضة
وما كان من مفاوضة جوفنيل او عرض المطالب عليه ثم ما كان في باريز
هذا العام لم يكن باسم اللجنة فقلنا له ان اللجنة لها الحق في المفاوضة
وفي كل سعي سيامي لانها سياسية ولكن ليس لها الحق في ابرام أي
اتفاق يخالف قواعد مؤتمر جنيف ونحن اذا فرضنا ان الرجل فاضلا وهو
ما لا نظنه فاننا نبلغ ما تنتهي اليه المفاوضة الى زعماء البلاد أو
نطلب عقد مؤتمر له ولا نبرم باسم اللجنة شيئاً لانه لا حق لنا فيه ولا
نضمن رضا البلاد به فرضي بذلك . ولكنه أخبرنا انه كان كتب
الى لجنة حزبه ^(١) بما وقع منه وطلب رأيها فيه ولم يأتها منها شيء وميكاتب
اليها ثانية بما حصل .

فأنت ترى ان اللجنة التنفيذية لم تفتت على احد من الزعماء ولم
تهضم حق حزب من الاحزاب ولم تقصد الاستئثار بسياسة البلاد واسعد

(١) كان اسعد أفندي داغر يمثل في اللجنة التنفيذية حزب الاستقلال

العربي فيما أتذكر .

افندي قال انه لم يتكلم بما حصل أمام احد من الناس ولم يطلع على كتابه للجنينهم في سورية احداً غيرنا . ولكننا رأينا اللفظ في مسألته كثيراً . وكتب السيد جمال الحسيني الى لجنة مصر كتاباً يسألها فيه عن الشقاق الذي وقع والمخالفة لما وُثِرَ جنيف المقدس . كتب هذا باسم لجنة فلسطين التنفيذية — وكتبت انت ما تعلم . ولو شئت ان أكتب إليك ما أعلم من حال الذين يشيرون أمثال هذا اللفظ والسخط وحال حزبهم لاضعت وقتاً ثميناً يجدد جدالاً او بحثاً بأكل وقتنا أطول من الاول بدون فائدة . ولا شيء أثقل على نفسي من الكتابة في الامور الشخصية وكذا الحزبية ولا سيما أحوال اشخاص هم من أصدقائي وحزب هو حزبي .

(٣) كتاب المرحوم مختار باشا — ما أظن انك أحرص مني على ترجمته ونشره بالعربية فإذا كان الحرص القلبي واحداً فالعمل من جنس عملي الذي وقفت عليه حياتي . وانت تعلم اني طلبته من محمود باشا مختار عندما التقينا به في مونيخ فوعدني بأن يرسله إلي من الاسطوانة متى عاد اليها . . .

ثم علمت انه قد سبقني الى اخذ الاذن الرسمي منه بترجمته بالعربية عبيد الغني سني بك الذي كان هنا وهو الآن قنصل جمهوريتهم في بيروت . هو أخبرني بذلك وعرضت عليه ثلاثين جنيهاً اجرة الترجمة فلم يقبل إذ كان يريد ترجمته وطبعه على نفقته . ثم كلمت الدكتور مشرف الدين بك التركي المشهور في إقناعه فسافر قبل ان يتم ذلك ولعلي ان كلم الدكتور أن يكتب اليه يسأله ماذا فعل بالكتاب هل ترجمه أم لا ؟ وماذا يريد أن يفعل ؟ فان كان صرف همه عنه فإنني أطلب من محمود باشا مختار

إذناً آخر بترجمته لثلا نكلف أحداً ترجمته ونطبعه فيقيم علينا عبد الغني
سني بك قضية إذا نحن لم نأخذ إذناً رسمياً من صاحب الشأن بذلك .
هذا وما أظن ان محب الدين أفندي بقدر على ترجمته لانه لم يدرس
شيئاً من العلوم الرياضية والفلكية ومعرفته بالتركية لا ترتقي إلى ترجمة
هذه الكتب الفنية كما أظن . ومتى صار لنا الحق في ترجمته ونشره
ننظر في ذلك .

أرجو أن تبلغوا تحييتي لصاحب جريدة البيان المفيدة وتسألوه ما فعل
بمطبوعاتنا التي أرسلناها إليه ؟ ولا زلتم موفقين لخدمة الامة والملة ؟

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٩ ذي الحجة الحرام ١٣٤٥ و ٩ حزيران سنة ١٩٢٧ :

صديقي الأمير الكبير

أحبك تحية مشتاق عاتب وأهنتك بعيد النحر المبارك وأسأله تعالى
في هذا اليوم الشرف يوم عرفة أن يقر عينك بنجلك وبقر عين امتك
بجهادك ويجعله خير خلف لك ولنا مثل ذلك — وأن يعفو عن هذه الامة
العربية ويغفر لها إسرانها في أمرها ويهمل باتمام عقوبتها بأن يلهمها التوبة
والإنيابة فإنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يرتفع إلا بتوبة كما قال العباس
(رض) وذنوب هذه الامة كثيرة ومن شرها الاثرة والتخاذل والجنون
بمحب الرياسة^(١) .

(١) وهذا من أعظم الحكم التي قالها السيد رشيد فقد كان يعرف أمراض -

ألقي إليّ كتابك الاول بعد سفرك إلى أميركا وعودتك الى اوربة
و كنت أنتسم أخبارك من صاحب جريدة الشورى وآنس بما ينشر عنك
في جريدة البيان وطالما منيت نفسي بكتاب يذهب بالوحشة كلها وأعرف
منه أهم ما يهني من حال الجالية العربية المحمدية وهو قدر ما يرجى من
تغذية القضية السورية وكنهه ما ينتظر من تأييد الوحدة العربية . وقد
علمت من كتابك أن أمنيّ هذه كانت تجول في نفسك وتحوم حول
عزمك ولكن كان نصيبتها الارجاء لا الإهمال ولولا الطور الجديد
للمسألة السورية في باريز لكنت موضوع الكتاب الاول الذي هو أمامي
الآن .

قرأت شرحك للمسألة والامر الجديد فيها تدخل أخوي^(١) الامير
ميشيل لطف الله فيها بالصفة التي ذكرتم . والذنب في تفافه على أخوبنا
— الامة العربية ويعرف ان أقلها الحسد والنفاسة والجنون بالرئاسة .

(١) عندما قفنا من أميركا وصلت الباخرة بنا إلى صرعي شربورغ من فرنسا
فاذا بالاخوين إحسان بك الجابري ورياض بك الصالح يتزلان الى الباخرة ويريداني
على النزول منها والذهاب الى باريز . فقلت لهما : لا أقدر أن أذهب الى باريز بلا
إذن الحكومة الفرنسية . فقالا الآن يأتيك الاذن . ثم حضر مأمور وأعلم على
تذكرة جوازي فذهبت وزميلي الى باريز ووجدت الخلاف واقعا بين الزميلين
وأخوي الامير ميشيل لطف الله اللذين كانا يتدخلان دائما في مسألة سورية
حتى اعتقد كثير من ساسة الفرنسيين انه لولا آل لطف الله لم يكن شيء اسمه
القضية السورية وحتى صرح بوانكاره نفسه بذلك . فمن أجل هذه الحالة وقع
اخلف بين الوفد السوري الفلسطيني وآل لطف الله وآل الى شقاق بعيد بين
السوريين الوطنيين و كان ذلك مؤسفا .

إحسان بك ورياض بك فقد تحملا من الانقال ما تحملا عدة أشهر ولم يكتبوا الى اللجنة بشيء من ذلك . ثم بلغنا أخيراً انهما كتبوا بعض مكاتبات خاصة يتذمران فيها وجاءني الامير أمين^(١) فقرأ عليّ مکتوباً منها خصني به (ثم قرأه لكثيرين) فقلت له : ان كان سبب حاجة أخويننا الى المساعدة على النفقة فهذا أمر هين يمكننا أن نقوم به بسهولة وذكرت ذلك للحاج أمين الحسيني عندما جاء لحضور حفلات شوقي فقال وانا أساعدكم على ذلك . وفي أثناء ذلك جاء كتاب من الامير جورج الى أخيه ذكر فيه انه قدم كذا وكذا وهي الاصول أو القواعد التي كان الامير ميشيل يذكر لنا انها هي التي يمكن ارضاء فرنسا بها مع إيضاحات لها من احسان بك . فاستأننا وكنت أنا اشد استياء من غيري . ولكننا رأينا الامير ميشيل غير مستاء بل رأيناه مستحسنًا للمطالب والقواعد وانما جارانا في استيائنا في أمر واحد وهو تقديم ما قدمه بدون استشارة اللجنة التنفيذية . ونحن انتقدنا فوق ذلك اننا لم نعلم بما اقدم عليه مفتاتاً علينا الا نحن هو غريب عن الوفد وعن اللجنة اي ليس منها وهو الامير جورج وانتقدنا من الموضوع انه اعترف فيه بلبنان الكبير برمته وان هذا عين ما يتهمون اولاد لطف الله بالسعي له لهوى لهم فيه^(٢) وانتقدنا منه ان فيه افتياتاً على زعماء الثورة بأنهم يقبلون العفو المقيد باستثناء ثلاثة منهم واقترح الاكثرون إرسال رد شديد الالهجة كما يقال . وطلب الامير ميشيل المناقشة في المطالب . أو

(١) ابن عمي الامير امين المصطفى ارسلان .

(٢) فانه فيما بعد سعى الامير جورج لطف الله في ان يكون رئيساً للجمهورية

القواعد محاولاً اقناعنا بها كلها او بما دون استثناء ثلاثة من زعماء الثوار من العفو فيما يظن . وربما كان هو وآخرون يظنون ان اولئك الزعماء انفسهم يرضون بالاستثناء الموقت لضعفهم وعدم امكان تجديد نشاط الثورة لقلة المال وتكافل الانكليز مع الفرنسيين في مطاردتهم . فأول ما تناقشنا فيه مسألة الوحدة وتأليفها من سوريا ولبنان الكبير مع التحفظ باستثناء ملحقات لبنان الخ . فعارضت انا والامير أمين فرجع رأينا . . . وما أرى الا انكم علمتم بكل ما جرى وانما ذكرت لكم هذه المسئلة لتعلموا ان الامير ميشيل ليس صاحب الرأي الراجح دائماً في مسائل الخلاف وان هذه المسئلة التي غاب فيها كان قد ذكرها واحتج بكل ما في قدرته لاقناعنا بها في جلسات كثيرة لا يسهل علي تقدير عددها . وما علمتموه ان الذي وضع صيغة برفية الرد والاحتجاج على الوفد هو ابن عمكم وان أبعد الاعضاء عن لطف الله هم الذين اقترحوا زيادة التشديد في الانكار على الوفد فقد أخبرني الامير أمين انه بلغكم ذلك وأزيدكم اني لم أوافق على تشديد الانكار .

وجملة القول ان الوفد أو اخويننا إحسان بك ورياض بك كانا ضعيفين امام آل لطف الله ولم يكونا يراجمان اللجنة ولعلها كانا يظنان ان اللجنة لا تنصرهما في شكواهما او لا تشكيهما لان موقفهما مع رئيسها كمرقفهما مع اخويه . وليس الامر كذلك وها هي ذي قد أبرقت اليها^(١) بانها هما النائبان عنها دون غيرهما وان رئيسها صرح بانه ليس لـ اخويه صفة رسمية في اللجنة ولا الوفد وانما ساعدا الوفد مساعدة خارجية بصفتها الوطنية .

(١) أي الى احسان بك ورياض بك .

وصرح له الامير جوزج بأنه بعد سعيه قد انتهى . نقولون : نعم قيل هذا وأبرقت اللجنة للوفد بما تقدم ولكن الواقع أن أخوي لطف الله لم يتركها ولن يتركها سعيها لانه سعي شخصي أو «عائلي» ونحن نقول : انه ليس للجنة سلطان عليها ولا على الحزب المتفرنس وغيره من المخالفين ولا يطلب منها أن تنصر الوفد عليها بأكثر من إعطاء الحجة الصريحة بأنه هو النائب عنها وحده . وما طلب الوفد بعد عودتكم من المطالب في برقيته المعلومة ^(١) لم يوافق عليه أحد من الهيئة الاخيرة الكبيرة وأكثر أعضائها أقرب اليكم من آل لطف الله قطعاً لانه شديد جداً مع عدم الحاجة اليه وما يفضي الى شقاق بما فيه من الإهانة للرئيس بلا مقتضى ولا مبرح - ولان هذا الشقاق أنفع لجميع خصوم قضيتنا ويسمون له سعيه .

واما مسألة حصر العمل في اللجنة التنفيذية او توحيد فيها وفي الوفد «وهو منها لم تنكر ذلك قط» فقد رأيتك يا سيدي مبالغاً في اول الامر في استكبارها واستنكارها ثم علمت من كتابك ما لم اكن اعلم من سبب ذلك وهو عمل اولاد لطف الله المبني على انهم يعدون اللجنة آلة بيدهم او يعدون جعلها مناط الوحدة للمساعي السياسية بقتضي ان تكون رئاسة ذلك لهم . وهذا الاخير هو الوجه وحده ولكنه لا يقاوم بتلك البرقيات التي أرسلت الى اللجنة والى بعض الافراد وانا منهم .

(١) بعد وصولي انا من امير كا الى باريز اجتهدت في التأليف بين زميلي المشار اليها وبين أخوي الامير ميشيل فتعذر ذلك بسبب إصرار هذين على التدخل وعندها انضمت الي زميلي وارجعنا بشدة الى اللجنة بمصر طالبين تنحي رئيسها الامير ميشيل .

مركز الوحدة للاعمال السياسية ضروري كالاعمال الحربية وغيرها
إذ لا يمكن الرجوع عن العمل الى جهات مختلفة بل هذه القضية لا
تحتاج الى تعليل ولا إثبات . واللجنة قد صارت موضع ثقة الاحزاب
والهيئات الجديدة حتى رجال الثورة والحزب الوطني الكبير الذي في اميركا
فانه قد أعطى توفيق^(١) توكيلاً رسمياً بأن بنوب عنه في اللجنة وقد
بلغك ولا بد ما أرسله زعماء الثورة كلهم من توكيل أعضاء اللجنة
التنفيذية مع آخرين آخرين كثيرين ممن في مصر وغيرها وان اللجنة لم تحفل
بذلك بل اقترحت على الذين في مصر أن يختاروا اربعة منهم تضمهم
اللجنة اليها بشرط أن يأتوا بتفويض آخر خاص بهم ففعلوا الى آخر ما
تعلمه . ويقول الثقات من اصدقائنا الذين يعرفون رجال الثورة وقابلوهم
في هاتين السنتين مراراً ان أخذ التوكيلات منهم سهل جداً ومنهم الحاج
اديب خير الذي قال هذا بعد قراءة كتابك عليه وعند اللجنة توكيل
قديم من سلطان باشا .

لبس هذا كله والذي يحتاج الى البحث فيه ولكن المهم الذي توجهت
كل العناية اليه أن لا يكون الفصل في الخلاف والوفاق بين فرنسة
وسورية بيد الامير لطف الله ولا بيد هيئة تتولى المفاوضات والفصل
برياسته - واما هدم اللجنة التنفيذية فليس من غرضكم واذا كان الامر
كما ذكرت فهو ممكن بدون هذه البرقيات التي هاجمتم بها لطف الله
واللجنة معاً : اللجنة فوضت اليكم امر السعي والمفاوضة لحل عقدة القضية

(١) اي اليازجي الذي كان ذهب الى اميركا عندما كنا فيها انا ونسيم

افندي صيغه .

ولم تسترط إلا مشاورتها في الشروط الاساسية ليكون التكافل على علم وبصيرة
فإذا تيسر لكم الاتفاق مع فرنسة على ما ترضونه ورأيتم انه لا ينفذ
إلا باتفاق اللجنة عليه فاللجنة يمكن أن تقرر ما تراه من قبول وغيره بدون
اشتراط دخول لطف الله في المفاوضة رئيساً ولا مسؤولاً — وإذا رأيتم
انه يمكن تنفيذه بدون مواطاة اللجنة لكم عليه فلكم حينئذ ان تبرموه
بدون إعلامها به إذا كنتم لا تنطقون فيه باسمها ولا تعملون بالنيابة
عنها . وإذا أحببتم في هذه الحالة إعلامها به وطلب رأيها من باب المجاملة
— فابعد لطف الله عن الرئاسة في ذلك بكون يديكم شامت اللجنة
أو أبت .

ولا أقصد بهذا الكلام الحجاج وإنما جرى القلم بما جرى به من غير
تفكر وإنما المهم الذي هو فصل الخطاب ان منع الامير ميشيل من
رياسة المفاوضات وبت أمر الصلح في مسألة سورية ممكن . وهذه المهاجمة
العلنية له ولاخويه قد تكون معسرة لذلك لا مبسرة بل تكون على
الاقل سبباً لشقاق ضار لا نافع ونحن نعلم ان خصومنا الوطنيين والاجانب
يسعون له سعيه وهو غير لائق بالرجال ايضاً إلا عند الضرورة ولم
نصل اليها .

انني أشك بل أرجح ان فرنسة لا تبني البت في مسألة سورية على
مفاوضات بينها وبين اللجنة ووفدها وان كل ما تستطيعون من الخدمة في
فرنسة هو إقناع بعض الرجال أولي النفوذ بما هو خير لسوريا ولسوادها
الاعظم . فإن فرضنا ضد ما أرجحه وافترضنا الحال أن ترسل اللجنة
أعضاء آخرين لمشارككم في المفاوضات فان من السهل علينا ان نختار

هؤلاء الاعضاء ممن يكونون على رأي جماعتكم في انتخاب الرئيس ولطف الله لا يسافر مع هؤلاء الاعضاء إلا اذا كان موقفاً بان الرئاسة تكون له .

وخلاصة الخلاصة ان رأي أخيك ان لا تجملوا للامير جورج والامير حبيب ادنى شركة لكم في العمل وان تفهموا رجال فرنسا ذلك ولكن بدون إهانة ولا شقاق . وإذا جاورونا فاعتقد اننا لا يعبث بنا احد . ويمكننا ان نقوم بنفقة من نختار وإن احتيج في الامر الى ارسال احد حتى لا يكونوا تحت تأثير أحد فهون عليك الامر ورجع الرفق على العنف ففي الحديث الشريف « ما كان الرفق في شيء الا زانه » الخ وارجو ان تتفضل علي بما عندك في المسألة العربية والسلام عليك وعلى رفيقك ونجلك
التجيب من اخيك المخلص ؟

محمّد رشيد رضا

حاشية :

بلغني ما ابرقت به للدكتور شبندر^(١) فتعجبت من ذلك كغيري والدكتور أقرب الى لطف الله منك ونحن هنا قد عقدنا ميثاقاً حضرة هو ومن كان بينه وبينهم شقاق بعيد — وهو يسعى هنا لاخذ اذن من الحكومة المصرية بالعودة الى مصر متى شاء أن يرجع من اوروبا ولعله اذا لم يتم له ذلك يذهب الى امير كالجمع الاعانات .

(١) كان الاوراق لا مني بل من الوفد السوري الفلسطيني وانا منه .

وكتب إلي من القاهرة في غرة المحرم ١٣٤٦ و ٣٠ حزيران ١٩٢٧:

سيدي الاخ الامير

بارك الله لنا ولك في هذا العام الجديد ووفقنا فيه الخير مما وفقنا له
فيما قبله وقد وصل اول من اسس كتابك الرسل من لوزان وهو مرجوع
كتابي وبطاقتي الجوابين وقد رأيت في هذا الكتاب من شدة خدتك
ما لم أراه في كتاب قبله حتى انك خلصت كتابي وبطاقتي بما لم أروه
ولم يخطر ببالي . فإن كان كلامي يدل عليه فلا شك انني كتبت ما لم
أفهم وقد بدأت بكتابة هذا الرد وكتابك ليس عندي فاني اعطيته في
جاسة البارحة في اللجنة للاخ خير الدين افندي الزركلي وعمدت اليه أن يجيئي
مساء اليوم بعد خروجه من مطبعته لنكتب اليك كتاباً مشتركاً نبين
فيه رأي جمهور الاخوان هنا في اللجنة وفي لطف الله وفي الحال الحاضرة .
واني أسبق فأقول من قبل نفسي انني كتبت اليك انني لا أرى ان
بيننا خلافاً في « المقاصد » الوطنية ولم أنفِ الخلاف في الوسائل ورأيتك
لم تقبل هذا القول بل جزمت بأن الخلاف عظيم بناء على ما استنبطته
من كتابي وبطاقتي في تلخيصك الذي ذكرته آنفاً . وذكرت انه لم يخطر
ببالي على الوجه الذي ذكرته انت وتلنته بما علنته به وهو من قبيل ما
يسميه علماء المنطق اللازم غير البين . والاعتماد عند علماء الاصول ان
لازم المذهب ليس بمذهب فإن أصررت على أن تلك اللوازم مذهب لي
وان الخلاف بيننا في المقاصد واقع ماله من دافع فلك حكمك فيه ومن
ذا الذي يستطيع رد الواقع ولا سيما عند غيره ؟
اما جوابي عن كلامك في اللجنة التنفيذية فهي انما شيء وليست كل

شيء، وحرصها على توحيد العمل السيامي للقضية الوطنية فيها مع اعتبار ان الوفد منها هو عين المصلحة . ولا يستلزم ان يكون زعماء الثورة ليسوا بشيء ولا أن يكون الحزب الوطني ذو الفروع الكثيرة في الولايات المتحدة ليس بشيء ولا أن يكون وجهاء الوطن في بيروت وطرابلس وغيرهما ليسوا بشيء . ان هؤلاء اشياء ولكنهم لم يعملوا في الماضي ولا يرجى أن يعملوا الان ما عملت وما تعمل اللجنة التنفيذية .

للجنة التنفيذية نادٍ ومكتب فيه جميع المستندات السياسية المتعلقة بالقضية السورية مرتبة منظمة وفيها كتاب وترجمون وآلات كاتبة وكانت ولا تزال . صدر الدعاية السياسية السورية الوحيد ونقارير عصبة الأمم تشهد لها بهذا . وثم شهادة أخرى لا تنكر قيمتها وهي تبرم فرنسة بها وطعنها وطن جرائدها فيها منذ أنشئت الى عهد هذه الهدنة التي ربما حان انقضاء اجلها .

وانا يا سيدي لم نستغن عن هذه اللجنة ولا نحن بقادرين على ان نستبدل بها مثلها في نظام مكنتها ومستنداته ولا اعد مكتب الاسامى ملامات الذي حقرت امره من اكبر اعمالها بل هو اهونها .

ان الطريق القانوني الوحيد لحلها وانتخاب لجنة أخرى هو جمع مؤتمر سوري يملك ذلك بقرار مؤتمر جنيف . وقد فكرنا في هذا وتكلمنا فيه مراراً ولم نستطع اليه سبيلاً . وقد كدنا نظن من عهد قريب اننا وجدناه على طرف الثام بعد ان جاء الدكتور شهنيدر فانه جمع جماعة أسسوا حديثاً حزباً جديداً أسموه حزب الشعب وافراداً من غيرهم وقرروا برأيه ان يطلبوا من اللجنة تعيين من يمثلهم فيها باسم هذا الحزب وحزب العهد

الذي كان أسس في الاستانة من الضباط وامم التجار كما قبلت أربعة اعضاء يمثلون زعماء الثورة — ولما كانت هذه الاحزاب غير معروفة لدى اللجنة — ولا غيرها — وكان رد طلبهم كقبوله ليس من المصلحة اقترح بعضنا ان يجتمع جميع المنتمين الى هذه الاحزاب من قبل المقترحين وبدعى معهم جميع من في القاهرة من وجهاء السوريين للبحث في المسألة — ففي هذه الحالة تكلمت أنا وأسمد أفندي داغر بأن تقترح تسمية هذا الاجتماع مؤتمراً سورياً عاماً يقترح عليه حل اللجنة التنفيذية وانتخاب لجنة اخرى يحدد المؤتمر وظائفها — ولكن الحركين لذلك وعلى رأسهم الدكتور شهنيدر عرض لهم ما صرفهم عن غرضهم ولم يتيسر لاحد جمع ذلك العدد الكثير الذي يزيد افراده على ١٢٠ رجلاً .

على ان اللجنة نفسها قد سبق لها السعي لعقد مؤتمر جديد بقرار انتهاء وظيفتها التي ناطها بها المؤتمر الاول — ويقرر ما يراه في المسألة السورية وكتبت تطلب ارسال مندوبين من كل حزب وكل بلد فلم تجب الى ذلك . فمن العجائب ان تظن ان عقد المؤتمر امر سهل تقدر عليه اللجنة وانه لا يمنعها من عقده على شدة الحاجة اليه الا انه يغيظ لطف الله . انا لم يخطر في بالي هذا ولا اعتقد ان لطف الله يغيظه عقد مؤتمر جديد وسبب ذلك انه لا يعتقد ان المؤتمر الجديد يكون عليه ضداً وله خصماً . واما قولك لا سبيل الى ان تكتب اللجنة الى الحكومة الفرنسية بكذا^(١) .

(١) كنت اقترحت على اللجنة ان تكتب الى الحكومة الفرنسية بأن ظننا كون لطف الله هو مبعث القضية السورية ظن في غير محله فالقضية السورية منبعثة من الشعب السوري المطالب بحقه في الاستقلال لا يتزحزح عنه .

لانه بغيظ لطف الله ولا سبيل الى تخلي لطف الله عن الرضاة لانه لا
يجراً احد في اللجنة ان يطلب هذا الطلب فكلاهما في غير محله . وهو
طمع في اللجنة بغير حق . والصواب ان اللجنة لا تعتقد ان حلها مصلحة
للوطن بل لعدو الوطن ولم يوجد سبب يقنع اللجنة بأن تكذب للحكومة
الافرنسية ما ذكرت .

عود على بدء مساء ٨ المحرم - ٧ يوليو

كتبت ما تقدم ولم يثبتني خير الدين افندي في الموعد - ثم اجتمع
عندي يوم الاحد هو واسعد بك حيدر واسعد افندي داغر وهم اُبعد
أعضاء اللجنة عن لطف الله وقرأنا كتابك هذا والذي قبله وقد اتفقوا
على انه لا سبيل الى شيء من الامور الثلاثة وانا أعلم علم اليقين أنه لا
يهم واحداً منهم امر غيظ لطف الله ولا رضاه بل هم الى ما بغيظه اقرب
وهم يتمنون لو يستقبل من اللجنة .

ولكنني قلت لهم ان الممكن من اقتراحات الامير شكيب شيء
واحد وهو اعلان اللجنة انها لا يوجد احد فيها له مطمع شخصي من
 وراء اعمالها بل كلهم رئيسها واعضاؤها يعملون لمصلحة الوطن ولا يقرون
احداً يتوسل بالخدمة الوطنية الى مطمع شخصي . وقلت اني سأقترح هذا
البيان في اول جلسة ولكن لا بد من التماس مناسبة له - وكذلك
كان .

عقدت اللجنة مساء يوم الثلاثاء الماضي ولم يحضر جلستها احد من
الثلاثة والامير امين غائب في الاسكندرية فكان بقية الاعضاء السكرتير
العام والسكرتير الثاني والمساعد (اليازجي) وهما أشد الاعضاء موالاةً

الرئيس — والحاج أديب خير وهو معتدل ومسال بطبعه — وحضر الجلسة من غير الاعضاء الدكتور شهيندر وحسن بك الحكيم — ووجدت المناسبة لاقتراحي بطبعها وهو ما كتب في بعض جرائد بيروت ومقطع ذلك المساء من اتهام اولاد لطف الله بطلب الملك والرياسة — فقدمت الاقتراح فقبل وكتبه البازجي ونقحته اللجنة ونشر .

واتفق الجميع على السعي والتعاون على درء جميع أسباب الخلاف والشقاق بين الوطنيين كل واحد من ناحيته وناحية أصحابه فانه لا ثقة لاحد منا بانصاف فرنسة ولو بالقدر الذي نتفاءلون به . وانما كتبت اللجنة بيانها العام لمن القول نتمياً للسياسة الاخيرة التي سلكها الوفد في اوروبا مبتدئاً بجمعية الامم وتمهيداً لما تقتضيه الحال في المستقبل القريب .

وجملة القول ان كتابك الاخير آلمني وأرى انك كتبتني في حال

انفعال شديد والمؤاخذات فيه كثيرة ولا يحسن بأمثالنا للناقشة فيها .
ومن القريب اعتزازك فيه بزعماء الثورة بعد أن شردوا ونحمد الله انهم
حافظوا في ذلك على شرفهم وعزة أنفسهم — وقد أرسلت التوصية اللازمة
بهم الى أم القرى . هذا ما أمكن كتابته بعد المغرب يوم الخميس والسلام
عليك وعلى ولدك ورفيقك لا زلت موفيقين ؟

رشد

وكتب إليّ في ٢٧ المحرم ١٣٤٦ و ٢٦ تموز ١٩٢٧ :

سيدي الاخ الامير

لقد ألتى إليّ امس كتابك المرسل من لوزان في ١٧ تموز وهو مرجوع كتابي المرسل في أول المحرم وظهر لي منه ان ما وقع بيننا من اختلاف الفهم في اللجنة التنفيذية لا يزال في موضعه وأرجو أن أستطيع الآن ان أستريح واربح ببيان ما تفهمه وما أردناه وتريده منها .

قلت فيما سبق ان اللجنة شيء وليست كل شيء . وإن إثبات كونها شيئاً لا بنفي وجود غيرها من ثوار وجمعيات وأحزاب وأفراد ولا بغمط فضل أحد في عمله . وأزيد على ذلك الان انه لا يقضي تفضيلها على الثوار ولا على مديهم بالمال لان المفاضلة بين الشيثين إنما تكون في العمل المشترك بينها كما قال الغزالي في تخطيطه من بفاضل بين الخبز والماء فإن الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للظآن ولا يشرك أحدهما الآخر في خاصيته فيفضل عليه فيها — فاللجنة خدمتها سياسية لا يشاركها فيها سلطان باشا الاطرش وغيره من زعماء الثورة وهي لا تشاركهم في عملهم . وكذلك يقال في الحزب الوطني الاميركي الذي كان أعظم مدد للثورة . واللجنة لم تشترك في الاعانة كما انها لم تشترك في الثورة وإنما اشترك بعض اعضائها في الاعانة بصفتهم الشخصية أو بدخولهم في لجنة إعانة المنكوبين . ولا تدعي اللجنة ان تمثيلها للأحزاب عبارة عن مبايعة منهم^(١) قد

(١) كانت اللجنة ولا سيما الرئيس ومن يواليه يعترضون على تكلم الوفد السوري الفلسطيني في اوروبا بلسان الاحزاب الوطنية كلها في الوطن والمهجر بل لم تكن تعرف للوفد صفة سوى انه يمثل لها وحدها . فكان الوفد لا يذعن لهذا الحصر .

سلبتهم حرية العمل لوطنهم من طريق آخر او حرية تقض البيعة على تقدير وقوعها وما اظن ان هذا المعنى خطر ببال احد من اعضائها ولا من رئيسها لانه من الجنون المطبق .

واما الوفد السوري في اوردية فاللجنة ترى ان عمله السياسي مبني على نيابة عنها لان كل ما قدمه سابقاً الى جمعية الامم كان باسمها والثوار وجمعيات الاعانة ليس من خصائصهم الاحتجاجات السياسية فلجل توحيد العمل السياسي ينبغي ان يبقى الوفد على صبغته الاولى . ولكن لا تفكر انه قد عرض منذ بضعة أشهر ما يقتضي ان يكون زعماء الثوار رأي فيه وهو ما كان ينتظر من مفاوضات الحكومة الفرنسية لبعض الهيئات السورية الوطنية في الصلح والاتفاق على شيء يرضى به الفريقان . وفي هذه الحالة أرسلت اللجنة وفداً الى الازرق لعرض المسألة على زعماء الثورة واخذ تفويض لها ولمن شاؤوا ضمها اليها لاجل المفاوضة . وعاد الوفد يحمل تفويضاً لاعضائها ولأشخاص آخرين كثيرين ومتفرقين في البلاد السورية وفي مسائر الاقطار — فلم تقبله اللجنة لكثرة المفوضين وتفرقهم فإن ذلك يمنع توحيد العمل وإمكانه — وأخيراً اقترح جمهور وجهاء السوريين من المفوضين الموجودين بمصر ان تقبل اللجنة منهم ان يختاروا أربعة منهم لمشاركتها في كل عمل تعمله في هذا الطور الجديد للقضية على شرط ان يأتوا بعد هذا بتفويض جديد من زعماء الثورة خاص بهم فقبلت اللجنة ذلك كما تعلمون . والظاهر أن هؤلاء المنضمين كانوا يخشون أن يقع اتفاق بين اللجنة وفرنسة يغلب فيه رأي افراد قليلين او رأي لطف الله كما يخشون فاستراحوا لقبولهم في اللجنة بعد تردد

منها واثاء ولعلي كنت المرجح لقبولهم وأما تكليف الحزب الوطني في
اميركا لتوفيق افندي اليازجي أن يكون ممثلاً له في اللجنة فلم يكن
بسي منها ولم نسال توفيق أفندي أكان هو المقترح ذلك على الحزب أم
هم الذين كفوه إياه من لقاء انفسهم وكتبوا بذلك للجنة .

وجملة القول ان اللجنة ممثلة لمؤتمر جنيف الذي ادعى في ندائه تمثيل
جميع الهيئات والاحزاب الاستقلالية وامضاؤك فيه لا تزال على هذه
الدعوى مع ان عدد الممثلين فيها قد زادوا فهي لم تدع شيئاً جديداً
ولم تصب بالجنون فنقول ان هذه الدعوى التي قامت بها في عملها السيامي
هي مبايعة من الامة السورية سلبت احزابها وزعماءها حريتهم في سياسة
وطنهم ، ولكنها نقول ان الطريقة القانونية لانهاء خدمتها وجواز تركها
هي بحسب قرار مؤتمر جنيف موكولة الى مؤتمر آخر وهذا لا يمنع زعماء
البلاد ان يعملوا لبلادهم ماشاؤوا مما يستطيعون عمله بدون ان يشاركوها
فيه فعلاً او رأياً .

والوفد السوري له هذا الحق كغيره من زعماء البلاد ووجهائها اذا
رأى المصلحة في ذلك وان لم تره اللجنة . ولكن يجب في هذه الحالة ان
يمان انفصاله عنها . وما دام يرى المصلحة في العمل معها فالواجب عليه ان
يطلعها على ما يعمل به ويستشيرها في الامر الجديد الذي يعرض له مخالفاً
لما كان مقررأ من قبل لان المسؤولية مشتركة فيه . وهو قد قصر في
ذلك في المدة الاخيرة فهضم حقها من حيث لم تهضم حقه فإنها أعلنت انه
هو المفوض الذي يحق له الكلام باسمها دون غيره أي كأخوى رئيسها .
ولما نشرت بيانها الاخير في القضية العامة نشرت فيه شيئاً عن الوفد

ولم تحذف منه قوله انه مندوبها ومندوب هيئات أخرى على كونها لا تستحسن هذه الزيادة . فالوفد انهمها بأنهم تدعي انها كل شيء على كونه يشار كها في ذلك ان صح لأنه منها . فلا تكون هذه الدعوى هضماً لحقه ولكنه هو جعلها « لا شيء » فلم بعد يراجعها في شيء ما وانما ملأ الجو بالظعن فيها .

لا تزال حفظك الله نقيم البيانات والحجج بأسهابك الذي يعجز عنه غيرك في مناقب الثوار الذين استنبطت بطريق الزوم غير البين ان اللجنة هضمتهم حقهم بما تقتضيه دعواها انها كل شيء !! والله لا اعلم ان هذا خطر يبال احد من اعضاء اللجنة بل كل فرد منهم بفخر بهم وبصرح بانهم الذين رفعوا رؤوس السوربين التي كانت ناكسة في كل مكان لا انا وحدي الذي اكثرت من هذا اللفظ نفسه كثيراً وإنه ليسوءني جداً أن بكرر القول لي ذلك في كل كتاب خاص بي في هذه المسألة .

فإن كنت انا ممن يحتاج الى اقناع بمكانة زعماء الثورة وبأثير الثورة بمثل هذا التكرار في كل كتاب فأنا اشهد على نفسي بانني لا قيمة له في هذه الهيئة الاجتماعية . والله ثم والله ان قولك في كتابك الاخيرة: فليسمح لي الاستاذ ان اقول له انه لولا سلطان باشا ورفاقه الخ لا شد علي من طعن جريئة السياسة وهذا التألم هو الذي استنزل قلبي بذلك الكلمة التي آلمتك بحق كما آلمني انا ولولا ان إتمام ذلك الكتاب كان بعجلة وأرسل ليلاً الى البريد لاعدت فتحه ورجعتها منه وأرجو ان ترجمها انت اذا كان الكتاب محفوظاً عندك واني لتألمي من هذه العثرة ذكرتها لبعض اخواننا حتى الحاج اديب خير ونجيب بك (أيضاً) دع السيد عاصم

والرافعي . وكان خطر في بالي أن اقفي على الكتاب بآخر لا أذكر فيه
إلا الاعتذار عنها . ثم قلت : إن تأخير الاعتذار لا يخرجني عن كونه
اعتذاراً أشد على النفس من عقاب غيرها لها .

سبحان الله ! انني أكره التكرار حتى في المطربات وقد ابتليت به
في تهمة أنا بريء منها ولكنها من الاخ العزيز الكريم الذي لا يمكنني
الاعراض عن كلامه وعدم اجابته عنه وهي سوء فهم لا سوء قصد . ان
هذه الصفحات السبع التي تألف منها هذا الكتاب الاخير كان يقني عنها
صفحة واحدة بالايجاز وصفحتان بالاطناب .

وجملة القول في مسألة اللجنة انها هي الهيئة السياسية الوحيدة التي
نظمت الدعاية السياسية والاحتجاج على الغاصب في بضع سنين وقد تكرر
كلام بعض الاخوان معي في استبدال لجنة أخرى بها ولكنهم لبسوا
أهلاً لذلك فسواء كان عملها السيامي حقيراً في نفسه أو بالنسبة إلى اعمال
أخرى كالثورة أو لم يكن فهو عمل لا بد منه وان هدمها قرة عين
للخيم السيامي الذي لم يظهر التبرم من عمل سيامي غير عملها . ولا أرى
إلى الآن فيه أدنى مصلحة للوطن وكون لطف الله بثلذذ برياسته لها لا
يضرنا ولا يمكن له أن يتخذها مطية لعمل ضار . ونحن فيها إن كان
يربده . وقد صرحت اللجنة في آخر بيان رسمي لها انه ليس فيها أحد
يستثمر القضية الوطنية لمنفعة شخصية ولا ثمر من يفمل ذلك فنحن إذا
لا نهدم ما بنيناه بأيدينا ولا تزال نعتقد اننا محتاجون إليه قلت هذا
واضطرت إلى اعادته مع شيء آخر : وهو انني ليس لي أمل بانصاف فرنسة
لنا وان الجهاد السيامي لا بد من دوامه .

أما ما نقوله يا سيدي من أن بقاء اللجنة وبقاءه رئيساً لها يخوله أن يقول لفرنسة إنه ليس في سورية غيره « وان الجميع أعوان له ومستخدمون عنده . فعند ذلك تضع بداها في يد الذي أثبت أنه هو رئيس الجميع » وما في معنى هذا مما هو أبلغ منه وأكبر مبالغة - فليس من المعقول عندي فأنا لا أعتقد أن فرنسة تجهل حقيقة اللجنة وحقيقة لطف الله الى هذا الحد بل أعتقد أنها تعرف الحقيقتين وان قصارى قوة اللجنة مع رئيسها للمشغبة والدعاية السياسية وانها لا تمثل الثورة ولا رجالها بمعنى ان ما يرضي لطف الله يرضي الثوار وغيرهم من الزعماء وطلاب الوحدة الخ . وان الاتفاق الاخير مع سورية يكون معه . ولو ظلت الثورة قائمة على ساقيها كاشفة عنها ورأينا فرنسة محتاجة الى هيئة سورية تمثلها مع سائر الاحزاب واللجنة التنفيذية لرأبتم اللجنة معضدة بوفدكم بضم اثنين او ثلاثة منها اليه على الوجه الذي ذكرته لك في كتاب سابق ولم يكن لطف الله هو الذي يعقد الاتفاق معها - ولكنني أرى مع الاسف والامتعاض ان هذه الفرصة قد فاتت وزال السبب الذي لولم يزل لكان لك الحق في كل هذه المبالغة في نزع الرياسة من لطف الله ولا سيما بعد أن ثبت عندك السعي لاستئثار القضية الوطنية .

وأما ما نقوله من انني لو تفاضيت عن اللجنة ولم أحضر جلساتها لنعرقل سيرها وعادت عدماً واضطر اولاد لطف الله أن يصلحوا أمرهم فهو مما يختلف فيه فهمنا أيضاً . لا أعني بهذا أنني أجعل قيمة وجودي في اللجنة وثقة الكثيرين من زعماء بلادنا بها لوجودي فيها لا أجعل هذا وكثير من رجال بلادنا ذكره لي مساراً . وإنما أعني أن تركي لحضور

جلستها مع بقاء انتسابي اليها لا يعرف شيئا من عملها ولكن ربما يجعله
أو يجعل بعضه على غير ما أحب انا ومن يتفق رأيه واعتقاده مع رأيي
واعتقادي في المسائل الوطنية وان استقالتي منها لا يمنع من انتخابها عضواً
آخر يمثل حزب الاتحاد السوري على حسب قرار مؤتمر جنيف وتظل أعمالها العادية
على حالها وإن قلت ثقة الكثيرين بها وتبقى فرنسا مهمة بدعايتها كما كانت مهمة
بجذب الاتحاد السوري ابام كانت جرائدها وأعمالها يقولون ان الحزب مؤلف
من لطف الله وسكرتيره سليم مركاتيس فقط . وإذا صارت اللجنة بتدري
لها ضعيفة أو عدماً كما قلت فهل تكون فائدتنا من ذلك إصلاح
اولاد لطف الله . . . ؟ انا لا أفهم هذا وإنما رأيي في إمانة اللجنة
ما ذكرته . من قبل وفي آخر الورقة التي قبل هذه . ثم انني
على هذا لم أقنع بأن اولاد لطف الله يمكنهم أن يضرروا سورية من
طريق اللجنة التنفيذية التي يوهمون بعض الفرنسيين أنها في قبضة يدم
وأكثر رجال فرنسا لا يصدقون ذلك فتتحصر المسألة في أطماع أشمبية
مضحكة يصورها طفيان النني قربة المنال . وقد ذكرت الطمع في إمارة
الشام ! فهل يصح لعاقل أن يأبه لمثل هذا ؟

الامر الجوهري في كل هذه المسألة عندي هو مسألة اعتماد فرنسا على
هيئة سورية لتنفذ معها على مستقبل البلاد ووضع النظام لحاضرها ومسا
يكون لها من المنفعة فيها — إذا وصلنا الى هذا فأنا موافق ومساعد على
كل خطة تحول دون جعل هذه الهيئة تحت رئاسة لطف الله أو يكون
النفوذ الغالب فيها لآل لطف الله .

انني مع إخلاص المودة والاحلال لاختي الامير الذي أعده أقوى

ركن علمي سيامي أدبي لي في خدمة الاسلام والعرب استأذنه بأن
أكشفه برأيي في مبالغته بل إغرافه وغلوه في هذه المسألة وهو انك كبرت
امر هؤلاء تكبيراً كبيراً فجعلتهم أضما ف ما هم عليه ومن أغرب ذلك التكبير
العلاوة التي كتبتها حاشية بعد إمضاء الكتاب وهو عندي خطأ مبين لا
يحتمل الصواب فلئن عقد المؤتمر فلن يكون أعضاؤه المعتمدين على اللجنة
الحاضرة وهذه اللجنة ليس اكثر أعضائها أنصاراً « للعائلة المالكة » بل لا
يعرفون عائلة مالكة . ولئن عقد المؤتمر فلن يكون لنفوذ اللجنة تأثير في
انتخاب رئيسه فيما اعتقد . واغرب منه قولك : « وبالاختصار ليس همنا
تحرير سورية من نير فرنسة فقط بل تحريرها من نير كذا وجعل دماءنا
تذهب سدى تقريباً » !! ما هذا يا سيدي الامير ؟ هذا قول عظيم من
مثلك وان كنت سياسياً وصاحب خيال شعري واسع في الوصف ! من
أين جاء هؤلاء بهذا النير ومنى كان لهم هذا التأثير ؟ هذا شيء لا نعرفه
ولا نعقله . فإن كان وصفاً شعرياً سياسياً فهو كثير لا ينبغي ان يتخاطب
به الاخوة المتعاونون على المصلحة العامة فيما بينهم وان كنت تراه حقيقياً
فأقنعنا بما تعلم من هذا الخطر لنهب هبة واحدة ظاهرة لمقاومته . الطامعون
في الامارة والملك والرياسة كثيرون حتى في سورية للسكينة ولبنان جبهة
الحرب الاستعمارية ولكننا نسأل عن الخطر الفعلي وعن أدلته ؟

سيدي إن أعمالي كثيرة جداً ولم أتم هذا الكتاب إلا يوم الخميس
وسأرسله مساءه وآخر كلمة لي في موضوع اللجنة انني استحسن ان تبقى
علاقتكم بها كما كانت وهي لا تشترط إلا ما ذكرته سابقاً من المكاتبه
والتشاور في كل امر جديد ولا يمنع من ذلك زيادة ذكر الاحزاب

الآخرى في أعضاء الوفد اذا اصررت عليه — فهذا فيما أظن خير من الشقاق وانفراد كل من اللجنة والوفد بالعمل السياسي لدى عصبة الأمم . وقد تنشيء اللجنة في جنيف مكتباً سياسياً وقرأت اليوم في بعض الجرائد ان بعض السوريين انشأوا مكتباً فيها ولكن لم اعلم من هم وما موضوعه — هذا إذا كانت الحال كما اعلم — فان كان هنالك مفاوضة ٠٠٠ فقد بينت رأيي فيها وان كان في امر ٠٠٠ خطر لا نعرفه كما ذكرت آنفاً فمجلوا ببيانهم ولكم الفضل والسلام عليكم اولاً وآخرآماً
اخوكم

سبيد

وكتب في ٣ صفر ١٣٤٦ واول اغسطس ١٩٢٧ :

سبيدي الاخ الامير

ارسلت اليك مساء الخميس الماضي كتاباً مطولاً وكان قد صدر بيان موسيو بونسو ولكن لم يكن وصل الينا نصه كله بل ملخص منه بالبرقيات ثم جاء بنصه فإذا هو الخزي الذي كنت انتظره .
واظن انني لم اكتب شيئاً في ذلك الكتاب على طوله في مسألة ما نشرته جريدة المرض عن لسان الامير ميشيل لطف الله واشك في ذلك لانني كنت منذ كراً لها في اثناء الكتابة وعازماً على كتابة كلمة فيها .

وجملة ما كنت اريد ان اذكره واشك في ذكره انني لم ار جريدة المرض وإنما رأيت ملخصاً منها في بعض الجرائد فأنكرته عليه وقلت

له : كان يجب ان تفرق في كلامك بين ما نقوله عن رأبك الشخصي وما نقوله عن اللجنة بالنص او الفحوى وإذا لم تفعل فالواجب ان تصحح ذلك ... فقال اننا ننتظر مجيء جريدة المعرض نفسها لنرى نص الحديث فإن ما نشر منه مائخاً غير مطابق للواقع . وكلمة نجيب بك في ذلك فوافق . ثم لما احتاجت اللجنة إلى نشر بيانها ضمنته ما يصلح ان يكون رداً على ما لا يوافق مبادئها من ذلك الحديث . ورأينا جريدة العهد التي اثارنا المسألة احتجبت بهذا الرد ولم نعد نرى المعرض وما قالت والسلام ؟

اخوكم

رشيد

وكتب إلي في ٢٠ صفر ١٣٤٦ و ١٨ اغسطس ١٩٢٧ :

سيدي الاخ الامير

لدي كتابك الاخير منذ بضعة ايام ولم اتمكن من الرد عليه لانني اردت ان ارسل مع الرد حواله مالية بما بقي لك على مكتبة المنار بعد تسديد حساب المطبعة وقد استخرجت الحساب من المكتبة ولكنني لم اتمكن من الخروج الى بنك مصر لاختذ التحويل إلا في هذا اليوم قبل الظهر بنصف ساعة مع تركي لبعض الاعمال الضرورية وقد كنت قبل هذا الاسبوع منحرف الصحة كما يقال في عرفنا و مسافر السيد عاصم بأهل بيته واولادي الى طرابلس للاصطيف في القلمون فوالده عمي كبير

أسرتنا لم يرَ أولاده ولا أولادي قبل هذا الصيف — والحر مع الرطوبة شديداً عندنا في هذا العام فأنا منها في ضجر ما .

وفي هذا الاسبوع فجعنا بوفاة زميلنا الوطني المجاهد نجيب بك شقيق توفي فجأة في طريقه إلى بيته بالقرب من منتصف الليل فشرنا بفراغ واسع حدث في لجنتنا لانه هو العامل المجد القائم بأعظم شؤونها وأصفا على فقدته وحزننا مصابه من جهة المودة الشخصية حزناً يقتضيه منا لطف عشرته وأدبه فيها ولا شك عندي في تأثير حياته الزوجية المعلومة عنكم في موته كمدأ فذلك الاسراف الزائد لا يزال في ازدياد على نسبة نقص الموارد المالية أو نضوبها ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي هذه المدة انتشر بيان بونسو فكان كما كنت أتوقع وقد ردونا عليه باسم اللجنة التنفيذية رداً حسناً ترونه في الجرائد وفي أثناءها جاءت من الاخ إسمان بك الجابري مکتوبات للامير أمين وللدكتور شهبندر مصرحة بخيبة آماله . وقد ناشد فيها الامير والدكتور بمراجعة اللجنة التنفيذية وجمع كلتيهما مع كلمة الوفد في استئناف الجهاد جزاء الله خير الجزاء ولن ننسى الامة له ولكم هذا الجهاد ولكل مجتهد أجر إن أخطأ وأجر إن أصاب .

أعود الى كتابكم الاخير فأقول ان جل ما فيه يعني المکتوبات التي قبله وقد كنت عند قراءته وضعت خطاً أحمر على مسألة مکتوب نجيب بك لجورج ومکتوبه للوفد — لا أكتب شيئاً في موضوعها وأكتفي بعد أن حصل ما حصل بأن أقول ان الاول صريح في إمارة آل لطف الله او مبايعتهم كما كنتم تعبرون بما لا وجود له في اللجنة التنفيذية

ولا في الدوائر الوطنية وإن من بدعي انت وجوده وحده معهم بكفيمهم كل امر إما دهان لهم وإما غرور منه . وأما الثاني فلا أذكر انه كان إنذاراً من ذي سلطان وإنما كان بياناً لنظرية اللجنة التي شرحتها مراراً على انني لا أتذكر نص هذا الكتاب ولولا وفاة الرجل لطلبته منه . وقد صرحت لكم برأيي في مسألة ما تذكرون من تمثيل الوفد للجنة ولغيرها وإن اللجنة لا تملك منكم من ذلك فكيف اكون مع هذا متبها عندكم بالمواقفه على ذلك الانذار الذي ذكرتموه ؟ وكيف تعود الى تكرار الشكوى من أثره اللجنة وإثارته للشقاق .

كذلك كنت وضمت خطأ آخر على ما كتبتم عن مسيو برتولو واحسان بك ولم يبق من حاجة لكتابة شيء في ذلك انني كنت اعتقد ان كل ما سمعتم وسمع احسان بك من وعود في باريز رياء وإن من اكبر مقاصد هؤلاء الذين يكلمونكم إيقاع الشقاق بين الوفد واللجنة لانت العمل السياسي محصور فيها لا يشار كهما فيه الثوار ولا غيرهم من الوطنيين والمهاجرين وقد كتبت هذا لكم المرة بعد المرة فظننتم انني أغمط به فضل الثوار ومن يجمعون المال . فلنصرف النظر عن الماضي ونحصره في الحاضر والمستقبل . انا نرى هنا انه يجب السعي اولاً او قبل كل شيء لاسين (أحدهما) توحيد عمل الجبهة الديمقراطية كما يقال وذلك بالاتفاق بين اللجنة والوفد كما اقترح احسان بك وهو ما كنت اسمى اليه من قبل (وثانيها) إزالة ما طرأ من الشقاق بين رجال الثورة الباقيين في فلسطين وعمان وهو شقاق قبيح خطير . وقررت اللجنة أول من امس ارسال الدكتور شهبندر بصفتة وفداً الى اوربة ليكون اول عمله الاتفاق معكم وهو يجيزكم بسمينا

في المسألة الثانية . وقد كان مراد الامير ميشيل أن يذهب هو والدكتور
والمرحوم نجيب بك الى اوربة وان يؤسسوا هنالك المكتب ويكون نجيب
هو المدير له وقبل ان يعرض ذلك على اللجنة كتب به الى أخويه
يستشيرهما فكتب اليه الامير حبيب بأنه لا يجوز أن يوجد للجنة في
جنيف وفد غير الوفد الموجود فيها لان ذلك مدعاة الشقاق الضار جداً
وانما يجوز أن ترسل اللجنة الى الوفد من يتحد معه او ما هذا معناه .
وقد استحسننا هذا جد الاستحسان من الامير حبيب وعددناه فوق المنظر
منه . والسلام عليكم وعلى نجلكم ومن لديكم ؟

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ١٩ ربيع الاول ١٣٤٦ و ١٥ ايلول ١٩٢٧ :

سيدي الاخ الامير

قد ألقى إلي كتابك الكريم المؤرخ في ٣٠ اغسطس وأخرت كتابة
مراجعته لاننا بصدد امور جديدة كنت أنتظر جلاءها فأخبرك بشيء مفيد
ولما تنجل . انه لم يبق في لجنتنا بعد نجيب بك من أعضائها القانونيين
غيري وغير أسعد افندي داغر الممثل لحزب الاستقلال العربي . وتوفيق
اليازجي وكيل حزب لم يكن ممثلاً في المؤتمر والامير ميشيل ليس عضواً
وانما جعلناه رئيساً من غير الاعضاء للاسباب المألومة . واما الاعضاء
المضمونون فليس منهم في مصر غير خير الدين افندي الزركلي والآف
يحيط بالامير ميشيل الدكتور شهنادر وهو يدعو لحضور جميع الجلسات
ونحن نتساهل في قبوله حباً في الوفاق وقد تعين حسن بك الحكيم الذي

هو من أنصار الدكتور مديراً لمكتب اللجنة وقلم الاستعلامات — لا
مكرتيد اللجنة كما فهم بعضهم — وهو موظف في دائرة لطف الله كما بلغني
فهو يحضر الجلسات أيضاً بالنسائل وقد اجتمع الدكتور في تجديد حزبه
حزب الشعب فجمع حوله بعض الافراد الذين ليس لهم مراكز وكان
غرضهم ان تقرر اللجنة قبول من يمثلهم فيها لاعتقادهم ارتياح الامير ميشيل
لذلك وهو واقفة فيجب بك له . . . نخاب أمهم .

قد رأيت أنني لم أعارضك في شيء مما كتبت إلي المرة بعد المرة
من ثقتك بالدكتور المذكور وحبك له واحترامك إياه ورغبتك في العمل
معه إذا جاء أوربة دون الامير ميشيل إنما لم أعارضك لرغبتني
الصحيحة في استقالة الدكتور والعمل معه — على شدة كراهتي للظمن في
الاشخاص ولو للمصلحة التي يبيع الظمن فيها أئمة الجرح والتعديل من
حفاظ السنة وإذا اضطرت الى ذلك أفضل الاشارة والتعريض على الصراحة
والتكشف كما هي عادة الامام البخاري رحمه الله تعالى في مثل قوله:
فلان لا يكتب حديثه . فلان تركوه واني قد صرت مضطراً
الان الى التصريح بأنني بعد ان سمعت من فلان كلاماً يدل على عدم
استطاعته إخفاء ما في قلبه مما لا يحتمل التأويل — ثبت به عندي ان
اشتراكه بالعمل مع من يشنؤه — وان بقاءه متمماً بحق حضور جلسات
اللجنة — منافي للمصلحة .

في ١٠ ربيع الآخر ١٣٤٦ و ٦ تشرين الاول ١٩٢٧:

سيدي الاخ الأمير

كنت شرعت في كتابته لك في ١٩ ربيع الاول (١٥ سبتمبر) اودعه
فصل الخطاب في موضوع اللجنة والوفد ولكن عرض ما حال دون بيان
الفصل وهو أن بعض الاخوان العاملين في قضيتنا الوطنية في جميع أطوارها
ولا سيما الحديثة قد جاؤوا مصر على نية العمل لتلافي الشقاق أو مضاره
منهم الأستاذ الشيخ كامل القصاب مدير المعارف في الحجاز وشكري بك
القوتلي ونبيه بك العظمة وكان في قريات الملح وخالد بك الحكيم وكان
في دمشق . وكان الثاني والثالث قد بذلا جهداً حسناً في تدارك مضار
الشغب الذي حدث . وقد ثبت أن فلاناً وصهره وصديقها فلاناً الذي
كنا نظن انه «معتدل على الحياء» بوالون الكتابة الى فلسطين وسورية
يحفسون نار الشقاق حيث وجدت وبوقدونها ان استطاعوا حيث لا وجود
لها ويزعمون انهم بذلك يؤيدون لجنتنا التنفيذية وانما هي تؤيدهم ويستعينون
على ذلك بما علمتم من تعيين فلان مديراً للمكتب ومقياً فيه ويساعده
في أعماله فلان الذي جعلناه كاتباً للجنة الاعانة ويعتقد الاخوان
ان يساعدهم بالمال وان كان ألم في هذه الاثناء بفلسطين المامة خفيفة
حمل بها مبلغاً من الدراهم لهذا الغرض و ينكر بالطبع بذل المال في هذا
البديل .

في أثناء مجيئ الاخوان واشتغالهم بما سأذكره بالايجاز وصل كتابك
المطول رقم ٢٣ سبتمبر — وهو بخط الأخ رياض بك وبعض الجمل بين
الساور فكان مصدقاً لما قاله لي صاحب الشورى من خبر وعك ألم بكم

و كنت أحب أن أعرف ما هو والراجع انه تعب في اليمين بدليل
مواصلتكم لمراسلة الجرائد والاخوان وعسى أن يكون قد زال — فأطلعت
عليه الشيخ كامل وشكري بك وخالد بك الحكيم وهم على اتفاقهم معك
ومعي في المقصد لا يسلمون كل هذه المقدمات التي شرحتها في الكتاب — وأهم ما
أحبوا أن يعملوه هنا جمع الكلمة كما جمعوا بين جماعة المجاهدين
الذين في النيك من الجنوبيين وبين الشماليين الذين كانوا متفرقين في
شرق الاردن وفلسطين تعبت بهم أهواء المشاقين .

اجتمع عندي معهم زهاء عشرين رجلاً من خيار السوريين فلتخص
لهم الاخ شكري كل ما جرى في المدة الاخيرة : كل ما جرى من انباء
أولي المجاهدين الى قريات الملح . قدماته ونهايته الى الان وتلافي الشقاق
الذي أحدثه تقريباً الى الفرنسيين ومسألة الاعانة وحصر التصرف في
الاعانات في سلطان باشا الذي ترد باسمه الآن واستقالة من امكن استالتهم
من مجاهدي القوطة أو الشماليين كما يعبرون عنهم وارسلهم الى ملجأ المراقبة
كما أسميه أنا الخ فاستحسننا بيانه واثبت عليه بما وافقني عليه الجمهور .
واقترحت عدة أمور كلها حسن نقرر بعضها وأجل بعض .

ثم ان الاستاذ الشيخ كامل ذكر للاخوان سعيه لاستقالة الدكتور . . .
وضمه اليهم للتعاون في العمل الذي توجهت همته اليه لما في التفرق
والشقاق من الضرر الذي يستغله الخصم وذكر لهم انه وفق في سعيه
وكذا خالد بك الحكيم الذي كان سبقه الى ذلك فسروا وارتاحوا ونقرر
بالاتفاق بينهم تأليف لجنة من شكري والزركلي عن حزب الاستقلال
ومن الدكتور شهبندر وحسن الحكيم من الطرف الاخير ومن الشيخ

كامل ورشيد رضا وخالد الحكيم من على الحياض ليكونوا حكماً وعميلاً
موعداً اجتمعوا فيه عندي وكان معهم الدكتور سعيد عودة وهو على
الحياض أيضاً وصديق شهبندر — اجتمعوا وكان القوتلي منحرف الصحة
حتى اننا اذنا له كلنا بالاضطجاع على أريكة ففعل ثم دار الحديث بعقل
وأدب مدة لم يستطع أحد الحاضرين الثبات عليها فذكر ما ينكره
وينقعه من حزب الاستقلال وقفى عليه بالقدح فيه وفي شخص الاير
عادل من رجاله خاصة ثم رفع صوته واستشاط فشم فلاناً ورفع عصاه
وهجم عليه يريد ضربه فقام الآخر على تعبه ليقاومه فحللنا بينها الخ .
(الى ان يقول) :

وقد علمنا مما صرح به انه لا يرضيه ان يكون لفلان ولا لغيره
من حزب الاستقلال ادنى دخل في قبض أموال الاعانة ولا في صرفها
وانه يجب أن تؤلف لها لجنة في مصر لتولي القبض والاتفاق بالعدل على
الدروز وغيرهم . . . وذلك أن كل الشعب الذي أحدثوه في فلسطين إنما
هو لاجل اقتسام المال بين المرابطين على الحدود (كما اسميهم أنا) وبين
القاعدين في الامصار العامرة يتمتعون بالشهوات حتى المحرمة منها . ونحن
قد أجمعنا قبل ذلك بأنه لا حق لاحد في قرش واحد من غير المرابطين .
ولما بالغ فلان في الطعن في حزب الاستقلال قال له الدكتور . . . ان
هذا الحزب لم يستأثر بالاعمال الا لانه لم يوجد غيره يزاحمه فيشاركه
أو يزحمه فيخرجه من الميادين لانه أصلح منه وقد كتبت لك مزاراً
أسألك رأبك في هذا الامر فلم تجبني والآن أسألك أي الامرين أرجح
اذا لم يوجد غير الامير عادل يحل محله في عمله وغير هذا الحزب يحل

محله فهل تختار فشل الحركة والثورة والقضاء النهائي عليها بتنجي هؤلاء
عن العمل أم بقاء الحركة والعمل مع السبي لتقويم ما نراه معوجاً منه —
أو ما هذا معناه — فأجاب بأنه يختار الفشل وترك العمل على تولي الامير
عادل أو غيره من حزب الاستقلال له الخ . . . وقد اجتمع الاخوان بعد
ذلك عندي ولما علموا بما وقع اجمعوا على ما كان يعقده بعضهم من
امتناع الاتفاق وألفوا لجنة وطنية للاستمرار في السبي لما يقصدون من
تأمين راحة المرابطين وجمع كلمة السياسيين وغير ذلك . وقد حاول محمد
أفندي الطاهر أن يتوسط ثانية بالصلح وكذلك الامير ميشيل لطف الله
فلم يمكن .

طال الحديث واني أعلم انكم قد علمتم بما حصل هنا إجمالاً أو تفصيلاً
— فهذا الدكتور . . . الذي كتبت إليه المرة بعد المرة بأنك تجبه وتخبره
وتود العمل معه اذا جاء اوروبا — وبلغني انك كنت حمزت شقيقك
المجاهد بل افضل المجاهدين حمزاً شديداً في التهرب على مجافاة الدكتور^(١) .
أعود الى اللجنة التنفيذية : كنت أخبرت الامير ميشيل بما كتبت في
البراءة بحق من عداوتهم وما عملت في سبيل مودتهم^(٢) وما تنكر الآن

(١) وهذا أعظم شهادة بكوني تفاديت الشقاق بكل وسيلة وجرت على أخي
نفسه من أجل ذلك لا خوفاً من احد بل خوفاً على القضية السورية من عواقب
الخلاص ومع هذا لم أستفد شيئاً .

(٢) كنت كتبت الى السيد عما كنت اعضد آل لطف الله في كل موقف وكم
أطربتهم في افتتاح المؤتمر العربي بديترويت مشيخن في امير كا امام ألوف الناس —

من السعي إلى الامارة وجعل اللجنة آلة لذلك - ولكن بعبارة لطيفة -
وقلت له إن الاتفاق معكم ممكن وأنه لا بد لنا من جلسة طويلة لحل هذه
العقدة فتواعدنا - ووعده أيضاً باستمالة حزب الاستقلال وسائر العاملين
لتأييد اللجنة . ولما جاء الاخوان - وكان شهبندر وحسن الحكيم وتيسير
ظبيان أقمعه بأن حزب الاستقلال ضد عليه وأنه يسعى لعقد مؤتمر وطني
في بيروت ظاهره بيات . وقف الوطنيين تجاه خطة موسيو بونسو وباطنه
إسقاط اللجنة التنفيذية - قلت له انني كتلت الاخوان الذين حضروا من
البلاد ومن الحجاز بوجوب تأييد اللجنة التنفيذية فقبلوا كلامي كما كنت
أخبرتكم واننا سنكلف لجنة مؤتمر فلسطين بإرسال عضوها المحفوظ لها في
اللجنة وسيدفع عضوها وعضو حزب الاستقلال ما يخصها من نفقات اللجنة
كسائر الاحزاب وكان متشائماً جداً من اجتماعهم عندي عدة مرات مع
عدد كثير من الوجهاء المقيمين هنا من السوريين وتأليف لجنة وطنية
جديدة وبجثهم عن مكان يجعلونه نادياً لها وأخيراً دعا أشهرهم إلى العشاء
وظللنا نبحث في للسألة إلى نصف الليل ونقرر انهم يسمون للتأليف بين
اللجنة والوفد على قاعدة وجوب استشارة الوفد للجنة في كل ما يريد ان
يقدمه إلى فرنسا أو إلى لجنة عصبة الأمم في القضية السورية . وذكر في
هذه الجلسة ما يستنكره من الوفد وذكرنا له ما استنكره الوفد وغير
الوفد منه ومن اخوته ومن ذلك حديثه مع صاحب المعرض بما هو ضد
إجماع البلاد . وذكرنا أيضاً مخالفة ما أرسل أخيراً إلى عصبة الأمم بالفرنسية
- مما يدل على انه ليس لي ادنى غرض شخصي في استنكار بعض الحركات وان رائدي
الوحيد انما هو المصلحة الوطنية .

لما نشر من قرار اللجنة بالعربية . فاعتذر عن هذه بأن بعض السياسيين
الاجانب نصح له بأن شدة العبارة بالعربية تستنكره عصبة الامم ويكون
ضاراً . . . فقال له الزركلي : كان يجب إذا ان تجمع اللجنة وتعرض
عليها ذلك التغيير برأيها فاعترف بذلك . وإنما ضمنوا له رضاء الوفد بما ذكر
لان اللجنة بيدنا . وصل مساء أمس جمال بك الحسيني منتخباً من لجنة
مؤتمرهم عضواً للجنة مصر فهو عضو أصلي معنا وكنت عهدت الى بعض
الاخوان أن يكتب إليك بأن تكتب الى طعان بك عماد^(١) لنتنخب
جميعتهم أو حزبهم عضواً بدلاً من نجيب بك يكون مع اخواننا الذين ثقف
بهم . ومن رأيي أن نضع لائحة داخلية للجنة يكون من موادها ان
نتنخب اللجنة لكل جلسة رئيساً فلا تكون الرئاسة محنكرة لصاحبنا ولا
يكون محروماً منها البتة وعمى أن يرضيكم هذا . وربما نتنخب
سكرتيراً . ونقرر أن ننشر القرارات بامضائه وقد قلت للاخوان ان الامير
شكيباً ليس له إلا شرط واحد ضروري وهو ألا يكون لطف الله هو
الرئيس للجنة وكلهم يرجون ان نقبلوا اقتراحى واللجنة كلها بيدنا وبهذا
تتلافى شر شقاق جديد وتقضى عليه والسلام عليك وعلى من لديك ؟

سيد

* * *

وكتب إلي في ٢٩ ربيع الآخر ١٣٤٦ و ٢٥ أكتوبر ١٩٢٧ :

سيدي الأخ الامير

وصل كتابكم بعد ان عاينم من البرقيات اننا انفصلنا من ميشيل

(١) في الارجنتين .

وانفصل منا^(١) وأرسل اليكم صديقنا شكري بك كتاباً أو كتابين فصل
فيها ما وقع وذكر ما يطلبه الاخوان منكم وجاءت برفقة التأييد منكم
بامم الوفد ورفقة لي ناطقة ببادرتكم الى اجابة ما افترح عليكم ولا بد
أن يكون المقطم الذي نشر محضر جلستنا التاريخية التي ألقينا فيها الرئاسة
قد وصل اليكم وكذلك كوكب الشرق فهذا كله قد وفر علي الوقت
الذي كان يجب علي أن أشرح لكم فيه كل ما وقع علي انني لا اعلم
كل ما كتب اليكم فقد يكون بعض ما أكتبه منه وقد يكون مما
يستغنى عنه .

أقول قبل كل شيء ان من خلقي ورأيي أن لا انفصل بأحد بصداقة
أو عمل ثم يكون الانفصال من قلبي وحدي أو لأدنى سبب من الآخر
وان من خلقي وطبعي كراهة الاختلاف والتفرق والشقاق والمراء وقد تركت
جلسات المؤتمر الاسلامي العام في الحجاز المرة بعد المرة عندما اشتد فيه
الاختلاف والمراء الذي كان بشيره وفد الخلافة الهندي — فلمذنب السببين
الطبيعيين ولما أعلم من طبع مبشيل لطف الله وهواه في سياسته ومسالكة
فيها كنت اجيبك عن اقتراحك ترك اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري
اللسطيني بعد أن علمت من محاولته جعلها ذريعة لنيل اارة لبنان — بما
لا يرضيك من الاجوبة . وأما اقتراحك أن اكون انا رئيس اللجنة فكان
ابعد عن طبيع من الاقتراح الاول لانني أمقت هذه الرئاسة والالقاب
التي يتنافس الناس فيها منذ أدركت وأنا تلميذ في طرابلس من تيارات
التنافس الضار بين المفتونين بها ولي كتاب في هذا المعنى كتبته

(١) لا تخلو معركة سياسية في الدنيا من مثل هذه الاختلافات .

لشباب عرفته في بيروت فأعجبني حتى حسبته صديقاً لي وقد نشر هذا
هذا الكتاب في السنة الاولى للمنادع ما يترتب دائماً على التفرد
والشقاق من سوء القدوة وسوء الاحدثة . وغير ذلك من الضرر .

كنت أحب أن اجد وسيلة لجمع الكلمة بينكم معشر اعضاء الوفد
السوري وبين الامير ميشيل على قاعدة حديث « لا ضرر ولا ضرار » وكنت
أفكر فيما يعقبه تركنا له من الضرر ومن محاولته الانتقام وبذل الجهد
والمال في هذه السبيل مع العلم بأنه يجد من السوريين مؤثري المنفعة
الشخصية على المصلحة الوطنية والقومية اعواناً وانصاراً واعلم مع هذا ان
كثيراً من الناس لا يميزون بين حقنا وباطلهم وان كثيراً منهم يمدلوننا
وبمدلونهم وتضعف ثقتهم بنا وبهم .

في ٣٠ ربيع الآخر ١٣٤٦ و ٢٦ اكتوبر ١٩٢٧ :

اضف إلى هذا ان رأي اخواننا من اعضاء اللجنة كان موافقاً لرأيي في
ان المحافظة على مودة الرجل والعامل معه انفع واصح وارجح من تركه
وانه لا يمكن او لا يسهل ان يستخدم اللجنة لتقرير ما ينافي مصلحة
الوطن او يتخذنا سلباً لمطمع شخصي وكان مع موافاة السكرتير العام
(نجيب بك) له وكون السكرتير (توفيق افندي البازجي) اطوع له -
كان على هذا - غير واثق بأنه بقدر ان يتصرف في اللجنة كما يشاء او
في اي شيء جوهرى لا يمكنه إقناعي به لانه لم يكن يغرب عن
فكره ان لموافاة المرحوم نجيب بك حداً ثقف عنده وان اسعد افندي
داغر ادنى الى مخالفته من كل احد . فما بالك وقد انضم اليك الزركلي
وهو احرى بمخالفته ومخادته عند اختلاف من اسعد والامير امين ارسلان

وهو من هو و كان ارجى المنضمين الى اللجنة عنده فوزي بك البكري
ولكنه لم يلبث ان سافر كما سافر سعيد بك حيدر الذي كان وسطاً بين
الخوف والرجاء عنده.

لهذه الاسباب انقضى فصل الصيف ولم يقدم الامير على إحداث شيء
يقاوم به خلاف الوفد له وإعراضه عن اللجنة التنفيذية لأجله فلا
استطاع أن يتخذ قراراً يكون ضداً على الوفد ولا أن يرسل وفداً
آخر او يسافر به ولا أن ينفذ ما كان اقترحه عليه فنجيب بك من انشاء
مكتب سيامي في جنيف - والظاهر أن نجيباً كان يريد أن يكون
هو مدير هذا المكتب لانه سئم الحياة في مصر وما كان يحمله من التعب
الشديد مع شدة الحر في هذا العام - وقد ضاق ذرعاً بعد موت نجيب
بك لانه كان متنفس همهم وحلال مشكلاته فانسمع المجال لعبث فلان
واتخاذ إياه ذريعة للانتقام من أعدائه الاستقلاليين الذين ظهر لي أخيراً
أن حضرة... أشد مقراً لهم وحقداً عليهم من... فاذاً قد التقي الصديقان
على هوى واحد بل على أهواء متحدة تظهر لنا آناً بعد آن ما لم نكن
نعلم.

اليوم قد ظهر لنا أخيراً أولاً ان فلان وفلاناً متفقون مع فلان على
إحداث الشقاق وهم متفقون بالطبع على كل ما يتعلق بهذا الشقاق وخاصة
ما يتعلق بالثورة والثوار منه وما يتعلق بالتزلف الى فرنسا فقد أعلنوا
كلهم تأييد... في عملهم الجديد ونشروا ذلك في الجرائد واني لم
أقاطع... إلا بعد ان عقدت معه عدة جلسات مربية للمذاكرة في
الاتفاق كان بكم عني بقدر ما كنت أصارحه فيها ولكنني أخرجته في

الاخيرة منها حتى احمق وغضب فصرح بحقه على الاستقلاليين وإن
كنه بعض سنين حتى امتلا من أسفه إلى أعلاه وبانه لما كان لا يمكنه ان
يبارزهم العدا بشخصه استخدم ٠٠٠٠ وحزبه فضرب بعضهم يهض فقلت
له انك أوبت إلى ركن غير شديد وعرضت نفسك للإهانة وكان
الجميع متفقين على تكريمك ولو بالسكوت عن الطعن فيك وأحدثت
تفريقاً جديداً بين الوطنيين تعدى الى لجنتنا التنفيذية التي كان الجميع
متفقين على تكريمها أيضاً فأكثر أعضائها خصوم لمن آوئتهم الى مكنتها
وجعلته وفقاً عليهم حتى تعدى ذلك إلى شخصي وكان صديقاً لهم كلهم
ولا سيما ٠٠٠ وصمحت بأن يكون مدير المكتب بكل ارنياح كارضيت
أن يحضر الدكتور ٠٠٠٠ جلسات اللجنة بدون قرار ٠٠٠

قال بل كانوا يطعنون في وفي اللجنة وذكر لي أشياء من ذلك
بلغته حينئذ قلت له : مالنا والكلام السري الذي لا يعرف إلا بطريق
التجسس وهل تظن أنت أن الناس لا ينقلون لهم ولغيرهم عنك شيئاً ؟
أنهم ينقلون عنك أشياء لا تشمل كطعنك للافرنج في الاسلام والمسلمين
ورميهم بالتعصب وبغض النصارى وتقربك اليهم والى رجال فرسة خاصة
بأنك لا تستغل معنا إلا الكظم تعصبنا — أو ما هو بمعنى هذا الكلام —
ثم قلت له يجب أن يكون لنا في اخواننا المصريين عبرة — وكان
قال انه لا يبالي بأحد ولا يجزب ولا ولا ٠٠٠ — فان سعد باشا وصل
في هذه البلاد الى مقام من الزعامة الاجتماعية لا نعرف له نظيراً في
التاريخ ولما لم يبال بجماعة الحزب الحر طمنوا فيه وأهانوه حتى صار من
يقراً جرائدهم خارج مصر يظن انه لم تبق له قسمة ولم بقدر في هذه

الحال أن يعمل عملاً ولما اتفق معهم أخيراً اجتمعوا على زعامته مع غيرهم ولم يبق له منازع في زعامة هذا الشعب فهل انت اعظم منه ؟ فالصواب إذاً ان تقتدي بالمصريين ونبيذ الضغائن القديمة ونكون كلنا ببدأ واحدة وإذا أنت وافقتنا على نشر كلمة تحترم فيها الوحدة السورية وتصرح بأن هذا التفريق الذي فعلته فراسة بصدعها وجعلها دويلات ظلمت فيها سورية أشد مما ظلمت غيرها بسلب جميع ثغورها البحرية منها ٠٠٠ فان الوفد السوري يرضى بذلك ويرجع الى التكافل مع اللجنة التنفيذية - كل هذا لم يفد معه ولم يجيني الى طلب ما فأنذرتة الانفصال فانفصلت .

في ١٠ جمادى الاولى

إن يوم ١٩ أكتوبر الذي عقدنا في اصيله جلسة اللجنة وقررنا فيها إلغاء الرئاسة مع ذلك البيان التمهيدي للقرار كان موعد سفر جمال بك الحسيني وإحسان بك الجابري من هنا الى القدس وكان من المنتظر ان يحضر الجلسة احسان ولكنه لم يفعل بل جاء بعد نزول الاعضاء من عندي وكان قد أزف وقت القطار الذي يسافر فيه فسألني فأخبرته بقرار اللجنة بالاختصار ونزل الى المحطة وبعد ساعة جاءني زكي باشا ومعه الدكتور شهنيدر واخبراني أنها كانت في المحطة لوداع الجابري ومعه الامير ميشيل فاخبرهما الجابري أننا عزلناه فأخبرتهما بما وقع فاستحسننا إلغاء الرئاسة دون عزله وقالوا إنها يفضلان السعي للصلح والتأليف إذا كنت أوافق ٠٠٠ فوافقت فذهبا الى ميشيل وكان ينتظرهما فذهبا اليه واجتمعا في اليوم التالي عند زكي باشا اجتماعاً طويلاً لم ينتج شيئاً ثم ظهر ان لطف الله وشهنيدر يراوداني لأجل تأجيل نشر قرارنا الى ان

يكونوا قد اتخذوا قراراً يجهلوننا فيه مدافعين عن انفسنا ...
هذا ماخص تاريخي والان يجب الاخذ بالحزم وليكن من أم عملكم

استمالة الشبان السوريين الذين في اوربة .

فاتني ان اذكر لكم ان الجابري كلمني من القدس بالتلفون بأن لا
انشر قرار اللجنة . فتمجبت من ذلك وقد علمت مساء اليوم انه سيعود
الليلة الى مصر مع مفتي القدس الحسيني للسعي بالصالح ... وقد جاء مصر
امس الامير امين ابن عمكم وعلمت بمجيئه بعد المغرب اليوم فاجتمعنا به
وطابنا منه كلنا ان نعقد جلسة تحت رئاسته فننصل وقال انه على الحياض
وما هذا معناه ... ثم علق رأيه الاخير على مقابلة الحاج امين الحسيني
والجابري فرضينا ونحن الآن معه عند شكري بك حيث اتم هذا
الكتاب وقد قرأت كتابك لشكري من برلين فسر به وكذلك
برقيتك للجنة وامر ما سرني من الكتاب كونه بخطك فعسى ان يكون
الله تعالى قد اتم لك الشفاء والعافية والسلام عليك وكان الله معك ؟

اخوك

رشيد

وكتب إلي في ١٢ رجب ١٣٤٦ و ٥ يناير ١٩٢٨ :

سيدي الصديق الامير

أحبيك تحية مباركة طيبة وادعو لك بالصحة والعافية وبالتوفيق لخدمة
الامة فأحمد الله ان ارى مكتبك ورسائلك تسير مسير الشمس
في كل قطر ونهب هبوب الريح في البر والبحر وتبيض صفحات الجرائد

والمجلات بسواد مدادها المشبه لسواد القلوب والاحداق في كونها مستودع نور البصائر والابصار وإن كنت اغبط جميع تلك الصحف باستئثارها بملك الرسائل دون النار وما كنت بالذي يقترح عليك شيئاً ولقد كنت مشفقاً على صحتك من كثرة النصب في الكتابة من قبل ان بعرض لك من ضيق الصدر ما عرض حتى صرت حقيقاً اغبط الافراد على المكتوبات الخاصة أيضاً حتى انك لم تكتب اليّ مرجوعة كتابي الاخير المطول الذي كتبته اليك بعد ان قمت بما قمت به مع اخواني من الغاء رياسة لطف الله الذي قامت به قيامته وكنت منتظراً منك ذلك قبل سفرك ثم بعد عودتك ولا سيما بعد ان حدث من سعي زميلك احسان بك مع صديقك وصديقتنا مفتي القدس واحمد زكي باشا للصلح والاتفاق مع لطف الله على اساس العودة لرياسة اللجنة .

أمرت اليّ بأن الجابري سيمر ببور سعيد . . . فظننت انه ذاهب الى الحجاز او الى قطر أبعد وان المراد من البرقية لقاؤه في بورسعيد بالباخرة عندما تصل اليها فسافرت الى بور سعيد معطلاً جميع اعمالي وطفقت طول النهار أبحث عن البواخر القادمة من اوربة بسؤال شركائها وادارة الجمررك لانك سهوت عن ذكر اسم الباخرة التي يبحر بها او لم تعرفه ولما لم يجيء في ذلك اليوم المقدر لوصوله رجعت ادراجي ثم جاء هو في اليوم التالي الى بورسعيد ثم الى مصر وفي اثناء وجوده حدث ما حدث مما فصاته لك من قبل وقد كان جده واجتهاده واهتمامه في سبيل الصلح يستغرق عامة ليله ونهاره وكان يصرح بان هذا الصلح من الضروريات وان عدم التجاح فيه وبقاء

الخلاف بيننا وبين لطف الله وشهيد من أكبر المصائب والنوائب
والاخطار على قضيتنا السورية . وكنت أسأله المرة بعد المرة : هل أنت على
بقين من رضاه الأمير شكيب بهذا الصلح الذي اقترحت والشرائط التي
ارتضيت ؟ فيقول نعم نعم وتراى لي أن المكاتبات بينكما متصلة وتزاحمت
على الاعمال وتعدد عقد الاجتماعات وإحسان بك بكتب في مذكراته
كل ما مر به أو عرض له حتى الذرة وإذن الجرة ومكتوباتك له متصلة
أطلعني من اواخرها على ما جاءه بمنواني وتلقاه بيده من عندي فأطلعني
عليه كما أمرت . ثم ذكر لي كتابين آخرين منك ووعدني بإطلاعي عليهما
ولم يفعل على تعدد استنجازي إياه الوعد إذ يقول إنني نسيت ذلك في
البيت ولكنني زرته في البيت الذي يسكن فيه بعد أن ظهر حبوط
كل عمل للصلح وهناك طالبته بإطلاعي على الكتابين اللذين كان أخبرني
بهما فلم يطلعني عليهما . ثم جاءني مساء هذا اليوم مودعاً قبيل ذهابه إلى
الحطة للسفر الى فلسطين فلم يتسع الوقت للكلام ولكنه قال انه لم يطلع
أحدًا على كتابك الأخير المتعلق بشؤون الصلح حذرًا من تأثيره الذي
يظهر انه لا يرضيه . فلم أسأله عما فيه لضيق الوقت الذي هو عذر له
لا يرد ولعله لم يتأخر في وداعي إلا لاجل ذلك ولثلا أناشده في البيان
الذي أصدره هو وزميله أحمد زكي باشا إذ لم يصرف حافيه بكل الحق
ولا بأكثره على أن ما كتباه أرضى جماعتنا بعض الرضا وأسخط الآخرين
وسترويه مطبوعاً — (ولم أجد وقتاً لإتمام الكتاب فأرجأته) والمودة بيني
وبين إحسان بك كانت وما زالت تامة .

في ١٣ رجب ٦ يناير

قلت إنني كنت أظن ان إحسان بك يكتب اليكم في كل يريد
وقد ذكرت له هذا أخيراً بمناسبة فشله في السعي للصلح والبرقيات الاخيرة
فأخبرني انه لم يكن يكتب اليكم شيئاً فعجبت أشد العجب من ذلك
وذكرت ذلك لشكري بك فقال الاخ انه لم يكتبكم في هذه المدة
أيضاً فما هذا الصارف الذي صرف الكل عن ذلك ؟ ووعدني شكري
بك بأن يكتب اليكم بالتفصيل الذي لا أجد انا وقتاً له .

جاء في هذه المدة ملك الافغان فسرت مصر بزيارته لها لسببين
الاول انه ملك مسلم مستقل استقلالاً مطلقاً دون الانكليز خصوم مصر
وانه على رأس نهضة مدنية عسكرية . . . والثاني مما للسيد جمال الدين
رحمه الله من التأثير الخالد في مصر وقد ذكر به النابتة قول جميع الجرائد
التي أبنت سعداً انه تلميذ السيد جمال الدين . وسر المدنيين منه تواضعه
أو ما يعبرون عنه بدمقراطيته وساء الدينيين منه لبسه للبرنيطة حتى اضطر
الى الدفاع عنها بأنها قديمة في بلاده وليس هو مقلداً فيها للافرنج . وهذا
غير صحيح فانه لم يلبسها قبله إلا والده بعد عودته من اوروبا ولكن في
بعض أوقات الصيد أو السفر في الشمس ومع أن الجمهور صدقه بقي العلماء
وجميع المتدينين ساخطين وقد علم هذا فصرح يوم سفره من الاسكندرية
إلى اوروبا تصريحاً في شأنها وفي معنى الدين لا يرفع السخط وقد يزيد
اللوم . وذهب والجرائد راضية عنه أكثر من الجمهور .

زرت مع هيئة إدارة الرابطة الشرقية وقدمت له في هذه الزيارة
رسالة التوحيد وخلاصة السيرة المحمدية وكتاب الوحدة الاسلامية وكتاب

الخلافة مجلدة بالحرير الاخضر وكنت جلست له أجزاء تفسيرية الثمانية
ومنشآت الاستاذ الامام فأعطيتها لغلام جيلاني خاب سفيره في أنقرة
وكنت عرفت بمكة إذ جاءها مندوباً لحضور المؤتمر الاسلامي وكان فيه
كالظل التابع للمندوب التركي ووعدني بأخذ موعد لمقابلة الملك مقابلة
خاصة اذا وجد وقتاً ولكنه لم يفعل وقد ظهر لي منه ومن رئيس مجلس
الشورى عندهم ومن سلطان أحمد صفيهم السابق لدى الترك الذي قابله
من قبل ان كل حاشية هذا الملك مصابون بعدوى الإلحاد الكالي ورأيت
ملكهم وملكتهم مفتونين بالتفرنج^(١) ولكن حالة ملك مصر وملكتهما
حالت دون اظهارهما كل ما كانا يريدان اظهاره من التفرنج . وقد كتبت
للملك كتاباً ذكرت له فيه ضرورة المحافظة على الدين وكون الكتب
التي كتبتها اليه تساعده على ذلك ورجوته بأن بأسر بترجمة السيرة المحمدية
ومقدمة كتاب الخلافة وخاتمة ثم ما شاء من فصوله وأن يختار بعض
أذكى علماء بلده لقراءة التفسير لانه هو الذي يقنعهم من طريق الدين
بكل ما تحتاج اليه البلاد من النظام المالي والعسكري والفنون التي تنمي
الثروة الخ . وحذرت فيه من كل ما ينافي الدين ومن الفرور بالترك الكاليين
وغيرهم وقد ذهبت الى محطة مصر ساعة وداعه فودعته مع المودعين
القليين وأكثرتهم من رجال الحكومة وسفراء الدول واعطيت الكتاب
لغلام جيلاني صفيهم المذكور في المحطة . وبعد ذلك رأيت صهره محمود
طرزي خان وزير الخارجية فسلمت عليه سلام الوداع وذكرت له من
حرصني على رؤيته بمصر وسؤالي عنه المرة بعد المرة وعدم تيسر لقائه لي

(١) وقد كان هذا هو السبب الوحيد في فقد أمان الله عرش الافغان .

وذكرت له ما كتبت لجلالة الملك ورجوته أن يترجمه له ثم يترجم له عند الفرص بعض المسائل المهمة من الكتب التي أهديتها الى جلالته... فأحسن الرد (وقال انه سمع بي كثيراً) متأسفاً لعدم التوفيق للتلاقي ثم كتبت اليه كتاباً أرسلته الى الاسكندرية مؤكداً الرجاء بما ذكرته له مع توسع في النصيحة الدينية .

وبعد رجوعي من المحطة بساعة بل بساعتين وارسل كتابي الى الطرزي خان بالبريد المستعجل جاءني رسول من عند مهدي بك رفيع مشي الايراني يحمل أجزاء التفسير الثانية ومنشآت الاستاذ الامام ورسالة خديجة أم المؤمنين ومعه كتاب من مهدي قال فيه : ان غلام جيلاني كلفه أن بعيد الي هذه الكتب لانه لم يجد وقتاً لتقديمها الى جلالة الملك وانه يتأسف لذلك . فغاب على ظني انه تعمد عدم تقديمها لان ثلاثة أيام لبست بالوقت الذي يضيق عن تقديم هذه الكتب وزاد الظن قوة ما ما رأيت من غلام جيلاني من الاعجاب الشديد بالترك الكماليين... فكتبت لدولة محمود طرزي خان كتاباً آخر ذكرت له فيه إرجاع غلام جيلاني خان سفيرهم للكتب وخوفي أن يكون أمسك كتابي الخطي عنده فلم يقدمه لجلالة الملك وان هذا ان وقع منه بكون خيانة جلية ومحاولة حجب على ملكه أن يطالع على ما لا يجب هو أن يطالع عليه ورجوته أن يبيني على خطابي هذا انه لا يكون على بصيرة فيما سأكتبه عن رحلة جلالته الملك أمان الله خان . وقد سافروا ولم يجئني من الطرزي شيء^(١) .

وقد فاتني أن أذكر لك اني ذكرت له في كتابي الاول له انني

(١) وذلك لان الشيخ رشيد في واد وهم في واد .

سمعت منك ثناء عليه فكان هو سبب رغبتني في رؤيته ومذاكرته في
اصلاح بلادهم^(١) . وذكرت له أيضاً اني أعد نفسي من أحرص الناس
على نهضة بلادهم ونصيحة ملكهم لسببين أحدهما اني أعد هذا فريضة
دينية وثانيها انه دين علينا لاستاذ نهضتنا الاكبر السيد جمال الدين
الافغانى . . . وصرحت له بأنني لا أبغي على الهدية ولا النصيحة جزاء ولا
شكوراً كما ذكرت في كتابي للملك أمان الله خان ان بعض فضلاء

(١) نعم قد كان هذا قبل أن رأيت ما رأيت من تقلبهم هؤلاء للانقرنين وقد
كنت عازماً عند قدوم جلالة أمان الله الى اورية ان اكون اول وافد عليه فلما
برز ما يبرز منه في مصر من التفرنج عدلت عن كل علاقة معه . وجاء الى سويسرا
والى نفس لوزان حيث كنت ساكناً ولم أسلم عليه . وكتب الى السيد رشيد
بأن أواجهه واخبره بقضية ارجاعهم كتبه اليه فأجبتة باني لا أريد التلاقي معه .
نعم بعد ان فقد عرشه وسكن في اورية جاء الى مونترو وتلفن لي أحد مستشاريه
بأنه يرتاح الى مواجعتي فذهبت وسلمت عليه ودعوته الى تناول الطعام عندي
وتلطف وقبل دعوتي بمنزلي في لوزان وجرت بيننا احاديث طويلة صرحت له
فيها بكل ما اعتقد من أخطائه فاعترف ببعضها واعتذر عن بعضها ونفى صحة
كثير مما عزي اليه ثم ذهب بعد ذلك بقليل الى الحج فكتببت الى جلالة ابن
السعود في اسر الاحتفاء به وابن سعود غير محتاج الى توصية احد في اكرامه
لضيوفه لا سيما من كان منهم من ملوك الاسلام فلقى منه أمان الله كل ما يطيب
خاطره من الاعزاز والاجلال . ولعل امان الله قد ندم على قبول نصيحة اولئك
الذين نصحوه بالتفرنج وكانوا السبب في فقدته ملكه الذي لا ينكر انه
حافظ فيه على الاستقلال التام .

المهند عرض عليّ أن أنقطع لإتمام التفسير فلا عملاً إلا بعد أن يتم وأنه يكفل نفقاتي ونفقات الطبع لاعتقاده أن هذا التفسير وحده هو الذي يرجى به قيام المسلمين بالنهضة التي تصلح بها أمور دينهم ودنياهم معاً في هذا العصر — أو ما هذا معناه — وذكرت له أنني لم أقبل هذا الاقتراح لأنني لا أقبل منة أحد وغرضي من هذا وراء الشهادة للتفسير بما تحتاج إليه بلاد الأفغان من المحافظة على الإسلام مع النهضة المدنية — هو أنني لا أبغي بإهداء هذا التفسير له مساعدةً ولا جائزةً ولا وساماً. وجملة القول أن وجود ملك الأفغان ومن معه من بطانته هنا قد زادني خوفاً على خوف سابق وصوّ ظنّ بالنهضة الأفغانية التي تنتهي إلى ما انتهت إليه المساعي التركية .

في ٧ يناير :

بلغني نبأ صديقنا المخلص داود افندي مجاعص في نجاحه المالي وفي أول زكاة زكاه بها^(١) فسررت بالخبرين سروراً عظيماً وأرجو أن تبلغ هذا الوطني المخلص المصطفى تحيتي وتهنئتي له ودعائي بأن يزيده الله نعماً ويزيده شكراً كما أدعو بهذا لنفسه ولصفوة أهلي وأصدقائي .

هذا وإنني في أثناء كتابتي لهذا الكتاب قرأت في جريدة الكوكب مقالاً الذي ذكرت فيه خبر العالمين العاقلين^(٢) البصيرين للذين لقيتمها

(١) مساعد منكوبي الثورة الذين في صحراء التيك بمئات من الاغطية .

(٢) في موسكو مسجدان كبيران إمام أحدهما الاستاذ عبد الودود والآخري الاستاذ عبد الله وكلاهما من العلماء الفضلاء وهما يعرفان العربية كعلمائها وقد صليت في كل من المسجدين جمعة وابتهجت جداً بما رأيت عليه جماعات المؤمنين —

في موسكو فسررت به ولم أعده غريباً فأنني أعلم ان في مسلمي روسية كثيراً من هؤلاء الفضلاء الذين على مشربنا . أكثرهم في ولاية قزان وأوفا . وقد لقيت في مكة أعضاء الوفد الروسي في المؤتمر الاسلامي فاذا هم من خبائهم ورئيسهم الشيخ الكبير الذي خدم الاسلام أجل خدمة إذ كان قاضي القضاة والمنثي في أوفا وكان كثيراً ما يرسل الى المنار بمشكلات المسائل فننشرها في باب الفتوى مع الاجوبة عنها . ولما رأيت بكى ثم حمد الله تعالى واثني عليه أن يسر لنا هذا اللقاء في حرمه . . . وقد ذكرت في مجلسي مع هذا الوفد وغيره انني لما كنت أكتب دروس الامالي الدينية في الجزء الثاني وما بعده من المنار — اي من زهاء ثلاثين سنة — كتب صبعون طالباً من طلبة المدرسة المحمدية في قازان الى مدير المدرسة باننا لا نقبل بعد الآن ان نقرأ لنا العقائد على الطريقة التنفازانية والفلسفة اليونانية وإنما نطلب ان نقرأ علينا على طريقة المنار . . . فقال احد اعضاء الوفد وهو من أفاضل علمائهم الانقياء المصريين : انني كنت من أولئك الطلبة الذين كتبوا تلك العريضة للمدرسة وقد كان هذا الوفد كله من مؤيدي ابن سعود ومتعجبين من أهواء وفد الخلافة الهندي .

وقد كان وما زال طلاب العلم بمصر من هؤلاء التتار اذكي طلاب الاقطار ذهنًا واشدهم نشاطًا واهدام في الطلب سبيلًا . وكان عندي في

— هناك من عبادة وخشوع وأدب وحسن سمع وزرع وإتقان للقراءة حتى كان قراءهم من أجود قراء العرب وكذلك أعجبت بنسق الخطبة . وفي كلا المسجدين على كبرهما رأيت الازدحام شديداً .

مدرسة الدعوة والارشاد أفراداً منهم - وكان بعضهم يتلقى عني بعض الدروس قبل إنشاء المدرسة في بيتي وفي مسجد قريب منه وأهم الكتب التي قرأتها لهم رسالة التوحيد لاستاذنا الامام رحمه الله تعالى . ولا يبعد أن يكون صاحبك في موسكو من المطامير على المنار ^(١) فقد كان له قبل الحرب كثير من المشترين وكانوا أحسن مشتركي الاقطار الاسلامية وفاء .

قد تم في الشهر الماضي طبع الجزء الاول من تفسير القرآن الحكيم الذي كنت طبعت تفسير الفاتحة منه منذ عشرين سنة أو أكثر وكاد يتم تفسير الجزء التاسع بعده قبل أن يتم هنا لولا ان من الله تعالى بئذل الهمة في الشهرين الماضيين بانجازها وأرسلت اليك في البريد الماضي نسخة منه ونسخة من كتاب الوحدة الاسلامية الذي طبع أخيراً وستجد في هذا الجزء من التفسير ما سمعت من صاحبك العالم الرومي ^(٢) في موسكو في تفسير (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً) وفي بحث إعجاز القرآن وقد سبق ذكر هذه المسائل في المزار من قبل . والسلام عليك وعلى نجلك الكريم . وعسى أن يحفظ خلاصة السيرة المحمدية - وعلى صديقنا العالم العامل فؤاد بك سليم وصديقتنا الوطني السيامي رياض بك ولا زلت مالمين لأخيك المخلص ؟

محمد رشيد رضا

(١) نعم أنذكر ذلك .

(٢) الاستاذ عبد الودود احد الامامين .

وكتب إلي في ٢ شعبان ١٣٤٦ و ٢٦ يناير ١٩٢٨ :

سيدي الأخ الامير

تلقيت كتابيك الكافيين الشافيين اللذين هما في موضوع مسائلنا الوطنية خير وأوقى من كافية النحو وفي موضوع المسألة الاسلامية الافغانية أشفي من الشافية الصرفية ولا سيما إذا ضمنا الى المسألة الوطنية كتابيك الى الاخ شكري بك والوثيقة التي مع أحدهما وقد كان يجب ان تكتب تلك التفصيلات كلها أو أكثرها في مقالة تنشر في الصحف ولعل بعض الاخوان يفعل ذلك وقد قررنا أن نكتب الى اميركا والارجنتين بما عندنا من بيان ولعله يرسل غداً وقد ذكرت الاخوان في جلسة أول من أمس انني قلت لهم عقب موت نجيب بك : يجب أن يكتب خير الدين او شكري الى الامير شكيب بان يقترح على جمعية الارجنتين او على طعان بك بأن يعينوا واحداً منا . كان نجيب وأكث عليهم ذلك عندما قويت بوادر الخصام بيننا وبين ٠٠٠ فاعترفوا بالنقصير والاهمال ولكن تنفيذ هذا الامر بعزل ٠٠٠ وتعيين آخر من الوطنيين الصادقين بدلاً منه له من الوقع والنصر المبين ما يجعل تأخره الى الآن خيراً من تقدمه في الزمان .

وبلي هذا تأييدنا من جماعات الطلبة في باريز وجنيف وبرلين ومي ساعد الزمان على تأليف مؤتمر جديد يكون له القول الفصل في هذه المسألة ويرى اخواننا أنه يتعذر الآن ومنخبرك بكل عمل للجنة هنا ان شاء الله تعالى .

أما ما كنت كتبه في « الاخبار »^(١) مما يتعلق بالمسائل الشرعية

(١) جريدة المرحوم أمين الرافي الذي كان من أعز أصدقائي ومن خيرة

رجال الاسلام .

الاصولية كالمصالح المرسله وغيرها فلم يكن كل تفصيل فيه صواباً كما ان الذين ردوا عليه حتى من العلماء لم يكن ردهم كله صواباً^(١) وكنت تمنيت لو أرسلت مثل هذا الموضوع إليّ لأنشره في المنار او في الاخبار أو فيها وإذا جعلته بحيث يكون من يردّ عليه مستهدفاً للتجهيل على أن هؤلاء العلماء إذا علموا انه نشر في المنار لا يتجرؤون على الرد عليه حتى فيما يظهر لهم انه خطأ . وأتذكر انني كنت قصصت مقالتك من الجريدة ثم قصصت الرد عليها ولما لم أتمكن من ذلك في وقته صار عثوري على تلك القصاصات يتوقف على زمن أبحث عنها فيه وأتى لي بهذا الزمن ؟ فإذا كان المقال والرد عليه محفوظاً عندك وتيسر لك تلخيصها في سؤال تستفتي فيه المنار رجوت أن اكتب في الجواب ما هو مفيد وانشره في جريدة الاخبار .

أظن انك قلت فيه ان تحكيم المصلحة أو القول بالمصالح المرسله مجمع عليه - والمعروف في كتب الاصول ان في مذهب مالك فيه خلاف وضعف أدلته بعض الاصوليين . ومع هذا نجد بعضهم فسر المصالح تفسيراً قال انه لا خلاف فيه ومتى رأيت الاصل يكون لي فيه ما انصرك فيه على كل حال وأعذرک إذا لم تكن عبارتك موافقة للاصطلاح الاصولي فيما انت فيه ، من مكان وزمان . واعمل فحسبك ان يكون غرضك صحيحاً شرعاً . . . والسلام

رشيده

حاشية :

أسلم على ولدنا الأعز الامير غالب وأدعو له الله تعالى بأن يفوق
(١) كنت كتبت شيئاً معناه أن الشريعة عبادات ومعاملات فالعبادات -

والده علماً وإيماناً وحكمةً وأدباً وسياسةً وثروةً ووطنيةً وأدعو بهذا
لأولادي أيضاً .

وكتب إليّ في ٧ شعبان ١٣٤٦ و ٣١ يناير ١٩٢٨ :

سيدى

انني حضرت بعد كتابة ما كتبت يوم الجمعة ٢ شعبان جلسة رأيت
فيها كتاباً آخر منك للاخ شكري بك اقتضى أن نمقد لاجله جلسة
اخرى فأخرت إرسال الكتاب لملي احتاج الى زيادة عليه وبعد الجلسة
الاخرى اى بعد انتهائها علمت من الاخ الحاج ادب ان البرقية التي
كتبتها في تعزيتكم يوم نعي البنا الامير نسيب رحمه الله تعالى لم ترسل
اليكم بل الى الامير امين فقط فساء في ذلك من الاخوان وقد كانوا مجتمعين
عندى يومئذ وكلفتهم ترجمتها وإرسالها على الحساب لانهم انفقوا على
التوقيع عليها . وقد كنت كتبت كتاباً في التعزية لينشر في المجلة وقد
تأخر صدورها فرأيت إرسال صورته الى الشورى والاخبار وهذه صورة
منه بيدك الآن^(١) .

كتبته الى الملك كتاباً مشتركاً بيني وبين الاستاذ الشيخ كامل

- هي التي لا يجوز فيها الاجتهاد وأما المعاملات فيجوز فيها الاجتهاد اتباعاً
للمصاحبة . فردّ عليّ أناس من الفقهاء لكن بحسن نية وطلبوا مني الايضاح
فأجبت بما حضرني يومئذ والاستاذ يرى اني لا انا ولا الذين ناظروني كنا على
صواب في كل شيء وهو أدرى .

(١) سبق ذكر تعزية السيد لي بفقد أخي نسيب وجوابي عنها .

وكتاباً آخر مني الى والده استنجد به بعبارة مؤثرة ليأمر ولده بإغاثة
ضيوفه^(١) وهذا أهم ما رجوته به وقد كتب الاخوان إليك بما قررنا في
مسألة مكتوباتك ؟

رشد

* * *

وكتب إلي في ٨ رمضان ١٣٤٦ واول مارس ١٩٢٨ :

سيدي الأخ الامير

أحبيك تحية مباركة طيبة واسأله تعالى ان يوفقنا وإياك لما يرضيه في
هذا الشهر من صيام نهاره وقيام ليله وتلاوة كتابه فيها . وما خص
الله تعالى بعض الاوقات بأنواع من العبادات مع استواء الازمنة في نفسها إلا
لتنشيط عباده ورفع المشقة عنهم وكذلك الامكنة كالمساجد ومعاهد الذكر :
الحج والعمرة . وكان في نفسي ان أكتب اليك مهنتاً بـرمضان ومذكراً^(٢)
بأنواده بشيء من العبادة فيه (ولا سيما تلاوة القرآن) قبيل دخول الشهر
او في أوله وما أخرت لكثرة الشواغل بل لانني كنت منتظراً في كل
يوم من هذه المدة من رمضان مرجوع كتابي الاخير إليك فان فيه ما
يقتضي الجواب منك ليكون كتابي هذا جواباً عنه ايضاً ولما ورد الرد
على كتاب الرافي مدير ادارتنا امس دون كتابي الذي اذكرك انه أرسل

(١) المجاهدين الذين لجأوا الى وادي السرحان من ارض ابن سعود .

(٢) كان رحمه الله يهتم بي دنيا واخرى ويعلم اني لا أقبل غيره من فقهاء

المعصر . وكتب في المنار عن اخيه هذا فيما اذكرك : انه لا يبلد له شيء مثل الصلاة
بأمانتنا وهذا صحيح .

قبله بادرت بهذا الاحتمال ان يكون قد فقد من البريد او تأخر خطأ من التوزيع عنكم والذي يقتضي الجواب منك فيه هو سؤالي اياك عن المسائل الدينية والشرعية التي ضمنتها بعض مقالاتك التي نشرت في جريدة الاخبار وأنكرها بعض المشايخ هنا فقد ذكرت لك في الكتاب اني كنت قصصت الاصل والرد عند قراءتهما لاعداد اليهما واكتب شيئاً في موضوعها انصرك فيه لان كلامك في جملة والمراد منه صواب وانا يوجد بعض الخطأ في بعض العبارات الاصطلاحية كمسألة المصالح المشتركة - ولكن كثرة هذه القصصات من الجرائد عندي وكثرة عملي لم يمكنني من البحث عن مقالتك والرد عليها ورغبت اليك ان تلخص لي ما قلت ورؤيت عليك به لاجيب عنه .

واقول الآن : لك ان تضع هذه المسألة بصيغة استفتاء منك او من سائل آخر معين او غير معين - ولك ان تعين لي الموضوع لاكتب فيه من تلقاء نفسي - واذا رأيت ان الاسهل عليك والاولى ان تذكر لنا تاريخ العدد او الاعداد التي نشر فيها ما ذكر فافعل ونحن نراجع في مجموعات الجريدة في المكتبة المصرية الكبرى (دار الكتب الرسمية) وانا كتبت الراجحي ان يرتب لي ما عندي من قصصات الجرائد - كفتته ذلك من قبل دخول شهر رمضان علينا فوعده اخيراً بأن يبدأ بذلك في الاسبوع الآتي (بعد غد) اذ يكون انتهى الشغل الضروري الذي اعتذر به اولاً .

اعتذر عن ارسال كتاب التعزية اليك مطبوعاً ان كان وصل - بأنني كنت كتبت له مسودة على خلاف عادتي لاني عازم على نشره فلا بد ان ابقي صورته عندي للنشر فكتبت المسودة ولم يتيسر لي تبليغها عقب

كتابها فأعطيتها للمطبعة وبقيت فيها أياماً ثم رموها بعد جمع حروفها للطبع وطبعوا عدة نسخ منها وكان قد تأخر الوقت المناسب للتعزية فعزمت على الاكتفاء بطبعها في المنار أولاً فلما تأخر إرسالها لبعض الجرائد وكنت قد كتبت اليك الكتاب الأخير من عدة أيام ولما أردت إرساله وضعت فيه نسخة مطبوعة من التعزية حتى لا يتأخر لأجل تبويضها . إن كثرة شغلي وضيق أوقاتي عنها تقتضي أكثر من هذا التقصير : إن حياة علمية من شيكاغو كتبت إلي من العام الماضي أسئلة تتعلق بترجمتي وعملي في الإصلاح الإسلامي وأملّي فيه ولما أجبتها إلى الآن فكنت ثانية من عدة أشهر تلح في الطلب . . . عسى أن يكون الأمير غالب مغبوطاً بصيام رمضان كأولادنا هنا وعسى أن يكون استاذهُ المصري يعلمه توحيد القرآن والسلام عليك وعليه ورحمة الله تعالى من أخيك م

رشيد

حاشية :

أحب أن نقرأ ما ينشر في المنار من التفسير ولا سيما تفسير سورة الانفصال الذي ينشر في هذا الشهر وإن نقرأ الجزء الأول المشترك بيني وبين استاذنا المرحوم فقد نقضي الحال أن تكتب تقریظاً له مع تقاريظ أخرى في كتاب مستقل إن شاء الله .

وكتب إلي في ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٤٧ و٦ سبتمبر :

سيدى الاخ الامير

منذ اول امس ألقى إلي كتابك فسررت برؤيته وبضخامته فلما قرأته

امتعضت وساورني الفم لما ذكرت من نبأ صحتك ومضاعفة المرض القديم
بآلام نزول الحصيات ولحاجتك الى الراحة سنة كاملة تحرم فيها الامة
ثمرات علمك واختبارك التي هي أبنع ثمار العقول الراجحة ولا سيما إذا
تجلت في معارض بيانك وأساليب بلاغتك — ولاضطرارك الى الاستقالة
من الوفد السوري اي لهدم بناء الوفد السوري ثم جعله عرضة لنزوان
ادعياء الوطنية على منبره كما ورد في نزوان أغيلمة بني مروان على منبر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم لا تجعل هذه الاستقالة إجازة
مرضية وتوكل بها عنك من ترضاه ممن يلم بتلك البلاد (مويسرة) من
الوطنيين ليقى الباب مقفلاً في وجوه تجار الوطنية وادعيائها.

وأما قولك عن الحالة الاجتماعية والاخلاقية سبب آخر للقنوط فهو
حق إذا أردت به القنوط من مسلمي البلاد . وانا على هذا الرأي منذ
خبرت البلاد سنة ١٩٢٠ التي عقدنا فيها المؤتمر السوري العام وأعلنا الاستقلال
ولكن القنوط منهم لا يبيح القنوط من رحمة ربنا فيجب أن نثبت على جهادنا
ولكن مع مراعاة صحتنا . وحالي فيها مثل حالك في الاحتياج الى الراحة .
فأنا أكتب هذا مستلقياً على سريرى وقد طالعت قبل كتابته بعض مافي
الجرائد والمجلات التي وردت مع بريد الصباح فزادت حرارتي نصف
درجة في ساعة واحدة وقد أجمع الاطباء الذين تواردوا علي في هذا
المرض على توقف شفاؤه السريع على الراحة التامة بترك القراءة والكتابة
والتفكير الحزن وقد اعتزلت دخول مكنتي لاجل طاعتهم من مدة خمسة
اسباع ولكنني لا استطيع أن لا أنظر في كل يوم ما يتجدد من الانباء
الخاصة بشأن أمتنا العربية . وقد أرقّت جل ليلة أمس تفكيراً في تحفظات

انكثرة في ميثاق إبطال الحرب ٠٠٠ ومعاودة شرق الاردن التي تجعل قلب
البلاد العربية مركزاً حربياً لهذه الدولة ٠٠٠ ومسألة العراق ونجد ٠٠
ما كان أشد مروري بدعوتك السابقة لي الى تغيير الهواء لديكم في
لوزان حيث أتمتع بالمحاورات والمساومات معك ومع الصديق العالم العاقل
فؤاد بك^(١) وإنما كان مروراً بأمنية يتعذر عليّ تحقيقها لدوام الحمى عليّ
ومرض شقيقي بعد وفاة اختها ووصولها إلى حد اليأس - وهي لا تزال
جلس الفراش وقد أرسلناها مع زوجها السيد عاصم إلى الاسكندرية -
ولسبب ثالث وهو عسرة مالية عرضت لنا منذ عروض هذه المصائب .
لهذا لم أقدر أن أكتب اليك شيئاً في الشكر على تلك الدعوة والتحدث
معك بأمنيتها العذبة .

كانت العسرة المالية ونتائجها من أسباب طول هذه الحمى وقد زالت
وكذلك كان مرض الشقيقة وقد حسن حالها وقد غيّر لي الدكتور
النظامي المعالج لي الآن (وهو في الذروة من أطبائنا) العلاج ووسع لي
شيئاً في غذاء الحمية وقدر للشفاء عشرة أيام وأنا أرجو أن تكون خمسة
أيام فعسى الله أن يصرف عني فيها المكدرات وما علمت من مرضكم
فوالله إن صحتكم لثمينه عندي كما تعلمون من حالكم معي فعسى أن
تبشروني قريباً بما يسرني . وأوصيكم وإياي بالراحة التامة عسى أن تعود
الصحة التامة في مدة أقرب مما قدر الاطباء والواجب ترك الإفراط السابق
في التعب على كل منا . وأحيي سعادة صديقنا النابغة فؤاد بك سليم وأود
لو بمتحف النار بشي من تحقيقات مباحثه . وأقبل فجلكم التحية الامير
(١) الاخ فؤاد بك سليم الحجازي المصري سفير تركيا في سويسرة سابقاً .

غالب بالغيب وأسأله تعالى أن يجعله قرة عين لكم وللامة ويكمل أولادنا
كذلك والسلام من أخيك

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ١٨ رمضان ١٣٤٧ و ٢٨ شباط ١٩٢٩ :

سيدي الأخ الامير أطل الله بقاءه وأنسا في أجله
أحبيك تحية مباركة طيبة وأهنتك بشهر الصيام المبارك وليلة قدره
وعيد فطره وأسأل الله تعالى ان يوفقنا وإياك لما يحب ويرضى من صيام
وقيام وتلاوة مع القصد والاعتدال في الجهاد الديني والسياسي . ثم انني
أكاشفك بما في نفسي من أوبي وامتعاض من اخبار صحتك ومن كثرة
تحدثك بتحديد عمرك واستقبالك لشيخوختك^(١) وبما هو آلم من ذلك مما
يشبه نعي نفسك واستغرب منك مع هذا إصرارك على ما تعودت من
إسراف في القراءة والكتابة غير مشفق على عينيك من كلال ولا تعب
ولا وجع ولا على صدرك من ضيق ولا شجى فافرق بنفسك فإن حقها
عليك . قدم على جميع الحقوق ثم ان لبدنك عليك لحقا وان لأهلك وولدك
لحقا وانك لن تستطيع أداء حقوق الملة والامة والوطن إذا انت فرطت في

(١) كان كرم الله شواه يضيق صدره ببعض ما يرد في نظمي ونثري
بما يشبه ان يكون نعيًا للنفس . وكان قد نهني الى ذلك ولا سيما عندما
قلت في رثائي للمرحوم الشيخ شاويش :

أظن ان نمضي وابقى وانفرا
أخري كأننا في الحياة الاولى

حقوق نفسك وبدنك فانق الله تعالى وعليك بالرفق والاناة وخفف من
حزنك وهمك والتصدي لمقارمة كل خطب والرد على كل مخطئ وان كان
مثل ٠٠٠ وادخر علمك وخبرك ولسانك وقلمك للعظام . واشهد بالله ان
من اعظمها مفسدة الكمالين وجنابتهم على الاسلام والمسلمين وصريان
عدواها الى شاهي الافغان وايران وملاحدة المنفرنجين في مصر والراف
وسورية ولبنان وقد كنت وما زلت في جهادم فارس الميدان وامير البيان
وحامل لواء البرهان . بيداني أرى ان من الواجب عليك ان تحيب « ابن
المدينة » الى ما اقترحه عليك في هذا الاسبوع بمقال له في جريدة (المهد
الجديد) البيروتية من بيان القول الفصل في الخطة التي يجب على العرب
ترجيحها في سياستهم وتجديد حضارتهم وسيادتهم وقد ذكر خطتين عزا
احدهما الى الاستاذ الامام وذكر ان صاحب المنار يؤيدها ولما ذكر
الخطة المقابلة لها وهي التي يرجحها هو : قيدها بما يجعلها عين الاولى ان
لم يكن تحديداً فتقريباً إذ قيدها بالمحافظة على دين الاسلام ولكن ذكر
من اصولها حرية الدين والامتقد والفكر والقول ٠٠٠ فتعارض كلامه
ويظهر مما فصله : التباين بين الخطتين ونحن قررنا بما نشرنا للاستاذ الامام
ولنا ان الاسلام هو الذي قرر حرية الدين والاعتقاد ومنع الاكراه على
الدين واضطهاد احد لعقيدته ولكنه لا يبيح لاهله الطعن فيه اي فيما
هو قطعي منه وإنما يعذر المخالف للنصوص متأولاً . واتمنى ان تفضل علي
بما تكتبه في هذه المسألة وتبيح لي حق ابداء الرأي لك فيما عسى ان
أجده محتاجاً الى زيادة او حذف او استدراك واعني ابداء الرأي لك قبل
النشر إن كان ما يكتب يحتاج الى ذلك لاننا مشتركون في هذه الخطة

وأنت الاجدر ببيان الخطة يلاغثك ومعارفك ولكنك قد تحتاج الى شيء من معلومات أخيك الخاصة بنصوص الكتاب والسنة وأخيراً ننشر للقال في المنار و كوكب الشرق ونرسله أيضاً الى جريدة العهد الجديد وأظن ان الجرائد الاسلامية في الشرق والغرب تنشره أيضاً .

أسلم على نجلك النقيب واشتاق الى اخباره وأسلم على صديقنا العالم الكامل فؤاد بك سليم وعلى الصديقين الوطنيين إحسان بك ورياض بك وعسى ان يكون قد سلمكم جميعاً من أذى برد هذا الشتاء الشاذ والاخوان عاصم والرافعي يسلمان معي تسليماً
اخوكم

رشيد

وكتب إليّ في غرة ذي القعدة ١٣٤٧ و ١١ نيسان ١٩٢٩ :
الى أخي وولي الحميم أبي غالب آل أرسلان أنساً الله تعالى في أجله
للرب والاسلام

ألتي إليّ كتابك الاخير أول من أمر ، فتلقية كما يتلقى التشبيه طفل بعهد الرضاع ، كما قال في معشوقه الشاعر المصري « الشبراوي »
ولو اتسع وقتي الآن لحولت هذا التشبيه إلى ما هو أعجب الى العشاق وأرضي لاديبنا المرحوم « الفارياق » فإنه شفي بعض ما في النفس من الالم الدخيل والامة ماض العميق اللذين بغوصان ویرسان في أعماق قلبي من كثرة نعيك لنفسك وتكرار ذكر عمرك واسعة كشارك لسن السنين قبل إتمام عشرها . وهو العشر الاول من النصف الثاني للعمر الطبيعي الذي

بتجاوزه كثير من الناس^(١) . وقد عرف في هذه الايام رجل أتم الخمسين بعد المائة ، وأما الذين يبلغون العشر الاخير من المائة ويتعدونه أو يتجاوزونه فكثيرون في بلادنا وغيرها ومنذ شهر مات ابو قاسم العرب في الشياح عن ٩٣ وكتب إليّ ابن اخيه نور العرب انه كان الى عهد قريب يعمل كل عمل كان يعمل في الشباب كركب الخيل الصعبة وكان ينزل الى بيروت لصلاة الجمعة ويعود ماشياً وبقراً بدون نظارات وان كثيراً من نساء بيت العرب ورجالهم ادر كوا هذا السن^(٢) ويوجد عندنا في القلمون ادر كوا أو تجاوزوا المئة من بيوت مختلفة . وأنا أسن منك بقيتاً^(٣)

(١) يريد أن يقول إن السنين هي العشر الاول من النصف الثاني من العمر الطبيعي للانسان فكأنما جعل العمر الطبيعي مائة سنة وهو منتهى التناول .

(٢) الشيخ محمد العرب والد هذه العائلة تادم المائة وكان من أقوى الرجال بنية وأصبرهم على العبادة والتمجد وكان صائماً الدهر مثلاً مضروباً في الاستقامة تجله جميع الطوائف وقد أدر كته رحمة الله وأولاده ورثوا منه التقوى وطول العمر .

(٣) كان السيد أكبر مني بأربع سنوات حسبما لحظت من كلامه وما قرأت في التراجم التي له وعلى كل حال فنسب السبعين التي توفي بها ليست بتلك الدرجة من العلو لا سيما بالقياس إلى أعمار العلماء والمؤلفين سواء في الشرق أو الغرب . ولقد قرأت كتب التراجم عند العرب وتنبعت اسنان أصحاب الاقلام فوجدت الثلثين منهم يتجاوزون الثمانين . ومثل ذلك عند الافرنج . وقد ذكرت لبعض اصحابي أنني إن اتسع معي الوقت أولف كتاباً أسميه «العقد الثمين فيمن من العلماء تجاوز عقد الثمانين» .

وأضعف بنية فيما أظن ويغلب على ظني أن أعيش طويلاً بفضل الله تعالى وليس للتشاؤم سلطان عليّ إلا أنني كنت في السنتين الماضيتين مثقالاً وخائفاً على صحتي من عاقبة السمن في البطن فداواني ربي عز وجل بحمي معوية أردمت^(١) عليّ بضعة أشهر لم يكن لها علاج بالتجربة واتفاق الأطباء إلا الحمية الطويلة بالتغذية بالسائلات غير اللصمة كماء الخضرا والسلت^(٢) والفول النبات بالنقع فكنا نغلي هذه الأشياء واتغذى بها عدة أشهر وقد أذن لي بعضهم باللبن الحليب والرائب ثم نهاني عنه أحذقهم . وبهذه الحمية نقص وزني ٢٠ كيلو وقد خرجت من فصل الشتاء الذي تركت الحمية قبله بأكثر من شهر ووزني بنقص عما كان قبل المرض ١٥ كيلو وكل ما يجب عليّ من العناية بصحتي من هذه الناحية ان ينقص عن هذا القدر في الصيف او ان لا يزيد والاول افضل .

استرحت لما كتبت إليّ في هذه المسألة ولكنني ازددت همّاً بما كتبت في شأن كثرة ما تكتب فيجب عليك الإقلال عنه^(٣) وعدم المبالاة بما بكفك الثقل . ومما يفيدك في هذه المسألة ترك ما تعودت من الإسهاب حتى في المراسلات الشخصية فعليك بالابحاز والاختصار ولو تكلفاً .

(١) أردمت الحمي دامت .

(٢) نوع من السمير .

(٣) حالتي الراحنة الآن من جهة الكتابة هي اني اكتب في الحول ١٧٠٠ الى ١٨٠٠ مکتوب خصوصي ونحواً من ٢٥٠ مقالة في الصحف عدا التأليف المطبوعة التي تبلغ بالاقل الفين الى ٢٥٠٠ صفحة في السنة وهذا المبلغ هو اكثر مما كنت يوم كتب إليّ السيد رشيد بنهاني عن هذا الإصراف في الجهد .

وانني لاستحسن نشر جل كتابك هذا في المنار ولا بد ان تنقله الشورى
والجامعة العربية عنه مع تعاليقي عليه بما معناه : ان الامير يرى ان المنار
اولي من غيره بمقالاته ولا سيما الاسلامية واننا مع هذا لا نكلفه شيئاً
مراعاة لصحته .

مقالاتك في مسألة الحروف العربية حفظتها لأجل نشرها ونشرت
مقالة رأيتها في «البيان» بغير عزو ولا امضاء اعتقدت انها منك وانك
توخيت ان لا يعرف كاتبها وقد نشرت المقالة الاولى المترجمة ومنشور
الثانية ولا نعدم من يترجم ثالثة أو اكثر . ارسل الكتاب ودبوان للرحوم
مع بيان ما تريد طبعه منه عدداً ووصفاً .

ان من كتابك الاخير ما سرني ومنه ما ابكاني وأمر ما سرني
الرجاء بأن يؤذن لك بالالمام بمصر في طريقك الى الحجاز ومكثك أياماً
في دارك الجديدة مع أخيك بالروح والعقل والرأي فقد اشترينا والله الحمد
داراً صحية جميلة في شارع الانشاء نجاه وزارة المعارف فاسأل الله تعالى
ان يحقق الرجاء فوالله إنها لامنية من أعذب امانى الحياة وكنت سمعت
من الاخ رياض بك ما يضعف الامل بالاذن وعزمت على سؤالك ان
تجبرني بموعده ووصولك الى بورسعيد وباسم الباخرة التي تسافر فيها
لاوافيك فيها وأعد هذا ضرورياً جداً ١٠٠٠ قبل طرة الامير غالب وغرته
وأحيي بلسانك الفصيح الاصدقاء الاوفياء داود^(١) واميل^(٢) ويضا^(٣)
بما بنيتي باغتيالهم وحفظي لهمدم والسلام

محمد رشيد رضا

(١) الاديب الخطيب المفوه الاستاذ داود مجاعص .

(٢) الكاتب البليغ والسيامي الشهير الاستاذ اميل الخوري ابو صعب .

(٣) الارمني الفاضل الدكتور مبشيل يضا .

وكتب اليّ في ٨ ذي القعدة ١٣٤٧ و ١٨ ابريل ١٩٢٩ :

سيدي الأخ الامير اطل الله بقاءه وقرب لنا لقاءه

أرسلت اليك في البريد الماضي مرجوع كتابك المرسل من برلين وفاتني ان أقترح فيه عليك ان تتفضل عليّ بارسال برقية باسم الباخرة التي تسافر فيها من ميناء السفر او من البحر لاجل ان أقابلك بالاسكندرية اذا كان السفر اليها مباشرة كما ذكرت في كتابك . ولا ادري اكتبته ذلك عن اتفاق مع شركة من شركات البواخر ام عن رأي وتقدير ؟ وقد ذكرت ان موعد السفر بل الوصول الى الاسكندرية سيكون اول شهر مايو وهو يوافق ٢١ ذي القعدة فيمكنك ان تقيم في مصر عشرة ايام كاملة او اكثر فان بواخر البريد الخديوية تسافر من السويس الى جدة في اول كل شهر افرنجي وفي ١١ و ٢١ منه ويوجد بواخر طليانية تسافر في مواعيد أخرى فاذا رجحت السفر في الخديوية وكان وصولك الى الاسكندرية في اول مايو تكون مدة اقامتك في البلاد المصرية عشرة ايام وفي القاهرة نفسها تسعة ايام لانه يمكنك ان تسافر في اليوم العاشر الى السويس في قطار الساعة ٦ مساءً . وإذا رجحت السفر في احدى البواخر وهي أسرع فيمكنك ان تقيم في القاهرة اكثر من عشرة ايام في الغالب ولا ادري الآن مواعيد سفرها من السويس . واما المسافة من السويس الى جدة فهي اربعة ايام وربما تكون في الخديوية خمسة ايام لانها تمر بجميع الثغور الحجازية اذا لم تكن من بواخر الحجاج المتفقة مع الحكومة على نقلهم . وقد علمت ان آخر مواعيد هذه ٢٩ ابريل . ومن الضروري ان تكون بمكة قبل اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم القدوة

الذي يخرج فيه أكثر الحجاج منها الى عرفات فالسفر من السويس في ١١ مايو في الاولى بل لا ينبغي التأخير عنه إذ يجب ان تجتمع بجلالة الملك قبل الخروج الى عرفات وان تلقى غيره من آله ومن اصدقائك .
اقول هذا بناء على قوة الرجاء بالاذن لك بدخول القاهرة والمكث فيها والا فان تلافينا في الاسكندرية يكون ضرورياً لا كمالياً من كماليات الحفاوة الواجبة لك فاني في هذه الحالة لا بد ان أسافر معك من الاسكندرية الى السويس سواء اكان السفر برّاً ام بحراً فيجب ان يكون في البرقية اشارة الى التفرقة بين الامرين فاذا كنت مأذوناً بالاقامة في القاهرة يمكنك ان تقول فيها : نصل الى القاهرة مساء اول مايو . والا قلت نصل الاسكندرية في اول مايو بباخرة كذا - هذا اذا لم تكن البرقية من الباخرة نفسها .

هذا وانني مرسل اليك نسخة من مناسك الحج لتطالعها في البحر ثم تسألني عند اللقاء عما ترى حاجة الى السؤال عنه والسلام عليك وعلى نجلك النجيب مني ومن هنا من الاهل والولد والصحب عامة والسيد عامر والسيد جميل خاصة ودمت لاختيك

محمد رشيد رضا

وكتب في غرة ذي الحجة ١٣٤٧ :

سيدي الأخ الامير

ما حزنتني اضاعة الفرص يوماً كما حزنتني أمس اذ فوجئت بايجاب الحكومة المصرية لسفرك فيه فقد كنت مدخراً لآراء كثيرة اريد

البحث معك فيها ولم أجد لها في بور سعيد فرصة فخلص بها نفيها بعد أن
فاتنا صبيحة امس فسنى أن يقدر الله لنا اجتماعاً قريباً في مصر او في
فلسطين .

من تلك الآراء ما يتعلق بمسألة الدعوة إلى الاسلام التي كنت است
لها جماعة ومدرسة خاصة وحدثت أو عرضت مناسبة للحديث فيها بتهرعك
لها . . . الى ان يقول : وكذلك جمعية الشبان المسلمين لما تصر أهلاً
للاضطلاع بامثال هذه العظام بل لا تزال قائمة بهمة عبد الحميد بك سعيد
لا بقوة الاجتماع فيها . وإيضاح هذه المسألة بل هاتين المسألتين لا بد له
من جلسة طويلة او جلسات وإنما ذكرتها على سبيل المثال ولأقول لك
ان مسألة الدعاية لا تزال نصب عيني والشاغلة لقلي وعقلي وموضوع حديثي
هنا مع الرجال الذين يهتمون بها وطالما تحدثنا بإعادة (جماعة الدعوة
والارشاد) أو إنشاء جمعية مثلاً وإني مرجي هذا للاستقرار في الدار
واختيار ناموس غيور قدير موظف وقد أشرت الى هذا الرجاء في بعض
مكتوباتي لجلالة الامام ^(١) .

انني عدت من السويس اليوم وأكتب هذه الكلمات بعد العصر وقد
قرب موعد فتح صندوق البريد الذي أريد وضعه فيه بجوارنا ولولا ذلك
لاطلت فيه وسأكتب اليك بعد أداء الفريضة فإنك ستكون في أثناء
أداء النسك في شغل شاغل أزجو أن لا ينسبك الدعاء لي ولولدي ولا
سما في مساء عرفة .

وأحيي الصديق البارع فؤاد بك حمزة وأهنته بك ولو اتسع الوقت

لكتبته اليه و كنت شرعت في هذا الكتاب في القطار فاذا بالقلم
الاميركاني قد جف حبره بعد كتابة أسطر قليلة . واسلم أيضاً على كل
من يسألك عني من الاخوات والمحبين ولا سيما الاساتذة الشيخ بهجت
البيطار واخوانه والدكاترة محمود حمدي بك واخوانه .

وأرجو أن تذكر جميل افندي الرافعي بركة من رفاع الشكر التي
ترسلها الى أصحاب البرقيات والمكتوبات في تحيتك عند وصول بور سعيد
فقد كان كتب كتاباً و كنت أحمله مع كتاب سليم بك عز الدين
ففقد مني .

واسأل الله تعالى أن يمدك بالصحة والعافية والتوفيق وإتمام المناسك على
ما يحب ويرضى وانتظر البشارة منك بذلك ودمت لخليك

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب في ٢٢ ذي الحجة ١٣٤٧ و ٣١ مايو :

إلى أخي في الله عز وجل امير البيان ومدره بني معد وعدنان وسائر
بني قحطان الامير شكيب ارسلان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اما بعد فاني أهنيك بأداء فريضة
الحج ثم بقاء ملك العرب وإمام المسلمين ومناط رجاء الفريقين وقد هنأت
جلالته . بلفائك واني انتظر كتاباً منك في أول برید يأتي من الحجاز
أقرأ فيه ما أستشرف له من أخبار سفرك ونسكك ولفائك للامام أبده
الله تعالى بك وبسائر المؤمنين الصادقين كما أبد رسوله صلوات الله وسلامه
عليه بالمهاجرين والانصار وأقترح عليك إنشاء مقال خاص في وصف رؤية

المشاعر وأداء المناسك في نفسك المؤمنة العاية لينشر في المنار فيكون
مرغباً في أداء هذه الفريضة الروحية الاجتماعية وشد الرجال الى المسجدين
من جميع الطبقات الاسلامية التي قصر بعضها فيها اقبح تقصير .
هذا وانه قد جرى حديث طويل بيني وبين صديقنا عبد الحميد بك
سعيد في شأن منكم من الامام بمصر وكان قد جاء السوبس للتمتع
برؤيتكم وحديثكم وتأصف للجائكم الى السفر وذكرنا انه يمكن السعي
للإذن لكم بالاقامة في مصر فذكرت له الامنية التي طالما تمنيتها وهو وجود
جريدة يومية هنا تناط بكم رئاسة تحريرها وقلت له يمكن أن نشارك
نحن الثلاثة في إصدارها فسر بهذه الفكرة وقدرها حق قدرها وسأعود
الى الكلام معه في مسألة السعي وأخبركم بما سيكون ان شاء الله تعالى .
بلغوا جلالة مولانا الامام سلامي ودعائي الخالص في الاسحار وفي كل
وقت أدعو فيه لنفسي ووالدي وأولادي ثم سلحوا على سائر الاخوان وفي
مقدمتهم فؤاد بك والد كاترة ومن تلقون من المحبين ولا زلتم سالمين
لاخيكم الخالص ؟

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٣ المحرم ١٣٤٨ و ١٠ حزيران :
صديقي وأخي أمير البيان حفظه الله تعالى
أحبيك تحية مباركة طيبة وأهنتك بالعام المجري الجديد داعياً لك
ولولدك بما ادعو به لنفسي وولدي ولأمامنا أعزه الله تعالى ثم أشكو من
طول الانتظار لرجوع ما كتبت اليك ، والظاهر ان الذنب على البريد ليس

عليك قد بلغني ان قدمت ضابطنا^(١) الباسل الذي فعرفت الامام بمزيتته
فجعله من رجال حاشيته فسررت بذلك فهو من يرجي الانتفاع بخدمتهم
عملاً ورأياً .

واما حالنا نحن فحسنة والله الحمد وقد أصابني سخونة قليلة بعد فراقك
ليلة مبيتني بالسويس فعالجتها بالحمية ثلاثة أيام فزالت وقد زادت نفقات
العارة والاصلاح في الدار فاقتضت من البنك مائتي جنيه أخرى بعد
الثلاثمائة التي علمت وكلها الى مدة سنة بغير ربح ولكن يحسب لها ربح
بعد انتهاء السنة إذا عجزنا عن الوفاء والرجاء بفضل الله ان يقدرنا على
وفائها ووفاء قسط الدار للبنك الآخر واما نفقة العارة فعرضت على المفاوض
ان نجعلها له اقساطاً ولا مندوحة له عن القبول .

وجملة القول ان الدين الواجب علي أدائه في هذا العام لبنك مصر
والبنك المردونة له الدار تسعماية جنيهه مصري والايراد الرسمي الثابت المعد
لذلك هو مطبوعات جلالة الملك وفي الحقيقة انه يجب علينا السعي لغيرها
أيضاً . وقد تذكرت بهذه المناسبة ديوان المرحوم شقيقكم فهل حملتموه
معكم ام في الدار بسويسرة ؟

أسلم على جميع من لديكم من اخواننا وفي مقدمتهم فؤاد بك وسأرسل
اليه بقية اجزاء تفسير ابن كثير من طريق الوكالة هنا وأحب ان تسألوا
عن صديقنا الشيخ يوسف ياسين الذي كان في بطانة جلالة الملك بنجد
فقد مرت عدة اشهر لم يأتي مني شيء ولا سمعت عنه خبراً حتى قلق

(١) فوزي بك القاقجي .

من ذلك ولا تنس فوزي بك والشيخ بهجة البيطار والسيد عاصم بسم
عليك تسليماً
اخوك

رميز

وكتب في ٢٣ المحرم ١٣٤٨ وحزيران ١٩٢٩ :
سيدي الأخ الامير

احمد الله تعالى ان أنعم عليك بالشفاء العاجل من وعكثك المجازية
المكفورة المكلة لمثوبة النسيك ثم احمده اننا لم نعلم بها إلا مع العلم بزوالها^(١)
وعسى ان تكون صحتك الغالية قد عادت كما كانت ونسأله تعالى ان
تكون خيراً مما كانت وان يديم نعمتها عليك وعلينا . وقد وصل منك
كتاب بعد كتاب وعجبت مما نقلت إلي من كلمة مولانا الامام اعزه الله
تعالى وابده في اخيك : « انه لا يموت وفينا احد حي » لولا انها كلمة بهني
الفداء بالنفس والعشيرة مناسبة لطباع بلادهم في النجدة والحماية . وإلا
فلسن مهرداً باعقداً احد على نفسي ولا على مالي .

هذا وانني قد أملت من كتبتك في الكراهة للاقامة في مصر وكنت
فتحت حديثاً مع شيخ الازهر في صعيه لاسترضاء جلالة ملك مصر عنك
لتكون مساعداً على الاصلاح في الازهر في تحرير قسم من مجلته كالقسم
التاريخي وفي قراءة التاريخ في بعض كليات الازهر الجديدة وأجلنا

(١) حصلت لي وعكة شديدة في مكة من شدة الحر اشرفت بي على الخطر
فأصعدوني الى الطائف وما مضي اسبوعان حتى زال كل أثر للعلة .

الحديث التنصلي في ذلك الى هذا الاسبوع وانني في انتظار أخبارك وما
استقر عليه رأيك في السفر والسلام عليك وعلى الاخ فوزي بك واسلم
لاخيك م

رشد

وكتب في ١٣ صفر ١٣٤٨ و ٢٠ تموز ١٩٢٩ :

صبيدي الاخ الامير

وصل كتابك رقم ٢٧ المحرم وهو الثالث من مكتوباتك لا الرابع
كما ذكرت في آخره والاول كان بخط الاخ فوزي في ٣ المحرم والثاني
لا اذكر تاريخه الآن ولا هو بين يدي والوقت يضيق عن المراجعة .
مررت وانشرح صدري لعودة الصحة اليكم وأسأله تعالى كمالها ودوامها
لنا ولكم - وخبر تشرفكم بدخول بيت الله الحرام والدعاء لنا فيه وبعلم
الله اننا نذكركم دائماً في أدعيتنا بالاسحار - كما مررت بأخباركم عن
الهام^(١) . وقد جاءني كتاب من جلالة ذكر فيه سروره واعتباطه بلقائكم
مع وصفكم بقوله « صديقكم وصدقنا » وذكر انه وجدكم كما كتبت اليه
علماً وغيره وإخلاصاً الخ .

وكتب ايضاً انه امر القصبي بأن ينظر حساب مطبوعاته عند خادمه
وكيل المالية ويأخذ لي منه الباقي لي منه أي من الحساب وانه أعطاه
ايضاً كتاب الادب لابن مفلح ومجموعة رسائل نخبية لاجل طبعها -

(١) إشارة الى الملك لانه من جملة معاني « الهام » الملك العظيم الهمة .

فهذه القرينة فسرت كلمتكم عن فؤاد بك حمزه بان القصبي « سيجري الحساب مع الاستاذ ويدفع له دفعة مهمة » انه يحمل إلي جميع المتأخر او المستحق لي من الحساب مع دفعة او قسط على حساب الكتابين الجديدين حسب العادة في جميع المطابع فيكون الجميع دفعة بصح ان توصف بالمهمة .. وارجو ان يصل إلي في اول جريد كتاب منكم بخير سفركم والسلام
اخوك

سيد

* * *

وكتب في ٢٦ ربيع الاول ١٣٤٨ و ٣١ اغسطس ١٩٢٩ :
سيدي الأخ الامير

ارسلت اليك في البريد الماضي مرجوع كتابك الاخير الي الطائف مسجلاً لان فيه كتاباً لي من الاخ الامير عادل احببت ان اطمن بوصوله اليك وكنت انتظر وصول بوقية منكم امس بسفركم من جدة لولا انني رأيت في جريدة الشوري بوقية منكم بارجاء السفر عشرة ايام أخرى فعلمت انه يصل اليكم ما أكتبه اليوم وعسى ان تكونوا في صحة وعافية .
(الي ان يقول) :

وقد تم طبع الجزء الثامن من المفتي مع الشرح الكبير ونرسل في جريد اليوم نسختين مجلدين منه الي سمو الامير فيصل مع كتاب عتاب اعلته فيه بأن المستحق للمطبعة بلغ بهذا الجزء ٧٩٤ جنيهاً مصرياً وكسوراً وان لنا ان نطلب فوقها ٢٠٠ جنيه للاستعانة بها علي طبع الجزء التاسع حسب الاتفاق بيننا . وقد اشترينا بعض ورق هذا الجزء بالدين

ورجوته حل المشكلة بما يراه ولو بإرسال حوالة ببعض المبلغ الى ان يأتي امر جلالة الملك فقد كتبت اليه ولا بد ان يكونوا هم قد كتبوا اليه ان كان عندهم عمل معقول . وقد كنت كتبت الى جلالته بأن الرجل الوحيد الذي يقدر الامور قدرها في حكومته هو فؤاد بك حمزه ولكن خاب أمني فيه في الامر الوحيد الذي رجوته فيه فهو مثلهم لم يجيني بشيء .

الامر الأهم الاعظم في مسألتنا العربية وكذا الاسلامية هو مسألة الثورة في فلسطين وستجدون من اخبارها في الجرائد العربية التي تصل مع هذا الكتاب الى الامير والى جريدة أم القرى ما هو دون الواقع ومما يسر ان بلاد سورية قامت بالواجب من إظهار السخط والاحتجاج واشترك النصارى مع المسلمين في المواكب ييدوت والشام والواجب الأهم الانتقم ان يسمع صوت الحجاز في ذلك من جانب الشعب ومن جريدة أم القرى وأخشي ان تبين هذه الجريدة او تمنعها الحكومة عن رفع صوتها بالاسنكار والاحتجاج والوعيد لليهود مراعاة للدولة الانكليزية فإن لم تفز باقتناع من تخشى منهم هذا بأنه خطأ وضعف وان هذه خير فرصة لاهل قيمة الحجاز ومكانته في هذا العصر لكل من الانكليز والعرب والمسلمين وانها تقوية مركز حكومته ومملكه اعظم تقوية ولا تخشى من درائها اقل تبعه — ان لم يمكن هذا وهو ما يجوزنا فأقل الواجب ان تنشر الجريدة (ام القرى) عدة مقالات شديدة اللهجة بأسماء بعض الكتّاب بظهورون فيها استياء الشعب العربي كله وعدم إمكان وقوفه موقف المتفرج اذا امتدت الفتنة وكان المراد منها استيلاء اليهود على عرب فلسطين وعلى المسجد الاقصى . . . انت انت ايها الامير الذي لا احتاج الى اطالة

القول معه فيما يجب ولا سيما اذا رأيت في البرقيات العامة ان الانكليز
لا يمكنهم الاخذ بالحزم المطلوب في المسألة إلا بعد العلم بموقف ابن السمود
ودرجة ولائه لهم... وانت انت الذي يمكنك ان تفعل في هذه المسألة
ما لا يمكن غيرك والسلام

اخوك

رشيد

* * *

وكتب في ١٤ جمادى الاولى ١٣٤٨ و ١٧ أكتوبر ١٩٢٩ :

سيدى الاخ الامير

منذ ثلاث اطل على كتابك المنتظر كما يطل البدر في ليالي هذه
الايام فسررت بوصولك الى دارك ولقاء أهلك وولدك وقرت أعينكم جميعاً
بهذا اللقاء المبعون بعد السفر الطويل الشريف ولكن كان السرور
مشوباً بالتألم لأمك من علة الرمل القديمة وعسى ان لا تنسى شعر الذرة
الصفراء يفلو ويحلى ويشرب والسيد عاصم مواظب عليه بعد ان جربه وجرب
غيره للمقص الكاوي من الرمل وهذه أيامه فيحسن ان تدخر منه طائفة
تجففها وتحفظها فهو مفيد للوقاية من عودة المص بعد ذهابه ولا تسل عن
سروري بالقطعة التي أرسلتها للنشر في المنار للمستشرق السويسري !!

وصفت ببلاغتك أيام تلاقينا ولياليها ما بين البحرين في غدوك للنسك
ورواحك فكأنك نطقت بلساني وكتبت بقلبي ما أعجز عن كتابته مثله
في بلاغته على ايجازه في مقام يحتمل التطويل إلا فرك ان ملازمي لك
كانت لطفاً مني وعطفاً فصوابه انها كانت حقاً واجباً لك وحظي فيها من
الانس والنبطة والفائدة لم يكن دون حظك إلا ما أشرت اليه من

تحرير بعض المسائل الشرعية الاجتماعية علي أن حفظنا من بيانها واستنباتها
واحد وهو خدمة الاسلام بها ولقد كانت من استنباء تلك الغبطة علي
واحاطتها بجميع جوانب شعوري انني لم أستطع معها قراءة ولا كتابة
إلا ما كتبناه معاً الى مكة فنسأله تعالى أن يمن علينا بالتلاقي الدائم في
بلد واحد نتعاون فيه على خدمة الملة والامة .

هذا وإن وكيل مالية الحجاز قد أرسل الينا في أول أكتوبر حوالة
برقية بمبلغ ٢١٦ وهو المستحق الذي كان مستحقاً لنا عنده الى نهاية طبع
الجزء السابع من المغني لان الثامن لم يكن أرسل الى مكة لقلة الدراهم
وقد أرسل بعد مجيئها والباقي لنا الى نهاية طبع الجزء التاسع زهاء ٤٠٠
بينها له في كتاب خاص . وجاءنا في البريد الاخير كتابان من الملك
ومن نائبه ونجده وفي كل منهما انها استاءاً من تأخيرها الدراهم وأكداله
الامر بإرسال جميع المستحق والسير على النظام السابق في الباقي . واصر
الملك بطبع ٢٠٠٠ نسخة من كتابي الادب ومجموعة الرسائل المرسلين او
الذين أرسلها قبل سفره الى نجد مع القصبي وذكر انه امر وكيل
المالية بإرسال مبلغ مناسب للاستعانة به على طبعها ورساً كتب الى الوكيل
بذلك .

هذا وانني في شوق لرؤية صديقنا فؤاد بك سليم ولا يزال في
الاسكندرية على ما أعلم وقد عاد الى مصر صديقه طلعت بك حرب
وذهبت أمس للسلام عليه وسأله عنه في البنك فلمعت انه كان في
لجنة معقودة للذاكرة في شؤون البنك فأرجأت مقابلته . قبل عني
طرة النجل التحيب والسلام عليك وأسأله تعالى كمال الشفاء لك ولاخيك .

محمد سعيد رضا

وكتب في ١٥ جمادي الآخرة ١٣٤٨ و ١٦ نوفمبر ١٩٢٩ :

سيدي الاخ الامير

اني ألتقي إليّ كتابك (رقم ٥ نوفمبر) فاستنبطت من عدم ذكر صحتك فيه أنك عوفيت إن شاء الله تعالى من المغص الكلوي وأما مطلوب المطبعة من وكيل المالية فقد عاد هو الى مكاتبنا فيه بعد ان ورد أمر الملك له بذلك وارسل صورة مفصلة للحساب فيها شيء من الاختلاف الذي أرسلته اليه الادارة وانفقنا نهائياً على بقية مطلوبنا منه عن الماضي والمستقبل اي ماشرعنا فيه من بقية المفتي وما سنشرع فيه بعد وصول المطلوب للاستعانة به على طبعه وهو كتاب الادب لابن مفلح فقد كتب الينا يسألنا عن نفقته وما نطلب منها سلفاً كما أمره جلالة الملك في كتاب خاص وكتب الينا بذلك . والمأمول أن يرسل المطلوب الاخير كله او جلّه . ولكن أفكارنا مشغولة بما تنشره الجرائد من اخبار وتفاقم خطب فيصل الدويش وننظر أخباراً قطعية من نجد نفسها تنقضها وتبشر بانتهاء الفتنة او قرب انتهائها .

وأما الاسئلة فقد رأيت الواجب أن أثبت جوابها هنا :

(١) الجمع بين حريفي عطف ممنوع عقلاً — لا بل نقلاً وعقلاً — ولكن ورد في كلام العرب وكلام كبار علماء العربية الجمع بين لا وبل ولم يعدوه من الشواذ ولا من للقصور على السماع بل قالوا ان العطف فيه ببل و « لا » لرد ما قبله ونفيه ^(١) . ولك ان تقول ان النبي لما قبله

(١) ورد الاضراب « بلا بل » في كتاب صيبويه ومفصل الزمخشري وغيرهما

فالسيد رشيد على بينة مما يقول .

قد يكون لابطاله كقولهم : جاء زيد لا بل عمرو . وقد يكون لرد
الاقتصار عليه وحده كما يوهمه الكلام السابق كعبارتك .

(٢) قولك : « فنهنا عاطي وناول مصرح بكل منهما » جائز وهو الاصل
في التعبير في مثل هذه الجملة وقوله يجب أن يقال « مصرحاً بكل منهما
مثل (وهذا بعلي شيخاً) خطأ . فانه جائز غير واجب . وهو خلاف الاصل في
قواعد الاعراب لان الحال لا تجيء في الاصل من المبتدأ الجامد الا اذا
أول بمشتق . والبصريون يقولون : ان العامل فيها هنا ما في هذا من معنى
الاشارة أو التنبيه كأنها نقول اشير اليه حال كونه شيخاً . والكوفيون
يقولون ان « هذا » تعمل هنا عمل كان و « شيخاً » خبرها . وقد قرأ ابن
مسعود والاعمش (وهذا بعلي شيخ) بالرفع وأعربوه بأنه خبر لمبتدأ محذوف
نقديره هو شيخ — او خبر بعد خبر . ومنهم من قال هو خبر المبتدأ اي
هو « هذا » و « بعلي » بدل من اسم الاشارة او بيان له .

(٣) إضافة الشيء الى نفسه — او الى ما اتحد به في المعنى وهو اعم —
معروف في كلام العرب كما قلت لا يستطيع احد ان ينكره ولكن جمهور
البصريين او مذهبهم انه سماعي يجب تأويله ولا يقاس عليه وإجازة
الكوفيين بلا تأويل بشرط اختلاف اللفظين كقولهم : برقع وحبّة الحقاء .

وقال ابن مالك في الجمع بين الامم واللقب :

وان يكونا مفردين فأضاف حتماً والا اتبع الذي ردف

وظاهره انه قياسي . ثم قال في باب الاضافة :

ولا يضاف اسم لما به اتحد معنى وأول موهما اذا ورد

وهو يشمل الوجهين ولكنه أقرب الى قول البصريين انه سماعي

يجب تأويل ما ورد منه عن العرب ولا يقاس عليه .

(٤) ما الشرطية . قد تكون ظرفية زمانية قال في المفتي عند ذكرها :
أثبت ذلك (ابو علي) الفارسي وابو البقاء وابو شامة وابن بري وابن مالك
وهو ظاهر في قوله تعالى (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) اي مدة استقامتهم
لكم اهـ . وذكر أمثلة أخرى محتملة لغير الظرفية . ولكنهم قالوا في (وما
دام) من الافعال الناقصة ان « ما » فيها مصدرية ظرفية فقط ويعنون أنها
مع صلتها تتأول بالزمان مع المصدر لا أنها هي ظرف زمان بنفسها بل
هي حرف مصدري فقوله تعالى (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً)
معناه مدة دوامي حياً . فحذف الظرف وخلفته ما وصلتها .

وعبارة المتنقد التي ذكرناها ليست واضحة في انكار استعمالها للشرط
وإنما يفهم من الجملة التي زعم أنها الصواب بأن عبارته تبدل على
الحصر بتعريف جزئها للسند والمستند اليه . ولا أدري لماذا ترك فيها قولك
« فلماذا لا يقولون » واستبدل به قوله « يقولون كذا » ولو ذكر عبارتك لكان له
وجه لأن الاستفهام له صدر الكلام فيصح ان يقال : فلماذا لا يقولون كذا .
ما داموا يقولون كذا ويصح في حال ترك الاستفهام : فليقولوا كذا ما داموا
يقولون كذا . ويظهر ان الاستفهام في أصل كلامك مقصود بالذات . ولك
ان نقول فيه مع عدم استعمال ما للشرط وعدم الاستفهام أقوالاً أخرى .
وان لي في جملتك انتقاداً آخر وهو جعل « دارك » الخطر أو الخطأ
بمعنى تداركه وهذا ما لا أعلم فيه نصاً في كتب اللغة ولا استعمالاً لمن
يحتاج بهربته وإنما بقوله بعض المتأخرين والمعروف في اللغة : دارك الطعن
اي تابعه وطعن دراك : متتابع كما في الاساس . وقالوا أن تدارك الخطأ

ونحوه استدركه . فاذا لم يكن عندك نص في ورود دارك بمعنى تدارك واستدرك فيحسن ان تذكر في ردك على المنتقد هذا مما قصر فيه فلاعتراف من العلماء بما يظهر لهم من الخطأ يزيد مقامهم في العلم علواً وارتماً وناهيك به في مقام تخطئة المنتقد بأكثر مما انتقده .

هذا ما ظهر بادر الرأي في المسائل الاربع وانني لبعيد العهد بالنحو وأحكامه الا ما يعرض لي احياناً في التفكير^(١) .

في ١٦ ج ٢ و ١٧ نوفمبر :

تأخرت في ختم هذا الكتاب وأرساله الى هذا اليوم وقد جاءني فيه كتاب من جلالة الامام الملك عبد العزيز من نجد كتب في ٣ جمادى الآخرة وأرسل الى وكيل المالية في الحجاز اي من طريقه وفيه دليل على اتصال البريد بين مكة ونجد فانه وصل الى مكة في اسبوع واحد وقد بشرني فيه بما نصه : « وبعد فانتا لله الحمد والمنة بنعمة منه وفضل وقد أتم الله نعمته بهدوء الاحوال في داخلية نجد إذ صارت خيراً مما كانت عليه اضماً مضاعفة وقد أبطل الله كيد جميع الكائدين . ولم يبق الا فلول للاشرار في اطراف الحدود يحتاجون للنظر في أمرهم ومجازاة المحرم منهم وقد عزمتا على المسير وقريباً تصلكم الاخبار السارة إن شاء الله تعالى .

(١) هذا كان من السيد جواباً على أسئلة اخذت فيها رأيه على اثر انتقاد أورده احد المدققين على بعض العبارات الواردة في كلامنا . وأما « دارك الخطر » فلا جدال في انه خطأ صدر عن سهو منا ولسنا بمن يكابر في خطأ واماسائر الاعتراضات التي اوردها الصديق المدقق فلا نظنه أصاب فيها .

هذا وأن صديقا فؤاد بك سليم جاء القاهرة من زهاء اسبوعين وقد كنت أسأل عنه كل يوم في الدار التي نزل فيها بالثلثون ولم أتمكن من الكلام معه ولكنه زارني يوم عودته الى الاسكندرية وكنت عازما منذ قدم على دعوته الى الطعام فلما أخبرني بعزمه على السفر وعلى العودة بعد اسبوع لم أذكر له ذلك . وقد مر الاسبوع ولم يعد . وهو مشاء من حال مصر وما فيها من قلة الدين وفساد الآداب وفتنك النساء . وقد تواعدنا على المذاكرة في الإصلاح في اللقاء الآتي ولعله يكون قريبا . أقبل طرة غالب وغرته وادعو الله ان يجعله قرة عين لك وللامة والسلام عليك وعليه من اخيك المخلص

(كتب بغاية العجلة ولم أتمكن من قراءته)

محمد رشيد رضا

وكتب في ٢٣ شعبان ١٣٤٨ و ٢٣ يناير ١٩٣٠ :

سيدي الاخ الامير

وصلت مکتوباتك النافعة متتابعة وما فيها من المقالات النافعة وكان من حق شكرها المبادرة الى كتابة مرجوع كل منها في وقته ولم تكن كثرة الاعمال وحدها وضيق زمني عن المهم منها هي التي قضت علي بالارضاء والتسوية كما يسوف العصاة بالتوبة من الذنوب . بل كان اول الاسباب لذلك ان اقوم بما كلفني من مراجعة مجلتي العرفان والمجمع اللغوي ثم من الكلام مع ابي الحسن فيما هو خاص به ولم يتيسر لي الامر

الاول الى الآن لان اجزاء جميع المجلات أخذت من مكتبي الى مكتبة
المنار لاجل فوزها وإرسالها الى المجلد . وأما ابو الحسن فقد كلمته أولاً
بالتلفون فأظهر قبول النصيحة بالجملة مع الوعد بزيارتي للكلام في المسألة .
قبل الجواب عن الكتاب ثم سررت عليه ودعوته الى الغداء مع الامير
عادل عندنا مع إعلامه بأن احمد زكي باشا سيكون معنا فقبل واجماً
بمنعصاً وعهدت اليه أن يكر في المجيء لاجل الكلام في المسألة وإطلاعه
على كتابك ولكنه لم يجيء قبل موعد الغداء ولا فيه ولا بعده ^(١) .

وأما الجمل والكلمات التي سألت عنها فأقول باختصار ان جملة « ماداموا
يقولون كذا » الخ يمكن ان يلتبس لها وجه من الاعراب وان جاءت
على خلاف الاصل وهو ان ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها - وهو ان يقال
انهم يتوسعون في الظروف ما لا يتوسعون في غيرها وما كان وقوفي في
هذه الجملة الا من هذا الباب كما جرى بيننا في بور سعيد وإنما ذكرت مسألة
الاستفهام وماله من صدر الكلام في اعتراض المعارض عليك ووقوعه
جواباً للشرط لا بعراض القاعدة فيه فإن موضع جواب الشرط ان
يكون فعل الشرط وان كان استفهاماً . وأما « لو » فالاصل فيها الشرط
وهي بمعنى « ان » - ولم تذكر لي على أي شيء بنى المعارض اعتراضه فيها .
وأما جمع مكتوب على مكاتب ^(٢) فلا يثبت إلا بالسماع ولا اعرف

(١) كانت وقعت وحشة بين الاخ المرحوم احمد زكي باشا والاخ السيد محمد
علي الطاهر صاحب جريدة الشورى واشتد الجفاء بينهما فكتبنا كثيراً اليهما في
امر التصافي ورجونا السيد الفقيه ايضاً أن يدخل في الوساطة .

(٢) نقدم لنا هذا البحث واختلاف الناس فيه والذي يظهر لي أن أكبر -

فيه سماعاً فأجمعه على مكتوبات لانه قياسي وكان الشنقيطي الكبير انتقد على رفيق بك العظم تسمية تاريخه أشهر مشاهير الاسلام بهذه اللة وهي ان مفعولاً لا يجمع على مفاعيل قياساً . وانكن لفظ مشاهير استعماله المتقدمون ومنهم صاحب القاموس في غير مادته ٠٠٠ بدأت بهذا الكتاب في مساء أمس (الخميس) فجاءني من شغلي عن إتمامه فأتممته وقت الغروب من يوم الجمعة بالعجل لانني سأصلي المغرب وأذهب الى دار صديقتنا نسيم صبيحة لشرب الشاي مع الاخ الامير عادل فالسلام عليك وعلى نجلتك النجيب الحبيب من أخيك ؟

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٢٧ رمضان ليلاً سنة ١٣٤٨ و ٦ فبراير ١٩٣٠ :

سيدي الاخ الامير

أهنتك بعيد الفطر وبالاستراحة من ألم الحصىات وأسأل الله تعالى لي

— علماء اللغة أجازوه فالشنقيطي الكبير كان يخطي جمع « مشهور » على « مشاهير » ولكن ابن سيده الاندلسي المرسي صاحب « المختص » أعظم كتاب في اللغة جمع مشهوراً على مشاهير . ورا في الجزء السادس الصفحة ١٩٣ من المختص طبعة بولاق الايرية عنوان فصل هو هذا « مشاهير فحول الخيل في الجاهلية والاسلام » وفي الصفحة ٢٨ من الجزء نفسه « أسماء مشاهير سيوف العرب » وهلم جرا .

وقد روى السيد رشيد عن الفيروز ابادي صاحب القاموس انه جمع مشهوراً

على مشاهير .

ولك أتم الشفاء وأكمل العافية وأدومها وأشكره تعالى على ذلك وعلى سائر نعمه الظاهرة والباطنة وقد تلقيت كتابك الاخير بالسرور وتمنيتك فيه بالقبول وما ذكرته فيه من علمك بأن المنتقد عليك هو مصطفى جواد (١) وقد رأيت انتقاده للجزء التاسع من تفسير المنار وكان سبب انتقاده ما فيه من المخالفة للشيعة حتى فيما ليس له به من علم ولا يبلغه ما أوتيته من فهم كمسائل العقائد وعلم الكلام وأشد ما آذاه منه إنكار المهدي المنتظر والجزم بأن أحاديثه كلها من وضع دعاة الشيعة . وإنما استنكر هذا واستكبره لذاته وذكر ما أنكره من الكلم والتعبير فيه انتقاماً له وهو رأيه الذي يمارسه (الى ان قال) : ولا أذكر الآن مما أنكره وجزم بعدم جوازه من اللغة إلا تكرار الإضافة وهو متفق على جوازه خلافاً لما زعمه . وقد نص عليه في أشهر كتب البلاغة كمطول السعد ومختصره وفي القرآن شيء منه وربما أرجع الى انتقاده إذا وجدت فراغاً .

هذا وانني أجيب بالاختصار على ما سألتني عنه وأنا اكتب هذا في غرفة النوم بالقرب من منتصف الليل وقد أردت أن أكتب في النهار على مكنتي فلم أجد دقة تزيد على النظر في الضروريات وقد رأيت منها في الصفحة الاخير من جزء المنار السابع بضعة أغلاط مطبعية إذ طبعت الملزمة قبل

(١) الشاب النابغة المحقق الاستاذ مصطفى جواد العراقي من سلاطين الاذكياء وأساطين اللغة في هذا العصر سبق له ان انتقدي وانتقد السيد رشيداً وخطأ كثيرين من الكتاب مما يدل على طول باع وحدة ذهن وقد كان في اعتراضاته هذه يخطئ كما كان يصيب . وما أحسن قول من قال :

ومن ظن بمن يلاقي الحرو ب ان لا يصاب فقد ظن عجزاً

أن أراها وقال مصحح المطبعة انه لم يرها ايضاً فغضبت ووبخت وسبزل
اليك نسختان منه وفيه تعاقب مهم على ما كتبت في مسألة الوحي . وهذا
ما يمكنني ان اكتبه الآن في المسائل ما عدا « لو » الشرطية فقد تكلمت
عليها في كتابي الذي قبل هذا وهي في المعنى :

(١) قولهم « وعليه فيجب ان نقول او نعمل كذا » استعمال مولد ما اظن
ان له أصلاً من كلام العرب والفاء فيه زائدة لا معنى لها اذ المتبادر ان
يقال : وعليه يجب أو فعليه يجب الخ ومثله : وبالجملة فالواجب كذا . وما
انفرد به قدماء المولدين من اساطين علماء اللغة وادبائها لا يخرج به اذا خالف
القواعد القياسية فما القول في المتأخرين من أهل القرون الوسطى ^(١) الى

(١) تقدم لنا الكلام على هذه الفاء ووردوا في مثل هذا الموقع مراراً في
كلام سيبويه امام النحاة وحسبنا به شاهداً وقد ذكرنا عدة عبارات له من هذا
النمط وعيننا الصفحات التي جاءت فيها وليس سيبويه بالذي لا يؤبه له بل القول
ما قالت حذام . وكذلك ابن هشام صاحب « مغني اللبيب » ولو تأخر في الزمن
كان من أئمة اللغة الذين يستشهد بأرائهم في النحو . ولقد استطلعت رأي الاستاذ
نقي الدين الهلالي في قضية هذه الفاء في هذا الموضع وذكرت له الجمل التي جاءت
فيه من كلام سيبويه فكتب إلي ما يلي :

ما ذكرتم في مسألة عمل الفاء فيما قبلها ونقائم فهو الصواب والعرب تتساهل
وتتوسع في مثل هذه الفاء . وقد قال بعض النحاة بمثل قول السيد (أي السيد
رشيد) وأما استشهادكم بقوله تعالى : (والذين كفروا فتعسوا لهم) على أن ما بعد
الفاء قد عمل فيما قبلها فلم يتبين لي لان المشهور أن المبتدأ مرفوع بالابتداء والخبر
مرفوع بالمبتدأ « فالذين » مبتدأ وما بعد الفاء خبر . نعم هناك قول بان -

اليوم وإني لأجد من الغلط في كلام الفخر الرازي (الذي ينصرف إليه لقب الامام إذا أطلق في كتب الكلام والاصول والفلسفة) ما أعجب من كثرته ولم أحتد إلى سببه كما أعلم أن سبب أغلاط بعض المدققين وواسعي الاطلاع في العربية من أهل عصرنا هو كثرة قراءتهم للجرائد والكتب التي ألفها أو ترجمها الضعفاء في النحو والصرف ومتن اللغة وكذا علم المعاني والبيان .

(٢) إذا كان جمع مفعول على مفاعيل سماعياً لا قياسياً فسواء أقلّ المسموع منه أم أكثر لا يستعمل منه إلا ما سمع ولم أر في كتب اللغة ولا في استعمال الفصحاء من المتقدمين استعمال كلمة مكاتيب جمعاً لمكتوب فلهذا استعمل الجمع القياسي «مكتوبات» .

— المبتدأ والخبر بترافعان أي كل منهما يرفع صاحبه وعلى هذا الوجه الدقيق بكون ما بعد الفاء قد عمل فيما قبلها . وأنا أظن أن الفاء هنا آتية في جواب الشرط المفهوم من «الذين» على حد قولهم «الذي بأتيني فله كذا وكذا درهما» وهو صحيح واضح وقد بدا لي أن الفاء واقعة في جواب «أما» مقدرة أي «وأما الذين كفروا فتمسأ لهم» لأنه ذكر حال الذين آمنوا قبل ذلك . وهذا خطر لي الآن فقط ووجه دخول الفاء على خبر الذي هو ان «ما» تكون شرطية فتجب لها الفاء في جوابها وتكون موصولة فتأتي الفاء قبل خبرها أيضاً لما بقي فيها من راحة الشرط ثم أدخلوا الفاء على خبر الذي لأنه بمعنى «ما» الموصولة ولأن فيه عموماً أشبه الشرط اه .

أقول بعد رجوع النظر أن الفاء في قوله تعالى (والذين كفروا فتمسأ لهم) هي في جواب الذين فكما أن الفاء تأتي في جواب «ما» الموصولة فهي تأتي في جواب الذي لان معناهما واحد .

(٣) لم يرد في مسألة الصاب حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم لا صحيح ولا غير صحيح فيما أعلم .

(٤) المفسرون المعروفون من الطبري — الى الآلومي متفقون على ان المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل وإنما صلب رجل آخر ألقي شبهه عليه ^(١) فلا فائدة لك من نقل عباراتهم ولو كان لأحد منهم قول موافق للرأي الذي تذكره لنقلته اليك بل لنقلته في تفسيره من قبل فإن كنت تريد بعض عباراتهم مطلقاً لذكرها في بحثك فحسبك منها عبارات بعض المحققين في التعبير المختصر المفيد كالزحسري والبيضاوي فتنسخها لك إن شئت واختر منها كلها واجمع لكل ما يهملق بالمسألة ما كتبه في تفسير المنار ومنه القول الذي تريد بسط القول فيه فقد ذكرته نقلاً عن بعض كتبه والظاهر انك لم تطعم عليه وهو قد طبع مستقلاً فأنا أرسل اليك الآن الرسالة التي طبع فيها ذلك وطبع معه بحث جليل في الموضوع للمرحوم محمد توفيق صدقي فيه نقول مهمة عن الكتب ودوائر المعارف الانكليزية العامة والخاصة بالكتب المقدسة فإن رأيت بعد مطالعتها حاجة الى نقل شيء من كتب التفسير المأثور كابن جرير والدر المنثور للسيوطي أو غيرها كالكشف والبيضاوي والرازي فاطلب ما شئت بنسخ ويرسل اليك إن شاء الله تعالى .

(٥) مسألة الربا مستجد رأينا فيها مجملًا في الجزء السابع الذي يرسل اليوم وترى فيه الوعد بالتفصيل فالأولى أن يؤخر بيان رأيك فيه الى أن نقرأه على ما كتبه يصح أن يكون تنويعاً بما في الجزء السابع قبل (١) دخلنا في هذا البحث في حاضر العالم الاسلامي بمناسبة كلام (درمنهم) المؤلف الافرنسي الذي حاول التوفيق بين الاسلام والمسيحية .

أن تراه ولكنني أنتظر رأبك في نشره بعد الاطلاع على السابع .
هذا ما تبسر لي كتابته والسيد غاصم يسلم معي عليك وعلى نجلتك النجيب
تسليماً ؟
اخوك

محمد رشيد رضا

أرجو ان تبلغوا الصديق الجابري سلامي عند لقائه .

وكتب إلي في ٢٦ شوال سنة ١٣٤٨ و ٢٧ مارس ١٩٣٠ :

سيدي الأخ الامير النحرير

اني أتي الي كتابك المحرر في ١٨ مارس وانا مدين لك بكتاب
قبله ارجأت رجعه انتظاراً لفائدة أردت إن أودعها فيه فتأخرت أكثر
مما كنت أضن وهي مسألة اخذ اذن من محمود مختار باشا بترجمة كتاب
والده (مرائر القرآن) كما اقترحت . كنت رأيت الباشا مصادفة في رمضان
قبل وصول كتابك إذ التقينا في محل عمر افندي التجاري المشهور فتبادلنا
تحية المودة القديمة واعتذرت له عن اداء ما يجب علي من زيارته بالصيام
وهو يقيم في ضاحية المرج التي في آخر خط المطرية الحديدي فقال تفضل
على الافطار . . . (والذهاب في المساء والرجوع في الليل أشق) . فزرتة
ثاني يوم عيد الفطر وتكلمنا كثيراً في امر الترك ومصطفى كمال ثم طلبت
منه الاذن بترجمة كتاب والده فأجاب الى ذلك مرتاحاً وقال : اكتب عن
لساني ما شئت وانا امضيه لك . ثم ذكر لي ما كان قاله لنا في . ونيخ
من انه انتقد على والده بعض المسائل الفلكية وزاد على ذلك ان انتقاده
مكتوب عنده وانه يعطيني إياه اذا أحببت ان اضيفه الى الكتاب

فاستحسنت ذلك ووعد بالبحث في أوراقه عن ذلك النقد بعد أيام ورغب إليّ أن أعود إليه فأحييت أن أذهب أنا والاخ الامير عادل وعرضت عليه ذلك فقبل ولم يتيسر لنا ذلك . وكنت مستعداً بل عازماً على الذهاب يوم الجمعة الماضي وموطناً نفسي على دعوته الى الغداء معي والذهاب بعد العصر واتفق أن دعانا الشيخ فوزان الى الغداء عنده فالتقينا في دار الوكالة وعرضت عليه الذهاب الى المرج فحال دون ذلك عزمه على الذهاب الى الاسكندرية لوداع وفد فلسطين وقد فعل . ثم عزمت على دعوته الى مثل ذلك غداً (الجمعة) فاتفق ان دعانا الشيخ علي مرور الزنككوني الى الغداء عنده فاذا وافقني فائتسا نذهب الى المرج بعد الغداء ولكنني أرسل اليك هذه الليلة او صباح غد في البريد الجوي ان شاء الله تعالى واخبرك في بريد آخر بما سيكون بيننا وبين الباشا إن لقيناه .

« كتابك الى داغر » اطلعني عليه ولا يزال عندي ولا أرى حاجة الى التشاور في ذلك الموضوع لانه غير مرجو مطلقاً فيما ارى لان فرنسة لن ترضى به بحال من الاحوال الا حال الاكراه ان قدرنا عليه . واما صاحب الشورى فلم يطلعني على شيء منكم ولا اخبرني بشيء عنك او منك .

« فوزي » لم يعد الى هنا على ما اعلم ولو عاد لما خفي عليّ وسأسل

عنه هنا وهناك فيما سأكتب الى الحجاز بعد يومين ان شاء الله تعالى .

« عقيدة الصلب والفداء » يحسن ان يطبع منها ما شرحناه في الجزء

التاسع من التفسير في بشارت العهد القديم والعهد الجديد بالنبي « ص » وذلك

في تفسير قوله تعالى « الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه

مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل) فراجعه إن كنت لم تقرأه وهو في (ص ٢٣٠ - الى ٣٠٠ ج ٩) .

ولي من التلاميذ في جاوه والهند من يحسن ترجمة البحثين . أما في جاوه فالذي اقترح عليك الموضوع الذي وعدت باجابته اليه ^(١) وأما في الهند فالشاب الذي يرسل جريدتي المقطم والبلاغ وهو سيامي وطني إسلامي شديد التعمس وقد ترجم بعض رسائل ابن تيمية بالاوردو وترجم للعربية كتاب الصحة لغاندي الذي نشرناه في المنار وطبعناه على حدة .

(محاضرتي في موضوع التجدد والتجديد والمجددين) أظن انك تسر بها كعجابتك بموضوع المسألة النسائية وهي طويلة لم يتيسر لي القاؤها كلها في قاعة الجمعية الجغرافية بل لم يكن ذلك ممكناً . وقد كان لها تأثير أقوى من تأثير المناظرة في المسألة النسائية ولا سيما في أنفس طلبة المدارس العليا وعقولهم واقترحوا علي نشرها في رسالة مستقلة وسأنشرها قبل ذلك في المنار إن شاء الله تعالى .

(الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام) تيسر لنا قبل رمضان ما لم يتيسر منذ سنين من فك إضرابات المطبوعات الزائدة والمجهولة المعتبر عنها بالذشت (ولعل كلمة الامشاج تحمل محل هذه الكلمة) لتعلم ما عسى أن يكون فيها مما طبعناه من هذا الجزء منذ أكثر من عشرين سنة لأجل ان نتمه و كنت

(١) هو الفاضل الشيخ بسيوني عمران الذي ألقى علينا أسئلة في موضوع تأخر المسلمين في العصر الاخيرة فأجيبناه عنها برسالة « لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » واشتهرت هذه الرسالة وترجمت الى عدة لغات وطبعت اكثر من مرة .

أمرت بهذا منذ ثلاث سنين فلم يتيسر . وقد ظهر لنا أن أكثر ما طبعناه قد فقد وإن الباقي قد تلف بعضه فأعدنا طبعه من أوله . وكان المطبوع منه قد انتهى بالمزمة ٢٩ وهي أواخر ما كتبناه في رأيه وقوله وكتابته في الثورة العرابية ونتم هذا البحث في الأسبوع الذي نستقبله بذكريات له وجيزة في المسألة إن شاء الله وحينئذ أرسل اليك كل ما طبع . واخبرك الآن أنني بعد المسألة العرابية سأكتب فصلاً في حاله رحمه الله في منفاه في بيروت ثم في غيرها وكنت كلفت أخانا المرحوم عبد الباسط فتح الله أن يكتب إلي بما يعلمه من حاله في بيروت ففعل وسأبحث عما كتبه عند الوصول إليه بعد يومين أو ثلاثة . وأرجو أن تكتب إلي أنت بما تعلمه من ذلك أيضاً ثم نستنسخ لي ما عندك من مכתوباته التي يصح نشرها والاستنباط منها عند المناسبة لذلك^(١).

(حالتنا الصحية) بشرتني في مכתوبك الاخيرا بشارة وقعت من نفسي كموقع الماء الثلوج من ذي الغلة الصادي في مكة المكرمة وهي أنك «رجعت شاباً» فالحمد لله ثم الحمد لله وعسى ان لا نقرأ ولا نسمع عنك ولا منك كلمة في كبر السن واستطالة العمر . . . وجزاؤك على هذه البشارة إنما هو بشارة مثلها عن اخيك هذا وهو أنني اشعر باستكمال اركان الشباب الثلاثة فوق ما كنت اشعر من عشرين سنة واكثر الا ان لي اربعة أسنان صناعية وليست المسألة مسألة شعور فقط بل اختبر الدكتور نهاد بك رشاد دمي منذ اسبوعين فبشرني بأن مقاس الضغط ١٥ وانه

(١) قد أرسلت الى السيد بضعة عشر مکتوباً من كتب الاستاذ الامام إلي

وكلها بخطه . وكان بنوعي نشرها في الجزء الرابع من تاريخ الشيخ محمد عبده .

كضبط دم شاب في سن الثلاثين وقد كان اشد ضغط الدم علي في أواخر الصيف وأول الخريف الماضي فبلغ ١٨ وربما ١٩ ولاجله كنت محتثاً عندما التقينا في السويس وبور سعيد وإنما تساهلت في الحمية معك ثم عدت اليها ولست الآن محتثاً ولكنني معتدل في الطعام وغيره . وإنما حاسبني أخونا فؤاد بك على ما كنت حدثته به عن حميتي ثم عن تعديلي اغذيتي كلاً وكيفاً ومن الضروري ان يزيدا في الضيافات وذلك لا ينافي الاعتدال في عامة الاوقات والسلام عليك وعلى نجلتك النجيب حفظه لك وحفظك له ولا أخيك ؟

رشيد

وكتب في ٦ ذي الحجة الحرام ١٣٤٨ و ٥ مايو ١٩٣٠ :

سيدي الأخ الامير

أحبك تحية مباركة طيبة وأهـنـك بعيد الاضحى السعيد أعاده الله تعالى عليك وعلى ولدك وآلـك وعـائـنا ونحن قـرـيرـو العـين بشرف ملتنا ونقدم أمتنا وسبقها في ميدان الاستقلال والعلوم والاعمال أو ميادبنها الكثيرة وهي وراء غيرهم فيها .

ثم أشكو اليك من هذه الفترة الطويلة من مكتوباتك السارة المفيدة مع توفر الدواعي على الكتابة ومنها ما طلبته منك بشأن تاريخ استاذنا الامام من عمله في بيروت (اوسورية) ومن مكتوباته لك ومن صورته الجميلة التي أعطاك صديق الجميع فؤاد بك سليم نسخاً منها — وآخر هذه الدواعي لقائك للشقيق الامير عادل . ومن الغريب انه هو لم يكتب إلي شيئاً

ايضاً وكان وعدني بأن يكتب اليّ تقريراً طويلاً عن فجلكم النجيب
كما اقترحت عليه ولم أجد وسيلة اعرف بها شيئاً عن الامير عادل الا صاحب
الشورى : سألته فأخبرني انه أقام عندك اسبوعاً واحداً ثم سافر الى الولايات
المتحدة .

انا في هذه المدة اتوقع في كل يوم تلقي كتاب منك ولم يتجدد
عندي شيء اكتبه اليك إلا أنني زرت محمود باشا مختار يوم الجمعة الماضي
واخذت منه خطأ بالاذن لي بترجمة كتاب والده الغازي (مرائر القرآن)
بالعربية وطبعه ونشره ولم يبق إلا العثور على من يحسن ترجمته . وقد
سألت احمد شفيق باشا عن ذلك فذكر لي رجلين احدهما ارجي من
الآخر وهو الذي كان يعلم بنات السلطان حسين كامل اللغة التركية
ووعدني بالبحث عنه وسأسأل صديقنا فؤاد بك سليم ايضاً ولعله يجيء
مصر في أيام العيد كما جاء في فرصة عيد الفطر وعسى ان تغنيانا عن
كل هؤلاء بنفسك او برأبك .

وقد خطر في بالي ايضاً ان اكتب الى صديقنا السيد محمد نصيف ان
يسأل السيد عبد الغني سني عن ترجمته لهذا الكتاب من تلقاء نفسه وان
يشتريها منه اذا اعترف بها ورضي بيعها بشئ معتدل لا يتجاوز عشرين
جنيهاً وإني أتذكر انني كنت عرضت عليه عندما كان هنا ثلاثين جنيهاً
فلم يقبل لانه كان صاحب الحق في طبع الكتاب وهو الآن لا يتجرأ
على طبعه باسمه كما قلتم^(١) . ولو كان يتجرأ لأعلمناه بأن الاذن لنا به

(١) لان عبد الغني سني بك بعد ترجمة هذا الكتاب الذي فيه تأييد القرآن
للنظريات الحديثة في امر تكوّن الاكوان وتأيد النظريات الحديثة التي اجمع

نسخ الإذن له . أقبل طرة الأمير غالب وغرته بالغيب وأدعو لكم وله بما
أدعو لنفسي ولولدي والسلام ؟

أخيكم
محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إلي في غرة المحرم ١٣٤٩ و ٢٩ مايو ١٩٣٠ :

سيدي الأخ الأمير

أهنتك بالعام الهجري الجديد وادعو الله تعالى أن يقيقك إلى أمثاله
عشرات كثيرة من الأعوام موفقاً لخدمة العرب والاسلام ويسرنى أن
تكون أول من أكتب له في هذا العام .

وافتنى منذ ثلاث أو أربع رسالتك في شيخنا رحمه الله تعالى ووعدت
بتأليها لها فأشكر لك أولاً ما كتبت فأجبت وأحسنتم وما كنت إلا
مجيئاً ومحسناً وأريبت من الفائدة على ما كتبه اخونا المرحوم السيد عبد
الباسط رحمه الله تعالى . ثم أذكرك بأن لا تتكلف فيما تكتب في هذا
الموضوع غير ما يتعلق بسيرة الامام في سرورية فإن سائر شؤونه وآرائه
مبسوطة في الكتاب (الجزء الاول من تاريخه) فإنني رأيتك في النبذة
الاولى ذكرت رأيه في علماء الازهر والتعليم ولهذا موضع آخر من مقاصد
الترجمة .

— عليها علماء الطبيعة لما جاء في القرآن قد استخدمته حكومة انقرة
سفيراً لها في جدة فصار يتجنب نشر شيء يغضب الحكومة التي هو مستخدم عندها
والتي يهملها ان لا يكون القرآن مطابقاً للنظريات العلمية الحديثة .

وانني عجبت لما كتبت في ذيل الرسالة من قولك : وصل كتابك الاخير —
فأي كتاب تعني ؟ الظاهر انك تعني الكتاب الذي اقترحت فيه عليك
ما اقترحت وهو ليس بالاخير بل الاخير الذي قبل هذا الذي اكتبه
الآن هو الذي كتبته في أوائل ذي الحجة مهنتاً لك بعيد الاضحي ومعاتباً
على إطالة الفترة على كتبك ومذكراً بما أرسلته مع الاخ الامير عادل من
التهنئة بلقائه ومن كراريس ترجمة الاستاذ الامام ومتمجباً من عدم تفضلك
بعلم وصوله ووصول ما معه وعدم تفضله هو بكتابة شيء . وقد كنت
رجوته عند التوديع بأن يكتب إليّ يائناً مطولاً عن أحوال نجلك
النجيب فوعد ولم يفـ بل لم أطمئن بنجر وصوله وتلافيكما ثم بنجر سفره
إلا من صديقنا ابي الحسن ولكن بعد سؤالي اياه . ومما طلبته منك كتابته
ورجوت الامير عادلاً بأن يذكره لك طلب نسخة من صور المرحوم الاستاذ
الامام التي اعطاك صديقنا فؤاد بك سليم .

بل كان أهم شيء ذكرته لك في الكتاب الاخير اخذ الاذن الخطي
من دولة مختار باشا بترجمة كتاب والده بالعربية وطبعه واستشرتك في
مسألة الترجمة . وذكرت لك فيه او في غيره انني أرسلت رسالة الصلب
والفداء الى أبنه تلاميذي في الهند وفي جاوه لاجل ترجمتها باللغتين
الاوردية والملاوية كما اقترحت . . . فياليت شمري هل فقد شيء مما كتبت
اليك أم انستك الشواغل الجديدة كل هذه المسائل المفيدة فلم ترجع إليّ
قولاً في شيء منها ؟ واذكر هنا انه جاءني في يريد جاوه الاخير ان الشيخ
محمد بسيوني عمران قد شرع في ترجمة رسالة الصلب والفداء بالملاوية
وهو الذي كان اقترح عليك الكتابة في موضوع مفيد فوعدتني بأن

ستجيبه الى اقتراحه ولا انقاضك هذا وإنما أرجو ان لا يكون فقد شيء
مما كتبت اليك وما اريد أن أشق عليك في شيء بل أدعو ان يعينك
الله على ما انت فيه والسلام عليك وعلى نجلك ورفيقك الجابري من اخيكم

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب الي في ١٩ المحرم ١٣٢٩ :

صبيدي الاخ الامير

وصل كتابك الاخير الذي اودعت فيه مكتوبات الاستاذ الامام
ووصلت قبله بقليل بقية الترجمة . فأما ما يتعلق من الترجمة بما كان من
شأنه وعمله في سوربة انشاء النبي فهو الذي يذكر في المقصد الثاني من
الفصل الخامس الذي موضوعه عمله في المنفى . واما سائر الفوائد فستذكر
ان شاء الله تعالى في . واضعها اللائقة بها . واما المكتوبات فسأنظر في
تواريخها فان كان فيها شيء في مدة النبي فربما أذكره في هذا الفصل
واما ما فيها من الحكم والنصائح الادبية العامة فله موضع آخر من التاريخ
او الذيل .

كنت امسكت عن المضي في كتابة التاريخ باشتغال المطبعة بشغل
آخر وقد عدت اليه في هذه الايام المكتظة بالشواغل التي منها دخول
البنار في سنته الجديدة (٣١) وما تقتضيه من عمل فهارس للجزء الماضي بل
المجلد الماضي وغير ذلك وقد تراءى لي التوسع في عمل الاستاذ مع السيد
في اوربة للجامعة^(١) المصرية والرابطة الشرقية والمسألتيين المصرية والسودانية

(١) ليس معنى الجامعة المصرية هنا المدرسة الجامعة بل هي بمعنى الرابطة .

و كنت عازماً على اختصار ذلك من قبل . وقد كان من وصفي لتأثير « العروة الوثقى » ان ذكرت بيتين من قصيدتك الميمية في السيد وبيتين من قصيدتك الكافية في الشيخ اي في وصف كلامها وهذه الايات علق بذهني مع ايات آخر من باكورتك اذ رأيتها في طرابلس في ايام طلبي للعلم فيها فهل لديك نسخة منها تكون نعمةً ثمنها عليّ ام تعلم ابن توجود ؟ ^(١) .

عندما يتيسر لي قراءة المکتوبات الخـص منها ما يحسن نشره مع بيان مصادره وان شئت ان اعيدها اليك لتتولى ذلك وانت اعلم واولى بالحكم فيما يحسن نشره وما لا يحسن اعدتها في كتاب مسجل .

ما كتبه اليك الاخ الامير عادل عن أكلي وحميتي كان دعابة ومزاحاً بالطبع وقد بلغني انه اعطاه لرفيقه بندق فنشره في جريدته فساء في ذلك جداً . واني عاتب على الامير عادل لجوره عليّ وإخلافه ما وعدني به من المكاتبة من اورية وغيرها واهم ما وعدني به اجابة لطلي كتابة تقرير عن النجل الحبيب غالب . لعله اعجبك ما نشرناه في التفسير آخرًا كما اعجبك ما قبله والسلام عليك وعلى الاخ الصديق الرفيق احسان بك أحسن الله اليكما واعانكما وأقبل غالباً نقبلاً وأدعو له واتمنى لو يرسل الى مصر ليتلقى العلم بالعربية حفظه الله لك وحفظكما للامة ولاخيك المخلص

رشيد

(١) دهباني الباكورة الذي نشرته وانا في السابعة عشرة من العمر كانت نسخه قد اصبحت نادرة جداً الا انني عثرت اخيراً على نسخة منه والحق اكثر قصائدي التي فيه بدهواني الذي نشرته في العام الماضي وكان الاستاذ رحمه الله هو المشرف على طبعه ومضي الى ربه قبل اتمام الطبع .

وكتب في ٢٢ جادى الآخرة ١٣٤٩ و ١٣ نوفمبر ١٩٣٠ مساء الخميس :

سيدي الاخ الامير

وصلت رسالتك ^(١) منذ اسبوع ثم وصل الاستدراك وسيوضع في موضعه الذي اشترت اليه واستحضت رأيك في طبع الرسالة وحدها ونشرها قبل طبعها في المنار كلها او بعضها وإن كانت النفقة في هذا أكثر . وخطر في بالي (لما قرأت كتاب الاخ الامير عادل في سوء حال جماعة النبك وما يصدعه من همهم وسؤاله اباي عن إمكان جمع خمسين جنيهاً لهم بمساعدة صديقنا عبد الحميد بك سعيد) خطر في بالي انه ربما يسهل بيع الف نسخة من هذه الرسالة باسم هذه الاعانة بمساعدة جمعية الشبان المسلمين وجمعية مكارم الاخلاق ، اما جمع اعانة بالتبرع فهو يكاد يكون محالاً لان العسرة الحاضرة قد ضيقت الخناق على جميع الطبقات حتى ان ناظر وقف المذاوي باشا ودائرته التي يبلغ دخلها السنوي زهاء مائة الف جنيه يشكو من العسرة كما قال لي اول من امس وحظنا من هذه العسرة عظيم فلا احد يدفع قيمة الاشتراك في المنار ولا احد يشتري من كتبه ماله قيمة تذكر . واجرة للطبوعات لا تكاد تكفي المطبعة وانما ربحنا منها ما نطبعه لنفسنا وهو لا يباع في هذه الايام وانني مدين بأكثر من الف جنيه ٠٠٠ وقد سافر السيد عاصم الى طرابلس والقلمون على محل موسم الزيتون .

قرأت الرسالة في ليلة الجمعة الماضية وبومها فالفيتها في الدرجة الثالثة وهي العليا من درجات الاستحسان عند المرحوم استاذنا الامام . فالاولى ما كان يعبر عنه بكلمة « موش بطل » وللمواليا نكتة في هذه الكلمة

(١) هي رسالة « لماذا تأخر المسلمون » التي تقدم الكلام عليها .

أذكرها لك في وقت آخر إن كانت لم تبلغك فهي خيال غريب لم يلبح في غير ذلك المخ الغريب . والثانية ما كان يعبر عنه بكلمة « طيبة » والثالثة ما كان يعبر عنه بكلمة « جيد جداً جداً » وربما كررها ولم أسمعها منه إلا مرة واحدة . فالرسالة أحسن ما قرأت لكم في الاستدلال والتأثير لا في التأنيق في التعبير . وهي من إملأ العلم والايان الغالب على الشعور والوجدان لا من إملأ التخيل الشعري في البيان . ولكنها قد كتبت بسرعة وفيها مباحث دينية كثيرة فهي لا تخلو من عبارات أحب أن أراجعكم فيها منها ما يتلى باللفظ ومنها ما هو استدراك على بعض المسائل ولعلي أوفق غداً (الجمعة) لكتابة ذلك فقلما أفرغ لمثل هذا إلا في بعض أيام الجمع واني منتظر جواباً على بعض ما ذكرته في مكتوباتي السابقة وهي خمسة على ما أتذكر والسلام عليكم وعلى صنوكم الكريم ونجلكم النجيب وزميلكم الديلمي وعلى من تكاتبون في باريز كولنا بلا فريج^(١) وصدقنا الشيخ اميل^(٢) ولا زلتم سالمين لامنكم ولاخيم الخاص

محمد رشيد رضا

(١) السيد احمد بلا فريج صاحب مدرسة « محمد جتوس » التي هي المدرسة الوطنية الرافقة الوحيدة في السلطنة المغربية وهو من مفاخر ذلك القطر علماً وعملاً وأخلاقاً وذكرنا حفظه الله لوطنه . وقد كان السيد بلا فريج زار مصر وتعارف مع الاستاذ فقدره قدره .

(٢) الشيخ اميل الخوري ابو صعب من أذكى أذكباء الشرق واكملهم ثقافة واعرفهم بالسياسة تولى مدة سنوات ادارة الاهرام اكبر جريدة عربية و كان -

ومما كتبته إليّ من القدس في أثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي الكبير
(وهذا الكتاب بلا تاريخ) :

بخي الامير المجاهد الكبير الاستاذ النحوي

وصل إليّ تقرّيبك البليغ لتاريخ شيخنا الاستاذ الامام محمداً من مصر
ثم وصل كتاب آخر فيه حوالة بمائة فرنك سويسري سأقبضها في مصر
بعد غد إن شاء الله تعالى .

فأما التقرّيب فلا أحصي ثناء على ما أطربني فيه ولا أعانبك على شيء
من انتقادك الكلام في الاستاذ الشيخ عبد الكريم رحمه الله تعالى إلا على
قولك إنني جمعتك كأبي نواس وقولك انني كنت أحمل حفيظة على
المرحوم أو ما هذا معناه . والتقرّيب ليس معي الآن وقد أعطيته لصاحب
جريدة الجامعة العربية فنشرته ولم أعلق عليه وإنما ادخرت التعليق للمنار
وأرجو أن يكون مقبولاً عندك . وسأقول كلمة في علم الشيخ عبد
الكريم أيضاً وقد عانيني على ما كتبت في هذه المسألة محمد فتح الله باشا
بركات وسأذكر في التعليق على كتابك بل تقرّيبك خلاصة ما أجبت به
من غير ذكر لافكاره .

وأما الكتاب فأذكر لك هنا من موضوعه انني وفقت لإرسال جميع
ما كان هياؤه السيد عاصم من رسالتك ورحلتك الى اميركا وغيرها وحالت
العسرة دون إرساله هو له . وأرجو أن يكون المرسل اليهم قد كتبوا
اليك بذلك . وسأرسل اليك ما طلبت من اصول رسالة « لماذا » بعد العودة

السيد الاستاذ يوده وبعبج به كثيراً كما ان الشيخ اميل كان من
أصدق أصدقاء الاستاذ وما حزن علي فقده أحداً أكثر منه .

الى مصر فقد أمرت المطبعة بحفظها كلها واني عازم على السفر غداً كما
أشرت الى ذلك في صدر هذا الكتاب .

كان تأثير هذا المؤتمر أضعاف ما قدر المتفائلون وقد خاب ما كاده
له الدسائسون وقد ختمت جلساته البارحة وستروى سائر أخباره في الجرائد
ولا ادري أكتب لك بعض الاصدقاء شيئاً من اخبار الدسائس ورجالها
وما كان من عاقبة اسرهم أم لا ؟ . ان رجلين من اكبر اصدقاء السيد
أمين الحسيني الذين سبق لهم الاهتمام بأمر هذا المؤتمر قد خرجا منه
مغبونين وهما مولانا شوكت علي وعبد الحميد بك سعيد فالاول أتهم في
مصر ثم في القدس بأنه من أنصار الانكليز الغلاة في المسألة الهندية
وغيرها وانه يحاول في المؤتمر منع التشريع عليهم وعلى الفرنسيين والطيالان
الستمرين . وظهر منه هذا في المؤتمر فتحامل عليه الوطنيون بعض التحامل
وفندوا بعض آرائه واقتراحاته على ما كان من إدلاله وآماله ولكن المؤتمر
اختراره مع سائر رفاقه من مسلمي الهند أعضاء في اللجنة التنفيذية للمؤتمر
وكان رفاقه قد سافروا قبله فصرح في جلسة المؤتمر الاخيرة عقب الانتخاب
بأنه لا يقبل الانبظام في اللجنة فعقد الاعضاء الذين انتخبوا اللجنة جلسة
خاصة في حجرة خاصة — وانا منهم — والغيا في استنابه واسترضائه فأصر
على رأيه مكرراً قوله بأنه يعمل في خدمة المؤتمر عمل جندي الخ . . .
واما عبد الحميد بك سعيد فإنه من أظهر حزب الحكومة والسراي
المظاهرين لدولة اسماعيل باشا صدقي . فلما هب الازهر للطن في عقد
المؤتمر ورميه بالتهم واستغل ذلك خصوم السيد أمين الحسيني في وطنه وفي
مقدمتهم راغب بك النشاشيبي وحزبه والشيخ الشقيري وغيره بالطن والتنفير

والتشهير حضر الحسيني الى مصر للسعي في تلافى فتنة الازهر و كان حضوره
برأي عبد الحميد بك ومن كان يشتغل معهم ومنهم التفزازاني وسليمان
فوزي صاحب الكشكول والثر وكلاهما من أعوان الحكومة - وبرأيي
أنا أيضاً ولكن من حيث لم أعلم من أمر غيري شيئاً . وقد تلقاه عبد الحميد
بك سعيد عند وصوله وجمعه باسماعيل باشا صديقي واتفقا على ما نشر في
الجرائد وكانت بسمى لمقابلة جلالة الملك فؤاد له والعطف على المؤتمر
ومساعدته كما قال لي هو والتفزازاني فقال دون هذا أن أجاب الحسيني
دعوة مصطفى باشا النحاس وفتح الله باشا بركات ونجلاه بهي الدين بركات
الى طعام ودعوة مكرم عبيد سكرتير الوفد الى الشاي . ثم ذهب عبد
الحميد بك سعيد الى القدس للسعي للتأليف بين الحسيني وخصومه وسافر
ايضاً الى القدس سليمان افندي فوزي واجتمعوا مزاراً بالمعارضين وصاروا كتب
اليك ببقية القصة إن لم تكن بلغتك فقد شغلني الزائرون ليلاً فلم أتم
الكتاب . والآن أذهب الى المحطة والسلام ؟

اخوك

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إلي في ٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤٩ و ٢٦ سبتمبر ١٩٣٠ :

سيدى الاخ الامير

حيالك الله وبارك لك في سفرك وإقامتك وغدوك ورواحك وصباحك
ومسائك وبارك لآمالك وملتك في عمرك وجعل في سبيله ما تبذله لها من
عملك وما تخطه بقلبك الذي بذت جميع الافلام وكنت به أمير البيان

وانني لم أكن في وقت من الاوقات أشوق اليك واحرص على القرب منك مني في هذه الايام التي رحلت فيها الى الاندلس حيث آثار أمتنا التي تفاخر بها جميع الامم . ولكنني لم أكن في وقت من الاوقات أعجز على السفر مني في هذا الصيف لقلة المال وسفر اكثر العيال الى رمل الاسكندرية للاصطياف ومعهم السيد عاصم وهذا اليوم موعد عودتهم لان المدارس الابتدائية تفتح في نهار غد ولكن إجارة الدار التي يسكنونها تنتهي في آخر سبتمبر ويحتمل ان يبقى بعضهم فيها أربعة أيام أخرى . ومتى جاء السيد عاصم رجونا أن نظفر بكتاب (السفر الى المؤتمر)^(١) بتوصية الوراقين الذين يشترون الكتب القديمة من التركات أو ما رحلة البنانوني^(٢) فهي موجودة في السوق ويمكنني إرسال من يشتريها في كل وقت ولكنني أنتظر العثور على الكتاب الآخر و كنت أظن انه يوجد عندي نسخة منه وقد بحثت عنها فلم أجدها . وقد عاد أحمد زكي باشا من فلسطين في هذا الاسبوع وزرته مساء امس راجياً أن أجده مناسبة أطاب فيها الكتاب منه فلم أجدها ففضلت الانتظار ريثما نياس من وجوده عند باعة الكتب القديمة وبمناسبة ذكره أقول ان صاحب الشورى كان قد كفى عنه إرضاء لك ثم ثبت له ذنب جديد هاجه فلم يستطع علاجه .

(١) السفر الى المؤتمر رحلة للاستاذ المرحوم خادم العلم طول حياته الملقب كان بشيخ العروبة وقد ذكر فيه أيامه بالاندلس وكتب أشياء عنها نقلناها الى كتابنا الذي ظهر مؤخراً « الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية » .

(٢) هي رحلة لييب بك البنانوني الكاتب المؤرخ المشهور .

وصل إلي ثلاثة كتب منك اولها من أول بلاد الاندلس^(١) على ما
أذكر وفيه أن عنوانك الثابت «مكتب البريد في مدريد» وليس فيه ما
يقضي الجواب الا أنك سألت عن وصول مكنوباتك الاخيرة من لوزان
ولا سيما المكتوب الذي فيه مكنوبات الاسناذ الامام وكننت اخبرتك
بوصولها وعلمت ان المكنوبات تحول اليك حيث كنت والاخير ان وصلا
في بريد واحد مع الكتاب الذي ارسلته الى صديقنا عبد الحميد بك
سعيد . وكنا شرعنا في القيام بالواجب في مسألة البربر وأصدرنا النداء
الذي أمضاه معنا كثير من الفضلاء واكثره من إملائي وفهمت انك
بعد هذين الكتابين لا تلبث أن تعود فأخزت الكتاب اليك راجياً ان
يصل بوصولك الى لوزان أو بعده بقليل وان يرسل معه الكتابان .

إذا لم يكن مقتضي لكتابتي لك في هذه المدة إلا حنبني وأمنيني
انتي أشرت اليها في أول الكتاب ومناجاتك بالشعور المشترك الذي سبقت
الى ذكره وصدقت في أنه لا يوجد من اخوانك من يساهمك فيه مثلي .
وأنى لي أن أفرغ للتعبير عن هذا الوجدان وأنا غارق في بحر لحي من
كثرة الاعمال حتى انني اشتغل بتصحيح المطبوعات في ناشئة الليل وأتمه في
البحر أو بعد صلاة الصبح وكثيراً ما كنت أهوّم فيقع القلم من يدي
وشاهد ذلك لا تزال في بعض ثيابي وقد كتبت هذا في ضحوة يوم
الجمعة وعسى أن أدرك البريد الجوي والسلام عليك وعلى ولدك النجيب
سلكما الله لاخيكم الخالص

محمد رشيد رضا

(١) أتذكر أنني كتبت كتاباً الى السيد رشيد من مرسلة التي كان العرب -

وكتب إلي في ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤٩ و ١٦ أكتوبر ١٩٣٠:

سيدي الاخ الامير

كتب اليك منذ ثلاثة أسابيع كتاباً باركت لك فيه بالدعاء المناسب في شأن رحلتك وعودتك وأشرت فيه الى شعوري وأمنيته الموافقين لشعورك وأمنيته في الصحة وذكرت فيه ما وصل من مکتوباتك الثلاثة في أثناء السفر وعذري في ترك الكتابة اليك في مدة السفر ووعدت فيه بالبحث عن كتاب السفر الى المؤتمر وكنت أوصيت وسألت عنه بعض باعة الكتب القديمة وقد أرسلت الكتاب في البريد الجوي وبعد إرساله ذهبت بنفسي الى جهة الازهر للبحث عن الكتاب فوجدت نسخة منه أرسلناها مع رحلة البتانوني الى لوزان ولم تفضل علي بكتاب بعد عودتك المباركة تبشرني فيها بسلامتك وصحتك ولا بمرجوع كتابي الجوي . ولكنني أرى أخبار مکتوباتك لغيري وأقرأ مقالاتك المفيدة في الشورى وفي الجرائد التي خلفت الكوكب وقد أتيج لي ما لم أوفق له قبل من قراءة مقالاتك عن بلاد الاندلس لأنها كانت تأتي وأنا غارق في العمل الذي لا يمكن تركه ولا الجمع بينه وبين غيره . قرأت أكثرها في جلسة واحدة في يوم لم أنزل فيه الى مكّتي ثم أتممت الباقي في جلسة أخرى فكان لي عند قراءة بعضها من إرسال الدموع الحارة ما وددت لو شاركتك فيه هنالك .

أوحشت قلمي فترة انقطاع مکتوباتك في هذه المدة فوق الوحشة

- يقولون لها « الشجر الاعلى » وكانت قاعدة ملكهم في شمالي الاندلس .

المعتادة لانني على حرمانى من التمتع ببلاغتها وفوائدها والانس بها أخشى
أن تكون متممداً لعقابي على تقصيري وإن كنت وعدت في كتاب سابق
بأن لا تؤاخذني في مثل هذا التقصير ولا انتقاضي حقك في الجواب عن
كل كتاب .

أكتب هذا بعد الظهر وقبل الغداء وأنا 'معي' من كلال الذهن وتعب
اليدين لا من الجوع . وكنت أكتب الرسائل الشخصية في الغالب بعد
العصر ولكنني سأذهب اليوم في هذا الوقت الى سفارة أفغانستان لحضور
الاحتفال بعيد الملك محمد نادر خان وفقه الله تعالى . وقد جاءني اليوم كتاب
من الاخ الامير عادل يفتني فيه بعودته الى لوزان وبعد بالحي الى مصر
في الخريف ولكنه لم يذكر فيه عنك سلاماً ولا كلاماً . فأنا أشكر له
ذكره اباي بكتابيه وأوافقه على كلمته الوجيزة وسيرى في الجزء
الثالث من المنار ما يدل على اتفاق الرأي وما يسرّك ويسره إن شاء
الله تعالى واعتذر اليه عن كتاب خاص الآن ولكنني أرسل اليكما كتاباً
من محمد باشا عز الدين في أنبائهم الاخيرة وكان قد جاء مصر ومكث
مدة يستأذن في السفر الى الحجاز فلم يؤذن له . والسلام عليكم وعلى أخيك
الامير عادل ونجلك الامير غالب وأدام الله تفعمكم وجهادكم لهذه الامة
ودمتم لآخيكم الخالص ؟

محمد رشيد رضا

وكتب إليّ في ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٤٩ و ١٨ اكتوبر ١٩٣٠ :

سيدي الأخ امير البيان

كتبت اليك أول من أمس (يوم الخميس) كتاباً « الى أن يقول » :
وانه ليسرك أن تعلم أن أحد علماء الصين قد ترجم رسالة « الصلب
والفداء » باللغة الصينية ونشرها في جريدة له يصدرها مع بعض اخوانه
وتلاميذه ترجمها للرد على المبشرين الذين كثروا في بلادهم ونشطوا للدعابة
واكثروا من الطعن في الاسلام فلما نشر هذه الرسالة قطعت ألسنتهم
وكسرت أفلامهم فكفوا عن الطعن في الاسلام ولكن هذا العالم الصيني
قد وصف لي مسلمي الصين وصفاً مخزياً يسوء كل مسلم من جهلهم بالاسلام
وافتنان رجالم ونسائهم بالنفراج كغيرهم وقد أرسل إليّ أخيراً اسئلة
سأفتيه فيها فتراها في المنار .

هذا وانني قرأت في بكرة امس (الجمعة) آخر مقالائك عن رحلتك
في جريدة الوطن التي تصدر الآن في إدارة كوكب الشرق بعد تعطيل
الحكومة للمؤيد الجديد فتذكرت شيئاً آخر كنت نسيت أن أذكره
لك وهو انني كتبت للملك صديقنا ملخص قضية البربر وانه سيصل اليه
نداء من مصر في شأنها وأنه يجب أن يهتم بهذا الامر ويشدد في إنكاره .
فكتب إليّ بعدني بذلك ثم كتبت اليه صورة كتاب استحسن أن
يرسله الى رئيس جمهورية فرنسة فخافني منه كتاب بتاريخ ١٧ جمادى
الاولى قال فيه : « وان ما ذكرتموه من الامور الاخرى في كتابكم هو موضوع
على البال وإن شاء الله ان الله يوفق في شأنه ما فيه الخير والسداد » .
وسأكتب بعد غد كتاباً أذكر له فيه انه لو كان بادر الى مخاطبته في

المسألة لكان يرجى أن يكون أشد عناية بما ينفع المسلمين أو يدفع الشر عنهم ولاعتقد العالم الاسلامي أن كتابته له هي السبب لسفره ولعنايته الخ . ولعلك كتبت أنت اليه شيئاً في ذلك . وأرى انه يجب علينا ان نفكر في شيء عملي مما أثمرنا اليه في النداء العام لكيلا نسجل على جميع المسلمين ان ليس عندهم إلا كثرة الكلام والاماني والالوهام .

وتذكرت أيضاً أن أشير الي ما اخترته من مقالات الاندلس للنشر في المنار مع القصيدة وإنما عارضنا فيه كثرة المواد في مسألة البربر ومسألة المؤتمر الانقارصني^(١) ولما نشرع في هذه . والسلام عليكم وعلى الشقيق المجاهد والنجل النقيب وأطال بقاءكم ولاخيتكم المخلص ؟

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٤٩ و ١٨ نوفمبر ١٩٣٠
(الثلاثاء) :

سيدى الاخ الامير

كتبت يوم الخميس الماضي كتاباً أرسلته اليك ووعدت فيه بكتابة استدراك على رسالة «لماذا تأخر المسلمون» ولم أجد يوم الجمعة الفراغ الذي كنت أرجوه ولكنني اخذت أوراقاً من كراس مدرسي للاولاد كتبت فيه ليلاً ما عن لي وأنا في حجرة السرير فاستكثرت ولا أراني أجد وقتاً لاختصاره وتبويضه إلا أن يكون في يوم جمعة آخر . وقد

(١) الذي انمقد في تونس وساء وقعه لدى المسلمين وان كان عمل لوسيان سان للقيم العام في المغرب في قضية إلغاء المحاكم الشرعية ببلاد البربر أسوأ وفقاً .

وصل في مساء امس كتابك (رقم ٩ نوفمبر) وهو مرجوع مكتوباني السابقة
فاذا فيه مسائل مهمة لا يجوز إرجاء البحث ملك فيها ولا سيما مسألة
الحجاز وقد كنت أنوي أن أكتب شيئاً عنها في كتابي الاخير وقد
كتبته بعد ذهاب العمال مساء فاضطرت الى ختمه قبل الصعود من
المكتب لصلاة المغرب لثلا يتأخر يوماً آخر وأياماً وأرى أن أتترك في
هذا الضحى عمل المطبعة لكتابة ما أراه ضرورياً في هذه المسألة وغيرها
بما في الكتاب وأبدأ بما بدأت به فأقول :

(١) إذا جعل الله لنا مع هذه العسرة يسرين كما يشير اليه سورة
« ألم نشرح » فأرجو أن أوفق لصحبك في رحلة الاندلس في الخريف
القابل وقد ذكرت في كتابي الماضي كلمة في هذه العسرة ورأيت مثلها
في كتابك الذي أممي وان أهم ما يهمني فيها ان علي قسطاً من ثمن الدار
يستحق في أول يناير سنة ١٩٣١ وهو زهاء ٤٠٠ جنيه ويليه أفساط
لدبون تجار الورق منجمة على الاشهر وفضل الله عظيم لا رجاء في غيره
حتى ان السيد عاصم يشك في اخذ القسط السنوي من مستأجر بستان
لي في القلمون وهو زهاء خمسة آلاف قرش والكتاب الذي نطبعه لجلالة
الملك الآن قد أخذنا نفقته سلفاً ولدينا كتاب آخر من عنده لا يمكننا
اخذ قسط من نفقته إلا بعد إتمام الذي عندنا . وقد ابطأت المطبعة فيه
لنقليل العمال ولاشغالها في الشهرين الماضيين بتأريخ الاستاذ الامام ثم
أرجأنا إتمامه لان رواجه لا يرجى في هذه العسرة إن أمكن نشره في
هذه الازمة السياسية وما فيها من الضغط والاهواء المتناوحة وهذا مما
أرتاب فيه .

(٢) ما ذكرته في مسألة ٠٠٠ مؤثر وأكثير ما ذكرتموه فيها وفي ذيلها معروف عندنا بالجملة والتفصيل وهو جدير بالنشر لحاجة الجمهور اليه ولعلي أخلصه لحافظ بك عرض .

(٣) زارني في الشهر الماضي مصطفى بك عز الدين المثرية الطرابلسي تعرضت له بما يجب عليه من بذل شيء خدمة الاسلام فأظهر ارتياحاً لعمل شيء في الحجاز ورغبته في الحج لولا الحر الذي لا يطيقه . وبهذه المناسبة ذكرنا فكرة الامير وغيره في إنشاء فندق في ضواحي مكة يكون حاوياً لجميع ما يعتاده المسافرون المترفون من أسباب الراحة والنظافة — وانه يقال إن أصحاب البيوت بمكة يكرهون ذلك لما يترتب عليه من كساد بيوتهم وان الملك يراعيهم في ذلك فقال : انه يمكن جعل الفندق شركة مساهمة يأخذون ما شاؤوا من مهورها وإذا دفع بعض الاغنياء مثلي شيئاً من المال في تأسيسها يجعله حصة يصرف ربحه في بعض وجوه البر هنالك . وذكر مسألة سكة حديد تنصل بالمدينة المنورة . ورغب إلي أن اكتب الى جلالة الملك بذلك وقال انه يرغب أن يذهب معي الى مكة في رمضان نعتصر وتزور مسجد الرسول (ص) وقبره ونكلم الملك في هذه المصالح وذكرت له في سياق حديث البر وخدمة الاسلام مسألة المبشرين . وقد سافر في أثر ذلك الى سورية مع لجنة بنك مصر لفتح فرع دمشق للبنك وينتظر أن يعود إلى مصر بعد عودة اللجنة فتعود الى الحديث معه لعل الله تعالى يوفقه لشيء فهو غني كبير منهمك وقد كبرت سنه وترك العمل الآن لولده .

(٤) من هنا تنتقل الى مسأله جمع المال لامثال هذه الأعمال فأقول

إنه يجب السعي لدى كبراء الاغنياء بمصر وغيرها قبل كل شيء ثم يجب وضع نظام لجمع المال القليل من العدد الكثير من غير الاغنياء فإن التبرع الموقت بالتأثير في الاجتماعات لإلقاء الخطب والمحاضرات قلما يأتي بشيء فيه غناء في مثل هذا الوقت الذي عمت العسرة فيه جميع الطبقات . وأنا على موعد مع الاخ الممام عبد الحميد بك ^(١) للاجتماع عندي في مساء هذا اليوم ثم الذهاب الى جمعية الشبان لعقد مجلس الادارة والمذاكرة فيه بالتمهيد لمقاطعة البضائع ٠٠٠٠ وكنت سألته عما سألتك عنه من جمعية الترك التي كانت في برلين فألفيته على علم بها ويقول ان عنده شيئاً مكتوباً في نظامها ووعدني بالبحث عنه .

الى ان يقول :

(٧) أنتقل من هذا البحث والتذكير الى ذكر ما أفكر فيه كثيراً من أمري وأمرك وما أحب ان نختص به أعمال شيخوختنا من التعاون على خدمة أمتنا وملتنا بما آتانا الله من علم وبيان واختبار وطالما فكرت في أمر اجتماعنا للتعاون وكنت أود لو يكون لنا ان نقيم بقرب ٠٠٠ فنشتغل

(١) ما يثارى أحد في خدمة عبد الحميد بك سعيد للاسلام وكونها خدمة نصوحاً مستمرة لا تشوبها شائبة ولا يطرأ عليها فتور أقول هذا وإن كنت غير راض عنه بما تسرع به من تصديق كلام المفسدين عن المؤتمر الاسلامي الادري الذي انعقد في جنيف من سنتين تحت رئاستي وكان المقترح لعقده محمود سالم بك العرفاني المصري والمساعد له فيه عبد الباقي بك العمري الفاروقي وهما اللذان أقتعاني بقبول الرئاسة .

بالكتابة ونسدي النصيحة التي أشرت إليها آنفاً . ولكن هذا أمر عسير ولا أزال أسمى وأمهّد السبيل لإقامتك في مصر وأمس اجتمعت بأخيها عبد الحميد بك وقرأت له ثناءك عليه في الكتاب الأخير وذكّرت له ما لا يبجل ولا ينكر من فوائد وجودك هنا كما كنت كلمته بهذا في العام الماضي وألححت عليه بما لا حاجة إلى تفصيله ولكنني أقول في أصل هذه المسألة : إن أهم ما أفكر فيه من التعاون أنت تؤلف كتاباً في تاريخ الإسلام^(١) يرجى باجتماعنا على تأليفه أن يكون على مقربة مما كان ينويه شيخنا الاستاذ الامام فانت أعلم مني بالمادة التاريخية له وأنا أعلم منك بالمادة الدينية وإنما كان يفوقنا استاذنا قدس الله روحه في هذا الموضوع في روحه وحكمته لا في مادته . ولعلنا باجتماعنا وتعاوننا نكون كما كان يجب . وكم قال عني انني أكتب في المواضيع أو الموضوعات التي لا يجد فراغاً لكتابتها كما كان يريد أنت بكتب . وقد جدد كتابك الأخير هذه الامنية في نفسي وما كنت ناسياً فأذكر لكن لوعة تضايف وقد قال صديقنا انه تكلم في العام الماضي مع من تعلم فقال انه لا مانع عنده . . .

(١) كتب إليّ ايضاً في تأليف تاريخ للإسلام بقرأ في مدارس العالم الاسلامي - ابن عمي الامير امين مجيد ارسلان سفيد تركية السابق في بلاد الارجننتين وصاحب مجلة الاستقلال التي تصدر في بونس ايرس وهو من سعة العلم وأصاله الرأي بالمقام الاول وقد اتفق رأيه في هذه المسألة مع رأي السيد الامام ولكنني قبل أن اكمل كتابي عن الاندلس الذي سيكون عدة مجلدات وإكمال كتب اخرى كنت بدأت بها لا أقدر على مباشرة هذا التأليف المدرسي في تاريخ الاسلام ولكن قد يكون ذلك إذا أنسا الله في الاجل ؟

قلت له هذا لا يكفي بل يجب إقناعه بأن وجودك هنا يدخل النهضة
الإصلاحية الإسلامية في طور الجذب الذي يحبه ويجب أن يكون أقوى
ساعد وعضد ومرفق له . فقال صديقنا انه سيسعى لذلك قريباً .

(٨) اقترحت البارحة على مجلس إدارة جمعية الشبان المسلمين التمهيد
مع التجار الوطنيين لمقاطعة البضائع بنظام يرجى نجاحه بل اقترحت
أيضاً تنظيم الجمعية بمثل النظام العسكري في رؤساء العشرات والمئات
والآلاف الخ فقبل المجلس هذا وذاك .

(٩) طبع رحلة الحجاز - كتبت أبا الحسن فيها واتفقنا على أن الرأي
أن نقرأ الأصول كلها أولاً ونصحح وتزهد فيها ما شئت وترسلها تامة
وعند ذلك يمكن تقدير ملازمها ونفقتها إذا بينت العدد الذي تريد أن
يطبع . وأما البدء بطبعها وإرسال الملازم الى لوزان بعد جمعها في المطبعة
وقبل طبعها فهو ممتذر لانه يقتضي تعطيل الحروف زمناً طويلاً .

(١٠) القصيدة الاندلسية حفظتها لاجل نشرها في النار وفطنت لشدة
الحاجة الى تعليقك عليها بما ذكرت في الكتاب ولم أشأ ان اقترح ذلك
عليك فانني غير راضٍ عن اجتهاد نفسك في الكتابة الى هذا الحد الذي
اعرفه وانت أعرف بضرره .

(١١) وانتقد كذلك أشد الانتقاد هذه النفقات على مجلتكم^(١) الفرنسية

(١) هي مجلتنا « لانسيمون أراب » التي نشرناها أنا وزميلي احسان بك
الجايزي من سنة ١٩٣٠ فأقبل الناس من المسلمين والاجانب على مطالعتها لانهم
رأوا فيها لسان حال العروبة والاسلام في اوروبا وكانت تظهر لنا علامات اهتمام
الدول الاوربية بها بما كان يكتب اليها من تلك الدول في السؤاال عن أعدادها

وهي فوق طاقتكم والامة التي تخدمونها والوطن الذي تحبونه بخدمة هذه
المجلة كدود لا يستحق امله تضحية مثلكم في كل هذا واثم ما هو خير له
ولكم مما بدوم نفعه .

(١٢) احب ان تكتب الي عناوين ما تعلم من الجمعيات الاسلامية في
اقطار العالم مما اشرت الي بعضه في هذا الكتاب وكذلك عناوين بعض
الرجال الذين يهتمون بأمر العالم الاسلامي وبالاسلام لارسل اليهم المنار
ومثل رسالة الصلب والفداء وخلاصة السيرة المحمدية هدية .

(١٣) مكتوبات الاساذ الامام ربما لا نحتاج الي نشر ما ينبغي نشره
منها الا في الجزء الرابع المتعم لهذا التاريخ الذي ينشر فيه بعض القصائد
التي مدح بها ومكتوبات الادباء والعظماء له وبعض وثائق الجزء الاول
في ترجمته وقد ينشر بعض ما فيها في الكلام على اصحابه ومريدبه في
فصل الامور العامة من الجزء الاول وعندما نصل اليها أخبرك بذلك . وقد

— والالحاح في إرسال ما يفقدونه منها ولما كنا نعلم أهمية وجود مجلة في
أوربة نكتبكم بلسان الاسلام وتدافع عن حقوقه وحقائقه وهي محررة بأشهر لغة
أوربية كنا ملتزمين إصدارها لفائدتها السياسية والأدبية ولم تكن بدلات الاشتراك
بها توازي نفقاتها عليها كما هو معلوم من تقصير المسلمين في تأدية بدلات الاشتراك
في الصحف وهذا مما كان يعلمه صاحب المنار أكثر من غيره فقد ضاع له عند
المشتركين بالمنار أموال لا تحصى كما أننا من سبع سنوات نفق أنا وزميلي من
صلب مالنا الخاص على مجلتنا (لأناسيون آراب) لا سيما بعد أن منعت الحكومة
الفرنسية دخولها إلى شمالي أفريقية وإلى سورية ومنعت الحكومة الانكليزية دخولها
إلى فلسطين وقد كانت قبل هذا المنع لا تقوم بنفقاتها فكيف من بعده ؟ .

ارجأت بعض ما أرسلته إليّ لينشر في هذا الفصل . صار وقت المغرب
فأختم الكتاب بالسلام عليك وعلى صنوك الحبيب ونجلك النجيب^(١) وسأعائبك
في كتاب آخر على ما انتقدته من لينك معه وسامحك الله لاخيك

محمد رشيد رضا

* * *

وما كتبه إليّ عندما طبعت عنده رسالتي «لماذا تأخر المسلمون»:

تصحيح واستدراك على رسالة لماذا تأخر المسلمون . . .

(١) سرفني اني لم ارَ غلطاً في الآيات الكثيرة في هذه الرسالة الا
في ثلاث آيات وأذكر انني كنت اسر بفاظ كثير في الآيات القليلة التي
أرادها في المذكرات والمخاطر التي تنشرها لكم جريدة الشورى وانما كان
يقع عليها نظري في وقت العمل فلم اتمكن من كتابتها لطلب تصحيحها
فهذه الاغلاط قد صححتها في اثناء القراءة .

(٢) في غير الآيات اغلاط كثيرة عليكم قليلة على غيركم منها ما هو
قطعي ومنها ما له وجه قوي او ضعيف (فمنها) قولك في خونة الغرب ثم
الشرق «خزاهم الله» والمعروف في القرآن وغيره : خزي فلان خزيّاً وأخزاه
الله . ولولا ان تكررت هذه الكلمة لجزمت بأنها من سهو القلم بل هي

(١) لا بكاد يمر مكتوب من مكتوبات السيد رحمه الله من دون ذكر
ولدي غالب ووجوب الاعتناء بتربيته وتنشئته وهذا دليل من ادلة لا تخصني على
ما كان عليه السيد الامام من مكارم الاخلاق وحسن العهد وكمال المروءة وهكذا
فليكن العلماء المرشدون وهكذا فليكن الاصحاب المخلصون .

منه وإن تكررت لأنها ليست من الخطأ المشهور^(١) (ومنها) قولك حطام فانية والحطام مفرد (ومنها) قولك لا نسلم بكذا — والتسليم يتعدى بنفسه وهذا الاستعمال من اصطلاح علماء المنطق والمناظرة ومنه القضايا المسلمات التي تستعمل في الاقضية الجدلية بقولون سلحنا كذا لا نسلم كذا . (ومنها) ضبطك للجبري^(٢) بفتح الباء كأنك ترى إسكانها خطأ وهو الاصل القيامي لانه نسبة الى الجبر ولكنهم قالوا : إذا قيل جبرية وقدرية جاز فتح الباء للازدواج فهو خلاف الاصل (ومنها) قولك : الرجوع للقرآن . والقرآن يمدى هذا الفعل بالي وهو مكرر فيه كثيراً فيجب جعل الرجوع اليه بلفته . وقد راجعت شيخنا مرة في كلمة فعل « نصح » استعماله في مقال له متعدياً بنفسه فقلت له : ورد في اللغة نصحه ونصح له والثاني هو استعمال القرآن فكيف ترى ؟ قال صححها فإنني لا أخالف القرآن ولو الى صواب (ومثله) في التعدية « حدثوا أنفسهم في تنصير البربر » والتحديث يمدى بالباء وقد يجتمع مع الظرفية إذا كان المقام يقتضيهما . (ومنها) قولك : « لم تكن خيانة هؤلاء المعممين في قضية دينية رأساً »^(٣) وهذا الاستعمال

(١) إن هذا لكما قال .

(٢) أضبطها بفتح الباء لأنها هكذا عند علماء اللغة وقال ابو تمام :

قواطع لا يتركن ذا جبرية سليماً ولا يجربن من لم يحارب
فلو كانت بسكون الباء لم يستقم وزن الشطر الاول .

(٣) أصاب الاستاذ فإني لم أجد هذا الاستعمال في الكتابات القديمة وإنما

« الرأس » هنا بمعنى « الابتداء » وعليه فالوجه فيه ظاهر . وكذلك « الطيلة »

هي العمر واستعمالها للمدة ممكن .

مألوف عند الناس وأنا لا أعرف له أصلاً ولعل عندك فيه ما ليس عندي
فإنك أكثر مني بحثاً في أصل أمثال هذا الاستعمال وبقرّب منه استعمال
« طيلة » بمعنى مدة وقد استعمل عند العرب بمعنى العمر فهو قريب .

الاستدراك

استحسن أن يزداد في بعض المواضع من شواهد آيات القرآن وغيرها
ما هو قوي جداً فيها ولا نظير له في الرسالة ومنها ما هو أقوى في
الموضوع مما أوردتموه .

(١) فمن الأول ما يناسب المعركة العجيبة الذي ذكرتموه في موضوع
حرب طرابلس الغرب إذ غلب المسلمون جيشاً من الطليان بفوقهم عشرين
ضعفاً وقتلوا منه عشرة اضعاف عددهم فيحسن أن نذكر في آخر الخبر
آيتي سورة الانفال في غلب المؤمنين لعشرة اضعافهم في حال القوة والعزيمة
ولضعفهم في حال الضعف والرخسة راجع سورة الانفال (٦٥ و ٦٦) وتجد
تفسيرهما في الجزء الثامن من المجلد ٢٩ من المنار .

(٢) ومنه في الرد على زعم جول سيكار ان العلم في القرآن لا يراد
به الا علم الدين : يحسن أن يذكر في الرد عليه مثل قوله تعالى في سورة
فاطر (٣٥) : « ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات
مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض — الى قوله — إنما يخشى الله من عباده
العلماء » فذكر العلم في هذا السياق في عجائب المخلوقات يراد به العلم بها
وبالسنن الحكيمة في هذه المواليد كلها . وأمثالها كثير بل الآيات في اسرار
المخلوقات والارشاد الى معرفتها والانتفاع بها أكثر من الآيات الواردة في
الاحكام الشرعية (راجع ص ٥٧٣ من الجزء التفسير التاسع) .

(٣) ومن النوع الثاني قوله تعالى في الشواهد على العمل في الارض لاستخراج غلاتها وكنوزها ومعادنها والانتفاع بها قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا » وقوله : « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه » ولعلك تجد وقتا لمراجعة تفسير الاولى في ص ٢٤٦-٢٥١ من جزء التفسير الاول فنجد فيه من الشواهد التي يحسن ايرادها هنا قوله تعالى في سورة الاعراف : « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ... »

(٤) ومن قوله الشواهد على ان ما اصاب المسلمين من الضعف إنما كان من نقصيرهم في العمل قوله تعالى (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) وقوله (أو لما اصابكم مصيبة قد اصبتم مثلها فأنى هذا ؟ قل هو من عند انفسكم) والمراد بهذه المصيبة ظهور المشركين على الصحابة في غزوة احد وفيها شج رأسه (ص) وكسرت رباعيته ...

وهناك عبارات لا خلاف في مفرداتها ولا في جملها ولكنها قد توهم غير مراد الكاتب كقول الامير أيد الله به العربية في لغتها وتاريخها وسياستها : « ولولا الخلف الذي عاد فدب بينهم في أواخر خلافة عثمان وفي خلافة علي (رض) لكانوا اكملوا فتح العالم » . فهذا التعبير يوهم ان الذي كان المانع من فتح العالم هو الخلف الذي دب بينهم في زمن الخليفةين فقط . وهو غير مراد . واطن انه لو قيل : منذ اواخر خلافة عثمان لزال هذا الابهام وانه أولى وإن كان تأويل الاول ممكنا . فالمرجو بيان ما نقرونه في هذه المسائل من غير استدلال فوقت كل منا لا ينبغي ان يضيع شيء منه في هذه المباحث اللفظية .

هذا : وأما ما انتقده او استدرك عليه من جهة المعنى فأهمه جوابكم ان يقولون : ان النهضة لا ينبغي ان تكون دينية بل وطنية قومية — فانه صريح في ان النهضة الدينية غير مقصودة لكم في نفسها وإنما المقصود هو العلم الديني وما تكن وسيلته وانكم لم تذكروا دعوة القرآن إلا بسبب سلمي في المعنى وهو انقاء « الاباحة والاحاد وعبادة الابدان واتباع الشهوات » وان هذا من قبيل اختيار أخف الضررين لقولكم عقب ذلك « مما ضرره يفوت نفعه » وفهموه ان الاباحة والاحاد وعبادة الشهوات فيها نفع وضرر ولكن ضررها يفوت نفعها اي يسبقه . وبما اعتقد ان هذه عقيدتكم ^(١) وما هو بالذي يصلح جواباً عن سؤال مسلم يطلب بيان ما يرتقي به المسلمون في دنياهم مع المحافظة على دينهم والدين عنده هو المقصود بالذات لسعادة الآخرة والدنيا وإنما يريد الدنيا لانها سياج له ولانه دين ملك وسيادة . . . وأرى ان هذا القصور في هذه المسألة — وأرجو العفو عن هذه الكلمة — لم يكن له من سبب إلا مجيئها في آخر الرسالة وشعوركم بانها صارت طويلة فوق ما قدرتم لها وإن كانت (هذه المسألة) اولى بالاطالة من غيرها وقد مردتم من الآيات الكريمة في العمل ما استغرق صفحة كاملة يكفي في المقصود منها نصفها او ربعها لان السائل وغيره ممن يخاطبون بهذه الرسالة ليسوا من الجبرية في شيء . . . وليس من الجامدين ولا من المزهدين في الدنيا بل هو يفهم هذه المسائل كلها فهماً صحيحاً

(١) لست ممن يقول بأن الدين ضروري لمجرد منعه اتباع الشهوات بل الدين واجب من الجهة العقلية ايضاً غير اننا استجلبنا النظر الى هذه النقطة لانها محسوسة لا مجال للمكابرة فيها .

لانه من تلاميذ أخيكم هذا كان في مدرسة الدعوة والإرشاد ويقرأ
للمنار وتفسيره ولكنه لا يستغني هو واستأذه عما في الرسالة من الشواهد
والعبر التاريخية والسياسية ولاجلها اقترح عليكم ما اقترح وهو هو الذي
ترجم رسالة الصلب والفداء باللغة الملاوية .

ثم إن هذه المسألة أهم مباحث هذه الرسالة وهي هي التي كان وجهها
أحد الكتاب في جريدة العهد الجديد إذ قال ان بعض المسلمين يدعون
في هذا العصر الى الترفي من طريق الدين ويرون انه يجب عليهم اخذ
ما يوافقه من علوم اوربة ومدنيتها وترك ما يخالفه وذكر انها طريقة الشيخ
محمد عبده والمنار وبعضهم يرون انه يجب اخذ مدينة اوربة بمخافيرها لانها
لا تنجزاً ووجه اليكم السؤال : اي الطريقتين أقوم ؟ وقد كانتكم يومئذ
في المسألة والكنكم امتنعتم من الجواب عن سؤاله لانكم لم تعرفوه ^(١) .
فأرى انه يجب الان ان تعيدوا النظر في الجواب وتبسطوا بسطاً كافياً
شافياً ولو مختصراً والتطويل أولى وأذكركم فيه بالنقط الآتية :

(١) إن الكلام في نهضة المسلمين عن حجج القرآن أقوى مقنع لهم
بالقيام بها واعظم مؤثر في انفسهم على اختلاف اقوامهم .

(٢) إن إقناعهم بالنهضة من طريق الدين لا بنافي قيام كل منهم بما
يرقي انفسهم وأوطانهم وإن كان فيها من لا يدين بدينهم عن قد سبقهم

(١) أتذكر أني أجبت بان الحربة الثامة غير موجودة في الدنيا وان
الحربات كلها نسبية وان سويسرة أعرق بلاد في الحربة والحال ان قانونها بقيد
الحربة الدينية بقوله : انها مطلقة إلا اذا خيف منها على الامن والنظام .

في النهضة الدنيوية كما تقدم بسطه فكان سبب تخلف المسلمين عنهم جهلهم بأن دينهم يدعهم الى أن يكونوا السابقين لغيرهم .

(٣) انهم يربحون بالجمع بين النهضة الدينية والدنيوية بهدابة الاسلام بقاء تعاطف شعوبهم وأقوامهم الكثيرة وقوادهم وتعاونهم وفي ذلك من القوة الروحية والاجتماعية والسياسية ما لا يخفى واعظم شعوبهم رجاء من هذه الخطة الشعب العربي^(١) .

(٤) مافي الاسلام من الوقاية من مفسد الحضارة المادية واططار النزعات البشفية وغيرها .

(٥) فوائد الدين الاخرى التي ذكرتموها وهي صيانة الامة من الالحاد وإباحة المنكر والفساد الخ وأراني قد أطلت أكثر مما قدرت فأقتصر على هذا مما كان خطر يبالي عند قراءة الرسالة وغرضي التذكير بما يجعلها اتم فائدة والرأي لكم وانتي متظر جوابكم . على انني سأبدأ في هذا الاسبوع عقب وصول الجواب ولا يصدني عن ذلك قبولكم بسط المسألة الاخيرة لان موضعها في آخر الرسالة ؟

* * *

(١) هذا قد ذكرناه مراراً وآخر مرة في السنة الماضية اذ قلنا ان الجامعة الاسلامية ليست بمخطر على غير المسلمين من العرب بل هي عضد للشعب العربي بأسره فلماذا يعطف مثلاً مسلمو الهند والجاوي والفرس والترك والبشناق والارناؤوط على فلسطين ؟ الجواب : لانها مسلحة لا لأنها عربية . واستشهدنا بقول المسيو جريان للمسيو هريو في البرلمان الافرنسي : لا تقدر ان تقطع علاقاتنا بالفاتيكان لان استعطاف الكتلركة من اهم المصالح لفرنسا أفلا ترى ان ٢٥ —

وكتب إليّ في ٩ رجب ١٣٤٩ و ٣٠ نوفمبر ١٩٣٠ :

سيدي الأخ الامير

وصل كتابك المؤرخ في ٢٠ نوفمبر يوم الاربعاء الماضي ولعل كتابي المطول الذي أرسلته مسجلاً وأودعته ملاحظاتي على الرسالة قد وصل اليك في يوم الاربعاء الذي وصل فيه إليّ كتابك هذا أو في يوم الخميس بعده .
(الى أن يقول) :

والذي أرى في أمر انتفاعك المالي بقلمك أن تمجّل بإتمام الجزء الاول من الحلة السندسية في الرحلة الاندلسية وتعتد له اشتراكاً توزع وصولاته على الجمعيات والاصدقاء في الاقطار المختلفة ويجعل الثمن له عشرين قرشاً للمشارك الذي يدفع الاشتراك سلفاً ثم يكون الثمن بعد الطبع ٣٠ قرشاً . ثم تمل مثل هذا في الجزء الثاني فمجل به ما استطعت ويمكن مثل هذا في رحلة الحجاز ان وافقت .

أردت أن أكتب اليك مرجوع كتابك الاخير عقب وصوله واكنني رأيت أن أبدأ قبل الكتابة في السعي لما مهدت له من قبل واخبرت بك به وهو مسألة الإذن لك بالمجيء الى مصر فذهبت الى صاحبنا عبد الحميد بك فسلمت انه سافر وبلغني ان صديقنا كلنا فؤاد بك سليم في القاهرة فسميت للقاءه فالتقينا في دار المنار وسألني عن أخبارك قبل أن أخبره بشيء فأخبرته خبر العسرة ومومم الزيت عندهم في المواسم الثلاثة ومسألة الصحيفة الفرنسية وخسارتها والعزم على إرسال الامرة الى بيروت ونـ
ـ مليون كاثوليك في الولايات المتحدة الامير كية اجمعوا على مطالبة حكومتهم بترك
بونما التي على فرنسا الخ .

الواجب علينا قبل كل شيء السعي ليدخل صديقنا مصر بأسرته وذكرته
له ما دار بيني وبين الحميد بك سعيد في ذلك وما صيغته من الوسيلة
... فرأيت أنه لا يرجو أن يفعل شيئاً وقال إنه يظن أن جل المنع وأصعبه
من جهة الانكيز وأنه سيختبر ويخبرني ثم اجتمعنا ثانية فقال إن رأيه كان
في محله وأنه سيقابل صاحب الشأن في ذلك منهم وهو يعرفه ... ثم عدت
إلى عبد الحميد بك مساء السبت فأخبرني بأنه سيبدأ بالسعي غداً .

في ١٠ رجب ١٣٤٩ :

بدأت بالكتاب مساء أمس (الاحد) وشغلت عن المضي فيه بما لا مرد
له وخرجت من بكرة هذا اليوم لأداء دراهم لمصرفين من المصارف المالية
مستحقة بموجب كمبيالات وانتهى خروجي أعمالاً أخرى فلم أعد إلا بعد
الظهر بأكثر من ساعة ولم أدخل المكتب إلا بعد العصر وأنا أتم هذا
الكتاب بعد العشاء وأرسله في الليل غالباً . (إلى أن يقول) :

نسبت أن أكتب اليك في الكتاب المطول الماضي أنني أرى من
المناسب أن أكتب لرسالتك مقدمة مختصرة أبدؤها بالبسملة وأذكر صفة
السائل لك وما حمله على السؤال فقط فهل ترى هذا مناسباً وتأذن به
وهو حق السائل على المنار ؟

آخرت ختم الكتاب لأذكر فيه ما عمله عبد الحميد بك سعيد
فسألت عنه بالتلفون مراراً فكنت أجاب بأنه خرج ووعد بالعودة إلى
الجمعية ولما بعد وأخبرك في كتاب آخر بما يكون منه ومن سمي فؤاد
لك من الطريق الآخر . سأني فؤاد بك عن الاخ الامير عادل فأخبرته

انه عنده وهو يسلم معي عليكما وأطال الله بقاءكما ونفعكما لامتكما وودكما
لأخيكما

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ١٧ رجب ١٣٤٩ و ٨ ديسمبر ١٩٣٠ :

صبيدي الاخ الامير

بعد إرسال كتابي السابق - وجل ما فيه وأهمه الكلام في العصرة
المالية - جاءت الصحف التي كتبتها في هفوات الرسالة والإذن بالطبع
وكان في أبدي العمال جريدتان لا بد لهما من إتمامها في وقت صدورهما
وكنت أعطيتهم أصول التفسير لجزء المنار الخامس فأمرتهم بالشروع في
جمع الرسالة بعد إتمام الجريدتين وتأخير المنار وإن كان قد تأخر مواعده
شهرًا قبل هذا . ولما شرعت في قراءتها لوضع ما وافقت عليه من تصحيح
واستدراكات عثرت بهفوات أخرى في الآيات وفي غير الآيات وذلك أن
ما كتبتة أولاً كان بعد مطالعتها كلها من غير مراجعة فاقصرت على ما
تذكرت وقت الكتابة . وأنشأت اكتب فيما ظهر لي بعد كتابتها ثم لم أتمه
لأنك مستعجل بطبع الرسالة فأبطلت ما كتبت منذ يومين ولم يتح لي
إتمامه ونقديمه ورأيت أن أصحح ما أقطع برضاك بتصحيحه قياساً على ما
أذنت به . ومن سوء الحظ أن تكتب هذه الرسالة النفيسة بعجل وتطبع
على عجل ولكن فيها جملة لم أفهمها عند قراءتها اول مرة ولا ثاني مرة
ثم منها ما لا يتبادر الى فهم كل قارئ فوضعت لها حاشية فسرتها بها .

وقد تذكرت عند قراءة الاستدراك المنقول عن جريدة الطائف ما

كنت فكرت فيه عند قراءتها ونسيت أن أكتبه اليك وهو مبالغتك في
تبرئة الديانة النصرانية من التأثير في إضاماف مدينة اليونان والرومان
والقضاء عليهما بمثل ما برأت به الديانة الاسلامية . والذي نعتقد أنه
ما في الاناجيل وسائر كتب العهد العتيق من المبالغة في التزهيد في الدنيا
وحرمان الاغنياء من دخول ملكوت السموات والخضوع لكل ذي سلطان
والخنوع والاستكانة لكل ذي قوى كان له تأثير عظيم في القضاء على
ملك المدينة — وكذلك سيرة الاحبار من باباوات وبطاركة وفهمهم للدين
كان له تأثير آخر في ذلك .

وهي هذا وينصل به اللين في الرد على من ينكر انه كان للاسلام
حضارة والاكتفاء فيه بأن الاسلام قد أفاد الحضارة الشرقية وأبدعها . .
والواقع أن الحضارة الشرقية كانت عند ظهور الاسلام في طور الانحلال
والزوال وان المسلمين لم يلبثوا بعد تمكن ملكهم ان أحيوا العلوم
والفنون الميئة ونقحوها وأوجدوا حضارة جديدة اسلامية . . . وانت أعلم
منا بهذا ونحن صرح به من علماء الافرنج ومؤرخيهم المنصفين كغوستاف
لوبون وصديو و . . . و . . . حتى أن غوستاف لوبون قال في كتابه « تطور
الامم » : ان ملكة الفنون لم يتم نشوؤها والاستقلال فيها لامة من الامم في
أقل من ثلاثة قرون إلا للعرب وحدهم فإن ملكة الفنون قد استحكمت لهم
في قرن واحد ^(١) . . .

وقد كتب لعبد النبي سني التركي رقعة قال له فيها إني ألفت مصنفًا

(١) عدنا فقوبنا الجمل التي تشير الى ان الاسلام أنزل مدينة باهرة منطبعة

بطابعه الخاص .

كبيراً في مدينة العرب والاسلام لأثبت به لقومنا ان العرب اساتذتنا في علومنا وحضارتنا ولكن التربية الاكليريكية الكاثوليكية العامة حالت دون اقتناعهم بذلك . . وفي الرسالة تصريح كافٍ بأن مدينة العرب نبعت من القرآن ومن محمد عليه الصلاة والسلام وإنما كان اللين وإيهام التساوي في سياق الرد على الطاعنين في مدينة الاسلام - لهذا رأيت أن أعيد اليك الورقات التي فيها هذا الرد راجياً أن تنقحها بما تنفخ في الرد من روحك القوية التي لتجلى في الرسالة من أولها الى هنا بما يليق من التفرقة بين الاسلام والنصرانية الحقيقية والبابوية وهذا لا يؤخر طبع الرسالة فانه يقع في الكراسية الاخيرة منها فتمنى وصل الورق من عندك يمكننا جمع هذه الكراسية وطبعها في يوم واحد أو يومين فارسل معه كتاب التوصية لعبد الحميد بك سعيد ولما شئت من أصحابك الذين تعمد اليهم بتوزيع النسخ وارسال ثمنها اليك ونحن نعطيهم من المطبعة ما يطلبون .

في ١٩ رجب ١٢٤٩ و ١٠ ديسمبر ١٩٣٠ :

بعد كتابة الورقة الاولى أردت أن أرى صدقنا عبد الحميد بك سعيد لأعلم منه ماذا فعل في المسألة التي كلفته اياها . فأخبرني انه كلم رجال البطانة بما أقنعهم به ووعدوه عن اقتناع ورغبة في اقامتك بمصر واشتغالك فيها بخدمة الاسلام وانهم سينكمون ويخبرونه بالنتيجة التي يرجون نجاحها قبل الكلام وسبقني هو على آثارهم ويمهد لذلك من طريق من ييدهم تنفيذ ذلك وسألت بالتلفون صدقنا فؤاد بك عما فعل في هذا السبيل فقال انه لما يفعل شيئاً وانه ملازم لدار صهره لزمكة عرضت له . وقد عرض لنا في هذه الايام أن أم الاولاد قد ألح أهلها بطلبها الي

طرابلس لرؤية والدها الذي يخشون أن يقضي عليه مرضه العا
فاضطرت الى تجهيزها وارسلها وبذلك زادت مشاغلنا والعسرة لا تزال
ضاربة أطنابها وقد طلبت من الحجاز ٢٠٠ جنيه سلفة للاستعانة بها على
طبع آخر كتاب لهم عندنا ولما يجب طلبنا والامر لله تعالى (ان مع العسر يسرا .
ان مع العسر يسرا) ونحن مكلفون في هذه الايام من قبل محافظة مصر بأن
نعمل في المطبعة أعمالاً تطلبها مصلحة المطافي احتياطاً لوفوع الحريق ولما تم
ولها ذبول ولها نفقات وليس في صدري أدنى حرج ولا ضيق من ذلك
ولله الحمد .

العبارة الغامضة التي أشرت اليها في الورقة الاولى هذا نصها :
« ولا شك ان المسلمين الذين يبالغون هذه الدركات من الانحطاط
وتركهم الامة الاسلامية وشأنهم يبالغون بحقوقها يستحقون للاسلام
التحجيص الذي هو فيه وإنما سمح الله بأن يستولي الاجانب على بلاد
المسلمين الخ » .

فالقموض في قولكم يستحقون للاسلام التحجيص الذي هو فيه وما
فسرته بما تراه في الصفحة المرسلة مع هذا .

هذا وانني ارسلت لكم نسخة من الاسلام والنصرانية لاسنا
لنذكركم بمشربنا ومشربه في هذه المسألة وما ترسلونه منقحاً او غير منقحاً
فانني أنشره كما هو بدون مراجعة والسلام من اخيكم الخاص
محمد رشيد رضا

كتب إلي في ١٠ رمضان ١٣٤٩ و ٢٩ يناير ١٩٣١ :

سبدي الاخ الامير

أحبك تحية مباركة وأهنتك بشهر الصيام المبارك وأسأله أن يوفقنا
لإكمال عدته وما يرضيه من قيامه ونلاوته ، وقد أرسلت اليك
ثمن الرسالة المباركة ووزعت نسخا منها على من كلمتهم و كنت أرجو
أخذ ثمنها منهم كلهم أو بعضهم فلا أرسل اليك كتابا إلا أن
فيه تحويل يبلغ من الجنيهات ولما تيسر لي قبض شيء ما .

أرسلت إلى جمعية الشبان المسلمين ٥٠٠ نسخة بعد أن كلفت رئيسها
أن يوزع الف نسخة وعقدت للرسالة محاضرة في نادي الجمعية
، إعلانا للترغيب فيها وأخذت لحافظ بك عوض ١٠٠ نسخة فلم
أجدهم ضمتها في إدارة الكوكب وقد أخبرني بالتلفون بوصولها وشروعه
في بيعها وسأله عن الثمن فقال انه مستعد لدفعه عند التلاقي وسأذهب
حالا في أول فرصة - وأخذت ١٠٠ نسخة لاسماعيل بك شيرين مدير
ت ٢٥٥ سليم بك عز الدين فوعده بتوزيعها وطلب غيرها وأرسلت
نسخة الى فؤاد بك سليم في رمل الاسكندرية وينتظر ان يزور
، هذا الاسبوع . وأرسلت أكثر نسخ الهدايا الى الذين كتبت
اسمهم من أهل هذه البلاد وكتبت الى عبد الرحمن بك عزام أسأله
أرسل اليه النسخ التي وعدني بأخذها ولما يجب . وأما نسخ الهدايا
الخاصة بأهل المغرب فلما أرسلها للعلم بأنها لا تصل اليهم في هذه الايام فما
رأيك ذلك ؟

أهديت عبد الحميد بك سعيد نسخة وقد كان سافر الى القدس

لحضور جنازة محمد علي الهندي وعاد . وقد وصل امس شوكت علي ونزل
ضيافاً عنده فإذا حضرا في الليلة الآتية الى الجمعية فاني أزورهما فيها
واهدي شوكت علي الرسالة بالنيابة عنك وقد بالغ الناس في تشييع جنازة
المرحوم محمد علي من بور سعيد إلى القدس وفي دفنه وتأبينه وإكرام
أخيه وأهله . وفي ذلك فائدة بل فوائد ظاهرة .

وصل كتابك الثاني المرسل من برلين وقد سررت بالتوفيق لرهن
الدار التي لك هناك . والقسط الذي على دارنا هنا قد استدنته من بنك
مصر ودفعته وصار يجيئنا في هذا الشهر ما يكفي لنفقات الدار والمطبعة
من اثمان الورق وهو بناهز ٥٠٠ جنيه . وقد تم طبع الجزء العاشر من
التفسير وبقي جمع الفهرس له وطبعه وهو أي التفسير أروج كتبنا ومتى
أتممنا طبع الكتاب الذي شرعنا فيه للملك عبد العزيز فسأعطني بإتمام
طبع تاريخ الاستاذ الامام وهو مما يرجي رواجه بالرغم من العسرة الحاضرة
وهذا الكتاب من مطبوعات جلالة هو آخر ما عندنا منها وما عند الله
خير وأبقي .

ما ذكرته في كتابك الاخير في شأن أحمد زكي باشا هو من أدلة
وفائك وصفاء سيرتك ولعلي أتوخي لقاءه لاطلاعه عليه وإظهار رغبتني
في مصالحته مع أبي الحسن الذي رفع عليه قضية في هذه الايام وأظن
أن هذا صار يقبل الصلح على شدته .

طال علينا أمد محيي الأئخ الحبيب الامير عادل وقد كان وعد بأن
يعود في الخريف فهو الخريف وكاد يمر الشتاء الذي هو خير الفصول في

مصر فعسى أن يكون بخير وعافية والسلام عليك وعليه وعلى الأمير غالب
وأدامكم الله لأخيك المخلص

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٢٦ رمضان ١٣٤٩ و ١٤ فبراير ١٩٣١ :

صبيدي الأخ الأمير

أحبك وأهنتك بعيد الفطر أعاده الله عليك وعلى آلك وأنتم على
خير ما نجيون لأنفسكم ولأمنكم وقد ألقى كتابك المرسل من لوزان في
١٦ رمضان فمجيبت من أمرك في شدة شغفك بالعلم كيف شغلت نفسك
في هذه العسرة الخائفة بتصوير أسفار الكتب القديمة كالأكايل
وقد بادرت بعد وصوله إلى لقاء الأخ عبد الحميد بك سعيد وأطلعته على
الكتاب وسألته عما تجد في معيه فقال انه منذ يومين قابل صديقي باشا
وذكر له المسألة كما اقترح من ذكرتهم لك من قبل . فاتفع من غير حاجة
إلى التطويل في الاستدلال ووعد بأنه سيحكم المرجع الأعلى فيها . . .
قلت ومتى يمكننا أن نعلم النتيجة ؟ قال : بعد العيد . قلت : بل يجب عليك
المراجعة في هذا الأسبوع . قال : سأفعل إن شاء الله تعالى . وأنوي أنا أن
أقابله في الجمعية في الليلة القابلة وأعيد الإلحاح عليه وسيلقي في هذه الليلة
صديقنا الشامي محاضرتة الثالثة في نادي الجمعية وأنوي أن أقترح عليه
التنويه بالرسالة للترغيب في شرائها من الجمعية وسأنتكم أنا في ذلك إن
شاء الله وأقترح على عبد الحميد بك أن يتكلم فإنهم قد قصرُوا في

الاعلان عنها فلم يبيعوا إلا نسخًا قليلة منها وقد قلت لعبد الحميد بك انه
يجب عليه الاهتمام بتوزيع النسخ .
أسلم على الاميرين عادل وغالب لا زلت سالمين لأخيكم ؟

رسيد

وكتب إلي في ٨ شوال ١٣٤٩ :

سيدي الاخ الامير حياه الله وأبده

اليوم وصل كتابك الذي كتبت في ٢ شوال ووصل قبله كتاب في
آخر رمضان وكتاب في ثالث شوال ولعل كتابي الذي أرسلته إليك في
أواخر رمضان وصل بعد إبداع كتابك الأخير في البريد . وأبدأ الآن
بالجواب عن الكتاب الأخير لأجمل بقية الوقت في مسألة امان الله خان
فأقول :

(١) النسخ التي أرسلتم بإرسالها الى الحاج عبد السلام بنونة قد أرسلت
اليه في اليوم الذي أرسلت فيه كتابي الأخير اليك وأذكر انني قلت فيه
إنها ترسل في ذلك اليوم ولكن أخاه هنا يرتاب في وصولها وله مع شبان
للغاربة الذين هنا أخبار في مراقبة البرد لا محل لذكرها .

(٢) كتاب مختار باشا — سأل الشيخ محمد نصيف عبد النبي مني عن
ترجمته له فأخبره أنه كان أعطاهما لنور الدين بك مصطفى المشهور الذي
توفي وأنه سيكتب لولده بأن يعطيني إياها لطبعا وأنه لا يطلب شيئاً
من الدراهم وإنما يطلب بعض النسخ المطبوعة ليهديا إلى بعض أصحابه
وأنا كلفت اسماعيل بك شيرين أن يطلبها من ولده بل هو انتدب لذلك

لانه عنده كوله وقد أخبرني اليوم بعد إعلامه بكتابك هذا أن آخر موعد يضربه لي لإحضار النسخة يوم السبت الآتي (بعد غد) فإن لم يحضرها أرسل إليك الاصل التركي مع التعليق الذي كتبه ولد المؤلف محمود مختار باشا أو أرسل الترجمة مع الاصل لتصحيح عريبتها على الأقل ويبقى علينا عمل الرسوم بأخذها عن الاصل فترجئها إلى أن تعيدوا الكتاب مع الترجمة .

والسلام عليك وعلى شقيقك ونجلك حفظكم الله والسيد عاصم يسلم عليكم تسليماً .
أخوك

رشيد

وكتب إلي في ٢٢ شوال ١٣٤٩ و ١٢ مارس سنة ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير

سرني من كتابك السري الخاص أن رأيتك اتبعت فيه مذهبنا أهل الحديث في الجرح والتعديل بعد أن كنت في عامة احوالك على مذهب الصوفية الذين يفلتون حسن الظن بكل الناس ولا ينظرون إلا الى محاسنهم خلافاً لشقيقك الامير عادل . بل رأيتك فيه تدعوني الى ما هو مذهبي الذي شهدت لي في الحجاز بتمسكي به واتباعه في المنار بمناسبة ما كتبتك عنك أثر تلاقينا في بور سعيد وهو مذهب المحدثين . فلا تخف علي أنها العزيز أن آخذ كلام المنتقدين لحكومة الحجاز بالقبول على علاته . فالقاعدة عندنا ان الجرح لا يقبل إلا ببيان وأن نمحص الاقوال فنثري في جرح المشددين كائن معين في للتقدمين والذهبي في التأخرين

وفي تعديل للنساجين كالحاكم وابن حيان والترمذي . واتي في هذه المسألة
قد وقفت على أخبار شفوية و كتابية من كثيرين منهم النجدي والحجازي
والمصري والسوري والمغربي وأكثرهم مخلصون لهذه الحكومة ولملكها ، لاسراء
في إخلاصهم . وقد كتبت إلى ٠٠٠ في ذلك وجاءني منه كتاب مطول
في الموضوع عهد الي فيه أن يكون سرّاً بيننا وكنت أحب أن يطول
البحث فيه بيني وبين ٠٠٠ بعد شفائه وقد جلسنا جلسة واحدة لم نتسع
لذكر كل المسائل المهمة ولا لأكثرها وقد رأيت جوابه على انتقادات
أخواننا السوريين عين انتقاد زميله الذي كتبه الي وملخصه انهم ينتقدون
بالكلام ولا يعملون « إذ لا يصبرون كما صبرنا » ولما ذكرت لفلان رأيي
في جلالة الملك قال انه على اختصاره قد صورته كما هو لم ينقصه من حقه
شيئاً ولم يعطه أكثر منه .

(الى أن يقول السيد) : وستكون مطبعتك بعد أسبوع خالية من
المطبوعات الخارجية ليس فيها دراهم ونسأله تعالى أن يجعل بعد عسر يسراً
ويرزقنا جميعاً من حيث لا نحتسب والسلام عليك وعلى شقيقك ونجلتك
من أختكم ؟

محمد رشيد رضا

وكتب في ٦ ذي القعدة ١٣٤٩ و ٢٥ مارس سنة ١٩٣١ :

سيدي الأخ الامير حياه الله تعالى

وصل كتابك الاخير منذ اسبوع وأردت أن أرجى رجعه يومين
للوقوف على ما أحب أودعه اباه فافتضت الحال امتداد الارزاء كل هذه

المدة وقد أخذت يوم السبت الماضي ترجمة كتاب «سرائر القرآن» من اسماعيل بك شيرين فألفيت فيه غلطاً كثيراً بتعذر عليّ اصلاح بعضه دون بعض والذي بتعذر عليّ منه هو الذي يتوقف اصلاحه على فهم الاصل التركي وسأرسله اليك لترى هل يمكنك اصلاحه بالمقابلة على أصله أم ترى استئناف ترجمته أسهل؟ وعلى كل حال أقول لا حاجة الى الامراع فيما تختاره بل انت في أناة وريث ما شئت وأحب أولاً ان تترجم لي خطاب محمود مختار باشا في الاذن لي بترجمته ونشره فقد قال لي اسماعيل بك شيرين انه يطلبه مني ولا أدري سبب هذا ولعله ظن ان طبعنا لترجمة عبد الغني سني بالاتفاق معه يعارض هذا الخطاب وتواعدت مع اسماعيل بك على زيارته بعد عجيء فؤاد بك سليم من الاسكندرية فان الباشا يحبه ويسأل عنه . وقد جاء فؤاد بك منذ ثلاث أو اربع ولما يزرني ولا بد ان نلتقي قريباً ان شاء الله تعالى .

وأهم أنبائي لك انني كنت اطلمت عبد الحميد بك على مکتوبيك اللذين فصلت فيهما شؤون أبي سعيد الخ . (الى ان يقول) :

أما ما سألتني عنه من تقدير نفقة « رحلة الحجاز » فجوابه الدقيق يتوقف على نوع الورق وعدد المطبوع وأقول بالاجمال ان طبع الي نسخة على أجود الورق يبلغ ٣٤ جنيناً او ٣٥ وعلى ورق دونه يبلغ ٣٠ جنيناً فقط او ما يقرب من ذلك وقد رخص سعر الورق قليلا في هذه الايام . ويمكننا الاستعانة على طبعها بالاشتراك ان شئت وبما عسى ان نجعله من ثمن الرسالة الاولى بعد الحصول على نفقة طبعها . وكنت احب تأخير هذا ولكن العسرة لا تزال آخذة بالخلق وقد تم طبع الجزء العاشر من

تفسيره وسأرسل اليك نسخة منه أحب ان تقرأها كلها بنظام ثم تقرظ
التفسير بما لا اطالبك بحق في نشر سواه وانما يسهل عليك هذا اذا
جعلت لمطالعة الجزء وقتاً معيناً كساعة من الليل او النهار او أكثر
والسلام عليك وعلى الصنو الكريم الامير عادل والفرع النجيب الامير
غالب وأسأل الله ان يجمع شملنا بكم عن قريب؟

محمد رشيد رضا

وكتب الي في ٣ ذي الحجة ١٣٤٩ :

سيدي الاخ الامير حياه الله وأمنع به

أحييك وأهنئك بعيد النحر السعيد أعادك الله الى امثاله عشرات
السنين قرير العين بامتك وولذك وقد وصلت اصول رحلتك المطبوعة
والخطوطة متصلة وما وصل اليوم منها فيه مکتوب شخصي لي يبشر
بقدوم الاخ الامير عادل ولم اكتب اليك في هذه المدة لاني انتظر شيئاً
مفيداً أُنبتك به — ولما أجد وقتاً اقرأ فيه شيئاً من الرحلة الا انني رأيت
بالمصادفة كلمة (اجاب) بمعنى اجيب وهذا مما اعتاده قلمك ولسانك وقد
غيرته من الرسالة التي طبعناها لان المجابوبة بمعنى المحاوره ولا يستقيم
وضعها في مكان بقصد به رفع اعتراض وازالة ابهام ولم تتفق اتفاقاً
صريحاً على جعل المطبوع من الرحلة الي نسخة بل أذكر انني عملت لك
حساباً تقريبياً لهذا القدر من النسخ ونسيت هل هو بقطع المنار او بقطع
رسالة «لماذا» . وذكرت انك حسبت ان النفقة تكون اكثر مما ذكرت

لك وانني بالطبع احسب عليك اقل ممكن من اجرة الطبع دون ادنى حساب للتصحيح . (الى ان يقول):

وسأكتب لك في فرصة قريبة ان شاء الله كتاباً مفصلاً والسلام .

رحيم

وكتب الي في ١٨ ذي الحجة ١٣٤٩ و ٦ مايو ١٩٣١ :
سيدي الاخ الامير بارك الله في عمره وبارك للامة في قلمه وعلمه وعمله
سلام عليك . وصل امس كتابك رقم ٢٩ ايربل فسررت كل السرور
بما ذكرت فيه من تأثير الرسالة في إرجاع بعض الشبان المتفرنجين^(١)
الملحدين في بلاد المغرب المختلفة الى الاسلام وتذكرت مراجعتي لك في
وجوب بسط المسألة الاسلامية المعلومه من مباحثها لاجل هذه الغاية وتري
مع هذا كشفاً بما ارسل من نسخها الى الاقطار ولما يبحثنا من اثمانها شيء
وذكرت لك قبل ما وزعنا من النسخ هنا وما وصل من ثمنها .

وأما الرحلة فقد كنت قبل العيد اعطيت عمال المطبعة نسخاً مما نشر
في الشورى لجمعها ولكنني وجدت اولها خبر السفر من السويس فمجبت
كيف عانيت باتمامها وكنت ترسل كل ما تكتبه في الاسبوع مرتين
أو اكثر مسجلاً مع عدم الحاجة اليه اذ لا يمكن طبعه ولا طبع شيء
من الرحلة قبل مقدمتها ثم وصلت المقدمة في ايام العيد ولا عمل فيها
فأعطيته للمطبعة بعده في اول هذا الاسبوع وقد جمع منها اربع كراسات

(١) كانت أنتقي رسائل من الجزائر وغيرها في هذا المعنى .

وسبداً بالطبع غداً ويتم ان شاء الله في مدة قليلة ونرسل اليك ما يطبع
كراسة بعد اخرى او اكثر .

مصححو المطبعة يصححون ما يجمع بمقابله بالاصل ثم اقرؤه انا ثم
اقابل المثال الاخير على تصحيحي واذا اشدت في شيء طلبت الاصل .
واما تصحيح الاصل فنه وهو اهمه ما هو ديني كنتصحيح آية او حديث
او حكم شرعي وهذا قليل في الرسالة ومنه حديث « الخالق عيال الله » الخ .
وفي أصلك المطبوع « الفقراء عيال الله » وهو المشهور على الالسنه ومنه
صفة التلبية ذكرت في آخرها كلمة « ليك » وهي ليست من المروي في
الصحيح . ومن الاحكام قولك في المرولة في وادي محسر انها مما جرت
بها العادة فصحتها بانها مما خصت به السنة — ومنه ما هو غير ديني محض
ولكنه يوم عند علماء الدين غير المراد منه كقولك في المقدمة « المبعوث
بالتوحيد والعدل » وكلمة « التوحيد والعدل » شعار مذهب المعتزلة ويعنون به
لازمه من نفي صفات الله تعالى لانه يقتضي القدم المناسب للتوحيد الخ
فصححت العبارة هكذا : « المبعوث لاقامة الحق والعدل واتمام مكارم
الاخلاق » واما ما هو خاص باللغة فساينه في كتاب آخر .

بدأت بهذا الكتاب مساء امس (الاربعاء) وكنت متعباً ضيق الصدر
فلم أتمه ونزلت صباح اليوم الى محافظة مصر وعدت بعد الظهر وانا اتم
هذا الكتاب بعد العصر وقد قابلت تصحيح المزمرة الاولى من الرحلة
وسأخرج بعد قليل واذهب الى جهة سراي القبة لانني مدعو الى العشاء
عند فضيلة مفتي الديار المصرية وامم ما اقوله اني رأيت آخر ما نشر في جريدة
الشورى لا يظهر اتصاله بأول ما بعدها من المخطوط بالقلم وسأعيد النظر

فيه وأخشى إذا كان الامر كما ظهر لي بادي الرأي أن تؤخر الاستمرار في الطبع لاجل مراجعتك في وصل الكلام وعسى أن لا نحتاج الى ذلك . راجعت عبد الحميد بك بعد العيد في المسألة المعلومة فقال انه أجيب من قبل البطانة بأنه لم يبق عند مولانا مانع — وانه لم يبق إلا الامر الرضوي . ولعله قريب وسأطلعه على ما يتعلق بالمسألة في الكتاب الأخير وألح عليه بالانجاز وعسى ألا يكون جهادك الاخير في سبيل الله مانعاً جديداً . . . والسلام ؟ أخوك

رشيد

وكتب إلي في ٢ المحرم ١٣٥٠ :

صدي الأخ الأمير المجاهد

أحبك مهتماً بالعام الهجري الجديد الذي انتصف به القرن الرابع عشر وأسأله تعالى أن يجعلني وإياك من المجددين فيه لمجد الاسلام وأن يقر أعيننا بالظفر في جهادنا في سبيله وقد وصل أمس كتابك الذي يستعمل به توزيع رسالتك (لماذا) متبرماً من بطئنا . . . ولعله قد وصل اليك بعد إرساله بيوم أو يومين كتابي المتضمن لكشف التوزيع وعلمت اننا أرسلنا جميع النسخ التي أمرت بإرسالها الى الاقطار واننا وعيدك لم نجتهد في تصريف شيء من مطبوعاتنا عشر اجتماعاتنا في نشر هذه الرسالة لاجل . وضوعها ولأجلك أولاً ولأجل حاجتنا الى ما أنفقناه على طبعها سلفاً والاستعانة على طبع الرحلة . ولكن ليست العبرة بالتوزيع وسرعته وإنما العبرة بتحصيل ثمن ما يوزع . وقد علمت انه لما يصل اليها

شيء من أرسلنا اليهم بضع مئين من النسخ وقد أرسلنا نسخاً اخرى الى
بعض المكاتب التي تعاملنا في بيروت وتونس وجاوه وأصحابها بعاملونا
بمبادلة الكتب أو بالحساب الجاري . وقد أخبرتك بما وصل إلي من
اصحابنا وأصحابك في هذا القطر ومنهم من أخذت لهم النسخ بنفسي في
سيارة أو مركبة اخرى ومن زرتهم سراً . وسأعيد النسخ التي أعطيتها
لجمعية الشبان المسلمين ولم يصل إلي منها الا مائة وخمسون قرشاً وسأعيد
مطالبة حافظ بك واسماعيل بك شيرين .

سبب انهماكي في الشغل ان المنار تأخر عن مواعده أكثر من شهرين
لما لا حاجة الى شرحه فأنا منهمك في تحريره مع الاعمال الاخرى ولهذا
لم أجد وقتاً اكتب اليك فيه شيئاً عن الرحلة وقد ارسلت الى البريد
امس ما طبع من الملازم بعد ما أرسلته اولاً . وقد جاءني من ملك
الحجاز ونجد كتاب يشكر لي فيه نصائحي بشأن الإصلاح الذي اقترحت
عليه ووعد بتفصيل البحث بعد موسم الحج ولعلي أرسل مع الامير عادل
بعض التفصيل الذي تقرره بالاشتراك مع اخينا فؤاد بك سليم والسلام
عليك وعلى نجلتك النجيب

اخوك

سيد

وكتب إلي في ٣ المحرم ١٣٥٠ و ٢١ مايو ١٩٣١ :

سيدي الاخ أ.ير الكتاب والمجاهدين

أرسلت اليك أمس كتاباً وجيزاً وقد بقي إلي اليوم كتابك في ١٤
مايو فرائبتك أطلت فيه الكلام عن ٠٠٠ و ٠٠٠ ولا يستحق هذه

الإطالة وقد حجرت الحكومة المصرية على الاول منذ وصل الى ارض مصر غائداً من الحجاز ووضعت تحت المراقبة لا يكلم أحداً ولا يكلمه أحد إلا على مرأى وسمع من بوليسها . وأما الآخر فقد قطعنا آمال الذين صعدوا الى ما يسمونه الصلح مع من ختم الله على قلبه فلا يرجي منه صلاح . ولا حاجة لتضييع الوقت بكتابة اكثر من هذا في شأنه . وكنت ارسلت اليك ترجمة كتاب مختار باشا والجزء العاشر من تفسير المنار فلم تذكر انها وصلا اليك ولولا انني أمرت المكتبة بإرسالها مسجلين لخشيت ان يكونا فقدوا . وكذلك أرسلت اليك في العام الماضي الجزء الاول من (تاريخ النجوم الزاهرة) ولم يأتي منك خبر بوصوله .

سبب تغيير جملة او كلمة (العدل والتوحيد) انه عز علي ان يسيء الظن فيك اهل السنة ولا صبا السلفيون ولا يلتفتون الى الحاشية او يرون انها تأويل مني ولم أحب ايضاً ان استدرك على اول صفحة من المقدمة كما فهمت . وكلمة الحق والعدل التي استبدلتها بها أجمع فإن الحق يشمل جميع العقائد والاختبار الإلهية كما ورد في تفسير (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً) صدقاً في الاخبار وعدلاً في الاحكام .

ولم أجد وقتاً لبيان ملاحظاتي اللغوية ولكن يجب ان تعلم اني لا أغير لك كلمة الا بغير منها إن كان لها وجه من الصحة كالوجه الذي ذكرت ذكره في مכתوباتك الاخيرة في المجاوبة وانني ما غيرتها في رسالة « لماذا » الا بعد ان راجعت جميع ما عندي من كتب اللغة في مادتها . وانني بعد ذلك وبعد ما كتبت في كتابك الذي بين يدي وفي كتب اخرى قبله لا ازال ارى ان المجاوبة ليست نصاً في الاجابة عن الاسئلة

والايرادات الاعتراضية العامة والمفروضة وإنما هي المحاورة بين شخصين لو
اشخاص في موضوع ما . فإن كان يدخل في عمومها ما قد يختلف فيه
المتجاوبان ويسأل فيه أحدهما الآخر او يعترض عليه او يسمع جوابه
فهذه الجزئية من مفردات او أفراد مدلول العام تسمى جواباً اعني التي
يرد بها المسؤول على السائل وإنما المجاوبة هي المراجعة بينها — أفليس تغير
اجاب باجيب افصح واوضح ان لم يكن اصح ؟ بلى ولكن من خسارة
الوقت ان تدور المكاتبات والمحاورات والمجاوبات بيننا في كل كلمة من
هذا القليل في مثل هذا الوقت حتي ما جرى فيه استمال العلماء والكتاب
في كل عصر من قولهم : مثل واجيب واعترض واجيب . بل هو ما ورد
في كتاب الله عز وجل (ماذا اجبت المرسلين . يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبت) واني لاعلم يا اخي سعة اطلاعك في اللغة و كثرة مراجعتك
لكتبها في مظنة الخطأ بل أقول إنك كنت اول من نهني الى مراجعتها
عند الكتابة في اول عهدي بمعرفتك اذ كنت قد زرت بيروت في اول
عهدي بطلب العلم — وانت سبقتني في الطلب فاجتمعت بك في فندق
كوكب الشرق ورأيت معك في حجرتك لسان العرب ولم اكن رأيت
من قبل ورأيتك تراجع فيه وانت تكتب بعض المكتوبات . . .

في ٤ محرم سنة ١٣٥٠

كتبت ما تقدم قبل المغرب من نهار امس وحال دون اتمامه في الليل
مجيء جماعة يختلفون اليّ بعد المغرب من يوم الخميس الاول والخميس الثالث
من كل شهر فمري لمذاكرة العلم والسؤال عن المشكلات وظلوا عندي الى
الساعة ٩ مساء وانا اكتب هذه البتة بعد عشر الجمعة ووقت الكتابة

قصير وكنت شرعت في كتابة بحث في الاغلاط اللغوية على ورقة غير هذه ولما رأيت أن الوقت الباقي لا يتسع لإتمامها القيتها وأرجو أن أجد وقتاً آخر لهذا البحث .

وقد ظهر لي اليوم أمر ساءني جداً وهو أن المطبعة شرعت في طبع المخطوط من الرحلة قبل إتمام المطبوع في الشورى وسبب هذا انني رأيت في بعض مکتوباتك ان عدد ما أرسلته من نسخ الشورى ١٧ وأخبرت المطبعة بذلك فشرع العمال في طبع المخطوط بعد إتمام طبع ما في تلك النسخ ثم رأيت اليوم باقي نسخ الشورى وسأعطيه للمطبعة غداً لاجل جمعه ووصله بما قبله وربما يقتضي هذا تعطيل ملزمة واحدة . واما تصحيح أرقام الصحائف فبما بعد ذلك فيمكن بألة الرقم .

زارني في صباح هذا اليوم اسعد أفندي داغر وبقي عندي الى الساعة ٢ بعد الظهر بقص علي ما رأى وما سمع وما علم في زيارته لبغداد ومكثه فيها مدة اسبوعين وقد اجتمع هنالك بالملك فيصل وأخويه علي وزيد وبالوزراء وزعماء المعارضة وكان يعرف اكثرهم من الشام كما اجتمع بكثير من الشباب المتعلمين وقد دعاه الملك والوزراء والكبراء الى طعامهم والاختبار في جملتها وتفصيلها لا تسر . وقد وافاه هنالك الحاج ادیب خير وعاد الى الشام قبل عودته الى مصر والسلام عليك وعلى نجلك النجيب . والاخ الامير عادل يبخل علي بزيارته فعاتبه إن شئت وحفظكم الله لأخيكم ؟

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٩ المحرم ١٣٥٠ و ٢٧ مايو ١٩٣١ :

سيدى الاخ المجاهد فى سبيل الله حياه الله ونصره

اليوم وصل كتابك الذى كتبت بعد وصول الملازم للطبوعة فسرني
رضاك عن الطبع والتصحيح وثناءك البليغ على أخيك وعلى مطبعتك .
البارحة وصلت برقيتك بعد العشاء والظاهر ان سبب امرك بوقف الطبع
حتى يأتي كتاب منك بشأنه هو وصول كتابي الذي ذكرت لك فيه اننا
كنا نسبنا بعض ما نشر في اعداد الشورى الاخيرة وطبعنا طائفة من
الخطوط ومحلّه بعد اعداد الشورى . وما أدري ما كتبت في هذا الشأن
ومها . يمكن فلا فائدة منه لان استعجالك ايانا بطبع الرحلة حملنا على تأخير
للنار وكل شيء في المطبعة لاجل الامراع في إتمامها . وقد تم جمعها كلها
بالفعل ولكن بقي بعض الملازم في ابدى المصححين وبنى تم تصحيحها
نعين انجاز طبعها . وقد بلغت صفحات ما جمع من الشورى كله ١٢٥
صفحة فيكون الغلط في ارقام الملازم التي بعده واخترت ان نصحه
بالآلة التي تطبع بها الارقام للدفاتر وقسائم تحصيل الدراهم فهو خير من
التنبيه عليه في جدول ما يقع من غلط الطبع وتصحيحه وان كان
فيه مشقة .

وقد بلغت ملازم الرحلة المجموعة ٣٥ ملازمة يزداد عليها ملازمة للفهرس
ولا أدري هل وضعت او تريد ان تضع لها مقدمة تصدير كما ذكرت
في بعض كتبك ام لا ؟ وهل يكون هذا التصدير طويلاً ام قصيراً .
ونفقة المجموع الآن مع فهرسه وما يضاف اليه من الغلاف والخياطة يبلغ
ستمه آلاف وثمانماية غرش لاني نسخة فيكون ثمن النسخة ثلاثة قروش

واقبل من نصف القرش . وهذا القدر من العدد هو الذي ذكرت لك
تقدير حسابه الاجمالي في كتاب سابق ولم تقترح زيادة عليه ولا ينتظر
ان تروج الرحلة رواج رسالة (لماذا) ولئن أمكن تصريف نسخها الالفين
في سنتين لاعتدتها كرامة لك او بدء حياة جديدة في مساعدة قراء
العربية للمجاهد في سبيل امتهم ونعيد طبع الرحلة ان شاء الله تعالى .
(الى ان يقول) :

ولولا شدة العسرة لكان الاحب اليّ الا نأخذ عمولة على كُتب
امير الاخوان ومجاهدم الاكبر وأرى ان مالي ومالك واحد وقاعدتي التي
كُتبت بها الى المرحوم السيد الزهراوي أن أحق الاخوان الصادقين في
المال هو احوجهم اليه فإن تساوت الحاجة وجب ان يبقى المال في يد
حائزه منهم . ونحن الآن متساويان في الحاجة وما ذكرته اقرب الى
الاعتدال في القسمة .

هذا وانني بعد كتابة ما تقدم امس اخذت اصحح بعض ملازم الرحلة
فوجدت فيها بحثاً يحتاج الى حواشي دينية وهو بحث طبقات الصخور وعمر
الارض وفيه تخطيط للتفسير المأثور في آية (وارقب يوم تأتي السماء بدخان
مبين) فان وجد مثل هذا في الملازم الاخرى فربما يزيد عدد الملازم عما
ذكرنا آنفاً .

وأرجو أن تعجل بكتابة مقدمة التصدير اذا كنت عازماً عليها
وربما اكتب انا كلمة في بيان مزاياها ايضاً وهذه زيادة . ويحسن ان
يكون ثمن النسخة عشرة قروش اذا استحسنتم .
وما ذكرت في الكتاب الاخير من استبدال كلمة عثلوج بمسلوج فهو

من تحريف المطبعة لا من تصحيحها ولا من تصحيحي وسأكتب لك ما وعدت به من بيان أنواع الغلط اللغوي .
وقد بلغني أول من أمس ان الأمير عادل تعبت معدته وأمعأؤه بقبول دعوة بعض المنافقين وسأزوره وإن علمت انه كان من عهد قريب عند قنصل العراق وهو قريب منا ولم يزرننا ونحن لا حساب بيننا في مثل هذا والسلام من أخيك م

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٢٤ الحرم ١٣٥٠ و ١٠ يونيو ١٩٣١:

سيدي الأخ الأمير

إني ألقى إلي أمس ثلاث مكاتبات منك في بعضها زيادات تريد وضعها في مواضع من الارتسامات ولكن الارتسامات قد تم طبعها إلا المزمة التي فيها خاتمتها فهي لم تطبع لأنها ناقصة فأمرت بوضع ما أرسلت من بيان قبل الحجاز فيها ولم أستحسن أن يكون ذلك براءة للمقطع وحسن الختام بل جعلت الخاتمة بيان عظمة موقع الطائف وما يجب على الأمة العربية فيه . واني أرسل اليك هذه الخاتمة والمزمة قبل طبعها لتري رأيك فيها وهل تريد أن تستدرك الزيادات بعدها او بعد الفهرس خلفائه على القراء كالسلوج .

واني لما وضعت الفهرس لها أول من أمس تجلت لي فوائدها بمجموعة مجلدة فكشفت مقدمة لتصديرها ونشرها تجلت علي فيها روح همك وسرعة

فلعلك فأتممتها في ذلك اليوم بعد اتمام الفهرس مع النظر في أعمال أخرى من ضروريات الادارة وهي مرسله اليك قبل طبعها مستقلة لتري رأيك باوجازتها بمرمتها أو حذف شيء منها وفيما ذكرته من الوقفة في اقتراحك التضييق على فقراء الحجاج ليقبل حج غير المستطيع منهم دلل هذا وغيره مما تراه في المقدمة والحواشي ليقضي عندك كتابة مقدمة أخرى كما كنت فهمت من بعض مکتوباتك السابقة .

وأراك ارتبت في عزوي بيت « برداها برداها » الى ابن الفارض واقتרכת عليّ الثبت فيه بمراجعة الديوان وقد راجعته كما أحبت فلم أزد إلا بقیة بما أحفظه منه من النضر حتى انني كنت أردت أن أنشر أیاته هذه كلها في الحاشية وهي أربعة .

فقبل بيت الشاهد المذكور في الرحلة :

جلت جنة من تاه وباهی ورباها منیني لولا وباها

وبعده :

وطني مصروفها وطری ولعيني مشتهاها مشتهاها

(مشتعي اسم مكان بمصر)

ولنفسی غیرها إن سكنت يا خلیلي سلاها ما سلاها

وأما مسألة الاغلاط فقد أكتب على ظهر بعض المثل التي أصحح طبعها كلمات منها ثم ترمي فلا أجدها وان شواغلي في هذه الايام كثيرة ولكنني سأذكر لك انواع ما أنتقده لاجل التروي فيه والمراجعة له وانني في هذه الايام لا أكاد أكتب الا في اضيق الاوقات وربما أستطيع أن أكتب لهذا ملحقاً قبل إرساله والسلام

رشيد

وكتب إليّ في ٩ صفر ١٣٥٠ و ٢٥ يونيه ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير

وصل كتابك مع الملازم المطبوعة وسرني أن أغلاط المطبعة فيها
قابلة بالنسبة الى المعتاد في أدق المطابع تصحيحاً ولم يسرني ما قلت في
مقدمة التصدير لاختيك من أنها ذهبت بكذا وكذا من محاسن الارتسامات
ولطائفها ولا هو بصواب أيضاً وكل ما في المقدمة من الحسن والصواب
إنها إجمال لما في الرحلة من الفوائد والمحسن حتى أنني لولم أكن طبعتهما
وأردت أن أقرظهما في المنار لقرظتهما بمثل هذا وسررت من تنبيهك لجعل
كلمة وديان «أدبية» وقد فعلت على أنني راجعت شرح القاموس فألفيته
بذكر في أواخر ما استدركه على الاصل والوادي يجمع على وديان بالضم
أيضاً . وأنت قد كررت هذا التصحيح وجزمت بالخطأ عن مراجعته
وأمرت بالمراجعة . . . وحسي أن كلمة أدبية هي استعمال القرآن وأن
زعم الجوهري انه جمع غير قياسي . وقولك انها سرت إليّ من استعمال
العامّة صحيح وأنا أرى ما ترى في مفردات أكثر عرب الامصار لا البوادي
فقط أن ما لا يعرف له أصل مأخوذ عن الشعوب الاعجمية التي خالطتهم
فهو عربي الاصل وكان الدكتور صروف يرى هذا الرأي أيضاً ولكنني
لا أعتد على هذا في الكتابة (الى أن يقول) :

سرني لقاءك لنوري باشا السيد وهو اذكى رجال الملك فيصل —
وكذا نقاؤك للشيخ حانظ وهبه وهو أعقل رجال ابن سعود — ويمكنك
أن تعرف من نوري باشا عن ابن سعود ورجاله مالا تعلم من غيره فإذا
أخبرك بما علم وبما رأى تعلم أن أخاك عادلاً عادلاً فيما حدثك به . وأما

فيصل فهو السياسي الوحيد في هؤلاء الملوك والامراء الذين ظهروا في
العرب في عصرنا وأسوأ ما يسوءني منه أن سياسته لادينية وأنه
لا يكاد مع أحد . (الى أن يقول):

وعبد الحميد بك أخبرني أمس انه لا يزال يراجع رئيس الوزارة في
مسألتك ولعله فرغ الآن لملها والسلام عليك وعلى من لديك
أخوك

رسم

وكتب إلي في ٢٩ صفر ١٣٥٠ و ١٥ يوليو ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير حفظه الله تعالى

وصل في هذا الاسبوع كتابان منك في الاخير منهما حوالة بعشرة
جنيهات انكليزية وقد وصل أمس (الثلاثاء) وجاءنا يوم السبت قبله حوالة
من سعادة أحمد حلمي باشا بمبلغ ثلاثين جنيهاً انكليزياً فأنخل بذلك شيء
من شدة العسرة في النفقات اليومية الضرورية لنا وللعمال الذين صرفنا
أكثرهم وليس عند الباقيين شغل في كل يوم . (الى أن يقول):

وأما الرحلة فقد أمرنا بجمعها وتهيئتها للتجليد وسنبداً بتجليد نستخين
مذهبتين لأرسالهما الى جلالة الملك ابن السعود وسمو نائبه في الحجاز ،
(والملك قد سافر الى نجد كعادته) ورأيتك تقول أخيراً إن الرحلة مؤلفة
باسم جلالاته ولم تذكر فيها شيئاً بهذا المعنى ولا أمرت أن نكتب ذلك
في ديباجتها كالعادة ولا أن نضم فيها رسمه ولا رسمك وقد تذكرت كل
هذا حين قرأت كلمتك الاخيرة وتذكرت أيضاً انه ليس عندي رسم لك

وأنا أولى الناس به . فإذا أحببت ان تكتب ما يسمى مقدمة الكتاب
لجلالة الملك فيمكن ان يكتب أي يطبع ذلك في ورقة مستقلة توضع
في أول كل نسخة مع صورة الملك او بدونها أو مع صورتك ايضاً .
وعليك ايضاً أن ترسل عند وصول هذا الكتاب اليك برقية بلفظ « انتظروا
البريد » او « انتظروا » فقط فإن لم تجيء هذه البرقية فاننا نجلد نسختي
الملك والامير ورسالهما في البريد الذي يرسل من مصر الى الحجاز في
آخر يوليو الحالي . وليس قبله بريد إلا ما يرسل في ٢٠ يونيو وهذا لا
ندرکه قطماً ومرسل اليك نسخة بقلاف كقلاف الرسالة ونسخة مجلدة
بقماش وتذكر لك نفقة كل منها لتختار ما تشاء لجميع النسخ او لبعضها
دون بعض . هذا وان الاخ الامير عادلاً قد سافر الى الحجاز وحملته كتاباً
الى جلالة الملك وجاء بعد وصوله بريد بعد بريد ولم يجئني منه شيء فعسى
ان يكون قد كتب اليك ما تطمئن به على صحته . وقد سافر بعده
الشيخ بهجة البيطار صديق الجميع وجاءني منه اليوم كتاب يخبرني فيه بثناء
الملك ورضاه ومودته والسلام على غالب وعلى ابي غالب لا زال غالباً لكل
مخالف ومحارب وأطال الله بقاءه لأمته ولأخيه ؟

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٩ ربيع الاول سنة ١٣٥٠ و ٢٤ يوليو سنة ١٩٣١ :

سيدى الاخ الامير حياه الله تعالى

وصل كتابك المؤرخ في يوليو وكل ما فيه من امر الحوالات
والرسالة والرحلة قد تقدم فيما كتبنا اليك في الاسبوع الماضي مفصلاً تفصيلاً

فعمسى ان يكون قد وصل اليك امس او اليوم وأما ما فيه من عثورك على استعمال بعض المولدين لكلمة « جارب » فكنت اظن ان ما تقدم من مجاوبتنا او تجاوبنا في هذه الكلمة بغني عن رجوعك اليها وذكر هذا الاستعمال الذي لا يعد حجة عند علماء اللغة . وقد ذكرني باستعمال مثله لكلمة فيلق ككتبته اليّ تخطئة لقولي في زمن مضى لا اذكره انها مؤنثة ولم اشأ ان اكتب اليك في مرجوع كتابك ان استعمال ذلك الشاعر او الاديب ^(١) ليس بحجة لاتفاق علماء اللغة على ان المولدين لا يجتمع بعريلتهم فلا يجعل شاهداً . وانا عندما اكتب لمثل ان كلمة الفيالق مؤنثة مثلاً فانما اعني بذلك الاستعمال الحر الفصيح الثابت عن العرب الذي أحب ان تختاره في كتابك من غير ان ابحت عن الشذوذ المحتمل فيه وعن استعمال المولدين له . فأصل كلمة الفيالق في اللغة معناه الداهية ولما وصفوا به الجيش جعله نقلة اللغة وصفاً لكتيبة منه التي يعتبر فيها هذا الوصف . ومن هنا يمكن ان يقال : ان هذا اللفظ صار من اسماء الجيش وهي كثيرة . فيصح ان نذكره بأرادة الجيش مع صرف النظر عن الاصل بل ربما تساهل بعض علماء الامة انفسهم فقالوا مثل هذا ولكن الاصل الصحيح هو ما

(١) قال الحافظ اللغوي الشهير ابن الأبار القضاعي البلنسي في مدينته المشهورة التي يمث فيها ابا زكريا يحيى الحفصي صاحب تونس على استنقاذ الاندلس :
وأوطى الفيالق الجرار ارضهم حتى يطأطى رأساً كل من رأساً
ولا مرء في ان المولدين ليسوا بحجة في اللغة لكن الاستظهار بكلامهم ممكن فيما يقع فيه الخلاف .

ذكرت من غير مراجعة لشيء من كتب اللغة بل انا اكتب هذا بجانب
حجرة المائدة قبل الغداء لا في المكتب . وقصارى ما ابغى من تأنيث
الفيالق ووضع الاجابة موضع المجاوبة حيث لا مراجعة بين اثنين فأكثر في
الموضوع ان هذا هو الاستعمال الحر الاصلي في اللغة او الفصح او الافصح
— على الاقل كما يقال — الذي احبه لك ولنفسى . ولو اردت ان اكتب
شرحاً للقاموس لما اقتصر على هذا واني اجد في كلامك كثيراً من
هذه الالفاظ المخالفة في اعتقادي للصحيح او للفصح فلا أغيرها ولا اذكرها
لك لانني اعلم ان ذكرها يفتح باباً للمناقشة لا أجد له فراغاً من وقتي
وإن كان لا يخلو من فائدة . ومنه ما أغيره فتقرأ انت التغيير ولا نشر
به لان ما أغيره به لا تشك في صحته وفي كونه مما تستعمله وان الذي
غيرته اي تركته لم يجر به قلمك إلا بتأثير قراءتك له في الصحف او
كتب المتأخرين . واني على ضيق الوقت اذكر لك ما علق بذهني من
انواع الغلط او مخالفة النصيح في الارنسمات وأرتقب الفرصة لمراجعة
الاصول الباقية لاستخراج الشواهد منها وقد طلبتها من المطبعة الآن .
وذكر الانواع الكلية أدعى الى التنبيه لما ينبغي تركه او مراجعته من
الجزئيات لها عند الكتابة أو عند تصحيحها فان الفئة الرائية من كتاب
مصر وأدبائها في هذه السنين أرقى في النقد اللغوي ممن قبلهم من كبار
كتاب هذا العصر وأدبائه . بل لم يوجد النقد الدقيق إلا في هذا العهد
من عصرنا . وغرضي ان تنتقد نفسك في الحلة السندسية قبل تمثيلها للطبع .
وانتا تنتظر الآن ما أرسلناه من نسخ الارنسمات الى الجلد لترسلها اليك

ونستشيرك فيها وأما انواع الانتمقاد اللغوي فاكتبها في ورقة مستقلة والسلام
من اخيك المخلص

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٥ ربيع الآخر ١٣٥٠ و ١٩ اغسطس سنة ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير

أمس وصل كتابك المؤرخ في ١٩ اغسطس وكله او جله جدال في
مسألة او كلمة او كلمتين فرغنا منها . واليوم وصل كتاب آخر مؤرخ في
٢٧ ربيع أول وهو يوافق ١١ اغسطس وقد مررت بتاريخه العربي
المجري . ليس لدي وقت ما للبحث في شيء ما وقد اعتذرت لك مراراً
عن هذه المباحث اللغوية راجياً إرجاءها الى خروجي من المأزق الذي
أوجب تأخير الجزء العاشر من المنار عن مواعده (وهو آخر ذي الحجة)
الى الاسبوع الاول من ربيع الآخر اي اكثر من ثلاثة اشهر — وقد
اتفق ان هذا جزء آخر السنة وعليّ ان أجمع فهرس المجلد كله وذلك
بتوقف على تصفح جميع أوراقه واستخراج المواد المهمة وترتيبها على حروف
المعجم وقد تم اليوم والله الحمد وسيصدر الجزء قبل طبع الفهرس قريباً .

واتفق ان تمت فيه سورة براءة (التوبة) وعليّ ان أراجعها كله
لأستخرج منه مسائل السورة الكلية من أصول وفروع وغيرها . وهذا
أشق عمل في التفسير لم اسبق الى مثله وعليّ مع هذا أن أبادر الى ختم
تاريخ شيخنا رحمه الله وقد طبع منه ٩٥ ملزمة منذ عشرة ايام ونقد

الورق والدرهم والتجار الذين يبيعوننا بالدين ليس عندهم الآن من جنس هذا الورق وسنتظر .

مع هذا كله لا بد لي هنا من ذكر كلمات أو كلمات أرجو الوقوف عندها الآن فإن تكرار المراجعة والنجاوب بالعبارات المختصرة كاد يكون مرأى ضاراً أو سوء فهم مع اعتقاد كل منا حسن النية في الآخر وإجلاله له وعرفانه بقدر علمه في الموضوع .

(١) اني والله لم يخطر في بالي أن مثلك او من لا بدنو ان يكون مثلك في علم العربية يجمل أن كلام المولدين ليس بحجة في اللغة ولهذا عجبت لقول شاعر مولد في تخطئة قولي ان كلمة الفيالق مؤنثة . وانا قد ذكرت لك تحريماً لاستعماله هذا لكي أقفل الباب لا لاني أراه من الصواب فلم يمكن إقفاله . فلم يكن عندي ما أقوله في احتجاجك علي بهذا الشعر إلا تذكرك بأن كلام المولدين ليس بحجة والآن عدت نقول بعد الاطئاب غير المحتاج اليه في علمك بالمسألة أن كلام أمثال هؤلاء الكبار من المولدين يفيد الاستثناس . . . وأي حاجة الى ذكر الاستثناس في هذا المقام مقام التذكير بالكلام العربي الصحيح الفصيح لاستعماله ؟ .

(٢) انني أعترف بأنه يقع فيما أكتب كثير من الغلط ولا سيما في المكتوبات الشخصية ومن هذا الغلط ما أعرف انه غلط ويسبق اليه قلبي لكثرة استعماله في الكلام العادي ولكثرة قراءة مثله في الجرائد وغيرها ولكن هذا الغلط يكون قليلاً او نادراً فيما اتحرى تصحيحه ولا سيما عند طبعه وقد قرأت انت مقدمتي للارتسامات ولم تخطئي الا في كلمة ودبان وهي صواب ولما ارسلتها اليك لم اكن قرأتها للتصحيح الاخير فلما

قرأتها صححت فيها عدة كلمات أذكر منها الآن تعديبة التبرم بمن وهو إنما يتعدى بالباء .

(٣) إنك لم تنكر عليّ في كتابك الاخير شيئاً الا وقد قعت في مثله وقد خطأتني في كلمة المستلم وانا أعرفها من عشرات السنين كما قلت في مسألة كلام المولدين و كنت اكتبها للمستلم حتى في وصولات الاشتراك فلما تركت الادارة عادوا يكتبون المألوف (المستلم) واظن ان الذي كتب لك الكلمة السيد عاصم ولا أبرئ نفسي منها ومن مثلها ومن هذا القبيل نقلك لي في هذا الكتاب ما قاله لسان العرب في الجاوبة والجواب وأن هذا لشيء عجاب وكذا ذكر قول جحدر وأجابك على طريقته بأن لسان العرب يوجد عندي وقد راجعته عندما كتبت إليّ اول مرة وراجعت غيره وكتبت اليك برأيي الممحض في الكلمة ولا أزال عليه . وأما قصيدة جحدر فانني احفظها منذ اربعين سنة إذ رأيتها في حاشية الامير علي المني وأولها :

تأوبني فبت لها كنيماً هموم لا تفارقني خوان

استغفر الله ! أبلق بمثلي ومثلك ان نتباري بمثل هذا الكلام ؟ .
لا والله .

(٤) إذا نحن وجدنا فراغاً للمذاكرة فيما ينتقد المدققون بمصر استماله في هذا العهد لتجرى استمال ما لا ينتقد وكان مما نتذاكر فيه مسائل علم المعاني التي اشترت اليها في كتابي السابق وكانت المذاكرة فيها على هذه الطريقة من تأويل التعديبة الواردة بغير الواردة في اللغة بمثل ما ذكرت في صدر منه وصدر عنه ومن الاحتجاج بالاستئناس أو دخوله في باب

المذاكرة بصفة غير التأويل والاستثناس من صفات الاحتمال فهل يمكن ان
نتفق على شيء ؟

(٥) القول الاخير ان مرادي مما ذكرته ومما يمكن أن أذكره
في هذا الباب التنبيه والتذكير لاجل تحري الصحيح الفصيح أو الافصح
لا الجدال والمناظرة أو المباراة والمناقشة فإن قبل هذا وإلا فلا حاجة
اليه والله ثم والله لولا أن يمز علي أن يكون في كلامك موضع لانتقاد
من أعرف هنا من المنتظمين لما فتحت هذا الباب . وأرى أن نجعل ما
مضي منه كأن لم يكن وأما المستقبل فما يعجبك منه فخذ وما لا يعجبك
فدعه . ولا أحب أن يذكر في ذلك مسائل الاحتمال والتأويل بل تقتصر
على ما يصح بالنقل الواضح وبالقواعد المعروفة فقط .

كتب هذا قبيل المغرب وبعده وما كنت أريد أن أزيد على خمسة
أسطر .

مسألة الكرم والخير لجوابك فيها صحيح من الجهة الشرعية بقطع النظر
عن تعليقه^(١) وربما أكتب لك جواباً مفصلاً في كتاب آخر . والآن
ينتظرني زائر من أذكى علماء الازهر والمهم الآن المبادرة إلى إعادة
طبع رسالة «لماذا» فاذا كان لك رأي في تصحيح أو زيادة فيها فعجل

(١) كان قد وردني كتاب من الجزائر يقول فيه صاحبه : اتنا نؤجر كروم
النب فيصنع منها المستأجرون خمرأ فهل نأثم في ذلك ؟ فأجبتهم بأنني لست من
علماء الشرع في الواقع ولكني أظنكم تأثمون فيما إذا صنعتم انتم الخمر لا فيما يصنعه
غيركم ولو كان مستأجراً منكم . وبعثت الى الشيخ رشيد بالسؤال المذكور
فأجابني بما ذكره .

به واذكر عدد ما يطبع فنى جاءت الدراهم بأشرنا بإعادة الطبع .
وصل ليلة أول من أمس برفيتك في شأن الأمير عادل وهو في
الاسكندرية وقد رجوته قبل سفره اليها أن يكتب إليّ بمكانه . بما
يحصل معه فلم يفعل كما أنه . وقد بلغ معنى البرقية صديقنا سليم بك
عز الدين بالتلفون الى عباس المصبي ليبلغه معنى البرقية وهو متصل به دائماً
والسلام عليك أولاً وآخرآ ؟

رشيدي

وكتب إليّ في ١٩ ربيع الآخر ١٣٥٠ و ٢ سبتمبر ١٩٣١ :

صديدي الاخ الامير حياه الله تعالى

قبل ظهر هذا اليوم ألقى إليّ كتابان منك تاريخ أحدهما ١٤ ربيع
الأول ومعه أوراق في الزيادة التي شرعت في كتابتها لرسالة «لماذا»
فوضعتها في ظرف كبير خاص بها وبما سيأتي بعدها — والثاني تاريخه ١٣
ربيع الثاني (والصواب الآخر) ^(١)!! إلا أنه يجوز التوسع فيه لأنه ثانٍ
بالفعل — وهذا الكتاب خاص يبحث اللغة الذي كثر تجاوبنا أو تجاهلنا
فيه ولم يتمكن أحد منا تحصيله لأننا نكتب في اوقات ضيقة نتنازعنا
فيها الشواغل الكثيرة فيأتي في كلام كل منا ما لا يقبله الآخر وما له
لوازم ربما لا تكون مرادة للكاتب فيضطر الآخر الى تفهيمها ككون
ذكر مسألة من المسائل قد يلزم منه التمريض بأن الآخر لا يعرفها —

(١) هذا الانتقاد صحيح .

وكتفيك في أول هذا الكتاب وجود أدنى موجودة في نفسك من التنبيه ولو اتهمتك بالموجدة لما كتبت اليك كلمة في ذلك . وقد ظهر لي من الكتاب الأخير أن بيننا خلافاً في الرأي دل عليه ما قبله دلالة غير قطعية وهو أنك ترى من السعة والسماحة في مخالفة المنقول في المعاجم ومخالفة بعض التواعد ما لا أراه أنا على إطلاقه إلا أن يقرر مجمع علمي لغوي شيئاً منه فيكون قاعدة تحول دون الفوضى في اللغة كتعددية الأفعال ولزومها والتضمنين ووراء ذلك ما هو أوسع منه ولا يمكن تحديده وهو الرخص .

وفي هذا البحث من كتابك ما استغربته جداً وهو إنكارك على من يخالفون رأيك هذا أنهم لا يجوزون «الالام البادية قبل الاسلام» فهذا ما لا أعلم أحداً يقول به . وأما قولك إن كثرة شغلي لا تدعني أفكر في أن في اللغة الشاذ واللغات الضعيفة كما نطن فأذكرك بأن أكثر شغلي وأعظمه تفسير القرآن وهو بذكري بهذا إن كان مما يُنسى . وانت قد ذكرت في سياق هذا التنبيه ما وجدت في كتاب الله مما لم ينطق به الجمهور ثم ذكرت بعد ثلاث ورقات شاهداً على هذا وهو قوله تعالى (قتل أولادهم شركاؤهم) ولم نذكر أنني مفسر وقد فسرت هذه الآية وغيرها مما زعم بعض الغالفين كالبازجي أنه لحن^(١) . وسأذكر لك ما جربت عليه

(١) لا جرم أن في القرآن اسماء مالات هي مما يدخل في اللغات الضعيفة ومما يخالفه المشهور . ولكنني لم أجِد في القرآن لغة إلا وجدت من العرب الجاهليين من نطق بمثلها . وأنا على مذهب أن اللغات المرجوحة لا يجوز هجرها وإنها توثق في التبريد صفة هي عين المصلحة لها . وكما أنه في الشرع «يجب الله أن توثق»

وما كان يراه أسناذنا في هذا النوع أو أحبك على موضعه من التفسير .
ومن الغريب جداً احتجاجك بالاصطلاحات الشرعية الواردة في
الكتاب والسنة على أصحاب هذا المذهب الذي لا وجود له ولا لاحد
من أمهله وهو مذهب ان اللغة ما صح عن بدو الجاهلية . ثم باصطلاحات
العلوم والفنون التي وضعت في صدر الاسلام . ثم تخاطبني أنا بقولك بعد
شواهد كثيرة في مسألتين (١) مسألة استعمال « احترم » (١) بمعنى وقر
وقلت انك لم تجدها إلا في متن أساس البلاغة من متون اللغة وقلت لي
بعده « أفترى استعمالاً خطأ » الخ سبحانه الله ! أنا لا احتج بأساس البلاغة؟
إلا انني أخبرك بأن الاحتجاج به عندي فوق الاحتجاج بالقاموس المحيط ولسان
العرب وهو أدق منهما واضح نقلاً ولا أعرف أحداً ممن تسميهم المنتظمين
لا يحتج به . على انني لم أجد الكلمة فيه . واما استعمال البوصيري لها
في البردة او غير البردة فلا قيمة له البتة وأعلم منه الفقهاء وهم يستعملونها .

— رخصه كما يجب ان تؤتى عزائمه « كذلك في اللغة يحسن أن تأتي باللغات الضعيفة
في الاحابن لتثبت أنها موجودة . إن كان المشهور خلافها .

(١) لم أجد « احترم » بمعنى وقر وتهيب في كتب اللغة الا قول الفيومي في
المصباح المنير . « احزمة المهابة وهذه اسم من الاحترام مثل الفرقه من الاثراق »
وقد ورد في « أقرب الموارد » للشرطوني هذا الفعل وورد معه مثل « لا تحترم
فتحترم » اي لا تهب فلا تنال . ولا أعلم عن نقل الشرطوني ذلك غير اني اتذكر
انه قال لي في احد مجالسه الكثيرة معي انه رأى هذه اللفظة في كلام الزمخشري !
ومن هنا جاءني الظن بأن يكون الزمخشري أوردتها في « أساس البلاغة » والحال
أنها غير واردة فيه في مادة حرم كما قال السيد رشيد .

(٢) مسألة « قتل أولادهم شركاؤهم » وهذا أرجو أن تراجع ما قلته في تفسيرها في صفحة ١٢٤ - ١٢٦ من الجزء الثالث من تفسير النار وتراجع أيضاً ص ١٦ وص ١٨٤ منه .

من الشواهد أو المثل التي ذكرت وجوب التوسع فيها بالخروج في صفة مسمايتها عن أصل اللغة كلمة « بيت » وقلت ان أصله بيت الشعر والصحيح أن العرب استعملته في الجاهلية والاسلام في بيت الحجر وغيره ومنه بيت الله ومنه (وقرن في بيوتكن) و (بيوت النبي) كانت من الحجر فإن قلت إن الأصل الاول في استعماله للبيت الشعر ^(١) لان البدأة مقدمة على الحضارة (قلت) ان مثل هذا الأصل في تاريخ اللغة لا مدخل له في الموضوع فإن استعمال العرب له في هذا وهذا يكون به كل منهما من صميم اللغة السماعية لا يصح شاهداً ولا مثلاً على التسامح والتوسع .

(١) نعم جاء تعريف البيت في كتب اللغة بأنه البيت من الشعر قال في لسان العرب : البيت من الشعر ما زاد على طريقة واحدة يقع على الصغير والكبير اهـ . ثم قال بعد ذلك : « وقد يقال للعيني من غير الابنية التي هي الاخبية بيت والخباء بيت صغير من صوف او شعر فإذا كان اكبر من الخباء فهو بيت ثم مظلة إذا كبرت عن البيت » وقد ورد هذا التعريف نفسه في القاموس المحيط ولكن الزبيدي نقل في الشرح عن ابن الكلبي ان بيوت العرب ستة : قبة من آدم ومظلة من شعر وخباء من صوف ومجادن وبر وخيمة من شجر وقنة من حجر وسوط ؟ من شعر وهو أصغرها . وقال البغدادي : الخباء بيت يُعمل من وبر او صوف او شعر ويكون على عمودين او ثلاثة والبيت يكون على ستة اعمدة الي تسعة ام .

والكن اصل القاعدة التي فرعت عليها هذا صحيح وهو ان الاسم الموضوع
لمعنى من أجناس الاشياء لا يشترط في صحة استعماله في انواع الجنس
ولا في جزئياته أن تكون بالصفة التي كانت عليها المسح عند وضع
اللفظة وهذا لا خلاف في صحته ومثله في قواعد أصول الشرع الاحكام
الواردة في أجناس الاشياء لا يشترط في صحتها أن يكون ذلك الجنس
في مادته أو صفته مثل الذي كان في زمن الشارع ومثاله المسح على
الخفين والجوربين في الوضوء وعلى العمامة أيضاً لا يشترط فيه أن تكون
هذه الاجناس مثل التي كانت في زمن الشارع ككون النسيج قطعاً أو
صوفاً الخ...

وجملة القول إننا انتهينا من هذه المسألة باننا على خلاف مذهبي فيها
فكثير من الاستعمال جائز على مذهبك بوجه من الوجوه التي ذكرتها وهو
غير جائز على مذهبي . ويقول الفقهاء انه لا يعترض بمذهب على مذهب
والكن يصح الاعتراض على اصول المذهب وأدلتنا وحسبنا من هذا ما أشرنا
اليه . واخبرك بأن هذه المسائل كلها قد كانت موضوع مناقشات طويلة
عندنا في المجمعين اللغويين اللذين ألفناهما هنا ولا سيما الاول فقد كان
من المتشددين في المحافظة على النقل والقواعد حفي بك ناصيف والشيخ
احمد الاسكندرسي ومن الواقفين على الطرف للقابل الدكتور صروف
وغيره . وكنت أنا والشيخ أحمد ابراهيم في الوسط . وليس من موضوع
الخلاف في القواعد مسألة أسماء الفاعل والمفعول بضوابطها المعروفة . وأما
الشيء الذي لا اعرفه من خواص الكتاب ترك الفصيح الذي لا خلاف

فيه الى الشاذ او غير الفصيح او مالا يصح الا بضرب من التوسع أو التأويل من غير حاجة الى ذلك .

(المسائل) مسألة الاذن للسيد علي باعبود بترجمة « لماذا » ان كان يترجم ويطبع فلا مجال للتوقف في الاذن له وإن كان لا يطبع ولا يكفل من بطبع الترجمة فالاولى أن نستشير الشيخ محمد بسيوني عمرات فإنه اولى بالترجمة إن كان يريد لها وهو الذي ترجم رسالة الصلب والفداء وهو الذي اقترح عليك كتابة « لماذا » .

(مسألة تاريخ الامام الاوزاعي) لم ارَ هذا التاريخ فاحكم بجدارته بالطبع ولكن من ذا الذي يريد طبعه ونحن عاجزون عن طبع كتبنا^(١) .

(١) كنت اطلعت على هذا الكتاب في مكتبة برلين المملوكة فنسخته بالفوتوغرافية ثم طبعته في مصر بطبعة الباي الحلي وجعلت له مقدمة ووضعت فيه تراجم الامام ابي عمرو الاوزاعي وعلقت حواشي عليه في تراجم الاعلام الذين ورد ذكرهم فيه وهم كثيرون وقد قمت بهذا خدمة لذكرى الاوزاعي الذي كان يقال له امام اهل الشام وكان العمل بمذهبه في الشام وفي الاندلس وكان اماماً لاجدادنا وبجوار مقامه مدفون كثير منهم . ولكن لم اعثر في النسخة التي عثرت عليها ببرلين على اسم مؤلفه وبعد ان طبعت الكتاب جاءني من الاستاذ السيد محمد علال الفامي انه اطلع في فهرس دار الكتب المصرية على نسبة هذا الكتاب وانه تأليف الحافظ الكبير شهاب الدين احمد بن علي بن محمد بن علي بن احمد المعروف بابن حجر الكنتاني العسقلاني الشافعي المتوفي في شهر ذي الحجة سنة ٨٥٢ فرغ من تأليفه في اليوم الخامس عشر من شهر الله المحرم افتتح سنة ٨٥٠ .

(مسألة الكرم والخمرة) ما قلته أنت فيها حسن بالاجمال ولكن الذي ينبغي نشره بالتفصيل يتوقف على مراجعة كتب الفقه وسأراجع إن شاء الله قريباً لاسر يتعلق بغير المسلمين في المسألة . وأما مسألة ٩٥ فإنما وقفني فيها خاصة بقولك « فكانت كأن لم يكن من جهة نفوذ الهواء » فهذه عبارة لم أفهم معناها ولا عرفت وجه إعرابها فهي معقدة بحسب فهمي ^(١) والسلام عليك وعلى نجلك النجيب م

محمد رشيد رضا

— وانه نسخة من مجلد مخطوط بقلم معتمد بخط عبد الغني بن عبد الرحمن البنداق فرغ من كتابتها في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان سنة ١٢٩٣ .

قال لي السيد علال حفظه الله : وقد تعجبت كثيراً من هذه النسبة لان الكتاب من الوجهة الحديثة ليس في مقام الحافظ وراجعت بعض من ترجم لابن حجر فلم أر من نسب له كتاباً بهذا الاسم — ورغم كوني أعلم ما نقله السخاوي من انه سمع ابن حجر يقول : لست راضياً عن شيء من تصانيفي لاني عملتها في ابتداء الامر . ثم لم يتبها لي من تحريرها سوى شرح البخاري ومقدمته والمشتبه والتهذيب ولسان الميزان الخ . فلم أطمئن الى هذه النسبة من حيث كونها تدل على ان هذا الكتاب فرغ منه قبل وفاته بسنتين وهو إذ ذاك قد بلغ غايته في العلم والتحرير وأياً ما كان فيجب التثبت من هذه النسبة والتحفظ فيها على ما يظهر لي والله أعلم . اهـ .

أما اسم ناسخ الكتاب عبد الغني البنداق فهو معروف عندنا وآل البنداق عائلة من أشرف بهوت .

(١) على الكتابة اي فكانت كالشيء الذي يقال فيه كأن لم يكن .

وكتب إلي في ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٥٠ :

سيدي الأخ الامير المجاهد الكبير

اليوم أتنفس الصعداء وألقي عن كاهلي عبء حمل أنظمت من ثقله منذ ربع قرن ونيف وهو تاريخ شيخنا الاستاذ الامام قدس الله روحه فقد تم تحرير آخر ملازمه وتصحيحها امس وتطبع مقدمة التصدير اليوم والخاتمة غداً إن شاء الله تعالى ويتلوها الفهرس او الفهارس ويبلغ المجموع زهاء ١٤٠ ملازمة وهو يزيد او يبلغ ضعفي ما كنا نقدره عند البدء به وبقي لدي كثير مما كان يجب أن يكتب أرجأته الى الذيل^(١).

واليوم أخرج نفسي من الحبس الذي حبستها عليه منذ أشهر وهو أن لا اكتب شيئاً قبل إتمام هذا التاريخ فأبدأ ببشارتك بإتمام العمل الذي يسرك والاعتذار لك عن ترك الكتاب اليك على كثرة حقوقك وسأقرأ غداً إن شاء الله تعالى ما أرسلته إلي من القصصات التي بينت فيها رأيك في مسائل اللغة التي تجاوبنا وتجادلنا فيها فقد جاءت في زمن الحبس الذي انتهى والله الحمد وربما يتيسر لنا تجليد بعض نسخ التاريخ في الاسبوع الآتي بعد طبع الرسوم الشمسية له وقد اقترح علينا اليوم أن تزيد عليها رسوم مكتوبات سعد باشا للشيخ الامام التي عندنا وليس فيما طبع إلا واحد منها . هذا واني منتظر كتاباً منك في المسألة السورية^(٢) التي بث

(١) يبلغ هذا الجزء وحده اي الجزء الاول ١١٣٤ صفحة ولكن لك أن تقول انه تاريخ الحركة الفكرية في مصر والحركة السياسية مدة الخمسين سنة الاخيرة الى وفاة الاستاذ الامام .

(٢) هذه القصة طويلة خلاصتها اننا نحن اعضاء الوفد السوري الفلسطيني -

دعابتها الملك فيصل وزجاله في الاسكندرية وسورية وكان وفدكم من
أركان سعيه فيها وعسى ان يصل ما نفضل به علي قبل وصول فارس بك
الخوري الى هنا والسلام عليك وعلى فجلك النجيب ؟
اخوك

مشير

— كنا نغذاكر مع المرحوم فيصل في المسألة السورية فكان يريدنا على مساعدة
أخيه الملك علي أن يكون ملكاً على الشام فقلنا له : إن هذا لا يتأتى منا لانه
يكون مخالفاً لقرار اخواننا رجال الكتلة الوطنية الذين قرروا ان تكون
حكومة سورية حكومة جمهورية وأنت نفسك اذا مضيت في هذه السياسة تقع
في مشكل بين أخيك وبين الوطنيين السوريين وبعد أخذ ورد قلنا له : إن كان
يمكنك أن نقتنع الدولتين انكلترة وفرنسة بدم الاعتراض على توحيد العراق
وسورية في مملكة واحدة ذات قطرين كما كانت النمسا والمجر فلا شك ان
السوريين يعدلون عن الجمهورية ويأبىعونك انت ملكاً على سوريا كما انت ملك
على العراق . ولكن في هذه الحالة يجب على العراق وسوريا عقد تحالف مع المملكة
العربية السعودية تعترف انت فيها بالامر الواقع في الحجاز . فهذا هو البرنامج الذي
كنا نحن الواضعين له لا الملك فيصل . وكان مرادنا به وضع الحجر الاول لبناء
الوحدة العربية . فوقع لنا من المعاكسات ما وقع وقبل اننا نعمل لاجل فيصل
شخصياً وانبرى أناس كثيرون من العرب لمعارضة هذا المشروع الذي كان الترك
والافرنج يحسبون له الف حساب فكانت هذه المعارضة من أعجب العجيب .
ولكن لم يمض على هذا اكثر من خمس او ست سنوات حتى رجع الجميع الى القول
بوجوب تحقيق الوحدة العربية وعقد ملك الدولة السعودية التحالف التي عقدها
مع الدولة العراقية وظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً .

وكتب إليّ في ١٦ جمادى الآخرة ١٣٥٠ و ٢٨ أكتوبر ١٩٣١ :
سيدي الأخ الأمير والمجاهد الكبير ابد الله به السياسة والادب
ولغة العرب

تحية وسلاماً . اما بعد فقد ألقى إليّ امس كتابك الكريم وعلاوته
السياسية التي هي اكبر منه (او ملحاقه كما يكتب النجديون) ومن حسن
الحظ ان كان السيد عاصم عازماً على السفر اليوم فأخرته فوق تأخره الى
الآن وهو يكتب لك الآن كشفاً بما وزع من الرسالة وهي على وشك
النفاد وبالرحلة والذي وزع منها قليل بسبب العسرة الملقية الخناق ، الشدبد
الوثاق ، وبلوغها حد ما لا يطاق — وبخلاصة الحساب .

فأما بيانك في المسألة السورية فيغني عن إطالة رأيي فيه الاعتراف باتباع
أمير البيان فنظرياتك فيه كلها صحيحة وآراؤك فيه راجحة غير مرجوحة
والمصالح السياسية ليس فيها عداوة ولا محاباة شخصية ولكن الاخبار فيها
يحتاج بعضها الى تحقيق وتمحيص فإصرار فرانسة على ابقاء سواحل البلاد
كلها بيدها وجعل سياستها في العلوبين شراً من سياستها في البربر لا تدل
على جنوحها لجعل سوريا كالعراق . ثم ان المفهوم من جمل فيصل ملكاً
للعراق وسوريا معاً لا يدل على توحيد المملكتين بتوحيد ملكها فن اين
جاء هذا الحكم الذي كثر التعبير به ؟

الى ان يقول :

واما ما كتبت في المسألة اللغوية بجريدة الاخبار ^(١) فنه ما هو قطعي
(١) كنت كتبت في جريدة الاخبار مقالة في اللغة جئت بعدها بمقالة ثانية —

لا مرأ فيه ككون معاجمها المعروفة لم تحض مفرداتها السماعية فضلا عن القياسية وكون ما صح عن النبي (ص) واصحابه يعد من صميم اللغة نقل في المعاجم او لم ينقل . ومنه ما فيه بحث وتفصيل كالمقول عن فصحاء المقلدين ولا سيما المتقدمين منهم فهو على كونه لا يحتاج به على عربية ما اتفردوا به قسما : (أحدهما) ما خالف القياس فهذا لا يمكن قبوله على علاقه وعدّه من اللغة بغير سماع يؤيد صحة أصله على الشذوذ عند العرب إلا أن بنمقد يجمع لغوي بقرر بعض ذلك بأن يحمل بعض أوزان الافعال او جموع التكسير او التضمين قياسيا بقيود بقررها أو إطلاق في بعضها (وثانيهما) ما لا يخالف قياسا مقررأ بل غايته انه لم يسمع « كتنقأق » فالراجع في هذا عندي انه من أصل اللغة المسموع الذي لم تنقله هذه المعاجم وربما نقله غيرها بل انا أعتقد ان كل ما ينطق به عوام العرب الى هذا العهد مما لم يسر اليهم من الاعاجم من المفردات فهو مما تناقله عن العرب الاولين على تحريف او تصحيف في بعضه او اكثره .

ومن العجيب أن رأيتك ذكرت من الكم الذي عثرت عليه في كلام الفصحاء وهو مما فات المعاجم « تصاغرت » و « استزكبه » و « هاجروا » ولا نهجروا » و « خطب الناس » او القوم . وكل هذه موجودة في اساس البلاغة .

— ثم بمقالة ثالثة في مجلة المجمع العلمي العربي مآل ذلك كله ان ليس للغة قاموس محيط بها كل الاحاطة وانه قد وجد الفاظ عربية صحيحة فصيحة ثبتت في الآثار وفي الشعر الجاهلي ولا تزال نادرة من كتب اللغة فمن هنا لا يجوز ان ننفي من اللغة كل لفظة لا نجد لها في المعاجم التي في ايدينا .

في ١٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٠

وأما ما يذكر في مثل تاج العروس في تفسير كلام المصنف أو غيره فهو دون ما يؤثر عن بلفاء المولدين المتقدمين كأبي نواس والمتنبي فإذن هؤلاء وكثيراً من العلماء الذين قبلهم يستعملون ما راج في عصورهم من الكلام العربي المستعمل من العامة فالامام الرازي الذي ألف في علم البلاغة ولم يقتصر على العلوم العقلية والتفسير أكثر خطأ في لفته من الكتاب المجيد في عصرنا وكذا ممن دونهم وأكثر غلظه في الاصلوب وتركيب الكلام . ومن المعلوم ان العلماء قد استحدثوا في العلوم والفنون الشرعية والعقلية واللغوية كلاً واصطلاحات وتركيب غير عربية الاصل والاصل فيها أن تقصر على ما وضعت له ولا يفسر بها الكلام العربي الصميم ككلام الله ورسوله والعرب اخلص فن اصطلاح المنطق قد يكون — وقد لا يكون . وقد لا تدخل على النفي فيجب أن يقفوا فيها عندما اضطروا اليه من جعلها موراً جزئياً للقضية الشرطية السابقة . ومنها السؤال عن حقيقة الماهية بما هو كذا ؟ والفرقة بينه وبين اي شيء هو كذا ؟ وهذا التخصيص ليس بعربي ولكنهم حكموه احياناً في تفسير كلام الله تعالى كقول فرعون لموسى (وما رب العالمين) فوقعوا في تحريف القرآن . وقد نهت على هذا في التفسير مراراً . وخطأت الرازي في مواضع منها تفسيره كلمة (إله) بمعنى لفظ الجلالة (الله) او بمعنى كلمة (الرب) .

ومن استعمال علماء المعقول المخالف للقياس النسبة الى الطبيعة بلفظ طبيعي وقد خطأهم فيه المدققون من متأخري عصرنا وتركوه للقاعدة في النسبة الى كمية بقاء شيء . ولكن الاول هو الاصل الاصيل في القياس والثاني

خروج عنه بالسماع من العرب لكثرة شذوذهم في باب النسبة ولكن سمع منهم سلبتي^(١) فلعل علماء المعقول ومنهم أشد علماء الفنون العربية تدقيقاً (كالسيد الفتازاني والسيد الجرجاني والشيرازي وأمثالهم) قام عندهم الدليل على استثناء النسبة إلى الفرائز فإن الطبيعة كالسليقة . وغرضي من ذكر هذا أن الاقتداء بكبار العلماء في الخروج عن القياس المقرر في كتب اللغة وفنونها لا يصح أن تطلق الرخصة فيه تجنباً لوقوع الفوضى في اللغة المفصي إلى إضاعتها وإنما يجب أن ينافى تقرير ما يصح منه وما لا يصح بمجمع لغوي يكون منضبطاً يرجع فيه إلى أصل .

هذا وإنه قد حان موعد خروجي لأمري ضروري وإني لآسف لأنني لم أستطع الكتابة في هذا الموضوع في وقت واسع . وقد علمت من السيد عاصم أنه حرر لك حساب الرسالة والكتاب والسلام عليك أولاً وآخرأ وعلى فحلك التجيب ومن تلقى من المحبين ما
اخوك

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٨ رجب ١٣٥٠ و ١٨ نوفمبر ١٩٣١ :

سيدي الاخ الامير والمجاهد الكبير

أحبك تحية مباركة طيبة ولو قالت في هذه التحية سلاماً لما كان قولي إلا مقتبساً من قول الله عز وجل في أهل الجنة (وتحيتهم فيها سلام) وقوله (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيلاً الا قيلاً سلاماً سلاماً) وأنت

(١) ولست بنحوي يلوك لسانه ولكن سلبتي أقول فأعرب

أجل وأكرم ممن يخاطبون بسلام المتاركة من أحد يعرف الفضل لاهله فكيف بأعرفهم بفضلك وأبلغهم تنويراً بحمدك وشكرك . وقد ألتى الي كتابك الاقتصادي فسررت جد السرور بخطتك العملية في القصد في المعيشة التي توجبه العسرة الحاضرة وقد سبقتك الى مثلها من كل وجه . وحساب الادارة عندك لا يخطر في بالي انهامك بالتقصير فيه بل لم أفكر فيه قط ولم أطلع على تفصيل ما كتبه اليك السيد عاصم إلا انه قال لي قبل سفره انه لم يبق في المطبعة الا زهاء ١٥٠ نسخة من رسالة (لماذا) وسأعيد الاحصاء ومراجعة ما وزع منها . ومن المؤسف ان بعض الطرود التي جهزها لما يرسل لعدم الدراهم ولموت التاجر الذي كان يتولى الشحن في البحر من السويس وبور سعيد وتوقف محله وقد خايرنا غيره ممن يتولون ذلك فكان هذا مما زادني شغلاً لم أعوده على أشغالي وقد زادت حكومتنا أجور البريد كلها . وقد أرسل الي ابو الطيب العقبي من الجزائر خمسمائة فرنك أمكنني بيعها بخمسمائة قرش وهي ثمن الخسعين التي أرسلت اليه من رسالة «لماذا» كما يقول وإنما هي الثمن الكامل لمائة نسخة فما فقد مما أرسلناه اليه حين كان في بسكرة قد عوض مضاعفاً .

هذا وإن ما نفضل به من تقرير تاريخ استاذنا كلنا سأنشره في جريدة الجهاد قبل النار فالمرجو ان لا يكون مشوا بالمسألة اللغوية ولا السياسية والسلام عليك أولاً وآخرآ من اخيك المخلص

محمد رشيد رضا

(حاشية) : الدين الذي علي يزيد علي الف ومائتي جنيه ^(١) وهو مقسط

(١) قد أثبتنا في هذا المجموع كثيراً من كتابات الاستاذ المتعلقة -

علي أشهر متقاربة بكمبيالات وأهم منها زهاء أربعمائة جنيه قسط الدار
السوي يستحق في أول يناير وليس أمامنا الآن مورد إلا تاريخ شيخنا
إذا سخر الله لنا من يساعدنا على توزيع مقدار كبير منه كما وعدنا
بعضهم . وسأرسل ما تأخر من المطلوب إلى مرسيلية . وأما ما طلبت لنفسك
فقد أرسل ولعله وصل ؟

وكتب إلي في ١٤ شعبان ١٣٥٠ و ٢٤ ديسمبر ١٩٣١ :
سيدي الاخ الامير

عدت من القدس فوجدت أكثر من في الدار مصابين بالنزلة الوافدة

— بأزمته المالية وذاك عمداً منا حتى يعلم الناس ان رجلاً هو في مقدمة خادمي
الإسلام في هذا العصر وفي كل عصر بعد اربعين سنة من جهاده المتواصل كان
مدبوناً وكان بيته مرهوناً وكان في ضحك شديد من جهة معيشته لاسيما
انه كان مبسوط اليد معتاداً من صغره الاتفاق وإكرام الضيوف وما زال الاستاذ
في هذا الضحك إلى أن توفاه الله إلى رحمته فوجد عليه بعد موته من الديون ما
يزيد على ألفي جنيه ولا يزال البيت مرهوناً ولا تزال العائلة تسعى ونحن نساعدهم
لأجل بيع خزانة الكتب الخصوصية لعلهم يوفون بشئها أحد الاقساط المستحقة
على البيت وقد بلغ بهم الخناق أن طرحوا للبيع الاملاك المتروكة عن السيد في
بلدته القلمون . فتأملوا يا أولي الالباب في مال هذا الرجل الذي خدم الاسلام
تلك الخدمة الجليلة التي قلما وفق اليها أحد في العالم الاسلامي وتأملوا في جهات
أولئك الذين كانوا يتقولون عليه انواع الاقاويل ويتهمونه بالطمع في المال
وبقبض الاموال الطائلة من ابن سعود وغيره . وهذا في الغالب عند أبناء هذه الامة
جزاة العاملين .

ووجدت نذر الكياليات المتعددة متنوعة مهذدة . (الى ان يقول :)
كتب إليّ الشيخ محمد بسيوني عمران أن ترجمة رسالة « لماذا » وطبعها
قد نبه الحكومة الهولندية الى مصادرتها والبحث عما يتعلق بها وهو خائف
على نفسه من عاقبة ذلك . وقد وصل إليّ في القدس برفقة من حضرتك
وحضرة الاخ إحسان بك بالتعزية عن الوالدة فعلمت منها أنكم لم تعلموا
بوفاتها إلا من جزء المنار وإني على شكري واعتباطي باخوتكما وعطفكما أقول
إن البرقية كانت من نوافل العناية أطال الله لي وللأمة بقاءكما والسلام
اخوكم

رشيد

(حاشية) متى خف الحمل عني بعودة السيد عاصم أجمع لك لوراف
رسالة « لماذا » وأرسلها اليك إن شاء الله تعالى . وقد قرأت مقالتك التي
نشرت في الجهاد رداً على وأنه لرد محكم ملزم ملجم مفهم كأمثاله من
بيناتك .

وكتب إليّ في ١٣ رمضان ١٣٥٠ و ٢١ يناير ١٩٣٢ :

سيدي الاخ الامير

أحبيك وأحيي زميلك الجابري وأهنيكما بشهر الصيام . وقد وصلت
أول من أمس برفقتكما وتلاها وصول كتابك أمس وأعجل بهذه الكلمة
الوجيزة وسنحيثني بعد نصف ساعة سيارة تحملنا الى الجيزة للافطار عند
أحد الاصدقاء فلا وقت للتطويل ، والتفصيل فيه موقوف على اجتماع مع
بعض اخواننا السوريين منهم الدكتور قدري فنصل العراق للمناكرة في

المسألة المفصلة في الكتاب والمحمد لما بالمقالات الكثيرة وقد كتبت قبل هذا كتاباً مطولاً فيها للأخ نبيه بك العظمة وهو في القدس ويراسل اخواننا في دمشق وبهروت . وأنا كتبت اليك قبل سفرى الى القدس وبعده بانني موافق على الاتحاد الذي تدعو اليه وإنما كتبت أولاً انني لا أعقل أن تكون فرنسة راضية به ^(١) وقلت آخرأ ولا أزال أقول ان السعي المرحو له غير واضح وهو ما صنبحت فيه هنا ، والدكتور شيندر موافق لنا على العود الى السياسة السلبية ولكن حريقه هنا أضعف من حربتنا وفرنسة متفتة مع الحكومة المحلية هنا . وأما الامير ميشيل فلا يشتغل في المسألة وأنت تفهم تعليل ذلك . وقد أخذ أسعد افندي داغر برفيقكما ليطالع الدكتور عليها وبذا كره فيما ينبغي أن نعمل معه بالتماون بعد الصلح بيني وبينه ويعود إلي .

أعجبت اليك النسخ التي أرسلناها الى جيبوتي لمنع فرنسة لها من كل بلادها وعلى كل منها غرامة للبريد . والسيد عاصم يعيد كتابة حساب مفصل لك وهو يسلم عليك تسليماً

رشي

(١) لو كانت الاممة العربية اجمعت عليه لكانت فرنسة على الارجح قد رضيت به واختارت سياسة تقوية العرب في وجه الترك الذين لا تجهل فرنسا أطماعهم في سورية ولكن ظهر من العرب مع الاسف من عارضوا هذا الاتحاد السوري العراقي أشد المعارضة بل أشد من معارضة الترك والاوروبيين فلم يبق داعٍ ان تكون فرنسة عربية أكثر من العرب أنفسهم . . .

وكتب في ١١ شوال سنة ١٣٥٠ :

سيدي الاخ الامير والمجاهد الكبير

إني التي إلي كتابك فأثرت في قلبي تهنتك إياي بالعيد ودعاؤك لي فيه بالعمر المديد الرغيد ذلك كله من قلبك الطاهر الممتلئ بالحب الصادق والإخلاص والإكبار لاختيك كأنك تراه بأكبر الآلات للمكبرة فترى برغونه فيلاً كبيراً وحجابه قرأً منيراً فأسأل الله تعالى أن ينفعه بحبك ودعائك وولابتك وإخائك وأن يطيل له وللأمة في عمره وينفعها بعلمك وعملك وبديم علينا نعم الصحة في الجسم والعقل والقوة في العلم والدين والغنى عن الناس والتعاون على البر والتقوى . ووصل أول من أمس كتابك الوفدي الموقع بإمضاءك وإمضاء الاخ الجابري الى أستاذ افندي سكرتير لجنتنا فأعجبتني الكلمة الأخيرة منه في حال اخواننا رجال « الكتلة الوطنية » وكل ما فيه حسن يعجب إلا ان هذه الكلمة بينت كنه حالهم في خلافهم ووفائهم ونطقهم وسكونهم وما يحسن من الحكمة في معاملتهم والسلوك معهم وهو ما تقترحان على لجنتنا ووفدكم أحق به وأولى وانت أنت أول من يطالب نفسه بهذه الحكمة في لهجة مقالاته التي فهم بعضهم منها الدعاية الخاصة ^(١) التي سبقت الإشارة إليها بما كان

(١) أي الدعاية لشخص فيصل في قضية ظاهرها الاتحاد السياسي بين سوريا والعراق (سبحانك هذا بهتان عظيم) إننا ما قصدنا إلا نقوبة الأمة العربية بالاتحاد ولم نجهله قاصراً على سورية والعراق بل كان برناجنا من البداية أن يكون ابن سعود داخلاً فيه بصورة مخالفة عسكرية اقتصادية سياسية وعلى شرط اعتراف فيصل بالأمر الواقع في الحجاز وأن يشمل هذا الاتحاد العربي -

من تكرارها والانتهاء على مخالفتها وقد أحسنت في كتابك إليّ إذ قلت
انك توصف بالتكرار وصدقت في قولك إن التكرار ضروري في سبيل
الدعاية فان في كتاب الله المعجز للبشر ولغيرهم من التكرار لمسائل
التوحيد والبعث وما دونهما من مهمات الدين ما ليس له نظير في كثرتة
مع بلاغته واختلاف أساليبه وحلاوتها المثبتة لقولهم « التكرار أحلى »
ولكن كلام البشر يمل بكثرة التكرار مما يمكن بليغاً في مثل موضوعنا
وناهيك به اذا أمي تأويله واشتبه على بعض الناس دليله وقبح من بعض
دعائه تصويره وتمثيله .

إن صديقنا الدكتور قدرى قنصل العراق متفق مع الدكتور شهبندر
وهو من حزب الملك فيصل ومع اسعد داغر وهو على اعتداله وديد
لفيصل . على أنه ليس من المصلحة الآن الدعاية لتوحيد القطرين والوطنيين
على ما نعلم وهذا الدكتور هو الذي يسعى منذ بضعة اشهر الى الصلح بيني
وبين الدكتور شهبندر . وقد سافر قدرى قبل العيد الى سورية فالعراق
وسيعود قريباً فيخبرنا بكنه الحال في كل من القطرين . ثم ان اخواننا
الوطنيين يسعون ويمهدون السبيل لعقد مؤتمر عربي في الربيع الآتي ولما يتم
الاتفاق على الموضوع الذي يجتمع فيه وسيكون أحسن الفرص لتعجيص
مسائلنا هذه كلها ومنها مسألة الخديو وقد ظهرت . ولكن حسن خالد لم

— البمن ايضاً وفيما بعد سائر إمارات الجزيرة . فكان جزاؤنا على هذا المشروع
ما كان مما لا نقيض الان بذكره . ولكن الله انتقم بعد زمن قصير
وأظهر الحق وأشعر العرب أجمعين ان اتحادهم هو الوافي الوحيد من مصيرهم نهياً
مقسماً بين الدول الفاغرات أفواههم من كل جانب .

يتقن تمثيل فصله فيها الى الآن بحسب ما بلغني من أخباره فهو قد كلم
أولاً نبيه بك العظيمة ليجمعه بالخدبو في القدس فلما صارحه هذا بأنه
هو وأخوانه لا يعنون بأمر التيجان والعروش وإنما يعنون بأمر وطنهم
ومن يساعدهم على تحريره من الاستعمار بسعيه وماله ونفوذه... ترك الجمع
بينهما . وقد شاع في آخر رمضان وأيام العيد أن الخدبو يسعى ليكون
ملكاً لفلسطين مضومة الى شرق الاردن^(١) . وقيل إن الانكليز راضون
بذلك - وشاع أن مفر رئيس الوزارة المصرية الى القدس وسوريا لاجل
المسألين . وقد كنت عازماً على شرح هذه المسائل فعرض لي موانع
فاكتفيت بهذا الآن والسلام .

رشيده

(١) المتواتر حتى عن لسان سمو الخدبوي نفسه أنه لم يكن يطمح قط الى
عرش سوريا لولا دعوة مصطفى كمال اياه الى انقره ووعدده له بمساعدة فةالة لدى
فرنسة في جملة ملكاً على سوريا ، وقد كان هذا بعد ان سمع مصطفى كمال
بمشروع اتحاد القطرين الذي قامت له أنقرة وفعدت ففكر رجالها بأنه لا يوجد
من هو قدير بماله وحركانه على إحباط مشروع اتحاد القطرين اكثر من عباس
حلمي . فاستدعوه الى أنقرة على حين كانت بينهم وبينه وحشة وانقطاع وأطمعوه
في عرش الشام وأيقن هو أنه حائزه . ولكن فرنسة بالرغم من اصرار تركية
بقيت مترددة في قبوله . ملكاً على سوريا وجاءت معارضة الملك فؤاد في ذلك الوقت
بشدة زائدة لهذا المشروع حائلاً دون تحقيقه . وجرى مناقشة بين الخدبوي وبين

وكتب الي في ١٧ ذي القعدة ١٣٥٠ و ٢٤ مارس سنة ١٩٣٢ :

صيدي الاخ الامير

حافت بنا كوارث العسرة في هذا الشهر الشمسي والاضطراب في
المسألة السورية وأصدرت فيه الجزء الثاني من النار فلم أفرغ بالاً للتجاوب
معك بالكتاب وقد بدأت بهذا بعد صلاة العصر وإذا بالاستاذ الثعالبي
وسعيد بك شامل مع آخرين وصلوا زائرين وباحثين في مسألة لجنة المؤتمر
التنفيذية فرأيت أن ألقاهم قبل إتمام الكتاب ...

لقبت الجماعة فوجدت معهم حسن حسني عبد الوهاب من رجال العلم

— السابق والحكومة المصرية من أجل ترشيح الخديوي نفسه ملكاً على الشام
بعد أن وقع الصلح بينه وبين الملك فؤاد على أن الخديوي يترك السياسة بتاتا .
فكان الملك يمتنع على الخديوي بأن ترشيحه لنفسه ملكاً على سورية مخالف لتعهد
بترك السياسة . و كان الخديوي يوجب بأنه إنما تعهد في مقابلة الثلاثين الف جنيه
التي تقررت له من قبل الحكومة المصرية أن يترك السياسة في مصر دون غيرها .
فكان جواب الحكومة المصرية للخديوي بلسان صدقي باشا : إن هذا الكلام
غير وارد لان سوريا هي أقرب الاقطار الى مصر والعلاقات بين القطرين لا تحتاج
الى بيان . وما زالوا في الجدل معه الى ان علم كون تركية لا تقدر على جعله
ملكاً على سورية بدون رضا أهلها ومع وجود معارضة ملك مصر الشديدة . وقيل
انه بعد ذلك زين بعضهم له السعي في عرش فلسطين مضموماً اليها شرق الاردن .
ولا نعلم مبلغ هذا الخبر من الصحة وان كان له اساس فقد نجاه الله من ذلك لانه
قد كان يتهم بمالأة اليهود فكان العرب لا بد لهم من ان يشوروا عليه وهو في غنى
عن هذا كله .

والفن والمال والحكومة في تونس فتكلمنا في موضوع المؤتمر قليلاً وفي حالة تونس والمغرب كثيراً . ثم بدا لي ان أرجي الكتاب الى هذا اليوم (السبت ١٩ ق) ليكون بعد جلسة اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني وما عسى ان يكون فيها مما يجب ان يودع في الكتاب — وموعدها بعد العشاء من ليلة السبت كل اسبوع — وقد أصبحت المسائل التي يجب الكلام فيها كثيرة ولا مندوحة لي عن الاجمال والايجاز فيها:

(١) لجنة الخلدو أو جمعيتها الجديدة المسماة بالرابطة الاسلامية عجبت أنك لم تكتب إلي شيئاً في شأنها وأنت السباق لمعرفة أمثال هذه الامور بعدت أو قربت وهذه بين يديك في جنيف ومن مقاصده فيها كما يقول بعض المطلعين على شؤونه خدمة مصطفى كمال في الحيلولة بين المسلمين وبين تجديد الخلافة الاسلامية . وبدخل في ذلك غيظ الملك فؤاد . ويقال ان الملك أرسل اليه من عاتبه في انقرة او الاستانة عندما كان فيها على سعيه لعرش سوريا وانه مناف للاتفاق معه فأجاب بأن الاتفاق خاص بمسألة مصر وهو حر فيما سواها ومن الاخبار الصحيحة التي وقفنا عليها ان الخلدو استمال الامير عبدالله للعمل معه والمراسلات متصلة بينهما وهو يظلمه على اصرار . . . بل أعطاه أوراقاً سرية في هذا الموضوع .

ومن مساعي هذه الرابطة ان مكرتيرها هو السيد الطباطبائي التي اختارته لجنة المؤتمر الاسلامي للتنفيذية مكرتيراً لها وقد كان متردداً في قبول العمل في لجنتنا وثوقف عمل مكتبها على تردده وغيبته في اوروبا . و كان الرئيس الحسيني يقول انه لا بد أن يجيء حتى اذا ما زار الشاب الحازم رياض بك صلح القدس الجساء الي إرسال برقية اليه خالصة الرد

فجاء جوابها برجي يان رايه الي كتاب يرسله في البريد . ومنذ أيام كتب إلي أحد اخواننا المطلعين أن جوابه جاء بأنه سيحضر في آخر شهر مارس هذا ولكن يجب أن يكون خبره مكثوماً والحسيني لم يخبرني ولا الشمالي بخبره هذا . ونحن أكثر من بكتابته وأخلص أصدقائه . وقد كتبت الي نبيه بك العظمة وهو عضو لمكتب اللجنة باختيارها له وليس عضواً في اللجنة نفسها بأن يخبره عن لساني بأنه ليس له أن يقبل إسناد أعمال السكرتارية اليه بدون استشارة أعضاء اللجنة إلا أن يترك لجنة الخديو . ولا ندري ما سيكون في هذه القضية ولا هوى الحسيني فيها^(١) .

(١) كانت للسيد ضياء الدين الطباطبائي رئيس حكومة ايران سابقاً معرفة بالخديوي السابق فلما تقرر انعقاد المؤتمر الاسلامي العام في القدس جاءت الي الطباطبائي دعوة من لجنة المؤتمر فأطلع عليها الخديوي فاهتم جداً بهذا الامر نظير اهتمامه بتعييني ناموساً عاماً للمؤتمر الاسلامي الذي كان انعقد في مكة المكرمة وأخذ الخديوي في مذاكرة الطباطبائي عما يناسب له أن يعمل له ليكون له كلمة ومكانة في المؤتمر . ولما كان الطباطبائي من رجال الاسلام الذين جمعوا الي الحمية الاسلامية والنزعة الوطنية رجاحة العقل ومزید الخبرة السياسية نصح للخديوي بان يقوم للاسلام بخدمة عامة تنال رضاء العالم الاسلامي وتكون ميسورة للخديوي لانه لا يعجز عنها . فسأله الخديوي عن نوع هذه الخدمة فأشار عليه بأن يؤسس مكتباً للدعاية الاسلامية في جنيف بنفق عليه . من ماله . فطلب الخديوي من الطباطبائي تحرير برنامج لهذا المشروع فخرره له وقد اتيح لي الاطلاع على هذا البرنامج وهو من خير ما فكر به عاقل مسلم . فوعده الخديوي بتنفيذ هذا المشروع وذهب الطباطبائي الي القدس وبشر به المسلمين . إلا أنه على تفتئة ذلك وقع

(٢) فلان وأخواه بعضهم لبعض عدو هذا ينفض هذا لانه يزعم انه سلب منه ملك ٠٠٠ وذاك يبغضه لانه يرى انه ينازعه في ملك ٠٠٠ والمكاتبات متصلة بينهما في الكيد له ٠٠٠

(٣) مسألة اتحاد القطرين مجمع عليهما بين الوطنيين في سوريا ولدي جميع الذين اشتغلوا بالقضية العربية في العراق ومنهم كبار المعارضين كياسين باشا وحزبه وقد يعارض فيها مثل ٠٠٠٠ واللجنة التنفيذية تمهد السبيل وتمتد الوسائل للدعوة اليها على وجه يرجي قبوله في القطرين وغيرهما . وقد كتبت في هذين اليومين الى أعلى المراجع في العراق وغيره . وأرى أن تكفوا الان عن تكرار الكتابة فيها وفي تعظيم شأن استقلال العراق وأن لا تطعموا في هذه الايام في إقناع الوطنيين المصريين بشيء ما

— استدعاء مصطفى كمال للخديوي لاجل قضية عرش سورية فعدل الخديوي حالا عن مشروع مكتب الدعاية الاسلامية في جنيف وجاء الخديوي الى فلسطين فتلاقى مع الطباطبائي . فكان السيد ضياء الدين يستنجزه وعده الذي كن قد أعلنه عن لسانه . وكان الخديوي يجيبه بأن أعمالاً كهذه تخالف مشرب مصطفى كمال الذي وعده بعرش سوريا . فاجتهد الطباطبائي بإقناعه بأن عرش سورية لا يؤخذ من أفقرة بل من نفس الشام . ويقول الطباطبائي ان المرحوم حسن خالد الصيادي مستشار الخديوي كان موافقا للطباطبائي على رأيه وكان يميز كلامه من جهة مكتب الدعاية . ولكن الخديوي لم يقتنع بكلامها فذهب مشروع مكتب الدعاية الاسلامية في اوروبا ادراج الرياح مع انه من أشد المشروعات ضرورة للاسلام . وفي الوقت نفسه لم يحصل سمو الجناح العالي على الشيء الذي أهدر هذا المشروع من أجله .

بدل على أن الدولة الانكليزية تعمل عملاً ما أو تنصف بصفة ما تصح
ان نحمد عليها . فقد اشد عليهم خناق حكومتهم بتأييدها وحجى الوطيس
فما يكتب مخالفًا لشعورهم الحاضر مما لا يعقل وإن عقل فلا يقبل ألم تر
كيف فعلوا بشوكت علي ولولا أن لك مكانة رفيعة عند الوطنيين
المصريين كافة ومحمد توفيق دياب لا يشذ عنهم في ذلك لأصر
على عدم نشر مقالتك في مسألة العراق ^(١) كما قرر أولاً ثم لما وقف عند

(١) من المعلوم ان سياستي كانت ولا تزال سياسة إيجابية محضة أتوخى
فيها الجهد والفائدة العملية غير مبالٍ بالتهويش والإكثار من الجلبة ليقول العوام
إن فلاناً من الوطنيين الذين لا يقبلون أقل تسامح مع الاجانب ولولم يكن نيل
الحقوق بخلافها تحت الاستطاعة فبالرغم من شدة حملاتي على الانكليز واستمراري
من خمسين سنة على بيان مضارهم بالعالم الاسلامي عندما رضيت انكثرة باستقلال
العراق ولو منقوصاً من احدى جهاته كنت راضياً عن ذلك العمل عارفاً بأن
العراق لم يكن لينال اكثر من ذلك في ذلك الوقت . وقد أوضحت أسباب
رضا انكثرة بمقد المعاهدة الانكليزية العراقية وقلت : انه كيف كانت الاسباب
فهي خطوة عظيمة في طريق الاستقلال لا للعراق وحده بل لجميع العرب . فقام
يومئذ اناس كثيرون بتهمة أنني بتأييد سياسة الانكليز ويجعلون هذه المعاهدة
العراقية الانكليزية من المصائب العظيمة على العراق واندفعوا في تيار هذه الافاويل
سواء في مصر او في العراق بشكل يضحك منه كل عاقل . وما مضت الامدة قصيرة
حتى صارت مصر وسوريا وفلسطين تغبط العراق على ما تال وتثنى لو كانت مثله .
وأدل دليل على ذلك اغتباط المصريين بمهادتهم الاخيرة مع انكثرا وهي حتماً
ليست احسن من معاهدة العراق مع هذه الدولة . وكذلك اغتباط السوريين -

ذلك الحد في عدم الافرار لها . وقد أطلعت الاخ سامي على كتابك الذي ذكرت فيه المسألة وكتبتك اليك بتفصيل الخبر واني بمناسبة ذكر

— بمعاهدتهم مع فرنسا وهي أيضاً من النمط نفسه . فالذي كان مذموماً من قبل أصبح محموداً من بعد وأغرب من هذا أنني بعد أن كنت أزن بتأييد سياسة انكلترة ! لرضاي عن معاهدة العراق عادداً لاشخاص الذين اتهموني بذلك يطعنون بي من أجل تفاهمي مع زعيم حكومة ايطالية الذي صار سيرة جديدة بإزاء مسلمي طرابلس وبناء على نصيحتي أرجع الثمانين الف عربي الذين كان الجنرال غرازباني تقلهم من الجبل الأخضر الى الصحراء حيث مات كثير منهم جوعاً وعطشاً ووزع موسوليني عليهم الاعانات وضمد كثيراً من الجروح . نفسي اولئك الحساد المفترون ما كانوا قد زعموه من خدمتي للسياسة الانكليزية وزعموا فيما بعد كوني أبث الدعاية للسياسة الايطالية ! مع علم الناس استحالة جمع هذين السيفين في غمد واحد لا سيما في هذه الحقبة . وما كنت في التفاهم الذي وقع بيني وبين زعيم ايطالية إلا متوخياً للسياسة المحلية التي لا يوجد امام العاقل غيرها عند فقد اسباب المقاومة بالقوة الحربية . ثم نسي الحساد المفترون كونهم اتهموني اول مرة بترويج غرض انكلترة واتهموني ثاني مرة بترويج غرض ايطالية ! وزعموا اني في رضاي عن المعاهدة السورية الافرنسية إنما قصدت أيضاً ترويج غرض فرنسا ! ومعلوم عند الجميع أن سياسة هذه الدول مختلفة كل الاختلاف بعضها مع بعض فلا يمكن رجلاً واحداً ان يجمع بينها أبداً اذ لو حطب في جبل الواحدة منهم انقطع في يده جبل الاخرى . قال الله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » . ولكن الحساد يهون عليهم أن يجعلوا للرجل عدة قلوب في جوفه ولو كان ذلك غير معقول ولا مقبول . واني أحمد الله على انهم لم يخرقوا أكذوبة إلا كان الوقت بعد قليل زعيماً بفضيحتها .

المسألة الهندية أخبرك بأن بعض حجاج الهند الذين زاروني في الاسبوع الماضي أخبروني ان أكثر مسلمي الهند صاروا أميل الى الاتفاق مع الوثنيين على الانكليز والبرقيات الاخيرة تؤيد خبرهم .

(٤) أرسلت اليكم دعوة المؤتمر العربي والى الامير عادل وإخسان بك وقد بالفت اللجنة التنفيذية الداعية اليه في المقترحات التي أرسلتها معه بما بقيم حجتكم عليهم بالسكوت عن أقرب الوسائل الى الوحدة العربية والبحث في أبعد ما وان أدري أكتبتم الى اللجنة رأيكم في تحديد الزمان واختيار المكان أم لا ؟ احب أن أعرف هذا . وقد اجتمع أكثر الذين خطبوا بهذا في مصر عندي للبحث في المسألة فزارنا من عطل الجلسة عاينا فأجلناها الى يوم الاثنين في ٢١ ذي القعدة (٢٨ مارس) وكان الاستاذ الشعالي استحسن عقده في صنعاء . ولكن هذا يشق على أكثر المدعويين ويحتاج الى نفقات يهوتن الشعالي أمرها بمساعدة الامام التي يجزم بها . ولا ينتظر أن تأذن الحكومة المصرية به اذا أخبرت بموضوعه كما هو . وأنتم لا يمكنكم حضوره في مصر ولا في القدس إن تيسر عقده في احدهما وتيسر لكم حضوره . وسأخبركم بما تقرره هنا في زمانه ومكانه وموضوعاته البعيدة التي اقترحتها اللجنة والقريبة التي سنقرها هنا .

قد رأيتم في المنار ما علقته على تقريظكم في مسألة المرحوم الشيخ عبد الكريم ويقول الذين يعرفونه إننا أعطيناه أضعاف حقه . والسلام عليكم وعلى ولدكم واخوانكم ؟

أخوك

رئيس

وكتب إلي في ٢٢ ذي القعدة ١٣٥٠ و ٢٩ مارس سنة ١٩٣٢ :

سيدي الاخ الكبير أمير البيان عليه السلام

بعد إرسال كتابي المطول وبياني المفصل زارني سعادة وزير الافغان
المفوض الاستاذ المجدي فاقترحت خلوة معه فذكرت له المسألة فقال ان
الذي وقع هو أنه سأله أدب خان هل تعرف الأمير شكيب ؟ قال فقلت
له إني لا أعرفه شخصياً ولكنني أسمع عنه لشهرته بالدفاع عن الاسلام
وسأله أمان الله خان هل كتب إليك الأمير شكيب بأن تكتب الي
جلالة الملك بالعفو عن ولي خان ؟ فأجابه انه ليس بيني وبين الأمير شكيب
مكاتبة ولم يكتني ذلك فقال له أمان الله : أنا أرجوك أن تكتب إلي
جلالة الملك بالعفو عنه - قال هذا الذي حصل وأنا أعلم أن الأمير يحل
أن يكون مخبراً وأنه لا يكتب إلا لمصلحة الاسلام فالظاهر أنهم أرادوا
أن ينسقطوك لظن ظنوه فيك وما كان المجدي في تدبئه وشرفه ليسفه
نفسه بما نقلوه عنه ^(١).

(١) كان أمان الله خان في مقابلته لي مع أدب خان الدمشقي خال زوجته
يوم زارني في لوزان قد شكأ إلي المظالم الواقعة عليه وعلى حزبه في أيام خلفه
نادر خان وذكر قصصاً كثيرة . فقلت له : إني لا أريد أن أدخل في قضية
النزاع على العرش نفسه إلا أنه إن شاء أن أتوسط في قضية المظالم التي تكلم عنها
فإني أجد الي ذلك سبيلاً . فقال انه لا يعتقد فائدة التوسط . فقلت : بلى قد
يمكن تخفيف الشر . ثم كتبت الي السيد رشيد ليحدث الاستاذ المجدي صفي
الافغان بمصر بما أخبرني به الملك أمان الله وينصح له بوجوب الاعتدال ورفع
الانتقام عن حزب جلالته فورد علي كتاب من المجدي بني فيه ما ذكره لي -

الى ان يقول :

هذا وانني أزيدك على ما كتبت في كتابي المطول وملحقه أن اسعد داغر وسامي السراج سافرا اليوم في الطائرة الى بغداد لحضور معرضها عن جريديتها . وكان الاول كتب الى جلالة الملك فيصل باسم اللجنة كتاباً فيما عازت عليه من الرجوع في المسألة العربية الى طورها الاول الذي قامت لأجله الثورة وهو استقلال الامة العربية كلها والبدء بوحدة القطرين الشقيقين وما يتعلق بذلك وطلب وعده الكتابي بتأييدها وعطفه وعطف حكومته وشعبه والمساعدة المادية والادبية . وكتب قبله الدكتور قدري الى وزير الخارجية كتابة رسمية بهذا المعنى ذكر فيه سوء تأثير ما ينقل عن الملك علي والامير عبدالله من الكلام في مسألة سورية كأن البيت الهاشمي جعل

أمان الله خان . ثم جاءني كتاب من أديب خان بوقوع مظالم جديدة بحق جماعة الملك السابق . فبعثت بالكتاب الى المجددي راجياً منه أن يقرأه ثم يرده لي وبأن يكتب الى كابول في معنى النصيحة بالاعتدال . فأجاب المجددي كالجواب السابق ثم رد لي مكتوب أديب خان . ثم ذهب أمان الله وفي صحبته اديب الى الحج كما تقدم الكلام عليه . فذهب المجددي أيضاً الى الحجاز وتلاقي معهما وسمعت أنه قال لهما إنه كان مطلقاً على ما دار بيني وبينهما كأنه جمعاني عنبراً له ! فلما بلغني ذلك كتبت الى السيد رشيد ليسأله عن هذا الامر الذي بلغني عنه وأقول له : اني قد أطلعت على شكايات جلالة امان الله إلي . ما يعانيه حزبه هناك وذلك لينصح للملك الخلف بالاعتدال إن كان ما يقال صحيحاً لا لا تزلف له في شيء . فسأله السيد رشيد عن القصة فأجابه كما هو في هذا المكتوب ثم عاد المجددي فكتب إلي رأساً بالمال نفسه .

سورية سلعة للساومة ٠٠٠ وعلى أثر ذلك نشر في جريدة العراق لسان حال الحكومة بيان رسمي من ديوان جلالة الملك في تبرئة البيت الهاشمي من هذه التهم ٠٠٠ وعطف جميع أفرادهم واحترامهم للسوريين وكون الحق لهم وحدهم في شكل حكومة بلادهم . ونشرت الجريدة بهذه المناسبة مقالة خاصة بوجوب سعي الامة العربية كلها الى الاستقلال وإعادة مجد العرب الخ ولم يكن أحد في العراق يقول ولا يكتب كلمة في العرب واتهم أمة واحدة لا تفرق بينهم أسماء البلاد والاقاليم بل كانوا كالمصريين لا ينطقون الا باسم العراق والعراقيين فهذاشيء جديد ظهر مؤيداً بمسحة رسمية .

وأرسلت أسس يرقية الى الاخوين الزركلي ونويهض بأن يذهبا الى صفد لمقابلة أسعد والسراج في طريقهما لاجل التلقين الشفوي لما قررهناه في مسألة وحدة القطرين ومسألة المؤتمر العربي . وقد كانت اللجنة كتبت الى بعض رجال حكومة العراق وشعبها المرتبطين من قبل بالعمل للقضية العربية ومنهم ياسين باشا . وسفر اسعد الى بغداد بنهي كل شيء ان شاء الله تعالى وحينئذ يجرد الامير حسام قلعه مرة أخرى في تأييد الدعاية عوداً على ما بدأه هو وحده .

نشرت في الجزء (٣) من المنار الذي لم يتم ، نظام جماعة (الرابطة الاسلامية الدولية) او الخديوية كما نشر في جريدة صوت الشعب الفلسطينية وعلقت عليه تعليقا طويلا بينت فيه الرب والظنون التي تحوم حول هذا للمشروع الكبير في نفسه الذي لا يكفي للقيام به ما كان

بنقص^(١) المصالحين من المال والقوة وإنما بنقصه الرجال المصلحون
وذكرتك في التعليق ولعلي أرسل اليك صورته قبل إتمام النار لأن
تلخيصه في الكتاب متعذر .

لم يحضر الاخوان أمر لعقد لجنة التشاور في مسألة المؤتمر العربي
وقد فوضني فيه أسعد والسراج بأمر السفر الى بغداد فشرعا بما ينبغي له
من الاستعداد والسيد أمين الحسيني موافق لنا على مسألة وحدة القطرين
وكتب إلي بذلك وهو لا يستطيع الشذوذ عن جماعةنا في فلسطين وعمان
وسورية لكنه يربط كل شيء بمجيء الطباطبائي وسرى ما يكون من
أمر مجيئه وعدمه ولا يكون إلا ما نريده إن شاء الله تعالى والسلام
عليكم وعلى من لديكم ؟
أخيكم

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب إلي في ٩ ذي الحجة الحرام ١٣٥٠ و ١٥ أبريل :
سيدي الاخ الامير المجاهد الكبير حياه الله تعالى وأعز نصره
أحبيك وأهنتك بعيد الاضحى المبارك داعياً لك ولنجلتك التجيب ما

(١) مراده أن يقول : يعوز المصالحين من المال والقوة لان كمة (بنقص)
تفيد عكس المعنى المراد . ولقد وردت هذه الجملة في كلام المولدين فقالوا مثلاً :
فلان بنقصه العلم وفلان تنقصه التجربة الخ والحال ان العلم والتجربة لا ينقصان
أحداً بل يكملانه . وقد ورد هذا الاستعمال في كلامي أيضاً فأخذه علي في كتاب
خاص الاستاذ مصطفى جواد ووجدته مصيباً في تنبيهه إلا اني قلت له : المراد هو
ان التجربة تنقص فيه فجري حذف الحرف « في » وعدي الفعل مباشرة من
باب الحذف والايصال وله نظائر .

أدعوه لنفسي من سعادة الدارين . وقد وصل كتابك الخاص بمسألة
سفير الافغان وفيما كتبته اليك في شأنه في كتابي المطول ما بقي عن
كتابة شيء بشأنه . ثم وصل كتابك الذي فيه الجواب عن بعض ما
في كتابي المطول وهو مسألة الرابطة الاسلامية . وقد وصل قبله الطباطبائي
إلى القدس والظاهر انه غير مرتبط برابطة الخديو^(١) وقد كتب السيد
الحسيني الى محمد علي باشا يخبره بمجيئه وعزمه على العمل في المكتب
ويدعوه الى القدس في فرصة عيد النحر وكان الباشا متردداً في الذهاب
فأقنعه بوجوبه وذكرت له خلاصة ما في كتابك من خبر رابطة الخديو
وقرأت له منه العبارة الخاصة بما يتهدد المؤتمر من أعدائه . وكان قد دعا
الاستاذ الشعاللي لمقابلاته ظهر امس لانه عضو في مكتب اللجنة التنفيذية
مثله ليدأكره في المسألة ودعاني لحضور اجتماعها ولكن صرفني عنه صارف
بعد ان تزلت من الدار ووصلت الى محطة الترام والسيارات فلم اعلم ما
انفقا عليه وسأسأل عن ذلك .

ذهب الى بغداد سكرتير لجنتنا التنفيذية وعاد بعد حضوره معرضها
الوطني بامم جريدة الاهرام . وكانت اللجنة عهدت اليه بمخاطبة جلالة
الملك وكبار الزعماء من أركان الوحدة العربية على اختلاف مشاربهم
وأحزابهم المحلية الاخيرة في الموضوع الذي كتبته الى الملك والى بعضهم
بامم اللجنة من استئناف الجهاد القديم للوحدة العربية والبدء بتوحيد
القطرين الشقيقين كما علمتم — وقد عاد موقفاً في سعيه مفلحاً في عمله إذ

(١) بعد ان عدل الخديو عن المشروع الاسلامي المتقدم ذكره الذي كان

اتفق الزعماء على تأليف لجنة للعمل معنا ومع إخواننا في سورية وفلسطين وفي مقدمة رجالها ياسين باشا أكبر زعماء معارضة الحكومة ونوري باشا رئيس وزراء الحكومة وكذا رئيس مجلس نوابها ولكن لم يتسع له الوقت لحضور النظام التفصيلي لهذه اللجنة . وسيزور ياسين باشا سوريا وفلسطين وبلقي فيها إخواننا الوطنيين وهم اخوانه واصدقاؤه وبذا كرم في الموضوع . وسأخبركم بكل ما يتجدد في وقته إن شاء الله تعالى - ولهذا التمهيد الذي شرعنا فيه اقترحت عليكم من قبل الامساك عن الكتابة في المسألة وفي أطرافها وحواشيها . وما أخبرني به الأخ أسعد أفندي أنه حضر عند ياسين باشا اجتماعاً كبيراً لرجال حزبه فذكر بعضهم أن الامير شكيب كتب في مقالة له في فتى العرب أو غيرها عرض فيها بالطمع عليهم ^(١) . فأجاب أسعد بأنه لم يقرأ هذه المقالة ولا يعتقد أن الامير يطمع عليهم ولئن وجد فيها شيء من ذلك فلا يكون إلا عن حسن نية . واقترح اسعد أن اكتب أنا وأنت الى الملك فيصل تشكر له وعده بالمساعدة وسأفعل . أقصد باخبارك بهذا إبداء رأي لي في مقالانك هو أن نتوخى فيها ألا تكون ردأ على فرد من الافراد ولا على جماعة أو حزب من المخالفين لك في الرأي . وذلك بأن نقيم الحججة أو الحجج على ما تراه وتعتقده ثم على بطلان ما يخالفه من غير أن تشير الى المخالف وتوجه التخطئة اليه ولو مفروضاً وجوده فرضاً فإن كلامك مؤثر يجرح قلب من يرد عليه ويفنده فيجعله خصماً أو عدواً . والواجب أن تكون في جهادك فوق ذلك . انك لانت كاتب هذه الامة وأمير السياسة الديمقراطية لها

فينبغي أن تكون للأحزاب والجماعات كلها إن لم أقل فوقها . والسلام
عليك وعلى نجلك وأخيك وزميلك

محمد رشيد رضا

وكتب في ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٠ و ٢٩ ابريل ١٩٣٢:

سيدي الاخ الكبير والامير المجاهد أيداه الله بروح منه

كتب اليك كتاباً أرسلته في يوم عرفة ذكرت لك الطور الجديد
الذي وفقنا له في قضيتنا العربية وهو تأليف لجنة من كبار رجال
العراق لاستئناف السعي لوحدة الامة واستقلالها على أن يكون البدء
باتحاد القطرين الشقيقين العراق وسوريا الكبرى ومن الضروري الذي
ذكر في بغداد عند المذاكرة في الموضوع أن من الضروري وجود بعض
رجال سوريا العاملين المجاهدين في مركز العمل الجديد يكون رابطة
الوصل وقد فكرنا هنا في المسألة فرأينا انه يجب أن يكون لمن يرحل
للاقامة هنالك عمل ظاهر يصرف عنهم أبصار المنقبين عن المتهمين بالسياسة
وبدر عليهم رجماً أو رزقاً ينفو بهم عن جعلهم عالة على غيرهم ويبيح لهم
طلب المساعدة على عملهم وارثاً أي أسعد ووافقته أن يكون هذا العمل إنشاء
صحيفة عربية تكون شركة بين جماعة معينة او غير معينة من الوطنيين الموثوق
بهم وهنا تعترضنا العقبة الكؤود في طريق كل عمل في كل محلة عامة
لهذه الامة المسكينة التي لا تزال في طفولية الحياة القومية : ألا وهي
المال ؟ وناهيك بطلب المال في هذه الحال والعسرة التي جللت الآفان
وطرحت الأهواق في جميع الاعناق والأخ أسعد مستعد للهجرة والشروع

في هذه الحرفة وهو يستطيع أن يلقي مساعدة أخرى أو مساعدات خفية من أعلى المصادر وأوسطها . فما رأيك في هذه المسألة وهل تملك شيئاً من السعي لها في أميركا أو غيرها ؟ هذا ما دعاني الى الكتابة اليك اليوم على حين أرتقب وصول كتاب منك رجماً لكتابي الاخير ولبقية المسائل فيما قبله ما وعدت بالجواب عنه .

وثم مسألة أخرى : ربما يصل اليك كتاب من سكرتير لجنتنا وبه عزم اللجنة على نشر برقية في يوم اجتماع مجلس النواب السوري الجديد تعان بها انتصاها للمعارضة له في جماته وامهال من فيه من اخواننا الوطنيين الى أن تظهر خطتهم فيها فتحكم عليهم وعليها بما بوحيه الحق وبمليه العدل وترجو اللجنة ان يوافقها وفدكم الكريم في ذلك موافقة تعاون عملي جهري . هذا واننا منذ أشهر لم نسمع عن أخينا الامير عادل الحبيب شيئاً ولا ندرى مكانه وقد ذكر هنا وفي بغداد وانه يوشك أن يجيء الوقت المناسب لطلبه الى هناك والسلام ؟
اخيكم المخلص

رشيد

* * *

وكتب إلي في ١٤ المحرم ١٣٥١ و ٢ مايو ١٩٣٢ :

سيدي الاخ الامير

اني ألقى إلي أول من أمس كتابك (رقم ٧ المحرم) بعد طول الانتظار غير المعتاد في مثل ما نحن فيه .

الى ان بقول :

وأما مسائلنا السياسية فأنا اذكر لك ما عندنا فيما جاء في كتابك
بالإيجاز غير الخلل بالمراد ان شاء الله تعالى :

(١) مسألة اتحاد القطرين بالتبع للوحدة العربية دخلت بتوفيق الله تعالى
في طور العمل فهي لا تعوقف على المؤتمر اذ هي أمر واقع . ولا أقول
انها أمر واقع لأن لجنة الفت لها في بغداد من الحكوميين والمعارضين
جميعاً . فكم من لجنة ألفت وما وُفقت لعمل وهذه اللجنة لا يتم استعدادها
للعمل الا بامور اخرى . وانما أكبر الرجاء في صدورنها أمراً واقعاً ان
مسكرتيرها كتب الى مسكرتير لجنتنا هنا انه قابل جلالة الملك مع جميل
باشا بعد عودته من ايران فأخبرهما انه جاءته مكاتبات من رجال
العرب العاملين تشكر له عنايته بالموضوع وذكر كتابي وكتاب الدكتور
شهبندر . فالظاهر انك لم تكن كتبت اليه كما افترحت عليك وانه
مسرور من هذه المكاتبات وقد زادته اهتماماً بالمشروع وقال لها انه
سيطلب نوري باشا وباسين باشا وبكاهما بوجوب العناية والشروع
في العمل . وباسين باشا من أرجى العاملين للوحدة العربية ولا
يعقل البدء بها الا بتوحيد القطرين وإنما كان يخشى ان يثبطه قلة
ثقلته بالملك وثقة الملك به او منع المعارضة له ان يعمل بالاتفاق معه ومع رجال
حكومته ويقال ان الملك يتهجه بالميل الى الجمهورية وما أرى هذا يصح عن
جلالة الملك ولا عنه — ولكنه صرح لاسعد بأن من المصلحة العربية
أن يكون الملك طامعاً في توسيع ملكه بضم سورية اليه لاجل ان
نضمن مساعدته عليه . وهذا يدل على انه يتحنن لنجاح المشروع بمساعدة
جلالته . أضف الى هذا خبر عزم الملك على طلبه لحفز همته .

(٢) محي . ياسين باشا الى سورية وفلسطين تأخر عن مواعده الذي

فهمه اسعد منه . وقد اخبرتك اننا كتبنا كلنا الى اخواننا في الشام والقدس وحلب بالعناية به وتكبير أمله في الموضوع واقناعه برئاسة اللجنة وجاءتنا الاجوبة بالاستعداد الشام لذلك .
الى أن يقول :

(٤) قولك : « يجب عقد مؤتمر في بغداد لطرح قضية الوحدة العربية عليه » يدل على نسيانك لدعوة المؤتمر العربي العام التي أرسلتها اليك لجنته من القدس فالمؤتمر العربي مقرر من قبل تأليف اللجنة الجديدة في بغداد وتأليفها هو الذي رجح عندنا عقده في بغداد . وقد كتب إلي عجاج افندي أنه جاءه كتاب من ياسين الهاشمي يرجح فيه عقد المؤتمر في بغداد اذا وافق الاخوان المدعوون وان يكون في الخريف الآتي وهذا عين ما كنت كتبته له أنا فإن لم تكن انت وإحسان بك قد كتبتم الى القدس جواباً عن دعوة المؤتمر التي أرسلت اليكما فيحسن ان تعجلا بكتابته ونقترحاً ما ذكرت في مكان المؤتمر وزمانه .
واما موضوعاته التي ذكرت لجنة القدس في كتابها المكتوب ٢٥ منها أكثرها من الكماليات الخيالية فقد قررنا هنا عدم البحث مع اللجنة فيها واقتصرنا على خمسة مقترحات :

(١) مسألة الوحدة العربية على قاعدة البدء بتوحيد سوربة الطييمية مع العراق .

(ب) السعي لعقد الحلف بين الحكومات العربية المستقلة .

(ج) السعي لتوحيد نظام التربية والتعليم والثقافة العربية العامة وبدخل فيها تأليف لجنة او لجان لتأليف كتب المدارس والكتب التي تنشر للعامة والقصص والانشيد والاغاني القومية .

(د) وضع نظام مالي للموتمر العام وللجانة الفرعية .

(هـ) التعارف بين الاحزاب والجمعيات العربية والاول والثاني من هذه الخمس مما اشتمل عليه كتابكم والباقيات مما لا محل للاختلاف فيها وقد تزبدان عليها ما نوافق عليها ولكن الاختصار أولى .

(و) مسألة افتراض الحالة النيابية في فرنسا من الضروريات في كل ما ذكرتموه وذكرت الجرائد ان الوطنيين في سورية فكروا في وجوب ارسال وفد الى باريس وسنطرح هذه المسألة للمذاكرة في جلسة لجنتنا التي تعقد في الليلة الالية وقد عزمت عند كتابة هذا البحث على تأخير ارسال كتابي في هذا الصدد لاختبركم فيه ما يتقرر فيها ؟

في ١٥ المحرم .

اجتمعنا البارحة ورأيت الاخوان متفقين على رأيك قبل أن اقرأ عليهم وقد قرروا ان يكتب كل منا الى اثنين او ثلاثة من كبار الوطنيين في دمشق وحلب وطرابلس وبهروت بوجوب ارسال وفد للمطالبة والسعي لاستقلال سوريا برمتها مع وحدتها كما كانت في عهد الدولة العثمانية وان يختاروا من الاعضاء من بقدر على الاتفاق على نفسه ونحن نسعي لجمع مبلغ لنفقة الدعاية .

(٦) مسألة انشاء جريدة في بغداد — ليس المراد منها بث الدعاية فان الدعاية تبث في كثير من الجرائد العربية في كل قطر . وقد كتب في جرائد بغداد عدة مقالات تهديدية لها . وإنما المراد منها ان تكون ادارتها مسكراً لمن يفتضي الحال اقامته في بغداد من اخواننا السوريين الذين

يعملون هنالك مع إخوانهم فذلك أشرف لهم وأحفظ لكرامتهم أن يگونوا
كلّاً على أحد أو تكون مساعدة من يساعدهم شخصية يحملون بها منة
المساعد أياً كان . وإذا راجت الجريفة وصار منها ربح للمشروع والعالمين
له فيوشك أن يقبل مثل الامير عادل أن يكون مديراً لها إن لم يوجد
مانع آخر يمنعه . هذا ما عندي الآن في الموضوع العام .
والسلام عليك وعلى من لديك من أخيكم ؟

محمد رشيد رضا

* * *

وكتب في ١٦ صفر ١٣٥١ و ٣٠ يونيه ١٩٣٢

سيدي الاخ الامير حفظه الله تعالى

أحمد الله اليك مبشراً بأن ألم الرثية التي ألمت بركبتي اليسرى منذ
أشهر قد خفت بعد معالجته ٣ اسابيع وكانت العلاج بعد اشتداد الألم
والجزم بأنه مرض الرثية . وكنت أظن عند خفته أنه عارض لسبب
آخر لا حاجة الى شرحه وصرت أقدر على السجود على الارض بدون ألم
شديد وعلى النزول الى المكتب بدون ألم يذكر ولكن نزولي قليل .
مسألة مکتوباتك الى الخديو^(١) لا تستحق أدنى اهتمام فالذي حملها
أطلع عليها فلانا .

(١) في سنة ١٩٢٢ كان سمو الخديوي السابق من كرم أخلاقه تعرض لي
إذ أنا في جنيف بواسطة بعض الاصحاب مجتهداً أن تكون لي به علاقة ولكني
بقيت مدة أشهر أتردد في الدخول معه في علاقات وأتجنب أن أزوره إلى أن —

الى ان يقول :

ونحن بالمرصاد لما غشى أن يظهر فلا يمكن في صدرك حرج ولا تضع شيئاً من وقتك في هذه المسألة .

غلب عليّ الحياء أخيراً من كثرة مراجعة الاصحاب في هذا الموضوع فذهبت معهم وزرناه في فندق صافوي في لوزان و كان شديد السرور بذلك . ثم لم تمض مدة حتى جاءني زميلي وصديقي سليمان بك كنعان اللبناني وقال لي : إن الجنب الخديوي يعلم النفقات التي نتحملها انت في غربتك من أجل القضية السورية والقضية العربية عامة ولا يرى من العدل في شيء أن نتجشم ذلك أنت وحدك لأنها قضية عامة لا تخصك وحدك فاهذا يريد أن يساعدك براتب ٣٠ جنيتها في الشهر فالرجاء منك أن لا ترفض هذا المرتب الذي فيه بعض المساعدة لك على نفقاتك في اوروبا . فاعتذرت في البداية عن قبول الراتب المذكور ورويت لسليمان كنعان كيف أن الخديوي أراد تكريماً منه أن يساعدني بمبلغ من المال عندما مررت بمصر ذاهباً الى جهاد طرابلس الغرب وانه أبدى إذ ذاك وأعداد كثيراً وبقيت مصرراً على الرفض فلا أقبل الآن ما كنت رفضته من قبل . فقال : تلك أيام مضت وأنت الآن في جهاد طويل لا تقدر على القيام به منفرداً وليس في قبول هذه المساعدة لقضية عمومية أنت واقف نفسك عليها أدنى شيء يشينك . فقلت له : أخشى أن الخديوي يكافني أموراً تمس مهمتي التي هي عضوية الوفد السوري الفلسطيني فأنا أشترط أن أكون بازائه حراً في كل شيء . فقال : إن شيئاً من نقييد حريتك لا يخطر بباله وتعال معي الآن لشكره على صنيعه . فذهبنا الى فندق صافوي وقابلناه وقلنا له : إنما قبلنا هذا البر من سموك التزاماً للادب معك لا غير . فقال : إن هذه إنما هي مساعدة ضئيلة لا تفي بعظيم حقك وأنا

سألتني في كتاب سابق عن كلمة دعابة وقد خطرت في بالي الآن

— لا أنفذاك بمقابلتها أدني عمل خاص بي . وقد كان هذا منه فضلاً في بدابة الامر إلى أن طرأت بعض عوارض حملتني على التبعاد عن سموه والاستعفاء من قبول الراتب . فأصررت على إبقائه لي و كان يرسل إلي الحوالة وأنا في حال الانقطاع عنه ولم يكن الخديوي يحدث الوفد السوري الفلسطيني بشيء مما يتعلق بعرش سورية لمعرفة بالشروط التي وضعناها لاجل الدخول معه في علاقة . غاية ما كان ينتطاب بواسطة مستشار أرمني كان عنده اسمه انطون بك أن نكتب إليه في الاحايين لإثبات اتصالننا به . ثم شرع أنطون بك هذا الذي كان في الماضي من جواسيس السلطان عبد الحميد وكانت له شهرة في الاستانة بهذا الامر يفرى الخديوي بأمور مخالفة للشروط التي كانت بيننا فصرنا نجد من سموه أطواراً لم تكن من قبل . وصادف ان بعض الحساد المعلومين غمز بنا في احدى الجرائد الفلسطينية زاعماً أننا بعنا سورية من الخديوي السابق بثلاثين جنياً في الشهر ، وما أشبه ذلك من الاقوال السافلة . فرددنا عليها في جريدة « الشوري » قائلين مامعناه : إن شكيب أرسلان لم يطلب أدني رفق من الخديوي وان كان الخديوي أجرى هذا الراتب فيكون كرم خلق منه ولا عيب في قبول شكيب أرسلان مساعدة من خديوي مصر السابق حفيد محمد علي . على أنه ما سعى شكيب أرسلان ولا أحد من زملائه أعضاء الوفد السوري الفلسطيني أقل سعي لينكون الخديوي ملكاً على سورية لا لأنه غيّر لائق لعرش سورية بل لان مهمة الوفد السوري منحصرة في السعي بالحصول على استقلال سورية لاغير . وقضية العرش هي خارجة عن اختصاصه بل عائدة للامة السورية » . فالذين هم أنفسهم نشروا اننا بعنا سورية من الخديوي السابق أرسلوا كتابتنا هذه إليه —

فذكرتها هنا بغير مناسبة لئلا أنساها بعد كما نسيتها من قبل فأقول إنها
— لاجل أن يفتاظ منا . فأرسل اليها عتاباً على هذه الكتابة بواسطة انطون
الارمني مستشاره . فأجابه . بأننا لم نخرج في هذا عن الشرط المعلوم وهو أننا لا
نتعاطى سوى ما يتعلق باستقلال سورية . فلم يعجبه هذا الجواب ووجد عايناً من
أجله . وصادف مرة أن لجنة الانتدابات كانت انعقدت في رومة للبحث في مسألة
سورية والثورة الكبرى في ايارب اشتهالها وكذا مضطرين للذهاب الى رومة
لاجل تقديم شكاياتنا المتعلقة بالثورة الى لجنة الانتدابات المشار اليها . وكان
علينا القيام بنفقات غير قليلة على المطبوعات والدعاية وما اشبهها فقال لي زميلي
إحسان بك الجابري : إن الخديوي لا يزال يذكّر اهتمامه بقضايانا الوطنية أفلا
تكتب اليه في أن يساعد الوفد في هذه الرحلة الى رومة ؟ فكتبت اليه في هذا
الموضوع بالاسلوب الذي أعلمه يؤثر به فلم يفعل شيئاً . ولكنه بقي يتطلب
وبقترح أشياء . فعتقد أن مستشاره أنطون كان هو المغري له بها . وكان الخديوي
لا يقدر أن يدخل الى لندرة وهو يسعى سعياً حثيثاً في ذلك فقبل لنا في أحد
الايام انه تمكن من هذا الامر بواسطة بعض ذوي النفوذ من اليهود وإرف
الانكليز بعد ذلك قد ساعدوه في قضية أملاكه التي بمصر وقد كانت الحكومة
المصرية باعتمها بشمن بخس مما حمله على إقامة دعوى عليها . فلما توسط الانكليز
في الامر رتبت الحكومة المصرية من باب التعويض على الخديوي ثلاثين
الف جنيه كل سنة فعند ذلك شرع الخديوي في التقرب من الانكليز ونشر
بالانكليزية كتاباً طبعه وجعل فيه توقيعه وصورته وذلك في معنى النصح للمصريين
بعدم مطالبة انكلترة في شيء فلا حاجة الى جيش يحمي مصر لأن انكلترة هي
حامية لمصر من كل اعتداء خارجي ولا حاجة لمصر بالمطالبة بالسودان لان انكلترة
تحتفظ النيل لمصر الى غير ذلك من الآراء التي تضمنها هذا الكتاب المطبوع —

وردت في أصح الروايات في كتب النبي (ص) الى الملوك كما تراه في

المنشور الذي عندنا منه نسخة ولا يقدر سمو الخديوي ان يؤاخذنا على ذكر
هذا الكتاب لانه ما نشره ووضع عليه توقيعه وصورته ليكتبه .. ونحن
دهشنا في الحقيقة لنشره كتاباً كهذا الكتنا لم نتكلم معه بشأنه أولاً لما نعلمه
من استقلاله بفكره وثانياً لان الكتاب كان قد انتشر قبل علمنا به وقضي
الامر . غير ان الخديوي لم يقتصر على التقرب من الانكليز بل رأى من واجباته
مكافأة على حسن الصنيع أن يصلح بين العرب واليهود وألح كثيراً على وعلى
زميلي الجابري في هذه القضية وبدعي أن هذا كان بتجربك اليهود أنفسهم
الذين بذلوا لدينا كل مجهود حتى نرضى بالدخول معهم في موضوع كهذا وكرروا
هذه المساعي من ١٥ سنة فخاب آمالهم . فيظهر أنهم قد استغاثوا بسمو الخديوي
على امل انه بقدر بنفوذ كلمته على إقناعنا فكنا ندافعه ونعتذر لديه عن عدم إمكان
تدخلنا في هذا الامر . واخيراً جاءني وحده بمنزلي في لوزان وألح في قضية اليهود
إلحاحاً زائداً فقلت له : يا افندينا لست قادراً على إطاعة امرك في هذا الموضوع
لان عرب فلسطين يرون كل صلح مع اليهود مجحفاً بهم . فقال : انه يجب عليكم
ان تنصحوا لهم انتم الزعماء فإنه يستحيل ان يقدر العرب على مقاومة اليهود .
فقلت له : كل من يتكلم في صلح بين العرب واليهود يعتقد العرب ان اليهود قد
اشترؤهم فانا لا اقدر على هذا . ثم يا افندينا هذا الصلح الذي انت تطلبه غير قابل
الإجراء لان اليهود يريدون فلسطين ان تكون لهم فأين يذهب عرب فلسطين ؟
فأجاب : الى شرق الاردن . فمتى سمعت هذا الكلام لم املك نفسي واخذتني
الحدة فقلت له : ما الذي يملكك يا افندينا وانت ابر مسلم من اعظم أمراء الاسلام
ان تفتوه بكلمات إذا نقلت عنك تضر بسمعك . فظهر الغيظ على وجهه وما عثم ان
نهض وانصرف وبعد ايام قطع الراتب المهود -

البخاري وغيره وانا الذي روجتها في الاستعمال فهي من شواهد حججك على الذين
 - ثم جاءني من بطانته عبدالله بك البشري زائراً وقال انه يعتقد ان هذه
 الوحشة سخابة صيف زائلة الخ . فرجوته ان يعرض لسمو الجناح العالي كل ما
 تحمّلته من عداوة الملك فؤاد وغيره ومن كلام الناس من جراء هذا المرتب الضئيل
 الذي اثنى ما علي فيه اني لم أكن مستعداً ان اقبله منه واني ما رضيت بقبضه الا
 حياءً وتادباً . فلذلك لا اريد ان يحدث الخديوي نفسه باوعاده وانا مع هذا
 شاكر له عما مضى . ثم اقيمت عبدالله بك البشري في احد المقاهي فأعدت عليه
 الكلام نفسه . ومضى على ذلك برهة فصرت اسمع عن لسان الخديو شيئاً اشبه
 بالمان . فكتبت اليه بغاية الادب كما هو الواجب وذكرته له شكري على
 كرم اخلاقه الماضي ولكنني استخففته قائلاً له : انا ارضى بقولك أفأنا صعبت
 لديك رأساً او بالواسطة حتى تجري علي هذا الراتب ام انت استعملت كل وسيلة
 حتى اقبله ؟ وذكرته بما مضى من امتناعي عن قبول اية معاونة منه لما استأذنته
 في الذهاب الى طرابلس الغرب . ثم ذكرت له العداوات الشديدة التي تعرضت
 لها والمكارة التي رأيتها بسبب هذا الراتب . وختمت الكلام قائلاً له : قد
 ارتكبت خطأ قبول رفدك بما سمعت من كلام بعض اصحابي مثل سليمان كنعان
 وغيره ولكنني لن ارتكب هذه الغلطة مرة أخرى . فيظهر انه لما قطع امله من
 رجوعي اليه صمم على الانتقام وذلك باجراز المكاتيب التي كان سبق ان كتبها
 اليه واكثر ذلك بالخاح سليمان كنعان وانطون الارمني وظهرت حكمة اقتضاء
 المراسلة معه بما ثبت من جمعه لهذه المكاتيب وحرصه عليها الى حد انه كان
 يضعها في البنك بلومرن في الصندوق الذي فيه الجواهر الكريمة . واخلاصة
 انه استدعى من عاونه على افراز هذه المكاتيب وراجعوا كل حرف فيها فلم يجدوا
 شيئاً بلثم شرقي ليتسلوا بنشره . وانما وجدوا المكتوب الذي اقول له فيه : اننا

يشكرون كل ما لم يرد في كتب المعاجم المتداولة . ونقل رواة الصحاح من

— ذاهبون الى رومة نظراً لانعقاد لجنة الانتدابات فيها وان زميلي يقول انه يجدر
بسموه ان يساعدنا على نفقات المصلحة العامة التي نحن ذاهبون من اجلها . وكتابي
هذا صريح بأن طلب المساعدة انما هو للقضية التي نحن في صددھا لا لاشخاصنا .
فظنوا انهم يشفون غليظهم بنشر هذا المكتوب ومكاتب أخرى يفهم منها
القاري بأنني كنت أقبض راتباً من الخديوي — الامر الذي ما أنكرته قط بل
أعلنته في جريدة الشورى — ونقلوا بضعة مكاتب منها بالزكفرافيا واستدعوا
شاباً سورياً معروفًا بما هو معروف به مما نملك عن الخوض فيه وسلموه هذه
المكاتب وأدوا اليه اجرتة ليذهب الى مصر ويسلم المكاتب الى شخص اشهر
بعداوتنا — وبدون سبب — ليفعل بها ما يشاء — فهذه هي المكتوبات التي يشهر اليها
السيد رشيد ويقول لنا بأن لا نبالي أمرها . فبقيت هذه المكاتب مدة سبعة بد
العدو — بلا سبب — من سنة ١٩٣١ الى سنة ١٩٣٥ وهو يترصد فرصة لنشرها
باحدى المناسبات الى ان لاحت له أخيراً الفرصة الآتية :

في سنة ١٩٣٥ خطر ببال بعض السفلة من عرب فلسطين الذين قضاوا ١٥
سنة في خدمة اليهود والانكليز ان يقلدوا خطنا وبضموا عن لساننا مكتوباً منا الى
الحاج امين الحسيني بزعمهم ندعوه فيه الى بث الدعاية الايطالية في بلاد العرب !!
وكان المقصود من هذه الدسيسة اسقاطنا واسقاط الحاج امين الحسيني تشفيماً
شخصياً منا وخدمة لليهود والانكليز . فهذا المكتوب بخطه وإملائه وانشائه
ومتناقضاته الكثيرة للوقائع ظهر في يوم نشره انه منور لا اصل له وملاً خبر
نزويره الا فاق برغم كل ما بذل الاعداء من مال اليهود لاثباته . ولكن من
صارع الحق صرعه الحق وكبته على أم رأسه (وقد خاب من افترى) فسقط في
أبدي عصابة التهوير وتهذوا في امرهم كيف يفعلون لتلافي هذه الفضيحة التي

الحديث أوثق من رواية اللغة وقد ورد دعاوة بالفتح في دعوة النسب وقلب الواو

— افترضوها ولما كانوا على صلة بذلك العدو بلا سبب — دفع اليهم هذا
المكتوب الذي استجدنا فيه الخديو يوم ذهبنا الى رومة سنة ١٩٣٥ حيث
انعقدت لجنة الانتداب وظنوا انهم بنشره يعوضون من فشلهم الفظيع في التزوير
المعمودة . إلا ان الذين تأملوا هذا المكتوب بعين الانصاف لم يجدوا فيه شيئاً
يثلم من شرفنا لانه لا يعاب وفد سيامي ذاهب لاجل الدفاع عن استقلال امة
شرقية اعضاء الوفد منها هم ثلاثة اشخاص من ملايين اذا استمدوا احد كبار
أمراء الشرقيين وموسريهم عن طاملا تمحكك بهم وعرض عليهم المدد ان يعاونهم
في نفقات هذه الرحلة . ولم تجر العادة ان الوفود السياسية تنفق على القضايا العامة
من جيوب اصحابها . فهذا الوفد المصري تحت رئاسة زغلول باشا لما ذهب الى
اوربة سنة ١٩١٩ جمع له المصريون ٤٠٠ الف جنيه . وهذا الوفد الفلسطيني
الذي ذهب الى لندرة للدفاع عن عرب فلسطين اتفق جميع نفقاته من الاموال
المجموعة من بلاده . وهذه الوفود العراقية التي تذهب الى اوربة لا تنفق الا
من الخزينة العراقية . فلا نفهم لماذا جاز هذا كله لوفود مصر وفلسطين والعراق
ولم يجوز للوفد السوري الذي يجب عليه ان يقضي ١٥ سنة في اوربة مدافعاً عن
الوطن والامة ولا يستمد اميراً شرقياً وموراً ولا غيره بل ان تكون نفقاته كلها
من جيوب اصحابه ؟ فني اي شرع او في اي عرف وجد هذا ؟ واغرب من هذا ان
هذا المكتوب الى الخديوي الذي فيه هذا الاستمداد قد وقع فيه التزوير ايضاً
فانهم نشره ناقصاً على حد (ولا تقربوا الصلاة) لمن حذف (وانتم مسكارى)
فرفعوا منه التاريخ والديباجة والاسطر التي يعرف منها ان استمداد الوفد السوري
لم يكن شخصياً بل لاجل المصلحة العامة . وبالرغم من هذا الحذف كله لم يخف

في الكسر باء لمناسبة الكسرة وهذا القلب جائز لا واجب كما ورد في القوام والقيام .

مررنا جداً بما دار بينكم وبين مسيو جوفيل^(١) ولعله يكون وسيلة لاقتناع وزارة فرنسة الحاضرة بما فيه خير لفرنسة على ندرة ما يرجى من خبز . . . وما يدرينا ما تواطأ عليه بونسو مع حكومته السورية الجديدة . وقد بلغنا أن الملك فيصل قد تألم من هذا الخزي الذي ارتكست فيه سوريا وضعف أمله فيها أو زاد ضعفاً على ضعف يجب أن نتلافاه وإن لم يكن عندنا في سوريا رجال يعتمد عليهم . إلا أن الذين في فلسطين قد جددوا في هذه الأيام حزب الاستقلال العربي بتأليف لجنة له غير لجنة المؤتمر . وهذه اللجنة هي التي استقبلت ياسين باشا الهاشمي في هذا الأسبوع بحفاوة عظيمة فرأى منهم هيئة عاملة قوت أمله بلجنة بغداد التي كان أعرض عنها وروي أنه استقال منها وقد وعدم باخذها باليمين . وكنت

— عن أحد أن هذا المکتوب ليس فيه ما يشي غليلاً لناقله بالزنگو غرافيا ولا لناشره ولا للذين حاولوا به تخفيف فضيحتهم في هذه التذوية التي وصمتهم بالعار أبدي الدهر .

أطنا الكلام على القارئ في قصة مكاتبتنا هذه الى الخديو لأنه قلما وجد في الشرق من لم يسمع بها ولأن المتشدين تشدقوا بها كثيراً كما لا يخفى فأحبينا نقلها من أولها الى آخرها بدون احتجان شيء منها . ولو أردنا المقابلة بالمثل لوجدنا في قنطرة مكاتيب فيها ما فيها . . . ولكن ربأنا بنفسنا عن المقابلة بالمثل في عمل نترك الحكم فيه للقراء .

(١) هذه مقابلة وقعت لنا معه في جنيف سنة ١٩٣٢ .

كنت لهم قبيل وصوله وبعده بما ينبغي لهم معه من تقوية عزمه وأمله
بزعامة الامة العربية وبأن السعي للوحدة العامة ولتوحيد القطرين لا بد
منه على كل حال وانه لا يمكن بدون طلب عطف الملك والعمل مع
نوري باشا ٠٠٠

واني مخالف لك وموافق لرأي إحسان بك في مساعدة لجنتنا على مقاومة
برلمان سوريا وحكومتها فمضى أن توافقي كما اعتدنا في أمورنا العامة
وآخر أخبار الحجاز أن جلالة الملك يزجو أن ينال القرض الذي يسعى
اليه مضطراً اليه من خديو مصر السابق^(١) والسلام عليك وعلى الشقيق
والنجل النجيب

رئيس

وكتب في ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٥١ و ٢٠ تموز ١٩٣٢ :
سيدى الأخ الكريم والولي الحميم أيدى الله وأيد به العلم

والدين

كنت أمس صائماً وقد بلغت الحرارة درجة الاربعين أو زادت من
حيث بلغت العسرة درجة ١٠٠ وجاءنا في بريد الصباح إيدان من بنسكين
باستحقاق كمبيالتين على إيدان من بنك مصر بالتذكير بكمبيالة سابقة بعد
مطالبتي له بتأجيل كمبيالة استحققت في هذا الشهر . ثم جاءني بعد العصر عامل

(١) كان هذا الوعد قد وقع على اثر حادثة خيف من عاقبتها ثم لم ينجز من

الوعد شيء .

من محل تجارة نكامولي يحمل ثلاث كمبيالات قديمة لم تدفع لتغييرها
بكمبيالات جديدة مؤجلة تستحق أولها بعد شهرين فأضيت الجديدة
واستعدت القديمة . وان ما يطلب منا اليوم لا نملك عشرة ولا نصف عشرة .
وفي ظهر امس طالبت الشيخ فوزان وجلسنا ساعة أو أكثر نبحت في
مسألة فوزي القاوقجي وقد ثبتت الرواية بإرسال الملك إياه من الحجاز
الى الرياض مكبلاً بالحديد . واخواننا في مصر وفلسطين والشام مضطربون
متحلمون متفقون على السعي لانتاذه وقد أقنعت الشيخ فوزان بإرسال
برقية الى جلالته بأن أصدقاء فوزي كلهم من أنصار جلالته ويرون هذا
التنكيل بفوزي منافعاً لمصلحته ويرجون العفو عنه والسماح له بالسفر الى
حيث يشاء واثقين بأنه لن يقول ولن يفعل شيئاً في البلد الذي بقي فيه
مما يسوء جلالته . . .

كذلك كان صباح أمسنا وظهره ومساءه وإنا لصابرون حتى من الله
علينا قبل الغروب بكتابك الكريم فكان خير خاتمة له شرحت الصدر
بما افتتح به من عنابة الاخ باخيه « وان كانت مسائله وموضوعاته لاتسر »
فقرأته وقت الى مائدة الافطار مرتاحاً وكان الحر قد خفت وطأته والهواء
يلطف رويداً رويداً كعادته حتى كان الليل من الطف ليالي الصيف
المعتادة في القاهرة وهكذا يجعل الله بعد عسر يسرا .

أما فعلة . . . فشئنة اخزم عصي المزاج وقد لمز السيد فلاناً في
كتابه هذا على عنابته بالدفاع عنه وقد انقصت عرى المودة بينه وبين
فلان على ما كان من غلوه فيه ولكن هذا تجهم في وجهه مراراً وعسى
أن تبقى الجفوة بينهما خفية لا يكتب فيها شيء وقد زارني ليلاً واهدي

إلى كتابه وأخبرني بسفره فدعوته الى غداء اليوم الذي زارني في ليلته
و كنت رأيت كتابه في الليل فسألني عنه في النهار فلم انتقد ولم اقرظ .

وأما فلان وفلان فقد مرني مما كتبت انك رجعت الى رأيي القديم
فيهما وفلما تقنع بسوء سيرة احد وطالما قلت لبت الاميرين الشقيعين
يقتسمان حسن الظن وسوءه فيكون بينهما شق الابلحة .

وأما المنتقد اللغوي فقد ذهب به الادلال بنظرياته الى الجرأة على ما
نقول في الحديث النبوي فلفظ الدعاية ثابت في رواية البخاري وفي اصح
الروايات وهو مقبوس ومثله الشكاية من شكا بشكو وهو أيضاً منقول في
لسان العرب ومستدرك الزبيدي على القاموس^(١) . . . ولا يتسع وقتي لذكر

(١) جاء في مخصص ابن سيده صفحة ١٩ من الجزء الرابع عشر ما يلي :
وأري كيف تدخل الباء على الواو والواو على الياء من غير علة إما لمعاقبة عند
القبيلة الواحدة من العرب وإما لافتراق القبيلتين في اللغتين . فأما ما دخلت فيه
الواو على الياء والياء على الواو لعله فلا حاجة بنا الى ذكره في هذا الكتاب لانه
قانون من قوانين التصريف . قال الاصمعي : سألت المفضل عن قول الاعشى :
لعمرى لمن أمسى من القوم شاخصاً لقد نال خيصاً من عفرة خائفا
فقلت : ما معنى خيصاً خائفاً ؟ فقال : أراه من قولهم فلان يخوض العطاء
في بني فلان - أي بقله فكان خيصاً مثي يسير ثم بالغ بقوله خائفاً كما قالوا :
موت مائت . قلت له : فقد كان يجب ان يقول لقد نال خوصاً إذ هو من قولهم :
هو مخوض العطاء . فقال : هو على المعاقبة وهي لغة لاهل الحجاز وليست بمطردة
في لغتهم وأنا اذكر منها بحسب ما يحضرني إن شاء الله . قال ابن السكيت :
اهل الحجاز يسعون الصواغ الصياغ . قال : ويقولون : المياثر والمواثر -

شيء آخر من كلماته على انني لا استعمل منها الا الموضوعات فيما اذكر .
هذا وانني لم اذكر لك ان لفظ الدعاوة قد ورد في اللغة الا لبيان

— والموائق والميائيق (واخذ يورد من الامثال) : المتأوب والمتأيب . وشيطه
وشوطه . وقد دوخوا الرجل وديخوه . وقد فاد بفود وبفيد في الموت ، وعار
يعور ويعبر إذا ذهب ههنا وههنا . وغارني الرجل بغيرني وبغورني اذا أعطاك
الدية . وقد تحيزت وتحوزت . وتوتت الرجل وتيتهته . وطوتحتته وطيتهته .
وماهت الر كبة تموه وقد قيل تيمه وتماه . ويقال طال طو لك وطال طيلك .
وضاره يضيره . وزعم الكسائي انه سمع بعض اهل العالية يقول : لا ينفعني ذلك
ولا يضورني . وإن فلاناً لسربع الأوبة وقوم يحولون الواو ياء فيقولون سربع
الأوبة . وقوم بقرلون : لانه بليته ولغة أخرى بلوته .

الى ان يقول :

تبوء غ الدم بصاحبه غلبه وفي الحديث : « اذا تبيخ الدم بصاحبه فليحتجم »
وما اعيج من كلامه بشيء ، وبنو أسد يقولون : ما أعوج بكلامه . ويقال : هو
من صيابة قومه وصوابة قومه . وثور وثورة وثيرة . وقد تصيح البقل إذا هاج .
وتصوح . وتصنع وتصوع . وأقاوم وأقايم . وتهتز الجرف وتهتز . وفاحت ريحه
تفبح فيحاً وفاحت ريحه فوحاً . والطوع والطيع . ويقول بعضهم : حكوت عنه
الكلام اي حكبت . وطما الماء بطمي وبطمو . وكذلك بنمي وبنمو . ومقا
الطست أسي جلها يمحوها ويمقيها . وقد ثوت الحديث وثيته . وفليت رأسه
بالسيف وفلوت . وفأيت وفأوت . وداهية دهياء ودهواء . وغنم قنوة وقنية .
والنقاوة من كل شيء خياره والنقابة . والنفاية والنفاوة . وعزبته الى ابيه وبنو
أسد بقرلون عزوته الى ابيه . وحثيت عليه التراب وحشوته . وما كان مرضياً —

ان كون اصل المادة واوية لا يمنع قلب الواو باء لمناسبة كسر اول الكلمة وجلة القول ان لفظ الدعاية وردت باصح الروايات وهي مقبسة .

وأما المسألة السورية فهي تتحول بالتدريج السريع ولولا بذل المال للجرائد لكان التحول امرع واظن انني كتبت اليك اننا كنا قبل الانتخاب التكميلي الذي وقع في الشام - بل تذكرت - انا سمينا لتأليف وفد سوري يذهب الى اوروبة للسعي لاستئلال سورية ووحدتها وانا الذي توليت بومئذ الكتابة الى هاشم بك الاتامي فأجاب بالاستحسان والارجاء ومنذ اسبوع جاءني منه كتاب آخر يقول فيه انه كف الجابري ان يكلم هنانو في ذلك فاستحسن هنانو ان يذهب هو والاتامي وفارس الخوري من سوريا وشهبندر واسعد داغر من مصر وينضم اليهم شكيب واحسان من جنيف . ولما بحثنا مع الاخوان هنا في المسألة اتفقنا

— ومرضوا واهل العالمة يقولون القصوى . وادل نجد بقولون القصيا . وحكي
الفرءاء عن الكسائي : سناها الفيت بسنوها - فهي مسنوة ومسفية . وسحوت
الطين عن الارض وسحيت . وقد اتوت به واتيت اتاية واتاوة . ورثوته ورثيته
ورغاية الابن ورغاوته . ومحوت امحو ومحيت امحي . وجبوت الخراج وجبيتهم
جباوة وجباية . وطفوت يارجل وطفيت . وهذوت وهذبت . ولحوت العصا ولحيتها
وطهيت اللحم وطهوته . وقد صفوت وصفيت . ولغوت ولغيت . وعلوت وعليت .
وسلوت وسليت . اه باختصار .

ولم يذكر الفيروز ابادي الا الدعاوة بالواو ولكنه ذكر أن « دعيت لفة في دعوت » وذكر الزبيدي فيما استدر كمد على القاموس « دعاية الاسلام » بكسر اوله وهي دعوته .

على أن هذه اللجنة ان تيسر اجتماعها في اوردية فلا يرجي ان يكون
لسميها تأثير مع وجود وفد حكومة سوريا الرسمي . واقترحت انا ان نسي
لدى العراق بأن يتألف وفد يشترك فيه العراقيون والسوريون ويكون
سعيه في جنيف وفرنسة وانكثرة لتوحيد القطرين . فقبل هذا الاقتراح
وكتب الدكتور بشأنه كتاباً الى جلالة الملك واسعد الى الهاشمي وجودت
وسأخبركم بما يأتي من الجواب .

وما ذكرت من كتاب الملك الى إحسان بك جاء شيء بمعناه الى
الدكتور قدري . والمرجو ان يكون اجتماع جلالته بالهاشمي بعد عودته
من سورية وفلسطين قد جدد له أملاً بقوى بما كتبه الشهبندر أخيراً .
وكذا أسعد كتب الى جلالته ولا بد ان يكون الدكتور قدري أبدهما .
وهو الآن في الاسكندرية وقد كتب اليه أسعد بكل شيء .

ثم ان حزب الاستقلال الذي يعنى الآن بتجديد جهاده سيبحث الدعاية
لمسألة الوحدة ومقاومة حكومة الجمهورية الجديدة وقد حضر في هذا
الاسبوع الحاج أديب خير واخبرنا بأن الاستعداد في الشام عظيم لا ينقصه
إلا قيام زعيم قوي الارادة يظهر بالمعارضة .

هذا وان ابن رفاة الناصر على الحجاز قد نهضت الدلائل وصحت
الاخبار بأن كل نفقاته ترسل اليه من مصر بجرأ وان الحرك له فلان
بالاتفاق مع فلان . وأخبرني اليوم عبد الغني الرافي انه جاءه كتاب
من اليمن او عدن بأن قبائل عسير قتل رجال ابن سعود الا واحداً
او اثنين فرأ هاربين . وقال انه سينشر هذا لانه موقن بصحته . والسلام

عليك وعلى الصديقين الكريمين الامير عادل وإحسان بك وأقبل طرة
غالب وغرته داعياً ومع هذا كتاب من الامام يحيى للامير عادل حفظكم
الله اجمعين ؟

رسم

وكتب في ٢ ربيع الآخر ١٣٥١ :
سيدي الاخ الامير حفظه الله ودام توفيقه
اني أتي إلي كتابك رقم ٢٢ ربيع الاول اول من أمس .
الى أن يقول :

وجدنا من التجار من اعطانا ورقاً بالدين فطبعنا منه رسالة النساء التي
أرسلتها اليك والى الاخ الامير عادل وطبعنا جزئين من المنار شرعنا في
ترزيعها اليوم وبدأت بطبع رسالة أخرى في مسألة الوحي الحمدي والقرآن
لم يكتب مثلها في الاسلام وهي من مباحث التفسير وفيها إقامة الحجة
على اهل الكتاب ولا سيما النصارى وعلى الماديين المفكرين لعالم الغيب
الذين يقول أمثالهم طريقة وأعلمهم بالسيرة المحمدية ان محمداً كان صادقاً
ولكن الوحي من نفسه العالية لا من السماء ومنهم « مونت » و « درمنغام »^(١)
وسمى أول هذا الفصل في المنار في تفسير : « أكان للناس عجباً أن
أوحينا الى رجل منهم » الخ . وسنعيد طبع رسالة « لماذا » في هذا الشهر

(١) كلاهما افرنسي ومونته ترجم القرآن الى الافرنسية وكتب عن محمد
وانصف وكان استاذاً في جامعة جنيف .

إن شاء الله تعالى وألزمت السيد عاصم أن يكتب لك تحرير الحساب
ويطاعني عليه قبل إرساله .

كان الدكتور فلان مثلاً أشد التألم من كتابة أبي الحسن الجديدة
بسبب تصدير كتابه بصورتك وكتايبك لا بمجرد الطعن فقد قال اننا
نعودنا هذا منه ومن غيره .

الى ان يقول :

فلما أطلعته على كتابك سر به وقال لو ان الامر نفسه نشر شيئاً
يصرح فيه بعدم رضاه عما نشر لاجل التصافي الذي حصل وخدمة الوطن
المشتركة يكون ذلك أولى وأنتفع من كتابة ٠٠٠ على انه لا يفعل لأنه
عصبي المزاج يشق عليه تخطئة نفسه . وأنا أرى رأي الدكتور وبسهل
عليك أن تنقي إيلام أبي الحسن فيما تكتبه ^(١) .

مقالتك التي نشرت في جريدة الجامعة العربية جاءت مخالفة للكتاب
المصريين وغير الكتاب منهم ومن السوريين والفلسطينيين في تبرئة الانكليز
من ثورة ابن رفاة وقد كانت استطراداً في رد على من زعموا ان للانكليز
دسائس في سورية ٠٠٠ ولولا انك تعودت الإحاطة بالمسائل من جميع
أركانها وأطرافها لم يكن للدفاع عن الانكليز في هذه المسألة مقتضى وهو
ما يسوء بمغضيتهم من المصريين والفلسطينيين وغيرهم ^(٢) .

(١) قد عملنا برأي الاستاذ ورأي صاحبه ونشرنا مقالة في « الجامعة
العربية » تحت عنوان « لا نسر حسواً في ارتقاء » واستحسنها الاستاذ كثيراً
وغیره ولم يفد ذلك شيئاً .

(٢) لا أقدر أن أقول إلا ما أعتقد . وكنت أعلم مصدر حركة ابن رفاة .

على أن الدلائل التي تدل على ما لهم من الهوى والسياسة فيها كثيرة
منها أقوال كبريات جرائد في تنظيم أمر هذه الحركة ومؤيديها وذم
ابن السعود وادعاء أن أهل الحجاز وسائر المسلمين كارهون لوجوده في
الحجاز ويسرهم خروجه منه (ومنها) نصريحات مستر كلوب (ابو حنيك)
التي نشرت في الجرائد وهو المنظم لقوة الدفاع على حدود شرق الاردن
الحجازية والتجديبة (ومنها) الاستعداد العسكري الذي أحدثوه على هذه
الحدود في هذا الوقت (ومنها) انه لم يكن من الممكن أن يخرج ابن
رفادة من مصر الى صينا « وحاميتهما تحت سلطة الانكليز » الى العقبة وبدخل
في ارض الحجاز بدون علمهم ثم ترسل اليه المؤونة والذخائر من السويس
وتصل اليه وأن يساعده قائم مقام العقبة في كل ما أراد - ولكن هذا
قد عزل الآن من العقبة كما هي العادة في كل الخونة الذين يستعملون
سراً في أمثال هذه الاعمال - وأما مسألة ٠٠٠ فلا حاجة الى كتابة شيء
فيها وإنما أقول لك خاصة انه جاءني كتاب في أول ذي القعدة من
الحجاز يخبرني مرسله وهو صديقي وأعلم أهل الحجاز بالامور العامة انه قد
علم أن بين ٠٠٠ و ٠٠٠ نواطوا على إحداث فتنة في الحجاز بعد موسم

- وأعلم ان الانكليز كانوا أجانب عنها وان دسائسهم أعظم جداً من هذه
الدسيسة الصغيرة . ولم أكن في حاجة الى مثلها لأجل إثبات ضررهم بالعرب
والاسلام فالادلة على هذا أكثر من أن تحصى . أما « ابو حنيك » هذا فهو
دساس عادي لا يؤبه له وليس بخارجية انكليزا واما الاستعداد العسكري الذي
أحدثوه على حدود شرق الاردن فهذا شأنهم في كل مكان تحدث فيه ثورة م
على مقربة منها .

الحج وان ٠٠٠ تعلم هذا وتساعد عليه وان بعض جواسيسها في الحجاز قد اعترف بذلك أو شيء منه بقصد التعمية الخ ٠٠٠ وسترى رأيي في حظ الانكليز من هذه الفتنة في المنار - ولا أعتقد أن الانكليز هم الذين دبروها وإنما أعتقد انهم أرادوا ان يستفيدوا منها إن نجحت من حيث لا يؤخذ عليهم عمل رسمي إذا فشلت فإنهم أول من أخبر ابن السعود خبرها اما وقد قضى على الثورة في معركة واحدة فسيعلم ابن سعود من خبرها أكثر مما كان يعلمه وأنا المنتظرون ما يبدو منها والسلام عليكم وعلى الاخوين الكريمين والنجل النجيبين

رشي

وكتب إلي في ٩ جمادى الاولى ١٣٥١ و ١٠ سبتمبر ١٩٣٢ :
أخي أمير البيان المجاهد في سبيل الله بالقلم واللسان أدام الله توفيقه
ما أشد سروري وبتهاجي بخبر زيارتك لآخواننا الكرام مسلمي
بوسنه وهرسك في ديارهم وما كانت غبطتك بهم وغبطتهم بك ومعرفتهم
لقدرك ورفعهم لذكرك وتنافسهم في ضيافتك وإحيائهم للشعور الاسلامي
في قومهم بالخفاوة بك فيالها من بشارة عظيمة استمساك هؤلاء المسلمين
الاخيار بعروة دينهم الوثقى وإعلانهم لكلمة الله تعالى في تلك البلاد
واقامتهم لشعائر الاسلام فيها وانك على حق وصواب في استحسانك وتمنيك
لتعاهد مسلمي البلاد العربية لهم بالزيارة والتعارف بينهم ولكنك نسبت
ان أكثر القادرين على الاسفار من مسلمي مصر والشام والعراق هم الاغنياء
الناسقون الذي نحمد الله تعالى على غفلتهم عنهم وعدم وجدانهم الباعث
على الامام ييلادهم فإنهم قدوة سوء يحزن أولئك المسلمين الاخيار وجودهم

بينهم ولا أعرف أحداً من القادرين على هذه الزيارة يباعث الاسلام من إخواننا المصريين إلا محمود بك سالم الذي بقيم في باريز وقد سافر من هنا منذ أشهر الى فلسطين فسوريا (وكان قد حضر المؤتمر الاسلامي في القدس) عازماً على الطواف في بلاد الترك والبلقان وبوغسلافية للوقوف على أحوال المسلمين وترغيبهم في عقد مؤتمر إسلامي خاص بهم ووعدي عندما ودعني بأن سيكتب إلي من كل قطر ولما يف بوعده وهو قليل الكتابة كثير الكلام والاهتمام بالمسائل الاسلامية العامة .

العبرة في هذه الرحلة من وجهين : «أحدهما» أن الشعور الديني في هذه البلاد أقوى منه في بلاد مصر وسوريا والعراق وبلاد الترك وأظن ان مثلها بلاد ايران ولكنه ليس أقوى من بلاد الهند ولعل من أهم أسبابه فقد الحكم الاسلامي او الامتناع من حكم غير المسلمين فإن الحفاوة التي رأتها في بلاد الهند^(١) لا تقل عما وجدت في البوسنة والمهرسك . «وثانيهما» أن زعامة العلم والدين والادب أعظم وأعز من زعامة المال والجاه الديوي فإن كان خديو مصر السابق وهو من أكبر الاغنياء وحمل لقب بلي لقب الملك لم يعن به احد في تلك البلاد عشر معشار ما عني بأمر البيان وخادم الاسلام فإنه قد مات في هذا الصيف حافظ ابراهيم الشاعر الاديب ومات بعده أكبر أمهر من أسراء البيت المالك هنا ولم يحفل الشعب كتابه وادباؤه بموت هذا الامير معشار ما حفلوا بموت الاديب الفقير فهم لا يزالون يرثونه ويؤثثونه وقد شاركهم في هذا أدباء العرب في جميع الاقطار العربية شرقها وغربها ولم يحفل أحد من هذه الاقطار بموت الامير المصري نسيب ملك مصر وأقرب الاسراء اليه وأحظاهم عنده .

(١) السيد رشيد زار الهند قبل الحرب العامة .

رسالة حقوق النساء في الاسلام

هذه الرسالة لا بد من اختصارها لاجل ترجمة المختصر في اللغات الاوربية وغيرها لاجل نشرها في المولد النبوي القابل من قبل جمعية الهند فأحب أن تعيد النظر فيها عند سنوح الفرصة وتذكر لي ما يحسن حذفه منها عند الاختصار وهو ما يرجى أن يكون له تأثير كبير في نظر الافرنج ولا سيما نساءهم لان الغرض من ترجمتها إقناعهن قبل كل أخذ بفضل الاسلام والاصلاح المحمدي العام . وأنا أرى أن مما يحذف او يختصر أكثر ما ذكرناه من سيرة أزواج النبي «ص» وسبب زواج كل منهن فيكتفي فيه بالاجمال ورأيتك أصبح لانك تعلم من ذوق الافرنج ما لا أعلم وقد شاورت في هذه المسألة صديقي الذي ترجم لي بالانكليزية «خلاصة السيرة المحمدية» ولما بيد لي رأيه وهو في الاسكندرية .

رسالة لماذا

قد تم طبع الرسالة ووضعنا بعض النسخ منها في الصندوق الذي شيرسل الى من أرسلت بإرساله اليه في يوغوسلافية متضمناً لنسخ الارتسامات وقد كتب لك السيد عاصم كشفاً بحساب المطبعة الاولى من رسالة «لماذا» وحده لنفاد نسخها وسيضيف حساب الطبعة الثانية الى حساب الرحلة «الارتسامات» من الجهة المالية ويتحد الحساب فيما بعد .

«مبألتنا السياسية» ألف إخواننا في القدس او جددوا تأليف حزب الاستقلال العربي بقانون جديد وطفقوا بنشؤون له فروعاً في سورية كلها وقد اقمتموا كلهم بمسألة توحيد القطرين حتى نبهه بك العظمة الذي كان

أول المعارضين عليك ولكن بقي من مشهورهم الشيخ كامل القصاب وهو قد اعتزل السياسة بعد عودته من الحجاز . وقد أصدرت لجنتنا التنفيذية بياناً جديداً صرحت فيه بوجوب الوحدة بعد أن مهدت لها السبيل في العراق وسوريا وفلسطين واني مرسل اليك اليوم نسخة منه لتشروه عندهم . ويسافر اليوم الى القدس مكرنبرنا اسعد افندي داغر ليجتمع باخواننا . مؤسسي الحزب على ما يعرضونه على جلالة الملك فيصل في موضوع الوحدة ثم يسافر منها الى عمان للقاء جلالة على موعد جاءت الاشارة به من بغداد وموعد وصول جلالة الى عمان اليوم او غداً .

وقد حدث شيء جديد مكرنبرنا اسعد افندي في السعي لتلافي شره ويحمل كتاباً مني الى الاخوان بشأنه وهاك خلاصة خبره : جاء مننا أيام كتاب الى الدكتور قدري من أخيه المرافق لجلالة الملك فيصل يقول فيه ان الملك علي لما عاد من عمان الى بغداد اخيراً أخبر جلالة أخيه الملك فيصل ان فلاناً أفضى اليه بالطعن على حزب الاستقلال العربي الذي ألف في فلسطين ووصفه بأنه ينصر ملك الحجاز ونجد عليهم ٠٠٠ او ما هذا معناه وان الملك اساء استياء شديداً من الخلاف والشقاق بين الاخوان العاملين وبين المفتي الجليل الكبير . وجاءني أمس كتاب من نبيه بك ذكر فيه انه جاءه كتاب من ياسين باشا الهاشمي بأن يهد السبيل في بغداد لاجل عقد المؤتمر العربي وانه حدث ما سخط منه جلالة الملك واستاء جد الاستياء وهو وقوع الشقاق بين الاخوان « مؤسسي الحزب ودعاة المؤتمر » والمفتي الحسيني . وجاءني كتاب في معناه من الحزب باسم اسعد افندي داغر . وقد عد الاخوان هذا الاستياء من الملك فيصل تدخلا

منه في أمر المؤتمر العربي يمد مائماً من حريته وبوجوب الامتناع من عقده في بغداد وهذا خطأ منهم فإن الاستياء من الشقاق أمر طبيعي فإن كل مخلص للامة يسوءه كل شقاق وخلاف يقع بين رجالها ولذلك رأيت أول ما يجب أن ننفي به في هذه الحادثة المؤسفة السعي لاصلاح ذات البين قبل مقابلة جلالة الملك فيصل لان فشل عقد المؤتمر في بغداد بهذا السبب يؤثر في مسألة الوحدة التي آن أوان السعي العملي لها .

وأما رأيي في أمر فلان فهو انه رجل له مزايا لم توجد في غيره من أهل بلده ولا بلاده كلها وانه أمكن له ان يؤسس لنفسه مركزاً وصيتاً طائراً في العالم الاسلامي كله - فلا يجوز لرجل مخلص لامتة ووطنه ان يسعى لإسقاط أو هدم صيته وإنما يجب العناية بالانتفاع به بقدر الامكان فلما تألف هذا الحزب وقامت قبل تأليفه الدعوة الى عقد مؤتمر عربي عام بدون رأيه ولا مشاركته وحضر زعيم العراق الهاشمي الى القدس للمفاوضة مع دعاة المؤتمر فلم يجد له قولاً ولا فعلاً معهم كبر ذلك عليه . فلما وصلت المسألة الى هذا الحد كتبت اليهم ولقنت أسعد أفندي ما يجب من السعي لاصلاح ذات البين على قاعدتي في خطر السعي لهدمه وإسقاطه ووجوب إقناعه بأنهم يحترمونه ويحلون مقامه ويتعاونون معه على كل ما فيه نفع للامة مع استقلالهم في عملهم واستقلاله في عمله فإن لم يقبل فليدعوه وشأنه مع اجتناب أي عمل عدائي له يكونون به حجة عند عقلاء الامة العربية وصائر المسلمين على ان اكبر داء من ادواء العرب التي لا يقوم لهم معه قائمة هذا الشقاق والتحاسد في الباطل ... كتبت الى نبيه بك بأن يجمع أسعد أفندي بالامثاذ الجليل العاقل المصلح

الشيخ اسماعيل الحافظ ليستمع به على إقناع الحسيني بالصالح فان لم يقتنع
فيرجى ان يقنعه الملك فيصل بعد الوقوف على حقيقة الامر فان اقتنع
سراً وجهاً فهو خير له .

مسألة العقبة وفتنة ابن رفادة

حدث هذا الخطب الاكبر والفتنة في اثناء رحلتهم هذه فتعذر علينا
مخاطبتكم بشأنها والاستهانة بראيكم فيها واظن انكم علمتم بشيء كثير من
حوادثها في اثناء السفر وبعد العودة الى جنيف وقد اخذ جلالة الملك السعودي
بالحزم التام وجمع من الجنود النجدية على حدود العقبة وحدود شرق
الاردن ما يكفي لمقاومة اضعاف فتنة ابن رفادة بل ما يكفي
للاستيلاء على شرقي الاردن كله وبطش بابن رفادة ففضى على فتنته في
معركة واحدة وهي لم تكن تحتاج الى عشر هذه القوة .

وكان المنتظر من حزمه ومما علم من قيام العالم العربي والاسلامي في
الانتصار له والطعن على الانكيار والتشنيع عليهم بأنهم يبغيون الاعتداء على
الحجاز نفسه ومما كان هياج اهل نجد كلهم بدوهم وحضرهم ومطالبتهم
إياه بأن يأذن لهم بالجهاد الواجب عليهم - كان المنتظر من حزمه والحالة
هذه أن يسعى لحل مسألة العقبة وإعادتها الى الحجاز معتدراً للانكيار
بهياج شعبه وبأن إعادة العقبة الى الحجاز فرض ديني عليه لا يسمح له اعتقاده
ووجدانه بالسكوت عليه ولكنه لم يفعل وإنما كان يطالبهم كما قبل
بتأديب ... الحرك والمنفذ لهذه الفتنة وقد اغنم الانكيار الفرصة فأشعروا
يحتضنون خليج العقبة بأحدث الاساليب بل الاعمال الفنية الحديثة الخ .

وقد كتب إلى جلالته من جهات كثيرة بالاخذ بالحزم ولكن قائد جيشه
الم رابط تجاه العقبة شكر قائد الحامية الانكليزية الاردنية في العقبة على
مساعدته ومودته للملك الحجازي وانصرف بجيشه فائزاً بورد القائد الانكليزي
عليه الشكر بمثله .

وقد أشيع بعد ذلك ان العقبة ستملح من شرق الاردن وتعمل تابعة
لفلسطين فإن صح هذا لا سمح الله فيكون . . .
الى ان قال :

وعندي انه يجب عليك وعلى كل مسلم إزعاج الملك ابن السعود
بالحجج المقنعة بأن يعود الى المطالبة بإعادة العقبة الى الحجاز ولي مقالة في
هذا لما تنشر وفيها اني أعقد أن أسر العقبة إذا رفع الى عصبة الامم
فإن ابن السعود يجد له أنصاراً فيها من الدول . وسترى هذا وأنت أعلم به .
وقد تعبت من الكتابة وغربت الشمس فالسلام عليك وعلى الاميرين
عادل وغالب والاخ إحسان سلمكم الله لأخيكم المخلص

رشيده

وكتب في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٥١ و ٢٧ أكتوبر ١٩٣٢ :

سيدي الاخ الامير أطلال الله حياته

السلام عليك ورحمة الله وبركاته . أما بعد فاني أرسلت اليك كتاباً
في السياسة مطولاً كطول السعد في البلاغة ومعه كتاب من السيد عاصم
في الحساب النهائي المفصل لرسالة « لماذا » وكان ذلك في ٩ جمادى الاولى

١٠ سبتمبر وفيه إخبار بانتهاء الطبعة الثانية للرسالة . (الى أن يقول) :

حدث لنا في هذين الشهرين حدث يسوء كل مسلم . كتب الشيخ يوسف الدجوي مقالة في الجزء الذي صدر في غرة جمادى الاولى من مجلة مشيخة الازهر يرميني وبتهمني فيها بأفطع البهائم من تكفير وتجهيل وتهكم وسب وشتم : منه انني أفتيت طلبة المدارس التبشيرية من المسلمين بالصلاة مع النصارى في كنائسهم لاجل ان يتربوا على النصرانية وانني كذبت الله ورسوله وخالفت الاجماع الخ الخ . . . فكتببت الى المجلة مقالاً احتج عليها وأطالبها بقبول ما أرد به على افتراءه وبهتانه دون سبابه وتكفيره . فسعت المشيخة الى الصالح يزعمها ولم تنشر الرد . ثم صدر الجزء الذي بعده من غرة هذا الشهر فاذا فيه مقالة اخرى في معنى النبي قبلها وزعم الشيخ محمد الخطير رئيس تحريرها بان المقالة الثانية كانت قد طبعت قبل الشروع في السعي الى الصالح . وعقد الصلح اولاً في دار مفتي الديار فنقضه الدجوي بنشر رسالة فيها المقالتان وغيرهما مع إشعار بخاطبتي فيه بلقب الكلب والخنزير . ثم عقد صلح آخر في المشيخة نقضه أيضاً . وقد شرعت في هذه الايام في كتابة ما حدث في الجرائد وسنراسها اليك أو نطبعها في المنار . والسلام على الاخوين عادل وإحسان وعلى النجل غالب ودمتم لأخيكم ؟

رشد

وكتب في ١٣ رجب ١٣٥١ و ١٢ ت ٢ سنة ١٩٣٢ :
سيدي الاخ الامير حفظه الله موقفاً لخدمة الامة
قد أنثني إليّ كتابك أول من أمس فرأيت من الواجب أن أعجل
اليك في جوابه بالامور الآتية :

(١) إن الضروري الذي يجب عليك أن تراعيه قبل الاجوبة عن
المكتوبات وعن المصنفات وعن السياسات هو أمر صحتك العامة ووقاية
عينيك خاصة فداهما الله بالوف العيون من الاكابر والاصاغر وبعيون المهني
والجاذر من نعمان الى حاجر .

(٢) ان نترك عادة الاصهاب والتطويل في كل ما تكتب الى الايجاز
تارة والتوسط تارة أو تارات فكثير ما تكتب في بسط المسائل ما هو
معروف عند من تكتب له أو لهم وقد يكون معروفاً مما كتبت من
قبل والكتاب المختصر الممجل خير من المطول المؤجل^(١) .

(٣) عندما ترى انك مضطر الى ارجاء الجواب عن كتاب مهم لصديق
اعتماد منك للبادرة الى جوابه يحسن أن تخبره بوصول كتابه واضطرارك
الى تأجيل الكتابة اليه بتفصيل للمسائل التي فيه وبكفي في هذا رقعة
يريد مكشوفة يطعن بها القلب .

(٤) كان يكفيني من الجواب عن كتابي المطول نتيجة ما دار بينك
وبين الهام وخلاصة رأيك في المسائل الاخرى .

(٥) الشيخ فلان لا قيمة لعلمه ولا لكتابه عندي وقد تمحكك من
قبل بالرد عليّ فلم أره أهلاً لان يرد عليه ولا لان يذكر اسمه في المنابر

(١) هذا عين الصواب وليتني جماعت رأي الاستاذ حنديره عيني .

وان كان من أشهر علماء الازهر او أشهر كتابهم الذين اعتادوا ان يكتبوا في المسائل العامة . ولكن طعنه الاخير وجب الاهتمام به لانه نشر في مجلة الازهر التي يقدرها العوام والمقلدون فوق قدرها وقد تكون قيمتها في غير مصر اكبر من قيمتها فيها والشيخ شر من الشيخ لانه عدو للاصلاح مبين وظهير للخرافات قديم ثم ان لم يكثف بنشر بهتانه وجهله في مجلة المشيخة بل تعداها الى النشر في الجرائد ولهذا قابلت المشيخة بالحلم ورائيتها على ما سمعت اليه من الصلح حتى لا يقال انني معتد على الازهر وأراد إسقاط قيمته الدينية وشرعت بعد علم الناس كلهم بانهم هم المعتدون في الرد المطول عليهم الذي يفضح عدوانهم وبهتانهم وقدرت عليهم كتاب ازهر يون فيما يوئيدني عليهم ولم يوجد أحد يوئيدهم .

سيصل بعد ثلاث الى مصر الشيخ كامل قصاب والخير الزركلي وهما الوفد الذي سيسافر الى نجد قبل اخواننا اعضاء المؤتمر العربي وسيفتقان معي على ما ينبغي أن ينقرر في نجد ولو كنت كتبت إليّ خلاصة ما دار بينك وبين الهام في المسألة لكأن من أهم ما يفيدنا فيما تقرره وأنا قد كتبت الى الهام كتاباً مطولاً صريحاً في جميع فروع المسألة العربية .

وكتب إليّ في ١٥ رجب ١٣٥١ و ١٤ ت ٢ سنة ١٩٣٢ :

سيدي الاخ الامير

سافر السيد عاصم مساء أمس الى طرابلس بطريق بيروت وأعطاني قبل سفره كتاباً لكم منه يرسل مسجلاً ، و كنت أرسلت اليكم اول من أمس كتاباً رجماً لكتابكم الاخير لي . وهاك جوابي عن الكلمات :

وأما كلمة مشاكر فقد ذكرها الزبيدي في التاج لفظ فلان بفك المشاكر وهي الامور المانسة على ما ذكر في لفظ الجملة ^(١)، وانا اكتب هذا في حجرة النوم، وأما الكلمة فهي في التاج قطعاً بهذا المعنى وتعلمون ان جمع التكسير بكثير فيه الشذوذ ومنها مسانير جمع مسنور وهي الكلمة الثانية التي سألت عنها وسبق لنا معكم بحث في مثلها . والكلمتان قد استعملهما شيخنا في بعض مقالات العروة الوثقى وعنها أخذت الاولى (مشاكر) ووجدت لها نقلاً، وأما كلمة مشاهير التي أنكرها الشنقيطي لخالفتهما للقياس فأذكر اني رأيتها للفيروزآبادي في القاموس في غير مادتها من استعماله وهو غير حجة منه وإنما العبرة بنقله والذي أراه ان يقتصر على السماع إلا ان يقرر بجمع لغوي جماعاً قياسية فيما استعمل فيه اسم المفعول علماً او كالمعروف وهو ما ألح في مشاهير ومسائير .

وأما مادة احترم ومحترم فيستعملها الفقهاء وقال الفيومي في المصباح: والحرمة بالضم ما لا يحل انتهاكه والحرمة المهابة وهذا اسم من الاحترام مثل الفرق من الافتراق والجمع حرمان مثل غرفة وغرفات اهـ - فأنت ترى انه ذكر الاحترام عرضاً وهو أدق من صاحب القاموس في النقل والاستعمال والعبرة بنقله والظاهر انه هنا ناقل للمادة صحيحة ولم أهملوا مثلها من المستعمل في الفصح .

وأما اكتشف ^(٢) فأذكر اني قلت لك في السويس او بور سعيد إنها

(١) نعم ذكر هذه الجملة صاحب التاج كما قالها السيد رشيد

(٢) لم ترد « اكتشف » بمعنى « كشف » الا بما ذكر السيد هنا ولا اعلم

من اين أخذ الشرتوني هذه اللفظة بالمعنى الذي نستعمل فيه الالف اي بمعنى -

استعملت في كلام العرب متعدية باللام في مبالغة المرأة في كشف مالا
يجل كشفه لغير زوجها .

أخبار فلان الفلاني مؤسفة وإنا لنعلم أكثر كلياتها . اذا لم تجد وقتاً
لقراءة رسالتي « نداء للجنس اللطيف » وابداء رأيك فيما ينبغي حذفه منها
عند ترجمتها باللغات الأوروبية فكلف أخانا الامير عادل بذلك عند عودته
بالسلامة اليك ؟
اخوك

رشد

وكتب إلي في ١١ شعبان ١٣٥١ و ٩ ديسمبر ١٩٣٢ :

سيدى الأخ الامير أطال الله حياته وامتعه الامة به

ألقي إلي أول من امس كتابك المؤرخ في ٣٠ رجب وما فيه وأنا
مشغول من أول هذا الاسبوع باحتمالات تأبين صديقك المرحوم أحمد
شوقي وكان آخرها مساء امس « الخميس » حضرت مع ضيوف مصر من

« كشف » ولعله نقلها عن البستاني صاحب « محيط المحيط » وقد كان بعضهم
استغرب ورودها في سجل نسب عائلتنا الاثبات الاول الذي عليه توقيع محسن
ابن حسين بن زبد الطائي متولي فصل الدعاوى بين المساحين نيابة عن امير
المؤمنين في مدينة المعرة والذي تاريخه ثاني شعبان سنة مائة وحدى واربعين اذ
فيه « لاكتشاف امر بوقته صاحب حلب » والحقيقة انها ليست « اكتشاف »
وانما هي « اكتناه » وهو بلوغ كنه الشيء وهو قدره وغايته ومنتهاه وقد وقع
خطأ في قراءتها .

سورية « ولبنان » وفلسطين دعوة محافظ مصر الى حفلة شاي بداره في شارع الاهرام وسيسافر اليوم اكثر من بقي منهم ولو انك ارسلت إليّ مرثيتك من اول الامر لانشدتها لك في الحفلة الاولى اذ كنت عضو لجنّتها .

لقد كنت في غنى عن استخلافي الكتان كتابك للهام بكلمة واحدة بل هو مما لا حاجة الى التوصية بكتابه وربما اكون أحوج الى التوصية بإطلاع من يحسن اطلاعه على بعض المكتوبات الاخرى لان من عادني الكتان وقلة الكلام في المسائل الخاصة وكذا العامة لغير اهله على اني كنت قلت في لجنّتنا ان الامير كاشف الهام برأيه الصريح في مسألة الوحدة وانه يرى انها لمصلحته الخاصة في ضمن المصلحة العامة وقد سافر الشيخ كامل القصاب في الاسبوع الماضي الى الحجاز وسيذهب منها الى نجد موفداً من قبل الاخوان بعد مكاتبات وبرقيات بينهم وبين جلالة الملك السعودي في مسألة المؤتمر العربي وقد حمل الشيخ كامل كتاباً مطولاً مني الى جلالته في معنى كتاب سابق اطول منه فيه من الصراحة والحجج اكثر مما في كتابك . والشيخ كامل كان مخالفاً لرأينا في الوحدة وكان الاخوان غير مطمئنين الى انحصار الوفد الذي وعدوا الملك به في شخصه اذ تعذر ذهاب غيره ولكنني اقنعت برأينا فانتفع به اقتناعاً تاماً . ولكن الملك الان في شغل شاغل بثورة عسير وقد ظهر انها اكبر مما كان يظن وقد سافر منذ ٣ ايام الشيخ حافظ وهبه . وقد كتبت الى جلالته بأن فتنة الجنوب « عسير » كانت قد دبّت مع فتنة الشمال « ابن رفاة » وكان يظن أن القضاء على الاولى يمنع ظهور الثانية وهو يرجو

القضاء عليهم كما عوده الله تعالى بتوكله عليه... فكتبت اليه فيما
كتبت ان هذا التوكل غير شرعي وإنما التوكل الصحيح ما كان بعد
الاخذ بكل ما يستطيع من الاسباب ومنها المشاورة كما قال تعالى لسيد
المتوكلين وأكملهم «ص» (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على
الله) وكان هذا في غزوة أحد ولما قصر المسلمون في انشائها بما كان من
مخالفة الرماة لامر القائد العام «ص» بـلازمة الحماية لظهور المقاتلة غلب
المسلمون وشج رأس النبي «ص» وكسرت سنه... وانزل الله تعالى
«أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل هو من عند
انفسكم».

الى أن يقول:

(٢) اخبار بونسو في جنيف نقلت بالبرق فكانت كما أعتقد انا وسائر
أعضاء لجنتنا . وفي برقيات الاهرام اليوم من سورية ان وصول هذه
البرقيات اليها حاجت البلاد وطفقت الجرائد ترد عايتها وتصرح بأن اربع
مدائن فقيرة محصورة لا يمكن ان تكون دولة . وانا أقول معكم ان
سورية وإن اتحدت لا يمكن ان تكون دولة غنية قوية يمكنها ان
تحمي نفسها وعلى هذا الاصل وما هو معلوم من ثروة العراق لزم بت
الدعاية للوحدة . وقد حضر في هذا الاسبوع اخونا ياسين باشا الى هنا
وانفقنا معه على خطة المؤتمر وغيرها وسافر ليلة الاربعاء الى القدس لمقابلة
اخواننا والاتفاق معهم وسيذهب منها الى بيروت ودمشق لاتمام الاتفاق .
(٣) انني لأسر بان يكون لي صلة صداقة بعزيز عزة باشا الذي

تغدينا معه في سويسرة كما تذكر . وكان منذ عامين حدثه صديقه الحميم
وصديقنا فؤاد بك سليم بأننا نريد أن نجعل لنا نادياً إصلاحياً في دار
المنار نقرشه لاجل أن يجتمع فيه اصحاب العلم والرأي الذين نهمهم
المسائل الاسلامية العامة فسر بذلك ووعدة بالاشتراك فيه . ولكن كان
مصطفى بك عز الدين الطرابلسي المثري هنا ووعدنا بأنه يبذل زهاء مائة
جنيه لتجديد البهو المنفصل عن دار المنار عند مدخلها وفرشه فظننا ان
موعد تنفيذ هذه الامنية قد قرب وكان فؤاد بك مطاعاً على ذلك ولاجله
أخبر عزيز باشا ثم ان مصطفى عز الدين أخلف وعده .

(٤) سأرسل الى دار الكتب من يبحث لك عن مقالاتك وقصائذك
وينسخها ومن يطالب محب الدين أفندي بما ذكرت . ولو أرسلت إلي
عنوان داود أفندي بجاعص لأرسلت اليه رسالة (نداء الجنس اللطيف)
وأما الطرد الذي أمرت بإرساله الى الجزائر فقد هياه السيد عاصم قبل
سفره وتركه في المكتبة ولما تملك المكتبة أجرة إرساله وهو زهاء ١٢٥
قرشاً ولعلنا نجدها فنرسله والسلام

رئيس

وكتب في ١٨ شعبان ١٣٥١ و ١٦ ديسمبر ١٩٣٢ (صباح الجمعة) :

سيدي الاخ الامير

أرسلت اليك رجع كتابك المسجل بكتاب مثله أعدت فيه صورة
كتابك الى الهام ثم ألي إلي أول من أمس (الاربعاء) كتابك المؤرخ
في ٧ شعبان وابدأ في الجواب بالمسألين العلميتين . فأما مسألة العقل

والنقل فالمشهور فيها عن المتكلمين ما ذكرتم وهو الذي يطلق القول فيه جمهور الاشاعرة وكان شيخنا الاستاذ الامام بقره وبكره وقد نقلته عنه في تفسير قصة آدم من تفسير سورة البقرة « في جزء التفسير الاول » واستدركت عليه بأن التحقيق في المسألة بأن في كل من الدالتين العقلية والنقلية ما هو قطعي وظني فإن تعارض القطعي مع الظني رجح القطعي مطلقاً سواء كانا عقليين أو نقلين أو مشتركين وفي حالة ترجيح العقلي القطعي على النقل الظني يؤول الثاني ليوافق الاول . واما تعارض القطعيين فتغير ممكن سواء أكانا من نوع واحد أم كانا من النوعين . لان التعارض يقتضي أن يكون أحدهما غير صحيح وكيف يكون قطعياً غير صحيح ولم أرَ ذكر امتناع تعارض القطعيين اللذين أحدهما عقلي وآخر نقلي إلا لشيخ الاسلام ابن تيمية . وفي المسألة تفصيل لم أذكره في التفسير وهو ان القطعي من المنقول قسمان قطعي الرواية وقطعي الدلالة والقرآن كله قطعي الرواية بناء على ان القراءات غير المتواترة لا تعد قرآناً - ومثله الاحاديث المتواترة وهي قابلة جداً في الاقوال وانما اكثر السنة المتواترة هي العملية كصفة الصلاة والمناك . ثم ان دلالة آيات القرآن على معانيها منها قطعي لا يحتمل التأويل وهو قليل واكثرها ظني يحتمل التأويل وكذلك الادلة العقلية النظرية منها ومنها والقطعي قليل ألم تر ان العلم العملي قد أثبت لنا أموراً كثيرة ما كان يشك أحد بمجرد تصورهما في كونها محالاً في نظر العقل ؟ وقد أول الاشاعرة اكثر النصوص من الآيات والاحاديث في صفات الله وافعاله وشؤون عالم الغيب بناء على مخالفة نصوصها أو ظواهرها للدلالة العقلية النظرية التي كانوا

يجزمون بها . وما هي بأدلة قطعية بل نظريات كانت مسلحة كتأويلهم لعلو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه بناء على استلزامها الجهة واستلزام الجهة للتميز الذي هو من خصائص الاجسام . وهذه نظريات كانت مسلحة عندهم وهي في نفسها ليست بشيء حتى ان الفيلسوف الاكبر ابن رشد رد عليهم فيها وأثبت من جهة العقل ما كان عليه السلف من القول بعلو الله تعالى . وأنا رددت عليهم في التفسير مراراً من الناحيتين العقلية والعلمية العصرية وكون الجهة التي يهرب منها مثل الامام الرازي ما هي الا نظرية نسبية اعتبارية ولا محل لتفصيل هذا هنا .

وأما سجود الشمس فهو ظاهر لا يحتاج الى تأويل بالمعنى المستعمل في القرآن من سجود كل مخلوق لله تعالى بمعنى خضوعه لإرادته التكوينية كقوله « والنجم والشجر يسجدان » وقوله « والله يسجد ما في السموات وما في الارض » الآية . واما حديث سجود الشمس في حديث ابي ذر الذي اعترض علي به الدجوي الجاهل المتعامل بالباطل فالاشكال فيه انتضاء لفظه لكون الشمس بعد غروبها تغيب عن الارض كلها وتبعد الى العرش فتسجد تحته ، ولا نطلع بعد ذلك على الارض إلا بأذن جديد . وقد فصلت فيه الرد على جهله بما أرسله اليك فاستمضي عن الاطالة فيه بالكتابة هنا . الا أنني أقول من ناحية الوضع اللغوي ان السجود ورد بمعنى العام وهو التطامن والخضوع في كل ما يقبل التأنيذ والانقياد بالارادة وغير الارادة حتى ورد سجدت السفينة للريح اذا مالت بتأنيذها وهكذا استعمل في القرآن بمعنى سجود العبادة من العقلاء وكذا التحية كسجود يعقوب وامراته وبنيه ليوسف « ع . م » وسجود التسخير

كقوله : « والنجم والشجر يسجدان » والزمخشري بعد النوع الثاني مجازاً على طريقته التي أخالفه فيها فإني أرى أن الاستعمال اللغوي في الأمور المادية الفطرية هو الأصل في الحقيقة اللغوية والاستعمال في الأمور المعنوية الطارئة بالتزقي الديني والعلمي هو المجاز .

مساء الاربعاء ٢٣ شعبان - ٢١ ديسمبر .

كُتبت ما تقدم صباح الجمعة ثم نزلت من الدار فذهبت الى دار الكتب لأسأل عن مجلدات الاهرام هل توجد كلها فيها لأجل تكليف من ينسخ لك مرادك منها - فقبل لي انها موجودة - وذهبت منها الى بيت محب الدين افندي الخطيب لأطلب منه بنفسه كتاب الاكليل وأزوره فإني منذ زمن طويل لم أره فلم أجده . وفي أثناء نزولي ار غيبي عن الدار جاءني أسعد افندي فلم يجديني . ثم جاء يوم السبت وأطلعني على كتابك له وأطلعته على كتابك لي وقد اعجبت بما كتبه له عن ... فانه غاية في التحصيل والنقد الذي يسمونه في هذه الايام بالتحليلي . وأما ما كتبه له في شأن ياسين باشا الهاشمي وعلاقته بالملك فيصل وما بنيته على ذلك من الرأي في المؤتمر فليس مثل الكلام في ... لانك عرفت فيصل ولم تعرف ياسين حق المعرفة . وقد كنت اضرب عن إتمام هذا الكتاب للاطلاع على كتابك الي أسعد كما اقترحت ثم عرضت لي الشواغل الشاغلة وأهمها المالية وأنا اضطر في أكثر الايام الى النزول والخروج والغيبة عن الدار عدة ساعات تذهب بها بركة النهار كله . وقد وصل اليوم كتابك المؤرخ في ١٤ شعبان واخبرك قبل إتمام الكلام في ياسين والمؤتمر ان جميع ما اقترحت إرساله الى الخارج من كتبك قد ارسل وآخره نسخ

الارتسامات الى السيد محمد الداود في تطوان أرسلت بعد سفر عاصم وعندما
كتبت اليك الكتاب المسجل لم تكن أرسلت وصندوق البوسنة كان
تأخر مدة عند المفاوض لعدم علمه بالميناء الاقرب ولكنه اخبرنا من مدة
بأنه ارسل . وسينسخ لك ما أمرت بنسخه قريباً . وقد وصل منذ ايام
الى مصر عزيز باشا وأرسلت اليه منذ يومين الجزء التاسع من المنار
الذي أرسلته اليك مع بعض ملازم الرد على الدجوي وأرجو أن أتمكن
من زيارته قبل دخول شهر رمضان وابانه ما كتبت لي عنه من تحية
وثناء . ومن الغريب ان صديقه فؤاد بك سليم وصديقنا جميعاً لم يزرنني
منذ زمن طويل والمتنظر ان يكون قد سكن في الدار التي قيل لي انه
استأجرها في « الماعدي » بطريق حلوان .

ياسين باشا جاء مصر بعد وعد سابق ليذاكرنا في مسألة المؤتمر العربي
وبعد الوقوف على رأي من هنا سافر الى القدس ثم الى بيروت ودمشق
لهذه الغاية . ومسألة الوحدة العربية الكلية العامة وتوحيد سورية والعراق
خاصة من مقاصده الثابتة التي لا يتحول عنها وهو يعد من نعم الله تعالى
وآيات توفيقه اقتناع الملك فيصل بها لان هذا الاقتناع أقوى وسائل
النجاح . بل يرى انه لو لم يكن له طمع ولا غرض في ذلك لوجب
علينا ان نوجد له هذا الطمع والغرض . ووقوفه موقف المعارضة في سياسة
العراق وادارته له فيه اجتهاد يعتقد انه ضروري لمصلحة البلاد وانه اذا
لم توجد معارضة قوية تزيهية تكون حكومة العراق شخصية استبدادية
ولكن هذه المعارضة لا تتمدى المصلحة بل تقدر بقدرها - فهو في المسألة
العربية يتفق مع الملك ومع نوري باشا وسائر من تعرف من الضباط

ورجال العراق المشهورين ولا سيما الذين كانوا في سورية عقب الحرب
وشاركونا في اعلان استقلال سورية واستقلال العراق فلا يمكن في
صدرك حرج من هذه الجهة وهو يرى كما يرى أكثر اخواننا هنا وفي
فلسطين وسوريا ان الدعاية العلنية في الجرائد للاتحاد بين القطرين قد
ظهرت قبل التمهيد اللازم لها .

وأما الشيخ كامل فرأيه في فيصل كما تعلمون ولما اضطر جماعة
فلسطين بالاتفاق مع جماعة الشام وبيروت الى إرسال وفد الى الهام
اختاروا ان يذهب هو مع شكري بك القوتلي وآخرين فلم يستجب لهم
غيره بعد ان كان معتزلاً لهم وللسياسة كلها . ولما لم يبق غيره كانوا على
حذر ولكنني أنا أقنعتهم تمام الاقناع بأن سورية لا يمكن ان تستقل
ولا تعيش وحدها وان كل ما يمكن ان يفرض من الحذورات والقيود
الممانعة من هذه الوحدة فلا يمكن ان ترجع على المصالح التي فيها فاقتنع
كل الاقتناع ومثلك لا يحتاج الى بيان الدلائل التي أقنعتهم بها وقد بينت
له آراء الهام وان غرضنا ان نقنعه بأن هذا الامر الذي لا بد لنا منه
نجهده ان يكون موافقاً لمصلحته ^(١) وان تكون اللجنة التنفيذية للمؤتمر

(١) ثبت من هنا ان السيد رشيداً كان هو ابضاً ممن لا يتردد في
وجوب اتحاد القطرين الشقيقين وممن يرى المصلحة العامة فيه أرجح من ان
يتردد فيها لاجل ملاحظات اخرى لا طائل تحتها . وكان يعتقد ايضاً وهو
أخلص الناس للملك السعودي ان هذا الاتحاد يمكن تأليفه مع مصلحته .

من اخواننا المواقدين له والمخلصين للامة التي لا يمكن العبث بها والسلام
أخوك

رئيس

(حاشية) : اهنتك بشهر رمضان داعياً وطالبا لدعائك في صيامه وقيامه
أطال الله بقاءك وأمتع ولدك وامتك بمجاهدك .

وكتب في ٧ شوال ١٣٥١ و ٢ فبراير ١٩٣٣ :

صبيدي الاخ الامير المجاهد حفظه الله تعالى

كنت منتظراً وقوع ما يخلي لنا بعض الامور التي يجب اطلاعك
عليها قبل الكتاب اليك حتى ورد مساء امس كتابك الوجيز الذي
تستعجل به إعادة كتابك الى الهام وها هو ذا يلقي مع هذا في يدك وهاك
أهم ما سألت عنه في مכתوباتك التي قبله :

(١) الشيخ فلان عاد الينا راضياً عن الملك وحكومته ورجاله وقومه
وبلاده رضاء لا شين فيه وقد حمل معه جواباً من جلالته الى لجنة المؤتمر
مفتوحاً وعهد اليه ان يطلعني عليه ويبلغني رأيه الشخصي في المؤتمر وفي
ثورة عسير وغير ذلك . وكان جاءني من جلالته في البريد جواب كتابي
الذي حملة اليه الشيخ وذكر لي فيه انه اختصر فيه الكلام اكتفاء بما
سيبسطه الشيخ بالتفصيل والتطويل فاما ما ذكره الملك في كتابه إلي
وكتابته الى اللجنة بشأن المؤتمر فهو انه يسره ويرضيه كل عمل للامة
العربية وانه يثق باخلاص الاخوان الداعين الى المؤتمر ومستعد للمساعدة
على عمل عام تمكنه المساعدة عليه . واما ما نقله الاستاذ من رأي جلالته

الشخصي فهو انه لا ينبغي ان يعقد المؤتمر في بلد فيه نفوذ خاص لحكومة خاصة يكون مظنة تأثيرها فيه . وتفسيره الصريح انه لا ينبغي ان يعقد في بغداد . أفضي الاستاذ بهذا إلي والى اسمه افندي مجتمعين عندي بدار المنار . فقلنا له واين ترجح او يرجح جلالته ان يعقد وهو متعذر في مصر من قبل حكومتها . وكذا في القدس وسورية ومتعذر في اوربة لما يقتضيه من كثرة النفقة . فلم يذكر مكانا آخر غير بغداد ولا يرضى ببغداد ! ولكنه صرح بأن رأيه الشخصي أن هذا المؤتمر لا يرجى منه أقل فائدة ولكن يخشى ضرره وحمل عن جماعة الملك الذين في مكة رأيا مكتوباً خلاصته انه لا يجوز عقد هذا المؤتمر الا بعد تهديد له بوفود الى ملوك العرب تنفق معهم على ما سيقدر فيه ٠٠٠ وان هذا يقتضي تأجيله سنتين او ثلاث سنين !! قلت له إن التأجيل بعد ما كان من الدعوة والكلام في الصحف لا يجوز مطلقاً « وبينت أسباب هذا » واتنا نحن نعتقد انه مفيد واتنا نجتهد في تحقيق اعتقادنا واثقاء الضرر الذي يخافه ٠٠٠ وان أهم ما يجب البحث فيه اختيار أعضاء اللجنة التنفيذية التي أخبرنا بجلالة ابن السعود بأننا نجتهد في جعلها من الخالصين الذين لا يعملون الا للمصلحة العامة ثم في مسألة المال الذي ينفق منه على عقد المؤتمر والنظام المالي الذي يناف باللجنة التنفيذية من بعد وتفارقنا على ان نعود الى الاجتماع مرة اخرى لتتفق نحن الثلاثة على تفصيل نكتبه للجنة القدس التحضيرية ورجوت الاستاذ ان يعود في المساء للافطار معي والاجتماع الخاص لاجل المذاكرة الخاصة بيننا وحدنا وتبليغ ما حملة إلي من اخبار نجد الخاصة بي فقال انه لا يقيد نفسه بالافطار لان له شواغل خاصة من شراء كتب

وتجلبد بعضها . قلت لهذا لا يمنع فإن الليل ليس فيه عمل من هذا ولا سبياً وقت الفطور وهو غير مقصود لذاته لما تعودناه من البراءة من الشكف والشكيف . ولكن الاستاذ ذهب قبل الظهر وأقام في القاهرة يومين آخرين ولم يعد إليّ ليلاً ولا نهراً مع ان عادته عندما يكون في مصر أن يزورني كل يوم وأن يأكل معي صباحاً ثم في أبي وقت حضر فيه الطعام من ليل أو نهار . . . وقد كنت أتوقع عودته هذه المرة في الليل والنهار وعهدت الى أسعد أفندي في البحث عنه والاجتماع به فتمذر عليه ذلك . .

فلما علمت بسفره منه في الليلة التي سافر فيها كتبت اليه كتاباً ذكرت له فيه انه قال عن بعض باشوات العرب (وهو ياسين باشا) انه لفر من الالغاز لا يعرف أحد باطنه ولا مراده وانه في سفره هذا لفر أشد خفاءً وإبهاماً من ذلك اللفز ^(١) . . . الخ

فكتب إليّ بعد أيام قليلة كتاباً يعتذر فيه عن عدم العودة بتعب السفر والصيام وشغل الكتب . . . ويذكر فيه تألمه لانني لم أوافقه على رأيه وانه سافر بعد وصوله الى حيفا الى بيروت بعد ان كتب الى أصحابه شكري بك ومحمد النحاس وخالد بك الحكيم ليوافوه فيها فاجتمعوا وقرروا مع رياض بك الصلح الاجتماع عنده في حيفا مع أعضاء لجنة القدس للبحث في مسألة المؤتمر . وقال إن من الضروري أن اسافر أنا وأسعد أفندي للقائهم يوم الاحد رابع شوال . . . فأرسلت اليه بطاقة قلت فيها إن

(١) هذه مداعبة داعبه بها والحقيقة التي لا سراء فيها هو ان هذا الرجل الذي

يتكلم عنه السيد رشيد هو من افضل من نعرف من رجالات الامة العربية .

عذره غير معقول وبؤكد ذلك سفره الى بثروت وانه لا يمكنني المجيء الى حيفا بسبب العسرة المالية . وكتبت الى الاخوان في القدس بما حصل وبأنني تأملت من الاخ الاستاذ وبرأيه في الموضوع ورأيتنا نحن . . .

ثم جاء كتاب من اللجنة الى اسعد افندي بأن الاجتماع سيكون في حيفا يوم الخميس (وهو يومنا هذا) وكلم شكري بك القوتلي أمس أسعد أفندي بالتلفون من حيفا فأخبره بمجيئهم وطلب منه الحضور وتبليغي أنا أن أحضر أيضاً كأنهم يرون أننا موظفون عندهم ولكن أسعد أفندي كله بشدة تعجب منها ونحن نتنظر غداً أو بعد غد ان يجيئنا من اللجنة ما حصل والظاهر ان الاستاذ يريد من هذا الاجتماع إما تحويلهم عن عقد المؤتمر باسم التأجيل فإن لم يمكن فبمقده في غير بغداد بل غير العراق . . . (الى أن يقول السيد) : وسيجعل الله بعد عسر يسرا . أخوكم

محمد رشيد رضا

وكتب في ٢ ذي الحجة ١٣٥١ و ٢٨ مارس سنة ١٩٣٣ :

صبيدي الاخ الامير

أحبك وأهنتك بعيد الاضحى السعيد أعاده الله تعالى عليك عشرات مكررة من السنين وانت تمتع بالصحة والعافية والنعم الضافية وقرة العين بالاهل والولد وبالتوفيق في خدمة الامة والملة . وقد أرسلت اليك الكراسة الاولى مما نسخته الناسخ من آثارك القلمية في الصحف القديمة فمسي ان تكون وصلت وأعجبك خطها . وقد وضعت فيها ورقة كالمذكرة بالمائل

التي كان ينبغي أن أبسطها لك فلم ينسج الوقت لها أو لبسطها يوم أرسلت وفيها خبر وجيز عن السيد فلان . ثم وقفت على أهم أخباره التي علمت منها حقيقة حاله واجتمعت به قبل سفره مرتين . وخلاصة ما علمت من أمره مما سمعته منه وعنه وما نشرته الجرائد من أخباره انه مقتنون بحب الشهرة والمدح وتحري إرضاء كل من يجتمع به ولا سيما ان كان له شأن .

ذكرت لك في المذكرة أن أحمد زكي باشا دعاه عقب وصوله الى مصر الى شرب الشاي عنده فأجابه مشروطاً او مقترحاً عليه ان يدعوني ويدعو التفتازاني الى شرب الشاي معه عنده فأجبت الدعوة ولما التقينا أنني لي على للنار وعلى تفسيره وما فيها من خدمة الاسلام . قلت وهل أنت راضٍ عن هذه الخدمة ؟ قال كيف لا ولا سيما حملاتك على للحددين وللبشرين وحملتك على الظهير البري ! قلت أحمد الله تعالى على رضاكم بذلك . وكان زكي باشا يشغلنا كلنا برؤية المسجد النبوي بينيه ليدفن هو وزوجه فيه ولم يطل مكثنا عند الباشا لاني كنت مدعوا الى حفلة شاي أخرى في فندق الكونتنتال وعند الوداع ذكرنا ما نرجو من تكرار اللقاء .

وذكرت لك انني كنت عازماً على زيارته وإن كانت العادة هنا وفي أكثر الامصار الكبيرة ان المسافر هو الذي يزور ولكنني لما علمت انه زار بعض اصحاب الصحف امتنعت عن بدئه بالزيارة .

ثم دعاني الشيخ حامد الفقي الازهري الذي كان أصدر مجلة اصلاح الرسمية بمكة المكرمة الى الغداء مع الشيخ للذكور مع بعض الشباب

من مشايخ الازهر والشيخ حامد من الذين يترددون علي كثيرًا وبعد
نفسه من اولادنا السلفين وكان ملازمًا للمذكور أو كثير الصحبة له .
فأجبنه واحتال علي فجعلني أذهب بعد الظهر الى فندق الكلوب المصري
حيث هو مقيم وشهد لي بأنه صرح له ولغيره صراحةً بعزمه علي زيارتي
وان الناس شغلوه عنها الخ . . . فذهبت وجلست معه ساعة شكا لي فيها
من ضنط فرنسة علي المغرب ومنعها عنه جميع الصحف الا الاهرام . . .
وذكر أيضًا ما استغربه من انتهاهي إياه بالرضا بالظهير البربري وان هذا
بتضمن القول بكفره . . . قلت له انه قد جاءني من المكنوبات والمقالات
في مسألة الظهير المذكور شيء كثير جداً لا يزال اكثره محفوظاً فلخصت
المهم منه وعلقت عليه بما فتح علي به ولم أظن لذكره فيما كتبت .
ولو ان أخي الامير شكيباً نقل لي عنك لكنت كغير العالم به ^(١) . . .
وأما كونه يتضمن او يستلزم التكفير فيشترط في صحته عدم التأول
وأنا لا أستبعد أن يكون مثلك يتأول ما نقل عنه من اعتقاد كفر
البرابر بعدم صحة إسلامهم وقد نقل مثل هذا عن بعض الرواية . وأنا
أحفظ عن بعض علماء الازهر مثل هذا من قبل طلبي للعلم ذلك بأنه كان
عندنا في دارنا بالقلمون جماعة من هؤلاء العلماء عقب الثورة العراقية وما
أعقبته من احتلال الانكليز لمصر فاستلوا عن رأيهم في هذا الاحتلال
فقال شيخ من كبارهم : إن الانكليز اهل كتاب وحكامنا من التتوك

(١) كان السيد المشار اليه شكاً إلي ما اتهمه به السيد رشيد في المنازعة كتبت

انا الى المرحوم اوصيه بأن يتلاني معه ويسمع ما يقوله في قضية الظهير البربري
عما لا يخرج عن رأي السيد رشيد وآراءنا جميعاً .

كالخديو ووزرائه مرتدون والموتد أسوأ حالاً في الكفر من الكتابي...
فأنا لا أنسى طول عمري شدة ألمي من هذا الجواب وهو في معنى ما نقل
عنكم.

ثم ذكرت له ان السيد الزهراوي قال لي مرة ما بالي أراك تحمل
هم مسلمي الجزائر وأمثالهم وهم غير مسلمين بالمعنى الذي تفهم به الاسلام
وتدعو اليه وتدافع عنه... فقلت له: لو غيرك قالها يا عبد الحميد؟ إن
أجهل الجاهلين من مسلمي الجزائر من الذين يرتكبون من البدع والضلال
ما هو كفر وشرك بحسب اصول عقائد الاسلام انما يفعلون ذلك لاعتقادهم
انه من الاسلام فهم معذرون بجهلهم لانهم لم تباينهم دعوة الاسلام
الصحيحة ولكنهم يؤمنون بأصل الاسلام الاصيل وهو ان القرآن كلام
الله وكل ما فيه حق وأن محمداً رسول الله وكل ما بلغه عن الله تعالى
حق فاذا علموا مع هذا أن بعض ما يرتكبونه او يعتقدونه يخالف للقرآن
وللسنة الصحيحة فإنهم يتركونه قطعاً. وانا نرى الافرنج يبذلون الملايين
في سبيل جذب الناس الى دينهم بالتربية والتعليم والمعالجة وغير ذلك الخ...
فأعجبه هذا الكلام.

ثم زارني المذكور في الدار فكان مما قلته له: انك لو زرتني من
اول الامر لنصحت لك نصحاً نثني به كثيراً مما بقوله الناس وما كتبوه
في الجرائد نقلاً عنك وطعناً فيك فان النصح خلق لي أبذله لكل احد
وانت في علمك ونسبك أحق الناس بنصحي. فاعتذر ثانية عن تأخير
زيارتي وقال ان الناس كذبوا عليه حتى فيما كتبوه عنه من مدح إدارة
بلاده وحكومتها... ومن مدح ملك مصر وتفضيله على جميع ملوك

المسلمين وهو لا يجهل ان هذا يسوء سلطانه وكذا تفضيله بالعلم . وانما العلم عنده علم الدين وملك مصر ليس من أهله وذكرت له مطاعن أهل بلاده في سيرته السياسية والشخصية وعدم إياه خصماً للمشتغلين بالسياسة منهم فأجاب عن هذا بأن هؤلاء الشبان المشتغلين بالسياسة المفرية ملاحدة وهو انما ينكر عليهم خطتهم الاحادية التي يفتدون فيها بملاحدة مصر وكان بلغني عنه من الثقات انه يطمئن على الرواية عامة وعلى ملكهم خاصة . فذكر لي انه انما ينتقد خطة ابن سعود في تنفيره المسلمين من جهة السياسة الاسلامية وإلا فهو على مذهب أهل الحديث في بدع القبور فأجبت عند ذلك بما أقمت به عليه الحجة

الى أن يقول :

هذا وان ما استقر عليه الرأي هنا في مسألة المؤتمر العربي ان لجنتنا كتبت الى لجنة القدس بموافقة لجنة بغداد والزعيم الهاشمي على جعل المؤتمر الاول خاصاً بعرب آسية وان يكون في بغداد في أوائل الخريف الآتي فان وافقتنا قررنا البدء بالدعوة وإلا تولينا ذلك مع اخواننا في بغداد وموعداً في البت بهذا جلسة ليلة الثلاثاء الآتية إن شاء الله تعالى وسأخبركم بما يتم والسلام عليكم وعلى نجلكم وزميلكم احسان بك وأطال الله بقاءكم لامثكم ولاخيمكم ؟

محمد عبد رضا

وكتب الي في ١٦ المحرم ١٣٥٢ و ١١ مايو ١٩٣٣ :

صيدي الاخ الامير حياه الله تعالى

كنت منتظراً وصول ما وعدت به من ارسال ترجمة الامام الاوزاعي
لا كتب اليك . فوصلت نهار أمس مع الصحف التي تفضلت بكتابتها في
كتاب (حاضر العالم الاسلامي) وهي تجل عن الشكر . وقد عجبت من
خوفك ان يضع ما أرسلت من الترجمة عندي . وأكاد اقول انه لا
يكاد يضع عندي شيء . ولكن ما يكثر عندي من نوع واحد
مكتوباتك العادية قد يشق علي وجود واحد بعينه منها في وقت تراحم
الاعمال . وهذه الترجمة وامثالها من اصول ما يحفظ للطبع لا يضل شيء
منه ان شاء الله .

رأيتك بالفت في استقصاء ترجمة الامام الاوزاعي وتاريخه حتى لا بعد
ترجمة ولا تاريخاً مما يجعل في مقدمات التصدير كالذي ذكر في بعض
الكتب عن مذهبه في المغرب والاندلس والذي ذكره ابن القيم عنه في
مسألة صفة العلو . وتركت أهم ترجمة له على الاطلاق في رأيي وهي ترجمة
الحافظ الذهبي له في (تذكرة الحفاظ) وهي ورقة او تزيد ولا شك انك
لم تطلع عليها وانك تأذن في زيادتها . وان شئت كتابة مثل عبارة ابن
القيم عنه في مسألة العلو في كتب الخلاف وفقه الحديث ومشروح
كتبه ما هو أهم منها عنه كنقل الامام الشافعي عن ابي يوسف اعتراضه
على الاوزاعي في بعض المسائل وتخطئة الشافعي لأبي يوسف وتصويبه
للاوزاعي . وهو في كتاب السير من الامم وغير ذلك .

ومعها يكن من كثرة شغلي فان مساعدتك غندي من اهمه . فساطالع
ما أرسلت وما ترسل مطالعة تصحيحاً بعد أن اطلعت على ما وصل امس
تصفحاً اجمالياً ثم اعرضه على من ذكرت للمذاكرة في طبعه له على
نفقته أو ابلغك رأيه .

واما الكراسة التي نسخت من آثارك من المؤيد والاهرام فقد كنا
كتبنا سؤالاً رسمياً عنها لمكتب الاستعلامات في ادارة البريد العامة هنا
فاجابتنا في اول هذا الاسبوع بأنها لم توجد فعلما بالعقل ان أحد عمال
البريد سرقها وعهدت الى ناسخها ان يعيد نسخها وسيفعل . وكان موعوداً
فشني وسيرسل كل ما ينسخ مسجلاً ان شاء الله تعالى . وكان لرسالة
الكراسة الاولى بفعل ابن أخي (عبد الغني رضا) هنا ولم أكن أعلم انه
يحتاج الى التوصية بتسجيله وقد علم وعلمنا بما يفيدنا مرة اخرى هذا .
وان مسألة العسرة المالية قد بلغت النهاية إذ بلغتنا شركة الرهن العقاري
منذ ايام بأنها عادت الى المحكمة المختلطة .

الى ان يقول :

وأما دهبون التجار فقد وفينا منها مئات من الجنيهات ووضعنا بالبناني
كمبيالات جديدة مقسطة أقساطاً يسهل ادائها ان شاء الله تعالى بدون
دفع أقساط كبيرة . ويبقى دهبون الاصدقاء وهي لا ربح لها ولا إرهاب
في تقاضها فتؤدي بالتدريج ان شاء الله تعالى . هذا هو تفصيل ما سألت
عنه في الكتاب السابق .

هذا وان ضعادة عزيز باشا قد تبرع للإدارة بثلاثين جنيهاً للمساعدة
على نشر الكتاب الذي تنشره في مسألة الوحي وقد صافر قبل ان

أتمكن من خلوة به أستاذته فيها بإعلان هذا التبرع والشكر العلني عليه وهو قد أرسل المبلغ بصفة أدبية تليق بلطفه وذوقه الدقيق . أرسلها في ظرف مختوم مع سائق مركبته فأرجو أن تبلغه اغتباطي بمودته وشكري إياك عليها إذ كنت المرغب فيها وأن نقف لي على رأيه في إعلان الشكر على التبرع ليكون قدوة في المساعدة على نشر الدين والسلام عليك وعاليه وعلى نجلك وصنوك في السياسة من أخيكم ؟

محمد رشيد رضا

وكتب في غرة صفر ١٣٥٢ و ٢٥ مايو ١٩٣٣ :

سيدي الاخ الامير دام محفوظاً موقفاً

أرسلت اليك المكتبة ما طلبت من كتبك وفيه الكراسة الثانية المخطوطة من آثارك القديمة في المؤيد والامرام ولم أرها لضيق الوقت أرسلت خالصة الاجرة لثلاث تكلف دفعها مضاعفة في جنيف بمقتضى نظام البريد العام . واما الكراسة الاولى فكنا سألنا عنها مكتب الاستعلامات « في ادارة بريد مصر عنها رسمياً ودفعنا له الاجرة المعتادة فرد علينا بعد مدة طويلة بأنه لم توجد للكراسة أثر في « المهملات » فأمرت الناسخ ان يعيد نسخها كما كتبت اليك في المكتوب السابق .

وقد طلب ابو الحسن مني ما أرسلته من مقدمة ترجمة الامام الازاعي فأعطيته إياه لبسوم الحلبي عليه . وذكرت له ترجمة الامام في كتاب طبقات الحفاظ للذهبي وقلت له : إن من الضروري نسخها وإحاطها بالمقدمة وانني مستعد لتصحيح ملازم الطبع إذا أرسلت إلي لا يصدني عن خدمة

أخي الامير كثيرة الشغل . وأنا ذكرت لك ترجمة الحافظ الذهبي للامام
وإنها أهم من كل ما جمعته من الكلام عنه .

وأما حديث « إن الله تعالى زوى لي الارض » فهو في صحيح مسلم
وغیره من حديث ثوبان (رض) وتجده نصه مع هذا في ورقة خاصة مع
أحد أصانيد مسلم له وتجده أيضاً في الجزء السابع من تفسير المنار .

وقد قرأت الملحق الذي في مكنوبك الاخير بشأن أخلاق أبي سعيد^(١)
العجبية وهو سيزداد علماً بالخطأ الذي افترقه معك . ولكن لا يعتبر لان
غريزة الربوبية في اعصاب المفتونين بعظمة الامارة والملك تطفئ نور العقل
ونور الفطرة في كل ما يعارضها الخ . . . وأنا قد أرسلت لابي سعيد كتاباً
عندما زار القدس عقب انعقاد المؤتمر الاسلامي ذكرت له فيه مسألة
التاريخ المعلومة وكون بيان الحق الواقع فيه واجباً شرعياً وعرفياً وما
تلطفت فيه بشأنه وما قرنته به من مدحه فيما ليس من موضوع التاريخ فلم
يجبني ولكنه كاف حافظاً بأن يبلغني سلامه ويقول كلنا نخدم الاسلام .
وكتبت اليه في آخر العهد بزيارته الاخيرة كتاباً أظهرت فيه أسفي لما
وقع من الاسباب التي قضت بما عاملته به البلاد وانه كان من الممكن
أن تجتمع على حسن مقابلته والحناة به . . . ولم يجبني عنه أيضاً وإنما
قصدت تثبيت النصح لا الجواب .

ذكرت لك في الكتاب الذي قبل هذا خلاصة موقفنا في السيرة وقد
تجدد بعده انه تيسر لنا أن نتفق مع شركة الرهن العقاري على وقف

(١) هي كناية مأخوذة من قول القائل :

كل يوم تبدى صروف الليالي
خُلُقاً من أبي سعيد عجيباً

تنفيذ الاعلان عن بيع الدار بدفع ٢٠٠ جنيه لها وجعل الباقي مع فائده
٣ أقساط الى مدة سنة كل قسط ١٥٠ جنيهًا ويستحق في اثناء ذلك
القسط الاول من الباقي للبائع علينا وهو ٣٠٠ جنيه . وعسى الله أن يهيئ
لنا دفع كل قسط في وقته بفضلہ ورحمته . هذه جملة ما عندي في شأن
مكتوباتنا الاخيرة ولديّ مسألتان جديدتان من مسائل السياسة العربية
ومسألة أهم منها في الاصلاح الاسلامي : « المسألة العربية الاولى » زار مصر
في هذا الاسبوع الشيخ يوسف ياسين وصل ظهر يوم الاثنين وسافر في
مساء أمس (الاربعاء) الى القدس وبنوي ان يقيم فيها يومين يبحث فيها
مع المجلس الاسلامي الاعلى في مسألة أوقاف الحرمين في فلسطين . ولو
كان الحاج امين رئيس المجلس هناك لأقام مدة أطول وسيسافر من
القدس الى حيفا فدمشق فبلده (اللاذقية) لقضاء بقية إجازته فيها وإنما
مدتها ٣٠ يوما تبتدىء يوم خروجه من جدة وتنتهي يوم عودته اليها .
وأهم ما علمته من أخباره التي أنقص بها إليّ في سمر ليلة استمر الى ما
بعد نصف الليل أن مسألة العقبة ومعان لا تزال معلقة الى مفاوضة خاصة .
وسأكتب اليك كتاباً خاصاً في رأيي فيها وما يجب أن نعدّه نحن لهذه
المفاوضة وما كنت كتبته بشأنها في أيام ثورة ابن رفاة ولم أنشره
لفوات الفرصة التي كانت سانحة وانتهت بما ساء في يومئذ أشد الاستياء
وكتبت الى الملك فيها كتابة شديدة ولكن يوسف كشف لي العذر
الصحيح الذي ما كان ينبغي أن يكتب وأخبرني أيضاً بل ما كنت
أحب أن اعرف حقيقته عن الدولة العربية السعودية الماضية والحاضرة
وأهمها قرب الاتفاق النهائي التام مع الامام في بقية المسائل المعلقة ووضع

نظام جديد للإصلاح المالي سيسمكّن الحكومة من غيره عند وجود المال .
ومنها الاهتمام الأكبر بمسألة الوحدة بين سورية والعراق ومن فروعها المؤتمر
العربي وهم يخالفون رأيك فيها بأشد مما علمت من المكاتبات فيها معهم .
« المسألة العربية الثانية » وهي متصلة بآخر الأولى مسألة سورية وقد
ظهر للشعب كله صحة رأي لجنتنا ورأي وفدكم فيها وقد علمتم ان
الناس قد كتبوا في الشام توكيلاً لجلالة الملك فيصل يرجونه فيه بذل
نفوذه لدى الدولة الفرنسية لإقناعها بما يطلبه الشعب من الوحدة والاستقلال . .
وقد أمضى نسخته كثيرون في جميع البلاد ولعل نصه وصل إليكم . واما
مشروع المؤتمر العربي فقد عرض له من الركوند والرقود ما لعله قد بلفكم
بجملاً . وأهم أسبابه سوء تصرف لجنة القدس بما نفر الهاشمي باشا وظن
انه هو الذي حمله على الاستقالة من لجنة بغداد وانتهاء ذلك بتصدي لجنة
أخرى للعمل اعضاؤها من حزب المعارضة وليسوا بمن أثربت قلوبهم
القضية العربية من قبل كالاولى . وعجزت لجنتنا عن فهم كنه الحال من الملك
وسينجلي لنا كل شيء قريبه بمجيء الملك فيصل الى عمان ومقابلته اخواننا
أو بعضهم هنالك ثم سروره بمصر ومقابلتنا له والذي نريد أن نعلمه هو :
هل يكون المؤتمر مؤتمر دعاية عربية عامة للناطقين بالضاد كما وضع
الساسة الاول في القدس ام مؤتمر تهديد للعمل الخاص بعرب آسية ولا
سما سورية والعراق ؟ .

« المسألة الدينية » هي أنني أتممت كتابي الجديد الذي وضعته سيف
الوحي وإثبات نبوة محمد « ص » وقد ختمته بتحدي العالم المدني الحاضر
ولا سيما علماء الافرنج وأحرارهم ودعوتهم الى الاسلام لإصلاح البشر

ونقرر السلم العام فيه بتهاليم القرآن الجامعة بين العلم والاذعان الديني —
فأقرأ الخاتمة في جزء المنار الذي يصل اليك في البريد الآتي قراءة
دقيقة ثم أكتب لي كشفًا بأسماء أشهر علماء أوربة الاحرار ولا
سيما المستشرقين لأرسل اليهم الكتاب عند تصديره واذكر لي قبل ذلك
كل رأي لك فيه والسلام عليك وعلى نجلك وزميلك والسيد الطباطبائي
ان كان باقيا عندكم . ومسألة سفري الى الهند للعمل مع لجنة المؤتمر لا
أصل لها . ولم أعلم سببها ؟
اخوك

محمد

وكتب في ١٣ ربيع الاول ١٣٥٢ :

سيدى الأخ الامير أبده الله ودام توفيقه

قد طال الامد على الكتاب لعدم تجدد باعث قوي يرجع على
الشواغل الكثيرة . وما فرغنا منه في هذا الاسبوع اتمام الطبعة الثانية
للجزء الثاني من التفسير وقد زدته تنقيحًا وأضفت اليه فوائد ومسائل
كثيرة . ومنها كتاب (الوحي المحمدي) الجديد وقد تحررت اصداره في
يوم ذكرى المولد النبوي « أمس » واني ارسل اليك اليوم بنسخة منه
ونسخة من كتاب آخر طبع عندنا باسم « نقض مطاعن في القرآن الكريم »
لعالم من شبان الازهر الادباء قراء المنار . وقد كتبت له مقدمة تعجبك
ان شاء الله تعالى . ومنها مقدمة كتاب « المنار والازهر » وهي مهمة ولكنني
لم أصدر الكتاب لانه بدا لي ان أطيل خاتمته .

انني لما طبعت مقدمة كتاب الوحي المحمدي تنفست الصعداء لانني لم
 أنعب في شيء كتبت به وندمت ان كنت تركت لمقدمته ملزمة
 مفردة اذ لم أكن عند البدء به أقصد ان يطول وأن أجعله تحدياً لعلماء
 العصر من الافرنج ودعوة لهم الى الاسلام وهو ما وضعت خاتمته للتصريح
 بها . وانني أرجو أن نقرأه كله في وقت تخصصه به من الصباح او المساء
 وتعلق لي عليه ما تراه من نقد يفيدني عند اعادة طبعه التي ربما كانت
 قريبة لاننا لم نطبع منه غير التي نسخت بسبب عجزنا عن شراء الورق
 وأهم ما اقترحه من النقد ما يتعلق بتأثير الكلام عند علماء الافرنج وما
 يجب ان يزداد عليه او يحذف منه . ولا تنس ما طلبته من قبل من عناوين
 العلماء المستشرقين والمجلات الادبية التي يرجى أن تكتب عنه وتنقده
 وسأرسل لسعادة عزة باشا نسخة مجلدة ونسخاً اخرى .

وقد أتي إلي منذ ثلاث الجزآن الاول والثاني من كتاب حاضر
 العالم الاسلامي فلم أفرغ للنظر فيه الا بعد الظهر من هذا اليوم عند
 ارادة القيلولة فكان أن طرد النوم عن عيني وشغلني بمقدمته وفصوله
 الاولى الى اواخر الساعة الثالثة فبيت الى ادراك صلاة الظهر وتمتبت لو
 كنت اطلعت على ما فيه من أقوال علماء اوروبا في الاسلام ونبوة محمد
 «ص» قبل كتابة بحثي في الوحي ولا سيما كلام درمنغام الذي نقلت منه
 ما تراه عن جرادة السياسة ورددت عليه .

واكن من فوائد جملي بأقوال علماء الافرنج انني كتبت ما كتبت
 مستمداً كل علمي من القرآن ومن السنة الصحيحة . وسأعود الى درس
 هذه الفصول قبل الشروع في اعادة طبع الكتاب لاحصي ما أراه من

انتقادات هؤلاء العلماء وأرد عليهما . ونظرت نظرة إجمالية فيما كتبه عن ترجمة القرآن وعجبت لك كيف عنيت بكتابة رأي الشيخ المراغي والشيخ نجيت دون رأي أخيك . وقد أخطأ صديقنا المراغي فيما كتبه في هذا الموضوع من جهات لا من جهة واحدة أو ثنتين . وكنت شرعت في كتابة مقالات في المسألة غير ما كتبه من قبل فلما رأيت متبعي الاهواء من علماء الازهر تصدوا للرد عليه اكتفيت بمقالة واحدة .

وقد شغل الذي كان يبحث عن آثارك في الجرائد بعمل انتفع له فعينا آخر مكانه ولما بظفر الا بمقالة لك في الشعراء وقصيدة « نداء المهملين للعثمانيين » فنسخها وهو يبحث عن غيرهما . هذا ما تبسر لي ان اكتبه بعد العصر وأنا صائم واليوم حار والسلام

محمد رشيد رضا

وكتب إلي في ٥ ربيع الآخر ١٣٥٢ و ٢٦ يوليو ١٩٣٣ :

سيدي الاخ الامير المجاهد نصره الله واعزه واطال عمره كهلا

قوياً

افتتحت كتابك الاخير (رقم ٢١ ربيع ١) بنفحة من نغامتك السابقة في الشيخوخة واستطالة عمرك وعمري بارك الله فيهما . وقد كنت عذلتك على تلك النغامت حتى ظننت انك قد تبت وأثبتت حتى نسبت تلك النغامت على انك بشرتني في آخر كتاب ذكرت فيه هذه المسألة ان اكثر المصنفين من المعمرين فعلينا ان نعني بزيادة التصنيف ولكنني أستثني اوقات العبادة

من قيام وتلاوة وذكر فهي لا بد منها وان كانت التصنيف في خدمة الاسلام افضل من نوافها .

لقد آسفني ان رأيت كتابك النفيس في بيان أحوال المسلمين في العصر الحاضر طبع ثانياً مع كتاب حاضر العالم الاسلامي المترجم وان كانت نصيحتي السابقة لك وتخطئك على هذه الفعلة لم تثمر - وانك لا تزال في غابة البعد عن معرفة شؤون الكسب الديوي . انني موقن بأن ضم كتابك الى ذلك الكتاب قد نقص من قيمة كتابك العلمية كثيراً أو قليلاً ولكن ما نقص من حظك المالي منه أعظم .

الى أن يقول :

إن فلاناً شاب مهذب عامل يستحق المساعدة ولكن هذه إضاعة لا مساعدة وقد ورد في الحديث «المغبون لا محمود ولا مأجور» رواه الخطيب والطبراني وابو يعلى عن علي والحسن والحسين عليهم السلام على هذا الترتيب .

«جمع المصدر» اذا استعمل المصدر بالمعنى المصدرى المحض فلا معنى لجمعه عقلاً واما جمعه اذا أريد به انواع الحاصل بالمصدر فقد صرحوا به . وما كان نوعاً واحداً في القديم وصار أنواعاً في الحديث فهو يدخل في عموم تصريحهم كالجهود يراد انواعها^(١) واما جمع اللفظ بالالف والتاء فهو مقبوس في مواضع : (١) ذي التاء مذكراً كانت أو مؤنثاً كطلحة (٢) ذي الالف المقصورة والممدودة (٣) العلم المؤنث كرينب الاياب حذام

رأيت أمثلة في جمع المصدر في كتاب سيبويه .

عند من بناه (٤) المصتر كدريهمات (٥) وصف للذكر غير العائل كأيام
معدودات ومعلومات . وما عداه سماعي كحات وثيبات وسجلات . هذا
هو المشهور في كتب النحو كما تذكر ولكننا نرى العلماء والكتاب قد
أكثرنا منه للحاجة فالظاهر انهم يرونه قياسياً وسأعود الى الكتابة اليكم
في هذا في فرصة أخرى .

رأيت في كتابكم النفيس المظلوم بحثاً في الشيعة سأعود الى استقصائه
لاجل الإحاطة بما فيه من خبركم وخبركم . واعجل لكم الآن بكلمة في
نشاط شيعة العراق الاخير في بث دعايتهم ومؤلفاتهم الجديدة في الطعن
على أهل السنة وتفضيل مذهبهم . وقد علمت ما كان من شيعة سورية
وجبل عامل من نشر مصنفات ومن ردي عليهم وتصدي أحدهم السيد
عبد الحسين نور الدين لطلب المناظرة وتصريحه فيما كتبه إلي بأن كلا
من الفريقين يعتقد ان الآخر غير متبع سبيل المؤمنين الخ .

وقد نشرنا من عهد قريب كتابين أحدهما لأشهرهم في الاعتدال
والميل للاتفاق مع أهل السنة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء طبع في
مطبعة العرفان بصيدا وهو على كونه يئن على المسلمين كلهم بميله الى
الاتفاق وانه لولا ذلك . . . يقول ممثلاً في علي كرم الله وجهه :

الا إنما الاسلام لولا حسامه لعقطة عز او قلامة ظافر^(١)

(١) العلامة المجتهد الكبير السيد محمد حسين كاشف الغطاء هو من اعظم
علماء المسلمين رغبة في الاتحاد الاسلامي وله كتاب في اصول الشيعة من احسن
ما كتب الناس في هذا الموضوع وهو يصرح بأن سيدنا علي اعترف بخلافه أبي
بكر ثم بخلافه عمر رضي الله عنهم جميعاً بسبب انه رأهما قاما حق القيام بأمر -

ويقول ان أول من وضع بذرة التشيع في حقل الاسلام هو صاحب الشريعة الاسلامية - يعني ان بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنباً الى جنب وسواء بسواء الخ!! وزعم ان الشيعة هم واضعو علوم التفسير والحديث الخ الخ...

والثاني تأليف « السيد محمد صادق السيد محمد حسين الصدر » وطبع في بغداد من عهد قريب وهذا قد جاوز الحد في الطعن على اهل السنة وتكذيب البخاري وغيره من المحدثين الاعلام بل تكذيب أشهر رواة الحديث من الصحابة ولا سيما ابي هريرة وترجيح مذهب الشيعة في كل مذاهب اخلاق الخ .

ليس هذا هو المهم فهذه شئنا منهم كلما سمع لهم الوقت . ولكن المهم ان حكومة العراق لم تسمح لاحد من أهل السنة بالرد عليهم ولم تصدر هذين الكتابين كما صدرت كتاباً طعن عليهم لكاتب الظاهر انه متفرنج ولم أر كتابه - وامم من هذا ان بعض العلماء كتب إلي من بغداد ان المحقق الذي لا ريب فيه ان حكومة فيصل تريد مساعدتهم على جعل العراق كله شيعياً في مقابلة منية أهل نجد لتكون المداوة بين الفريقين دينية فلا يطمع ابن السعود بنشر مذهبه في العراق ... هذا خبر يجب التروي فيه بالهدوء والحكمة . وقد اجتمعت منذ ايام بسائح عربي اقام في

- الاسلام وهو الامر الذي كان يهمة دون سواء اذ لم يكن علي كرم الله وجهه طامعاً في الخلافة لاجل اسباب دينوية كان أبعد الناس عنها ولقد أهداني السيد كاشف الغطاء تأليفه هذا فأعجبني كل ما فيه مما أئذ كر إلا استشهاده بهذا البيت الذي انتقده السيد رشيد وكتبت اليه برأيي فيه .

العراق عدة اشهر من العام الماضي يجب الملك فيصل ويمدحه ولكنه يقول ان الشيعة يجتهدون اشد الاجتهاد في نشر مذهبهم في بقية قبائل العراق الباقين على السنة فضلا عن المدن وان نفوذهم هو الذي يشتد فيجب ان تعلم هذا وتفكر فيه .

هذا وانك قد علمت انني في هذه المرة قد قابلت جلالة الملك فيصل في مطار عين شمس الانكليزي عند وصوله من فلسطين ثم قابله مع الدكتور شهنيدر والدكتور حسين احمد مقابلة خاصة - وقد عاتقني عند اللقاء وانشد: وقد يجمع الله الشنيتين . . . وعلمت انه يريد السعي في انكثرة لضم شرق الاردن الى العراق (١) . . . واقترحت عليه ان يلقي في اذن ملك الانكليز اذا سمحت الفرصة كلمة يعلم بها عظمة شأن مركز العقبة ومعان في العالم الاسلامي من حيث كونه من الحجاز الخاص بالمسلمين وان امكان المادة بينهم وبين الانكليز التي يسمى لها هو « فيصل » قد تقف في سبيلها هذه العقدة . ولكن الوقت كان ضيقا كما ضاق هذا الكتاب فلم يفقه مرادي تمام الفهم وكتبت اليه فكانت الكتابة كالشفاهة وأحييت ان تعلم ذلك والسلام ؟

رجير

(١) وقد كان لللك فيصل كاشفني انا ايضا بذلك وفرحت حتى قال رحمه الله لزميلي الجابري : لا بنام شكيب هذه الليلة من الفرح بهذا الخبر . والحقيقة ان فرحي كان مشوباً بضعف الامل في تحقيق هذا المشروع من وجوه كثيرة .

وكتب إلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

القاهرة في ١٩ ربيع الآخر ١٣٥٢ و ١٠ اغسطس ١٩٣٣

صيدي الاخ الامير المجاهد الكبير

شفاك الله شفاء لا يغادر ألماً ولا سقماً وحفظك لامتك وقومك ولا آلاك
في النسب وفي العلم والادب ، وقد ألقى إلي كتاب منك كتب قبل وصول
كتابي الاخير اليك فانتظرت رجعه فوصل امس .

(١) واول ما اجيب عنها الشكر على دعوتك اباي الى الاصطياف
عندك في جنيف ولو أوتيت سعة من المال انفقها في هذه السبيل لاجبت
دعوة اولادي اباي الى الذهاب بها الى بلدنا بعد ان نجح شفيح في امتحان
شهادة القسم الاول الثانوي « الكفاءة » والمعتم في امتحان الشهادة
الابتدائية لان هذا من حقها وحق سائر آل البيت علي وان كنت أستفيد
من العلم والاختبار في قربك ومعك في سويسرة ما لا أستفيد في سورية
ولو كان المال حاضراً لامكنني إرسالها الى القلمون والجيء بنفسي الى
سويسرة .

(٢) ثم ان ما اقترحه عليك في كتابك عن العالم الاسلامي ان يجعله
عدة كتب مستقلة باسماء مختلفة اولها « دعاة النصرانية - المبشرون » فيجب
ان تبدأ في اول فرصة بعد ابلالك وعودة قوتك اليك بنشر كراسة او دفتر
تبين فيه مواضع هذه المباحث من الكتاب المطبوع بأرقام صحائفها من
الاجزاء وترتيبها عند جمعها في كتاب مستقل مع علامات للمواضيع التي
تريد زيادتها عليها بحيث يسهل جمعها وطبعها مرتبة مبوبة مفصلة وهذا

الكتاب يروج في هذه الايام جداً إذا أمكن طبعه .
وبليها كتاب آخر في جمع ما كتبه علماء الافرنج في الاسلام والنبى
عليه أفضل الصلاة والسلام ويجب الاستعداد له بمثل ما ذكرت فيما قبله
ولا نفساً ما تريد زيادته فيه ووضع الارقام على ما تحب ان تعلقه على
تلك النقول من استدراك أو رد . بقلبك او ما تختار ان يعلقه أخوك
هذا عليها .

وعلى هذين نقس سائر المباحث التاريخية والتراجم التي يجمعها أمر
كلي وسأبين فيها رأيي أيضاً عندما أراجع المجلد الاول وقد أخذه السيد
عاصم مني ليطالع عليه ويطلع غيره وعندما يحيثني المجلد الثاني ومن عادة
الحلي أن لا يرسل الثاني لأصحاب الصحف الا بعد تقريرهم الاول
لأجل إعادة التقرير .

الى ان يقول :

(٥) أفلم يأن لهذه الدولة على ذكائها أن تعلم انه لا يمكنها ان تؤسس
في سورية شعوباً تغلب بهم على الامة العربية الاسلامية مع اتصال
سوريا بالعراق ونجد والحجاز وان العرب اذا عجزوا عن تأليف دولة
عربية متحدة بأنفسهم فان سورية ستكون لانكثرة من دونهم ؟ وهم
يرون صرفاً حيفاً أعظم من صرفاً مرسلها وانه حربي وتجاري وان بجانبه
حظيرة للطيران الحربي من أعظم الحظائر ومن ورائها حظيرة شرقي الاردن
وحظيرة العراق ولا يعلم الا الله ما سيكون في خليج العقبة الخ الخ . . .
(٦) مسألة المؤتمر الاسلامي الاوروي قد أحسنتم بكفالتة فإن أخانا
محمود بك سالم متردد الرأي وقد أطلعت أخانا فؤاد بك على كتابكم

فقال ان الصواب ان لا تدعوا حكومة الترك الى هذا المؤتمر ولا معنى
ايضاً لدعوة مفتي أدرنة من دون حكومته وأراه مصيباً .

(٧) الصواب ان تكتب أو تنشر ما تكتب في تقريب كتاب
« الوحي المحمدي » في جريدة الجهاد لانها أكثر انتشاراً ويجوز أن ينقله
الفتح ولا عكس . هذا وانني اخبرك ان فلاناً يخالفك كل المخالفة في
سياستك السابقة في الدولة العثمانية وقد نشر لك ما كتبت في ذلك محابلة
لك ولكنه لا يستطيع ان يكتب كلمة واحدة في استحسان هذه السياسة
او الاقرار بأنك معذور فيها

« اخبار البلاد العربية » من الملك فيصل بمصر منذ عشرة ايام متتكرراً
ومعه نوري باشا فقابلها أسعد داغر وعلم منها ان الملك جازم بأنه سيعود
الى سويسرة بالطيارة بعد اسبوع . ولكن ظهر ان مسألة الاشوربين فوق
ما كان يقدر . وقد اصطدموا بالجيش العراقي وجرى القتال بينهما ولما
تنته المسألة بعد ولكن لا خطر على العراق منهم وإنما البلاء الاكبر
والخطر الاظهر اشتداد الشقاق بين الامام والملك السعودي فافرقا جوابه في
برقيات الاهرام وعجل في نصيحة الامام محذراً إياه من سوء الخاتمة التي
تهدى لها والسلام ؟
اخوك

رئيس

وكتب في ١١ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ واول سبتمبر « ابلول »

سنة ١٩٣٣ :

سيدي الاخ الامير

أبطال علي يرجع كتابي الاخيرا اليك ولم أدر ما فعلت مع لي الحسن

بشأن كتاب «حاضر العالم الاسلامي» فانه لم يزرني في هذه المدة وكنت قرأت في بعض الجرائد أنك غادرت «جنيف» للتجوال في بعض البلاد ثم جاء الاستاذ القباياتي فأخبرني انه تركك فيها ولم يلبث ان طلع علينا مقالك في مسألة الخلاف بين الامامين العرييين منشور اللواء في جريدة الجهاد فأرأيتك فيه قد خالفت الخطة التي التزمها جميع الذين كتبوا في هذه المسألة ووافقت الشيخ التفتازاني وحده وهو الذي نصب نفسه للدعوة الى العلويين وآل البيت والقبوريين والدفاع عنهم والنيل من ابن السعود وقومه وان كان غرضك أنزه من غرضه ومقصودك أشرف من مقصده وأما الجمهور من الجماعات والاحزاب واللجان واصحاب الصحف والافراد الذين كتبوا في الجرائد والذين أرسلوا البرقيات الى الامامين فقد اجتنبوا كلهم إظهار ادنى تحيز^(١) الى امام من الامامين او فئة من الفئتين ولقد كنت أحق منهم بذلك فما بالك صرحت بما صرحت به من ترجيح اليمن على الحجاز في محل النزاع وهو مسألة عسير في هذا الوقت العسير ومن الطعن في رجال الملك ابن سعود بما يدل على انك ترى انهم يزينون له ما يخالف مصلحته ومصلحة الامة وهذا تأييد للحكم عليه في محل النزاع ايضا فان كان صحيحا في نفسه فرضا فالتصريح به في الجرائد جاء في غير وقته والقوانين تجرم على الجرائد ان تكتب في القضايا المرفوعة الى المحاكم

« ١ » ذكرت في ذلك المقال انه لو ترك الامام يحيى اماره الادريسي لابن سعود فصداقة ابن سعود خير له من هذه الامارة . وكذلك لو تركها ابن سعود لليمن فالتحالف مع الامام يحيى أحسن له منها . وهي لم تكن له في الاصل . وأشرت بقسمتها فيما بينهما على ان يتحالفا .

ما يقوي حجة الخصمين على الآخر ثم ما كان اغناك مع هذا ان تختار المحكمين او من يصلحون للحكم في هذه القضية وتقرحهم في مقال ينشر؟ نعم انك طعنت على رجال الامام ايضا ولكن هذا الطعن لا يتضمن اضعاف حجته او طعمه في عسير الذي هو محل النزاع ولا تنس ما سبق لك من الطعن في جماعة الملك وتأثيره الآن .

كل اولئك مما لم أكن أحبه لك على ما اعتقد من حسن نيتك فيه وما كل ما تحسن النية فيه يحسن الفعل . وهو بسوء الملك السعودي ورجاله بما يقدم عن قبول كلامك في غير هذا الا فيه وحده فما الفائدة منه اذا؟ ثم انني اجتمعت في هذا الصيف بالشيخ يوسف ياسين وكان مما اخبرني به ان جلالته باذل قصارى جهده في عقد المحالفة بينه وبين الامام وان الرجاء فيها قريب . ثم لقيت بعد سفره فؤاد بك حمزه فأخبرني بمثل ذلك وانهم كلهم متفقون عليه وان الوفد الذي في صنعاء موصى أكد الوصايا بالتساهل التام في سبيل النجاح وقد حدثت هذه الحركة بعد عودة الوفد من صنعاء خائباً . والمشهور ان الذي بث الخبر في فلسطين وسورية فؤاد بك حمزة وهو في مصطافه من وطنه «لبنان» وقد عاد الى مصر منذ يومين ولكنني لم أراه ولم اعلم به الا اليوم .

إن مثلك يا اخي في علمك الواسع بسياسة الامة ومصالحها وجهادك الطويل وسنك ونسبك ومركزك يجب ان تكون موضع اتفاق عند ملوك الامة وسوقتها وخاصتها وعامتها وزعمائها وجماعاتها وأحزابها حتى لا يكون لاحد من ذكر صارف عن الانتفاع باختبارك ولكن هذا الاتفاق لا ينال تاماً ولا ناقصاً قليلاً الا بالقاء للنفقات الصاعدة والصراحة المريبة ومبراةة

الاستعداد للكلام وانتهاز فرص الشعور بالحاجة اليه فما كان معقولاً عندك
ربما لا يكون معقولاً عند غيرك إلا بعد درس طويل واختبار عميق .
انك أنت الذي فتحت باب الدعوة للوحدة بين سورية والعراق وكان
ذلك في وقت غير مناسب وأهل سوريا غير مستعدين للاقتناع بقبول هذه
الدعوة فكثير خصومها وخصومك لاجلها^(١) . ولولا وجود اخوان لك دافعوا
عنك لكثير الطاعنون فيك يومئذ وكانت تلك الحجج الطويلة التي أدليت
بها غير مقبولة فكانت الدعوة سبباً لما علمت من الاعراض عن الملك
فيصل وعن وزرائه عند مرورهم بالشام الخ . . . ولا تزال تلك الصراحة
والمبالغة في الاحتجاج مثار الظنة وكان الراسخون في العمل لفصل حتى
الدكتور قدري والدكتور شهبندر يرون ان التصريح بالدعوة ضار في
ذلك الوقت وجنحوا لها في هذا العام لانقلاب الافكار مع التحفظ . . .
وصرحت في السياسة العراقية تصريحاً آخر أغضب أكثر زعمائها
وأكثر المشتغلين بسياساتها ولما يزل سوء تأثيرها من أنفسهم كما تعلم . . .
أريد بهذا وذاك ضرب المثل وأرجو ألا يكون موضع بحث ولا جدل
والسياسة ليست كالعلم والدين بكفي فيها تأليف الحجج والبراهين يبرز به

(١) لا تزال مع الاسف الاهواء الشخصية دون المصالح العامة هي مدار السياسة
في الامة العربية . والحال أن هذه الامة أصبحت غير قادرة على الجمع بين الاهواء
الشخصية والامراض التي هي مصابة بها . ورحم الله من قال :

أنفوا المؤذن من بلادكم ان كان بنفي كل من صدقا
والسيد رشيد لا ينقذني هنا من جهة الرأي في حد ذاته بل من جهة عدم
استعداد الناس له . ولكن الوقت بدأ يجلي الحقائق والله الحمد .

العالم من إثم الكتمان ويؤدي ما عليه من واجب البيان بل هي المصلحة .
 هذا وانني قد تذكرت باقتراحك تحكيم الثلاثة الملوك أمراً يجب ان
 تعرفه وكنت ناسياً لكتابته لك وهو ان صديقنا الاستاذ محمد نقي الدين
 الهلالي سافر في فرصة مدرسة دار العلوم الصيفية من الهند الى افغانستان
 للوقوف على حال الاسلام والمسلمين فيها فعاد كثيراً حزينا : وجد أن رجال
 حكومة نادر خان هم رجال حكومة أمان الله خان لا دين ولا إيمان .
 ولكن إعجاب بمصطفى كمال لا يقبل معه كلمة انتقاد . وعلماء جامدون
 جاهلون ومشايخ طرق خرافيون معظّمون ولكن الملك نفسه يعني بإقامة
 الشعائر الشرعية وغير الشرعية كالموالد . وقد منع تهتك النساء وما أشبهه
 من الظهور بالمفاسد وهم أسوأ الناس ظناً او اعتقاداً بالوهابية يصرحون
 بكفرهم ويدبنون بشدة بغضهم فالملادين الخرافي يفضهم تدبناً والمتفرنج
 الاحادي يفضهم لانهم عرب . . . فاذا تألف وفد منهم ومن شيعة ايران
 ومن الازهرين الظواهريين الدجوبين أو من رجال السياسة المعروفين
 للحكم بين حكومة الزيدية وحكومة الوهابيين فما ظنك بحكمهم ياسيدي
 الاخ الكريم ؟ يتردد الهلالي في بيان حال الافغانين في الجرائد واستشارني
 فأشرت عليه بأن يصبر فإن ضاق صدره بالكتمان فليكتب ناصحاً لا
 منتقداً مشهراً وليرسل إليّ ما يكتبه أولاً وبأذن لي بتنقيح ما أرى
 المصلحة في تنقيحه .

وأختم هذا الكتاب الذي يؤسفني ان يسوءك بخبر يسرك وهو ان
 مدير مجلة الاسلام الانكليزية التي يصدرها في لندن دعاة الاسلام الهنود
 قد كتب إليّ بأنه سترجم كتاب « الوحي المحمدي » بالانكليزية وينشره

وقد شرع بعض متقني الانكليزية هنا بترجمة فصلين منه بطلب جمعية الدفاع عن الاسلام لتتظر الجمعية هل يحسنها فيتمها ام لا ؟ واستأذني عالم عصري صيني في الهند بترجمته بلغة بلاده لنشره فيها . وأذنت لمصري تركي الاصل بترجمته بالتركية اللاتينية إذ كتب إليّ ان الترك احوج اليه من غيرهم . وسيترجم باللغتين الاوردية والملاوية بترجمه بها تلميذان لي في بلادهما - وقد ذكرت الان ان أخبرك بأنه لما أعلن صديقنا الملك السعودي ضم العسير الادريسية الى مملكته العربية كتبت اليه بأنني كنت أرى ان المصلحة إبقاءها تحت الحماية وجعلها فاصلاً بينه وبين اليمن ولكن الامر كان قد انتهى وتسليمه الآن ايها لليمن بهذا الشكل الذي ظهر به سيف الاسلام وبعد احتمال نيران خطة خسف لا يرضى بها إلا عاجز أو خزيان . ونسأل الله التوفيق لما فيه الخير للعرب والاسلام والسلام من اخيك المخلص

شبير

وكتب في ٤ جمادى الآخرة ١٣٥٢ و ٢٤ سبتمبر ١٩٣٣ :

سيدي الاخ الامير اطال الله بقاءه واحسن عزاءه

إن مصاب القضية بالملك فيصل لعظيم وان نصيبك منه لعظيم من وجوه آخرها ما كان من خاتمته . ولا محل للإشارة الى شيء منه فأحسن الله عزاءنا وعزاءك وأطال لنا وللأمة بقاءك . وجعل لك من العبرة بما تعلم من مناقبه حفظاً عظيماً من حلمه وسعة صدره وان كنت لأعلم ان

مواجهتك لهذا الرزء الكبير وشهودك إياه هو الذي ابطأ بك عن الكتابة إليّ وعمّا وعدت به من تقريب كتاب الوحي المحمدي بمقال ينشر في الجهاد وعن إعلامي برأبك في وقعه عند من تعرف من المستشرقين وغيرهم من الافرنج لا كون على بصيرة فيما ينبغي ان أراعيه في طبعته الثانية التي استعد لها . ولعله بلغك ما نشر في الصحف من العزم على دعوة حكومة الولايات المتحدة الاميركية الى عقد مؤتمر ديني عام للبحث في معالجة أدواء الحضارة المادية بالادوية الروحية الدينية . فهذا يوجب علينا الاستعداد لما يقدمه المسلمون لهذا المؤتمر من حقيقة الاسلام وأرى أهل الرأي من عقلاء المسلمين موافقين لي على أن كتاب الوحي المحمدي أفضل ما يوجد في هذا الموضوع وأنا أرى انه يجب عليّ العناية بجعل الطبعة الثانية القريبة أتم وأنفع من الطبعة الاولى التي كتبت بما تعلم من العجلة والاضطراب الذي بينته في المقدمة . لهذا أنتظر ما أشرت اليه آنفاً من رأيك الخاص في ذلك ورأي الاوربيين . . . ولما يرد إليّ شيء من أهديت اليهم الكتاب من المستشرقين الا الاستاذ هرمن الالماني فقد جاءني منه كتاب شكر فيه كلمة وجيزة عما يراه من وقع هذا الكتاب كأثاله عند أهل العلم .

ولقد كنت أفكر منذ اسبوع أو أكثر في الكتاب اليك بالتمزية وبعض المسائل الحاضرة وانما أخواني انتظار ما يكون لسعينا في تصريف نسخك من كتاب حاضر العالم الاسلامي لتخبرك به أو نرسل اليك مبلغاً من المال ولكن عرضت لنا الدسائس التي أنتهت أمس بوصول برقيتك من جنيف . وسيفصل لك السيد عاصم الخبر فهو الذي كان يسعى على رجله لخدمتك كل يوم في هذه المسألة ولما وصلت البرقية مساء أمس

(السبت) قلت له يجب أن يكتب كل منا الى الامير بما عنده وان لا
نتنظر كتاباً منه .

وأما كتابك الجدلي فاني على علمي برأبك وشنشنتك في الجدالات
والمناظرات لم أكن أتوقع أن تكتب كلمة منه في هذا الوقت ولا في غيره
من أوقات الفراغ وخلو البال لان ما أنكرته عليك في كتابي الذي ترد
عليه فيه لم أقصد فيه البحث في المسائل العربية التي تجادلني فيها لاجل
تحرير خلاف بيننا فيها . وانما كان الغرض منه بيان رأيي فيما يحسن منك
نشره في الصحف من الآراء والنصائح للملوك والامراء وما يجب ان
يكون مريباً بينك وبينهم . وكذلك ما يخص الاحزاب والجماعات ورجال
الحكومات ليكون كلامك جديراً بأن ينتفع به ومقامك في الامة العربية
جديراً بالاجماع عليه بقدر الامكان لما امتازت به من سعة العلم وطول
الاختبار - وقد صرحت لك في الكتاب على ما أتذكر بأنه لم يكتب
لأجل البحث فيه . . .

لهذا كان من المستغرب عندي ان كان الكتاب كله جدلاً في غير
محل كما يقع بين رجال الاحزاب السياسية المختلفين في مقاصدهم ومرامي
أغراضهم أو أغراض سهامهم وما كنا كذلك في شيء مما فيه . ولكن
كتابي جاءك وأنت ضيق الصدر وكتبته الرد عليه وأنت أضيق صدرأ
فلم يكن شيء منه في محله ولا مما يخاطب فيه مثلك مثلي في اتحادنا
وأخائنا

لم أرَ لك كتاباً ليس فيه كلمة في محلها ويصح ان توجه إليّ إلا
هذا الكتاب :

أصبح أن يقول شكيب الرشيد: (١) إذا كنا نريد أن ننفع ابن
السعود... فلا يكون بأن نحسن له جميع أعماله وأن نقضه بأنه محق في
كل شيء؟؟ (٢) «ونحن بدلاً من أن نصحه ونبين له أن عسير واسمة
جداً وأنه... وأنه كان يمكنه أن يحكم للامام بما يرضيه «فنا نؤيد
حجته ونجعل الحق كله له وهكذا نجره الى الحرب التي « تفعل وتفعل
وتضيع عسير أو اليمن كلها . من ذا الذي فعل هذا ؟ أنا لم أقل ولم
أفعل شيئاً من هذا . وما علمت ان أحداً قال أو فعل شيئاً من هذا الخ .
ليس فيما وجهته إلي في هذا الكتاب كلمة واحدة كان يصح أن
توجه الي وتجعل حجة علي في عمل عملته . وليس فيها ما يصح ان يجعل
رداً علي غرضي من كتابي اليك وهو أن تكون نصائحك الجهرية
والسرية كل منها بالاسلوب الجدير بالقبول البعيد من مثار الظنة او إثارة
الحفيظة . وقد كان من الغريب قولك انك فضلت أن يستاء ابن سعود
من مقاتلك في الجهاد على ان تكون ممن يهيجون على الحرب . فبني كانت
هذه القضية شرطية مانعة الخلو في عرف النطق حتى تكون معذولاً في
اختيار هذا الظرف منها ؟ كلا انه كان لك مندوحة عن تعمد استياء
أحد الخصمين وعن التهييج على الحرب معاً وهذا أرجي لجعل نصحك مقبولا
أو محترماً على الأقل .

ومثل هذا في النزابة قولك انك لم تقل الا الواقع فهل كان مقالك في
الجهاد مقال دعوة الى صلح ؟ ام حكماً قضائياً في جنابة ؟ أم جرحاً لرواة
حديث ضعيف أو موضوع لا بد من بيانه لئلا يفتن الناس بالحديث في
امر من امور دينهم ؟

وقولك قبل هذا في الرد على قولي ان الجرائد كلها مع ابن سعود :
« اننا لسنا في قضية جرائد بل قضية حرب ذات خطر خطير على العرب
نريد ان تنفاده بأي وجه كان » - يقال فيه أولا ان ما كتبه في اغضاب
أحد الخصمين بنافي هذا المراد كما تقدم . وثانياً ان الجرائد لم تكن مع
ابن سعود في اعطائه الحق في موضوع النزاع بل فيما أجاب به كل من
أبرق اليه بأنه لن يعتدي ولن يثير حرباً وانه يقبل تحكيم الشرع -
فكلام الجرائد كلها وكلام الذين كاتبوا الامامين كلهم كان كله موجهاً
الى القصد الذي نطلبه من نلاني الحرب مع عدم تحيز الى أحد الامامين
في موضوع النزاع فكان كله أقرب الى مرادك من كلامك . وقبل ان
أترك موضوع ابن سعود أذكر لك أو أذكرك بأنه قد قرأ في الجرائد
المتنوعة كثيراً من النقد والظعن عليه في مسألة الامام الادريسي وغيرهما
خلافاً لما أطلقته في كتابك هذا مرتين . وأما خطتي معه فانت تعلمها
بالإجمال وهو انني أنصح له في كل ما أراه في حدود الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، والمصالح العربية الاسلامية . وقد ذكرت خطتي هذه
معه في المنار مراراً وفي المقطم في هذا العام . وقد علمت من يوسف
ياسين مراراً انه لم يكتب له أحد في الانتقاد الشديد عليه قريباً مما
كتبته اليه - ومن ذلك انني خطاته في الاستيلاء على عسير في وقته واما
سعيي للاتفاق بينه وبين الامام يحيى فلم يسبقني اليه أحد قط وكان
مبدؤه قبل الحرب العامة وزدته تأكيداً عقب حادثة الحجاج المعروفة
وما زلت ألح عليه في وجوب عقد المحالفة بينهما في موسم الحج وعهد المؤتمر
الاسلامي العام سنة ١٣٤٤ حتى أقسم لي أغلظ الايمان ونحن سامرون

على سطح قصره بأنه لن يعتدي عليه وانه ليس بينه وبين عقد الحلفاء الهجومية والدفاعية معه الا أن يرضي وأذن لي أن أخبر السيد حسين عبد القادر وكيهله في المؤتمر بذلك وان أكتب للإمام أيضاً ففعلت وأعطيت الكتاب للسيد حسين عبد القادر ولكن الامام لم يجيني عن هذا الكتاب .
على ان ابن سعود كلم السيد حسين عبد القادر - فسعى للاتفاق والاتحاد بين الامامين أقدم من سعي أخي الامير وصديقه شيخ العروبة ^(١) ولكنه لم اعلنه في الجرائد - وفي هذه النازلة الجديدة كتبت اليه في مسألة التحكيم ولا حاجة الى التطويل .

وأختم هذه المراجعة التي كتبتها كارهاً لها مضطراً اليها بأن أغرب ما انتقده علي أخي بل اوغله أو أشده ابغالا في الغرابة هو قولك « اما قولك ان كتابي عن اتحاد سورية والعراق كانت ضد أفكار الاكثرين فهذا مستغرب جداً ومستغرب منك بزيادة لانك من جملة المؤيدين لمشروع اتحاد القطرين » الخ ...

الغرابة الشديدة في استغرابك هذا انه مبني على كوني مؤيداً للمشروع كأن كلمتي أو روايتي لكونه كان عند ابرازك له ضد افكار الاكثرين تدل على رجوعي عن تأييده - وما ذلك الا ان سيدي الامير ذهل عن كون الرواية في كتابي كانت مثلاً لما يكتبه أحياناً غير مراعاة فيه أفكار الجمهور ولا الاحزاب ولا الجماعات وان كان صواباً في نفسه

(١) المرحوم احمد زكي باشا و كنت منذ عشر سنوات فأكثر رجوته ان يذهب ويزور الامامين ويسعى في التأليف بينهما ففعل .

ونبغي أن يتحرى في أسلوبه ومراعاة الاستعداد له ما يتفق مع المصلحة السياسية والقومية من جهة ومع مقامه من الزعامة والامامة السياسية من جهة أخرى . ولم تكن للانتقاد أو للانكار عليه في أصل المشروع بعد اتفاق الناس عليه . وأذكره هنا بأن علماء المناظرة قالوا ان البحث في المثال ليس من شأن المحققين . وكان استاذنا الجسر (ر . ح) يقول : إن بعض علماء الازهر كان يعبر عن هذا المعنى بقوله : الذي صار مثلاً : « البحث في المثل ليس من شأن الفحل » وجملة القول ان كتابي لم يكن إلا نصيحة أخوية سببها شدة حرصي على مقامه في كل الاوساط ذات المقام في أمته لاجل ما أحب من الانتفاع بعلمه وخبره وإجلال مقامه وما أظلت في الرد على رده إلا انه بني على ضد ما بني عليه وقد وقعت قبل هذا في إثارة مثل هذا الجدل وندمت وعسي ألا أعود ثالثة والسلام عليه وعلى صنوه ونجله الكريمين أطال الله بقاء الجميع ؟

أخوكم

رشيد

وكتب في ٤ شعبان ١٣٥٢ :

سيدي الاخ الامير أمتعننا الله والامة بطول حيانه وحسن جهاده
نفدت نسخ كتاب «الوحي المحمدي» إلا نسخاً قليلة أمسكتها لما
يطرأ من الحاجة اليها قبل التمكن من إعادة طبعه فبدأت بإعادة قراءته
لتنقيحه والزيادة فيه كما وعدت فاشتدت الحاجة الى بيان ما سألتك عنه
مراراً من رأبك فيه وتذكرت ما كنت عزميت عليه من كتابة فصل

خاص أبسط به ما أشرت اليه بالاجمال من وجود آيات كثيرة في القرآن وافقتها أو فسرناها علوم هذا العصر ووجوب الاستعداد في هذا من كتاب المرحوم أحمد مختار باشا فأرجو أن لتفضل بإعادة الترجمة العربية والاصل التركي مما في أول جريد فان الترجمة العربية وحدها لاتفي لتراجع ما خفي علينا فهمه منها أحد البارعين في الترجمة مع صديقنا فؤاد بك سليم وصديقنا الدكتور يحيى الدردير بعيد قراءة كتاب الوحي وبمعلق عليه ما يرى اقتراحه من زيادة فيه من نقل عن علماء الافرنج الذي تطمئن اليه نابعة هذا العصر وسأجد شيئاً كثيراً من مدح هؤلاء العلماء ومن انتقاد غيرهم في كتابك « حاضر العالم الاسلامي » ولعل تقريظ المنار له قد أراضاك ولما يرسل الحابي إليّ المجلد الثاني منه وقد رأيت فذكرته فوعد ولما يفر ولكنه لا بد أن يفي .

هذا وقد علمت من الجرائد المصرية ومما كتبه اليك أحمد زكي باشا كما أخبرني امس - ان مسألة الجمعية الاسلامية الاسبانية قد جددت الدعوة اليها من قبل المندوب الجديد الاقتصادي الذي حملته المكتوبات ولكتنا نرى شبان الريف الذين هنا قد ازدادوا اساءة ظن في اسبانية والاجتماع الذي عقد للدعوة الى تأليف لجنة للجمعية في مصر قد صادف معارضة شديدة . ولعل سوء الظن يزداد بعد العلم بفوز الحزب الملكي الاسباني في الانتخابات الاخيرة وأرجو أن تكتب اليّ بخلاصة رأيك في تأليف اللجنة هنا فانه لم يجتمع أحد من أعضاء اللجنة التحضيرية التي اقترحت ودعي اليها الا خمسة نفر ولا يمتنع من كتابة خلاصة

رأبك ما عسى ان تكتبه من التفصيل لاحمد زكي باشا فربما لا ألقاه
إلا بعد زمن طويل واسلم لامتك ولاخيك ؟

محمد رشيد رضا

وكتب في ١١ شعبان سنة ١٣٥٢ و ٢٩ نوفمبر ١٩٣٣ :

سيدي الاخ الامير

اني ألقى إليّ كتابك المؤرخ في ٢٧ رجب الذي أطلت فيه ثانية
في مسألة كتاب حاضر العالم الاسلامي وأسرت في آخره بإرسال نسخة
من كتاب الوحي المحمدي ونسخة من كتاب نداء للجنس اللطيف الى
كفغير المستشرق الالماني فأرسلنا في الحال وسألتني عن رأيي في التحكيم
بين الامامين وأرسلت إليّ صورة ما كتبته الى الامام يحيى وذكرت انك
أرسلت صورته الى الملك عبد العزيز كما أرسلت صورة ما كتبته للملك الى الامام
قد أحسنت بهذا جدد الاحسان ومسألة التحكيم يتحدث بها الناس في جميع البلاد
العربية ومنهم من كتب الى الامامين باقتراحها ولقد كان جلالة ملك مصر
أجدر الناس بها لولا انه لم يعترف هو ولا حكومته بالحكومة السعودية
رسمياً ولم يكن بمودة لها بل الامر بالضد ولهذا لم أرَ احداً هنا قال برأبك
هذا ولا ذكره . وقد جاء في بوقيات امس ان ملك العراق أظهر ميله
الى السعي للتحكيم كما سبق للمرحوم والده . وقد حدثت بعض الكبراء
هنا بأنه يحسن أن يجتمع كبراء مصر غير الرسميين كروضاء الاحزاب
غير الحكومية - وهم الوفد والدستوريون والوطنيون - والامير عمر والاستاذ
المراغي ومن شاوروا معهم وبكتبوا الى الامامين في الموضوع .

وقد سبق لي أن كتبت الى كل منها برأيي وهو الصالح بمقد المعاهدة على الاعتراف بالحدود الحاضرة في عسير ونجران التي كانت مستقلة واستولي عليها الامام بالقوة الا أن يكون في حدودها مع نجد ما يقضي مفاوضة ودبة ان أفادت فيها وإلا كان التحكيم على هذه الحدود وإذا اقتضى إرسال لجنة تحكيم فيجب ان يكون في أعضائها بعض العارفين بالجغرافية والفنون العسكرية . وقد اعجبني في كتابك الى الامام ما ذكرته في مسألة حدود عسير كما ما في ما كتبت من قبل في الحكم بأنها لليمن او ما في معناه فان تغيير الامر الواقع بعد الخلاف الذي وقع أعسر من كل عسير ولم يعجبني إدخال مسألة الحجاج في التحكيم فان المعاهدة اذا عقدت وزال الشقاق فانه يسهل إرضاء اليمن بمبلغ من المال عندما يوجد المال وإثبات إدانة النجديين في هذه المسألة بتوقف على تحقيق لا يتيسر للجنة التحكيم كما علم مما اعتذرت به الحكومة السعودية عنها وأرجو ان لا نجعلها موضوع جدال .

وقد كتبت الى الامام انه اذا أعجبه رأيي فاني تحت أمره في كل ما يستحسنه من السعي له ولو بتحكيم ولعله يجيئي في البريد الآتي جواب من الامامين في الموضوع وقد كان جاءني من الامام كتابان جوابيان ومن الملك عدة كتب يوم كان فيها اختيار السلام والوثام ويقول الملك انه إنما أرسل الجيش الى الحدود لانه يرجح انه أجدر باقناع الامام بجي الذي لم يفعل جهراً ما فعل بنجران سرّاً مع الادارة وغير ذلك الا لاعتقاده بضعفه .

أرسلت اليك قبل هذا كتاباً رجوتك فيه أن ترسل إليّ كتاب

المرحوم مختار باشا الاصلى والمترجم وتبين لي رأيك في كتاب الوحي
المحمدي من ناحية الفكر الاوربي وانا قد شرعنا في إعادة طبعه ووصل
اليوم ما أرسلت في مسألة الالمان وتنقيحهم لعقيدتهم وهو ينفعنا والسلام
من أخيك م

رشيده

وكتب في ٢١ ذي القعدة ١٣٥٢ و ٧ مارت ١٩٣٤ :

سيدي الاخ الامير

أحييك تحية مشتاق برحت به الاشواق واشتدت وحشته لطول هذه
الفترة من كتبك الموثقة الممنعة وكنت اظن انك تتحفي بشيء من
مكتوباتك الاسلامية المفيدة في أيام رمضان التي تصومها في وسط اسلامي
حي ثم كنت أمني النفس بعد رمضان بقرب عودتك الى جنيف والكتابة
منها وما كنت اظن ان تطول هذه الغيبة عنها التي تعد بالاشهر ثم
لانتفضل بها على اخيك بشيء من خبرك وهو لا يسره شيء يرد عليه من
الافاق كالذي يرد عليه منك ولما يشق على الانسان انتظار محبوب
يرجوه كالذي ينتظره كل يوم ولا يدري كيف السبيل الى استعجاله
أو معرفة سبب تأخيره وعسى ان يكون خيراً وما علمت بخبر عودتك
الى جنيف إلا مما نشر في الاهرام أول من أمس .

لم يكن عندي من شؤني الخاصة شيء أمرك به في هذه المدة
الطويلة العريضة لو كانت المكتبة متصلة ولم يتيسر لي الشروع في إعادة

طبع كتاب الوحي المحمدي الا في أواخر شهر شوال والآن تطبع
الكراسة او المزمعة العاشرة مزدوجة وهي تتم ١٦٠ صفحة ولكنها تبلغ
الصفحة ٨٥ من الطبعة الاولى فالزيادة زهاء النصف منها فاتحة الكتاب
وفصل في مباحث النبوة عندنا مع فروق بين ما عندنا وعند أهل
الكتاب والباقي زيادات في المباحث خالفت فيها ما وعدت به في الفاتحة
من جعل جل الزيادات في ملحقات للكتاب لئلا يشق على الذين ترجموه
في الهند والصين او الذين لم يتموا ترجمته إدخال الزيادات في أثنائه على
تراجهم . ولما رأيت كبر حجماً ورأيتني مضطراً الى اصداره قبل انتهاء
السنة عزمنا قوياً على اصداره في يوم عرفة مع الوعد بكتاب جزء
ثان له أضع فيه ما وعدت به من الفصول (١) في اخبار القرآن العلمية
الموافقة لعلوم هذا العصر وهو ما كنت أخبرتك به و (٢) اخبار الغيب
و (٣) السنن الاجتماعية و (٤) اسرار العبادات و (٥) في المنافع الصحية -
وهذا الجزء لا يمكن البداية به الا بعد شهرين على الاقل لانني مضطر
في هذين الشهرين الى اتمام مجلة المنار وسبيل اليك في اول يريد الجزء
الثامن من م ٣٣ وهو متأخر حتى انه لما يوزع كله « بسبب العسرة »
وبقي الجزآن التاسع والعاشر وانا أحررهما مع الاشتغال بتصحيح كتاب
الوحي والزيادة فيه واتقان طبعه بشكل الآيات القرآنية وهذا يستغرق وقتاً
طويلاً . ثم اتني اتممت في الاسبوع الماضي تفسير الجزء الحادي عشر من
التفسير ولكن بقي منه اخلاصة العامة لسورة يونس التي هي آخره وانا
مضطر الى اتمامه في هذين الشهرين أيضاً والمرجو ان يجيئنا منه دراهم
وكذا كتاب الوحي .

كنت وعدت بكتابة تقرّظ لكتاب الوحي ولما كنت عازماً على نشر بعض التقارّظ في آخر الجزء وأولها تقرّظ امام اليمين فأكتفي منك اذا كنت لا تزال عازماً على كتابة شيء وكان يسهل عليك ان تدرك به المطبعة بعد اسبوعين - بأن تجعله مختصراً أو أن تبنيه على ما كنت كتبه في زوائد الطبعة الثانية لكتاب حاضر العالم الاسلامي من وجوب دعوة العالم المدني الافرنجي الى الاسلام ببيان حقيقة على الوجه الصحيح المعقول الحقيقي بالقبول عندهم - فإنني رأيتك في هذا الموضوع قد صرحت بأنه لا يوجد عندنا كتب اسلامية تصلح لهذه الدعوة . فأحسن ما تكتبه وتنفعه ان تراجع عبارتك هذه في أوائل الجزء الاول وتذكرها في التقريظ وتشهد لهذا الكتاب بأنه وفي بهذا الغرض اذا كنت تراه جديراً بهذه الشهادة كما أعتقد وسترى الطبعة الثانية منه أوفى بذلك من الاولى ان شاء الله تعالى . وكل ما عسى أن تزيد على ذلك فهو من فيض برك وكرمك ولا حاجة في هذا التقريظ الى اقتراح شيء يزد فيه ولا الى ذكر ما علمت مما سيزاد فيه الا ان كان على سبيل الاشارة المختصرة .

والغرض الآن كتابة شيء مختصر مفيد جوهرى كالذي قلته ليدرك الطبعة الاولى ولعله لا يدركها الا اذا أرسل في البريد الجوي الذي أرسل فيه كتابي هذا والسلام عليك وعلى نيلك النجيب وأدامك الله لامتك ولاخيك المخلص

منشئ المنار

محمد رشيد رضا

وكتب في ٢٣ ذي الحجة ١٣٥٢ و ١٨ أويل سنة ١٩٣٤ :

سيدي الاخ الامير وقفه الله تعالى

اني ألتي الي في الساعة الثانية عشرة من هذا اليوم كتابك الكريم
فسرني وحزني : سرني أن ذهب بالوحشة الشديدة التي شكوت منها في
كتابي السابق و بقيت في حيرة منها - أعني وحشة طول الفترة على
مكتوباتك - وحزني بما بسطه من وصف عسرتك المالية واصرارك على
ظلم نفسك بالامراف في النفقة والامراف في المكاتبات الشخصية والمقالات
الكثيرة المتصلة الى جرائد الاقطار المختلفة وانه لظلم لا يبيحه العقل ولا
النقل ولا خدمة المصلحة العامة لقوم لم أرك عرمتهم وعرفتهم بأصح مما قلته
في هذا الكتاب :

« أجد الناس لا يرحمون ولا يشفقون ولا يحسبون حساباً لحالة جسمنا
ولا تقدم سننا ولا لضحك معبشتنا » الخ . وتأمل ما كتبته انا في مشترك
المنار منهم في آخر الجزء التاسع من هذا العام الذي أرسل اليك أخيراً
واعلم ان الذين أشرت اليهم في آخره من أصناف للسنجيين لنا لا يبلغون
عشر الظالمين الذين أصرروا على هضم الحق غير مباليين باستبراء ولا انتظار
ولا صلح على بعض المطلوب وربما كانوا من ١٠٠ .

يجب عليك شرعاً وعقلاً وصحة واقتصاداً أن تترك جميع النوافل من
المكتوبات الشخصية والمقالات الصحفية الا ما عسى ان تجد وقتاً بعد أداء
الواجبات الاربعة ولعله لا يبلغ العشر مما ذكرت من العدد السنوي ثم
يجب الاقلال في الكيف كالاقلال في الكم ويتبع ذلك الاقلال في

المال فلتكن ميزانية البريد في هذه السنة خمسة جنيهات على الأكثر ولعل أكثرها بنالها غير مستحقها .

ويجب أن تعجل بتبويض الحلل السندسية وان تقتصر فيها على المسائل التاريخية والعلمية ومنها الادبية وان ترجي التراجم فتجعلها ذبلا لها أو تخص بها الجزئين الاخيرين منها كما قلت وأن تجعل أجزاءها صغيرة ليمكن طبعها والانتفاع منها في مدة قصيرة وأنا لما رأيت الطبعة الثانية من الوحي المحمدي قد طالت عزمت على جعل كل ما كنت وعدت به من الملاحظات الملحقه في جزء مستقل كما ترى ذلك سيفي تصديرها وقد أرسلت اليك .

وأما مسألة الحرب بين الامامين فالذي فهمناه من أمرها غير الذي ذكرته في هذا الكتاب ولقد كان هذا ما ظننته من قبل وكتبت الى الامام يحى اني مستعد للتوسط بإقناع الملك به ولو بالسفر الى نجد فسمعت بما كتبه اليه ودعاني الى زيارته في اليمن بدلاً من الذهاب الى ابن سعود ليطلعني على ما يقنعني بأنه صاحب الحق وحسن النية ولو ظهر للملك من الامام حسن النية لكان إقناعه بترك نجران له ممكناً مطلقاً او بتعديل في الحدود ولكن ظهر له ثم لنا من مظهره ونسويقه انه يريد اطالة الوقت لاعداد جميع قواه للحرب بعد الصلح مع الانكليز والتسليم لهم بما علمت وهو لم يكن يخطر لاحد منهم ولا من غيرهم ببال .

الى ان يقول :

ظهر للملك السعدي ذلك على سبيل القطع في مؤتمر «أبها» إذ كان اجتماعه مبنياً على الاتفاق على مسألة عسير بإقرار الحالة الحاضرة فيها وعلى

مسألة الادارسة وإرجاء مسألة نجراف وحدها للمؤتمر فلما اجتمع المؤتمر أراد مندوبوا الامام أن تكون المفاوضة في المسائل كلها كأن ما كان قد تم الاتفاق عليه لم يكن شيئاً مذكوراً .

من أخلاق الملك عبد العزيز التزوي في المسائل المهمة والصبر الى ان تمتلئ الكأس الى أصدارها فينبذ يأخذ بالعزم ويمضي فيه بالحزم وكل ما يرد في هذه الايام من برقيات الامامين جواباً للذين تصدوا للوساطة صريحة فيما ذكرته من خطة كل منها .

سبق أخونا السيد أمين الحسيني فأبرق الى كل منها يقترح الهدنة وترك القتال الى أن يرسل هو وفداً باسم المؤتمر الاسلامي العام يسعى للصلح والتوفيق بينهما وكتب برقيات لي وللأمير عمر وآخرين من الوجهاء في مصر وغيرها يقترح فيها تأييده بإرسال البرقيات وعللنا انه كتب اليك يقترح أن تكون عضواً في الوفد الذي يرجو هو أن يسافر في أقرب وقت حتى قبل ان موعده ١٠ أبريل أي بعد غد وأنه سيجتمع في السويس وقيل انه سيسافر الى الحجاز في طائرة وأنت أعلم بما كتب اليك وبما أجبت به .

ونهض آخرون للنصدي للامر والسمي لإرسال وفد من مصر وسبق الى ذلك حزب جديد سمى نفسه حزب الاتحاد العربي جميع أعضائه من جمعية الماسون بل من صغارهم والمعروف انه مؤلف من قبل يهود ليستعملوه في مطامهم الصهيونية وغيرها ونلاه عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين ف عقد اجتماعاً كنت من حاضريه وقد كانت كل ما قيل فيه موجهاً الى شيء واحد وهو الاسراع بتأليف وفد رئيسي إسلامي يتفق

مع حزب الاتحاد العربي ويضم اليه من شاء. ويسافر الى الحجاز للقيام بهذه المهمة وكان مما ادعاه خطبائه انه يمثل العالم الاسلامي كله ٠٠٠ وظهر ان اهم ما يقصده سبق وفد المؤتمر الاسلامي إما لإجباطه او لجملة تابعاً له ولما رأيتهم مصرين على انتخاب هذا الوفد في تلك الجلسة بالاقترح العلني وأهم ما فيه رئاسة عبد الحميد سعيد وانه متفق مع حزب الاتحاد العربي الماسوني الصهيوني وانهم لا يقبلون البدء بتأليف لجنة للبحث في الامر - خرجت من الجلسة قبل إعطاء الرأي في الانتخاب لانني لا أقبل على نفسي أن تكون غناء في هذا السبيل ولا أن أعارض فيه صديقي عبد الحميد سعيد وكان من أسرم أخيراً انهم قرروا تأليف الوفد والرئاسة وألّفوا لجنة أحمد الله انهم لم يعدوني من أعضائها كما اقترح أو مقترح لها وقد اجتمعوا مرتين بعد تلك الجلسة آخرها الليلة الماضية .

وقد كتبت أمس الى السيد أمين الحسيني بأنني لم أرسل الى الامامين تأييداً للمفاوضة لانني أيقنت أنها في مصلحة من يريد ٠٠٠ لاكتساب الوقت الى أن يتم التدبير السري الذي علمته من مصادر يمانية وحجازية واوروبية الخ . وبنظر أن يجيئنا يوم الثلاثاء (بعد غد) تفصيلات من الحجاز نكون بها على بصيرة تامة فإن لم تحضر أنت إجابة للحسيني كما قيل فاني سأكتب اليك بكل ما يتجدد وإلا رجوت أن أراك في السويس إن صح الخبر بمجيئك والسلام عليك أولاً وآخراً . أخيك

محمد رشيد رضا

وكتب في ٤ المحرم ١٣٥٣ و ١٨ أبريل (نيسان) ١٩٣٤ :

صبيدي الأخ الامير أمير البيان حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فقد ألتى إلي كتابك
المرسل من جنيف في ٢٢ ذي الحجة ٧ أبريل فكتبت اليك جوابه
عقب قراءته وأودعته في البريد ليرسل في البريد الجوي الى اوربة في ٩
أبريل « وقد صادف يوم شم النسيم هنا وهو يوم تعطيل » ولم ألبث أن
تلقيت برفيتك من أثينا في ١٠ أبريل فعلمت ان كتابي لم يبلغك قبل
السفر بالطيارة و كنت حسبت لهذا السفر العاجل حسابه فأمرت ابن اخي
ان ينسخ صورة من كتابي لأعطيك إياها عند ما نلتقي بمصر فنسخها في دفتر
ينسخ فيه صور بعض المکتوبات المهمة لا في ورق مستقل كما كنت
أريد وقد حملت الدفتر لاطلعت عليه عند التلاقي الذي كنت اتوقفه
فكان ما كان مما لم نتوقفه من الاسراف في الحجر . . . وربما كان لجاج
احد المحبين والباحثين وامرافهم في التحويم عليك وإغرائات الجلادوة
أو الشحنة الموكلين بك سبباً في اسرافهم ولهذا الاعتقاد تركنا الجلوس
تجاهك في الفندق بالسويس ظناً انهم يتركونك فيه ولكن ذلك المعتقد
لم يقند بنا فهذا حرماننا من التمتع برؤيتك في تلك الدقائق الثمينة فندمنا
وسئرى في كتابي بياناً لرأبي في كل ما كتبت إلي وأوله ما هو بمعنى
الفتوى بتحريم ما تجنيه على نفسك وصحتك وأهلك ومالك بكثرة المکتوبات
الشخصية والرسائل الى الصحف وبلبه الرأي فيما يجب في تأليف الخلل
السندسية الخ .

أما محمد علي لقمان فقد كتب اليه السيد عاصم بأن يرسل الينا بقية

ما عنده من الكتب بعنواننا في مصر . وقد وصل منه في جريد أوس
كتاب موثمن عليه فيه خمسة جنهات استرلينية (لا مصرية) حفظتها بعينها
وأمرت السيد عاصم أن يجرر لك حساب الكتب التي باعتهام مكتبة
المنار ويضيف اليه حساب لقمان هذا بعد وصول ما يرسله وما تنفق عليه
المكتبة ويبلغك الفذائكة حيث تكون .

وأما مسألة التنازع والتقاتل بين الامامين فقد بينت لك خلاصة
الحقيقة في كتابي الذي أرسلته الى جنيف وقد عرفت الآن كل شيء
بالتفصيل بالوثائق الرسمية من بنوعها وقد شرحت لآخوانك أعضاء الوفد
في السويس الحقيقة وبينت لهم مصلحة الامة العربية ومصلحة العالم الاسلامي
فيها ومن عرف المصلحتين حق المعرفة تبين له ان من الخطأ الكبير أن
ينظر في النزاع وما ينبغي من السعي الى الصالح كما ينظر في قضية اخوين
متنازعين في إرث مال أو عقار يبين الحكم فيها قسمته بينهما منصفة أو
إلزام أغنهما ان يسمح ببعض ما هو حق له للآخر . نعم ان العدل
هو أساس جميع الاحكام ولا يجوز الخروج عنه الا بالتراضي بين من
يراد الصالح بينهما وإنما الامر العسير تحديد الحق في أمثال هذه الدعاوى
السياسية وتحديد المصاحبة العامة فيها وهي الاصل الذي يجب تقديمه فيها ثم
تحديد العدل فيها وكل هذا يرجى من وفدكم الكريم بعد الوقوف على
الحقائق وملاحظة ما يكاد للمسلمين وللعرب ومن يقدر على حفظ حرمهم
المهدد والسلام ؟

رشد

وكتب في ٣ ربيع الآخر ١٣٥٣ :

سيدي الاخ الحبيب الامير المجاهد ادام الله توفيقه .

أحبيك مهنتاً بعودتك من سفرك الشاق في الهواء والماء والاعوار
والانجاء مجاهداً في سبيل الله وخدمة الاسلام وقوم محمد عليه أفضل
الصلاة والسلام ثم أهنيك تهنئة خاصة بلقاء السيدة الوالدة التي تفضل بنفسها
وولدها جميع الامهات وأهنتها بروثيتك معافى عزيزاً كريماً عظيماً نقاومك
كبرى دول الارض مقاومة من تحشى من الرجال ويشفع أعظم ملوك
الاسلام لدى أعظم ملوك الغرب أو الارض لك ولها بهذا التلاقي بما
عظم قيمته الروحية بهذه القيمة السياسية وأرجو ان تبلغها هذه التهنئة
عني المقرونة بالدعاء لك ولها وتقبل بدها عني وتطلب منها الدعاء الخاص لي .
هذا وانني كنت أرجو ان تفضل علي بكتاب من الحجاز أو من
اليمن تفيدني به ما لا أرجو مثله من غيرك في هذه الاحوال وخشيت
ان يكون المانع شيئاً لا أحبه فعسى ان تبشرني بما أحب العلم به .

وقد تقل عنك مراسل البلاغ من صنعاء حديثاً طويلاً أنكره جميع
الاخوان والمحبين هنا ورآه الأخ هاشم بك من الابطال التي لا تصدق
مستدلاً بأنكم ما تفارقتم هنالك . ومرسل الحديث غير ثقة بل هو من
رواة المنكرات والموضوعات بسوء النية فإن كان موضوعاً او محرفاً فالرجو
التمجيل بكتابة شيء بنشر في تكذيبه او تفنيده . وبإلغيتي كنت قادراً
على زيارتك والإقامة بجانبك الى آخر هذا الاسبوع الممنوح لك من غير
أن أزاحم السيدة الوالدة بأكثر من ساعة او ساعتين من كل نهار .

هائم بك أجاب دعوتنا ودعوة ضيفيه وغيرهم وعزم على إقامة مدة
في مصر يمكنه فيها مشاهدة عمراتها وهو حريص على لقاء الصديق إحسان
بك ونرجو كلنا أن يكون هنا كما كتبت الى إحسان بك والسلام عليه
وعليك وعلى سائر من تلقى من المحبين

أخوك

رشيد

وكتب في ١٢ ربيع الآخر ١٣٥٣ :

سيدي الاخ الحبيب امير البيان شكيب ارسلان عليه السلام
أهنتك مرة ثانية أفضل التهاني وأهنأها بالتلاقي مع السيدة الوالدة
وحظوتك بتقبيل بديها الكريمين وحظوتها بتقبيل وجنتيك المنيرتين
وبضمتك الى صدرها البر الرحيم شيخاً كبيراً وأميراً وقوراً كما كانت
تضمك طفلاً صغيراً وسماعك لترحيبها ودعائها المسنجاب ان شاء الله تعالى
ورؤية كل منكما لدموع السرور تترقق في مآقيكما وهي ألد وأشهي وأبهي
من كل ما يرى في هذه الدنيا من آيات الحب الخالص المخلص الذي لا
يعلوه في هذه الحياة ولا في الآخرة الا حب الله تعالى وقد رجوت في
تهنئتي الاولى منك أن تبلغها تهنئتي مقبلاً ليدنيا عني ومطالباً لها بأن
تشركني بشيء من دعائها لك جزاء على إخلاصي في حبك وإخلاصك
في حبي الذي به تعد والدة لي بالروح فاني لاشعر بذلك في صميم قلبي
ولو رأيتي الآن لرأت شاهدي على صدق قلبي في دموع عيني كليهما
تلمعان وتجريان بما هو أفصح من شهادتي القلم واللسان ، ثم أهنتك في المرتبة

الثانية يجهاذك بمالك ونفسك في سبيل الله وخدمة أمّتك وملتك .
ولقد رأيتني ليلة الخميس سابع هذا الشهر معكاً في القدس أو بالقرب
منكاً وان السيدة وافقتني فيما تحدّثني به نفسي من كتابة كتاب للمندوب
السامي بطلب السماح لك ببقائك بجانبها اسبوعاً آخر ٠٠٠ ثم رأيت في
الصحف ما صدق هذه الرواية^(١) . ثم انه قد تم تأويلها وأعود فأقول كما
قلت في كتابي الاول يا ليتني قادر على الحجى الى القدس ٠٠٠ وأرضي
من السيدة بمزاحمتها عليك ساعة واحدة من كل نهار .

طالت فترة الوحشة من المكتابة فلم تكتب الي رجوع ما أرسلته اليك
ولا مبتدئاً بالفضل كما تعودت منك وانك لا تقصر الا بهذر . وقد بلغنا
امس نبأ غريب أرجو ان يكون صحيحاً وان تكون غايته خيراً من بدايته
وهو انك دعيت الى الغداء انت والأخ احسان بك مع المندوب السامي
في القدس على مائدته وان جريدة البلاغ المصرية تنشر مقالا في هذا

(١) نعم كان صدر لي الاذن من الحكومة الانكليزية بالمرور بفلسطين
لمشاهدة سيدي الوالدة على أثر كتاب من جلالة الامام يحيى الى جلالة ملك
الانكاز رأساً مما أوجب صدور امر الملك بإعفاء الطلب فجاءتني برفقة من
المندوب السامي البريطاني في فلسطين اذ انا مريض في « أسمره » راجعاً من اليمن
بأنه يسمح لي بأن أمر بالقدس لاجل مشاهدة والدتي فيها وان ألبث فيها اسبوعاً
على أن لا أتعاطى السياسة مدة إقامتي هناك فأجبت بقبول الشرط وجئت الى
القدس ووافقتي الوالدة من جبل لبنان واذن لنا المندوب السامي بالبقاء اسبوعين
بدلاً من اسبوع واحد لكنه ألح أخيراً بلزوم السفر معتذراً بالراح
الفرنسي .

في مساء هذا اليوم^(١) أما وقد اتسع لك الوقت وحسنت الصحة فأرجو أن تخلص من السيدة الوالدة ومن الاخوان المرحبين والمحتفلين ساعة من ليل أو نهار تكتب إلي أم ما يهمني من أخبار شؤونك الشخصية وما يسمح به الوقت من المسائل العامة الاخيرة وان لديكم الآن خلاصة اخواننا السوريين والفلسطينيين . ولا تنس أن تكتب لي كلمة في السياسة الابطالية الجديدة بعد تلافيك وإحسان بك برجالها وزعيمها الأكبر موسوليني^(٢) .

(١) الصحيح اننا شربنا عنده الشاي .

(٢) سبق للاستاذ من سنة ١٩٢١ سمي لدى ابطالية في أن يكون بينها وبين المسلمين تواذ هو من مصلحة الفريقين . وكان الاستاذ نظر في ذلك الى قوله تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين » . ونحن ما تفاهمنا مع موسوليني الا بعد أن رأينا انه لم يبق سبيل الى المقاومة بالسلاح وأن بقاء الحالة على ما كانت عليه آبل الى انقراض الاسلام من القطر الطرابلسي فرجعنا طريقة المسألة على شرط إعادة المشردين من العرب وإرجاع الاوقاف والاراضي المضبوطة والعفو عن المحكوم عليهم والمسيحيين بسبب الجهاد السابق واشراك الاهالي في إدارة البلاد ومنع الدعاية الدينية المسيحية بين المسلمين وتسهيل رجوع المهجرين الى أوطانهم وغير ذلك مما شرحناه في الصحف مراراً وقد ثم أكثره والباقي هو في طريق الانجاز . ولا نعلم سبباً يمنع من مسألة العدو لاجل مصلحة الاسلام والنبي صلى الله عليه وسلم صالح المشركين في الحديبية والخلفاء والملوك الذين تولوا أمور الاسلام من الف وثلاثماية سنة لم يزالوا يحاربون أعداء الاسلام ويصالحونهم اذا تبينت لهم المصلحة في الصلح -

في إهرام هذا اليوم بركات في تأخير مقالتي للتيسر صرحت فيها بالخطر
القريب على فلسطين تصرّحاً لم نعهد منها قبل وإنما لم أن الأمر أعظم والخطر
أقرب ورأيت فيه اليوم هو رأيي من أول يوم يعرفه السيد أمين وأسمد
أقندي داغر فأسألها عنه .

لم يحدثني أحد من اخوانكم أعضاء الوفد عن مودتك وحسن ظنك
إلا محمد علي باشا علوبة ولا سيما بعد أن اجتمعنا بدولة صديقنا المخلص
الانامي وقد علمت من حديث الانامي ومن حديث مردم بك قبله ما ربما
تأتي له مناسبة بعد . ومردم بك أذكى جماعة دمشق وأكثر الاذكياء من
حزبه ولا يضاهيه من اخواننا في ذكائه وتصرفه إلا رياض بك^(١) هذا
ما سمح به الوقت والسلام عليك وعلى من لديك من اخيك

رشيد

— وفي السنين الاخيرة تعاهدت العراق مع انكثرة ثم تعاهدت مصر معها ثم
تعاهدت سورية مع فرنسا ولم يجد أحد من عقلاء الاسلام هذه المعاهدات مما
لا يجوز شرعاً ولا عرفاً واننا نقدر أن نصرح وضميرنا مستريح بأن الذي نلناه
يحمين التفاهم مع موسوليني سواء في معاملة ايطالية للطرابلسيين أو لمسلمي الحبشة
لم نلله أحد قبلنا من الشرقيين من دولة اوروية فأما التشدد بالحال والقذف
بالباطل فليس مما بغير حقيقة ولا بما يعني بصيرة صادقة « فأما الزبد فيذهب جفاء
وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » .

(١) لا جدال في ذكاء هذين الزعيمين بل في تفوقهما بالذكاء .

وكتب في ١٧ جمادى الاولى سنة ١٣٥٣ و ٢٧ اغسطس ١٩٣٤ :

سيدي الأخ الامير أدام الله توفيقه وأطال حياته

أبطأت بالكتابة اليك بعد عودتك الى اوروبة اذ كان جاءني كتاب من الاخ احسان بك بأنه سيسافر معك عن طريق بور سعيد ويجب أن ألقاك فيه بالباخرة التي تحملكما وانه سيرسل إلي كتاباً آخر يذكر فيه يوم وصول الباخرة ومدة مكثهما في ذلك الثغر . وجاء بعده كتابك الاخير من القدس وفيه خبر سفرك وما حدث من بعض الوطنيين فكان سبباً لتدخل فرنسة في مكثك وما أفضي اليه من تعيين الحكومة ليوم السفر ولم تذكر فيه شيئاً عن احسان بك . وتلا ذلك سفرك وبقاؤه في القدس . ثم بلغني من الدكتور شيندر ان احسان بك يوشك ان يلم بمصر منصرفه من القدس فعزمت على أن أحمله الجزء الذي عندي لك من الاكليل مأخوذاً بالعكس الشمسي من برلين وتوفير اجرتة مسجلاً بالبريد وهو ما يتقل علينا في هذه الايام . وكذا ما دونه . ولكن احسان أحسن الله الينا واليه سافر عن طريق الاسكندرية ونزل فيها ولم يخبرني قبل ذلك لألقاه فيها .

لقد صرت أكره وأستثقل أن أزعجك بأخبار عسرتي في كل كتاب وكنت أنتظر في هذه الايام يسراً ما بغينني عن ذكرها فلم يزد إلا شدة حتى ان عمال المطبعة تركوا العمل في هذين الاسبوعين وصرت أفكر في ابطال اصدار النار . وان ذكر هذه الكلمة في هذه الفكرة أثقل على نفسي من الجبل اذا انقضت علي .

الى ان يقول:

واعلم يا أخي أن ثقتي بالله تعالى ورجائي بفضله وقولي عليه كما تعلم من قبل .

وأعود الى الكلام فيما خلقت له من امور الاسلام والمسلمين الذين يكذب الكثيرون منهم على الله بدعوى الاسلام أو يكذب الحكام والجغرافيون بتسميتهم مسلمين فأقول: ما فعل مؤتمر مسلحي اوربة الذي عهد اليكم به؟ أنا أعتقد اعتقاداً اجمالياً انهم خير من مسلحي مصر وسورية والعراق وسائر الامصار الشرقية من صلابة العقيدة بقدر علمهم القليل وان خير ما يجب أن يرشدوا اليه تعلم العربية وتسهيله عليهم ثم إمدادهم بالكتب الاصلاحية الدينية ككتاب الوحي المحمدي وخلاصة السيرة المحمدية وتفسير المنار .

الى أن يقول:

ذكرت لي في الكتاب الاخير انك كتبت الى الحلبي ان يطبع لي نسخة من كتابك الجديد « غزوات العرب » وما كنت سمعت باسمه ولا بصدوره ولما يصل الي الكتاب من قبلك ولا من قبل الناشر وهو وأولاد عمه لا يهدون كتبهم الى الصحف وعبد العزيز أفندي مسافر والسلام عليك ورحمة الله وبركاته من اخيك

رشيد

وكتب في ١٢ رجب ١٣٥٣ و ٢١ أكتوبر ١٩٣٤ :

سيدي الاخ الامير حياه الله تعالى

في هذه الساعة وهي الحادية عشرة من يوم الاحد التي الي جوابك
عن كتابي « رقم ١٧ حمادى الاولى » مؤرخاً في ٦ رجب وعجبت من قولك
فيه ان في كتابي تأخيراً كثيراً وتعليك ذلك باحتمال نسيانه مدة قبل
وضعه في البريد فان صح هذا الشغل فالنسيان من السيد عاصم فاني
اعطيه ما اكتبه ليرسله في وقته ونارة اعطيه للمكبة ان كتبت عنوانه
ولكن هو الذي يكتب عنوانك دائماً والخطب سهل والحمد لله على وصول
الكتاب ووصول جوابه وإن أبطأ وقد مررت بأخباره كلها . وأسأل
الله تعالى أن يزيدكم عافية وقوة وتوفيقاً ويسراً .

وأبشرك بأن صحتي في هذا الخريف خير مما كانت في الصيف وقد
كان الصيف خيراً مما قبله . ومن أنفع الاسباب لهذه الصحة ترك أكل
الطعام في العشاء والاقتصار على الفاكهة أو زيادة قليل من اللبن الحليب
أو الرائب ولا أنسى فضل الدكتور شهنيدر بإرشاده ووصفه لي علاجاً
ذهب باستعماله بعض أعراض الرثية وضغط الدم .

وعلمي الآن تضاعف في غير ارهاق ولا شطط وقد تنهت لغفاتي عن
إضاعة كثير من عمري وأكثره في غير الانفع لي في رزقي والانفع للمسلمين
في دينهم أو الانفع للبشر في بيات الاسلام وهو كتابة تفسير مختصر
للقرآن العظيم يفهمه كل قارئ ويرجى أن يعتبر به وهو ما يطالبني به
الكثيرون من العلماء ومن دونهم وكنت أسوف في وعدم غافلاً عن

الشيخوخة وقرب الاجل أو العجز الذي سبقت الى تذكرنا به فأكثر
حتى غفلتكم .

فالآن قد شرعت في اختصار الاجزاء التي طبعت من التفسير بما
أرى انه أنفع لجاهل القراء . فبلغت النصف الثاني من الجزء الرابع .
وأرجو أن أشرع في الطبع بعد إتمام اختصار الجزء الخامس إذ عازمت
على جعل المختصر ثلاثة أجزاء في كل واحد منها ثلث القرآن الكريم
وقد طبعت من الثالث الثاني تفسير جزء ونصف جزء إذ بدأت باختصاره
من أول الجزء الحادي عشر الذي تم طبعه مطولاً في الحرم من هذا العام
وإذا وقفنا لطبع الثلث الاول بعد بضعة أشهر وصدر فالمرجو ان يكون
رواجه عظيماً جداً لان جميع الطبقات من القراء يرغبون فيه إذ لا يوجد
في العالم الاسلامي تفسير مختصر محرر خالٍ من الاصطلاحات الفنية
العربية والشرعية والجدلية والروايات الخرافية .

ولكن عليّ أن أتم قبل البدء بطبعه ثلاثة كتب منها ما طبع بمضه
وهو كتاب « الربا والمعاملات للمالية في الاسلام » الذي أبين فيه ان أكثر
ما كتبه الفقهاء من جميع المذاهب في هذا الموضوع ليس من الدين ولا
يجب على المسلمين اتباعهم فيه وكتاب « المنار والازهر » وقد طبع
أكثره . وثالثها الجزء الثاني من كتاب « الوحي المحمدي » الذي وعدت به
في تصدير الطبعة الثانية منه . وقد شرعنا في هذا الشهر بإعادة طبع تفسير
الفاتحة ومنطبع معه تفسير سورة الاخلاص للاستاذ الامام رحمه الله تعالى
ومقالاته الثلاث في المسائل المشككة في التفسير .

ولا يمكنني المضي والامراع في إتمام هذه الكتب والتفرغ للتفسير

المختصر إلا بترك إصدار المنار في السنة القابلة . فالمنار بقتال معظم السنة في تحريره وتصحيحه وإصداره ومكانة المشتركين والمستفيدين وهو منذ عهد الحرب الكبرى لا يأتي بنفقاته وقد استحل أكثر المشتركين ما عودناهم عليه بسوء إدارتنا من عدم إياه مجاناً وقد بالغنا منذ اشتدت العسرة في هذه الأعوام الأخيرة في استمطافهم بل استجدائهم بدفع ما تيسر لهم من المستحق عليهم فلم يرجع أكثرهم لنا قولاً ولا اعتذاراً . فعزمت على أن أعلن في آخر هذا المجلد وهو الـ ٣٤ طلب إجازة سنة من القراء لاجل التفسير المختصر . . .

ولكن أكبر العوائق عن طبع الكتب الثلاثة والتفسير المختصر مع الاستمرار على كتابة المطول وطبعه هو فقد الدراهم فإن جميع نفقات علينا . وليس لنا مورد مالي إلا من مطبوعاتنا وهو لا يكفي لنفقات الدار والمطبعة والديون المقسطة والمال يجذب المال . فلو أمكننا أن نبدأ بطبع الثلث الأول من التفسير المختصر أولاً لكان لنا من رواجه المنتظر ما يساعدنا على غيره . ولكننا نحتاج إلى ٤٠٠ أو ٥٠٠ رزمة من الورق له لأنني أقدر أن يكون بين « ٨٠ إلى ١٠٠ ملزمة » والذي سيطلع منه أولاً خمسة آلاف نسخة .

وفي يدي الآن كتاب ثالث هو ضروري أيضاً وهو عقيدة في بيان حقيقة الإيمان والاسلام لاجل الخواص والعوام . ومن العجائب أنه ليس عند المسلمين كتاب وافٍ بهذا الغرض يفهمه كل من قرأه أو سمعه . وقد كنت كتبت هذه العقيدة من زهاء ربع قرن ولم أتمه ولما بدا لي أن أطبعه في هذه الأيام وجدت من الضروري أن أبدأ فيه وافصل

ما ذكرته في أوله من معنى الايمان والاسلام بما يعرف به حال من بدعونها اليوم والملايين منهم غير مسلمين ولا مؤمنين . هل يوجد الايمان بدون اسلام والاسلام بدون ايمان ؟ وكون الايمان الصحيح يقتضي العمل بالضرورة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وفيه بيان حكم من يعتقدون صحة نبوة محمد (ص) ولا يتبعونه من غير من يسلمون مسلمين ومنهم غاندي الشهيد . . .

في ١٣ رجب ١٣٥٣ الموافق ٢٢ أكتوبر ١٩٣٤ :
هذه العقيدة كتبت بأسلوب السؤال والجواب وفي اثناء كتابتها من سنين قد شرعت في كتابة عقيدة اخرى للمتعلمين في المدارس بأسلوب المحاوره بين عالم ديني وولد له تعلم التعليم المصري وأخ له وام لها . وأطلعت شيخنا رحمه الله على بعضه فسر به سروراً عظيماً . ثم لم أكتب منه الا بعض قسم الآليات وان فرغت يوماً لمراجعة تفسير آية الكرسي من جزء التفسير الثالث تجد فيه جملة من هذه العقيدة في تفسير « الحى القيوم » وكان غرضي أن اتبع هاتين العقيدتين بكتابة رسالة في العبادات أجعل أصلها بيان ما أجمع عليه المسلمون في كل عبادة وأذكر في ادنى ذلك او حاشيته اشهر ما اختلفوا فيه مما ورد في الاحاديث دون اجتهاد الرأي فان التحقيق ان الرأي والقياس لا يثبت به شيء من العبادات . وهذه الرسالة لما كاشفت شيخنا رحمه الله بها ألح علي الحاحاً شديداً بالمجمل بها . وكذلك زميله للرحوم حسن عاصم باشا كما فصلت ذلك في الجزء الاول من التاريخ . ومنه رسم بعض ما كتبنا الي في ذلك بخطها . وكان مرادها تدريس هذه الرسالة في مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية وتوفياً قبل ان أحقق لنفسي ولها هذه الامنية .

وإذا أتيح لي بسط القول لك في موضوع هذه الرسائل لعلمي بأنه
يهلك ويميتك أذكر لك بالاجمال الموجز الاساس الاعظم للاصلاح
الاسلامي الذي لا أعلم أحداً سبقني الى التفكير فيه فضلاً عن البيان
لبسطه والاهتمام لتنفيذه وهو جمع كلمة المسلمين على أن يكون الدين
الجامع لهم الذي يلقنه كل أحد منهم هو ما أجمع عليه أهل الصدر الأول
وأن يكون ما اختلف فيه أئمة المذاهب وغيرهم من العلماء متروكاً الى
المطلع على أدلتهم من الافراد . فمن اقتنع بدليل منها عمل به من غير
دعوة اليه وجعله مذهباً يتمصب له طوائف من المسلمين بنفردون به
دون الجماعة وبهذا تبطل عصبية المذاهب ثم يكون البحث في اختلاف
علمائها كالبحث في مسائل العلوم والفنون اللغوية والعقلية والكونية ...
هذا المعنى بينته مراراً ربما تتجاوز المثات لعل أولها بحث الوحدة الاسلامية
في مقالات المصلح والمقلد التي نشرت في السنتين الثالثة والرابعة من النار
وطبعت على حداثها مرتين ولم يستنكرها ولا رد عليها أحد من العلماء .
ومنتهى حظي من الاصلاح الاسلامي الذي أنفقت حياتي كلها في الدعوة
له أن أنقذه ولما أجد أحداً من أصحاب المهتم العالية يساعدني على تنفيذه .
وإني أذكر لك أهم أعذار في التسويف في كتابة الرسالة التي بالغ
شيخنا في مطالبني بها ثم ما عزمت عليه الان في من الشيخوخة وبأصفاً
على غفلة الشباب وآماله وطول حبليها وقد لجأتني في الكهولة الحياة الزوجية
والعيال والاضطرار الى الكسب من طبع الكذب التي كان منها المطبوعات
السعودية المشترط فيها تصحيجي لاصولها فقد كانت من غير شعور مني
تفتال من عمري ولو أتممت فيها التفسير وغيره من كتيبي الاصلاحية

لكان ربحها أكبر فإن ما يسلم لي من طبع الكتب قليل .
أبدأ قبل إتمام الكلام في الإصلاح ببيان حالنا المالية ليتضح العذر في
تأخير التنفيذ ولا يطول الكلام في موضع واحد

وكان الربح العظيم والنفه من هذه المطبوعات انها جراتني على شراء
الدار بالتقسيط لتكون مستقرّاً للعيال إذا جاء الاجل وهم صفار وكان
القسط السنوي بمد دفع المقدم من الثمن زهاء أربعمائة جنيه في السنة
على مدة ست سنين . ولكن كان القسط الشهري من نفقة مطبوعات
جلالة الملك مائتي جنيه فلا خوف من العجز لو ظلت المطبوعات متصلة
ومن يعلم ما خبأه انقدر للبشر «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من
اخير وما مسني السوء» فجاءتنا العسرة وانقطعت عنا مطبوعات الملك
وغيرها اذ كان قد اشتهر ان مطبعة المنار لا تطبع غير مطبوعاته
ومطبوعاتها الخاصة . وركبتنا ديون فوق أقساط الدار التي صارت تزيد
كل سنة بما يضاف اليها من فوائد التأخير وغيرها من انواع (المصاريف)
التي لا تحظر ان لم يتدل بماملة المرابين ييال ومنها نفقات الذور والحامين
للذين يكفون المطالبة ورفع الدعوى وتنفيذ شروط الرهن ببيع المرهون
بالمزاد وقد تكرر هذا وكنا نرضي شركة الرهن كل مرة بدفع مبلغ
من المـنتحى لتأخير التنفيذ . . الى ان مددنا حسابها في اوائل هذه السنة
الميلادية برهن جديد للدار على الف ومائتي جنيه بفائدة ٩ في المئة لمدة
ست سنين يستحق القسط الاول منها في مايو سنة ١٩٣٥ وهو مائتا جنيه
تضاف اليه فائدة السنة ١٠٨ جنيهات وخسرنا في نفقة هذا الرهن الجديد
زهاء مائة جنيه أيضاً ولو كان معنا ٣٠٠ جنيه لكانا في غنى عنه .

(الى أن يقول) : كان السيد الحسيني أخبرني عن الشيخ يوسف ياسين ان جلالة الملك قرر شراء نسخ من الوحي المحمدي وتفسير المنار بمبلغ ثلاثماية جنيه ثم كتب الى الشيخ يوسف بعد انتهاء الحرب ان النفقات على جلالة في تسريح الجيوش اكثر من أيام الحرب لان من عادته — أن يعطي جميع افراد الجيش وقوادهم عند الرجوع الى اهلهم مبلغا من المال يوسع به عليهم وكتب أيضا قبل ذلك انه سيبدأ بالاصلاح الحكومي الذي بعدنا به دائما في اوائل السنة الآتية .

المائل الى من الفصل التفصيلي لاصلاح الاصمالي

في المسائل المجمع عليها خلاف كثير وللحفاظ فيها مصنفات لا يوجد عندنا منها شيء إلا ان يكون في بعض المجاميع المجهول ما فيها بدار الكتب او في بعض المكاتب الخاصة وجميع العلماء المحدثين ينقلون عن كتاب او كتابين لابن المنذر يوجد أحدهما في مخطوطات خزائن الاستانة ولابن حزم كتاب آخر استدرك عليه ابن تيمية بكتاب خطأ فيه بدوى الاجماع في مسائل كثيرة . وقد ظفرت بهذا الكتاب مخطوطا وما زلت أبحث عن اصله لابن حزم حتى علمت بوجود نسخة منه في الاستانة وبأنه تنقص منه ورقة من آخره وقد صافر في الصيف الى الاستانة حسن بك عبدل فؤاد بك سليم صديقنا الذي بقي مع فؤاد بك في داره فكفنه أن يسي لاختذ صورة عكسية منه . فان فعل فاني أطبعه مع كتاب ابن تيمية فيكون أكمل كتاب لنا في بابہ وأضع له مقدمة في بيان ما هو ديني وما هو غير ديني من مسائل الاجماع ويكون حجة

لي وسندا في سائر كتبي الاصلاحية ويكون وضع رسائل التبادلات والمحرمات القطعية سهلاً ويبقى الصعب تعميم الدعوة للاصلاح ونشر ما يكتب ويطلع من أصوله وفروعه ويشوق هذا على وجود اعوان من المسلمين اصحاب العزائم في كل قطر وعلى وجود مركز وحدة عام وعلى تفقات وعلى نظام عام وهذا ما أفكر فيه منذ سنين .

مركز الوحدة العام للاصلاح الاسلامي

للمركز الطبيعي المعقول لهذا العمل هو الحجاز ولكن لا نعرف أحداً في الحجاز يصح أن يكون عضواً في هذا المركز الا صديقنا الشيخ محمد نصيف . ويمكن ان يكون من العاملين فيه الشيخ محمد عبد الظاهر امام الحرم وخطيبه^(١) والشيخ محمد حمزة المدرس فيه وفي دار الحديث الجديدة ومما من تلاميذي وقد يوجد غيرهم ولكن لا يصلحون لادارة المركز العام وبث الدعوة فالحجاز في هذا العصر هو مكة والمدينة وعبد العزيز الفيصل الملك .

وبلي الحجاز مركز مصر ففيها كثيرون يفهمون وينطقون ويكتبون ولكن ليس فيها احد من اصحاب العزائم والشجاعة المؤهلة لهم لهذا الجهاد ولا يكاد احد من عقلائها يثق بأحد يرتبط به ويصلح للعمل معه والروح المستحوذ على جميع حكامها وكبراء الدنيا والدين فيها هو التمتع بالشهوات

(١) نعم الشهم الفاضل الفطريف المسارع في الخيرات الشيخ محمد نصيف . ونعم الشهم العلامة الكامل الشيخ عبد الظاهر ابو السمع خطيب الحرم المكي وامامه فقد اسعدنا الحظ بصداقة كل منهما ولا نرى السبب يخطئ في انتقاء الاصحاب .

والذات وقد فضحت حكومتها وزارة ٠٠٠٠ بجرأتها على تزوير مجلس
نواب ومجلس شيوخ وحكومة مستبدة سلاية نهابة أفسدت كل شيء
حتى القضاء وأذلت الوفد المصري الذي يخضع له السواد الاعظم من
الشعب فافتتح الانكليز بأن ثورته كانت ثورة أطفال وجاءت وزارة بعد
إسقاط السراي لوزارة ٠٠٠ أمكنها على ضيقها المحافظة على استبداده
واستعباد الامة بالنبح لها لرجل واحد من السراي فال ذلك الى شروع
الانكليز في وضع سيطرتهم على الحكومة والسراي معا وهو ما نرى
تفصيله أو تفصيل ظواهره في الجرائد المصرية .

كنت كلفت السيد أمين الحسيني عند سفره الى الشرق لأجل
المؤتمر الاسلامي أن يكتب لي كشفاً بأسماء وعناوين أعلى من يرى من
الرجال في سياحته همة وغيرة وعزماً في كل البلاد التي يطوفها فكتب
ولما عاد من جزيرة العرب قال ان خير من رآه فيها السيد عبد الله الوزير^(١)
وانه ذكرني له تمهيداً للمكاتبة . والسلام
أخوك

رشيد

وكتب في ٢٤ رمضان ١٣٥٣ و ٣١ ديسمبر ١٩٣٤ :

سيدي الأخ الكريم والولي المحيم

أهنتك بالكمال عدة الصيام واستقبال عيد الفطر وبانقضاء العام الشمسي
الميلادي عليك وأنت ماضٍ في جهادك منصور سيف جلاذك أعاد الله عليك

(١) ولا يوافق السيد أمين الحسيني أحد قبلنا على هذا .

هذه المواسم الدينية والاعوام السياسية متممةً بكمال الصحة والعافية والنعم
الضافية على خير ما تحب لنفسك وولدك وقومك وأمنك وملتك في عمر
طويل .

الى ان يقول :

وأما الاستجابة الاولى للدعاء والتسخير الذي لم يكن يحسب ولا
يخطر ببال فهو قد كان قبيل رمضان أيضاً من سنة ١٣٥١ : خلا الوطاب
ونقد ما في الجراب وكثر الطلاب فلم أشعر إلا بظرف الكتاب يرفع
إليّ في حجرة السرير وأنا موعوك فيه أكثر من ثمانين جنهما لم أعلم من
أين هو ثم بلغني عامل المكتبة وكان عاصم مسافراً على عادته ان هذا
المبلغ من كتيبي في الجزائر راجع حسابه فوجد هذا المبلغ متأخراً عنده
فدفعه وهو عائد من الاستانة الى الجزائر ٠٠٠ ثم تبين انه كان غلطاً في
الحساب وإنما عليه ثمانية جنيهات وبعد عودة السيد عاصم راجعه في الحساب
وسدد له المبلغ أقساطاً .

إنما أخرت الكتاب اليك لأجد وقتاً واسعاً أكتب فيه ما أراه
مفيداً في موضوع كتابك فاذا بهذه المسألة تلقف جل الوقت الذي خصصته
له وقد تضاعف العمل فيه وهو في كل يوم يزداد وأنا مضطر في الايام
الخمس الباقية من رمضان الى تصدير جزء النار السادس وإتمام طبعه في
الاسبوع الماضي والى اتمام طبع تفسير سورة الفاتحة والعصر الذي زدت
عليه في هذه الايام تفسير السور الخواتيم التي يقرأها أكثر المسلمين في
الصلاة وهي العصر والكوثر والكافرون والاخلاص والمعوذتان وسيرسل
اليك في البريد الآتي ان شاء الله تعالى وقد أرسلت اليك قبل هذا

كتاب «المنار والازهر» الذي صدر في أواخر شعبان وأرسلت الى عجاج أفندي كتاب الاكيل مسجلاً .

ثم وصل نهار أمس «الاحد» كتابك الثاني فأرأيتك تطلب مني فيه أن أرسل اليك نسخة ديوانك الاول (الباكورة) ظناً منك انه عندي لعلك فهمت هذا من ذكر بعض أبياته في مدح شيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وإنما كان أطلعني عليه في طرابلس وأنا تلميذ فيها المرحوم محمود أفندي الكحيل لحفظت بعض أبياته بغير تمحمد وكان هو اول ما حبيك إلي ولعله يوجد عند بعض الادباء في بيروت أو طرابلس وتطلب ديوان عبدالله باشا فكري وديوان محمود باشا سامي وسأسل لك عنها بعد رمضان إن شاء الله تعالى . واما مجلة الزهور فكان يصدرها أنطون بك جميل رئيس تحرير الاهرام اليوم وسأسله إن شاء الله عن قصائدك والسبيل الى نسخها .

الامام يحيى أرسل الي كتاباً ذكر فيه انه كان أرسل من مدة طويلة كتاباً أخبرني فيه بوصول كتاب الوحي المحمدي وفيه حوالة وطلب فيه إرسال تفسير الكبير الشهير اليه ولما طال الامد ولم ترد الافادة كتب هذا (استعلاماً واستنجازاً وتجديداً للعهد) فالظاهر أن عماله لم يرسلوا الكتاب وقد أرسلت اليه أجزاء التفسير وكتاباً مسجلاً وما ذكرتموه من كتابتي في أيام الحرب كان رأياً منقولاً وسأبين الحقيقة في هذا في كتاب آخر والسلام

أخوكم

رشيد

وكتب في ٥ شوال ١٣٥٣ الموافق ١٠ يناير ١٩٣٥:

سيدى الاخ الامير حفظه الله وأمتع به ونفع بعلمه وقلمه

وخذل عدوه

السلام عليكم ورحمة الله تعالى . وصل أئس « الاربعاء » كتابك الثاني
الخاص بمألة الطعن في الجرائد وقد وصل الاول في يوم العيد « الاحد »
وقد زارني فيه صباحاً ابو الحسن وتكلمنا قليلا في المسألة لكثرة
الناس ووعد بالعودة ورأيت مقالته و كان أخبرني بها . ثم زارني في المساء
الدكتور حسني أحمد وهو حر الفكر متدين صدوق فكلمته في المسألة
وجوب التعاون معه على تلافيتها ورأيت له بأن الدكتور أحدث
شيئاً من كتابة ولا إغراء وان كان مستنكراً مساعدة الطليان والتنويه
بهم وانه هو أيضاً مستنكر لمقاتلهم في صحيفتكم الفرنسية وقد رأها
وقال ان أسعد افندي قال وهو صديق الامير ومن حزه إنها لا تليق
به في مركزه من الزعامة وهاضيه في حملاته على الطليان وان كانت في
نفسها مما يكتب ولا ينكر^(١) الخ... ووعدني الدكتور حسني بأن

(١) الجواب على هذا مختصر في قوله تعالى : « لا يجرمنكم شأن قوم

على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »

سرنا بمصوع وصعدنا الى « أسمره » فجاء للسلام علينا أعيان المسلمين هناك
من حجازيين ويمنيين وهريريين وأجاش فسألناهم سرراً وعلناً ومنفردين ومجتمعين
عن أحوالهم فأجابونا عن كل شيء تفصيلاً ولم نسمع منهم شيئاً يسوء المسلم
سماعه . فروبنا ما سمعناه بحرفه ولم نزد عليه كلمة ولم ننقص منه كلمة حتى تعلم
دول الاستعمار اننا ننشر حسناتها كما ننشر سيئاتها واننا نزن بالقسطاس المستقيم

ميجيئي لعقد جلسة سرية بيننا للبحث في المسألة والاتفاق على ما يجب لاجل المصلحة الوطنية وما ينبغي اكل مخلص أن ينصح لاصدقائه فيها ثم تكلمت مع الاستاذ الزركلي فيها فقال انه لم يثبت عنده ان الدكتور شهنذر كتب أو أغرى المليجي بالكتابة وهو يرجو أن يعرف الحقيقة من صديقه المازني الحرر

— ولا نبخس أحداً حقه فترغب في العدل والنصفة وتحسن معاملة المسلمين وتكف عن عسفهم لأن الامم التي تستوي عندها الحسنات والسيئات هي جديرة بأن لا تنال وطراً وبأن تفقد مكانتها في نظر الناس . فكانت من نشرنا تلك الاقوال التي سمعناها من أفواه مسلمي الاريتره أن قام كثيرون يزنوننا بمهالة إيطالية ويشتمون علينا في نقل ما سمعناه بحرفه بحجة انه ولو كان حقاً لا يجوز لنا أن نعترف لدولة من دول الاستعمار بحسنة ولا أن ننسى إرهابها للمسلمين عسراً والحال اننا لم نكن في شيء من موضوع الاستعمار العام ولا في حالة المسلمين الذين تحت حكمهم على إطلاعها وإنما هي ذكر حالة معينة في قطر من الاقطار المستعمرة أردنا أن نشهرها حتى تعلم دول الاستعمار اننا لسنا بكما ولا عمياً ولا صماً واننا نصف الجليل كما نصف القبيح واننا نعمل بقول كتابنا : « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » . فلقد روى لنا مسلمو الاريتره فيما رروا انهم متمتعون بحريتهم الدينية التامة وان التبشير المسيحي ممنوع بتاتاً عندهم بين المسلمين وان مبشراً تعرض للمسلمين خبسته الحكومة الايطالية وأنذرت به بأن لا يعود وأطلقت سبيله فلماذا به رجع الى شأنه الاول فعند ذلك طردته من البلاد .

أفترى كان يكون أحسن لو أن ايطالية سمحت للمبشرين بالدعاية الدينية المسيحية بين الاسلام وأبدتها ونصرتها بنفوذها السياسي كما يفعل الانكليز في السودان والاوغانده ؟ أفلو كانت ايطالية أرادت أن تفعل هذا أكننا قادرين على منعها ؟ لقد نصّر الكردينال لافيغري ورهبانه ألوفاً من المسلمين في جزائر —

في البلاغ مع اللبيجي ويخبرني ما يقف عليه . ولما وصل كتابك الثاني أمس وكنت مدعواً الى حفلة ابي الحسن لشرب الشاي في حديقة الحيوانات مع جماعة كبيرة من الاصدقاء احتفالاً بجماعة من أصحابه الفلسطينيين ذهبت في المساء وأخبر كل منا الآخر بكتابك الجديد وقال انه سيذوري في دار النار ثم جلست منفرداً مع اسعد داغر فألفيته مستبعداً ان يكون الشبنندر فعل شيئاً قلت ومن أين له بهذه المعلومات التي نشرت قال يجوز ان تكون من غيره وقال ان شبنندر ليس له علاقة بجريدة الشعب السورية أيضاً واما مسألة صور مכתوباتكم الى الخديو فيعرفها كثيرون في الشام وقليلون في مصر وهو قد رآها وقال انه قد استاء من مقالة لكم جديدة في صحيفتكم تنصرون بها ابطالية على الحبش وتعظمون شأن موسوليني وهذا كثير جداً على شخص الامير شكيب والوفد السوري وانه كتب بهذا كتاباً الى الاخ احسان بك . هذه جملة ما وقع لي مع الاخوان في المسألة وسأعود معهم كلهم الى تمحيصها وأخبركم بما يتم .

ذكرت لكم في كتابي المسجل ما عزمت عليه لموافاتكم بمطالبكم الادبية وقد كلفت اسعد داغر فكلم انطون بك جميل في قصائدكم المنشورة في مجلة الزهور فوعده بأن يعطيه مجلدات المجلة ووعدني اسعد باستنساخ ما يجده

— الغرب فهل قدر أحد من المسلمين أن يمنع هذا الامر ؟ وتنصر في بلاد الجاوى مئات الوف من المسلمين على أيدي الجمعيات التبشيرية التي تمدها الحكومة الهولندية . فمن قدر من المسلمين أن يحتاج على ذلك فضلاً عن أن يمنع ؟ أفنكون كفراً اذا قلنا لا ايطالية : شكراً لك على منعك لتفصير المسلمين ؟ ان هذا المعجب عجاب .

فيها وكلفت آخر بأن يسأل الكتبية عن ديوان عبد الله باشا فكري فانه
لا يوجد الا لقطة من التروكات وعن ثمن ديوان البارودي وشأشترهما
إن شاء الله والسلام عليكم وعلى نجلكم ورفيقكم احسان بك وأدام الله
توفيقكم ؟

رشيده

وكتب في ١٩ شوال ١٣٥٣ الموافق ٢٤ يناير ١٩٣٥ :

صيدي الأخ المجاهد في سبيل ملته وامته ووطنه نصره الله وأطال
عمره موقفاً مؤيداً

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد ألتقي إلي أمس
كتابان منك وأول من أمس كتاب والمهم منها هو الاخير بما فيه من
مسألة مسلحي الحبش وأما مسألة ايطالية وما كتبتموه عنها في مجلتكم وما
نشر هنا فلعله انتهى بما كتبه ابو الحسن قبل ثلاث فلم يبق ولم يذكر من
تصريح وتعريض وهو يصل اليكم منشوراً في الجهاد قبل هذا وأسمد
أفندي أمره سهل فهو صديق لا خصم وإقناعه ببعض ما كتبتم قريب
وقد قال قبل ولن كله من المستنكرين لما نشرتم في مجلتكم انه في نفسه
غير منكر^(١) ولكنه غير لائق بمقامكم^(٢) وفي وقوفكم الدفاعي وجهادكم

(١) اسمد افندي داغر هو اعقل وادري بالسياسة من ان يدعي وجود
ما يستنكر في كلامنا عن هذه المسألة.

(٢) أي بحسب القاعدة الجارية التي معناها ان الزعيم الوطني لا يجوز له -

للمستعمرين وقد ذكرت له امس بالتلفون مضمون ما كتبتكم لي في مسألة
- بحال من الاحوال أن يعترف للعدو بعمل صالح وانه إن عرف ذلك في ذات
صدره فلا يجوز له ان يعلنه بل يحتم عليه ان يتجاهله حتى لا يقول الناس انه
تسامح مع الاستعمار في كلي ولا جزئي . وهذه القاعدة السلبية الصرفة
التي معناها أن نخفي ما نعلمه حقاً لئلا يقال اننا لسنا في القدوة العليا من الوطنية
لسنا منها في كثير ولا قليل نحن الذين آلمنا على انفسنا أن نخدم هذه الامة بما ينفع
الناس ويمكث في الارض لا بما يذهب جفاءً ونحن أولاء لم نجد في هذا العصر
- بصرف النظر عن الماضي - زعيماً وطنياً كبيراً كانت سياسته بازاء دول
الاستعمار سلبية صرفة ترفض أن تقبل الخلق ان لم يكن تاماً يزوره وعروته
فلا سعد زغلول ولا النحاس ولا ابن سعود ولا فيصل بن الحسين ولا الامام يحيى
ولا أحد من أقطاب الشرق او الاسلام ولا مصطفى كمال أتاتورك نفسه أبى
ان يقبض مائه الا مائة تامة لا تنقص شيئاً بل طالما رضوا بقبض المائة اسمين
وسبعين وستين وكانوا بذلك مفتخرين لا جهلاً بمحقوق بلدانهم ولا ميلاً الى
التساهل مع الاجانب بل ذهاباً مع الممكن وفراراً من الجمجمة بلا طحن وأملا
بالكمال النواقص في المستقبل وخوفاً من الحرمان التام واختياراً لأهون الشرين .
وان كان قد اتقدم الناس في خططهم السياسية هذه فلم ينتقدوا الا جاهل أو متجاهل
متحامل . انهم أرادوا ان يخدموا بلدانهم بسياسة عملية ايجابية متعلقة بالممكن
غير معول فيها على مجرد الضوضاء والتظاهر بعدم الهوادة في أقل شيء : سبيل من
لا يهجم على اي جنبيه وقع الامر ومن جل أربه ان يقول عنه العوام ومن
لا بدر كوت حقائق الامور : هذا هو الوطني القح الذي لا يتساهل ولا
يتسامح ولا يتحزح عن مطالبه . وما اصل الوطنية ان كان صاحبها لا
يهجم الا الصراخ : أوصل به الى نتيجة ام لا ؟ اما قضية الحبشة فكل من يقول -

مسلمي الحبشة وهو لا يعلم منها شيئاً^(١) ولا ينكر عليكم ولا يلوكم في
مراءاتهم والدفاع عنهم طبعاً . وسألته عما عهدته اليه من استنساخ قصائدكم
في مجلة الزهور فقال ان انطون بك الجميل لما يف له بوعدته في إحضار مجموعات
المجلة له وسيستجزه الوعد وانه ربما يزورني اليوم قبل الظهر أو غداً وأنا
أكتب هذا في الساعة الثانية عشرة قبل الظهر ولم يجيء . وقد أحضر

— اننا سوغنا استيلاء إيطاليا على الحبشة بتصريح او بتلميح يكون مخطئاً او ذا
غرض في نفسه . بل كلامنا في هذه المسألة صريح سواء بالعربي او بالفرنسي
وهو اننا لا نرضى باستيلاء أمة على أمة أية كانت ولكننا لا نعتز في ذلك على
إيطاليا وحدها بينما يكون ٢٥٠ مليوناً أو أكثر من المسلمين راسخين في قيود
أجنبية وبينما تكون الحبشة هذه — المظلومة المقهورة الشهيدة — قد أخذت على
استقلال سبع أمارات اسلامية كان لها ذكر في التاريخ فطونهم ساطي السجل
للكتاب واحدة بعد أخرى و كان آخرها سلطنة هرر الصومالية وسلطنة حمة جفار
التي استلحقها النجاشي ظفري هذا من سنتين ظالماً وعدواناً . ولقد سبق لنا كلام
عن قصة الحبشة هذه في مكان آخر . ويا حبذا لو كان المسلمون الذين أقاموا
تلك القيامة للحبشة تذكروا حال اخوانهم مسلمي الحبشة الذين لم تعرف أمة
من الظالم ما عرفوه فلم يصح فيهم قوله تعالى « يملكونه عاماً ويمحرونه عاماً » .

(١) ولو كانت أسعد أفندي داغر اطلع على ما عندي من رسائل مسلمي
الحبشة لعرف حقيقة ما هنالك ولعلم اني لم أكن داعية لإيطاليا فيما أنقاضه من
مساواة مسلمي الحبشة بنصاراها في الحقوق بل كنت في هذا داعية لنفس الحبشة
التي كان أعظم سبب في سقوطها حقد المسلمين على الحكومة الحبشية من اجل
إرهاقها اباهم منذ قرون .

عامل المكتبة لكم ديوان عبدالله باشا فكري والجزء الاول المطبوع من ديوان البارودي وكان في دائرة المرحوم رجل أدب يقرأ له وينسخ فكلف بعد وفاته بتقديم ديوانه للطبع بإشرافه وتصحيحه فأقرض هذا لظهار علمه وأدبه بشرحه وطبعه مع الشرح فأمر ف فيه وأطال ولم يتم طبعه .

وأما رأيي فيما يجيبون به الصافي الذي كتب اليكم من أديس ابابا فيما ينبغي عمله لمسلمي الحبش والصومال في هذا الطور الجديد من ميل حكومة الحبش الى استمالتهم ووجود رجل من الخيار ثقت به وهو الحاج عبدالله شريف - فجوابي التفصيلي عنه يدخل في المشروع الكبير الذي ذكرته لكم في كتاب سابق من تنظيم السبي لوحدة الشعوب الاسلامية وتبليغهم الدين الصحيح وقد كتب إليّ جلالة الملك باستحسانه له وموافقته على تأليف مراكز في مكة المكرمة واستعداده للمساعدة عليه وكل ما فيه تعميم دعوة الاسلام الحق . واثير عليكم الآن ان تكتبوا الى الرجل بأن أهم ما يجب عليه هو إحصاء المتعلمين الخاصين لدينهم في البلاد بقدر الامكان وإيجاد مراكز فيها لهم لاجل الزمارف ونشر الرسائل والكتب التي يعرفون بها حقيقة الاسلام معرفة مقننة مؤثرة لا يخشى على من عرفها ان يضل بدعاية المضلين من دعاة النصرانية ^(١) ولا من دعاة السياسة المحاربين للاسلام

(١) من جملة ما كان يثن منه مسلمو الحبشة انتشار المبشرين الاجانب حتى في أصغر القرى الاسلامية وحيث لا يوجد مسيحي واحد . واما في هرر فكل الذين يقرأون الجرائد عالموا بأن ايطالية كانت قد قررت نفي مطران افروسي لاجل دعابته لحكومة الحبشة وذكرت ذلك الصحف الفرنسية وتوسطت فرنسا لمنع نفيه . وما كان السبب في تعصب هذا المطران للنجاشي طغري سوى انه كان -

ولاجل ان يكتبوا للمركز العام في الحبشة والصومال بكل ما يظروا عليهم من اضلال او ظلم . وهذا المركز يبلغ ذلك للمراكز التي تدافع عن الاسلام والمسلمين في اوربة ومصر واعني بها الآت مراكز الوفد السوري عنكم ودار المنار هنا وبهذه المناسبة اطلب منكم ان تكتبوا لي عناوين جميع ما تعرفون من الاندية والجمعيات الاسلامية في الاقطار كلها وعناوين من تثقون به من عقلاء المسلمين المخلصين وسأرسل الآن الي اديس ابابا « الوحي المحمدي » ، وتفسير الفاتحة وما معها والاسلام والنصرانية الخ . . .

هذا واني اسألكم رأيكم في مسألة كنت انوي ان اكتب اليكم بها من اواخر شعبان وهي مسألة منطقة العقبة ومعان التي تعلمون مركزها المهم بل الاهم في السياسة العربية والاسلامية وقد علمت ان الانكليز تريد الفصل فيها بمفاوضة تدور في هذا الشهر « يناير » وقد كاد يتم ، وجلالة الملك ورجاله المختصون بهذا لا يزالون في الارض وقد علمت ان للانكليز مسألة أخرى معه خاصة يجدود نجد الشرقية مع جيرانها في الخليج الفارسي التي تدعي انكثرة حمايتهم وانهم ارادوا الفصل فيها في اثناء حرب الجزيرة للمسامحة بها على العقبة وهذا أخوف ما كنت اخافه من غوائل

- يساعده في حر كته لتنصير المسلمين وقد جاءت رسالة في جريدة «الطمان» من مراسل لها كان في هور انه شاهد هذا المطران واخبره بأنه تنصر على يده عدة مئات من المسلمين وانهم بعد تنصيرهم كانوا من اعظم اعوانه على نشر الدعاية المسيحية بين المسلمين فلا عجب ان كان مسلمو الحبشة والصومال يفرحون بسقوط طفري وامثاله .

تلك الحرب وانتهت والله الحمد بنحير . ولا مر بنا فؤاد بك حمزة منصرفه من لبنان الى الحجاز فنجد خلوت به في جلسة طويلة في ٢٠ شعبان ٢٨ نوفمبر وتكلمنا في المسألتين فرأبته بعقد وينقل عن جلالة الملك انه يرى أيضا مسألة حدود نجد أهم من مسألة العقبة . فقلت له ان مسألة العقبة لا أهم منها وان مسألة حدود نجد الشرقية ليست بحيث نقول وبحيث تدعي انكثرة أو تظهر للمساومة فان القطيف وقطر وكذا الكويت والبحرين وعمان ليست من بلاد الانكليز ولا شعبا من الانكليز وكل ما تدعيه الانكليز من حق الحماية عليها فهو عدوان منها على أهلها لا حق دولي . والذي يجب أن يعرفه جلالة الملك ان هذه الدولة يستحيل أن يسمح لها بولائها باعتماد مالي لمحاربته على خلاف في هذه الحدود اذا سلك فيه سلك المفاوضات الودية التي لا يمكن أن تعد إهانة ولا تحرشا بها . وأما مركز العقبة فهو خطر على الحجاز ونجد كما انه خطر على سورية والعراق بل فلسطين وشرقي الاردن ومما بريطانيايتان في نظرها . . .

ثم ان مركز العقبة مركز إسلامي له شأن عظيم في اعتقاد جميع المسلمين ويمكن تهيجهم به على الانكليز ويمكن للملك العربية أن يمتنع به على الانكليز بأنه لا يمكنه أن يبلغ في مودتهم مخالفة عقيدته وعقيدة شعبه وأهل ملكه بإقرار إلحاق جزء من الحجاز الى بلاد بعدونها تحت سيطرتهم باسم الانتداب وان إلحاق علي وعبدالله إياه بشرق الاردن غير جائز في الشريعة الاسلامية التي يسمى علي ملكا خاضعا لها ولا في عرف القوانين الدولية العامة فإنه لا يجوز في أصول القانون الدولي العام ان يهب ملك بعض أرض مملكته لمملكة أخرى او لحاكمها . . .

ومن جهة ثالثة ان هذا المركز لا ترضى تركيا ولا ايران ولا ايطالية ولا فرنسا ولا غيرهما من الدول البحرية يجعله بريطانيا لان البحر الاحمر يكون به كله بحيرة بريطانية . تستطيع دولتها منع أي دولة أخرى من المرور فيه إن شاءت بسبب حرب أو خلاف . وسألت فؤاداً هل تكلم مع السنيور موسولينى في هذه المسألة عند اجتماعه به في رومية فقال : لا . قلت : قد كان هذا واجباً ويجب استدراك هذا الواجب مع وكلاء هذه الدولة في جدة . . . (١)

ثم ألم بنا الاستاذ الشيخ حافظ وهبه في رمضان وتكلمنا في المسألة فذكرت له خلاصة ما قلته لفؤاد بك حمزة وفهمت منه ان رأيها كان واحداً قبل هذا الحديث . ووعدني بجلسة أخرى خاصة لإتمامه فسافر الى العراق ولم يفر ولكنه قال كما قال زميله في السياسة انه سيذكر لجلالة الملك كل ما قلته مفصلاً . وقد كتبت الى جلالته والى امين سره بخلاصة الحديث مع كل منهما وبعد وصول الاول الى الرياض جاءني جواب من جلالته الملك بأن فؤاداً أفضى اليه بمحدثي معه وانه سيكتب إليّ (ايم فؤاد) بما استقر عليه الرأي في المسألة وانه عندما يصل حافظ وهبه سيحدد الحديث معه و كنت أنتظر أن يصل إليّ في هذا الاسبوع الكتاب من فؤاد بك وأبني عليه ما كنت عازماً على استشارتك فيه من

(١) من أهم المسائل التي أهتم ايطالية مسألة العقبة هذه وكم ظهر من السيد في هذه المسألة من بعد النظر وصحة الفكر في قوله ان استنبلاء انكثيرة على العقبة لا يضر الامة العربية فقط بل يضر بالدول جميعاً .

فروع المسألة ولا سيما رأيك في عرضها على عصبة الأمم^(١) وقد وصل البريد يوم الاثنين كالعتاد وليس فيه شيء فبادرت الى كتابة هذا فحسب أن تدرس المسألة مع الاخ احسان بك ومن تشقرون بمعارفه القانونية والسياسية الدولية من الافرنج وتكتب إلي بما تراه من هذين الوجهين وغيرهما .

هذا وانني نسيت أن أذكر لك ان الاستاذ الثعالبي قال لي ان ما ذكرته في مقالتي التي نشرت في مسألة ايطالية في برقة وطرابلس ليس كله صحيحاً وانه هو سأل عن ذلك من يعرف من اهالي البلاد المنفيين أو الهاربين في الاسكندرية فأخبره بذلك وأنا لا أثق بهذا الخبر^(٢)

(١) ولقد كان المركز نيودولي رئيس لجنة الاندابات هو نفسه طلب منا ان نعطيهِ المعلومات التي عندنا عن مسألة العقبة وهل قام الانكليز هناك بتحسينات وأعمال عسكرية ام لا ؟ .

(٢) الذي قال للشيخ الثعالبي ما رواه عنه قد كذبه القول فإن كل ما ذكرناه في مقالتنا تلك عن إرجاع عرب برقة الى برقة بعد نشرهم في الصحاري وعن إغايتهم وتوزيع الاقوات عليهم وشراء المواشي لهم وعن اطلاق سبيل عدة مئات من الطرابلسيين كان محكوماً عليهم بالحبس ٢٠ سنة او ٣٠ سنة وعن إعادة أوقاف المسلمين للمسلمين وغير ذلك - كان صحيحاً . وما نشرناه الا بعد ان جاءنا بلاغات ايطالية الرسمية به وجاءنا من الطرف الآخر أجوبة من أشد الطرابلسيين عداوة لاطلية تؤيد البلاغات المذكورة . ولم تخف صحة ما ذكرناه في مقالتنا على ذكاء السيد رشيد وسعة خبرته الى انه ذكر في مقالة نشرها بمناسبة المكتوب الذي جرى تزويره علينا ولا منا على شدة اهتمامنا به : أن الامر

وسأكتب الى السيد السنوسي وهو في الحزام فأسأله عما يعلم وأخبرك به .
ومما كان قال لي أسعد أفندي بهيد العيد في حديثه الذي ذكرته
لك : ان كان إظهار ترجيح سياسة ايطالية على الحبش مبني على وعد منها
موثوق به على خدمتها للعرب - وما هذا معناه - يكون في محله والا كان
فوق ما نستحقه منكم ^(١) .

وقد تذكرت الآن مسألة في كتابك المطول نوبت ان أجيبك عنها
إذ قرأتها فيه وهي قولك في رأيي الخاص بدعوة المسلمين كافة الى
معرفة المسائل الاجماعية الخ . انها لا يرجى قبولها وأكثر المسلمين متعصبون
كل منهم لمذهبه . وجوابي عن هذا اني لا أقول لاحد منهم أترك مذهبك
ولكن يجب عليك ان تعرف المسائل الاجماعية قبل المسائل التي يختلف
فيها المذهب مع غيره . ثم لك الخيار في مسائل الخلاف . . . هذا ما تبسر

- شكيب صرح بما تم على يده من المصالح العائدة الى مسلحي طرابلس بواسطة
تفاهمه مع موصولي عيالي لم يستطع احد ان يكذب منه شيئاً .

(١) لا شك في اننا ما قبلنا في حياتنا ولن تقبل التفاهم مع دولة أجنبية إلا
على شرط معاونتها للأمة العربية ولا يكون ودنا لها إلا بمقدار هذه المعاونة .
والذي من العرب يظن اننا نقدر ان نعادي الدول بأسرها ونوسمها طعناً وقذفاً
واننا نسترجع بالرغم من هذه العداوة الشاملة جميع الحقوق الضائعة للعرب
فيكون إما جاهلاً لا يوجه الى مثله خطاب او مرأياً يعرف الحق وبشظاير
يجهله . قال حكيم العرب زهير بن ابي سلمى :

ومن لم يصانع في امور كثيرة
يفرض بأنياب وبوطاً ينسم

واني لم رسل الكتاب ولا أجد وقتاً لقراءته والسيد عاصم لا يزال غائباً
والسلام عليك وعلى نجلك ورفيقك من أخيكم ؟

محمد رشيد رضا

وكتب في غرة ذي القعدة ١٣٥٣ الموافق ٢٤ يناير ١٩٣٥ :

سيدي الأخ المجاهد نصره الله

أرسلت إليك في ١٩ شوال جواب مكثوباتك الأخيرة ووضعت
فيه المکتوب الذي جاءك من الحبشة لاطلاعي عليه وسؤالي عن رأيي فيه
وذكرت لك رأيي فيه مع مسائل أخرى مهمة في الإصلاح الاسلامي
والعربي وزارني أسعد أفندي في اليوم التالي لإرساله وقرأت له بعض
ما جاء في كتابك الأخير ولما أكتب شيئاً الى صاحبك في الحبشة ولا
للسيد السنوسي الذي في الحمام لكثرة الشغل ولما بعد السيد عاصم .

وأبشرك بأنه جاءني يوم الاثنين ٢٣ شوال جواب لطيف من الامام
يحيى يبين مروره بأجزاء تفسير المنار التي أرسلتها اليه امثالاً لأمره
وتمدح التفسير ويحثني على بذل العناية لاتمامه ٠٠٠ وبوصول كتاب المنار
والازهر وإرسال حوالة بمائة جنيه بدلا من الحوالة التي كان أمر بإرسالها
عقب وصول كتاب الوحي الحمدي ولم يتيسر إرسالها وتلا ذلك وصول
كتاب من محل تجاري في الاسكندرية بنبي بوصول كتاب من معلمهم بعدن
وشيك يبلغ مائة جنيه انكليزي وطلب وصل بامضائي لإرسالها فأرسلته
وأرسل صاحب المحل الشيك والكتاب فاذا هو من السيد عبد الله الوزير
الذي أمره الامام بإرسال المبلغ ومرة « كما مرني » ان كان هذا فتحاً

لباب التواصل بيننا وسأكتب له ولجلالة الامام بعد هذا واتفق أن وصل التحويل الامامي في اليوم الذي صرفت فيه آخر جنينه من حوالة المستر كراين وأخبرتكم بها !! فله الحمد .

وصل في يوم الاربعاء ٢٥ شوال - ٣٠ بنابر كتاب من فؤاد بك حمزة من مكة يخبرني فيه بأنه عرض على جلالة الملك في الرياض ما حدثته به وعمدته اليه في مصر بشأن مسألة الحدود وان جلالته وافق على كل ما نرجو ونحب في الموضوع وعبر عن ذلك قبل تفصيله بأن نتيجة الحديث الذي فصلته له ثم لزميله الشيخ حافظ وهبه الذي وصل بعده على ان هذا الجواب السار لا يصدف بنا عن مواصلة درس ما توأصينا به في المسألة العامة الاسلامية العربية من طرقها القانونية والدولية فوق ما نعلم من وجهتها الاسلامية .

ثم أبشرك أيضاً بأن بنك مصر رجع عن رفع القضية علي بطلب دفع الكيبالاتين وعاد الى قبول دفع الاقساط وكان هذا من تأثير الكتاب الذي أرسلته الى طامت باشا حرب يوم العيد . هذا ما تجدد من اخباري التي تحب ان تعرفها والسلام عليك وعلى نجلك الكريم وصنوك الحميم ورحمة الله وبركاته ؟
أخوك

محمد رشيد رضا

وكتب في ١١ ذي القعدة ١٣٥٣ الموافق ١٤ فبراير ١٩٣٥ :
سيدي الاخ الامير المجاهد أبده الله وحفظه
وصل اليوم كتابك المؤرخ في ٣٠ شوال فرأيتته أبطاً في هذه المرة

عما عهدت فيما قبله ولعل كتابي الذي أرسلته اليك في اول ذي القعدة قد وصل اليك اليوم أو يصل غداً ومنه تعلم انه لا حاجة الى الكتابة بشأن العقبة الى جلاله الملك العربي ولكن يجب درس المسألة مما نحتاج اليه من الجهة القانونية والدولية وعصبة الامم . فالمسألة لا بد لها من اليوم وان كان الملك لا يمكن ان يقر الانكاز على أي عمل رسمي ولا على إحداث عمل حربي هنالك . وإني لأعجب لحدتك في كل ما تعتقد ان فيه للمصلحة مع كل أحد في من الحكم والائانة . وانا لا انكر مثل هذا من نفسي ولكن بدون شدتك في الغالب . وإني قبل أن أجيبك عما في هذا الكتاب الاخير أذكرك بأن تكتب لي ما وعدتني من خبر التفاتك بقيهر الالمان الاخير فإن أخباره وآراءه لها موقع من نفسي . وأعجب ما بلغني منها ما سمعته منك عنه مما سمعته أنت من شيخ الاسلام مومى الكاظم في القرآن ومن طلعت باشا في نساء الترك^(١) .

(١) كنت أظن اني كتبت اليك ما دار بيني وبين الملبجي في المعنى الذي كتبه هو اليك بعد أن أرسلت اليه عنوانك عقب حديثه معي ولكن شككتني فلان في براءته مما كتب في جريدة الشعب . وقد كتبت اليك في كتابي الاخير ان ما كتب ونشر في هذه المسألة كاف فالطاعنون لم ينالوا ولن ينالوا منك نيلاً . ثم أخبرني سليم بك عز الدين ان فلاناً أعطى ابن أخيه أو أخته^(٢) الذي يشتغل الان في تحرير المقطم

(١) ولقد كنت نشرت عن ذلك مقالة مفصلة لا حاجة الى إعادتها هنا .

(٢) هو فريد مصطفى بك عز الدين ابن عم سعادة سليم بك عز الدين

وكان محرراً بالمقطم .

مع شيتا من الطعن قال انه جاءه من العراق ليقرأ فرماه وداسه برجله وقال له هكذا يجب ان يفعل بما يكتب في الامير شكيب . وسأصح هذا الرجل في هذه المسألة ورأيت جميلاً وعباس حافظ الحرر في جريدة الكوكب بقولان انه جاءهم شيء في هذا الموضوع فألقوه في سلة المهملات بعد تمزيقه وسألني الاستاذ عباس حافظ لماذا لم يكتب الامير الى الكوكب شيئاً في هذه الايام وصاحبها أقدم أنصاره ؟ وقد تغدى عندي يوم الجمعة الماضي الدكتور حسن أحمد مع بدر الدين الصيني الذي جاء حديثاً فأطلعته على كتابك الاخير الطويل وقلت له : أنتكر من هذا شيئاً أم نقول ان الامير قصر في التحري والنسب ؟ قال : لا . وقال انه يعتقد أو يرجح ان الدكتور لا يكتب ولم يكتب في هذه المسألة ولا يجرى وليس هو رئيس لجنة النشر ومعه أمين سعيد والمليجي (كما قال لي ٠٠٠) وغاية الامر - كما يعتقد - انه لا يكره ما يكتب بل يسره لسوء ظنه القديم وتكلمنا في هذا كلاماً تحليلياً كما يقال في عصرنا .

الى أن يقول :

(٤) وصل أول من أمس الى مصر أخونا المغربي وزميله الاستاذ اسكندر المملوك لحضور جلسات مجمع اللغة العربية الملكي وزارني فوجد عندي الاخ الداودي^(١) وكتابك في التوصية به - وكان الداودي قد زارني قبل هذه المرة - وأخبرني الاستاذ المغربي انك أرسلت اليه ديوان المرحوم اخيك لطبعة في الشام فإن لم يكن فعندي . وعجبت لم لم ترسله إليّ أولاً لطبع في مطبعة المنار وهي مطبعتك والظاهر انه لم يشرع في طبعه بعد وسيعود

(١) الاستاذ السيد محمد داود من اعيان تطوان .

فاسأله . وسيمود الداودي ايضاً وأكتب له ما يحب من التوصية كما تحب .
وطلب مني صورة كما انه صورني مرة مع الاستاذين المغربي والمعلوف وصورني رفيقه
معه ايضاً وطلب مني وصية ليضمها الى الوصايا التي يجمعها ليطبعم في رحلته .
وقد أخبرني في الزيارة الاولى بوفاة الزعيم الكريم عبد السلام بنونة تفمده
الله برحمته فسبقتني الدموع حتى صعب علي أن اكلمه في الموضوع وإن
كنت لم أرَ المرحوم ولم اكتبه ولم يكاتني ثم قرأت سرائيك المؤثرة له .
لا تنس ما طلبته منك من العناوين ولما ارسل الى الحبشة شيئاً وعفا
الله عن السيد عاصم فإن اقامته في القلمون وطرابلس في هذه الايام أضع
علي ثلاثة أرباع عملي فيها وهي أيام النشاط والسلام
أخوك

رشيد

وكتب في ٦ المحرم ١٣٥٣ :

سيدي الأمير

سلام عليك وبارك عليك ولك في هذا العام الجديد وأسبغ نعمه
عليك وعلينا في جميع الاعوام وقد تواترت كتبك علي في خاتمة العام
الماضي وفاتحة الجديد وانا واقف أمامها وقفة العاجز المنتظر لما لا تعلم
فتعذر . ولكني أرسلت اليك جواباً واحداً في مطاوي عدد لو عدددين
من جريدة ام القرى فيها ملزمة من تفسيري « المختصر المفيد » ظهر لي
من كتابك الاخيرين الذي وصل اليوم ثانيها انك لم ترَ الكتاب
إملاً لأن الجرائد لم تصل اليك وإما لأنه وضع في ملزمة التفسير المختصر

ولم نفتحها فبقي فيها . وفيه انه في اليوم الرابع بعد العيد عرض لي بعض
أعراض ضغط الدم فأمرني الاطباء بحمية شديدة أتغذى مدة أسبوع بلبن
الحليب وحده مع دواء مليّن ثم بماء الخضر ثم بالخضر المسلوق - وحرموا
عليّ مدة هذه الحمية الكتابة والقراءة والتصحيح وكل ما يتعب العقل -
مع استعمال دواء لتخفيف الضغط .

الى ان يقول :

وفي ذلك الكتاب انني كنت أنتظر في الشروع بطبع الديوان لقاء
ابي الحسن الذي قيدتني به وانه لم يزرنني في العهد حتى بحث عنه بعده
فوعد بزيارتي قبل سفره الى فلسطين ولكن لم يفعل . وهو الى الآن لم
يعد . وفيه كلام بشأن طبع الديوان وترتيبه واننا عملنا طابعا « كلبشه »
باسم الدين كما أمرتم .

هذا وانني كنت مستاء من طبع هذه القصائد المرسلة في الكراريس
الخمس بدون طبع قصائد الباكورة التي غرست محبتك وتقديرك في قلبي
وهذه القصائد في نظري أعلى نظماً ولغةً وموضوعاً من كل ما في الكراريس
من المدائح والمراثي حتى جاءني مخطوطاتك الاخيرة تبشرني بالظفر
بالباكورة وشروعك في اختيار ما تريد طبعه منها فلم يعجبني هذا الاختيار
لانني أودت أن تطبع كلها ولكنك تقول في كتابك الذي وصل اليوم
انك لم تجد مانعاً من نشر قصائد يرمتها وقصائد أخرى مع حذف كثير
منها فإن كان ما تحذفه من المدائح الشخصية فلا بأس فإنني كنت احب
المدائح الشخصية في يوم من الايام الا انك تقول أيضاً انك تنشر مدائح
السلطان عبد الحميد وأنا لا أذكر من مدائح الباكورة الا القصيدة الرائية

خفي مدحه كما أظن وهي التي ما زلت أتمثل بأبيات منها وأحمل عليه
قولك - وما أدري من تعني به - في غزلك المؤنث :

لا أزال الإله دولته الغرا وإن كان قد طغى وتغير
وليتك أرسلت لي الباكورة برمتها بعد وضع علامات على ما تختار
حذفه منها لتشاور فيه . وأما مدح الاستاذ الامام وحكيم الاسلام فهو
في نظري ونظرك من الثمر الاصلاحى لا من المدح الشخصى ولا أحفظ
من الباكورة غيره الا ما يشترك معه من قصائد العلم والتاريخ وقد جاء
اليوم بعضه .

أقول الآن ان قصائد الكرامات الخمس يجب تغيير ترتيبها ولو بنشر
المراثى بحسب ترتيب زمانها فليس من المناسب جعل رثاء أمين باشا فكري
قبل رثاء والده ولا بتقديم ما نشر منذ أشهر كرثاء فقيد بنونة رحمه الله
مقدماً على ما نظم قبل اعوام .

ثم ان في هذه الكراريس تعريفاً ببعض القصائد وأسباب نظمها
مبدوءاً بالمطف حيث لا معطوف عليه كقولك : وفي أثناء الحرب العامة
جاء وفد تركي الخ . . ثم قولك : ولما استرجعت الدولة العثمانية مدينة ادرنة الخ
وهذا وإن كان قبله ما يصح عطفه عليه فالمعطف غير مقصود اذ لا مقام
له بقصدية المعطف وإن كان له وجه .

وقد يحسن أن يجمع كل ما يختص بالمرحوم البارودي وحده ويختتم
برثائه ثم ما يختص بشوقي بك مثله . وسأنتهز أول فرصة فأعرض عليك
ترتيباً مكتوباً فاني الآن في حشكة من شواغل آخر سنة المنار للمجلد
٣٤ والشروع في المجلد الخامس والثلاثين وقد اضطرت لتأخير الموعد

فدخل المحرم وأنا لم أتم الجزء التاسع من المجلد الذي كان يجب أن يتم العاشر منه في ذي الحجة ولذلك أسباب كادت تحملني على تعطيل إصدار المنار في هذا العام . ثم صعب عليّ هذا وإن كان تسعة أعشار المشتركين ما عادوا يدفعون لنا شيئاً والعشر العاشر أكثره بماطل وناهيك بغيبة عاصم الحقاء خمسة أشهر وقد دخل في السادس ولما أوفق لا إيجاد من يقوم مقامه وهو الواجب . والمكتوبات تزدهم عليّ بالعشرات في الشهر أو الأسبوع فلا أستطيع مراجعتها ...

وجملة القول انه متى عاد أبو الحسن ابين له الترتيب الذي أراه في قسم الديوان الذي في الكراسات بعد موافقتك عليه فنقطع ورقها ونرتبه بالارقام ومن رأيي أن يطبع ألفا نسخة على الأقل . وقد ذكرت لك في كتابي السابق ان ألف نسخة قليل ثم اكفنه إحضار المقدمة التي وعد بها خليل بك مطران فالشروع في الطبع يتوقف على ذلك . ومعنى كمل الديوان ورُتب ونقرر العدد المطبوع والنفقة فالحمل في المطبعة يكون سهلاً إن شاء الله تعالى فلا تهتم له .

وأما رسالة البلاشفة فلا أدري أين هي ؟ وأنا مستعد لتصحيح أصلها متى جاءني وسأكلف السيد عبد الغني ابن أخي أن يسأل عنها مطبعة الجهاد ومطبعة الحلبي ويبلغ من هي عندهم ما أمرت به . وكذلك الكتاب الخاص بشوقي وهو بنشر تباعاً في الجهاد ومن الأسف انني لا أجد وقتاً لقراءته ولكنني رأيت اسمي بالمصادفة في آخر عدد من الجهاد . وانك تنقل عني في شوقي غير ما أراه فيه .

وقد تذكرت الآن وأنا أريد ختم الكتاب مقالته عن قيصر للأنبة

التي نشرت كما قلت في العدد الخاص بالعيد الكبير الاخير من جريدة الجامعة الاسلامية فأخبرك ان هذه الجريدة قد قطعوا إرسالها إليّ فأنا منذ بضعة أشهر لم أرها على ان إدارتها كانت كلفتني أن أكتب لها مقالة خاصة بها لاجل العدد الخاص بالعيد فتأمل هذا الخلل والأثره عند أصحاب هذه الجرائد !!

لما يبحثني شيء جديد بعد الحج من جلاله ملك العربية ولا من أمين سره الشيخ يوسف ولا للوكالة العربية والمنتظر ان يبحثني ذلك قريباً إن شاء الله تعالى . ورأيت في بعض الجرائد ما يدل على عودة الاخ إحسان بك الى جنيف فلم عليه وأرجو إرسال عنوان الدكتور زكي علي المصري المشهور^(١) والسلام على الجميع ؟
اخوكم
رشيد

وكتب في ٦ صفر ١٣٥٤ :
سيدي الاخ الامير المجاهد في سبيل الاسلام والعرب وفقه الله وأبده

ألقي إليّ أمس كتابك المؤرخ في ١٩ المحرم وأول ما أكتبه اليك في جوابه انك بالغت في كشف تزوير الكتاب الذبي نشرته جريدة الجامعة الاسلامية^(٢) بيافا من بعض الوجوه وأحمد الله ان ظهر لك بهذه

-
- (١) وهو نعم الشاب الفاضل المجاهد في سبيل الاسلام .
(٢) ولقد رجعت في هذه السنة تنشر مقالتي وتنوه بذلك كيري تكفيراً عما مضى وفي عيد الاضحى سنة ١٣٥٥ المنصرمة نشرت ثلاث صور لي احداها -

الفتنة شيء من غرورك ببعض الناس الذين كنت تغلو في إطرائهم لا في حسن الظن بهم فقط . وما كنت أستطيع أن أنبهك الى هذا لسببين أحدهما طبعك الذي وقفت به مع شقيقك الامير عادل على طرفي تقيض كما يقال . فكنت مبالغاً فيما يسميه اهل الحديث تعديل الرواة وقبول رواية من لا تصح روايته ولا تقرب من الصحة . وهو مبالغ في الجور وسوء الظن كما كتبت اليك من قبل . والسبب الثاني انك لا تقبل فيحسن الظن فيهم بادي الرأي قول مخالف الا اذا جاءك بدلائل وبراهين كعلماء النظر وزاد على ذلك رد الشبهات التي أحسنت بسببها الظن فأنني جربت الانتقاد عليك في رجلين ليس لي ادنى هوى شخصي ففتحت علي أبواباً من الجدل والمناظرة فيها لا أسمح لنفسي دخولها . ولقد مررت الآن أن جعائني موضعاً للاختبار والسؤال في هذه الفتنة وأن مررت بكلمة كتبها عنك هي قليلة فأنت عندي في جهادك واخلاصك وصدقك فوق هذا وذاك .

واني قد صرفت العمال قبل المغرب من يوم الخميس ولست مضطراً الى تهيئة ولا كتابة شيء لصباح غد « الجمعة » . أكتب اليك وأنا تعب ما أراه أهم للمهمات في هذه المسألة ثم في غيرها مما يهيك وهو موضوع المكاتبه بيننا . (١) انني أنا لم أر الكتاب المزور الذي نشرته جريدة الجامعة الاسلامية لانها انقطعت عني من عهد طويل لما كتبت اليك بمناسبة - إذ كنت في الرابعة عشرة من عمري والثانية إذ كنت في العشرين والثالثة إذ بلغت الستين .

ما كتبت فيها عن قيصر الالمان ولكن جاءني اليوم منها العددان الاخيران
كان إدارتها تريد إعادة المبادلة .

فأنا ما رأيت النص الذي زعموا انه بخطك بل رأيت ما نشر عنه
في الجرائد وعلمت بالعقل وبعبارة العربية الضعيفة وبموضوعه انه مزور
عليك وأعني بالعقل مثل هذا الاقتراح على السيد امين الحسيني لا يصدر
عنه

(٢) سألت أسعد أفندي داغر : هل رأيت النص الذي نشرته الجامعة
الاسلامية وزعمت انه مأخوذ من عكس كتاب خط الامير شكيب ؟
قال : نعم . قلت : وما رأيك فيه ؟ قال : لاشك في انه مزور . قلت : ومن
زوره ؟ قال كما هو المشهور انه ف ن .^(١) وسألت منذ يومين محب الدين
أفندي الخطيب أيضاً عنه وقد رأيته في جمعية الشبان المسلمين فقال :
لا شك في ان الكتاب مزور ولكن معناه وموضوعه موافق لرأي الامير
شكيب وهو مخطئ فيه قطعاً وبالغ في هذا منفعلاً وقال ان الذي
كتبتموه في مجلتكم الفرنسية صريح في ذلك ولو قطعت أصابعه لفضل
قطعها على كتابته الخ . . فهو أشد في هذا من أسعد الذي أخبركم عنه

(١) الاسم موجود اقتصرنا منه على أول حرف من اسم الشخص وأول
حرف من اسم عائلته لا حرمة له وقد فعل ما فعل وارنكب الائم الذي عرفه
النبي صلى الله عليه وسلم انه احدى الثلاث التي هي أكبر الكبائر وهي
الشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وردد عنه قوله وشهادة الزور مساراً
واكتنا لم نشأ ان نقل هذا القول الصريح بحقه عن المعزو اليه هذا القول مراعاة
للراوي فقط .

من قبل انه قال ان الذي كتبتموه في مجلتكم لا شيء فيه في نفسه
ويصح هو ان يكتبه لا أنتم وقلت لكم ايضاً ان هذا لا يهيمه أمر
مسلمي الحبشة ولا الصومال مطلقاً ولكن محب الدين لا يصح ان يكون
مثله لان جريدهته إسلامية بل تكاد تدعي احتكار الدفاع عن الاسلام
والمسلمين . هذا ملخص رأي هذين الرجلين اللذين ذكرتهما لي .

(٣) وأما مسأله الشقاق بين الطليان والحبش فجميع الشرقيين ولا سيما
المسلمين ضلعمهم مع الحبش ولا يعذرون بل لا يعقلون ان يوجد فيهم
أحد له أدنى وقوف على حال الاستعمار الاوربي للشرق بنصر ايطالية
عليهم او يكره خذلانها في عدوانها عليهم ولعله لا يوجد فيهم أحد
يعرف شيئاً مما تعرف من سوء معاملة الحبشة لمسلمي بلادها ولا يمكن
ان يقنع بأن استيلاء ايطالية على بلاد الحبش خير للمسلمين من بقائها
مستقلة^(١) وانا الذي آمنت وصدقت بأخبارك أتمنى أن تبوء ايطالية مخذولة
مقهورة . فمن سوء الحظ إثارة اتهامك بما جاء في الكتاب المزور في هذا
الوقت . وقد كان عندي أمس صديقك وصديقي فؤاد بك سليم فראيته
مستاءً ضد الاستياء من هذه المسألة ومما كتبه فيها زميلك احسان بك ولم
أره مخطئاً لكما في هذه السياسة فالرأي الآن ان تقتصر على تنفيذ
الكتاب المزور وتبرئة نفسك من الدعاية لاطالية بالاجمال وتكف عن
ذكر ما تعتقد من إحسانها لمسلمي بركة وطرابلس والصومال أو كف
الاذى عنهم .

(٤) وههنا أذكر لك خلافاً من أخلاق العلماء البعداء عن السياسة

(١) ما قلنا قط اننا نفضل استيلاء دولة اوربية على الحبشة على بقائها مستقلة .

واهمها وهي التصريح بكل ما تعتقد انه صواب وإقامة الادلة والحجج عليه ومحاولة إقناع كل مخالف لك فيه . وقد ذكرت بهذا الخلق من قبل في اثناء وقائع خالفت فيها من خالفت في المسألة العربية ولا تراعي في ذلك اصناف المخالفين ولا تلين في القول للمحبين منهم فضلاً عن غيرهم . ومن شدتك واحتجاجك في هذا الباب ما لم اعلمه إلا منك فأحب ان تذكر هذا فيما نحن فيه الآن ولا تجادلني فيه ولا تنس أن كثرة الحجج قد تكون مثار التهم فينحصر فهم الناس في الباعث عليها دون صحتها إن كانت صحيحة . وغرضي من هذا تأكيد الوصية السابقة وهي الإمساك عن كل كلمة مدح او دفاع عن ايطالية او ذم للعجبة^(١) وتنفيذ منها الآن . وقد رأينا في بوقيات رومية اليوم ان مسألة الاستعمار الادري للشرق تنحصر معركتها في افريقية او ما هذا مؤداه .

(٥) لما يرسل إلي صاحب الجهاد رسالة البولشفيك كما وعد صاراً وقد ارسلت اليه البارحة بعد كتابة الورقة الاولى من هذا الكتاب خادمي يطالبه بما وعدني به منذ اسبوع لاني أريد ان اكتب لك وأخبرك بانجازاه فليل له تعال غداً الساعة ١١ صباحاً فذهب فقيل له انها لم نتم وكانوا يقولون منذ اسابيع انها مجموعة في المطبعة ومعدة للطبع فالظاهر ان التأخير سبباً غير ما نعهد من الخلل في الادارة ولنصبر .

(٦) اعود فأختم القول في المسألة فأقول انك بالفت في إقامة الحجج وارسال الرسائل للجرائد واثبات تزوير الرسالة لا يحتاج الى كل هذا

(١) قد أصاب الاستاذ في هذه النصيحة فإنه ليس يجوز ان يقال الحق اذا كان الرأي العام يخالفه .

فاني ارى كل الناس مقتنعين بتزويرها والجرائد كلها في مصر وسورية
وفلسطين والعراق مصرحة بهذا ومنكرة على المزورين وأرى أن خير
مانتفع ما أوصيتك به آنفاً والسلام ؟
أخوك

رشيد

في ٧ صفر

وكتب في ٢٢ سنة ١٣٥٤ يوم السبت (وليس فيه اسم الشهر لانه صفر) :
سيدي الأخ الامير المجاهد في سبيل الاسلام والعرب أيداه الله
حدث بعد كتابي الاخير اليك أن الثقيت يوم الخميس ١٣ صفر
بجيب أفندي الجاماتي بالقطار الذي حملنا وآخرين الى بور سعيد لتحية
الامير سعود ووعدني بأن يجتهد بأخذ رسالة البولشفيك وإرسالها أو حملها
إلي وتم له ذلك بعد تذكري إياه به في يوم الخميس الماضي وصحتها
يوم الجمعة أمس وأعطيها لابن أخي ليحملها اليه لثلا تضع اذا أرسلناها
الى إدارة الجهاد وهي غير كاملة وكتبت عليها انه يجب أن يكون لها
مقدمة وجيزة من الناشر (وقد يكون صاحب الجهاد أو إدارة الجهاد)
بذكر فيها سبب كتابتها ونشرها في الجهاد وتجربتها وطبعها مستقلة لتعميم
نفعها .

هذا وانني أعيد عليك ما كتبتك قبل من كونك قد بالغت في الاهتمام
بالكتاب المزور والرد عليه باضعاف ما قدرت من سوء تأثيره فاني لم أجد
ولم أسمع أن أحداً من الناس صدقه وقد بينت رأيي فيه وفيما قصد به
من النيل من زعامة الحسيني وزعامتك ومن مكانة هذه الزعامة في فلسطين

وفي الامة العربية وفي العالم الاسلامي - وهذا واجب لكما علي - بمقالة
للسنار ختمتها بالدعوة الى الصلح بأن يعترف راغب بك الناشيبي وحزبه
والشيخ الفاروقي بأن الكتاب منور. مستنكر الخ . ولما اقتضت الحال
تأخير إصدار المنار أرسلت المقالة الى بعض جرائد مصر فنشرت في
الجهاد والكوكب والى الجامعتين العربية والاسلامية . وأرسلت كتاباً الى
الحاج امين الحسيني بغرضي منها واستحسناني أن يأمر منيف أفندي بنشرها
في الجامعة العربية فإن استجاب لي الخصمان - الناشيبي والفاروقي - فذاك
خير للوطن من استمرار القيل والقال والسب والطعن والقضايا أيضاً .
وإلا كان من فائدة المقالة إقامة الحجة لكما عليهما وإظهار ما يجب علينا
من نصر كما وسأرى غداً أو بعد غد ما تفعل الجامعتان عندما تصلان إلي .
هذا وانني كنت كملت معالي عزيز باشا بوجوب تجديد السمي لدى
محمد توفيق باشا نسيم لأن تأذن الوزارة لك بالاقامة في مصر فطلب مني
- وكان عندي في دار المنار - أن أكتب له مذكرة بذلك فأرسلتها
اليه مع ابن أخي المصاحب له ولم أذكر لك ذلك في كتابي السابقين
انتظاراً لما يكون من تأثير السمي . ولكنني رأيت أمس في رسالة
البولشفيك انك انصرفت عن هذه المسألة حتى انك لو أذن لك اودعيت
الى الإقامة بمصر لأبيت القبول والرأي اذا فجح السمي أن ترجع عن
هذا الرأي والسلام عليك وعلى من شئت من أخيك

رشيد

وكتب في ٤ ربيع الاول ١٣٥٤ و ٥ يونيو ١٩٣٥ :

سيدي الاخ الامير المجاهد أبده الله تعالى

وصل أمس كتابك رقم ٢٧ صفر وفيه حوالة بمائة فرنك سويسري
لحساب طبع الديوان و كنت أول من أمس قبضت قيمة الحوالة التي أرسلتها
في ١٩ شوال سنة ١٣٥٣ .

الى ان يقول:

انني لما قرأت كتابك أمس شرعت في الترتيب الذي أراه للقوائد
فجعلت الكراس الاول المنقول عن الزهور هو القسم الاول و انتزعت
المراثي من مواضعها في الكراس الاخرى و جعلتها قسما مستقلا لعله
يكون الاخير في الديوان الاول أي قبل قسم الباكورة التي جازمت
أنت يجعله الاخير وان كان هو الاول في التاريخ . ولكن أتعني ان
بعض المراثي مختلط بقوائد أخرى في النسخ فنسخت بعضه لقلته
وتركت الباقي للاحقه بما يناسبه عند الطبع و قررت ان تكون مقدمتك
المرسلة في الكراس الاول ومقدمة مطران بك التي يرى بحق ان يكتبها
بعد الاطلاع على الديوان مطبوعاً - كتابهما مما يطبع بعد إتمام طبع
الديوان . و بوضع في أوله كما اعتيد في أكثر مقدمات الكتب العصرية
ولولا أن مقدمتك تحتاج الى زيادة بذكر فيها ما اخترته من شعر
الباكورة لكان طبعها الآن أحسن . واني أرسلها اليك الان لترى ما تزيده
او لتغيرها كلها . و يحسن إذن أن تذكر أسماء من رثيتهم بترتيب
تاريخ وفاتهم كما فعلت انا في جمع سرائيرهم وأقدمهم الشيخ أحمد فارس
وعبدالله باشا فكري فتجمله امين باشا « لابل » فكري . الخ .

ولولا أن طبع الديوان متوقف على ترتيبه له وتفرق أوراقه قطعاً قطعاً وجمع بعض ما في الورقة الواحدة في قسم منه وحفظ باقيها ليجمع لقسم آخر - وعلى تصحيحي له لاعطيته لاحد المطابع المتقنة لاني وقد اشتد الحر في حشكة من الشواغل المطبعية والادارية لم يسبق لها نظير في وقت آخر مما مضى (منها) انني في خاتمة سنة للشار وما تقتضيه مما ستعلم بعضه من الجزء الاخير من المجلد ٣٤ الذي تم ومنه تجديد الادارة كلها (ومنها) انتهاء الجزء ١٢ من تفسير النار وما لا بد له كالنار من الفهارس (ومنها) انجاز الطبعة الثالثة من كتاب الوحي المحمدي وقد فجزت اليوم المزمرة الاخيرة منه وبقي التقاريط وفيها زيادة ونقصان وهذا مقدم على الجميع الآن وسأقدم بعده الديوان على النار الجديد وغيره فهاك مقدمتك فجدوها وهاك اسم الديوان فان رجعت الاكتفاء بتسميته «ديوان الامير شكيب أرسلان» فاحذف منها «الصوت الفريضي ٠٠٠» فنحن قد جعلناها ٣ قطع . وقد وصل من دائرة الامير عمر كتاب الجبشة وهو محفوظ عندي والسلام من أخيك

رشد

وكتب في ٤ ربيع الآخر ١٣٥٤:

سيدي الأخ الامير المجاهد أيداه الله

وصل كتابك رقم - ربيع الاول ومرفي منه انه بخطك فأما ديوانك فشرعنا في طبعه . طبعنا الكراسة الاولى بالحرف الالماني الجديد فاستغرقت القسم الاول اغلاص بالمراسلات السامية وزادت صفحة وجمعنا الكراسة

الثانية وقد جعلتها في المداعبات والمراسلات الشخصية وما نلي في حفلات الشعراء شوقي وحافظ ومطران - الراجحي وهذا القسم الثاني ومنه قصيدة لصبري باشا وقصيدة الحسناء العاملة عند محمد بك راسم وقد تعبت في جمع هذا القسم وكان مخلوطاً بين المراثي التي جعلتها قسماً رابعاً وبين القصائد السياسية التي جعلتها قسماً ثالثاً . واضطرت أن أتمم بعض القصائد بخطي لان في الورقة ما هو من قسمين او ثلاثة ولا أزال في تعب من تقسيمها^(١) وربما اعطي العمال ورقة لجمع بعضها ثم أخذها لاعطيهم إياها لجمعها في قسم آخر كل هذا لكراحتي خلط بعضها ببعض وبدخل في القسم السياسي كل ما يتعلق بالدولة العثمانية وسلطانها وحرب طرابلس والحدود الخ . هذا وانني أشبه بعض الألفاظ من خط الناسخ لها لتقديم النقط وتأخيرها وكذلك الشكل لبعضها واحتمال بعض الكلم لمعنيين او خفاء معناه لما في القصائد من غريب اللغة الذي لم يشتهر استعماله وانني أرسل اليك الكراسة التي طبعت لترأها وتصحح ما عسي ان يكون فيها من غلط ونرى اننا لم نطبع لها الديباجة باسم الديوان لانني استحسنيت ان اضيف الى الاسم « ديوان الامير شكيب أرسلان » زيادة المشتهر بلقب « امير البيان » بطابع آخر باخط الفارسي وقيل لي لعل الامير لا يستحسنه لثلا يقال انه منه . فقلت اني أزيد في الديباجة « وقف على طبعه وتصحيحه ونشره محمد رشيد رضا » فيعلم ان اللقب مني . وقد تكون الديباجة للزمة المقدمة

(١) ليتأمل القارئ جزء هذا الرجل باخوانه لا سيما أخيه هذا وتكرمه بنسخ كثير من شعري بخط يده الكريمة مع انه اشغل من ذات النجيين ؛ ان هذا لمعري منتهى التواضع وكرم الاخلاق . وكل عظيم لا يجب التعظما .

التي سبكتها خليل بك مطران وما ربما اكتبه انا ان وجدت له مناسبة .
واما الباكورة وهي الشمر فنجعلها خاتمة الديوان كما استحسنتم .

عاد ابو الحسن واجتمعنا مرات وزرت واياه الاستاذ توفيق دياب
وزارني واعقب هاتين الزيارتين قرب انجاز رسالة البلاشفة ومبتلوا قرب
انجاز رسالة المائة . اما الاولى فقد ارسلت الي ما جمع منها مطبعة صكر
اول من امس « الاربعاء » وانا اقام دائماً بعد الظهر وبعد عصر ذلك اليوم
حضرنا الاحتفال العظيم الذي اقامه الازهر لشيخه الاكبر بحق صديقنا
المراغي واستمر الى ما بعد المغرب وقد استغرق تصحيح ما ارسل الي
« واكثره مما صححته اول مرة » قطعاً من الليل واتمته من اول النهار
الى الساعة العاشرة من يوم الخميس واتعني بتصحيحها انه ليس لها اصل
ارجع اليه فيما يشبه وما لا يفهم من المجموع وبقي منها بقية معها الاصل
المطبوع بجريدة الجهاد وهو غير مطابق للاصل المرسل منك - فهكذا
يكون التصحيح غير تام ولكنه يكون خيراً من المطبوع في الجهاد .
وجمع لي ابو الحسن من الجهاد جميع الاعداد التي نشرت زيارة المائة
لاصححها ثم اتولى تصحيحها وطبعها عندي كما استحسن الاستاذ دياب .
والمشكل الان ان عملي الشخصي كثير ومضاعف ومنه تجديد اعمال المنار
وانقائه كما تراه في ج ١ م ٣٥ والاطباء يجرمون علي كثرة الشغل العقلي
خوفاً من احتقان الدماغ فلماذا اكون معذوراً بعدم الاسراع بهذه الرسائل
مع الديوان ^(١) .

هذا وانني كنت كتبت اليك انه يجب ان يكون لرسالة البلاشفة

(١) كتبت اليه جواباً عن هذا بأن يقدم صحته على كل مهم .

مقدمة يذكر فيها سبب كتابتها وما فيها من الفائدة للقراء وان ذكر سبب الكتابة عرضاً فإنه لا يحسن أن تبدأ بهذا التمهيد وحده بل يجب أن يذكر التمهيد في المقدمة أيضاً وأنا كتبت على أول ورقة في التصحيح الاول هذا وكتبت به الجاماتي ويحسن أن تكون المقدمة من الذي يتولى طبع الرسالة ونشرها وكنت فهمت انه صاحب الجهاد أو إدارة الجهاد التي نشرت الرسالة أولاً - والا فصاحب الرسالة .

وأقول منذ اليوم انه يجب مثل هذا في رسالة زيارة المانيا لتكونوا على بصيرة .

هذا وان دائرة الامير عمر أرسلت إلي مکتوبات الحبشة وهي^(١) محفوظة

(١) اني من عشر سنوات أتلقى رسائل من مسلحي الحبشة وأنا لم أيمانونه من إرهاب وعسف وظلم في ظل الحكومة الحبشية التي تعاملهم معاملة غرباء بالرغم من كونهم نصف اهالي تلك المملكة . وقد كنت كتبت عن أحوالهم المؤلمة في «حاضر العالم الاسلامي» من اثني عشرة سنة أي قبل الحرب الإيطالية - الحبشية بزمان طويل بل كنت أحمل على الحكومة الحبشية في انشاء ما كنت أحمل على ايطالية من أجل ما كانت هذه تزهق به مسلحي طرابلس الغرب . وما زلت أتلقى رسائل عن حالة الضنك التي كان عليها مسلمو الحبشة وذلك من بعض علمائهم وبعض أدباء العرب الذين في أديس أبابا حتى تجمع عندي ما يساوي مجلداً من هذه الكتابات وكان آخرها عهداً مكاتب تذكّر لي كيف ان هذا النجاشي ظفري اخني على سلطنة حمة جفار الاسلامية وألقها ببلادته على أثر وفاة سلطانها الاخير . وهذا بعد القضاء على سلطنة هرر الاسلامية من ٥٠ سنة . وبعد محو الاحباش من قبلها سبع أمارات اسلامية . وكنت سنة ١٩٢٨ أرسلت الى

لا يضيع منها شيء وسأرسلها مسجلة مع غيرها مما سأرسله اليك توفيراً للارسال .
وما ذكرته في الكتاب عما قاله أسعد أفندي لإحسان بك ليس على
وجهه فإن الدكتور لا يمكن ان يتحدث نفسه بحمل اللجنة وأنا فيها على

- النجاشي هذا مع بعض معارف له من الالمان أنصح له ان يعتدل في معاملة
المسلمين و يعلن المساواة بينهم وبين رعاياه المسيحيين وأنذرهم بسوء مصير مملكته
ان لم يفعل ذلك فأصم عن نصحي لشدة شنآنه وشنآن قومه للإسلام . ثم لما بدأت
الحرب بينه وبين ايطالية أعلننا في مجلتنا الحرة بالافرنسية « لانايسون آراب »
وفي الصحف العربية التي نكتب فيها اننا لا نوافق على استلحاق ايطالية للحبشة
لأن ذلك خلاف مبدأ الاستقلال الذي هو محور عملنا ومدار دعايتنا طول حياتنا
ولكننا كما نطالب باستقلال الحبشة نطالب بمساواة المسلمين للصغار في تلك
المملكة وبإعادة استقلال مملكتي هرر وجة جفار الاسلاميتين والا فاننا ننذر
المملكة الحبشية بالبور . وبينما نحن ندعو بهذه الدعاية اذا بالدعاية الانكليزية
من جهة والدعاية الباشقية من أخرى كل منهما لغرض غير غرض الثانية قد ملأنا
العالم الاسلامي وأقامنا المسلمين واقعدناهم لاجل الحبشة واندفعوا في قضية الانتصار
للحبشة بأشد مما انتصروا للمالك اسلامية متعددة استولت عليها اوروبا ولم ينتطح
فيها عتزان . بل اندفعوا في الصراخ والاصراخ للحبشة بلا قيد ولا شرط ونسوا
ما سبق للحبشة من إرهاب وتعذيب للمسلمين استمرأ مدة أعصر وكيف
ان يوحنا ملك الحبشة اكره جميع المسلمين سنة ١٨٨٢ على التنصر فاطبة او
يرحلوا من البلاد . وقد وصلت هذه الاخبار الى مسلمي الحبشة فكتب الينا نفر
منهم قائلين : اننا لا نريد ان يستولي الاوربيون على بلادنا ولكننا لا نرضي بأن
المسلمين يترك كوننا لاستبداد الاجباش البصارى بنا كما هم فاعلمون الآن ففحن

شيء لا يرضيني وإنما كان النشاشيبي اقترح هذا على الدكتور أو كلمة به
ليعمل ما يريد عمله هو في جميعه ظاناً انه يمكنه هذا .

كنت أود أن يكون لي وقت واسع أطيل الكتابة اليك به ولكن
علي شغل للحنار والتفسير في هذا المساء والليل . ولكنني أخبرك بأنه نشر
في مجلة الضياء العربية التي تصدر في الهند حديث عن لجنة المناظرات في
مدرسة دار العلوم في اكنوأو مناظرة في أعظم رجل في العالم الاسلامي
الآن فذكر بعضهم مصطفى كمال وقال آخرون انه خرج من الاسلام .
وذكروا بعض رجال الهند وبطل الريف ورشيد رضا . وكان اكثر الاصوات
للامير شكيب أرسلان (١) .

— أرسلنا هذه المكاتيب بعينها الى الامير عمر طوسون ثم الى السيد رشيد
رضا ليعلم حقيقة احوال الحبشة وحقيقة آماني المسلمين فيها ويعرفا اننا لسنا
مهتمين إلا بغرض الاسلام ثم ان الاستاذ المؤرخ الآثاري الشيخ يوسف أحمد
نشر تاريخ الاسلام في الحبشة وأتى فيه بخلاصة أخبار المظالم والاعداءات التي
كانت تقع على المسلمين في دينهم وأعراضهم ودمائهم وأموالهم وظهر الحق وزهق
الباطل .

(١) كانت مجلة « الضياء » الهندية التي تصدرها ندوة العلماء في « لكنوه »
بالهند بإشراف علامة الهند الكبير مولانا السيد سليمان الندوي قد نشرت خبر
مجمع انعقد للمذاكرة في أي الرجال في الاسلام يستحق أن يوصف بأنه أعظم
رجل في العالم الاسلامي اليوم ؟ فحضر هذا الاجتماع عدد من كبار الادباء
والخطباء مثل السادة لطيف الدين وعبد الكافي وعبد اللطيف ومحمود خير الدين
الدمشقي صاحب جريدة « وفاء العرب » ومحمد الهلالي ومسعود الندوي والي —

وقد استحسنتم للمناظرة وأسألتها للجهاد مع أبي الحسن لنشر فيه ،
وعسى أن يكون غالب كما أحب نشواً وتربية وقد نفع ابني شفيع في
هذه السنة في امتحان شهادة البكالوريا ويرغب الدخول في مدرسة الهندسة
لعجزنا عن إرساله الى أوربة والسلام من أخيك م

محمد رشيد رضا

— الحسن علي الحسن الندوي وغيرهم فخطب كل واحد منهم بما يؤيد رأيه فيمن
هو اليوم الأرجح ميزاناً بين رجال الاسلام . فأناس رجحوا على الجميع الغازي
مصطفى كمال مع ذكرهم بين الذين يستحقون الذكر رضا شاه بهلوي والامام
أبا الكلام والدكتور إقبال والسيد رشيد رضا وهذا العاجز الفقير اليه تعالى .
وكن هذا رأيي عبد اللطيف ولطيف الدين وعبد الكافي . وذهب آخرون مثل
إعجاز أحمد والملك علي حسين الى ان أكبر رجل في الاسلام اليوم هو الامام
أبو الكلام الدهلوي . وقال السيد مظفر حسن الكشميري ان أعظم مسلم في
هذا العصر هو السيد سليمان الندوي . وخطب العلامة السيد محمد الهلالي فأطال
وانتهى بذكر اثنين أحدهما الامير محمد بن عبد الكريم الربيعي والآخر شكيب
أرسلان . ثم تكلم الاستاذ مسعود عالم الندوي فقال : ان الاستاذ محمد نبي الدين
الهلالي وفي الموضوع حقّه ووافق رأيه رأينا وان السيد سليمان الندوي لا يوازيه
أحد اليوم في التاريخ والقرآن والحديث لكن عظمتُه منحصرة في العلم . وان
السيد أبا الكلام قد بعد أكبر رجل في الهند لكن لم تتسع دائرة أعماله وما
تجاوزت حدود الهند فليس هو ذلك الرجل الذي نحن بصددّه . ثم قال : أما مصطفى
كمال فاني أشك في إسلامه وأقول قولِي هذا عن علم وبصيرة ولست من الجامدين —

وكتب في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ الموافق ٣١ يوليو ١٩٣٥ وهو آخر كتبه إلى قدس الله روحه لأنه توفي في ٢٣ جمادى الأولى:

سيدي الأخ الامير أمير الادب والنسب

جاهد أبو الحسن جهاداً طويلاً ساعدته في بعضه حتى أمكنه تخلص

- الرجعيين . وما رأيكم فيمن طمس الاسلام وأتى على بنيانه من القواعد .
لا أنكر ان الامة التركية مسلمة لكنها مغلوبة على أمرها . (الى ان قال) :
انه عندما يتأمل عظماء الامة الاسلامية لا يملك نفسه من أن يتذكر السيد أحمد
الشريف السنوسي الذي قال عنه شكيب أرسلان : انه لو كان في عصر الصحابة
لكان من كبارهم ؟ وأن يثذكروا مولانا محمد علي (أخا شوكت علي) واستخلص
من مبحثه ان الذين يرجعهم هو في هذا الموضوع اثنان أحدهما الامير عبدالكريم
والثاني شكيب أرسلان . وذكر فيما نثاه عن شكيب أرسلان انه بدافع عن
حقوق المسلمين أجمعين من غير فرق بين وطن ووطن وان هذه هي المزية التي
تميزه بين جميع رجال المسلمين في العصر الحاضر . ثم قام السيد محمود خير الدين
الدمشقي وقال : إني قضيت في تركيا نصيباً من عمري فأنا خبير بجميع أحوالها
ولا شك في ان مصطفى كمال رجل عظيم لكن قد أتى على الاسلام من قواعده الخ .
ثم جمل النتيجة انه اختار في هذا الموضوع شكيب أرسلان قائلاً انه هو الذي
ضاعت به ارض الاستعمار فلا نقله وانه وانه الخ . ثم خطب الاستاذ علي الحسيني
الندوي رئيس الحلقة فذكر من سبق الكلام عنهم وضم اليهم الشيخ حسين أحمد
المهذبي وسيف الرحمن وعبيد الله السندي ونوه بالسيد رشيد رضا وقال : هؤلاء
هم سلوانا وقرة أعيننا ويزد أكيادنا بعد ذهاب الاندلس وطرابلس وإفريقية
وآسية . وقال : ان من مصطفى كمال في قلوبنا جروحاً دائمية والى الله المشتكى . ثم

أصول رساله البشفيك من مطبعة السكر ومن إدارة الجهاد وقد مهر عندي
البارحة حتى كادت الساعة الحادية عشرة لثم ولا عمل لنا الا ترتيب ما
كان جمع في مطبعة السكر وذهبت أصوله وما بقي منها وبفصل لكم
أبو الحسن خبر هذا الجهاد الشاق .

— جلس وسكت ولما ألحوا عليه أن يسعي رجلاً بعينه بفضلته على الجميع قال انه
شكيب أرسلان . فوافقه المجلس بتصفيق حاد .

(ملخصاً عن مجلة الضياء الهندية)

فلما بلغ المرحوم السيد رشيد رضا ما كتبه مجله (الضياء) هذه بلغ من بره
بأخيه هذا أن كتب إليّ يخبرني بذلك وإني نلت في تلك الحفلة أكثرية
الاصوات . وأنا لم أشر الى هذه القصة اغتراراً بنفسي أو اعتقاداً أنّي على شيء مما
تفضل به بحقي هو لا . الاعلام بل اني لا أراي أهلاً لجرد الذكر مع واحد من
هؤلاء . أجمع فضلاً عن أن أكون في مقدمتهم أعوذ بالله من الغرور ومن أن أظن
في نفسي عشر معشار هذه المكانة التي نخلوني فضلها تكريماً منهم وتركوني من
ذلك في خجل وأي خجل امام الناس وأمام نفسي التي هي أعلم بقصورها من كل
أحد . وما ذكرت هذه الحكاية على وجه التلخيص وحذفت منها ما حذفت مما
يتعلق بي إلا لدورها وطرافتها وإثبات علو نفس هذا الفطريف السيد رشيد
رضا الذي كان يسر لآخيه بأكثر مما يسر لنفسه . والحال انه هو أعظم
رجال العالم الاسلامي من جهة القلم وان محمد بن عبد الكريم كان أعظم رجل
فيه من جهة السيف وان السيد أحمد الشرف السنوسي كان أعظم مجاهد مسلم في
هذا العصر وان سعد زغلول كان أكبر زعيم وطني في الشرق وعلى كل حال فهذه
طبقة لسنا منها في مقدمة ولا سافة لقد آتى الله هذه الطبقة العلياً ما لم يهتأ مثالنا
(ذلك الفضل من الله وكفى به عليماً) .

وقد أعطاني أبو الحسن ملزمة الدهوان الأولى المطبوعة التي كنت أرسلتها اليك فأعدتها اليه مصححةً بخطك ليوصلها الي وقد ظهر لي أنه ليس فيها شيء من الغلط الا كلمة (تحذوني) سقطت منها الواو وأما الكلمتان المحرفتان بل الثلاث فقد عجبت من تحريفها وعددتها على فهمي كالأصل المرسل من عندك وما كان لي أن أغير شيئاً فيه وإن لم يظهر لي صوابه أو حسنه (الأولى) « ايساد » في الأصل والطبع وقد كتبت في تصحيحها (اللفظة ايساد ولا أعلم لماذا جعلها الامتاز ايساد ؟) . (الثانية) « وبغز » هي هكذا بالزاي في الأصل الذي يظهر أنه مصحح بخطك وقد كنت صححتها « بغز » بالراء فأعادها إلي مصححاً المطبعة بالمقابلة وقال إن الأصل بالزاي فأمرت بإبقائها لاحتمال أن يكون لها معنى مناسب لا أعرفه فأمرت باعادتها بالزاي على القاعدة المقررة وهي عدم التصرف في الأصل . (الثالثة) « دعاء » قلتم إن أصلها رغاء ولكنها في الأصل المرسل منكم « دعاء » وسأعيد الأصل لتراء . . . وارسل اليك ملزمين أخيرتين طبعتهما لتري كيف رتبنا الدهوان وسيكون بعد قسم المراتي القسم السيامي والقسم التاريخي ومنه قصيدة صلاح الدين وقصيدة الاندلس ويجوز أن يجعل هذان قسماً واحداً . تعبت في فرز هذه الاقسام تعباً شديداً لان القصائد مخلوطة والصحائف مكتوبة من الوجهين .

وطريقة التصحيح أن يقرأ مصححاً المطبعة مثل الطبع بالمقابلة على الأصل ثم أقرأها أنا وحدي بلا مقابلة في الليل غالباً إذ أكون في حجرة النوم أو في طارمة بجانبها فاذا اشتبهت في شيء اسرتها بمراجعته على الأصل

أو طلبت الاصل وراجعته وقلما أجده وقتاً أراجع فيه كتب اللغة وليس
عندي منها في حجرة النوم الا المصباح والاساس . وأنا الآن في الدار
وحدي فقد سافر عيالي وعيال السيد عاصم إلى القلمون ونواحيها
للاصطياف وشغلي كثير جداً ولكن صحتي الآن أحسن مما كنت منذ
شهرين لان أكثر طعامي الفاكهة .

قرأت أمس أن الامير سعود سافر ومعه فؤاد بك حمزة الى باريز
فسويسرة فأهنتك بلقائهما ومحدثهما . واذا وصل كتابي هذا وكانا في
جنيف فسلم عليهما . وأظن أنني أخبرتك بأن جلالة الملك أنجز وعده
الذي كان وعد به اذ كنتم في حضرته وأخبرني به السيد أمين الحسيني
فأرسل لي مع فؤاد بك ما وقيت به القسط السنوي من رهنبة الدار
وزاد نفقة شهر كامل وكتب الى جلالته استأذنه في انشاء ذلك وشكره
عليه في المحلة وغيرها فكتب الي انه بعدني من الاسرة السعودية وشي
حقير مثل هذا يقع في الاسرة لا يجوز ذكره وسلم على ولدنا غالب^(١)
وأعد علي من خبره ودمت له ولاخيك .

رحمته

(١) من قرأ هذه المراسلات وتأمل كيف كان السيد رحمه الله لا
يهمل في كل واحدة منها تقريباً ان يسأل عن ولدي غالب وعن كيفية
تربيته وتنشئته وكيف أنه سأل أخي عادل مراراً أن يكتب له رأيه
في استمداد غالب - علم مقدار أثر هذا الرجل باخوانه وعطفه عليهم وشدة
اهتمامه بحسن تربية ناشئة المسلمين .

ثم بعد ارتحال السيد الى رحمة ربه جاءني من ابن عمه الفاضل
الاديب الحبيب النسيب السيد عبد الرحمن^(١) عاصم الكتاب الآتي وتاريخه
٥ جمادى الثانية ١٣٥٤

سيدي الأمير الجليل

أطال الله بقاءكم بالخير والعافية موفقين الى ما أنتم بصدده من اصلاح
على عجل ومن بقي بدعو اليه باخلاص على بصيرة وعلم غيركم؟ سيدي : أعادني
الى مصر ذلك النبا العظيم : نبأ وفاة السيد الفجائي أثناء عودته من
توديع الامير سعود في السويس في السيارة قبل وصوله الى مصر الجديدة
في منتصف الساعة الثانية بعد ظهر الخميس ٢٣ جمادى الاولى و ٢٢
أغسطس وقد أتعب ذهنه وجسمه . أتعب ذهنه باجهاده بالنصائح والوصايا
لولي العهد - شأنه مع كل من يتوهم فيه خيراً - وأتعب جسمه
بركوب السيارة الى السويس ذهاباً وإياباً وطريقها ليست سهلة ومسر أكثر

(١) السيد عبد الرحمن عاصم هو ابن عم السيد الامام وزوج أخته
وشريكه وتلميذه ورفيقه في أكثر حياته الذي لم يكن يفارقه وهو من
السراة الفضلاء البلغاء الذين قرأوا العلوم على السيد وغيره وقد كان
والده السيد أحمد كامل من قبله من أهل العلم والفضل والصلاح وهو
منقطع للعبادة من زمن طويل ولا يزال في الحياة وقد ذرف على الثمانين
نفعنا الله ببركة دعائه . هذا ومن بقي من أبناء البيت الرضوي الكرم
من الاعيان السيدان عبد الغني ومحيي الدين رضا ابنا أخوي السيد وكلاهما
من أهل الفضل وأرباب الاقلام والسيد محيي الدين من كتاب جريدة
(المقطم) .

الليل يفكر ويراجع وأبى رحمه الله ورضي عنه أن ينتظر في السويس الى المساء يستريح وقال لمن رجاه ذلك : لا ! سأستريح في بيتي ! .
 وكان يرافقه في السيارة ابراهيم أدهم بك أصله تركي وشائب وزوج حماة الامير فيصل . والامير زكي محمد ثنيان شقيق حرم الامير فيصل . الاول لسانه ثقيل باللغة العربية والثاني بافع . وحدثنا بأن السيد انصرف الى قراءة القرآن الكريم وما زال يقرأ حتى أصابه دوار من ارتجاج السيارة كعادته — ونقياً — ثم عاد الى القرآن يقرأه وطلب منها أن يفسح له لى استريح في انكانه على ظهره ولم يشعر إلا وفاضت روحه الزكية الطاهرة الى ربها راضية مرضية . ورأى ابن أخيه ادهم أن يذهب بالسيارة الى مركز الاسعاف في مصر الجديدة وعيناً حاولوا الاسعاف وبقي في دار النار الى الساعة العاشرة قبل ظهر يوم الجمعة وحدثني من رآه في تلك الساعات الكثيرة انه كان كالنائم المستريح في نومه العادي بعلم وجهه نور ووضاءة ولم يفارقه لونه الطبيعي ولا ابتسامته اللطيفة إلا قليلاً ولم يصفر اصفرار الاموات وهو من تعلم في سمته وتشحمه ولم يشم منه إلا طيب . انه رأى مقعده في الجنة وعلم برضاء الله عنه فاستبشر وفرح . ولكنه خلف لاهله وعارب في فضله الحسرة والارتباك فلما نا الله وإنا اليه راجعون . ودفن في قرافة المجاورين في نهر جديد بجوار الاساذ الامام رحمها الله تعالى .

والسيد مؤلفات عدة ما أتمها تأليفاً وطبعاً وهي :

عدد الملازم المطبوعة

- | | |
|---|---|
| ١ | الربا ولم ينقصه إلا الخاتمة . |
| ٢ | الجزء الثاني من كتاب السنة والنبوة وأوقف إتمامه |
| ٣ | من مدة . |

عدد للملازم المطبوعة

٤	مساواة المرأة بالرجل وأصل هذه الرسالة مناظرة له مع آخر في الجامعة المصرية .
٣	التفسير المطول الجزء ١٣٠ .
١٧	المختصر ١٠ ملازم اختصر بها الجزء ١١ و ١٢ وبعض ١٣ } = ٧ = = ٢ و ١ = = }

الشرق والشرقيين

الغزالي ما تار يخه

وعزم السيد على جمع الفتاوى وطبعها مستقلة عن المنار وكلف أحد
الاخوان وضع فهرس لها في مجلدات المنار . وقد فعل . وماذا ترون في
هذه الكتب هل تصدرها كما تركها مؤلفها أم ماذا ؟ . . .

هذا وآخر ما فسر السيد من سورة يوسف قوله تعالى : « رب
قد آتيتني من الملك وعلمتني مما تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض
أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين » . وسأل الله
عز وجل أن يتوفاه مسلماً ويلحقه بالصالحين وأرجو ان يكون استجيب
دعاؤه جميعه .

بيننا كنت أرتب أدراقي القديمة وجدت مכתوباً إليّ منكم في سنة
١٩٢٨ تدعون به السيد للاصطياف معكم في لوزان وتؤكدون عليه بذلك
استجابةً لصحته وترغبونه أيضاً بوجود فؤاد بك سليم في لوزان وأنثيتم
كثيراً على فؤاد بك وقد أطلعتني على كتابكم اس فأننى هو أيضاً وشكر
لكم حسن ظنكم . . .

انشرح صدرى ياسيدي الامير بوعدكم بكتابة سيرة السيد . ومن أوفى وأعرف بنفسية السيد ومن أقدر وأتقن لكتابة سيرة السيد من وليه وصديقه الحميم امير البيان وسيد الكاتبين . وأظن مرجحاً ان اجمع الكتب لسيرة السيد الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام وكتاب النار والازهر ومجلدات النار البالغة ٣٤ مجلداً وقد درس هذه المجلدات مستشرق لاهوتي يدعى تشارلس آدمس وألف كتاباً بالانكليزية تقدم به لجامعة شيكاغو ونال الدكتوراه في الفلسفة وترجم اخيراً ونشرته لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية واسمه « الاسلام والتجديد في مصر » واكثر من ثلث هذا الكتاب في السيد واكثر الثلثين في الاستاذ الامام والسيد الافغاني . واحكي على سبيل الاستطراد ان المستر آدمس زار السيد منذ عامين اثناء انعقاد المؤتمر الاقتصادي بلندن وقال له : قد عرفتك جيداً وعرفت الاستاذين الجليين المصري والافغاني من آثارك وألفت فيكم كتاباً ولكن بقيت اشياء عنكم لم اظفر بها في مجلدات النار والتاريخ وهي معرفة نشأتكم الاولى وكيف تلقيت العلم ومن اساتذتكم واحوالهم واي الكتب التي استفدت منها كثيراً ولها تأثير عظيم في نفسكم ؟ فذكر السيد له ما سأله عنه . وان كتاب الاحياء للغزالي هو الذي كون اخلاقه واستفاد منه كثيراً ولا يزال يستفيد منه . ولما انتهى اللاهوتي المبشر من استئذنه استأذنه السيد في ان يسأله سوء الا وهو : انتم اعلم مني بما وصل اليه الناس من الرقي المادي من سهولة المواصلات والمخاطبة الخ . . . فهل هذا الرقي صير الناس في هناء وقربهم من السعادة ام انهم في هذه الايام ازدادوا شقاء وتعاسة ؟ قال : بل ازداد الناس شقاء . قال السيد إذن ما الدواء لذلك ؟ قال الدكتور تشارلس : الدين . وقال

السيد منسماً : كلانا لاهوتي يقول ان الدواء هو الدين ولكن قل لي هل يوجد في الانجيل ما نستطيع ان نقنع به اولئك المؤتمرين بلندن انه دواء للحالة الاقتصادية ؟ الانجيل يقول : اعط ما اقصر لقيصر وما لله لله . وفي دعاء الصلاة : رزقنا كفافنا الخ . وفي الانجيل ما فيه من التزهيد بالمال والتبغض به . وقال السيد له : ان كان فيه غير هذا فعلمي . ثم قال السيد : اما في القرآن ففيه ثناء على المال وامر باستغلاله ومنعه عن السفاه وجعل ثواب الاتفاق منه في سبيل الله ومحال المسلمين مضاعفاً أضعافاً الخ . ثم اخذ السيد يسأل المبشر هل في الانجيل كذا ؟ واما في القرآن ففيه كذا . وعد مقاصد القرآن الكريم العشرة التي فصلها في كتاب الوحي المحمدي الخ . اجدني اطلت في سرد تلك القصة وما كنت افصد أن أفصلها تفصيلاً فعمدرة سيدي .

ثم ان السيد رضي الله عنه لم يفصل في كتاب التاريخ والمنار والازهر سيرته السياسية ومن لهذا التفصيل بالتأليف غير اعرف الناس به الامير شكيب ؟ وعندي من مكتوبات السيد العدد العديدي كان بتفضل باورسالمنا إلي . مفصلة آراؤه وما بلاقاه في أسفاره في الحجاز واوروبا والشام وحينما اسافر من مصر الى بلاد الشام في رحلتي الشتوية كان بتفضل ايضا باوتخاني برسائله ويخبرني بما يجد في دار المنار ومصر . وفي هذه الرسائل فوائد كثيرة اقدمها لسيدي الامير مؤلف تاريخ السيد الامام عليه الرحمة والرضوان . السيد الامام كان متوجهاً بكليته الى ما اعده الله له من بيان اسرار دينه وحكمه وقد فاق الاقران بذلك ولكنه في شؤونه المالية قليل الاختبار ولم يوفق لاحد مالي يحسن القيام على إدارة المنار . ساعده افراد من اهله

يأثقلونه بقلّة الخبرة وروح المـلاحـمة وكان آخرون من الغرباء يطعمون بهـالـه .
وقد خلف السيد تركـة مـثـقـلة بالديون التي تبلغ نحو الـيـ جـنيه يجب ان تؤدى .
ولذا ديون كثيرة ايضاً لم يستطع السيد ان يؤثر في قـوـس مشـركـي المنـار
ويحملهم على الوفاء وهم معدودون من ارفعى المسلمين واحسنهم ديناً ووفاء
ومعرفة . . .

للسيد ولدان محمد شفيـع رضا دخل في السنة ٢١ من عمره وقدمنا له طلباً
ليلتحق بمدرسة الهندسة وعنده استمداد طيب لدروسها والمعتمـم رضا وعمره
١٤ سنة وفي السنة الثالثة من الدراسة الثانوية واختها امـي رضا نالت
الشهادة الابتدائية قبلها .

هذا حالنا وما وصل العلم اليه وكل حال نحول .

اخوكم
عبد الرحمن عاصم

وجاءني من السيد عبد الرحمن عاصم بتاريخ ٧ رجب ١٣٥٥ و ٢٤
ايلول سنة ١٩٣٦ الكتاب التالي :

سيدي الامير المجاهد الجليل

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فان رسائل عطفـة
الامير حلت عندي محل رسائل مولاي السيد الامام استفيد منها وأسر
وافخر بها وقد طال انتظاري وشوقي اليها .

انني اليوم في سرور وسرح لتوخي قرب اللقاء وقد جاءت البشائر
تسبق الوفد السوري المفاوض بأن الحرب عادت الى الاحرار المحـامـدين بالعودة
الى وطنهم .

ذكرت لرياض بك الصلح يوم سفره الى اوربة كلنكم التي نتمنون
بها المميشة الهادئة في الوطن بين الحجار والكتب للتأليف والتجدير بمناسبة
عودتي الى القلمون — واني ذكرت هذا لموظف موثوق به عند الافرنسيين
فقال الموظف: من السهل النجاح بالسعي لتحقيق هذه الامنية . و اردت
ان استشيركم . ولكن رياض بك اشار بالانتظار لعل العودة تكون من
نتائج المفاوضة في الاستقلال . وقد تحقق رايه والحمد لله .

وجدت في مذكرات السيد الامام — رحمه الله ورضي عنه — مذكرة استحضنت
نقلها اليكم وهي هذه : بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٢٥٣ و ٢٣ اكتوبر سنة
١٩٣٤ أرسلت كتاباً جوابياً الى الامير شكيب في خمس ورقات بينت له
فيه ما انا متوجه اليه من الاصلاح الاسلامي وما بيدي من المؤلفات ومن
أهمها كتاب « الربا والمعاملات المالية في الاسلام » وعزني على الشروع في
التفسير المختصر . وما يعوقني من المسرة المالية وما علي من الدين ليكون
على بصيرة منه — لانه للورخ الاسلامي الوحيد في هذا العصر . — رحم الله
السيد واطال بقاء الامير في خير وعافية منافحاً عن الاسلام مؤبداً يروح
منه تعالى . وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

عبد الرحمن عاصم

ثم جاءني من السيد عبد الرحمن عاصم كتاب آخر بتاريخ ١٠ شعبان
سنة ١٣٥٥ و ٢٧ تشرين اول سنة ١٩٣٦ اخذت منه ما يلي:

سيدي الاخ الامير المجاهد الجليل

تشرفت بكتابكم المؤرخ في ال ٢٩ من رجب الفرد وشكرت لكم

إحسانكم المتكرر . ومن مدة كتبت الى أخلص المحاصرين من المصريين في
حجة مولاي السيد الامام - عبدالله افندي امين - : ان احسن الناس وفاء
واكثرهم ثمرة لآخواني ابناء السيد بعد وفاته رحمه الله سعادة الامير شكيب
باويشارهم على نفسه وذكرت له فضلكم السابق واللاحق . أظال الله بقاءكم
في الخير والعافية وأدام النفع بكم . كان علوبة باشا قرر بتوصية الحاج
امين افندي الحسيني شراء كتب بمائتي جنيه ثم اهملت القرار وزارة الوفد
واليوم وصل إلي انه تقرر شراء كتب بنحو ٧٠ - جنيها . وكانت الجامعة
المصرية راغبة بشراء المكتبة الخصوصية والراجح ان رتبها لطفي باشا
السيد صرف النظر عن ذلك

نعم كان عندنا نسب محرر . سجل وفقدناه فيما فقدنا من آثار الاجداد
بظلم الحكام السابقين إذ كانوا يصادرون في بعض الاحيان كل ما في الدار
من كتب وأثاث في زمن الثورة المصرية وبعدها وآخر العهد بذلك في
أيام السلطان عبد الحميد وكانت الحكومة ترسل عما كرمها من وقت
لآخر للبحث عن المنار أو رسائل صاحبه وتجمع ما تجد في المنزل من
كتب وورق وتحملة الى طرابلس ولا تعيد منه شيئا والراجح أنها كانت
تحرقة . وقد يكون في تلك الكتب نسخ من القرآن الكريم . وبعض
البراءات السلطانية بهيات للاجداد وبقي عندي بعضها فإن استحسنت فاني
أرسلها اليكم .

الى أن يقول :

لست أدري هل انا رفيق القلب الى درجة الضعف ام ان كلام
سيدي الامير بوثر في نفسي ذلك التأثير العميق الذي صيرني لا استطيع

أملك دمع عيني في المرات التي حاولت فيها قراءة كلتكم التي تثلتتم بها
السيد امام عبوتكم والدروع تجول في المآقي وهو بعائب على ترك أمرته
من بعده ٠٠٠ وبقيمكم مقام العم لهم . وانتم والحمد لله خير الاعمام والاحوال
في مساعدتكم وابشاركم على نفسكم ؟

عاصم



وقد وقف بنا القلم عند هذا الحد بعد الاشتغال بهذا التأليف مدة
شهرين ونصف شهر واصلين فيه الليل بالنهار ، ففسأل الله ان يتقبل عملنا هذا
الذي لم نقصد به رثاء ولا سمعة وإنما قصدنا القيام بواجب معرفة الفضل
العظيم الذي كان للمترجم السيد رشيد رضا على العالم الاسلامي وبخاصة
على هذا الفقير اليه تعالى بالفين في كتابنا هذا منتهى الطاقة من التدقيق
والتحري وكان الفراغ من تأليفه في التاسع من صفر الخير سنة ١٣٥٦
الموافق ٢١ من شهر ابريل سنة ١٩٣٧ وذلك في مدينة جنيف في سويسرة
والحمد لله أولاً وآخراً ؟



ملحق

كنا سألنا الأخ السيد عبد الرحمن عاصم ابن عم الفقيه قدس الله روحه عما اذا كانت عندهم شجرة نسب تثبت تحدرهم من العترة الشريفة النبوية نظراً لتوارث كونهم من الاشراف الحسينية فاجابني أنه لا يزال عندهم سجلات ووثائق تثبت نسبتهم هذه ، ولكن الشجرة مفقودة بما نوالى عليهم في زمن السلطان عبد الحميد من الاضطهاد وكبس البيوت واخذ الاوراق ، فعندما تلقينا هذا الجواب اكتفينا بما ذكره الاستاذ الفقيه عن نسبتهم وانه معروف بالتواتر ، واكتفينا في هذه الايام الأخيرة بتلقينا مع السيد أحمد الحسيني وزير الاشغال النافعة في لبنان الكبير وبينما نتحدث والحديث شجون واصلنا الى موضوع نسب السادة الحسينية أئمة الشيعة في جبل لبنان وهم الذين منهم السيد أحمد المشار اليه ، وكان منهم عمه السيد علي الحسيني قاضي مذهب الشيعة في الجبل ومسكنهم القرية التي يقال لها مزرعة السيد في شمالي كسروان الى الشرق فسألت السيد أحمد عن نسبهم وتاريخ وجودهم في لبنان وهو من صدق اللهجة والنبالة بالمقام الذي لا يخفى ، قد انفتحت الكلمة على تركبته ولوثيقته فقال لي إنهم في الاصل من الحجاز كسائر الاشراف ثم انتقلوا الى العراق ونزلوا النجف ثم جاءوا من العراق الى الشام ونزلوا بركرك بوح وهي قرية تجاور معافة زحلة ورد ذكرها في معجم البلدان ، بقول بانوت الحموي انها في أصل جبل لبنان . قال السيد أحمد الحسيني حفظه الله : ثم انتقل اسلافه الى

قربة قمهز من لبنان ثم الى قربة اخرى يقال لها كفر حيال ثم الى مزرعة
السياد التي هم فيها الآن ، ولكن فرعا من عثرتهم هذه بدلا من ان ينزلوا مع
اولاد عمهم في مزرعة السياد ذهبوا فلقطنوا قربة القلمون على سيف البحر
بقرب طرابلس الشام ، قال : ومنهم آل رضا الذين منهم السيد رشيد وعائلته .
فسألت السيد أحمد الحسيني : هل هذا معروف عندهم من القديم ؟ فأجابني
نعم ، ولما كان المذكور ثقة صدوق وكان بدري ما بقول وجدت من الضروري
نقل كلامه هذا في ترجمة السيد رشيد لان الناس مأمونون على أنسابهم ولان
السادة الحسينية المذكورين صحة نسبهم الى آل البيت تغني عن التعريف وهم
اعلم بمن هو منهم ومن هو ليس منهم .

وقد أطلعنا الشيخ عبد الرحمن عاصم ابن عم السيد محمد رشيد على
ما ذكر اعلاه فكتب الينا ما يلي :

وصل كتابكم ومعه كلمتكم الطيبة في نسب مولاي السيد .
وعرضتها على سيدي الوالد فأقرها وهو بسلم عليكم . وجدنا الاعلى الذي اتخذ
في القلمون مسكنه وبني فيها مسجده اسمه : منلا علي خليفة البغدادي
ونسبته الى بغداد تؤيد رواية حضرة (ابن العم) السيد أحمد الحسيني —
الوزير اللبناني — وكان المرحوم السيد محمد رشيد نفسه كلف نور
افندي العرب ان يطلب صورة النسب من سيد من السادات الحسينية ائمة
الشيعه الساكنين في جهة برج البراجنة ، وكان مولاي السيد بكلفني
بتذكير نور افندي بالطلب ، وذاك السيد بعد ، وكان مسنا ثم توفي

زوجهم الله ؛ وانما طلب السيد رشيد ذلك النسب لعلهم يانه موافق
للسبب الذي كان محفوظا عندنا .

وسلسلة نسب اجداد السيد الامام الذين جاءوا من العراق الى ماردين
ثم الى القلعون هكذا : السيد محمد رشيد بن السيد علي رضا بن السيد
محمد شمس الدين بن السيد محمد بهاء الدين (واخوه السيد احمد هو الذي
خطب ابنة مصطفى آغا بربر حاكم طرابلس فزوجه اياها بعد التهديد) ابن
السيد منلا علي خليفة البغدادي .

الى ان يقول : فحيا الله سيدي الامير وياه وجزاه خير ما يجزي محسنا علي
احسانه ، فما أوفى بياكم لمكانة السيد السياسية وإصابة رأيه باحداثها من
قبل وقوعها . . ونجاحه في التوجيه الى اغراضها ، وانه كان موضع ثقة
الملوك والامراء والزعماء ، وما احسن دفعكم لاعتراض المعارضين على كتابة
السيد تاريخ نفسه بكلام مفيد مقنع لا يدع مجالا لمنصف ان ينسب
بينت شفة معترضا . وما ألطف تلك الحواشي المؤيدة لكلام السيد او المينة له
وما فيها من لطائف مستلحة ، وأحسن الله اليكم إذ بينتم انه كان الاولي
والاصح في تسمية سيدي الوالدة ذلفاء لازلفي الخ . .



فهرس

صفحة

مقدمة الكتاب	٣
ما قلته عن السيد رشيد في حياته	١٤
السيد رشيد رضا كما ترجم نفسه	٢٠
فصل في خلاصة من تاريخ صاحب المنار	٢٣
استطواد تاريخي : ابراهيم باشا المصري	٢٧
== مصطفى آغا بروج	٢٩
استعداده الشخصي	٣١
نشأته العلمية	٣٥
تأله ونسكه وتصوفه	٤٧
ما بعرض لسالك الطريق الخ	٥٣
تحقيق مسألة روية الارواح	٥٨
الروحانية وخطاب الارواح	٦٠
استحضار الارواح	٦٣
الروى الصالحة	٧٠
المكاشفات	٧٣
الانتقام في الدنيا من كل من آذاه	٧٩
استجابة الدعاء	٨٠
شفاء المرضى بالرقية ونحوها	٨٣
اعتقاد الناس به الولاية والكرامة	٨٦

صفحة	
٩٣	التعليم والارشاد
٩٥	إنكاره على أهل الطريق
٩٦	سيرته مع استاذ العلامة الجسر
٩٨	إنكاره على الحكام
١٠٣	سيرته في تعليم العوام
١٠٧	آثاره القلمية من نظم وثر
١٢٣	كتاب الحكمة الشرعية
١٢٧	هجرته الى مصر
١٣١	ترجمته وما فيها من العبر
١٣٤	أهم الفوائد لطلاب العلم الديني
١٤٠	دعوة المنار وتأثيره
١٤٤	تاريخ علاقتي مع السيد رشيد رحمه الله
١٦٦	علاقة السيد رشيد بالشيخ محمد عبده
١٧٣	استشارته له في انشاء المنار
١٧٨	انتقاد الشيخ محمد عبده للمنار
١٨١	ما كتبه صاحب المنار في رحلتي الحج والصلح
١٨٨	وفد الصلح بين الامامين
١٩٤	ما كتبه السيد رشيد عنا في المنار بمناسبة بعض الحوادث
٢١٨	تأبين السيد رشيد لاختي نسيب رحمه الله
٢٢١	كتاب الوحي المحمدي
٢٣٢	مقدمة السيد رشيد لكتابي (الارتسامات اللطاف)
٢٤٣	ما قاله في كتابي (حاضر العالم الاسلامي)
٢٥٤	ما قيل من التأبين في السيد رشيد رحمه الله

المقال الثاني (في شيء من سيرة السيد رشيد)	٢٦١
قطعة من كتاب أرسلته الى السيد محمد علي الطاهر حين وفاة السيد رشيد رحمه الله	٢٧٧
حفلات تأبين السيد رشيد رحمه الله	٢٨١
قصيدي في رثائه في حفلة دمشق	٢٨٢
المقصورة الرشيدية وتفسير بعض غريبها بقلمه	٢٨٥
الزيادات على المصورة	٢٩٤
مناجاة أخ ل أخيه أو السيد رشيد في فضله، وهي رسائله الى المؤلف	٣٠٥
وقد استوعبت خمسمائة صفحة الى آخر هذا الكتاب	
اشتغال هذه المراسلات على آراء السيد الامام في حوادث العالم الاسلامي من نهاية الحرب العامة الى يوم وفاته رحمه الله تعالى	٣٠٧
أسباب عدم نشر هذه المكتوبات بالزنگوخرافية .	٣٠٨
الكتاب الاول في وصول ذكريات الحرب الى السيد من مؤلف هذا الكتاب .	٣١٠
تفسير بعض ما ورد في كتاب السيد الذي ارسله الى المؤلف من ترسته بعد أن ودعه في مونيخ	٣١٣
رأي السيد في الحكومة الحالية قبل الغائها منصب الخلافة وبيان فوائد الاتحاد بين العرب والترك وترجيح هؤلاء على غيرهم من الافرنج	٣١٤
كتاب يتضمن شيئاً يتعلق بعلاقات الاسلام مع الطليان	٣٢١
مودة السيد للمؤلف ودعوته اياه الى الإقامة عنده في مصر بعد أن خلصت ادارة البلاد لحكومتها .	٣٢٣
رأي السيد في تنظيم حكومة الحجاز على عهد الملك حسين رحمه الله، وتوجيه خطابه مفتوحاً الى الشعب الانكليزي والحكومة البريطانية	٣٢٥

يتعلق بشأن المعاهدة .

٣٢٥ اول . مکتوب وورد من السيد الى المؤلف بعد ذهاب الوحشة التي وقعت بينهما

٣٢٧ ثناء السيد على حواشي المؤلف في حاضرم العالم الاسلامي ، وذكره

لرسوخ سياسة الترك في بغض العرب والعربية .

٣٢٨ كتاب اعمال المؤتمر السوري الفلـطيني .

٣٣٠ اماره عسير بين الادارسة وعاهلي الجزيرة العربية . تحكيم كل

من امامي الجزيرة العربية الاخر في نزاعهما على جبل عرو وحكم

الامام ابن السعود للامام يحيى على نفسه مما اثار دهشة العالم المتحدين

وكان مضرب المثل في الامم .

٣٣١ وفد الصلح والسلام بين ملكي الجزيرة العربية (من تعليقات المؤلف)

بين الامام يحيى وانكثرت والكلام على الحج وحضرموت والامارات التسع

٣٣٣ غالب نجل المؤلف ومحمد شفيع نجل السيد والرأي في تربيتهما .

٣٣٤ مسألة الامامة . المسألة المصرية العربية .

٣٣٥ مؤتمر الخلافة . (فيها فوائد كثيرة ومهمة وفيها ذكر التعالي

والسنومي والمرافعي)

٣٣٦ حواشي المؤلف على (حاضرم العالم الاسلامي) ولم لم تجعل كتابا

٣٣٧ بسط المؤلف الجواب على هذه المسألة .

٣٣٩ الوفد الذي تألف في القاهرة وسافر الى جنيف مصحوبا بالوثائق

اللازمة أثناء الثورة السورية الكبرى .

٣٣٩ سبب اقامة المؤلف الدائمة في صوبسرة واستقدامه أسرته من مرسين

اليها وسكنهم فيها . وفيه ذكر الدكتور شهنذر .

٣٤١ كتاب فيه ذكر الزعيم سعد باشا زغلول ، والبطل العربي محمد بن

عبدالكريم .

٣٤٢ جواب السيد على كتاب ارسله اليه المؤلف من الاستانة ، وفيه مسائل

متنوعة .

- ٣٤٤ مباحثة لغوية بين السيد والمؤلف ، وفيها الفاظ : الدعاية والقداية
والاعدام وشرح مفصل للمؤلف .
- ٣٤٦ مسألة الحجاج اليماني .
- ٣٤٧ بحث يتعلق باذيال المعاني والبيان في الاكثر وبأصل اللغة في الاقل ،
ومنه ماله نظر الى الدين .
- ٣٤٩ مكتوب فيه مسائل شتى ، ومنه ارسال السيد وفداً الى اليمن ،
وكان من فوائده توثيق المودة بين الامامين وفيه ذكر السيد محمد
ابن عقيل الشهير رحمه الله تعالى .
- ٣٥١ مراجعة السيد للمؤلف في شأن طبع كتاب « آخر بني سراج » في
مطبعة المنار ، وما عهد به اليه من تصحيحه .
- ٣٥٢ مؤتمر الخلافة الذي انعقد في مصر سنة ١٣٤٣ .
- ٣٥٤ حال المؤلف والسيد ، معاهدة ابن السعود مع الانكليز
- ٣٥٥ رد اشاعة وعد ابن السعود للانكليز بالاغضاء عن العقبة ومعان .
- ٣٥٧ مبحث في الخلافة وفي نقل الخليفة العثماني الى بلد اسلامي ، او في
تجديد الخلافة بنصب خليفة يستجمع الشروط الشرعية .
- ٣٥٩ محاوراة بين المؤلف والسيد في شأن السياسة الهاشمية التي كانت في
الحجاز .
- ٣٦١ شرح المؤلف في الحاشية لهذه السياسة السابقة ، واختلاف وجهتي
النظر فيها ، واستيلاء الوهابيين على الحجاز . وفيه ذكر السيد
الحاج امين الحسيني وتوسطه في الصالح بعد واقعة الطائف .
- ٣٦٣ انما يحسن العفو والحاملة في الحقوق الشخصية دون القومية والمالية
وفي هذا الكتاب كلمتان خطيرتان للسيد جمال الدين وتلميذه
الاستاذ الامام .
- ٣٦٦ النجديون ومقالات السيد في شأنهم ، كتاب الهدية السنية ،
والتحفة النجدية ، واثره الطيب في العالم الاسلامي ، وكلمة شيخ

صفحة	
٣٦٧	الازهر للسيد في ملأ من علمائه . الخلافة والاهواء والمؤتمر .
٣٧٠	طلب السيد من المؤلف رد السيد جمال الدين علي ربنان مترجماً عن الفرنسية ، واهم ما سمعه منه من الآراء الاصلاحية ، والمسائل العلمية .
٣٧١	اعلان السيد ان ما بينه وبين المؤلف من الاتفاق في المسائل العربية والحجازية والاسلامية وما من الله به عليهما من المودة هو من فضل الله عليهما ، ثم التفادي عن فتح باب الجدل بين اخوين علي مثل ما اشار اليه السيد من حالهما ، وهذا الكتاب هو قبس من نور يسعى بين ابدي العاملين المخلصين في اعمالهم .
٣٧٣	كيف يتم الاصلاح الديني ، رأي السيد فيه .
٣٧٥	مراجعة السيد للمؤلف عند طبع « آخر بني مزاج » وذبله : « خلاصة تاريخ الاندلس » وتصحيح المؤلف لقلط غيره في مسألة تاريخية تتعلق بالقصيدة النونية المشهورة في رثاء الاندلس
٣٧٨	الوفد الهندي ، اقتراح جمعية الخلافة في الهند جعل حكومة الحجاز جمهورية . الاستاذ الشيخ محمد نصيف لا يبالي ان يقول ما يخالف هوى الامير .
٣٨١	كتاب اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر لم يكتب عليه اسم المؤلف ، وفيها الكتاب الذي وجهه المؤلف الى بعض امراء مكة - علي بن الحسين الحارثي بنعي عايمهم في قتال العرب بالعرب وان تكون العاقبة للاجانب .
٣٨٥	مباحثات ومراجعات لغوية بين المؤلف والسيد منها ما يتعلق بالمفردات ، ومنها ما هو في الجمل والاساليب

التعريف بكتاب أخبار العصر وبالمراسيم السلطانية الاربعة وهي مقدمة لها ، ووضعها . مؤلف هذا الكتاب للتعريف بها

نشر سلطان نجد بلاغا رسميا للعالم الاسلامي ، صرح فيه بأنه لن يكون لاجنبي أقل نفوذ في الحجاز ، وامتنع من التصديق على الحاق خط العقبة ومعان بشرق الاردن .

الحكيم اجمل خان الزعيم المسلم الهندي ، المسائل الاربعة التي كان موضوع مباحثة السيد معه فيها .

المسألة السورية .

وصف السيد لكتاب حاضر العالم الاسلامي ، وتقريظه له في المنار

رد دعوى أن اختلاف الطوائف والاديان في سوربه يحول دون اتفاق اهلها .

الجنرال كيتين لم ينجح فيما حاوله مع ابن السعود من الاتفاق على الحدود

في سبيل القضية السورية ابان الثورة وبعدها (انظر الحاشية)

مقام المؤلف في خدمة الوطن والجهاد في سبيله في نظر عارفه .

جاء وقت العمل في الحجاز للاسلام وللعرب بعد دخول الا

عبد العزيز ابن السعود .

المذكورة الفرنسية التي قدمها المؤلف الى جوفيل في شأن سورية

بابعة اهل الحجاز - لمطان نجد ملكا على الحجاز .

ملاحظة الترك ، وأعمالهم الهادمة للاسلام .

طمع الترك في سورية والعراق ، وتوصلهم الى ذلك بجمل

مفتاحي القطرين وامم بقاعها - الموصل واسكندرونة - من

الوطن التركي .

الشرفاء في الحجاز وحالته الان .

صفحة	
٤٣٨	بين الامير عادل والدكتور
٤٣٩	مسألة البيئة والشهادة .
٤٤١	مكتوبات المؤلف المتواترة الى ملوك العرب في شأن الخلف العربي .
٤٤٣	رأي الملك الامام ابن السعود في الخلافة والخليفة .
٤٤٥	تبرع الملك الامام باربعة آلاف جنيه لمنكوبي بلادنا .
٤٤٥	وصف مقابلة السيد لجلالة الملك السعودي في مكة المكرمة .
٤٤٦	الزعيمان شوكة علي واخوه في مؤتمر العالم الاسلامي بمكة واعمالهما .
	وانتخاب المؤلف في المؤتمر الاسلامي العام كاتب سر عام للجنة
	التنفيذية المنوط بها تنفيذ قراراته ، وعرض ذلك على المؤلف .
٤٤٨	وصف قصة الشويقات مركز الارسلانيين ، ومسقط رأس المؤلف
	(في الحاشية) .
٤٥٢	اهم مسائل سياسة ابن السعود وادارته .
٤٥٤	انمايات الملك السعودي الشركات الاجنبية والتي يمكن أن تكون
	سبباً لتدخل الاجانب .
٤٥٧	بحث في بدع القبور وهدم قبورها .
٤٥٨	كلام السيد مع جلالة الملك في بيت المولد النبوي ، وسائر البيوت
	الاثرية .
٤٦٥	كتاب المرحوم مختار باشا والسبي في ترجمته .
٤٦٧	سبب وقوع الخلاف بين الوفد السوري الفلسطيني وآل لطف الله .
٤٧٠	مساعي المؤلف — بمد عوده من اميركا الى باريز — في التأليف .
	بين زميليه احسان بك ورياض بك وبين اخو الامير ميشيل ، واصرار
	هذين على التدخل في القضية السورية من دون صفة رسمية .
٤٧٤	وصف اللجنة التنفيذية في مصر واعمالها ، والكلام في حلمها وانتخابها

- لجنة أخرى مكانها ، رأي السيد في ذلك كله .
- ٤٧٩ كتاب من السيد الى المؤلف وفيه الكلام على اللجنة التنفيذية أيضاً وسياستها والاشادة بفضل الثورة السورية ورجالها ، والجمعيات المالية والسياسية في الوطن والمهجروخصائصها ومزاياها
- ٤٨٩ وفاة كاتب مر اللجنة نجيب بك شقيب فجأة والفراغ الواسع الذي تركه .
- ٤٨٩ بيان المسبو بونسو وخيبة الآمال فيه ورد اللجنة عليه رداً حسناً .
- ٤٩١ تعيين حسن بك الحكيم مديراً لمكتب اللجنة وقلم الاستعلامات
- ٤٩٣ قول السيد في هذا المكتوب خطاباً للمؤلف بنصه : انني لم اعارضك في شيء مما كتبت الي المرة بعد المرة من ثقتك بالدكتور شهنذر وحبك له ، واحترامك اياه ، ورغبتك في العمل معه اذا جاء أوربة
- ٤٩٣ كتاب مطول من السيد الى المؤلف يصف له فيه النزاع والشقاق الذي حصل في داره بين بعض الاخوان بحضور زهاء عشرين رجلاً من خيار السوريين ، وفيه ذكر لاسماء كثير منهم .
- ٤٩٨ ايدان السيد للمؤلف بانفصالهم من ميشيل لطف الله ، وفي هذا الكتاب نبذة من خلق السيد رحمه الله وبيان رأيه في الاتصال بالاصدقاء والانفصال عنهم ، وفيه فوائد كثيرة .
- ٥٠٤ دعاء السيد الامام للمؤلف بدوام الصحة والتوفيق لخدمة الملة والامة وحمده لله تعالى أن يرى مكتوبات المؤلف ورسائله تسير مسير الشمس في كل قطر ، وفيه ذكر البيان الذي أصدره احسان بك واحمد زكي باشا في شأن الصالح .
- ٥٠٧ زيارة ملك الافغان السابق لمصر ، وزيارة السيد له مع هيئة الرابطة الشرقية ، وتقديسه له في هذه الزيارة بعض مؤلفاته .
- ٥١٠ تقليد أمان الله خان وزوجته وحاشيته للتقربين (في الحاشية) .

- ٥١١ صلاة المؤلف في مسجدي موسكو ، ووصفه لإماميهما ،
وجامعات المؤمنين هناك .
- ٥١٢ ثناء السيد على علماء . ساحي روسية .
- ٥١٣ تمام طبع الجزء الأول من تفسير المنار للقرآن الحكيم .
- ٥١٥ الكلام في المصالح المرسله .
- ٥١٧ المؤلف لا يقلد غير السيد من فقهاء العصر .
- ٥٢٠ قلق السيد من تحفظات انكثرة في ميثاق إبطال الحرب ، ومن
معاهدة شرقي الاردن ، ومسألة العراق ونجد .
- ٥٢١ دعوة المؤلف لاختيه السيد الى تغيير الهواء عنده في لوزان .
- ٥٢٢ نصح السيد لاختيه المؤلف بالاعتدال في القراءة والكتابة وفي
الجهاد بين الدين والسياسة ، شفقة على صحته .
- ٥٢٣ اقتراح كاتب في (العهد الجديد) البيرونية على المؤلف أن يبين
القول الفصل في الخطة التي يجب على العرب ترجيحها في
سياساتهم .
- ٥٢٥ أخبار بعض المعمرين في هذا العصر .
- ٥٢٦ ما يكتبه المؤلف في الحول من مذكرات ومقالات وتآليف .
- ٥٣٠ كتاب السيد الإمام الى المؤلف في بيت الله الحرام .
- ٥٣١ تهنئة السيد لاختيه المؤلف بأداء فريضة الحج ولقاء ملك العرب
وإمام المسلمين .
- ٥٣٥ مرور جلالة الملك بلقاء المؤلف ، ووصفه إياه في كتابه الى
السيد بقوله « صديقكم وصديقنا » .
- ٥٣٧ مسألة الثورة في فلسطين وما يجب عمله في الحجاز لاجلها .
- ٥٣٨ شعر الذرة الصفراء بغلى ويحلى ويشرب للمغص الكلوي من
الرمل .
- ٥٣٨ وصف المؤلف أيام تلافيه وإياليها مع السيد ما بين البحرين .

- ٥٤٠ بين المؤلف والسيد : أسئلة وأجوبتها .
- ٥٤٤ فؤاد بك سليم ومساءته من حال مصر ، وما فيها من قلة الدين ، وفساد الآداب .
- ٥٤٥ بحث في جمع مكنوب على مكاتيب ومشهور على مشاهير .
- ٥٤٧ مصطفى جواد العراقي وانتقاده للمؤلف والسيد في نفسه .
- ٥٤٨ ورأي السيد فيه وسبب انتقاده إياه .
- ٥٤٨ عمل الفاء فيما قبلها ، وجواب الاستاذ النقي الهلالي فيه .
- ٥٤٩ سبب جمع السيد لمكتوب على مكاتيب (دون مكاتيب) ، كونه قياسياً .
- ٥٥٠ لم يرد في مسألة الصلب حديث مرفوع ولا صحيح ولا غير صحيح .
- ٥٥٠ للمفسرين متفقون على أن المسيح نفسه لم يقتل ولم يصلب .
- ٥٥١ أخذ السيد الإذن من محمود مختار باشا بترجمة كتاب والده : (مراثي القرآن) .
- ٥٥٣ الشيخ بسيوني عمران صاحب الاسئلة التي أجاب عنها المؤلف برسالة « لماذا تأخر المسلمون ونقدم غيرهم » . الشاب الهندي الذي ترجم بعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية بالأردو .
- محاضرة السيد في موضوع التجدد والتجديد والمجددين .
- الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام .
- ٥٥٦ زيارة السيد لمحمود باشا مختار واستنذانه بترجمة كتاب والده الغازي (مراثي القرآن) بالعربية .
- ٥٥٧ إرسال المؤلف رسالة الى السيد في الاستاذ الامام لنشر في الجزء الاول من تاريخه .
- ٥٥٨ إرسال السيد رسالته في الصلب والفداء الى ابنه تلاميذه في الهند وفي جاوة ، لاجل ترجمتها باللغتين الاوردية والملاوية .

- ٥٥٩ وصول بقية ترجمة الاستاذ الامام التي كتبها المؤلف الى السيد .
- ٥٦٠ اهتمام السيد رحمه الله تعالى بنجل المؤلف النجيب غالب .
- ٥٦١ وصف السيد لرسالة « لماذا تأخر المسلمون ونقدم غيرهم » .
- ٥٦٣ ثناء السيد على الثقريظ الذي كتب به المؤلف لتاريخ الاستاذ الامام .
- ٥٦٤ وصف المؤتمر الاسلامي العام في القدس ومبلغ تأثيره .
- ٥٦٦ ذكر كتاب « الحلال السندسية » للمؤلف وكتاب « السفر الى المؤتمر » لآحمد زكي باشا ورحلة البنوني .
- ٥٦٨ كتاب من السيد الى أخيه المؤلف ببارك له فيه برحلته الى الاندلس وعودته منها بالسلامة .
- ٥٧٠ ترجمة أحد علماء الصين لرسالة : (الصاب والفداء) باللغة الصينية ، ونشرها في جريدة له .
- ٥٧٤ عبد الحميد بك سعيد وخدمته للاسلام .
- ٥٧٥ اقتراح السيد على أخيه المؤلف أن يتعاونوا في تأليف كتاب في تاريخ الاسلام .
- ٥٧٦ طبع رحلة الحجاز . القصيدة الاندلسية ونشرها في المنار .
- ٥٧٦ مجلة (لانايسون آراب) التي يصدرها المؤلف وزميله إحسان بك الجابري من سنة ١٩٣٠ .
- ٥٧٧ اقتراح السيد على أخيه المؤلف أن يكتب إليه بفتاوى الجمعيات الاسلامية وبعض الرجال الذين يهتمون بالاسلام ليرسل اليهم المنار مع مطبوعاته . بعض ما كان السيد يريد نشره في الجزء الرابع من تاريخ الاستاذ الامام .
- ٥٧٨ عناية السيد رحمه الله بنجل أخيه (غالب) .
- ٥٨٠ استدراك على رسالة « لماذا تأخر المسلمون » .

- ٥٨٥ كتاب فيه ذكر « الحلل السندسية » للمؤلف ، كتاب رحلته الى الحجاز أيضاً .
- ٥٨٨ تأثير النصرانية في إضعاف مدينة اليونان والرومان .
- ٥٨٩ مدينة العرب قد نبتت من القرآن ، ومن محمد عليه الصلاة والسلام .
- ٥٩١ إتمام طبع الرسالة (لماذا تأخر المسلمون) وتوزيع نسخها .
- ٥٩٥ أخبار حكومة الحجاز تؤخذ على مذهب أهل الحديث في الجرح والتعديل ، فلا يقبل الجرح إلا ببيان .
- ٥٩٧ إتمام طبع الجزء العاشر من تفسير المنار وافتتاح السيد على أخيه المؤلف ابن يخصص - من وقته لقراءته وتقريره .
- ٥٩٩ تأثير رسالة المؤلف (لماذا تأخر المسلمون) في إرجاع بعض الشبان المتفرجين في بلاد المغرب الى الاسلام .
- ٦٠٣ بحث لغوي في لفظي المحاربة والإحابة .
- ٦٠٧ قاعدة السيد في المال عند الاخوان وبينهم .
- ٦١٠ بحث في لفظ وديان وأودية : جمع واد . لقاء المؤلف لتوري باشا السعيد والشيخ حافظ وهبة .
- ٦١٢ سفر الامير عادل الى الحجاز ، وسفر محمد بهجة البيطار (صديق الجميع) .
- ٦١٥ إتمام تفسير السيد لسورة براءة واستخراجه لمسائل السورة السككية من أصول وفروع وغيرها .
- ٦١٦ مقدمة السيد لرحلة المؤلف الحجازية (الارتماسات اللطاف) .
- الشاذ واللغات الضعيفة في اللغة .
- ٦٢١ الاحتجاج بأساس البلاغة عند السيد فوق الاحتجاج بالقاموس المحيط ولسان العرب .
- ٦٢٣ (قاعدة) الامم الموضوع لمعنى من أجناس الاشياء لا يشترط

- في صحة استعماله في أنواع الجنس ولا في جزئياته أن تكون
بالصفة التي كان عليها المسمى عند وضع اللغة .
- ٦٢٤ ترجمة كتاب (لماذا) . طبع المؤلف لكتاب تاريخ الامام
الاوزاعي مع مقدمة وحواش فيها تراجم لاعلامه .
- ٦٢٦ لنفس السيد الصعداء بعد إتمامه لتاريخ شيخه الاستاذ الامام .
- ٦٢٧ (المسألة السوربة) ونفصيلها في حاشية المؤلف .
- ٦٢٩ موافقة السيد للمؤلف في كون معاجم اللغة العربية لم تخص
مفرداتها السماعية بله القياسية ، وكون ماصح عن النبي (ص)
وأصحابه بعد من صميم اللغة .
- ٦٣٠ صفحة لغوية فيها الكلام على ما يذكر في مثل تاج العروس في
تفسير كلام المصنف أو غيره ، وما استحدثه العلماء من اصطلاحات
وترا كيب غير عربية الاصل .
- ٦٣٣ عمرة السيد المالية وما وجد عليه من الدهون بعد موته رحمه الله
- ٦٣٧ الدكتور قدري فنصل العراق يسعى في الصالح بين السيد وبين
الدكتور شهبندر .
- ٦٤١ السيد ضياء الدين الطباطبائي وما اقترحه على الخديوي السابق
- ٦٤٢ استدعاء مصطفى كمال للخديو لاجل قضية عرش سورية
- ٦٤٣ شرح سياسة مؤلف الكتاب مع دول أوربة .
- ٦٤٧ كتاب اللجنة التنفيذية الى الملك فيصل بما عازمت عليه من
الرجوع في المسألة العربية الى طورها الاول .
- ٦٤٨ نظام جماعة (الرابطة الاسلامية الدولية) أو الخديوية وتعليق
السيد عليه في مناره تعليقا طويلا .
- ٦٥١ وصف السيد لامير البيان بقوله : إنك لانت كاتب هذه الامة
وأمر السياسة الديموقراطي لها ، فينبغي أن تكون للحزب
والجماعات كلها .

- ٦٥٢ تأليف لجنة من كبار رجال العراق لاستئناف السعي لوحدة
الامة واستقلالها ، على أن يكون البدء باتحاد القطرين
الشقيقين العراق وسورية الكبرى .
- ٦٥٥ المؤتمر العربي العام ، والمقترحات الخمسة التي تقرر بحثها فيه .
- ٦٥٧ تفصيل علاقة المؤلف بالخدو السابق وكيف بدئت وكيف
ختمت .
- ٦٦٨ جراحة ذلك المنقذ اللغوي على الحديث النبوي في لفظ الدعاية
(بالياء) الثابت في صحيح البخاري .
- ٦٧٢ كتاب الوحي المحمدي للسيد ، وإعادة طبع (لماذا) للمؤلف .
- ٦٧٥ زيارة المؤلف لمساجي البوسنة والمركس ومسايقه عندهم من
كرم الوفادة ، والاستمساك بعروة الدين .
- ٦٧٦ المعيرة في رحلة المؤلف هذه في نظر أخيه السيد من وجهين :
(أحدهما قوة الشعور الديني في تلك البلاد) (وثانيهما) أن
زعامة العلم والدين والادب فوق زعامة المال والجاه الديوي .
- ٦٧٧ رسالة حقوق النساء في الاسلام للسيد واختصارها ، ورسالة
(لماذا) للمؤلف وطبعتهما الجديدة .
- ٦٧٧ (المسألة السياسية) والكلام في عقد المؤتمر العربي العام .
- ٦٨٠ مسألة العقبة وفتنة ابن رفاة .
- ٦٨٢ افتتاحات الشيخ يوسف الدجوي في مجلة الازهر على السيد
وامتناعهم من نشر الرد عليه في مجلتهم .
- ٦٨٣ ما وجه السيد الى أخيه المؤلف من وجوب مراعاته لصحته
العامة ، ووقاية عينيه خاصة ، وفي هذا الكتاب فوائد أخرى
للعامة والمجددين .
- ٦٨٥ بحث لغوي في مادة احترم واكتشف ، وفي مشاكل ومشاهير
ومسانيد وجمع التكسير .

- ٦٨٦ أسبوع الاحتفالات بتأبين أحمد شوقي بك .
- ٦٨٧ الوحدة العربية والسعي الحثيث لتحقيقها .
- ٦٩٠ مسألة العقل والنقل وانفاقهما واقتراقهما ، وما حققه شيخ الاسلام ابن تيمية فيهما .
- ٦٩١ المراد بسجود الشمس في الحديث الشريف ، وتحقيق معناه في القرآن ، في مثل قوله تعالى : (والنجم والشجر يسجدان) .
- ٦٩٣ ياسين باشا الهاشمي وأصفاره في سبيل الوحدة العربية .
- ٦٩٤ الاستاذ القصاب ومساعدته في سبيلها .
- ٦٩٥ سفر الوفد الى نجد في سبيل الوحدة وعوده منها .
- ٧٠٢ ما استقر عليه الرأي في مسأله المؤتمر العربي .
- ٧٠٣ ترجمة الامام الأوزاعي أيضاً .
- ٧٠٤ تبرع عزيز باشا بثلاثين جنهما في سبيل نشر كتاب الوحي المحمدي .
- ٧٠٧ المسألة العربية الأولى ، (الوحدة العربية) .
- ٧٠٨ المسألة العربية الثانية (مسألة سورية) . المسألة الدينية .
- ٧٠٩ إتمام الطبعة الثانية للجزء الثاني من التفسير ، وطبع كتاب الوحي المحمدي ، وكتاب (نقض مطاعن في القرآن الكريم)
- ٧١٠ كتاب حاضر العالم الاسلامي ومطالعة السيد له ، وكتابته عنه الى أخيه المؤلف .
- ٧١٤ إعادة طبع حاضر العالم الاسلامي بجواشيه وبماتق وزيد فيه .
- بحث في (جمع المصدر) وفي جمع اللفظ بالألف والمثاء .
- ٧١٣ نشاط شيعة العراق الاخير في بث دعايتهم ، ومولفاتهم الجديدة
- ٧١٥ وصف السيد لآخيه المؤلف مقابله لجلالة الملك فيصل الاولى والثانية .
- ٧١٦ ما اقترحه السيد على أخيه المصنف في شأن كتاب (حاضر

- العالم الاسلامي (٧١٧
أفلم بأن لهذه الدولة على ذكائها أن تعلم أنه لا يمكنها أن تؤسس
في سورية شعوباً تغلب بهم على الأمة العربية الاسلامية ، مع
اتصال سورية بالعراق ونجد والحجاز . المؤتمر الاسلامي
الاوروبي وكفالة المؤلف له .
- أخبار البلاد العربية . ٧١٨
المقال الذي نشره المؤلف في جريدة الجهاد في مسألة الخلاف
بين الاماميين العرييين وبمبحث السيد مع أخيه فيه . ٧١٩
وصف الاستاذ النقي الحلالى لبلاد الافغان . ٧٢٢
كتاب الوحي المحمدي واستنذات السيد رحمه الله بترجمته
باللغات الغربية والشرقية ومنها التركية اللاتينية . ٧٢٣
المصاب العظيم بوفاة الملك فيصل رحمه الله تعالى . ٧٢٣
مثل عال في الصفاء والوفاء فيما تقع فيه المباحثة والمراجعة بين
السيد وأخيه المؤلف . ٧٢٥
تقريب المنار لكتاب حاضر العالم الاسلامي . ٧٣٠
مسألة التحكيم بين الاماميين العرييين والبحث فيها
كتاب الوحي المحمدي : زيادات الطبعة الثانية . ٧٣٤
وعد السيد بكتابة جزء ثان للوحي المحمدي يضع فيه ما وعد
به من الفصول ولكن حالت المنية دون الامنية . إتمام الجزء
الحادي عشر من التفسير . ٧٣٤
تأليف وفد يتوسط بالصالح بين الاماميين . ٧٣٨
لقاء السيد لأخيه المؤلف في السويس في طريقه الى الحجاز
ونجد واليمن للتوسط في الصالح بين الاماميين . ٧٤٠
تمنشة السيد لأخيه المؤلف بسلام عودته وبالظفر بمهمته . ٧٤٢
التفام مع زعيم ايطالية الاكبر موسوليني لم يقع إلا بعد أن ٧٤٥

• في سبيل الى مقاومة السلاح ، وانظر شروط المسألة في
الحاشية •

- ٨٤٦ ذكر السادة الاجلاء علوبة والاتامي ومردم والصلح •
- ٧٤٨ ما خاف السيد له من امور الاسلام والمسلمين • مؤتمر مسلحي
اوربة ونتيجته • كتاب المؤلف « غزوات العرب » •
- ٧٤٩ فضل الدكتور شهيد دربارشاد السيد في مرضه ووصفه له
علاجاً ذهب باستعماله بعض أعراض الرثية وضغط الدم •
- ٧٥٠ شروع السيد في تفسير مختصر خال من الاصطلاحات الفنية •
والروايات الخرافية •
- == كتاب الربا والمعاملات المالية في الاسلام ، المنار والازهر ،
الوحي المحمدي •
- ٧٥١ كتاب للسيد لما يطبع وهو في بيان حقيقة الايمان والاسلام
لاجل الخواص والعوام •
- ٧٥٣ الاساس الاعظم للاصلاح الاسلامي •
- ٧٥٥ العائق للسيد عن العمل التفصيلي للاصلاح الاجمالي •
- == كتاب لابن المنذر في المسائل المجمع عليها ، وآخر لابن حزم •
- ٧٥٦ مركز الوحدة العام للاصلاح الاسلامي وفيه ذكر الارادة
محمد نصيف ومحمد عبد الظاهر ابو السمع ومحمد حمزة •
- ٧٥٧ السيد محمد أمين الحسيني والسيد عبد الله الوزير •
- ٧٥٨ إتمام تفسير الفاتحة والعصر وتفسير السور الخواتيم وهي العصر
والكوثر •
- ٧٥٩ الباكورة (ديوان المؤلف الاول) •
- ٧٦٠ عود الى البحث في سياسة ايطالية مع المسلمين ومعاملتها لهم في
المستعمرات •
- ٧٦٠ جواب المؤلف عما نشر في صحيفة (لاناسبوت ارباب) في

- سياسة الطليان ومما ملتهم لمسلمي الاربيرة .
- ٧٦٤ حال أقطاب الشرق والاسلام مع دول الاستعمار .
- ٧٦٥ الحبشة وظلمها للمسلمين وكون سبع إمارات اسلامية لها ذكر في التاريخ طوتها الحبشة طي السجل للكتاب ، وكان آخرها سلطنة هرر الصومالية وسلطنة حمة جفار .
- ٧٦٦ ما ينبغي عمله لمسلمي الحبش والصومال في هذا الطور الجديد من ميل حكومة الحبش الى استمالتهم .
- ٧٦٧ البحث في منطقة العقبة ومعان ، ومركزهما الاهم في السياسة العربية والاسلامية .
- ٧٦٨ حديث السيد مع فؤاد حمزة والشيخ حافظ وهبة ، في شأن العقبة .
- ٧٧٠ إرجاع عرب بركة الى بركة بعد تشريدكم في الصحارى ، وإطلاق سبيل عدة مئات من الطرابلسيين واعادة اوقاف المسلمين الى المسلمين .
- ٧٧٢ وصول أجزاء التفسير الى الامام يحيى وارسله جوابا الى السيد بين فيه سروره ويمدح التفسير ويحث على بذل العناية لاتمامه .
- ٧٧٦ تفسير السيد الثاني الذي سماه (المختصر المفيد) وتبشير الامام لاختيه بشروعه في كتابته وطبعه .
- ٧٧٧ طبع ديوان المؤلف في مطبعة المنار .
- ٧٧٨ التشاور بين الاخوين في ترتيب ديوان المؤلف .
- ٧٧٩ البحث عن (رسالة البلاشفة) .
- ٧٨٠ مقالة المؤلف عن قبصر المانية نشرت في العدد الخاص بالعيد الكبير الاخير من جريدة الجامعة الاسلامية (سنة ١٣٥٣) .
- ٧٨٢ الكتاب المزور على المؤلف ومن زوره .
- ٧٨٣ مسألة الشقاق بين الطليان والحبش .

- ٧٨٨ انتهاء المجلد الرابع والثلاثين من المنار ، والجزء الثاني عشر من التفسير ، وانجاز الطبعة الثالثة من كتاب الوحي المحمدي .
- ٧٨٩ ديوان المؤلف قد نجز طبعه بمطبعة المنار و كتب السيد رحمه الله (ديوان الامير شكيب أرسلان) وقف على طبعه وتصحيحه ونشره محمد رشيد رضا .
- ٧٩٠ ظهور الجزء الاول من (م ٣٥) من المنار ، وتحريم الاطباء على السيد كثرة الشغل العقلي خوفاً من احتقان الدماغ .
- ٧٩١ مكتوبات الحبشة التي أرسلها المؤلف الى الامير عمر طوسون ثم الى السيد وهم يتظلمون من استبداد الحكومة الحبشية بهم .
- ٧٩٣ المجمع الذي انعقد في (لكنؤ) للمذاكرة في أعظم رجل في العالم الاسلامي الآن .
- ٧٩٦ أعظم رجال الاسلام في نظر المؤلف ، السيد الامام أعظمهم من جهة القلم الآن .
- ٧٩٥ آخر كتب السيد قدس الله روحه الى أخيه المؤلف .
- ٧٩٩ كتاب من السيد عبد الرحمن عاصم ابن عم السيد الى مؤلف الكتاب بنمي اليه فيه وفاة السيد الامام .
- ٨٠٠ المؤلفات التي لم ينشها السيد تأليفاً وطبعاً . بلغ في التفسير قوله تعالى في سورة يوسف : « توفي مسلماً والحقني بالصلحين » .
- ٨٠٢ وعد المؤلف بكتابة سيرة لآخيه السيد وانجازه وعده بتأليف هذه السيرة التي زادت على ثمانمائة صفحة والله الحمد والمنة .
- ٨٠٤ ديون السيد الامام التي عليه تبلغ نحو التي جنبه . كتاب تهنئة من السيد عاصم الى المؤلف بعودته الى سورية .
- ٨٠٥ ما كتبه السيد الى أخيه المؤلف قبل وفاته وأشهده عليه ، وكأنه رحمه الله يتنبأ بقرب وفاته ، وبأن أخاه شكيباً سيضع له مؤلفاً حافلاً في حياته وذكرياته وقد فعل .

٨٠٦ كتاب ثالث من الامتاز السيد عاصم وفيه بعض ما قام به المؤلف نحو أولاد أخيه السيد من بعده .

٨٠٧ خاتمه الكتاب بقلم مصنفه وفراغه منه في مدينة جنيف من سويسرة في ٩ صفر الخير سنة ١٣٥٦ و ٢١ من شهر ابريل سنة ١٩٣٧ والحمد لله أولا وآخراً .



جدول الخطأ والصواب

صفحة سطر	خطأ	صواب	صفحة سطر	خطأ	صواب
٧	٣ الثالثة عشرة	الرابعة عشرة	٢١٨	٩ العمرين	القمرين
١٧	١٢ لا فحسب	تخذان من الكلام	٢١٩	١٨ ومقول	ومقول
٢٩	٤ ايعال	ايعال	٢٣٩	١٢ ابي عمر	ابن عمر
٣١	١٢ منتزراً	مؤترراً	٢٣٩	١٤ الاوربة	الاروبة
٢٣	١٢ و١٢ أعني	أعني	٢٤١	٤ لا ذات مندم	لات ساعة مندم
٤٠	١٩ شيبان	شيبانا	٢٤٤	١١ الثجرة	الثجرة
٥٦	١٠ نعمل	نعقد	٢٤٨	١٠ صراط	الصراط
٧٣	١٨ وجليته	وحليته	٢٥٤	١٩ لم	لا
٩١	٨ حمي	حمى	٢٦٢	١٨ طليع على	طليم بسم على
٩٢	٤ حذور	حزور	٢٦٣	١٣ علوبة	علوبة
١٠٠	١٣ بني	بني	٢٧٢	٣ الثاني	الاول
١٠٠	١٨ أخو صبحي باشا	أخو صبحي باشا	٢٨١	٤ رشيد المفسر	مفحة أخطأ فلنحذف
١١٣	١٩ يديسا	يديسا	٢٨٨	١٠ نجم	نجم
١١٤	٩ ربيع الاول	ربيع الآخر	٢٩٢	١٢ بنجل	بنجل (ثلاث)
١٢١	١ أستاذاً	أستاذ	٢٩٤	٥ بني	بني
١٣١	١٤ فصحهم	فيه	٢٩٥	١٣ القب	العذب
١٥٤	٣ الى	إلى	٢٩٧	٨ اضلوا الخ	ضلوا السيل واضلوا من قفا
١٦٩	١ استاذاً	استاذ	٢٩٩	٦ نضالا	نضالا
١٨٦	١٧ أتيت	انيت	٣٠٠	٥ قسا	غسا

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
١٧ ٣٠٠	سأء الثوب الخ فاشق اوساي هنا	٩ ٥٦٦	اروما
١٠ ٣٠٠	مقلوب سأء	٧ ٥٩٣	تحيون
١٣ ٣٠١	عاز	١٥ ٦٠٧	السما بدخان
١٨ ٣٠٣	واطبي	١١ ٦١٠	عند مراجعته
١٣ ٣١٢	بترجه	٣ ٦١٧	وقفت في مثله
٣ ٣٢٢	علم	٨ ٦٢٥	معتاد
٨ ٣٣٠	قوية	٤ ٦٣٢	الذي
١١ ٣٤٥	ولهذا الصباح على الدعاء وولنا	١٧ ٦٤٠	الذي
١٥ ٣٢٥	قد يمنع	٢٠ ٥٧٥	الذين
٧ ٣٦٢	الشبيبي	١٥ ٦٨٣	تأجيل
١٠ ٣٦٢	المتوسط	١ ٦٩٧	هذا
١٧ ٤٠٥	ثم	٢ ٧٠٤	تصحيحاً
٧ ٤٢٢	حقك	١٩ ٧١٢	الرباب
١٦ ٤٢٤	وطوال	٩ ٧٣١	كفهمير
١٦ ٤٤٨	اللخمي	١٢ ٧٤٤	في هذا الموضوع
١٥ ٤٨٩	واجران ان اصاب	٦ ٧٦٢	هذه
١٢ ٤٩٣	يحضون	٣ ٧٧١	مبنياً
٨ ٥٢٥	ادر كوا	١٦ ٧٩٩	مجد كامل
٥ ٥٤٣	بادى		
٥ ٥٦٠	تمنها على		

اشرى